رسائل جامعية (١٨)

فرق الهند المنتسبة للإسلام
في القرن العاشر الهجري
وآثارها في العقيدة
«دراسة ونقداً»

إعداد
د. محمد كبير أحمد شوذري
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد (أبها)

إشراف
أ. د. إبراهيم محمد إبراهيم أحمد
أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى

دار ابن الجوزي

هذا الكتاب

أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها صاحبها لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة شرّفها الله - تعالى -.

وكانت تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ إبراهيم محمد إبراهيم أحمد - حفظه الله تعالى - أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى، أستاذ ورئيس قسم العقيدة بجامعة الأزهر فرع أسيوط.

وقد ناقشها الأستاذ الدكتور أحمد عبد الرحيم السائح أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى. والأستاذ الدكتور غالب علي عواجي أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وذلك يوم الأربعاء الموافق ٤/ ٢/ ١٤٢٠هـ.

ومنح صاحبها الدرجة العلمية المذكورة بتقدير «ممتاز» مع التوصية بالطبع.

مقدمــــــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن من عظمة هذا الدين الحنيف أن جعله الله باقياً إلى قيام الساعة وأنزله سبحانه صالحاً لكل زمان ومكان.

وتكفل سبحانه بحفظه من عبث العابثين وتحريف المبطلين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾[1]، ومن مظاهر حفظه سبحانه لهذا الدين أن هيأ له رجالاً يذودون عنه ويحمونه على مر الأعصار والأمصار.

ولقد امتلأ تاريخ ديننا الحنيف بكثير من الأدعياء الذين راموا تحريفه وتفسيره حسب أهوائهم ورغباتهم، فكبت الله سعيهم وفضح خططهم وهيأ لهم من أبناء هذه الملة الحنيفية من يهتك أستارهم ويدمغ باطلهم.

وهذا البحث القيم المعنون بـ [**فرق الهند المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري وآثارها في العقيدة، دراسة ونقداً**] **لأخينا الحبيب الدكتور محمد كبير أحمد شودري**، هو أحد البحوث الرائدة في مجاله، حيث سلط المؤلف الأضواء على حقبة هامة من تاريخ أمتنا المسلمة في قارة من أعظم القارات وبلد من أكبر البلدان ألا وهو الهند.

ولقد سيطرت فكرة منحرفة على كثير من الناس في القارة الهندية في

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

القرن العاشر ألا وهي فكرة «الألفية» التي مفادها أن الدين الإسلامي عمره ألف سنة وحسب، وصالح للبشرية في ذلك الألف فقط.

فأبرز الباحث الموفق أصول الفرق التي هشت وبشت لتلك الفكرة المنحرفة «فكرة الألفية».

فبيَّن عوارها وشرح معتقداتها الفاسدة ورد عليها، ثم أبرز جهود العلماء المصلحين والدعاة الإسلاميين في القرن العاشر في تلك القارة وتوعيتهم للمسلمين بخطر هذه الأهواء والبدع، وذكر من أولئك المصلحين الشيخ علي المتقي [ت٩٧٥هـ] وتلميذه الشيخ محمد طاهر الفتني [ت٩٨٦هـ] الذي قتل غدراً على يد أهل الأهواء والبدع، وكذلك الشيخ أحمد السرهندي [ت١٠٣٤هـ].

والكتاب جهد علمي يؤرخ للانحرافات العقدية في القرن العاشر، ويبرز جهود العلماء المصلحين، وهو حري بالقراءة والاستفادة منه، وهو في نظري من المراجع العلمية لدراسة الفرق المنتسبة للإسلام، والتي بليت بها أمتنا في الماضي والحاضر.

وفق الله الداعين لمنهج أهل السنة والجماعة وجعلنا جميعاً من أنصار دينه وحماة شرعه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

فقير عفو ربه الباري

محمد بن سعيد بن سالم القحطاني

١٢/١٠/١٤٢١هـ

مكة المكرمة حرسها الله من كل سوء ومكروه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله، فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[3].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، وقد قام النبي ﷺ بأعباء الدعوة الإسلامية خير قيام، فبلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة حتى لحق بالرفيق الأعلى، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢. (٢) سورة النساء: الآية ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١.

ثم قام الصحابة ﷺ والتابعون من بعدهم بتبليغ هذا الدين، فلم تمض إلا فترة يسيرة حتى رفرفت راية الإسلام على أرجاء واسعة من العالم القديم، ووصلت الفتوحات الإسلامية إلى شبه القارة الهندية، ولم ينته القرن الأول الهجري إلا وقد وصل الإسلام إلى «الهند» وأظل بعض أقاليمها، إلا أن هؤلاء المجاهدين والدعاة لم يتغلغلوا في داخل شبه القارة الهندية، وإنما تركز وجودهم ودعوتهم في مقاطعة «السند» وما جاورها من الأقطار، ولم تشمل الدعوة الإسلامية الأقطار الداخلية في شبه القارة الهندية إلا على يد «السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي» (ت٤٢١هـ)، والذين أتوا من بعده.

فالذين دخلوا «الهند» من الملوك والفاتحين من جهة الشمال ـ من الترك والأفغان والمغول ـ ما كانوا يعرفون مزايا الإسلام إلا قليلاً، وما أشربت قلوبهم العقيدة الإسلامية الصحيحة مثل المجاهدين الفاتحين من الصحابة والتابعين ﷺ أجمعين. ومعظم هؤلاء الفاتحين ـ من الترك والأفغان والمغول ـ ما دانوا بالإسلام إلا في القرن الثالث والرابع للهجرة، فما كان يهمهم من الغزو والقتال إلا توطيد دعائم ممالكهم، رغم أن الحكم في هذه البلاد استمر في أيدي هؤلاء الملوك زهاء ثمانية قرون ونصف القرن، لم يفيدوا الدعوة الإسلامية في هذه القرون المتطاولة بشيء يذكر.

والذين أسلموا من سكان البلاد، ودخلوا في دين الله من تلقاء أنفسهم، أو بجهود الدعاة والوعاظ، لم يحظوا بعناية الحكومات المسلمة من حيث التثقيف والتنوير والاهتمام بمبادئ الدين الحنيف، ولهذا فما انفكوا عاكفين على شعائرهم الدينية القديمة، متخبطين في ظلام الشرك والوثنية.

أضف إلى ذلك أن البلاد الساحلية من أعمال «كجرات» و«السند» أصبحت أرضاً خصبة يرتع في أرجائها أرباب العقائد الباطلة، والأوهام الكاذبة، إذ قصدها المبتدعون من دار الإسلام، والمارقون من الدين منذ وقت مبكر، ولم تظهر شخصيات دينية قوية، تملك التأثير القوي في المجتمع المسلم، وتحد من نفوذ العقائد المنحولة على الدين المبين[1]، مما

(١) لم يظهر في تاريخ «الهند» الإسلامي شخصية دينية قوية قبل القرن العاشر الهجري، إذ =

أدى إلى الانحراف العقدي والاضطراب الفكري عند مسلمي هذه البلاد.

وما أن أطَلَّ القرن العاشر الهجري إلا وقد بلغ السيل الزبى، وتعدى، ووصل الانحراف العقدي إلى أوجه حتى أصبح المجتمع الإسلامي مقيداً بالسلاسل والطرق الصوفية، وانتشرت الفرق المنحرفة، وانتعشت، وتكاد معالم الإسلام الصحيح تنمحي تحت هيمنة أصحاب العقائد الباطلة، وغفلة العلماء، وانكبابهم على علوم المنطق والفلسفة وتفريعات المتأخرين الفقهية، وكانت لهذه الحالة المؤسفة آثار مدمرة في حياة المسلمين هناك، وما زالوا يعانون من تبعاتها إلى أيامنا هذه.

ولكن لماذا قلت: إن الانحراف العقدي قد بلغ ذروته في خلال القرن العاشر الهجري دون غيره من القرون السابقة؟.

لعل ذلك يرجع إلى تلك الفتنة الكبرى التي عرفها القرن العاشر الهجري في هذه البلاد، وأعني بها «العقيدة الألفية» التي روج لها دعاة الباطل، وطلاب السلطة المتسلحون بالفكر الإغريقي، ومنطق «اليونان» وفلسفتها.

و«العقيدة الألفية» التي روّج لها هؤلاء كانت تعني انقضاء مرحلة، وبداية مرحلة، فهم يعتقدون أن مضي الألف الأول من تاريخ الإسلام يعني انقضاء نظام الإسلام، واستقبال مرحلة أخرى، فكانت نهاية القرن العاشر في هذه البلاد فترة زلزلة في العقيدة، واضطراب في الفكر.

وإذا كان الحديث الوارد قد أشار إلى ظهور مجدد للإسلام على رأس كل قرن[1]، فإن هؤلاء الماكرين أثاروا أن ظهور مجدد أكبر على رأس كل

= قيض الله - تعالى - في هذا القرن الإمام السرهندي «الشيخ أحمد بن عبد الأحد» المعروف بـ مجدد الألف الثاني (ت١٠٣٤)، ثم جاء بعده في القرن الثاني عشر الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي (ت١١٧٦هـ)، وسار على طريقه في القرن الثالث عشر الإمامان الشهيدان «أحمد بن عرفان» (ت١٢٤٦هـ)، وصاحبه «الشاه إسماعيل الدهلوي» (ت١٢٤٦هـ).

(١) كما روى أبو داود في سننه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها» (٤/ ٤٨٠ برقم: ٤٢٩١). وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٥٠ برقم: ٥٩٩).

ألف أمر لا بد أن تستسيغه العقول، وينطلي على الأغرار الذين يعيشون في ظل جهل مطبق بمبادئ الإسلام الصحيح، ولهذا فقد اهتبلوا الفرصة وراحوا يروجون لهذه الفكرة باعتبارها عقيدة صحيحة يجب أن ينقاد لها الجميع.

وقد أثيرت هذه الفكرة ولأول مرة في منطقة «إيران» - التي كانت أكثر مناطق العالم الإسلامي قلقاً واضطراباً، وهي المكان الطبيعي لنشأة مثل هذه الفكرة - ثم تسربت إلى البلاد الهندية عن طريق دعاتها، ورجالها، فبدأ كثير من الطامحين والمغامرين الحالمين استغلال هذه الفكرة لما لاحظوا أن الألف الأول من التقويم الهجري على وشك الانتهاء، وكان ذلك للمرة الأولى بعد ظهور الإسلام، وكان الألف الثاني يستعد ليبدأ دوره في التاريخ، فبدأ كثير من هؤلاء الطامحين الحالمين يحاولون أن يرشحوا أنفسهم لهذا المنصب الجليل.

هذا، ويلاحظ الباحث أن هذه الفكرة - العقيدة الألفية - أثرت في زعماء الحركات الضالة من ناحيتين:

الأولى: اعتقاد انتهاء صلاحية الدين الإسلامي بعد ألف سنة من ظهوره، وحاجة البشر إلى دين جديد وشريعة جديدة.

الثانية: اعتقاد ظهور المهدي الموعود في القرن العاشر الهجري ليجدد الدين الإسلامي القديم.

هذا، وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، الأسباب الآتية:

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: التعرف على أحوال المسلمين الدينية في هذه البلاد المترامية الأطراف، والمختلفة الأشكال والأجناس والأديان.

ثانياً: الكشف عن أسباب الانحراف العقدي لدى المسلمين هناك، ومظاهر هذه الانحرافات.

ثالثاً: بيان فداحة الآثار المترتبة على هذه الانحرافات.

رابعاً: بيان الأساليب الماكرة التي انتهجتها الفرق المنحرفة حتى يكون المسلم على بصيرة منها.

خامساً: إيضاح ما تنطوي عليه تعاليم الفرق المنحرفة من انحراف بالإضافة والحذف في الدين الإسلامي، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

سادساً: رصد الحركات الضالة ودور أبطالها في تفريق وحدة الأمة الإسلامية بتبصير المسلمين بحقيقتها والتحذير منها.

سابعاً: الإشادة بجهود العلماء الذين ذادوا عن مذهب أهل السنة والجماعة، وأعادوا للمذهب مكانته وهيبته في قلوب المسلمين.

ثامناً: لم أجد أحداً قد تناول هذا الموضوع بالدراسة وذلك في حدود علمي، وما أتيح لي من الاطلاع على الرسائل والبحوث العلمية.

تاسعاً: أضف إلى ذلك أني من سكان هذه البلاد، ودراسة هذا الموضوع، والوقوف على دقائقه يعينني ـ إن شاء الله تعالى ـ على القيام بواجبي في تحمل عبء الدعوة الصحيحة، والدفاع عن العقيدة القويمة، عقيدة أهل السنة والجماعة.

منهجي في البحث:

وقد التزمت ـ قدر الطاقة ـ في إعداد البحث بما يلي:

١ ـ قمت بعزو جميع الآيات الكريمة التي وردت في البحث، وذلك بذكر أرقامها وأسماء سورها، كما قمت بتخريج جميع الأحاديث من مصادرها إلا ما لم أجد.

٢ ـ عند الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية التزمت بترجمة المفهوم بدقة وأمانة علمية ـ قدر الوسع ـ دون الترجمة الحرفية، إذ أنها لا تفي بالمقصود، ووضعت تلك الترجمة بين القوسين، واعتبرتها نصاً من نصوص المؤلف. وإن كانت الترجمة بتصرف لتوضيح المفهوم، أو أردت الإشارة إلى أن المعلومة المذكورة وردت في المصدر أو المرجع الفلاني عزوت كل ذلك بلفظ «انظر».

٣ ـ ترجمت عنوان المصدر والمرجع غير العربي عند وروده لأول مرة، وإذا تكرر العزو نسبته إلى اسمه الأعجمي، كما أعدت الترجمة العربية

أمام عنوان كل مصدر ومرجع في قائمة المصادر والمراجع.

٤ ـ الأرقام التي وردت عند ذكر المصادر يشير الأول منها إلى رقم المجلد والثاني إلى الصفحة هكذا (٤/٢١) المجلد الرابع والصفحة الحادية والعشرون.

٥ ـ ترجمت لجميع الأعلام الواردة في البحث ما عدا المشاهير أو من لم أستطع الوصول إلى ترجمة له.

٦ ـ إذا رجعت إلى طبعتين لمصدر واحد بينت ذلك في قائمة المصادر.

٧ ـ عرفت بالبلدان والمواضع التي وردت أسماؤها في البحث وهكذا الفرق التي ورد ذكرها.

٨ ـ عملت في نهاية البحث فهارس عامة تسهل على القارئ ما يطلبه. واشتملت على فهرس للآيات القرآنية حسب السور المرتبة في المصحف، وفهرس للأحاديث الشريفة، والثالث للأعلام، والرابع للفرق، والخامس للبلدان والمواضع، والسادس لأسماء المصادر والمراجع، وأما السابع والأخير فهو عن محتويات الرسالة.

خطة البحث:

وقد تضمنت الرسالة مقدمة، وتمهيداً، وثمانية فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع، والأسباب الداعية لاختياره، والمنهج الذي سرت عليه في كتابة البحث ومعالجة موضوعاته.

وأما التمهيد: فقد خصصته لدراسة أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، وأسباب نشأة الفرق فيها، ويحتوي على الآتي:

أولاً: أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري، ويشتمل على الجوانب الآتية:

١ ـ الجانب الديني.

٢ ـ الجانب السياسي.

٣ ـ الجانب الاقتصادي.
٤ ـ الجانب الاجتماعي.
٥ ـ الجانب العلمي.
ثانياً: أسباب نشأة الفرق في شبه القارة الهندية.
١ ـ الأسباب الداخلية.
٢ ـ الأسباب الخارجية.
وأما الفصل الأول: فتحدثت فيه عن «الفرقة النقطوية» وتضمن أربعة مباحث:
المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.
المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.
المبحث الثالث: آثارها.
المبحث الرابع: النقطوية في الميزان.
وأما الفصل الثاني: فتكلمت فيه عن «الفرقة الذكرية» واشتمل على أربعة مباحث:
المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.
المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.
المبحث الثالث: آثارها.
المبحث الرابع: الذكرية في الميزان.
وأما الفصل الثالث: فدرست فيه «الفرقة المهدوية»، واحتوى على أربعة مباحث:
المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.
المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.
المبحث الثالث: آثارها.
المبحث الرابع: المهدوية في الميزان.
وأما الفصل الرابع: فتحدثت فيه عن «الفرقة الروشنية أو الروشنائية» وتكوّن من أربعة مباحث:
المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الروشنية في الميزان.

وأما الفصل الخامس: فذكرت فيه فرقة «سَتْيَه پير» (الشيخية الصادقة)، وتضمن أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: ستيه پير في الميزان.

وأما الفصل السادس: فبينت فيه «الأكبرية» واشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الأكبرية في الميزان.

وأما الفصل السابع: فتحدثت فيه عن فرق «الشيعة» واحتوى على أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة التشيع وأسبابها.

المبحث الثاني: دخول الشيعة إلى شبه القارة الهندية.

المبحث الثالث: فرق الشيعة في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري.

المبحث الرابع: هذه الفرق في الميزان.

وأما الفصل الثامن: فتكلمت فيه عن جهود العلماء والحكام في القرن العاشر الهجري لمقاومة هذه الفرق. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: جهود العلماء.

المبحث الثاني: جهود الحكام.

وأما الخاتمة: فدونت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

شكر وتقدير

أشكر ربي ﷻ الذي أنعم عليّ بنعمة العلم وخاصة العلم الشرعي، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

ثم أشكر جامعة أم القرى ممثلة في كلية الدعوة وأصول الدين، وقسم العقيدة الذي أنتمي إليه؛ لإتاحة الفرصة لي لمواصلة الدراسة فيها، فجزى الله المسئولين فيها والقائمين عليها خير الجزاء.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور: إبراهيم محمد إبراهيم أحمد ـ حفظه الله ورعاه ـ أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى وأستاذ ورئيس قسم العقيدة بجامعة الأزهر بأسيوط، الذي أفادني من خبراته العلمية، كما لم يدّخر وسعاً ولم يأل جهداً في سبيل إنجاز هذا البحث حيث لم يقتصر على ساعات الإشراف الرسمية بل كان يستقبلني في مكتبه وفي بيته وفي القسم، وتابع البحث من أوله إلى آخره. وأشكر المناقشين الكريمين على قبولهما لمناقشة هذه الرسالة، وتجشمهما قراءتها ومناقشتها.

كما أشكر جميع الأساتذة والإخوة الذين قدموا لي أي عون أو توجيه أو فائدة في سبيل إنجاز هذا البحث، وأخص بالشكر الدكتور محمد ابن سعيد القحطاني، والدكتور عيسى بن عبد الله السعدي الغامدي، والأخ العزيز الدكتور محمد عبد الله الحلواني، فجزاهم الله عني أحسن الجزاء.

وأخيراً، أتضرع إلى الله العلي القدير أن يهدينا الصراط المستقيم، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يستعملنا فيما يرضاه من القول والعمل، إنه سميع قريب وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على النبي الكريم، وآله وصحبه أجمعين، تسليماً كثيراً.

كتبه الدكتور:
محمد كبير أحمد شودري
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد أبها

التمهيد

ويحتوي على الآتي:

أولاً: أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري.

ويشتمل على الجوانب الآتية:

١ ـ الجانب الديني.

٢ ـ الجانب السياسي.

٣ ـ الجانب الاقتصادي.

٤ ـ الجانب الاجتماعي.

٥ ـ الجانب العلمي والثقافي.

ثانياً: أسباب نشأة الفرق في شبه القارة الهندية.

١ ـ الأسباب الداخلية.

٢ ـ الأسباب الخارجية.

بسم الله الرحمن الرحيم

التمهيد

ويحتوي على الآتي:

أولاً: أحوال شبه القارة الهندية منذ الفتح الإسلامي حتى القرن العاشر الهجري:

ويشتمل على الجوانب الآتية:

١ ـ الجانب الديني:

أشرق نور الإسلام على ربوع شبه القارة الهندية منذ زمن النبوة ـ على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم ـ ويمكن للباحث حصر طرق دخول الإسلام إلى البلاد الهندية فيما يأتي:

أولاً: طريق التجارة:

كانت العلاقات التجارية قائمة بين العرب وسكان سواحل جنوب «الهند» وجزيرة «سيلان» منذ قديم الزمان، وكانت الجاليات العربية تقيم في هذه السواحل تمارس التجارة بين جزيرة العرب وشبه جزيرة «الهند»، فلما سمع هؤلاء ببزوغ فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربية أسلم بعضهم زمن النبي ﷺ وأخذت هذه الجاليات تلعب دوراً كمراكز لتبليغ الدعوة الإسلامية، فوصل الإسلام بذلك سواحل «مالابار»[1] ....

---

(١) «مالابار» اسم منطقة تقع في ولاية «كيرالا» في أقصى الجنوب الغربي على ساحل بحر الهند. وفي منطقة «مالابار» يوجد الميناء الشهير «كاليكوت» الذي لعب دوراً كبيراً في التجارة العالمية مع الشعوب العربية منذ القدم.

وسواحل إقليم «السند» مبكراً[1][2].

ثانياً: طريق الفتح والجهاد[3]:

وصل جيش المسلمين في عهد «عمر بن الخطاب» رضي الله عنه إلى ساحل الهند الغربي «تانه»[4] و«بروض»[5] و«خور الديبل»[6][7]. ولما تولى

= انظر: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها للدكتور محمد إسماعيل الندوي (٢٠)، دار الشعب.

(١) جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «أهدى ملك الهند إلى رسول الله ﷺ جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه قطعة قطعة وأطعمني منها قطعة».
قال الحاكم: «لم أخرج من أول هذا الكتاب إلى هنا لعلي بن زيد بن جدعان القرشي ـ رحمه الله تعالى ـ حرفاً واحداً، ولم أحفظ في أكل رسول الله ﷺ الزنجبيل سواه فخرجته».
وقال الذهبي: «هذا مما ضعفوا به عمرواً، تركه أحمد».
انظر: المستدرك على الصحيحين المطبوع مع التلخيص للذهبي (٤/ ١٣٥)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

(٢) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب، للدكتور عبد الله مبشر الطرازي (١/ ٣٣٨، ٣٣٩)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) عالم المعرفة، جدة.
ـ الهند خلال العصور، لأحمد إبراهيم البشيشي (٦٧).

(٣) بشر النبي ﷺ بفتح الهند، كما جاء في الحديث عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم».
انظر: سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب ما تكفل الله عز وجل لمن جاهد في سبيله (٦/ ٤٢، ٤٣) المكتبة العلمية، بيروت ـ لبنان.
والحديث إسناده جيد، وهو صحيح بمجموع رواياته كما بين ذلك الشيخ الألباني.
انظر: التفاصيل في: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٥٧٠، ٥٧١ برقم ١٩٣٤).

(٤) وهي: بومبئي الواقعة حالياً في الهند.

(٥) «بروض» مدينة في إقليم «كجرات» الهندي.

(٦) وهي: مدينة كراتشي حالياً الواقعة في باكستان.

(٧) وكان جيش المسلمين بقيادة «الحكم بن أبي العاص الثقفي»، وقد بعثه «عثمان بن أبي العاص الثقفي» والي «البحرين»، فلما رجع الجيش وكتب الوالي إلى عمر رضي الله عنه يعلمه بذلك، فكتب إليه عمر: «يا أخا ثقيف حملت دوداً على عود وإني أحلف بالله لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم». =

عثمان ﷺ الخلافة كتب إلى والي «العراق» «عبد الله بن عامر بن كريز» يأمره أن يوجه إلى ثغر «الهند» من يعلم علمه، وينصرف إليه بخبره، فوجه «حكيم بن جبلة العبدي»، فلما رجع أوفده إلى «عثمان» فسأله عن حال البلاد، فقال: «يا أمير المؤمنين قد عرفتها، وتنحرتها؛ قال: فصفها لي؛ قال: ماؤها وشل[1]، وثمرها دقل[2] ولصها بطل، إن قلَّ الجيش فيها ضاعوا، وإن كثروا جاعوا، فقال له عثمان ﷺ: أخابر أم ساجع، قال: بل خابر، فلم يغزها أحد»[3][4].

وهذا كان أول فتور بثه المخبر في عضد الجهاد لفتح «الهند» مما أخر وصول رسالة الحق إلى تلك الديار قرابة بضعة وسبعين عاماً، وتم ذلك الفتح في أواخر التسعينات من القرن الأول الهجري في عهد «الخليفة الوليد بن عبد الملك الأموي» بأن عهد «الحجاج بن يوسف الثقفي» ـ والي العراق ـ إلى الشاب «محمد بن القاسم الثقفي»[5] فقام بفتحها عام (٩٣هـ)،

= ويبدو أنه بعث هذا الجيش بدون استشارة عمر ﷺ.
انظر: فتوح البلدان للبلاذري (٤٢٠)، طبعة (١٤٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

(١) الوشل: الماء القليل.
انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري (١٨٩/٥)، تحقيق: محمود الطناحي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

(٢) الدقل: رديء الثمر ويابسه.
انظر: النهاية (١٢٧/٢).

(٣) انظر: فتوح البلدان (٤٢١).

(٤) يبدو أن هذا المستكشف الذي بعثه والي العراق إلى «الهند»، وحمل أنباء هذه البلاد إلى الخليفة الثالث عثمان ﷺ لم يطلع على أحوال شبه القارة الهندية كلها، وربما وقف على منطقة اشتهرت بهذه الأوصاف، فظن أن بلاد «الهند» كلها هكذا.

(٥) هو: محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي (٦٢هـ ـ ٩٨هـ). فاتح «السند» وواليها. من كبار القادة. كان أبوه والي «البصرة» للحجاج. بعثه «الحجاج» إلى «السند» بإذن من «الوليد بن عبد الملك» ففتح «السند» وقتل الملك «داهر» حتى وصلت فتوحاته إلى «الملتان»، توفي بواسط في أيام «سليمان بن عبد الملك». =

وعمَّر المساجد في مدنها للعمل على نشر الإسلام، فبنى في «الديبل» - كراتشي حالياً - مسجداً جامعاً، كان أول مسجد بني في هذه المنطقة، وأنزلها أربعة آلاف من الجند المسلمين، وأقام في «الملتان» مسجداً جامعاً، وأسلم خلق كثير، وقد أحب أهل «السند» «محمد بن القاسم» لرفعه راية العدل الإسلامي، ففتح قلوبهم للإسلام، وهيَّأهم له[1].

وفي خلافة «عمر بن عبد العزيز» كتب إلى ملوك «السند» دعاهم إلى الإسلام، وقد بلغتهم سيرته وعدله، فدخلوا في دين الله أفواجاً، وأصبحت «السند» معقل الإسلام في شبه القارة الهندية، وقاعدته، ونقطة انطلاقه[2].

ثالثاً: عن طريق الدعاة والأمراء المحليين:

توافد العلماء والدعاة من «الحجاز» و«العراق» و«إيران» على بلاد «الهند» وازداد عددهم كثيراً لا سيما في القرن الخامس الهجري، فحمل هؤلاء على عواتقهم عبء الدعوة إلى الإسلام في أنحاء كثيرة من «الهند»، فأدخلوا الكثير من أبناء البلاد في دائرة الإسلام، وقد سار الدعاة جنباً إلى جنب مع المجاهدين، ولم يتركوا بقعة من «الهند» إلا دخلوها، وكثيراً ما أقنعوا الأمراء المحليين بالإسلام، فكان ذلك يعني دخول عدد كبير من الناس في الإسلام[3].

وكانت العقيدة الإسلامية صافية خالصة منذ دخول الإسلام حتى القرن الرابع الهجري، ولم يعكر صفوها أي دخيل. يقول «المقدسي» في رحلته عن أهل «السند»:

«أكثرهم أصحاب حديث، ورأيت القاضي «أبا محمد المنصوري»

= انظر: نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني (١/ ٩ - ١٢)، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن - الهند.

(١) انظر: فتح البلدان (٤٢٤، ٤٢٥).

(٢) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (١/ ٢٣٩، ٢٤٠).

(٣) انظر: آب كوثر (ماء كوثر)، للشيخ محمد إكرام (٣٥ - ٤٠)، طبعة (١٩٩٦م) إدارة ثقافت إسلامية، كلب روڈ، لاهور، باكستان.

داوديا إماماً في مذهبه، وله تدريس وتصانيف، وقد صنف كتباً عدة حسنة. . .».

ويضيف قائلاً: «. . . إنهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة، قد أراحهم الله من الغلو والعصبية والهرج والفتنة»[1].

ويرجع السبب في صفاء العقيدة وسلامتها واستمرار ذلك حتى القرن الرابع إلى أن الذين حملوا عبء الدعوة إلى الإسلام في شبه القارة الهندية كان معظمهم من علماء السلف[2]. ولما ضعف مركز الحكومة في «السند»

---

(١) انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٨١)، طبعة (١٩٠٦م)، مطبعة بريل، ليدن.

(٢) كان من أبرز العلماء في القرن الأول الهجري على سبيل المثال:
١ ـ كهمس بن الحسن القيسي البصري، تابعي غزا «السند» مع محمد بن القاسم.
انظر: العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين، للقاضي أطهر المباركفوري (١٨٥ ـ ١٨٨)، نشره: أبناء مولوي غلام رسول السوري، طبعة (١٣٨٨هـ) بمبئي، الهند.
٢ ـ زائدة بن عمير الطائي الكوفي، تابعي مشهور فتح «الملتان» مع محمد بن القاسم.
انظر: العقد الثمين (١٩١).
٣ ـ موسى بن سنان بن سلمة الهذلي، تابعي ومحدث شهير، غزا «السند» و«الملتان» مع محمد بن القاسم.
انظر: العقد الثمين (١٩٣).
٤ ـ الحكم بن عوانة بن عياش الكلبي، تابعي كان مع محمد بن القاسم في فتح «السند».
انظر: العقد الثمين (١٩٤).
٥ ـ موسى بن يعقوب الثقفي، العالم الفقيه، فقد ولاه محمد بن القاسم القضاء والخطابة في السند. وغيرهم كثير.
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٤٤).
ومن أبرز من كان في القرن الثاني الهجري على سبيل المثال:
١ ـ إسرائيل بن موسى، أبو موسى، تلميذ الحسن البصري ومحمد بن سيرين.
انظر: نزهة الخواطر (١/ ١٨، ١٩).
٢ ـ أبو بكر الربيع بن صبيح السعدي (٠٠٠ ـ ١٦٠هـ) تلميذ الحسن البصري وحميد الطويل. وكان من كبار رجال الحديث.
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٢٤، ٢٥).

وتشاجرت قبائل العرب على اقتسام السلطة فيها، اهتبل الإسماعيليون الفرصة ـ وكانوا قد نزحوا إلى هذه المنطقة من «البحرين» و«مصر» ـ وانتزعوا هذه الإمارة لصالحهم، وكوّنوا إمارة إسماعيلية، وبهذا قامت أول دولة إسماعيلية تشهدها القارة الهندية[1].

ثم تتابعت الفتن، وتواترت الوفود من «مصر» و«اليمن» وبلاد «فارس» وما صاحب ذلك من جهل مطبق عند المسلمين الذين أسلموا من تلقاء أنفسهم أو عن طريق الدعاة والوعاظ، وعدم اعتناء الحكومات المسلمة التي توالت على السلطة الواحدة تلو الأخرى بتعليمهم وتثقيفهم، فكانت النتيجة أن الآلاف المؤلفة من الذين أسلموا ما انفكوا عاكفين في ظلام الشرك

= ٣ ـ أبو معشر نجيح بن عبد الرحمٰن السندي (٠٠٠ ـ ١٧٠هـ). العالم الفقيه، صاحب المغازي.
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٣٥، ٣٦).
ومن أبرز من كان في القرنين الثالث والرابع الهجريين على سبيل المثال:
١ ـ أبو علي السندي.
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٣٩).
٢ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الديبلي.
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٤٩).
٣ ـ أبو جعفر محمد بن إبراهيم الديبلي، وغيرهم.
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٥٦، ٥٧).
وقد ذكر القاضي المباركفوري في كتابه القيم «رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري» أسماء كثير من العلماء والمحدثين والرواة والفقهاء الذين عاشوا فيها.
كما ذكر الدكتور عبد الله مبشر الطرازي أسماء علماء العرب ببلاد «السند» في العصرين الأموي والعباسي.
انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب (١/ ٤٥٩ ـ ٤٦٧).

(١) ولما دخل «السلطان محمود الغزنوي» إلى البلاد الهندية أزال هذه الدولة، ونسف عاصمتها «المنصورة»، فتشتت الإسماعيليون في البلاد، وهرب أكثرهم إلى إقليم «كجرات».
انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، للدكتور الساداتي (١/ ٧٥، ٧٦)، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجاميز.

والوثنية، مما أدى إلى الانحراف الديني، والاضطراب الفكري عند مسلمي هذه البلاد[1].

٢ ـ الجانب السياسي:

كان إقليم «السند» لا يزال تحت الحكم العباسي بعد الأموي إلى أن تسلل الإسماعيليون إلى هذا الإقليم، وكوّنوا إمارة إسماعيلية، ولما دخل «السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (٣٨٧هـ ـ ٤٢١هـ) إلى «الهند» قضى على هذه الإمارة وضمها إلى دولته وذلك عام (٤٠٢هـ)[2]، ومن هنا بدأ ظهور الدول المسلمة المستقلة في شبه القارة الهندية، وقد توالت على «الهند» منذ دخول الغزنويين حتى القرن العاشر الهجري الدول الآتية:

أولاً: الدولة الغزنوية (٣٩٢هـ ـ ٥٧٩هـ):

تولى «السلطان محمود الغزنوي» شؤون الدولة الغزنوية بعد وفاة أبيه، ونذر نفسه للجهاد لإعلاء كلمة الحق وذلك عام (٣٩٢هـ)، فقاد سبع عشرة حملة إلى «الهند»، قضى فيها على الفرق الضالة، وعمل على نشر الإسلام، ووطّد حكم الغزنويين في «البنجاب» و«دهلي» و«لاهور»، كما ضم «كشمير» إلى ملكه عام (٤٠٧هـ)، فكانت فتوحاته بداية حقبة جديدة في تاريخ شبه القارة الهندية، وكان «محمود» يرسل بأخبار انتصاراته إلى «الخليفة العباسي القادر بالله» في «بغداد» فتعمها الأفراح، وأنعم عليه الخليفة بلقب «يمين الدولة»[3].

كان «محمود الغزنوي» أول مسلم فاتح دخل «الهند» عن طريق الجبال الشمالية الغربية، وفتح من «الهند» ما امتنع على غيره، وعبّد طريقاً سلكه

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، للشيخ مسعود عالم الندوي (٨)، نشر وتوزيع: دار العربية، لاهور.

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/٧٦).

(٣) انظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية، لمحمد يوسف النجرامي (١١٥)، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، دار الفكر.

كثيرون من بعده الذين تولوا الحكم في «الهند» وأقاموا الدول لهم»[1].

تولى شؤون الدولة الغزنوية بعد وفاة «محمود» كل من الآتي:

١ ـ مسعود بن محمود الغزنوي (٠٠٠ ـ ٤٣٣هـ).
٢ ـ مجدود بن محمود الغزنوي (٠٠٠ ـ ٤٤١هـ).
٣ ـ علاء الدين بن مسعود (٠٠٠ ـ ٥٤٧هـ).
٤ ـ بهرام (٠٠٠ ـ ٥٥١هـ).
٥ ـ خسرو بن بهرام (٠٠٠ ـ ٥٧٩هـ).

وبعد مقتل هذا الأخير طويت صفحة دولة عمرت قرنين من الزمان، ومهدت بفضل فتوحاتها العظيمة أقدام المسلمين في أرض «الهند»[2].

ثانياً: الدولة الغورية (٥٧٩ ـ ٦٠٢هـ):

بعد فقد الغزنويين السلطة على «الهند» عام (٥٧٩هـ) خلفهم الغوريون، وأول من حاول أن يضم شتات «الهند» في دولة واحدة هو «محمد بن شهاب الدين الغوري» (٠٠٠ ـ ٦٠٢هـ)، فقد استطاع الاستيلاء على «السند» و«دهلي» و«البنغال» و«بهار»، واتخذ «دهلي» قاعدة لحكومته. وبدأ حكم المسلمين في شمال «الهند» بأكمله على أساس راسخ وطيد، وصار لهم دولة مرهوبة الجانب، وسيعة الرقعة، وذلك بعد أن قضى على «القرامطة» والإسماعيليين الذين أثاروا الفتن والاضطرابات في البلاد، وأضعف الراجبوتيين من الهندوس[3].

ثالثاً: دولة المماليك (٦٠٢ ـ ٦٨٩هـ):

اغتال الباطنية «السلطان محمد الغوري» عام (٦٠٢هـ)، ولم يترك وريثاً

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، للدكتور حسن إبراهيم حسن (٣/ ٩٤)، الطبعة السابعة (١٩٦٥م)، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/ ١٠٠ ـ ١١١).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام في الهند، لعبد المنعم النمر (٩٨ ـ ١٠٤)، الطبعة الأولى (١٣٧٨هـ)، دار العهد الجديد للطباعة.
ـ الهند خلال العصور (٧٠، ٧١).

للعرش من بعده، فنصَّب غلامه «قطب الدين أيبك» نفسه سلطاناً على «الهند» وكان أميراً لدهلي من قبل «الغوري»، فأقر الأمن من «البنغال» شرقاً إلى آخر حدود «البنجاب» غرباً، وحرص على إقامة العدل بين الناس، وعمل على نشر الإسلام، فبنى مسجدين كبيرين: أحدهما: بدهلي، والآخر بأجمير[1].

وفي عهد خلفه «شمس الدين ألتمش» (ت٦٣٣هـ) توثقت صلة «الهند» بالعالم الإسلامي، فقصدها علماء «العراق» و«الحجاز» و«إيران». وكان «الخليفة العباسي المستنصر بالله» قد أعلن عام (٦٢٦هـ) تثبيته «لألتمش» على عرش «الهند»، ولقبه بـ/ «ناصر أمير المؤمنين»، فكان من أثر هذا الإعلان أن قوي مركز صاحب «دهلي» بين مسلمي «الهند» قوة عظيمة، ومكن من نفوذه بينهم، وقد قابل «ألتمش» صنيع الخليفة هذا بتقديمه في الخطبة عليه، وضرب السكة باسمه[2].

وفي عهد المماليك حاول «التتار» الاستيلاء على «الهند» وهاجموا «لاهور» أكثر من مرة، ولكنهم منوا بهزيمة منكرة في كل مرة أمام جيش المماليك، فاضطروا للانسحاب جهة الغرب والزحف على «إيران» و«العراق»، وفي عام (٦٥٦هـ) تم استيلاؤهم على «بغداد» مما أدى إلى تدفق العلماء من «العراق» إلى «الهند»[3].

هذا، وقد تعاقب على السلطة في دولة المماليك الحكام الآتية أسماءهم على التوالي:

١ ـ قطب الدين أيبك (٦٠٢ ـ ٦٠٧هـ).
٢ ـ شمس الدين التمش (٦٠٧ ـ ٦٣٣هـ).
٣ ـ رضية بنت التمش (٦٣٣ ـ ٦٣٩هـ).
٤ ـ بهرام شاه بن التمش (٦٣٩ ـ ٦٤٣هـ).

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/ ١٢٢، ١٢٣).
(٢) انظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية (١٣١، ١٣٢).
(٣) نفس المرجع والصفحة.

٥ ـ علاء الدين مسعود شاه (٦٤٣ ـ ٦٤٤هـ).
٦ ـ ناصر الدين محمود شاه (٦٤٤ ـ ٦٦٤هـ).
٧ ـ غياث الدين بلبن (٦٦٤ ـ ٦٨٦هـ).
٨ ـ كيقباد بن بغرا خان (٦٨٦ ـ ٦٨٩هـ)[١].

رابعاً: الدولة الخلجية (٦٨٩ ـ ٧٢٠هـ):

كان الخلجيون أمراء في دولة المماليك في الأقاليم الشرقية، ولما ضعف سلطان هذه الدولة نهض زعيم الخلجيين «جلال الدين فيروز» على عرش «دهلي» عام (٦٨٩هـ) بعد أن قتل آخر حكام المماليك «كيقباد بن بغرا خان»[٢].

وخلف «جلال الدين» ابن أخيه «علاء الدين الخلجي» (ت٧١٥هـ)، وقد شملت فتوحاته شبه القارة الهندية بأكملها، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ «الهند» إذ كان الجنوب في منأى عن كل ما يجري في شمال البلاد. وقد أعاد التتار الكرة على «الهند» في عهد الخلجيين، ولكن دحروا خارج «الهند»[٣].

هذا، وقد تولى السلطة في الدولة الخلجية الحكام الآتية أسماؤهم على التوالي:

١ ـ جلال الدين فيروز شاه (٦٨٩ ـ ٦٩٥هـ).
٢ ـ علاء الدين الخلجي (٦٩٥ ـ ٧١٥هـ).
٣ ـ شهاب الدين عمر خان (٧١٥ ـ ٧١٦هـ).
٤ ـ قطب الدين مبارك شاه (٧١٦ ـ ٧٢٠هـ)[٤].

---

(١) انظر التفاصيل عنهم في: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/١٢٢ ـ ١٤٧).
(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/١٤٩).
(٣) انظر: حاضر العالم الإسلامي لوثروب ستودارد (٤/٢٩٣) ترجمة: عجاج نويهض، عليه تعليقات للأمير شكيب أرسلان، الطبعة الرابعة (١٣٣٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
(٤) انظر التفاصيل عنهم في: تاريخ الإسلام في الهند (١١٦ ـ ١٢٥).

خامساً: الدولة التغلقية (٧٢٠هـ ـ ٨١٧هـ):

ارتقى «غياث الدين تغلق» على عرش «دهلي» عام (٧٢٠هـ)؛ إذ لم يترك «السلطان علاء الدين الخلجي» وريثاً شرعياً يخلفه، وبهذا يبتدأ عهد الدولة التغلقية. من أشهر سلاطينها «محمد تغلق» (ت٧٥٢هـ) الذي تمكن من حكم «الهند» كاملة، وجدّد الأواصر بالخلافة العباسية «بالقاهرة»[(١)].

وقد قدم على هذا الملك الرحالة الشهير «ابن بطوطة» وتحدث عنه طويلاً في رحلته، وقد قضى «ابن بطوطة» ثماني سنوات في «الهند»، ثم غادرها متوجهاً إلى «الصين» عام (٧٤٣هـ)[(٢)].

كما وفد على بلاط هذا الملك كثير من العلماء منهم: «الشيخ عبد العزيز الأردبيلي»[(٣)] تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكان خلفه «فيروز تغلق» (ت٧٩٠هـ) من أشهر ملوك «الهند» الذين قاموا بنشر الإسلام، وبالإصلاحات الدينية والأعمال الخيرية قبل القرن العاشر الهجري[(٤)].

هذا، وقد تولى في الدولة التغلقية الحكام الآتية أسماؤهم على الترتيب:

---

(١) انظر: العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية (١٣٩).

(٢) انظر: رحلة ابن بطوطة (٤٥٢ ـ ٥٤٠)، تحقيق: الشيخ محمد عبد المنعم العريان وغيره، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان.

(٣) كان «عبد العزيز» هذا فقيهاً ومحدثاً، قرأ بدمشق على تقي الدين ابن تيمية، وجمال الدين المزي، وشمس الدين الذهبي وغيرهم، ثم قدم على «السلطان محمد تغلق» فأكرمه وأحسن إليه. واتفق يوماً أنه سرد عليه أحاديث في فضل العباس وابنه ﷺ وشيئاً من مآثر الخلفاء العباسيين فأعجب ذلك السلطان لحبه بني العباس، وقبّل قدمي الفقيه ـ وهو أمر غير مرضي شرعاً ـ وأمر أن يؤتى بصينية ذهب فيها ألفا تنكة ـ اسم عملة في ذلك العصر ـ فصبها عليه بيده، وقال: هي لك مع الصينية.
انظر: رحلة ابن بطوطة (٤٦٦، ٤٦٧).

(٤) انظر أعماله في: سلاطين دهلي كےمذهبي رجحانات (الميول الدينية لدى سلاطين دهلي)، للبروفيسور خليق أحمد نظامي (٤٢١ ـ ٤٣٨)، طبعة (١٩٨١م)، ندوة المصنفين، أردو بازار، دهلي ـ الهند.
ـ أيضاً: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٢٩ ـ ٤٣).

١ ـ غياث الدين تغلق (٧٢٠ ـ ٧٢٥هـ).
٢ ـ محمد تغلق (٧٢٥ ـ ٧٥٢هـ).
٣ ـ فيروز تغلق (٧٥٢ ـ ٧٩٠هـ).
٤ ـ غياث الدين بن فتح خان (٧٩٠ ـ ٧٩٣هـ).
٥ ـ ناصر الدين محمد تغلق الثاني (٧٩٣ ـ ٧٩٥هـ).
٦ ـ ناصر الدين محمود (٧٩٦ ـ ٨١٤هـ)[(١)].

سادساً: الأسرة اللودهية في سلطنة دهلي (٨٤٩ ـ ٩٣٢هـ):

اضطرب الأمر بعد وفاة «فيروز تغلق» (ت: ٧٩٠هـ)، وتمكن «تيمورلنك» من غزو «دهلي» عام (٨٠١هـ) ودخلها، فأدى ذلك إلى تفكك الدولة الإسلامية، وانفصلت أغلب ولاياتها عن «دهلي» مثل: «مالوه» و«كجرات» و«جونپور» و«البنغال» و«الدكن»، وأصبحت إمارات إسلامية مستقلة[(٢)].

واستولت الأسرة اللودهية ـ وهي أفغانية الأصل ـ على «دهلي» بقيادة «بهلول لودهي» (ت٨٩٣هـ) القائد الطموح، وثبت أركان دولته في «دهلي» والمناطق المجاورة لها، ومن أشهر من حكم من هذه الأسرة «سكندر شاه» (ت٩٢٣هـ)، وقد اشتهر بالعدل، وتوفير الأقوات، وضبط أسعارها، وكان يأمر بين الحين والآخر بإحصاء الفقراء والمعوزين، ويمنح كل واحد منهم ما يكفيه من المؤن ستة أشهر[(٣)].

وقد تولى عرش «دهلي» من هذه الأسرة ثلاثة حكام وهم:

١ ـ بهلول لودهي (٠٠٠ ـ ٨٩٣هـ).
٢ ـ سكندر شاه (٠٠٠ ـ ٩٢٣هـ).
٣ ـ إبراهيم سكندر شاه (٩٢٣ ـ ٩٣٢هـ)[(٤)].

---

(١) انظر التفاصيل عنهم في: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/ ١٦٩ ـ ٢٠٨).
(٢) نفس المصدر (١/ ٢٠٨ ـ ٢٢٨). (٣) المصدر نفسه (١/ ٢٤٤).
(٤) انظر: تاريخ الإسلام في الهند (١٤٨ ـ ١٥٠).

سابعاً: الدولة المغولية (٩٣٢ ـ ١٢٧٥هـ):

تأسست الدولة المغولية على يد «ظهير الدين محمد بابر المغولي» (ت٩٣٧هـ) بعد موقعة «پاني پت» الحاسمة حيث قضى على اللودهيين وجلس على عرش «دهلي»، وذلك عام (٩٣٢هـ)[1]. وتولى بعد «بابر» ابنه «همايون» (ت٩٦٣هـ) مملكة «الهند»، وفي أيامه قويت شوكة «شير شاه السوري» (ت٩٥٢هـ) ـ أحد زعماء الأفغان ـ وتمكن من هزيمة «همايون» والاستيلاء على «الهند»، وذلك عام (٩٤٧هـ)، ولجأ «همايون» إلى «إيران» ليستمد من «الشاه طهماسب الشيعي» ويستعيد مملكة «الهند» للمرة الثانية عام (٩٦٢هـ)، وقد قضى «همايون» نحبه عام (٩٦٣هـ) على أثر سقوطه من مدرجة مكتبته، وتولى عرش «الهند» ابنه «أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر» (ت١٠١٤هـ) والذي حكم «الهند» بقية القرن العاشر، ومطلع القرن الحادي عشر الهجريين[2].

واستمر الحكم للأسرة المغولية على البلاد الهندية حتى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري إذ تم استيلاء الإنجليز عليها عام (١٢٧٥) وضمها إلى التاج البريطاني رسمياً[3].

ومما يجدر بالذكر هنا أنه كان للفتح الإسلامي أثر كبير في توحيد أطراف «الهند» المترامية في دولة واحدة، فإن البلاد الهندية لم تشهد الوحدة إلا في ظل المسلمين، وذلك أن الحكام المسلمين كانوا يعملون على توسيع رقعة مملكتهم، وتوحيد البلاد تحت سلطانهم ـ وكانت البلاد قبل ذلك نهباً لملوك الطوائف متقاتلين فيما بينهم على الدوام ـ وبذلك شهدت البلاد الهندية نوعاً من توحيد الحكم والسياسة ربما لم تعرفه من قبل، بالإضافة إلى ذلك ما بلغ من الرقي بتنظيم الإدارة، وضبط أداة الحكم، وبسط الأمن

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (٢/ ٢٠ ـ ٢٣).

(٢) انظر: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، للشيال (٤٨ ـ ٥٢)، طبعة (١٩٦٨م) منشأة المعارف بالإسكندرية.

(٣) انظر: تاريخ الإسلام في الهند (٤٦٣، ٤٦٤).

في أكثر بقاع «الهند» ولا سيما الأقطار الشمالية منها، وذلك لم يكن متيسراً قبل ملوك المسلمين[1].

٣ ـ الجانب الاقتصادي:

كان اقتصاد «الهند» يعتمد على التجارة من القديم، وكانت صلتها التجارية ببلاد العالم الخارجي قوية وناجحة، وكان لها نظامها المصرفي المعترف به فيما جاورها، وما اتصلت بها من بلاد، أمثال: «إيران» و«كابل» و«هرات» و«طشقند» وغيرها من البلاد، وازدهرت علاقات «الهند» على هذا الأساس في الميدان الاقتصادي[2].

كان الغزاة من قبل يحملون معهم كنوز «الهند» وأموالها إلى بلادهم، ولما استقر الفاتحون المسلمون في أرض «الهند» حفظوا ثروتها فيها، واستخدموها في تنمية البلاد، وتطويرها. كما انتعشت التجارة البحرية، وازدهرت صلات الهند مع كثير من البلدان الخارجية التي كانت مفقودة فيها منذ قرون[3].

وقد وضع بعض الحكام نظماً مالية، ورقابة دقيقة على الأسواق والأسعار مع وضع عقوبات صارمة ضد مدلسي التجار حتى عم الْيُسْر والرخاء في البلاد، وتوفرت الأقوات لسكان «الهند» بأسعار في متناول أدنى طبقاتها[4].

وقد عمل «السلطان فيروز تغلق» (ت٧٩٠هـ) على إصلاح مساحات واسعة من الأراضي، وأحكم نظام الري، وجدّ في حفر الآبار والقنوات حتى توافرت الأرزاق، وعم الرخاء إلى درجة كاد الناس أن ينسوا قسوة المجاعات التي ألمت بهم من قبل. وكذلك عني بشؤون الضرائب فأحكم

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام في الهند (٣٢١، ٣٢٩).
(٢) انظر: الهند خلال العصور (١٠٧).
(٣) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/ ٢٥٣).
ـ تاريخ الإسلام في الهند (٣٢٩).
(٤) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/ ١٦٢، ١٦٤).

نظامها ورفع الكثير منها عن كاهل الأهلين، وأمر ألا تعدو جبايتها حدود الشرع، وراقب ذلك كله بحزم وشدة.

وأما غنائم الحرب فقد خص بيت المال بنصيبه الشرعي منها، وأطلق الباقي لرجاله وفقراء شعبه مما أدى إلى تحسن الحالة الاقتصادية لعامة الناس[(١)].

وهكذا كان عمل «السلطان سكندر شاه» (ت٩٢٣هـ)، فقد عمل على توفير الأقوات لأهالي «الهند»، وضبط أسعارها ضبطاً محكماً، كما كان يأمر من حين لآخر بإحصاء الفقراء والمعوزين، ومنح كل واحد منهم من المؤن ما يكفيه لأشهر ستة كما سبق[(٢)].

٤ ـ الجانب الاجتماعي:

كان المجتمع الهندوسي قبل الإسلام يسوده قانون الطبقات الجائر الذي يقسم أهل البلاد إلى أربع طبقات متميزة، وهي:

١ ـ البراهمة، طبقة الكهنة ورجال الدين.

٢ ـ شتري، رجال الحرب.

٣ ـ ويش، رجال الزراعة.

٤ ـ شودر، رجال الخدمة، وهم المنبوذون[(٣)].

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/ ١٨٦).

(٢) انظر: نفس المصدر (١/ ٢٤٤).

(٣) يزعم الهندوس أن «براهما» خلق «البراهمة» من فمه، وشتري من ذراعه، والويش من فخذه والشودرا من رجله فكان لكل هذه الطبقات منزلتها على هذا النحو. وتلتقي هذه الطبقات الأربعة في الاعتقاد بالآلهة، وكلها تقدس البقرة، وتخضع للنظام الطبقي. والبراهمة هم ملجأ الجميع في حالات الميلاد والزواج والوفاة. وقد حددت الديانة الهندوسية وظائف كل طبقة وواجباتها، فعلى البرهمي أن يشتغل بالتعلم والتعليم وإرشاد الناس في دينهم. وأما شتري فكانت وظيفته أن يتعلم ويقدم القرابين وينفق في الصداقات، ويحمل السلاح للدفاع عن وطنه وشعبه. أما ويش فعليه أن يزرع ويتجر ويجمع المال وينفق على المعاهد العلمية والدينية. وأما شودر فعليه أن يخدم الطوائف الثلاثة الشريفة. انظر: أديان الهند الكبرى (٦٠ ـ ٦٢).

كما امتاز هذا المجتمع بالشهوة الجنسية الجامحة حتى وصلت إلى عبادة آلة التناسل لإلههم الأكبر «مهاديو» وتصويرها في صورة بشعة، واجتماع أهل البلاد عليها من رجال ونساء وأطفال وبنات. وكذلك كان رجال بعض الطوائف الدينية يعبدون النساء العاريات، والنساء يعبدن الرجال العراة.

وأما المرأة فكانت منزلتها في الحضيض، وقد يخسر الرجل امرأته في القمار، وكان في بعض الأحيان للمرأة عدة أزواج، وإذا مات زوجها صارت كالمؤودة لا تتزوج، وتكون هدفاً للإهانات والتجريح، وقد تحرق نفسها مع جثة زوجها الميت وفاء له، وكان المجتمع الهندي يرى أن هذا مظهر الحب والوفاء للزوج الميت، ويسمونه «ستي داه»[1].

ولما دخل الفاتحون الأولون من المسلمين العرب «الهند» نقلوا إلى البلاد التي فتحوها واستقروا فيها دينهم ولغتهم وكثيراً من تقاليدهم وعاداتهم. وقد انحصر الفتح الإسلامي أول الأمر في غرب «الهند».

وبعد ذلك بقرون دخل المسلمون فاتحين تحت قيادة «السلطان محمود الغزنوي» (ت: ٤٢١هـ)، وفي عهد الغزنويين غدى الإسلام محور كل مظهر من مظاهر حياة المسلمين الاجتماعية والقضائية والسياسية... لا يعرفون مرجعاً سواه، فهو العمدة في العقيدة والتشريع وفصل النزاعات بين الأفراد، وأزالوا الطبقات الهندوسية من الأرض التي حكموها باسم الإسلام.

امتاز العهد الغزنوي بتخليف الفاتحين علماء في البلاد المفتوحة بعد الفتح، يقومون بالدعوة إلى الإسلام، وتعليم من يسلم من أهلها أمور الدين، وما يجب عليه عمله في حياته الإسلامية[2].

---

(١) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي (٥٨ ـ ٦١)، الطبعة الثالثة عشرة (١٤٠٢هـ) دار القلم، الكويت.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٤٧/٧، ٣٤٨)، طبعة (١٣٨٧هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (٨٩/٣. ٩٠).

وبعد فقد الغزنويين السلطة على «الهند» خلفهم الغوريون الأفغان ومماليكهم، وظل الإسلام في عهدهم هو المظلة الوحيدة يستظل تحتها المسلمون خاصة في باب القضاء وإنصاف المظلومين، وإرجاع الحقوق إلى أهلها الشرعيين، والضرب على يد العابث دون استثناء، وذلك بنصب القضاة في الأقاليم النائية ومراقبة تصرفات الناس العلنية في كل صغيرة وكبيرة[1].

وظهرت في عهد الغوريين ظاهرة اجتماعية غريبة والتي أصبحت فيما بعد شيئاً مرغوباً فيه عند الملوك، خاصة عند المغول، ألا وهي ظاهرة البناء على قبور العائلة المالكة كبناء «شهاب الدين الغوري» على ضريح زوجته. وهذه البدعة رغم أنها وجدت قبل الغوريين غير أن البناء من قبلهم كان يختص بالرجال الصالحين، فابتدع الغوريون البناء على قبور الملوك ومن ينتسب إلى بيت الملك، ولم تزل هذه الظاهرة تعدو بخطى حثيثة حتى العصر الحديث[2].

كذلك دخل إلى المجتمع الإسلامي في عصر المماليك فن التصوير والتمثيل المنحوتان، وذلك شيء لم يكن لمسلمي «الهند» عهد به، يصف الرحالة «ابن بطوطة» الوضع القضائي والتصوير المنحوت، فيقول: «. . .ومن مآثره ـ أي السلطان التمش ـ أنه اشتد في رد المظالم، وإنصاف المظلومين، وأمر أن يلبس كل مظلوم ثوباً مصبوغاً ـ وأهل الهند جميعاً يلبسون البياض ـ فكان متى قعد الناس أو ركب فرأى أحداً عليه ثوب مصبوغ نظر في قضيته وأنصفه ممن ظلمه، ثم أنه أعيا في ذلك فقال: إن بعض الناس تجري عليهم المظالم بالليل، وأريد تعجيل إنصافهم، فجعل على باب قصره أسدين مصورين من الرخام موضوعين على برجين هنالك، وفي أعناقهما سلسلتان من الحديد فيهما جرس كبير، فكان المظلوم يأتي

(١) انظر: الكامل في التاريخ (٩/ ٢٧٣، ٢٧٤).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٦). أيضاً: الهند في العهد الإسلامي (١٨١).

ليلاً فيحرك الجرس فيسمعه السلطان، وينظر في أمره للحين وينصفه[1]»[2].

وقد برزت أيام الخلجيين عند المسلمين ظاهرة تقبيل الأرض بين يدي السلطان كإظهار للاتباع وتجديد الولاء، وتطورت هذه الظاهرة مع مرور الزمن وبرزت في صورة السجود بين يدي السلطان خاصة في عهد المغول[3]. ونتج عن ذلك ترفع الملك عن الناس، وعدّ نفسه وأسرته وعائلته أفراداً مختارين ومفضلين، يجب على الرعية تعظيمهم وتبجيلهم، واستحدث لهذه الظاهرة اصطلاح «الخدمة»، كما يحكي «ابن بطوطة» في رحلته ويقول:

«ولما دخلنا من الباب الثالث ظهر لنا المشور الكبير المسمى هزار أسطون، ومعنى ذلك ألف سارية، وبه يجلس السلطان الجلوس العام. فخدم الوزير عند ذلك حتى قرب رأسه من الأرض، وخدمتنا لناحية سرير السلطان، وخدم جميع من معنا»[4]. ولم تقتصر «الخدمة» على الملك وحده، بل تجاوزت إلى جميع أفراد الأسرة المالكة، فأوجبت لأم السلطان وأخته على من أراد التشرف برؤيتهم، بل اتخذت «الخدمة» مفاهيم أوسع وأشمل ففرضت لسرير السلطان الذي خلا من صاحبه، ومظلته التي طويت لعدم الحاجة إليها[5].

وقد حدثت في عهد بني تغلق ظاهرة كثرة ارتياد الناس لقبور الصالحين شعباً وحكاماً لالتماس البركة والدعاء، ورحلة «السلطان محمد تغلق» لزيارة قبر الشيخ الصالح «سالار غازي» التي اشترك فيها «ابن بطوطة» نفسه مثال من تلك الأمثلة[6][7].

---

(١) والمعلوم أن صور ذوات الأرواح محرمة شرعاً.

(٢) انظر: رحلة ابن بطوطة (٤٣٣، ٤٣٤).

(٣) لا يخفى ما في ظاهرة تقبيل الأرض بين يدي السلطان التي تطورت فيما بعد إلى السجدة أمام الملك من شرك صريح.

(٤) انظر: رحلة ابن بطوطة (٥١٣).

(٥) المصدر نفسه (٥١٣، ٥١٤).

(٦) السفر لقصد زيارة القبور والتماس البركة بالموتى لا تجيزه الشريعة الإسلامية.

(٧) انظر: رحلة ابن بطوطة (٥٠٥، ٥٠٦).

وفي هذا العهد برزت في المجتمع الصوفي فكرة الانقطاع عن الناس، والاتجاه إلى الكهوف والغابات، والتخلي عن جميع مستلزمات الحياة حتى وصل الأمر ببعضهم إلى التعري، ونبذ اللباس، بحجة التجرد التام عن هذه الحياة[(١)(٢)].

وفي عهد المغول لما تولى «الملك أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر» (ت١٠١٤هـ) مملكة «الهند» وانحرف عن جادة الصواب أدخل في المجتمع الإسلامي كثيراً من عادات الهندوس الوثنيين وتقاليدهم، خاصة في حاشية الملك ورجاله، وأتباع «المذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي»[(٣)]، مثل: وضع نقطة من الطين الملون في وسط الجبين، ولبس الزنار ـ شعار البراهمة ـ وشرب الماء من نهر كنكَا ـ النهر المقدس لدى الهندوس ـ والاحتفال بأعياد الهندوس، والمصاهرة معهم، ومنع الختان، والحظر على أكل لحم البقر، والمشاركة في كثير من العادات والمظاهر الهندوسية[(٤)].

ومن ناحية أخرى تأثر الهندوس بالإسلام في حياتهم الاجتماعية، فقد خفت حدة التوتر القائمة بين الطبقات في المجتمع الهندوسي، وقَلَّ إحراق الأرملة مع زوجها حيًّا، كما بدأت الأرملة تتزوج مرة ثانية بعد أن كان ذلك محظوراً في المجتمع الهندوسي[(٥)].

٥ ـ الجانب العلمي والثقافي:

بدأ توافد العلماء والمحدثين من البلاد العربية على إقليم «السند» منذ الفتح الإسلامي له على يد الفاتح «محمد بن القاسم الثقفي» عام (٩٣هـ)،

---

(١) هذه من منكرات الصوفية وهي ليست من الدين في شيء.
(٢) انظر: نزهة الخواطر (٢/٨، ٩).
(٣) وهو المذهب الذي أسسه «الملك أكبر» كما سيأتي في الفصل السادس من هذا البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ.
(٤) انظر: الإمام السرهندي حياته وأعماله لأبي الحسن الندوي (٩٣، ٩٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٦)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار القلم، الكويت.
(٥) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (٦١ هامش رقم: ٢).

يعلمون المسلمين الجدد أمور دينهم، وفهم كتاب ربهم، ولما طلب أحد ملوك «السند» الوثنيين مِنْ ولاية «المنصورة» المسلمة مترجماً يقوم بترجمة القرآن الكريم إلى لغة الهنود والسنود لُبي هذا الطلب بأسرع ما يمكن تلبيته[1].

وقد شارك علماء «السند» في خدمة السنة المطهرة جمعاً وترتيباً وتدويناً، كما ذكر «المقدسي» في رحلته ـ التي زار فيها السند ـ أنه وجد أكثر أهل «السند» أصحاب الحديث، ورأى «القاضي أبا محمد المنصوري» داوديا إماماً في مذهبه، وله تصانيف حسنة، كما لقي فقهاء على مذهب الإمام أبي حنيفة[2]، مما يعكس الضوء على الحركة العلمية التي شهدها هذا الإقليم إبان الفتح الإسلامي، إلا أن هذه الحركة لم تدم طويلاً بعد انفصالها عن الخلافة العباسية، واستيلاء الإسماعيليين عليها؛ إذا سددوا سهامهم المسمومة على السنة المطهرة[3].

وفي الدولة الغزنوية صاحب التعليم الفتح والجهاد فما من مدينة فتحوها إلا خلّفوا فيها العلماء للقيام بتعليم أحكام الدين، وإقامة الحياة الإسلامية. ولما ازدحم المتعلمون في المساجد، وكثر إقبال الناس على تعلم أحكام الإسلام اضطر العديد من المعلمين إلى فصل التعليم عن المسجد، فخرجت المدارس إلى حيز الوجود، وأصبح المعلمون يلقون دروسهم في حجرات خاصة تم بناؤها لهذا الغرض[4]. وأهم ما يميز المعلم المسلم في هذه الفترة هو الجمع بين العلوم المختلفة، وتلقى آخر ما وصلت إليه هذه العلوم، ومن هنا اكتسب المعلم المكان المرموق في المجتمع، وتسنى له أن يرتقي إلى أعلى المناصب في الدولة.

---

(١) انظر: آب كوثر (٣٧).

(٢) انظر: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٨١).

(٣) انظر: عربي أدبيات مين پاك وهند كا حصه (مساهمة پاكستان والهند في خدمة الأدب العربي)، للدكتور زبيد أحمد (٦٥، ٦٦)، الطبعة الثالثة (١٩٩١م)، إدارة ثقافت إسلامية، كلب رودٹ، لاهور ـ پاكستان.

(٤) انظر: الهند في العهد الإسلامي (٤٢٦).

وفي عهد الغوريين ومماليكهم كثرت المدارس، ونظمت تنظيماً جديداً بعد أن حولوا الجرايات من الشهرية إلى السنوية. وأهم مدارس هذا العهد هي «المدرسة المعزية» التي أسسها «قطب الدين أيبك» وشيدت مبانيها «السلطانة رضية بنت التمش»[١]. وأصبحت «دهلي» ومدينة «أوج» السندية في عهد الخلجيين وبني تغلق مركزين علميين هامين لنشر العلوم الإسلامية، وزادت المدارس في هاتين المدينتين زيادة هائلة[٢].

وإذا نظر الباحث إلى المنهج التعليمي الإسلامي في هذه الفترات المختلفة يجد أن العلماء الذين وفدوا على «الهند» وتحملوا أعباء التعليم في هذه العصور كانوا من بلاد ما وراء النهر و«خراسان»، وكانت صناعة أهالي تلك البلاد فنون الفلسفة وحكمة «اليونان»، وكان قصارى نظرهم في علم النحو، والفقه، والكلام على طريقة التقليد. ولما قدموا إلى البلاد الهندية نقلوا معهم هذه العلوم إليها، فكان معيار التحصيل العلمي في هذه العصور من الفنون: النحو، والبلاغة، والفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والكلام، والتصوف، والتفسير.

أما في النحو: فكانوا يدرسون كتاب المصباح، والكافية، ولب الألباب[٣]. ثم الإرشاد[٤]، ثم حواشي الكافية.

وفي الفقه: المتفق، ومجمع البحرين، والقدوري، والهداية.

وفي أصول الفقه: الحسامي، والمنار وشروحه، وأصول البزدوي.

وفي التفسير: المدارك، والبيضاوي، والكشاف.

وفي التصوف: العوارف، والتعرف، والفصوص، واللمعات.

وفي الحديث: مشارق الأنوار للصغاني، ومصابيح السنة للبغوي.

---

(١) انظر: الهند في العهد الإسلامي (٤٢٩، ٤٣٠).
(٢) انظر: نزهة الخواطر (١٨/٢، ٢٥، ١١٣).
(٣) للقاضي ناصر الدين البيضاوي. (٤) للقاضي شهاب الدين الدولت آبادي.

وفي الأدب: مقامات الحريري.

وفي المنطق: شرح الشمسية.

وفي الكلام: شرح الصحائف، والعقيدة النسفية، والقصيدة اللامية، والتمهيد[1].

وأضيفت إلى ذلك في بعض العصور كتب أخرى، كشرح المطالع، وشرح المواقف للسيد الشريف. والتلويح، والمطول، والمختصر، وشرح العقائد للتفتازاني. وشرح الوقاية لصدر الشريعة، وشرح الكافية للجامي[2].

وكانت العناية البالغة في هذه العصور بالفقه وأصوله. وكان الفقه عمدة بضاعتهم، ولذلك كثرت فيهم الفتاوى والروايات بدون عرض ذلك على الكتاب والسنة. وكان قصارى نظرهم في علم الحديث قراءة كتاب «مشارق الأنوار»[3] فإن ترفع أحد إلى «مصابيح السنة» للبغوي ظنوا أنه قد وصل إلى درجة المحدثين، وما ذلك إلا لجهلهم بالحديث.

حكي عن «الشيخ نظام الدين البدايوني»[4] أنه كان يسمع الغناء، وينكر عليه العلماء في ذلك، فلما أصر الشيخ رفعوا تلك القضية إلى «السلطان غياث الدين تغلق» (ت٧٢٥هـ) ملك ذلك العصر، فأمر السلطان بإحضار الشيخ، وأمر الفقهاء والقضاة أن يناظروه في تلك المسألة، فعرض

---

(١) لأبي شكور السالمي.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند لعبد الحي الحسني (١١، ١٢)، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٣) لمؤلفه رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (ت٦٥٠هـ). وهو مطبوع ومتداول وأحسن شروحه «مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار» لعز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز المعروف بابن الملك (ت٧٩٧هـ)، المطبوع في أنقرة سنة (١٣٢٨هـ) في دار الطباعة العامرة.

(٤) هو: نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني (٦٣٠هـ - ٧٢٥هـ).
أحد كبار الصوفية في الهند، وكان يستمع الغناء بالدف.
انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٢/ ١٢٠ - ١٢٥).

«الشيخ نظام الدين» بعض الأحاديث في إباحة السماع[1] ـ على حد زعمه ـ فردها الفقهاء، وقالوا: إن الروايات الفقهية مقدمة على الأحاديث في بلدنا. وقال بعضهم: إنا لا نرغب أن نسمع مثل هذه الأحاديث التي تمسك بها الإمام الشافعي، وهو عدو مذهبنا[2]، فإن دل هذا على شيء فإنه يدل على قلة بضاعتهم وجهلهم في علم الحديث.

ويحكى أيضاً أن «الشيخ شمس الدين المصري» المحدث قدم «الهند» في أيام «السلطان علاء الدين الخلجي» (ت٧١٥هـ)، فلما وصل إلى «ملتان» ولقي بها الفقهاء وسمع كلامهم كَرَّ راجعاً إلى بلاده، وبعث رسالة إلى السلطان المذكور شنّع فيها على أن الفقهاء في بلاده لا يعتنون بأحاديث النبي المعصوم ﷺ، ولكن الفقهاء لما وقفوا على تلك الرسالة حجبوها عن السلطان[3].

وهذه الحكايات تشير إلى ما وصل إليه العلماء في تلك العصور في عدم اعتنائهم بعلوم السنة المطهرة، إلا أن بعض العلماء في القرن العاشر الهجري وفقوا في السفر إلى بلاد الحرمين الشريفين، وأدركوا بها المحدثين، فأخذوا عنهم الحديث وبعد عودتهم إلى البلاد الهندية تصدوا للدرس والإفادة، والتأليف والتصنيف، وفي مقدمتهم «الشيخ علي المتقي الهندي»[4] و«الشيخ محمد طاهر الفتني»[5] و«الشيخ عبد الحق

---

(١) ومن شر البلية ما يضحك أن من ضمن الأحاديث التي استدل بها الشيخ على إباحة السماع حديث: «السماع مباح لأهله».
ويبدو واضحاً أنه من كلام المتصوفة أو بعض الفقهاء الذين يبيحون السماع.
انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٦، ١٧).

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (١٢).

(٣) نفس المصدر (١٢، ١٣).

(٤) هو: علي بن حسام الدين بن عبد الملك المتقي البرهانبوري (٨٨٥هـ ـ ٩٧٥هـ).
سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن من هذا البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٥) هو: محمد بن طاهر بن علي الفتني (٩١٤هـ ـ ٩٨٦هـ).
سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله ـ تعالى ـ.

الدهلوي»[1]. فنفع الله بعلومهم كثيراً من عباده[2].

ثانياً: أسباب نشأة الفرق في شبه القارة الهندية:

إن الدين الإسلامي القويم دعا المسلمين إلى توحيد الكلمة وجمع الصف والسير في طريق واحد، وحذرهم عن التفرق والتمزق، وبيَّن الخطر الكامن في ذلك. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[3]، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾[4].

كان المسلمون في صدر الإسلام على صفاء العقيدة ونقائها كما تلقوها عن رسول الله ﷺ وكانوا متآخين فيما بينهم ومتحابين، فيا ترى ما الأسباب التي أدت إلى ظهور الخلاف، ونشأة الفرقة فيما بينهم. ذكر «الشيخ أبو زهرة» الأسباب العامة التي أدت إلى الاختلاف فيما بين المسلمين وهي:

العصبية، والتنازع على الخلافة، ومجاورة المسلمين لكثير من أهل الأديان القديمة ودخول بعضهم في الإسلام، وترجمة الفلسفة، والتعرض لبحث كثير من المسائل الغامضة، والقصص، وورود المتشابه في القرآن الكريم[5].

وقد قسم «الأستاذ أحمد أمين» أسباب نشأة علم الكلام ـ الذي أدى إلى تفرق المسلمين في العقيدة، وانقسامهم إلى شيع وأحزاب ـ إلى أسباب داخلية وخارجية، وعنى بالأسباب الداخلية أسباباً صدرت من طبيعة الإسلام نفسه والمسلمين أنفسهم، وبالأسباب الخارجية أسباباً أتت من الثقافات الأجنبية والأديان المختلفة غير الإسلام.

---

(١) هو: أبو المجد عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي (٩٥٨هـ ـ ١٠٥٢هـ).
سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (١٥).

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٥) انظر: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية (١٢ ـ ١٦)، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.

وأما الأسباب الداخلية فهي كالتالي:

١ ـ سلوك علماء الأمة مسلك القرآن الكريم في مقارنة الأديان وذكر الفرق والرد عليهم:

إن القرآن الكريم بجانب دعوته إلى التوحيد والنبوة وما إليهما، عرض لأهم الأديان والفرق التي كانت منتشرة في عهد النبي ﷺ فرد عليهم ونقض قولهم، فكان من الطبعي أن ينهج علماء الملة هذا المنهج، فيردوا على المخالفين، ويتوسعوا في الدفاع توسع المخالفين في الهجوم.

٢ ـ الاستقرار وتوقف الفتوحات:

إن المسلمين لما فرغوا من الفتح، واستقر بهم الأمر، واتسع لهم الرزق، أخذت عقولهم تتفلسف في الدين، فتثير خلافات دينية، وتجتهد في بحثها، والتوفيق بين مظاهرها، وذلك متأثرين بحضارة اليونانيين وغيرهم بسبب الترجمة لكتبهم.

٣ ـ المسائل السياسية:

ومن أهم المسائل السياسية، مسألة الخلافة[1].

وأما الأسباب الخارجية فأهمها:

١ ـ دخول كثير من أهل الملل والأديان الأخرى في الإسلام:

إن كثيراً ممن دخلوا في الإسلام بعد الفتح كانت لهم أديان وعقائد

---

(١) وذلك ما حصل بين الشيعة والأمويين والخوارج والمرجئة حيث كان الشيعة يرون أن علياً ﷺ يستحق الخلافة بالنص، ويرى الحزب الأموي أن خلافة معاوية ﷺ ثبتت باتفاق أهل الحل والعقد، وأما الخوارج فلا يرضون عن هؤلاء ولا أولئك، ويمثل المرجئة خطاً رابعاً بين هؤلاء جميعاً. ويجدر بالذكر أن المراد بالإرجاء هنا، إرجاء أمر المتقاتلين من الصحابة إلى الله ﷻ وليس هو الإرجاء المتعلق بالإيمان، وكان أول ظهور هذا الإرجاء كرد فعل لتكفير الخوارج للحكمين ولعلي بن أبي طالب ﷺ فهذا الخلاف في أمر الخلافة كان سبباً في نشأة الفرق.

انظر: ضحى الإسلام (٣/٦، ٧)، الطبعة السابعة (٠٠٠ ـ ٠٠٠) ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

مختلفة، وكانوا قد نشأوا على هذه الأديان فلما استقروا على الإسلام، أخذوا يفكرون في تعاليم أديانهم القديمة، ويثيرون مسائل من عقائدها، ويلبسونها لباس الإسلام.

٢ ـ الرد على المخالفين:

إن الفرق الإسلامية الأولى خاصة «المعتزلة» كان من أهم أغراضها الرد على المخالفين، وما كان يتسنى لهم الرد إلا بعد الاطلاع على أقوالهم وأدلتهم، فأصبحت البلاد الإسلامية ساحة تعرض فيها كل الآراء والأديان.

٣ ـ ترجمة الفلسفات القديمة:

إن حاجة المتكلمين إلى الفلسفة لوقوفهم أمام خصومهم يجادلونهم بمثل حججهم اضطرتهم إلى أن يقرأوا الفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني.

فهذه الأمور كلها من داخلية وخارجية كانت وراء نشأة الفرق التي شهدتها الساحة الدينية بعد العصور الإسلامية الأولى[١].

وكان المسلمون في شبه القارة الهندية على العقيدة الصحيحة منذ دخول الإسلام حتى مطلع القرن الرابع الهجري ـ كما تقدم ـ ثم بدأ ظهور الانحرافات العقدية، ونشأة الفرق، فما الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذه الحال؟.

١ ـ الأسباب الداخلية:

وتتمثل هذه الأسباب فيما يأتي:

أولاً: التخلف الثقافي:

إن البلاد الهندية تنورت بنور الإسلام في نهاية القرن الأول الهجري، وتشرفت باستقبال المجاهدين الأولين من العرب إلا أنهم لم يتغلغلوا في أعماق البلاد، وإنما انحصر نفوذهم في إقليم «السند» والمناطق المجاورة

---

(١) انظر: ضحى الإسلام (٣/١ ـ ٩).

لها. وكذلك البحارون من العرب الذين كانوا يمرون بشواطئ «الهند» الغربية، ويتاجرون مع أهلها ما توغلوا في قلب البلاد، فانحصرت دائرة وجودهم في «مالابار» ونواحيها من بلاد الشواطئ الغربية، فما امتدت أشعة نور الإسلام إلى داخل هذه البلاد إلا في مطلع القرن الخامس الهجري على يدي السلطان محمود الغزنوي (ت٤٢١هـ) وأخلافه.

فالذين دخلوا «الهند» من جهة الشمال من الملوك والفاتحين ـ من الترك والأفغان والمغول ـ ما كانوا يعرفون الإسلام إلا قليلاً، وما اصطبغت قلوبهم بالصبغة الربانية مثل المجاهدين الأولين من الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ولهذا لم يؤثروا في عقائد البراهمة الراسخة تأثيراً قوياً، ولم يحدثوا فيها تغييراً مدهشاً[١].

ثانياً: إهمال الحكومات تثقيف المسلمين:

قد حكم المسلمون هذه البلاد زهاء ثمانية قرون ونصف القرن، فما كان يهمهم من الغزو والقتال في هذه القرون المتطاولة إلا توطيد دعائم ممالكهم، ولو اعتنى هؤلاء الفاتحون ـ من الترك والأفغان والمغول ـ بدعوة الإسلام معشار ما اعتنوا بحطام الدنيا لكان للإسلام شأن آخر في بلاد البراهمة اليوم. نعم، كان من بعض الحكام تعيين الدعاة والقضاة، وبناء المساجد والمدارس في بعض المدن الكبرى إلا أن هذه الخدمات لا تكاد تذكر بالمقارنة إلى حاجة البلاد.

ثم إن معظم هؤلاء الدعاة والوعاظ الذين دخلوا البلاد مع الفاتحين لم يكن لهم نصيب كبير من علم الكتاب والسنة. وكان العلماء منهم أيضاً مقتصرين على كتب الفقه والمنطق التي لا تروي الغليل، ولا تشفي العليل. وأما المتصوفة فحدث ولا حرج عن انصرافهم عن السنة، وتهافتهم على مزاعمهم الباطلة.

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٣ ـ ٥).

فالذين أسلموا من سكان البلاد، ودخلوا في دين الله من تلقاء أنفسهم أو بجهود الوعاظ والدعاة، لم تعن الحكومات المسلمة بتعليمهم وتثقيفهم، فكانت النتيجة أن الجمهرة الكثيرة من أولئك الذين أسلموا ما انفكوا عاكفين على شعائرهم الدينية متسكعين في ظلام الشرك والوثنية[١].

ثالثاً: قصور المناهج التعليمية:

وللمنهج التعليمي الذي جرى العمل به في عصر الحكومات المسلمة الهندية أثر كبير في بقاء الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد على عقائدهم الباطلة، وعاداتهم الممتزجة بخرافات الوثنية. فإنهم لم يعطوا التعليم الديني حقه من العناية، ولم يهتموا أصلاً بتثقيف الناشئة المسلمة تثقيفاً دينيًا.

فعدم الاعتناء بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وانحصار الدين في كتب الفقه التي ألّفها المتأخرون من الفقهاء، وانكباب الدارسين على التقليد الجامد، وتهافتهم على دراسة خرافات «اليونان» وخزعبلاتها، وانحرافهم عن اللغة العربية، أدى في النهاية إلى امتزاج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية، وأوهام المتصوفة[٢].

رابعاً: بُعد الهند عن المراكز الإسلامية:

بُعد «الهند» عن مراكز التنوير الإسلامي ـ بلاد الحجاز، ومصر، والشام، والعراق ـ ووصول الإسلام إلى «الهند» بعد تعريجه على «تركستان» و«إيران». وصعوبة السفر للحج، والرحلة في طلب العلم إلى البلدان الأخرى مما أدى إلى بقاء أقلية مسلمة مغمورة في أكثرية هندوسية المتشبثين بعقائدهم الوثنية[٣].

خامساً: استبداد الحكام وظلمهم:

استبداد الحكام والسلاطين، وسلطتهم المطلقة، وظلمهم وعدوانهم،

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٥، ٦، ٨، ١٥).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٣٧).

ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠، ٢١).

(٣) انظر: الإمام السرهندي (٣٧).

وإعراضهم عن أحكام الشريعة الإسلامية، وعبادتهم للنفس والأهواء مما يحمل الرجال الأقوياء الطامحين على ثورات وحركات قوية تهز الدولة، وتلحق الأضرار بالمسلمين.

أضف إلى ذلك أن الأمبراطورية المغولية العظيمة[1] بدأت وجهتها تتحول بتأثير بعض الأغراض الشخصية، والميول والاتجاهات الفردية، والتأثيرات الخارجية، والمصالح السياسية المزعومة، من الارتباط بالدين الإسلامي، والتمسك بأهداب النبوة المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ وتمثيل الحضارة الإسلامية إلى الفلسفة البرهمية، والحضارة الهندية، ونظرية «وحدة الأديان»[2][3].

سادساً: انتشار الزوايا الصوفية:

انتشار الخلوات والزوايا[4] الصوفية في هذه البلاد، والتزام كثير من الناس هذه الخلوات والعيش فيها، وسماع كلام مشائخها، كل ذلك يورث الأوهام والظنون في النفوس مما يؤدي في النهاية إلى الانحراف عن الإسلام الصحيح، والسير وراء الأفكار الضالة، والأوهام الباطلة[5].

سابعاً: عدم وجود شخصيات دينية:

عدم وجود شخصية دينية قوية تسمو على المستوى العام في مقدرته

---

(١) كانت الأمبراطورية المغولية تلي الأمبراطورية العثمانية في الرقعة، والقوة العسكرية، والوسائل، والذخيرة. وكانت حدودها تمتد من بنغال الشرقية إلى حدود أفغانستان الغربية.

(٢) وكان ذلك في عهد أشهر ملوك الدولة المغولية «أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر» (ت١٠١٤هـ) الذي تولى السلطة في القرن العاشر الهجري، وأسس «المذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي»، كما سيأتي في الفصل السادس من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر: الإمام السرهندي (١١، ١٢، ٥١).

(٤) الخلوات والزوايا هي عبارة عن أربطة خيرية معدة لنزول المشايخ الصوفية ومريديهم والتي تسمى في البلاد الهندية بـ الخانقاه.

(٥) انظر: تاريخي مقالات (المقالات التاريخية) للأستاذ محمد أسلم (٨٠، ٨١)، ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.

العلمية والعقلية، تملك التأثير القوي، وتأخذ بمجامع القلوب، وتزيل الريب والشكوك، وتعيد الثقة والاعتماد على خلود الإسلام، وصدق الرسالة المحمدية، والشريعة الإسلامية، وأن أسباب الرقى والكمال راجعة إليها[1].

٢ ـ الأسباب الخارجية:

بالإضافة إلى الأسباب الداخلية التي أشرت إليها كانت هناك أسباب خارجية أدت إلى الانحرافات العقدية وظهور الفرق، وتلك الأسباب تتلخص فيما يأتي:

أولاً: نزوح أصحاب الفرق الضالة من الخارج إلى البلاد الهندية:

نزح «القرامطة» إلى إقليم «السند» من «البحرين» وبلاد فارس، وذلك في مطلع القرن الرابع الهجري، وقد تمكن هؤلاء من تأسيس دولة لهم في إقليم «السند». ولما دخل «السلطان محمود الغزنوي» (ت٤٢١هـ) بلاد «الهند» رافعاً راية الجهاد قضى على هذه الدولة، ونسف عاصمتها «المنصورة» فهربت فلول هذه الطائفة إلى بلاد «كجرات» الغربية التي أصبحت مركزاً للنِحل الضالة فيما بعد[2].

كما وصل الدعاة الإسماعيليون ـ من الفرع المستعلي ـ إلى بلاد «كجرات» الساحلية من «مصر» و«اليمن» منذ وقت مبكر، وقد بلغ وصولهم ذروته في القرن العاشر الهجري عندما انتقل مركز دعوتهم من «اليمن» إلى «الهند»[3].

هكذا وصل أيضاً الإسماعيليون ـ من الفرع النزاري ـ من بلاد فارس

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٥٢).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/٧٦، ٨٧، ٨٩).
ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩، ١٠).

(٣) انظر: مذهب إسلام أور باطني تعليم (الدين الإسلامي والتعليم الباطني)، لمحمد سعيد مرزا (٣٢٠ ـ ٣٢٢)، أردو بازار، لاهور، پاكستان.

إلى البلاد الهندية لما قام «هولاكو خان» بنسف قلعة «الَمَوْت» والقلاع الأخرى الإسماعيلية في فارس، وذلك عام (٦٥٤هـ)[١].

ومن ناحية أخرى وصل «مير شمس الدين العراقي» (ت:٩٣٢هـ)، من «خراسان» لينشر المبادئ «النور بخشية» في «كشمير» وما جاورها من البلاد»[٢].

ثانياً: صلات بعض ملوك الهند مع زعماء الفرق الضالة في الخارج:

لما انهزم «الملك همايون بن بابر المغولي» (ت:٩٦٣هـ) أمام السوريين الأفغان، لجأ إلى «إيران» ليستمد من «الشاه طهماسب الشيعي» ـ شاه إيران ـ لاسترداد مملكة «الهند» من أيدي السوريين، فوافق الشاه على هذا الطلب مقابل فتح أبواب «الهند» على مصارعها أمام التشيع الاثنى عشري، وأمده برجال وعتاد حتى تمكن «همايون» من استعادة مملكة «الهند» للمرة الثانية، وتأسيس الدولة المغولية من جديد، وبذلك فتحت أبواب «الهند» أمام الدعاة الاثنى عشريين من «الشيعة» وبدأ تدفقهم إلى هذه البلاد[٣].

ثم إنه بعد وفاة «الملك همايون» لما تولى عرش «الهند» الملك جلال الدين محمد أكبر (ت:١٠١٤هـ) توثقت صلاته مع زعماء «الفرقة النقطوية» في «إيران» واستقدمهم إلى البلاد الهندية، وولاهم المناصب العالية في الدولة، كما منح أتباع هذه الفرقة كثيراً من المزايا والتسهيلات[٤].

---

(١) انظر: أعلام الإسماعيلية، لمصطفى غالب (٣١١، ٣١٢)، طبعة (١٩٦٤م)، دار اليقظة العربية، بيروت.

(٢) انظر: طبقات نورية در أحوال مشائخ نور بخشية (الطبقات النورية في أحوال مشائخ النور بخشية) لمحمد ملا (ص١٨٨، ١٨٩، ١٩٩)، ترجمة: محمد كيلاني، مكتبة قدوسية، كشميري بازار، لاهور.

(٣) انظر: الإمام السرهندي (١٣٤، ١٣٥).

(٤) كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الأول من هذا البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ.




الفصل الأول

الفرقة النقطوية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: النقطوية في الميزان.




المبحث الأول

نشأتها وتاريخها

تُعَدُّ «الفرقة النقطوية» من أخطر الفرق التي نشأت في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري، وترجع جذورها إلى أوائل القرن التاسع الهجري في منطقة «كيلان» الإيرانية على يد «محمود البسيخواني»[1]، ونمت وانتشرت في كل من «إيران» و«الهند» في القرن العاشر، والحادي عشر الهجريين.

وكان «محمود» هذا في أول حياته ورعاً، يبحث عن العقيدة الصحيحة والدين الصحيح، بين ركام من الفرق المتزاحمة في ذلك الوقت، فلا غرو إذاً أن نراه شغوفاً بالسفر والتنقل من مكان إلى مكان بحثاً وراء الغاية التي ندب نفسه لها، ووجد نفسه أخيراً في «بيت المقدس» حيث اتخذ منها منطلقاً إلى كثير من البلدان حتى استقر به المقام في «استرآباد» الإيرانية، وهناك تتلمذ على «السيد فضل الله الاسترآبادي»[2].

---

(١) حاولت البحث عن ترجمة مفصلة له في كل المراجع التي توفرت لديّ، ولكن للأسف الشديد، لم أعثر على شيء من ذلك، إلا بعض الشذرات تتعلق ببعض مؤلفاته، وسيأتي الحديث عنها. ولعل الغموض الذي يسود تاريخ هذه الفرقة ودعاتها مرجعه إلى أن الخلف للملك «جلال الدين محمد أكبر المغولي (٩٤٩هـ - ١٠١٤هـ) لما تابوا ورجعوا عن دعوة «الدين الإلهي» أو «المذهب الأكبري» - الذي أسسه الملك «أكبر» المذكور - وكانوا يعتبرون تلك الفترة التي عاشتها البلاد في ظل هذه العقيدة وصمة عار، وفترة يجب نسيانها، لذلك أهمل المؤرخون عن عمد عملية التاريخ الدقيق للفرقة ودعاتها.

انظر: مجلة «فكر ونظر» (ص٥٠) العدد الثالث لسنة (١٩٦٠م) الصادرة من جامعة عليگره الإسلامية، الهند.

(٢) كان «السيد فضل الله الإسترآبادي» مؤسساً للفرقة «الحروفية» في «إيران». وهي «فرقة =

وبعد مضي فترة من الزمن دبّ بينهما الخلاف حول بعض مسائل العقيدة، فطرده «فضل الله» من مجلسه، فكان يعرف بـ«محمود المطرود والمردود»، وبعد أن انفصمت صِلاتُه، وانقطعت علاقاته مع «فضل» المذكور أخذ يذهب إلى الغابات، ويشتغل بالعبادة، والرياضة النفسية، ويكتفي من الطعام بأكل العشب، وأوراق الشجر، وفي يومٍ من الأيام، ذهب إلى نهر «رَوْد أرس»[1] ليتوضأ، ولفت نظره وجود شيء يجرفه تيار الماء، ولما

= شيعية» نشأت في نهاية القرن الثامن الهجري. وأدخلها في الدولة العثمانية تلميذ من تلاميذه يدعى بـ «علي الأعلى». وعقيدة هذه الفرقة تقوم على فكرة أن الكون أبدي، يتحرك حركة أبدية. وهذا هو علة التغييرات التي نلاحظها عليه؛ وتنقسم هذه التغييرات إلى أدوار، يتميز أولها وآخرها بظاهرتين متشابهتين، وهما: ظهور آدم في البداية، ويوم حساب في النهاية، ويتجلى الله في شخص الإنسان، خاصة في وجهه، لأن الإنسان خلق على صورة الله.

وهذا التجلي يتم في صورة متتابعة: هي صورة النبوة، فالولاية، فالألوهية. وقد كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء، ثم جاء من بعده الأولياء من علي ﷺ إلى «الحسن العسكري»، وهو الإمام الحادي عشر. و«فضل الله الإسترآبادي» آخر الأولياء، وهو أيضاً الأول في السلسلة الإلهية، ففيه تجسد الإله. والصفة المميزة للإنسان هي الكلام، أو اللغة التي تكتب بالأبجدية العربية البالغ حروفها (٢٨) حرفاً. وللحروفية حساب مستخرج من «حساب الجمل»، استعاروه من «الإسماعيلية»، ولهذا الحساب شأن كبير في عقائدهم؛ ولكنهم يستخدمون أيضاً مجموعات من الأبجدية بحروف مكونة من واحد، أو اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة حروف مكتوبة، وعدد الخطوط في الملامح سبعة (أربعة جفون، حاجبان، والشعر، أو نصفا الشارب، وشعر العارضين، والذقن مقسومة على قسمين، والخصلة تحت الشفة السفلى) فإذا ضرب عدد هذه الخطوط في عدد العناصر، كان الناتج (٢٨)، وهو عدد حروف الأبجدية العربية.

وكتبهم الرئيسية هي: «الجاويدان الستة» (كتب أحدها «فضل الله» نفسه، والباقي بأقلام تلاميذه) و«حقيقت نامه» و«استواء نامه» و«هدايت نامه» و«محرم نامه».

بعض هذه الكتب بالفارسية ممزوجة بفقرات باللهجة السائدة في «إسترآباد» والبعض الآخر بالتركية.

انظر: الموسوعة الإسلامية الميسرة (١/ ٢٧٦، ٢٧٧)، أشرف على تحريرها نيابة عن الأكاديمية الهولندية: هـ.ا.ر.جب.و.ج.هـ. كالمزر، ترجمة: دكتور راشد البراوي. طبعة (١٩٨٥م) مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. دائرة المعارف الإسلامية (٧/ ٣٦٢). نقلها إلى العربية: جماعة من العلماء.

(١) وهو نهر كبير ينبع من جبل «هزار» التركي، ويمر من بين «إيران» و«قفقاز» وينصب في بحر «خزر». انظر: مجلة «فكر ونظر» (ص٤٦).

اقترب منه هذا الشيء تبين أنه حبة جزر طازجة، فمدّ يده إليها، فأخذها، وأكلها. واعتبر هذا تأييداً وكرامةً من الله ـ تعالى ـ وهكذا كان يفعل كل يوم في الوقت المحدد؛ يحضر للوضوء عند النهر، ويجد هناك حبة جزر فيتناولها، ويحتسب ذلك رزقاً ساقه الله إليه.

ومَرَّ عليه شهران متتاليان وهو على هذه الحالة ففكر يوماً أنه يجب عليه أن يعرف من أين تأتي هذه الجزر التي يطعمها كل يوم؟ وفي اليوم التالي، وقبل الوقت المحدد بقليل، صار يمشي عكس اتجاه المياه، ليتعرف على مصدر هذه الجزر، فلم يذهب إلا قليلاً حتى رأى امرأة عريانة جالسة على شاطئ النهر، وفي يدها حبة جزر تقضي بها شهوتها، فلما فرغت من عملها ألقتها في النهر، وذهبت؛ و«محمود البسيخواني» ظل يراقب هذا العمل بدهشة وحيرة، وقال مخاطباً لله ـ سبحانه وتعالى ـ: «هكذا ترزق عبادك المخلصين»؟ وانكسر قلبه، وساء ظنه بالله ﷻ واختار طريق الإلحاد والزندقة[1]؛ وألّف كتباً ورسائل في نشر عقائده، وأشهر هذه المؤلفات ما يلي:

١ ـ «بحر وكوزه» (أي: البحر والكوب).

٢ ـ «ميزان محمود»[2].

---

(١) هذه القصة تحمل في طياتها ما يدل على أنها مختلقة ومتكلفة، وأن محمود البسيخواني كان منحرفاً من أول أمره.

(٢) يوجد نسخة منه في مكتبة السيد محمد طباطبائي في «طهران». وقد نقل صاحب «دبستان مذاهب» فقرات من هذا الكتاب، وجاء في مستهله: «أستعين بنفسك الذي لا الله إلاه، الحمد لله الذي أظهر نفسه صفياً، وفياً، كوكبياً، طينياً، إلهياً، أديمياً، بنوياً، أولياً، ثم أوضح نفسه من نفسه صوفياً، عربياً، فرقانياً، للّهياً، مائياً، واسطياً، أمياً، قمرياً. ثم وجد نفسه لنفسه صورياً أعجمياً عامياً كتابياً اللّهياً، شمسياً، ترابياً، آخرياً. ثم نظر إلى دائرة وجهه كاملاً، ووجد وجهه كتاباً نقطوياً، ومفتاحاً غيبياً، وبرهاناً أبدياً ومجمعاً كلياً. ثم قرأ فيه عبارة دُرّيَةً، وحجةً تفصيليةً، وإشارةً نطقيةً، وبشارة حرفيةً لا يعلم تأويله إلا. وهو من لا يدرك الأبصار إلى حد وجهه، ولا تبلغ الأوهام في كنه حدّه. ولا يحوي الأفهام بنهاية ظهوره. ولا يطلع الأنام بحدود بيانه. لا الله إلا إليه بالمصير». =

٣ ـ «مفاتيح»[1].
٤ ـ «نقطوي متن»[2].
٥ ـ «تفسير خير البيان»[3][4].

وتدرج «محمود» في دعوته فادعى المهدية، ثم النبوّة. والنقطويون يذكرونه بألقاب كثيرة من أهمها:

«المبين الأول والآخر»، و«مبين الكل والكليات»، «من عنده علم الكتاب»، «آدم»، «شخص آخر»، «منشئ الكونين»، «فاتح العرب والعجم»، «إمام القبلتين»، «جامع الأول والآخر»، وغير ذلك.

وكان «محمود» يفضل حياة العزوبة، فلم يتزوج. أما وفاته فقد اختلفت فيها الآراء؛ فالبعض يرى أنها كانت انتحاراً بصب الماء المغلي على جسده. ويرى أتباعه أن ذلك من افتراءات أعدائه، وأن وفاته كانت طبيعية، وكان ذلك سنة (٨٣٢هـ)[5].

= يبدو من هذه العبارة واضحاً العقائد النقطوية كما يأتي تفصيل ذلك في المبحث الثاني بإذن الله تعالى.
انظر: دبستان مذاهب لمؤيد كيخسرو (١/ ٢٣٣، ٢٣٤)، طبعة (١٣٦٢هـ)، كتاب خانه طهوري، طهران، إيران.

(١) يحتوي على (٢٤٦) ورقة، ويوجد نسخة منه في مكتبة «طهران».
(٢) يحتوي على (١٨٨) ورقة، ألّف «محمود» هذا الكتاب عام (٨٢٠هـ).
(٣) يوجد نسخة منه في مكتبة السيد محيط طبطبائي في «إيران».
(٤) وإلى جانب هذه الكتب توجد رسائل عديدة في مكتبة «إسماعيل أفشار» وفي مكتبة «السيد نصر الله تقوى» في «إيران». وكتاب عند الشيخ المفيد في «شيراز» وكتاب آخر في المكتبة العالية «بالمشهد»، وبعض الرسائل في منطقة «كيلان».
ذكر أسماء هذه الكتب والرسائل الدكتور صادق كيا ـ أستاذ اللغة الفارسية في جامعة «طهران» ـ في كتابه «نقطويان يا بسيخانيان» (أي النقطويون أو البسيخانيون)، ونقل منه الدكتور نذير أحمد في كتابه «تاريخي وأدبي مطالع» (المطالعات التاريخية والأدبية) (ص٣، ٦، ٧) طبعة عام (١٩٦١م) جامعة عليكَره الإسلامية، الهند.
(٥) انظر: تاريخي مقالات (المقالات التاريخية) للبروفيسور محمد أسلم (٧٦ ـ ٧٨)، ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.
نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين (ص٦، ٧).

أسماء هذه الفرقة:

تعددت ألقاب هذه الفرقة وأسماؤها، ومن بين هذه الأسماء ما اقتضته عقيدة الفرقة نفسها، ووُضعت علماً لها، ومنها ما وضعه الخصوم، وهم لا يرضون به، وإن كانوا قد اشتهروا به في تاريخ الفرق، فمن الأسماء:

١ ـ النقطوية وأهل النقطة:

سميت بهذا الاسم لأن «محموداً» يرى أن كل شيء تم خلقه من الطين؛ والمراد من «النقطة» هو «الطين». أو لأن «محموداً» استعان بعدد الحروف والنقاط لتفسير القرآن الكريم حسب أهوائه الشخصية للاستدلال على آرائه، وعقائده.

٢ ـ الواحدية والأمناء:

الواحدية نسبة إلى «الواحد» وفي هذا المذهب، يسمى الأعزب «واحداً» والمتأهل «أميناً». وكان «محمود» يحث أتباعه على حياة العزوبة، ويفضلها على الزواج؛ ويفوز الأعزب بالمرتبة العليا، والدرجة الرفيعة في هذا المذهب. وآثر «محمود» نفسه العزوبة على الزواج، فلم يتزوج في حياته.

٣ ـ المحموديون أو البسيخوانيون:

وذلك نسبة إلى مؤسس الفرقة «محمود» الذي كان ينحدر من قرية «بسيخوان» في منطقة «كيلان» الإيرانية.

٤ ـ الملاحدة:

هذا الاسم من وضع خصومهم؛ لأن عقائد هذه الفرقة تخالف عقائد المسلمين في باب الألوهية، والقيامة، والجنة، والنار، والثواب، والعقاب. ويؤمنون بمبدأ «الإنسان الكامل» و«المركب المبين»، وبألوهيته.

٥ ـ التناسخية أو أهل التناسخ[١]:

وذلك لأن «النقطوية» تؤمن بعقيدة التناسخ، وتتعصب لها، وتعتقد أن

(١) التناسخ في اللغة إبطال شيء، وإقامة آخر مقامه. تقول العرب: «نسخت الشمس الظل»، والمعنى: أذهبت الظل، وحلّت محله. =

ذرات الأشياء لا تفنى أبداً، بل تظل باقية؛ والذي يتغير هو الشكل والصورة، فالشيء الواحد يصير حجراً حيناً، وطيناً حيناً آخر، وهكذا يتحول ذلك الشيء إلى حيوان أو إنسان. ويعرف بسلوك كل شيء وسيرته ماذا كان في حياته الأولى، ويسمون هذه المعرفة «الإحصاء» والعارف «المحصي».

٦ ـ الزنادقة أو أهل الزندقة:

سميت بهذا الاسم لأن «البسيخواني» أقدم على تفسيرات باطلة لآيات القرآن المجيد، كما أنشأ ضلالات، وانحرافات فيما بين المسلمين[١].

دخول النقطويين إلى الهند[٢]:

لقد أدى الانتشار السريع لهذه الفرقة ومبادئها الهدامة في «إيران» إلى قلق الحكام الصفويين، وتخوفهم من مغبة هذا الانتشار لما له من خطورة على الدين والدولة.

= وفي الاصطلاح: «عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر، من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد».
انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ١٨١)، تحقيق: الدكتور عبد السلام سرحان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، والتعريفات للجرجاني (٦١).

(١) انظر: تاريخي وأدبي مطالع (المطالعات التاريخية والأدبية) (ص٥، ٦).

(٢) بدأ توافد الإيرانيين إلى «الهند» منذ عهد «الملك همايون بن بابر المغولي» والد «الملك أكبر» إذ لم يتمكن من الصمود أمام هجمات «شيرشاه السوري» فغادر الهند ولجأ إلى «إيران» وطلب المساعدة من الشاه «طهماسب الصفوي» لاستعادة «الهند»، فأمده بجيوش وأموال، وأرسل معهم ابنه «ميرزا محمد» ـ الذي تولى السلطة في «إيران» بعد أبيه، ولقب بـ«خدا بنده» ـ واستطاع «همايون» استرداد مملكة «الهند» للمرة الثانية بمساعدة الجيش الإيراني، وبذلك فتحت أبواب «الهند» أمام الوافدين من «إيران» وسمح «الملك همايون» لعلماء الشيعة القادمين من «إيران» بنشر التشيع بين السنيين الهنود؛ إلا أن تدفق توافد النقطويين إلى «الهند» جاء نتيجة الاضطهاد من قبل الحكام الصفويين من جهة، وتزامن ذلك الاضطهاد توجيه دعوة «الملك أكبر المغولي» إلى النقطويين للقدوم إلى «الهند» من جهة ثانية، كما سيأتي.
انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم، للدكتور بديع جمعة (١٣٤، ١٣٥) الطبعة الأولى (١٩٧٦م)، دار الرائد العربي.

وتكمن هذه الخطورة في نشأة مثل هذه الفرقة وسط الجماهير العريضة التي تدين بالتشيع؛ وكانت الدولة الصفوية في «إيران» تحاول توحيد مذهب الدولة في التشيع وحده، لتوطيد دعائم الحكم في البلاد، وتحمل الناس على اعتناق هذا المذهب بقوة السيف؛ فلم يتقبلوا ـ أي الحكام الصفويون ـ حدوث هذا الشرخ في الجدار الذي تعتمد عليه الدولة، فقرروا ضرب هذه الحركة، وإبادة أتباعها عن بكرة أبيهم.

فتقدم «الشاه طهماسب»[(١)] لتنفيذ هذه الخطة فقتل كثيرين، وسمل أعين كثيرين أيضاً، كما ألقى بالبعض في غياهب السجون[(٢)].

ولما تولى السلطة «الشاه خُدَا بَنْدَه»[(٣)] استمر في السياسة المرسومة تجاه النقطويين، وقتل بعضاً منهم[(٤)].

وجاء بعد «خدا بنده» ابنه «عباس»[(٥)] فكان أشد من سابقيه بطشاً بأتباع

---

(١) هو الشاه طهماسب الأول ابن الشاه إسماعيل ابن السلطان حيدر الصفوي (٩١٩هـ ـ ٩٨٤هـ).
ولد في قرية «شهاباد» من «أصفهان» تولى عرش «إيران» بعد موت أبيه. وهو الملك الثاني للدولة الصفوية بعد أبيه «الشاه إسماعيل» توفي في «قزوين».
انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/ ١١٢، ١١٣).

(٢) ومن أبرز من قتل في عهد «الشاه طهماسب» «أبو القاسم أمر شاهي» الشاعر النقطوي، وأخوه «أبو تراب». وكان الأخير من المقربين إلى الملك، ومن أشهر العلماء في علم النقطة وأسرارها.

(٣) هو الشاه ميرزا محمد ابن الشاه طهماسب الأول الصفوي (٩٣٨هـ ـ ١٠٠٤هـ).
تولى السلطة بعد موت «الشاه إسماعيل الثاني» عام (٩٨٥هـ). وبعد صراعات وأحداث، اضطر الشاه محمد خدا بنده أن يخلع نفسه من السلطة، ووضع التاج على رأس ابنه «عباس» وذلك عام (٩٩٦هـ). «خدا بنده» كلمة فارسية بمعنى «عبد الله» وهي في قواعد اللغة الفارسية تركيب إضافي مقلوب. وقد اشتهر «ميرزا محمد» بهذا اللقب؛ لأنه اشتغل بالعبادة بعد ما كف بصره.
انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/ ١٦٣ ـ ١٨٣).

(٤) ومن أبرز من قتل في عهده «أفضل دوتاري» الشاعر النقطوي المشهور، والذي قتل في «إصفهان».

(٥) هو ميرزا عباس الأول ابن الشاه خدا بنده الصفوي (٩٧٨ ـ ١٠٣٨هـ). =

هذه الفرقة، فأعمل فيهم السيف وأباد منهم الألوف؛ إذ لم تكن هناك فرقة أشد وأخطر على البلاد في نظره من هذه الفرقة، فقام بعملية واسعة للتنكيل، والتقتيل، والتشريد[1].

ومن جهة أخرى أعلن المنجمون في مجلس «الشاه عباس» أن اقتران الكواكب العلوية بالسفلية يبين لنا أن حدثاً كبيراً على وشك الوقوع في الأرض، وهذا الحدث سيذهب بملك عظيم من الملوك؛ ويعتقد أن هذا الحدث سيقع في أرض «إيران» ففكّروا في اتخاذ التدابير اللازمة لتفادي هذا الحدث، وأعلن رئيس المنجمين «مولانا جلال الدين التبريزي» أن الحيلة الوحيدة لتفادي هذا الحدث هو استقالة الشاه من منصبه لمدة ثلاثة أيام التي يظهر فيها تأثير الاقتران، وتسليم السلطة إلى رجل وجب قتله؛ وبعد المشاورات وتداول الآراء استقر الرأي على تنفيذ هذه الحيلة، وأجريت القرعة على عدد من المجرمين الذين ينتظرون عقوبة الإعدام، لتسليمه سلطة الدولة في الأيام الثلاثة هذه، وخرج السهم باسم «يوسف تركش دوز» أكبر داعية النقطويين؛ وحسب توصية المنجمين ترك الشاه سلطته، ووضع التاج على رأس «يوسف» المذكور، وأمر الوزراء والأمراء وقادة الجيوش بطاعته؛ وبعد انتهاء ساعة الشؤم(؟) وزوال الخطر، استعاد الشاه عرشه[2]، وبطش بـ/ يوسف المذكور، وقتله، وزعم أن هذه الفرقة سبب الشؤم والنحسة على بلاده، وأعلن عن القتل العام لأتباع هذه الفرقة، وقتل «درويش خسرو»

= ولد في «هراة» ونشأ هناك، تولى عرش الدولة الصفوية بعد أن تنازل أبوه من السلطة عام (٩٩٦هـ)، وكان من أشهر ملوك الدولة الصفوية، وأعظمهم. توفي في «مازندران» ودفن في «كاشان».

انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/ ١٩٥ ـ ٢٢٢).

(١) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين (الفرقة النقطوية وتطورها في عهد الملك أكبر) للبروفيسور نذير أحمد (٥، ١١، ١٢)، جامعة عليگره الإسلامية، الهند.

(٢) تدل هذه القصة على معرفة المنجمين بالمغيبات والأمور المستقبلية، فهي قصة خرافية.

ـ أحد أشهر الدعاة ـ ولما وصل ـ أي الشاه ـ إلى «إصفهان» أخذ هناك أكبر زعيم النقطويين «مير سيد أحمد الكاشي»[1] وقتله بيده. وبسبب هذه الأحداث، واشتداد الوطأة على النقطويين هرب الكثير منهم أمام هذه البطشة الكبرى، ودخلوا «الهند»؛ إذ وجدوا فيها الملاذ الآمن، والحياة المستقرة، والمناخ الملائم لنشر أفكارهم وعقائدهم[2].

يقول الدكتور بديع جمعة: «وقد تعرضت هذه الدعوة ـ أي النقطوية ـ للتنكيل من قبل «الشاه طهماسب الأول» ولكن اضطراب الأحوال خلال سني «الشاه إسماعيل الثاني» و«السلطان محمد خدا بنده» ساعد على ازدهار تلك الدعوة من جديد. ولذا ما أن تولى «الشاه عباس» الحكم، واطلع على تفشي خطر النقطويين، حتى صمم على التخلص منهم، وتخليص البلاد من شرورهم، فأسرع على الفور إلى معرفة هذا المذهب للاطلاع عليه، ولمعرفة أسباب إقبال العامة على مبادئهم، ولكي يعرف السراديب السرية في دارهم، فوجدها مليئة بالخمر المعتَّقة، ومعدات اللعب؛ فأمر بإلقاء القبض على رؤسائهم، والفتك بكل من تبع هذا المذهب الهدام، ومن بين الذين ألقى القبض عليهم «درويش خسرو» و«يوسف تركش دوز»[3] وقد نفذ الشاه فيهما حكم الإعدام.

وعندما أدرك أتباع المذهب النقطوي بأنه لا بقاء لمذهبهم في «إيران» طالما كان «عباس» يتعقبهم، ويقضي عليهم، نجدهم يرحلون إلى «الهند»، ويعيشون في كنف حاكمها «جلال الدين محمد أكبر» الذي اتسم عهده

---

(١) هذا الداعية هو الذي وجّه إليه ملك «الهند» «أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر» (٩٤٩هـ ـ ١٠١٤هـ) مؤسس «المذهب الأكبري» خطاباً يستقدمه إلى بلاد «الهند»، كما سيأتي قريباً.

(٢) انظر: مآثر الأمراء لشاه نوازخان (٣/ ٢٤٣، ٢٤٤)، ترجمة: البروفيسور محمد أيوب قادري، مركزي أردو بورد، لاهور، پاكستان.

(٣) ذكر ـ أي الدكتور جمعة ـ في هامش كتابه قصة تنصيب «يوسف» المذكور ملكاً لإيران، ثم الفتك به بعد ثلاثة أيام.
انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/ ٢٧٤).

بالتسامح الديني[1]، والمساواة بين جميع أبناء آدم، دون النظر إلى مذهبهم أو جنسهم»[2].

ففي الوقت الذي كان يعاني فيه النقطويون الكثير من أنواع الاضطهاد والتعقب والقتل في «إيران» كان الملك «أكبر» يعتلي عرش مملكته في «الهند»، وكان وزيره «الشيخ أبو الفضل»[3] على صلة وثيقة بدعاة «النقطوية»، فأخذ يذكرهم أمام «الملك أكبر» ويستدر عطفه عليهم، وكانت سياسة «الملك أكبر» تقوم على أساس تقريب زعماء الأديان، والملل، والمذاهب إلى مجلسه، والتعرف عليهم، وبسط الود لهم ليتمكنوا من الإفصاح ـ في حرية ـ عن عقائدهم ومبادئهم التي يتمسكون بها. وقد سبق أن تأثر بآراء «النقطوية»، فوجه خطاباً مطولاً إلى زعيم النقطوية «مير سيد أحمد الكاشي».

واحتوى هذا الخطاب على عطف ومودة خالصة من «الملك أكبر» للنقطويين، والعلاقة الروحية التي تربط بينه، وبين «أحمد الكاشي» ولو بعدت المسافة الظاهرة، وذلك لوحدة الاتجاه، كما أن فيه دعوة حارة لقدومه إلى «الهند»، وثناء عطر على الداعية النقطوي المشهور «درويش خسرو» ـ شيخ الكاشي ـ و«السيد إسحاق» ودعوتهما للقدوم إلى «الهند». وطلب من «السيد أحمد الكاشي» أن يوصي جميع القادمين إلى «الهند» للذهاب إلى العاصمة المغولية، ومقابلة «الملك أكبر» مباشرة؛ لأن فيه مصلحة لهم. وقد تم إرسال خطاب الملك هذا إلى كبير دعاة «النقطوية» في «إيران» سنة (٩٩٤هـ)[4].

---

(١) يقصد الدكتور جمعة من «التسامح الديني» الدعوة إلى «وحدة الأديان» التي تبناها «الملك أكبر» تحت شعار «صلح كل» ـ أي المصالحة مع الجميع ـ وهي فكرة خبيثة كما يأتي تفصيل ذلك في الفصل السادس من هذا البحث ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) انظر: نفس المصدر (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥).

(٣) هو الشيخ أبو الفضل بن مبارك الناكوري (٩٥٨ ـ ١٠١١هـ).
العقل المدبر، والعضد الأيمن للملك «أكبر» كان نقطوياً، سيأتي التفصيل عنه في الفصل السادس من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٤) هذا الخطاب محفوظ في مكتبة جامعة «طهران» في قسم اللغة الفارسية، وقد حصل =

= «الدكتور نذير أحمد» على نسخة منه، ونشر ترجمة مفصلة باللغة الأردية في مقاله: «نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين» (ص١١ ـ ١٧). وفيما يلي أقدم ترجمة عربية لنص الخطاب كما جاء في اللغة الأردية:

«من حضرة الملك جلال الدين أكبر إلى الأمير أحمد الكاشي. الصلة الروحية، وقرابة الباطن، أساس العلاقات بين بعيدي النظر، وعارفي الحق، وأهل البصيرة. ما أسعد ذلك الشخص الذي يهذب علاقاته الروحية، ويستمر في عبادة ربه. أشكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ على أن هذه الحقائق لا تخفى على شجرة في بستان النبوة، وينبوع في الصحراء «صفي الدين أحمد الكاشي». وهذا العبد الفقير إلى جناب رب العزة والجلال على علم تام بمراتب أهل الحق، ولا ينبغي له أن انتابه القلق لبعد المسافة، بل نحن متقاربون من حيث وحدة الاتجاه والتربية الروحية. وقد ترسخ في قلبي حبُّ أهل «إيران» منذ عهد بعيد، وكم يسعدني أن تفوز هذه الجماعة المباركة بالسعادة الظاهرة والباطنة بالقرب مني، ويعيش الصغير والكبير منهم في ظل عاطفتي وحناني، ولو كان وجود هذا العارف للحقائق بين المعتقدين من الاتفاقات الحسنة، وأن الطبقة النجيبة قد ظفروا بالهداية من بركة هذا العارف، وكم يسعدني أن يشرف مجلسي ـ الذي تحل فيه المشاكل الدنيوية، والمسائل الأخروية ـ هذا المورد للفيض الغيبي، والطريق الإلهي[1] وذلك استمراراً للإرادة، والعقيدة.

وبشروا باتجاهاتنا الظاهرة، والباطنة إلى منبع العلم والحكم، إمام أهل الاعتقاد، قدوة أصحاب الأخلاق الفاضلة، والدرجات الرفيعة «سديد الدين درويش خسرو» والذي بلغنا عن فضله ومكانته عن طريق «أبي الفضل» الصادق القول والعارف بالرجال، فتوطن حبه في قلوبنا، وأننا راغبون في لقائه.

وما أسعد هذه الجماعة التي ترشد طلاب الدنيا إلى الحق، وتنير الطريق أمام المقلدين، وتكشف عن عيونهم الحجب، وتمنحهم أنوار التحقيق، ومعرفة الحق.

إضافة إلى ذلك أرجو من «رشيد الدين إسحاق» الذي يُعَدّ من كبار الفضلاء، وأشهر العلماء، والذي فاز بالمراتب العالية، وترقى إلى المنازل الرفيعة إن قدم إلى بلاطي، وانخرط في رجال حاشيتي فذلك حسن.

وأرجوكم أن تشعروا جميع النقطويين الذين يوجدون في تلك البلاد بأنه يسرنا أن نستقبلهم في مجلسنا، والذي يعتبر مرجعاً لأصحاب القلوب النيرة، وإن لم يتمكنوا من القدوم الآن، للموانع والحواجز، فالباب مفتوح للقدوم في أي وقت آخر.

ونظراً لبعد المسافة بيننا توخينا اختصار هذه الصحيفة». «٨ آذر ماه سنة ٩٤».

يمكنني أن أستخلص من هذه الرسالة الأمور التالية: =

---

(١) يقصد بذلك «مير أحمد الكاشي» داعية النقطويين الذي وجه إليه هذا الخطاب.

وبعد توجيه هذه الدعوة المباشرة إلى زعماء «النقطوية» وأتباعها للقدوم إلى «الهند»، فتح باب الهجرة على مصراعيه، فهاجر أفواج متعاقبة من النقطويين فراراً من الاضطهاد إلى «الهند»، ونشروا عقائدهم على نطاق واسع تحت عناية الملك وحمايته؛ إلا أن «مير سيد أحمد الكاشي» لم تتح له فرصة القدوم إلى «الهند»، وقتل سنة (١٠٠٢هـ) أي بعد ثماني سنوات من إرسال هذا الخطاب[١].

ثم إن «الملك أكبر» أقدم على خطوة أخرى لحماية النقطويين في «إيران» نفسها حيث بعث خطاباً إلى «الشاه عباس» ـ شاه «إيران» الصفوي ـ مباشرة، ويتلخص هذا الخطاب في دعوة الشاه إلى التسامح الديني، وعدم التعصب لمذهب على حساب مذهب آخر، والاحتجاج على استخدام العنف ضد النقطويين، كما أن فيه دعوة صريحة إلى مذهب «الملك أكبر» الجديد الذي أسسه تحت شعار «صلح كل» أي المصالحة مع الجميع، وهو الشعار الذي حمله الملك للتوحيد بين الأديان[٢][٣].

= ١ ـ صلة الملك «أكبر» العميقة بالحركة النقطوية في «إيران».
٢ ـ علاقة الحكام الصفويين في «إيران» بالحكام المغول في «الهند».
٣ ـ حب الملك «أكبر» وتقديره لكبار دعاة النقطوية وكثرة ثنائه عليهم، وتلقيبه لهم بألقاب تدل على تقديره لهم، وإعجابه بهم. وهم:
١ ـ مير أحمد الكاشي، الذي لقبه بـ صفي الدين.
٢ ـ درويش خسرو، الذي لقبه بـ سديد الدين.
٣ ـ السيد إسحاق، الذي لقبه بـ رشيد الدين.
٤ ـ دعوته لكبار النقطويين أولاً، ثم لكل النقطويين عموماً بالقدوم عليه، والعيش الرغيد في ظل مملكته.

(١) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين. (ص١٧).

(٢) يلاحظ أن هذا الخطاب بعث به «الملك أكبر» عام (١٠٠١هـ) بعد أن أخذ «المذهب الأكبري» شكله النهائي، إذ كان الإعلان عن هذا المذهب عام (٩٩٠هـ) ـ كما يأتي في الفصل السادس ـ فمن الطبيعي أن يدعو «الملك أكبر» «شاه إيران» إلى مذهبه.

(٣) نشر الدكتور نذير أحمد ترجمة بعض الفقرات من هذا الخطاب التي تتعلق بالتسامح الديني مع الفرقة «النقطوية»، والدعوة إلى مذهبه الجديد، وذلك في مقاله: فرقة نقطوي پر ايك طائرانه نظر (نظرة عابرة على الفرقة النقطوية) في مجلة «فكر ونظر» =

والخلاصة أن موجات هجرة النقطويين إلى بلاد «الهند» بدأت منذ وقت مبكر بعد تولي «الملك أكبر» السلطة سنة (٩٦٣هـ). وبلغت ذروتها بعد اضطهاد الحكام الصفويين لهم، وتوجيه الدعوة المباشرة من قبل «أكبر» إلى زعماء النقطويين؛ فهاجر عشرات الألوف منهم إلى «الهند»، وفي مقدمتهم كبار دعاتهم.

= (ص٤٨، ٤٩) في عدد يوليو سنة (١٩٦٠م) الصادرة من جامعة عليگره الإسلامية.
أيضاً في كتاب: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين. (ص٤٣ ـ ٤٥).
وقد تم إعداد خطابين للرد على خطاب الملك «أكبر» أحدهما شديد اللهجة، والثاني لينها، وهو الذي تم إرساله إلى الملك «أكبر» وتضمن هذا الخطاب بالإضافة إلى المسائل الداخلية والخارجية أمرين مهمين:
١ ـ تأكيد الشاه على أن إقليم «بخارى» والأقاليم الأخرى في بلاد ما وراء النهر ستلقى فيها الخطبة باسم الإمام الثاني عشر، وتضرب العملة باسمه أيضاً، وتروج اللعنة على أعداء الدين ـ يقصد بهم أهل السنة؛ لأن هذه المناطق لا يوجد فيها «الشيعة» ـ.
٢ ـ نقد الشاه شعار الملك «أكبر» «صلح كل» (أي المصالحة مع الجميع)، وذلك لأن كل نبي قاتل مخالفيه في زمنه، فلا يجوز الصلح مع الجميع.
انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين (ص٤٥).

المبحث الثاني

عقائدها وأشهر دعاتها

أ ـ العقائد:

بعد أن انتهيت من دراسة نشأة «النقطوية»، وتاريخ دخولها في «الهند»، أشرع في دراسة عقائدها، والترجمة لأشهر دعاتها. ومن خلال دراستي لهذه الفرقة، وتتبع آثارها، والاطلاع على كثير مما كتب عنها، يمكنني أن أتحدث عن أهم عقائد هذه الفرقة فيما يلي:

أولاً: الإيمان «بالإنسان الكامل» و«المركب المبين»:

يرى «محمود البسيخواني» أن جسمه خلق من جسم نبينا محمد ﷺ بعد حصول الكمال لجسمه ﷺ، فهو ـ أي محمود ـ أكمل جسماً، وأرفع شأناً وأعلى منزلة من نبينا محمد ﷺ، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[1] إشارة إلى ذلك، بأن المراد «بالمقام المحمود» الدرجة التي وصل إليها «محمود البسيخواني» وهي درجة الإنسان الكامل في أعلى مظاهرها[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

(٢) وهو تحريف سافر لمعنى الآية الكريمة. وقد ذكر الإمام الطبري قولين في تفسير «المقام المحمود». الأول: الشفاعة، والثاني: هو قعود النبي ﷺ على العرش. وقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح في الخبر عن رسول الله ﷺ» وساق الأحاديث على أن المراد «بالمقام المحمود» الشفاعة.

انظر: جامع البيان (١٥/ ١٤٤ ـ ١٤٨)، الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

ويرى أن «العناصر»[1] لما ارتقت وصلت إلى مرتبة «المعدن» وما يزال «المعدن» يترقى حتى تشكل في صورة «النبات» ولم يزل النبات يترقى أيضاً ليصل إلى «الصورة الإنسانية» وما زال الإنسان يترقى منزلة بعد أخرى حتى فاز بالمرتبة العليا، وظهر «الإنسان الكامل»، وهكذا كان الجسم الإنساني يسير منذ نبي الله آدم عليه السلام على أطوار الرقي والارتفاع حتى وصلت إلى «المرتبة المحمدية» ﷺ[2]، وما زالت «المرتبة المحمدية تترقى حتى ظهر شخص «محمود» في أعلى مظهر للكمال الإنساني، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ في قوله: «أنا وعلي من نور واحد»[3]، وفي قوله: «ولحمك لحمي، وجسمك جسمي»[4].

---

(١) يقصد بالعناصر، الأخلاط، وهي «الأسطقسات» عند اليونان، بمعنى «الأصل» وتسمى العناصر الأربع التي هي: الماء، والأرض، والهواء، والنار «أسطقسات»؛ لأنها أصول المركبات التي هي: الحيوانات، والنباتات، والمعادن.
انظر: التعريفات للجرجاني (١٨)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
والمقصود بالعناصر هنا «الطين» أي الأرض؛ لأن الطين أساس كل شيء في الفكر النقطوي.

(٢) ويجدر بالذكر هنا أن «المرتبة المحمدية» أو «الحقيقة المحمدية» أو «النور المحمدي» اصطلاحات بدائية لفلسفة «الإنسان الكامل»، و«المرتبة المحمدية» هي أعلى مظهر للإنسان الكامل عند القائلين بهذه الفكرة ما عدا «النقطوية» فهي ترى أن «الحقيقة المحمدية» أيضاً ما زالت في تطور ورقي حتى وصلت إلى «المرتبة المحمودية» وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الرابع إن شاء الله تعالى.

(٣) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ. وروى الإمام أحمد بسنده عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزئين، فجزأ أنا، وجزأ علي عليه السلام».
وقال عنه المحقق: موضوع، في إسناده «الحسن بن علي البصري» متهم بالكذب.
انظر: فضائل الصحابة (٢/ ٦٦٢، ٦٦٣ برقم: ١١٣٠)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ) جامعة أم القرى، مكة المكرمة. وأورده المحب الطبري، ونسبه لأحمد في المناقب.
انظر: الرياض النضرة (٣/ ١٢٠)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

(٤) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، وأخرج العقيلي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال =

ويرى «محمود» أن في مثل هذه الأحاديث إشارة واضحة إلى أن اجتمعت قوة وصفاء أجساد جميع الأنبياء، وخلق منها جسم النبي ﷺ وجسم «علي» رضي الله عنه، ثم التقت أجزاء هذين الجسمين في القوة والصفاء وخلق منها جسم «محمود البسيخواني»، فهو أعلى مظهر للكمال الإنساني[1].

وأما «المركب المبين» فهو وجه آخر لنظرية «الإنسان الكامل» عند «محمود البسيخواني» حيث يرى أن حياة التقشف والشظف، والانقطاع عن الدنيا، والابتعاد عن الزواج هي الحياة الفاضلة، وسُلَّم الارتقاء إلى المنازل العليا، والدرجات الرفيعة. ويسمى الأعزب «واحداً»، والواحد هو المرشح الوحيد للوصول إلى «المرتبة الواحدية»، وذلك بعد التجرد الكامل، والانقطاع التام عن الدنيا، فلا يأخذ منها إلا ما يقيم به عوده. وبعد الرياضة الشاقة، وتزكية النفس، واجتياز مراحل الارتقاء درجة بعد أخرى، يصل «الواحد» إلى «المرتبة الواحدية»، وتتجلى فيها الصفات الألوهية، ويسمونه «المركب المبين».

= لأم سلمة: «يا أم سلمة، إن علياً لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي» وفي إسناده «داهر بن يحيى الرازي»، قال عنه العقيلي: «كان ممن يغلو في الرفض، لا يتابع على حديثه»، وفيه أيضاً عباية الأسدي يشرب الذي وجده». وأما: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فصحيح من غير هذا الوجه.

انظر: الضعفاء الكبير (٢/ ٤٦، ٤٧)، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

وقال الحافظ ابن حجر: «داهر بن يحيى الرازي» رافضي بغيض، لا يتابع على بلاياه».

انظر: لسان الميزان (٢/ ٤١٣، ٤١٤) الطبعة الثانية (١٣٩٠)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

وأورده المتقي في الكنز، وفيه «أم سليم» بدلاً من «أم سلمة» ورمز للعقيلي في الضعفاء.

انظر: كنز العمال (١١/ ٦٠٧ برقم: ٣٢٩٣٦)، الطبعة الأولى (١٣٩٣هـ) مكتبة التراث الإسلامي.

(١) انظر: مذاهب الإسلام لمحمد نجم الغني (٥٧٣) رضا پبلي كيشنز، لاهور، پاكستان.

وعلى هذا وضع «محمود» كلمة النقطويين هكذا: «لا إله إلا المركب المبين» بدلاً من كلمة التوحيد[1].

والمقصود «بالمركب المبين» هو «الإنسان الواحد» الذي وصل إلى «المرتبة الواحدة» كما وضع في موضع قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] أنا «المركب المبين» ووضع في مكان البسملة عبارة «أستعين بنفسك الذي لا إله إلا هو».

يقول «محمود»: إن الإنسان يزال عبداً ما لم يعرف نفسه، وإذا عرف نفسه وصل إلى مرتبة الوحدة مع الله، ويرى أن ذاته تتمثل في أعلى مظاهر الشخص الواحد فهو «المهدي الموعود»، الذي تتجلى فيه صفات الإله، وشريعته ناسخة لشريعة محمد ﷺ.

وأما المتزوج فيسميه «أميناً» وهو لا يستحق «المرتبة الواحدة» بتاتاً، ويوصيه «محمود» بألا يقترب من المرأة إلا مرة واحدة في العمر، وإن لم يصبر على ذلك فمرتان في السنة، وإذا غلبت الشهوة أكثر، فبعد كل أربعين يوماً، أو كل أسبوع وهو الحد الأدنى[3].

ثانياً: الإيمان بالتناسخ:

تؤمن «النقطوية» بعقيدة التناسخ، وتتعصب لها، وتؤمن بوجود الذرات، وهذه الذرات هي مواد الأشياء وأصولها، وهي محدودة، لا تزيد

---

(١) يلاحظ أن كلمة النقطويين لا تضم ما يقابل الشطر الثاني لكلمة التوحيد في الإسلام، وهو «محمد رسول الله» وذلك بناء على «العقيدة الألفية» التي تقضي بانتهاء صلاحية نبوة محمد ﷺ وشريعته بعد ألف عام كما سيأتي.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٤).
- تاريخي وأدبي مطالع (٨، ٩).
- مجلة «فكر ونظر» (٣٩).

ولا تنقص، وباقية لا تفنى أبداً؛ والذي يتغير هو الشكل والصورة، فالشيء الواحد قد يصير حجراً، وقد ينقلب طيناً، وقد يتحول ذلك الشيء إلى حيوان أو إنسان وهكذا.

وتعتقد بقدم العالم، ولا تؤمن بالبعث والنشور، وتعتبر النعمة والراحة في الدنيا مكان الجنة؛ والشقاء والتعب والذلة مكان النار؛ وذلك جزاء على الأعمال الحسنة والسيئة.

ترى «النقطوية» أن الإنسان إذا مات يستحيل جسمه نباتاً، فإذا أكل هذا النبات إنسان أو حيوان آخر ينتقل هذا الإنسان إلى ذاك الإنسان أو الحيوان، وهذه العملية تستمر إلى ما لا نهاية، ويمكن للمختص في شؤون التناسخ معرفة عما كان هذا الإنسان في جسد حياته الأولى، وذلك بالتعرف على سلوكه وتصرفاته في جسد الحياة الثانية. ويسمون هذا المختص في الاصطلاح النقطوي بـ/ «المحصي» وعملية التعرف «الإحصاء»[١].

فإذا كان الإنسان مثلاً في حياته الأولى دجالاً محتالاً فبعد موته إذا تناسخ إلى حيوان يصير «سنجاباً» وإذا صار إلى النبات يصبح «بطيخاً»، وإذا نسخ إلى جماد يصير «حجراً»، وكان طائر «براعة»[٢] رجلاً للإضاءة في الحياة الأولى فتناسخ إلى هذا الطير. وكانت الكلاب في الحياة الأولى

---

(١) وكان «محمود البسخواني» يدعي ويؤكد أن جميع الأشياء الموجودة أمامه يمكنه أن يخبر عن ماضيها وكيف كانت في الحياة السابقة، وذلك بمجرد النظر إليه، والتعرف على سيرته.

وهذا يشبه ما يروى عن «فيثاغورس» ـ أحد فلاسفة اليونان ـ أنه رأى إنساناً يضرب كلباً، فمنعه عن ضربه قائلاً للضارب: «إنه تبين في عوائه صوت أحد أصدقائه، بل زعم أنه هو نفسه، كان في غيره ممن سبقوه، وأن روحه كانت في «هرمس» إله الحكمة، ومن ثم انتقلت منه إلى غيره حتى انتهت إليه».

انظر: الديانات والعقائد في مختلف العصور، لأحمد عبد الغفور عطار (١/ ٣٨٤)، الطبعة الأولى (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م)، مكة المكرمة.

(٢) نوع من الذباب ذو ألوان يطير في الليل في ذنبه شعاع كالسراج.

رجال «قزلباش»[1] والذنب الأعوج عند الكلب هو السيف الذي كان يحمله رجال «قزلباش»، وبعد التناسخ وصل إلى هذه الحالة.

وترى «النقطوية» أن الكمال في الحديد أن يقتل به ولي أو نبي، ويعتقدون أن الحسين ﷺ كان في حياته الأولى موسى ﷺ وكان يزيدُ فرعونَ، ففي الحياة الأولى أغرق موسى ﷺ فرعون في البحر، وفي الحياة الثانية انتقم يزيد من الحسين ﷺ فحرمه من ماء الفرات وقتله.

ويقولون: إن السود من الحيوانات، والنباتات، والجمادات كانوا بشراً سوداً، والبيض منها كانوا بشراً حسان الوجوه في حياتهم الأولى[2].

الثالثة: الإيمان بالعقيدة الألفية:

يرى «محمود» أنه بظهوره قد انتهى دور العرب، وابتدأ دور العجم، وبهذا انتهت صلاحية شريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ لأن مدتها ألف سنة.

وكان يرى أن مدة العالم ستة عشر ألف سنة، خلت منها ثمانية آلاف وبقي مثلها، وهو الحد الفاصل بين منتصف حياة الدنيا؛ وكان في الثمانية الآلاف الأولى ثمانية أنبياء مرسلون من العرب، وفي الثمانية الآلاف الآخرة سيظهر ثمانية من «المركب المبين» وهم من العجم، وهو الأول منهم، وذلك بناء على أن النبي المرسل الأخير للدور الأول كان محمد ﷺ. وهذا الدور مدته ثمانية آلاف سنة، وهو دور العرب، والألف الثامن والأخير منها

---

(١) «قزلباش» اسم لقبائل في «إيران» وكانت الجيوش وكبار القادة في الدولة الصفوية من هذه القبائل. وهم يمثلون «الإنكشاريين» في الدولة العثمانية التركية.

(٢) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٤، ٥٧٥).

ـ مقال: فرقه نقطوي پر إيك طائرانه نظر (نظرة عابرة على الفرقة النقطوية) بقلم الدكتور نذير أحمد في مجلة «فكر ونظر» (ص٣٧، ٣٨) عدد يوليو، لسنة (١٩٦٠م) جامعة عليگره الإسلامية، الهند.

مدة نبوة نبينا محمد ﷺ وقد انتهت؛ وفي الثمانية الثانية يكون دور العجم في تحمل أعباء الدعوة[1].

وكان دعاة النقطويين بعد قدومهم إلى بلاط الملك «أكبر» يناظرون علماء البلاط على «العقيدة الألفية» ويستدلون بكتابات «محمود البسيخواني» أن في سنة (٩٩٠هـ) يظهر شخص يدعو إلى الدين الحق، ويمحو الباطل، ويؤكدون أن الملك «أكبر» هو هذا الشخص[2]، وذلك في إشارة واضحة إلى «العقيدة الألفية» بأن الألف الثاني تتطلب شريعة جديدة، وشارعاً جديداً، وهذه العقيدة كانت أكبر باعث لإنشاء «المذهب الأكبري»[3] كما سيأتي.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «إن للعقيدة الأساسية التي نادى بها «محمود البسيخواني» وهي أن الدين الإسلامي أصبح منسوخاً، فلا مناص من قبول الدين الجديد الذي جاء به «محمود» وإن الإسلام قد استنفد دوره، وقضى عمره، فمسّت الحاجة إلى دين جديد، صلةً خاصة بالعمل التجديدي الذي قام به الإمام السرهندي[4]، ويدل إعلان هذا الدين الجديد وظهوره في القرن العاشر على وجود هذه «العقيدة الألفية» لديهم، وأنهم ـ منذ طلوع الألف الثاني ـ يبدأون بحركتهم ودعوتهم بجد واجتهاد»[5].

رابعاً: بدع ومنكرات أخرى:

يزعم النقطويون أن القرآن الكريم من تأليف نبينا محمد ﷺ،

---

(١) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج «أكبر» كےعهد مين (ص٧).
ـ فكر ونظر (٣٧).

(٢) يلاحظ أن هذه السنة وهي عام (٩٩٠هـ) شهدت الإعلان عن «المذهب الأكبري»، كما سيأتي في الفصل السادس من هذا البحث، إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٣) انظر: فكر ونظر (٥٠، ٥١).

(٤) هو: أحمد بن عبد الأحد السرهندي، المعروف بـ مجدد الألف الثاني (٠٠٠ ـ ١٠٣٤هـ) سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن من هذا البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٥) انظر: الإمام السرهندي حياته وأعماله (٥٨)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار القلم، الكويت.

والأحكام الشرعية، هي آراء الرجال. ويستهزؤون بالصلاة، والحج، والأضحية. وإذا رأوا أحد المسلمين في الصلاة يقولون: إذا كان الله في السماء فما الفائدة لوضع الرأس على الأرض، فهل يقبل العقل ذلك؟ وإذا رأوا الحجيج يسعون بين الصفا والمروة، يقولون: ماذا ضاع عن هؤلاء، يجرون للبحث عنه. وإذا رأوا حيوانات الأضاحي، يسألون المسلمين، ماذا فعلت بكم هؤلاء البهائم؟ وعلام تقتلونهم؟.

لا يرى النقطويون وجوب الاغتسال من الجماع، ويقولون: لماذا يجب الاغتسال من خروج المني، وهو بذرة خلق الإنسان، ولا يجب من خروج البول والبراز، وهما من النجس، ويسمون شهر رمضان شهر الجوع والظمأ، ويسخرون من أحكام الطهارة والغسل، ولا يؤمنون بحرمة النساء المحرمات، وينكرون الأمور المأثورة، ويدعون إلى الأمور العقلية.

ولهم دعاء خاص يرددونه عند شروق الشمس، وعند التقاء أتباع «النقطوية» يردد كل واحد لفظ الجلالة «الله» «الله» بدلاً من إلقاء التحية المسنونة[١].

ب ـ أشهر دعاتها:

لقد انخرط في سلك الدعوة «النقطوية» دعاة كثيرون لعبوا دوراً فعالاً وأدوا مهمات شاقة في تبليغ هذه الدعوة، مما كُتِب لها الانتشار والتطور في «إيران» و«الهند» وبلاد أخرى مجاورة، وأكتفي هنا بذكر الدعاة النقطويين الذين قدموا إلى بلاد «الهند» وساهموا في نشر هذه الدعوة في ربوعها، ومنهم:

١ ـ «شريف الآملي»:

هو «سيد شريف الآملي»[٢] أحد العلماء البارزين في العلوم الحكمية،

---

(١) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (الدين الإلهي وخلفيته) للبروفيسور محمد أسلم (١٨٢ ـ ١٨٤)، الطبعة الثانية (١٩٧٠م)، ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.
ـ الإمام السرهندي (٥٩، ٦٠).

(٢) لم تذكر المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها عن أنساب الدعاة النقطويين شيئاً، لعل =

ومن أوائل زعماء «النقطوية» الذين غادروا «إيران» وتوجهوا إلى بلاد «الهند»، ولعبوا دوراً نشطاً في نشر هذه الفرقة في ربوع بلاد القارة الهندية.

كان «الآملي» من الأمناء ـ حسب الاصطلاح النقطوي ـ ومن الدعاة النشطين، وارتمى آلاف من الناس في أحضان هذه الفرقة بفعل جهوده، ولما تولى «الشاه عباس» السلطة في «إيران» وتعقب النقطويين، واضطهدهم، وأعلن إهدار دمائهم، وقتلهم قتلاً عاماً، هرب من «إيران» إلى «بلخ»، فنجي بنفسه[1]، والتجأ إلى زاوية أحد المشائخ الصوفية، وظَلَّ يعيش هناك في مظهر المتصوفة، ولم يستمر هناك فترة طويلة لما يحمل من الشطحات والكذب والافتراء فغادر «بلخ» متوجهاً إلى «الدكن» ـ البلاد الجنوبية للهند ـ وكانت بلاد «الدكن» آنذاك يسيطر عليها التشيع، فلما وصل إليها «شريف الآملي» استقبله أهلها كعالم شيعي كبير قادم من «إيران» وبالغوا في الحفاوة به، ثم لما عرف الناس ما في عقائده من زيغ وضلال، قصدوا لإيذائه وتعذيبه؛ وأراد حكام بلاد «الدكن» أن يقتلوه، ولكنهم أعرضوا عن القتل، وأركبوه حماراً، فطافوا به، وشهروا به[2].

وعلى إثر ذلك قرر مغادرة «الدكن» والتوجه إلى شمال الهند، ووصل إلى منطقة «مالوه» واجتمع حوله جماعة من ملاحدة «العراق»، وادعى «الآملي» أنه مجدد المائة العاشرة، وكان «الملك أكبر» موجوداً في هذه الأيام في منطقة «مالوه» وبلغه عن وصول «الآملي» في هذه المنطقة ـ وكان يعرفه من قبل ـ فبعث إليه للقدوم إلى مجلسه، فلما قدم رحب به، وأكرمه، وعقد مجلساً للمناظرة مع علماء البلاط، فناظرهم حول عقائد «محمود البسيخواني» وغلب عليهم، فأكرمه الملك، ووصله بأعطيات وهبات[3].

= السبب في ذلك قدومهم من «إيران» وجهل الناس بأنسابهم.

(١) انظر: نزهة الخواطر (٥/١٦٦).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٥٩، ٦٠).

ـ دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٧٦، ١٧٧).

(٣) انظر: مآثر الأمراء (٣/٢٤٣).

وكان «الملك أكبر» يعامله معاملة المريد لشيخه، وكان ـ أي شريف الآملي ـ يستدل بكتابات «محمود البسيخواني» على ظهور «الدين الجديد»(؟)، ويرغب الملك فيه، ويستميله إليه، وأخبره بتنبأ «محمود» أنه سوف يظهر في عام (٩٩٠هـ) رجل يمحو الباطل، ويقيم الدين الحق[١][٢].

كان الملك أسند إليه قيادة الجيش، وعينه حاكماً في «كابل» إثر وفاة حاكمها «مرزا محمد حكيم»، وذلك سنة (٩٩٠هـ). كما عينه حاكماً في إقليم «البنغال» في سنة (٩٩٩هـ). وكان من أخص أصحاب «الملك أكبر» وأصدقائه، وكان ينوب عن الملك في مخاطبة أتباع «الدين الإلهي»[٣] والمعتقدين فيه[٤].

وتوثقت أواصر الصداقة بينه وبين وزير الملك «الشيخ أبي الفضل»، وكان ـ أي شريف الآملي ـ سبباً في انحراف «أبي الفضل» عن جادة الصواب، واعتناقه عقائد «النقطوية» وحمل «الملك أكبر» عليها، ووجد في مكاتبات «أبي الفضل» أحد عشر خطاباً باسم «شريف الآملي» مما يعكس متانة العلاقة بين الرجلين[٥].

يقول «شاه نوازخان» عن «الآملي» أنه: «اشتغل بالتصوف، وبيان الحقائق، وخلطه بالزندقة والإلحاد، وادعى نظرية «وحدة الوجود» وكان يقول عن كل شيء إنه الله»[٦].

ألف كتاباً باسم «ترشح ظهور» على غرار كتاب «بحر وكوزه»

---

(١) انظر: فكر ونظر (ص٤٩).

(٢) يلاحظ أن هذه السنة هي التي تم الإعلان فيها عن «المذهب الأكبري» وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل السادس إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٣) هو المذهب الذي أسسه «الملك أكبر».

(٤) انظر: الإمام السرهندي (٦٠).
ـ نزهة الخواطر (٥/١٦٦).

(٥) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٧٤).

(٦) انظر: مآثر الأمراء (٣/٢٤٢)

«المحمود البسيخواني» ويحتوي على شطحات كثيرة[1].

توفي في مكان «موهان» من أرض «الهند»، ودفن هناك[2]، ولم أعثر فيما تيسر لي من مراجع على تاريخ وفاته، ومن الواضح إنه كان معاصراً للملك «أكبر» وأمضى شطراً كبيراً من حياته في ظل حكمه.

٢ ـ مير تشبيهي الكاشي:

اسمه «علي أكبر» من منطقة «كاشان» كان من أسرة كريمة عريقة، وكان يعيش منذ صباه في أوساط الشعراء، فتأثر بهم، وبدأ يقول الشعر حتى أصبح شاعراً مشهوراً، وهو في مقتبل شبابه، ولكن سرعان ما انقلب إلى حياة التجرد ولم يدم طويلاً على هذه الحالة إذ تلقفه دعاة «النقطوية» فاعتنق آراء «محمود البسيخواني». وبعد ارتمائه في أحضان «النقطوية» اختار طريق الإلحاد والزندقة؛ وألّف الرسائل في الدعوة إلى الإلحاد، وكان يتنقل بين «إيران» و«الهند» داعياً إلى «النقطوية»، وفي نهاية المطاف استقر في مجلس «الملك أكبر»، وكان يؤكد ـ كنظيره شريف الآملي ـ أن الشخص الموعود الذي سيظهر عام (٩٩٠هـ)، هو «الملك أكبر»، ويستدل على ذلك بكتابات «محمود البسيخواني»[3].

نظم قصيدة في مدح «الملك أكبر» طلب فيها القضاء على أهل التقليد[4]، والانتهاء منهم حتى يتوحد الناس على الحق[5] ـ على حد زعمه ـ، وألّف في العقيدة النقطوية كتاباً وبعث به إلى «الشيخ أبي الفضل» جاء في مستهله: «بالله المحمود في كل فعاله، أستعين بنفسك الذي لا إله إلا هو، الحمد لله الذي وجد نعمه بوجود كلياته، وأظهر وجود

---

(١) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (ص١٧٨).
(٢) انظر: نزهة الخواطر (٥/١٦٦).
(٣) انظر: تاريخي وأدبي مطالع (٣٣، ٣٤).
(٤) كانوا يسمون المسلمين بـ«أهل التقليد» و«المقلدين».
(٥) انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج «أكبر كےعهد مين (ص١٨، ١٩).

الكليات عن نفسه... وهو يعلم نفسه، ولا نعلم نفوسنا، ولا هو كون، لا كائن إلا به، وكان لا يكون بغيره، وهو أرحم الراحمين»[1].

يقال: إنه التزم الصمت في آخر حياته، دام عشرين سنةً، وتوفي في سنة (١٠٣٦)[2].

٣ ـ مولانا صوفي مازندراني:

في أيام شبابه غلبته رغبة السفر والسياحة فوصل من «إيران» إلى «العراق»، وانخرط في حلقات الصوفية، وبقي مدة يمارس الرياضات الصوفية، ويأخذ البيعة ممن يرغب الانتساب إلى طريقته؛ ثم تأثر بالشعراء، وتحول إلى ميدان الشعر، واشتهر في قرضه. وبعد مضي فترة من الزمن غادر «العراق» ورجع إلى «إيران» واستقر في إقليم «شيراز» وهنا اعتنق الدعوة «النقطوية»، وترقى فيها حتى أصبح من زعمائها المشهورين، وازداد أتباعه ومريدوه بشكل هائل، كما اشتهر عنه الإلحاد والزندقة حتى أن كل من يتردد عليه اتهم بالإلحاد، وكانت قصائده الشعرية مليئة بأفكاره الإلحادية؛ ولما بدأت ملاحقة النقطويين من قبل الحكام الصفويين، غادر «إيران» خوفاً من بطشهم، وتوجه إلى «الهند» مع جماعته وأتباعه، واستقر في «أحمد آباد» من إقليم «كجرات»، وتوفي هناك[3].

٤ ـ باقر الكاشي:

أحد دعاة «النقطوية» المشهورين، وكان من قصته أن «الشاه عباس» أثناء ذهابه من «قزوين» إلى «أصفهان» توقف في «كاشان»، وألقى القبض هناك على زعيم النقطويين «مير سيد أحمد الكاشي» وقتله بيده، كما أصدر أمراً بقتل جماعته، وكان منهم «باقر» المذكور، وبعد مقتل «أحمد الكاشي»

---

(١) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (ص١٨٠).
(٢) انظر: تاريخي وأدبي مطالع (٣٣، ٣٤).
(٣) انظر: تاريخي وأدبي مطالع (٣٤، ٣٥).
ـ فكر ونظر (٥٣، ٥٤).

أمر الشاه بنهب بيته، والاستيلاء على محتوياته، فمن جملة الأشياء التي تم العثور عليها خطاب «الباقر» المذكور، مما يقوي الظن لنقطويته، فصدر أمر الشاه بإعدامه مع الجماعة، ولما جاء دوره للقتل بدأ يعتذر للشاه وقال في اعتذاره: إنه ليس من النقطويين بل يحب واحداً منهم، وهو لا يصدقه في حبه إلا إذا انتسب إلى فرقته[1] فصدق الشاه كلامه، وأصدر عفواً عنه، فأفرج عنه، وبعد إطلاق سراحه توجه إلى «الهند» واستقر في البلاد الجنوبية لها[2].

بالإضافة إلى هؤلاء كان هناك دعاة آخرون قدموا «الهند» من «إيران» ولهم دور في نشر هذه الفرقة في أوساط المسلمين في هذه البلاد. ومنهم:

١ ـ حياتي الكاشي[3].

٢ ـ وقوعي نيشابوري[4].

٣ ـ حكيم عباد الله الكاشاني[5].

---

(١) جاء في بعض المصادر أن الذي كان يحبه هو ولد «السيد أحمد الكاشي» زعيم النقطويين.

(٢) انظر: تاريخي وأدبي مطالع (٣٥، ٣٦).
ـ فكر ونظر (٥٤، ٥٥).

(٣) كان من الدعاة الذين فروا إلى «الهند» أمام بطش الحكام الصفويين بعد أن قضى سنتين في السجن، وبعد الإفراج عنه قصد إلى «شيراز» ومن هناك توجه إلى «الهند» عام (٩٨٦هـ)، واستقر في إقليم «أحمد نكر»، وتوفي هناك عام (٩٩٣هـ).
انظر: الإمام السرهندي (٥٩).

(٤) اسمه «محمد شريف»، كان من الشعراء المشهورين، وكان في الطور الأول من حياته باطنياً، ثم اعتنق «النقطوية»، وكان سباقاً إلى الإلحاد، وراسخ العقيدة في التناسخ. زار مرةً أحد أصدقائه، ورأى أكواماً من الحجارة خارج خيمته فقال: حتى متى تنتظر هذه الأحجار لتتناسخ إلى حيوانات؟.
انظر: تاريخي وأدبي مطالع (٣٣، ٣٤).
ـ فكر ونظر (٥٢، ٥٣).

(٥) كان مقيماً في «لاهور» وقدم على الملك «جهانكير» وحصل على منحة ملكية.
انظر: فكر ونظر (٥٥).

٤ ـ عبد الغني يزدي[١].

٥ ـ مير مؤمن أدائي[٢].

٦ ـ تقي پير زاده[٣].

٧ ـ ثاني خان الهروي[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) كان مقيماً في «آغرا» ـ عاصمة الدولة المغولية ـ قدم مرة على الملك «جهانكير» فجرى على لسانه: «لا إله إلا المركب المبين» ـ كلمة النقطويين ـ بدلاً من التحية الإسلامية.
انظر: تاريخي وأدبي مطالع (٣٧).

(٢) كان من الشعراء المشهورين، توفي بعد قدومه «الهند» بـ ثلاثين عاماً.
انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين (٢١، ٢٢).

(٣) أصله من «مازندران»، وكان أبوه مقيماً في «المشهد»، كان محرراً من تعاليم الشرع، وملحداً، غادر «إيران» وسكن «الهند».
انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين (٢٢).

(٤) اسمه «علي أكبر» كان من الزعماء النقطويين الذين كانت لهم مكانة مرموقة في مجلس «الملك أكبر»، وكان يستدل بكتابات «محمود البسيخواني» أن الشخص الموعود الذي سيظهر عام (٩٩٠هـ) هو شخص «الملك أكبر» ـ على حد زعمه ـ.
انظر: نقطوي مذهب اور اس كا عروج أكبر كےعهد مين (٢٢).

المبحث الثالث

آثارها

إن «النقطوية» فرقة إلحادية كانت نشأتها الأولى في «إيران» ودخلت إلى شبه القارة الهندية خلال القرن العاشر الهجري. وكان من الطبعي أن تنشأ هذه الحركة الإلحادية ومثيلاتها في «إيران»، فمن المعروف تاريخياً أن بلاد «إيران» كانت موئل الفرس، وموطن المجوسية؛ كما كانت من قبل موطناً لكثير من العقائد والنحل القديمة كالزرادشتية، والمانوية، والمزدكية وغيرها؛ لذا فإنه من الطبعي أن تنشأ فيها حركات إلحادية ضالة مثل «النقطوية».

وبقيت «النقطوية» في «إيران» ثم اتسع نشاطها فدخلت إلى شبه القارة الهندية خلال القرن العاشر الهجري على أيدي دعاتها الكبار، أمثال: «شريف الآملي» و«وقوعي النيشابوري» و«مير تشبيهي الكاشي» وغيرهم كما أوضحت من قبل.

ولقد حمل دعاة «النقطوية» معهم إلى الأرض الجديدة كل ما حوته «النقطوية» من مبادئ وأفكار منحرفة ضالة هدفها القضاء على العقيدة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين في شبه القارة الهندية.

وأبرز آثارها الخبيثة يمكن إجمالها فيما يلي:

١ ـ زعزعة العقيدة الإسلامية:

إن نشأة أية فرقة منحرفة في أوساط المسلمين تَضُرُّ بهم، وتغزوهم في أعز ما يملكونه، وهو العقيدة الصحيحة، ونشأة فرقة إلحادية كهذه لا يخفى

أثرها في المسلمين، وخاصة أنها قدمت من «إيران» وهي في نظر أهل «الهند» آنذاك تمثل «يونان الشرق» في منطقها وفلسفتها، والدعاة النقطويون الذين هاجروا إلى «الهند» كانوا بارزين في قواعد المنطق، وعلوم الفلسفة، مما سهل عليهم التأثير في نفوس المسلمين.

ومن جهة أخرى كان هؤلاء الدعاة يعيشون في كنف «الملك أكبر» سلطان «الهند» بلا منازع، وتحت عنايته ورعايته، ويتقلدون منه مناصب عالية في الدولة من قيادة الجيش، وإدارة البلاد وغير ذلك من الوظائف الحساسة التي ينظر إليها عامة الناس نظرة تقدير واحترام، ينفثون في نفوس العامة سموم الإلحاد والشعوبية حتى يكرهوا الرسول العربي ﷺ والقرآن العربي، ويسخرون من شرائع الإسلام من صلاة وصيام وحج حتى تهون مكانتها في قلوب المسلمين، ويضعف أثرها في نفوسهم.

وفي الوقت ذاته كانوا يمجدون «الملك أكبر» ويضفون عليه صفات التبجيل والاحترام باعتباره الشخص الموعود، والرجل المنتظر، الذي سيظهر في منتهى القرن العاشر الهجري، ويتحمل أعباء الدعوة الجديدة، وذلك بنشر «العقيدة الألفية» القائلة بانتهاء صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من هجرة المصطفى ﷺ لكي يمهدوا الطريق، ويذللوا العقبات أمام «الملك أكبر» في إعلان مذهبه الجديد، وشريعته الجديدة[١].

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «ويمكن أن يقدر من خلال هذه الشواهد التاريخية ما قامت به «الحركة النقطوية»، وأنصارها في «الهند» من بسط النفوذ، وتجهيز عرش الدولة لدين جديد، وعهد جديد على طلوع الألف الثاني... وكانوا في حاجة بعد هذه الخطوة التمهيدية إلى شخصية قوية، تملك السلطة، وتتولى زمام البلاد، ولم يكن هناك شخص أجدر،

---

(١) انظر: فكر ونظر (ص٤٩).
- الإمام السرهندي (٦٠).
- نزهة الخواطر (٥/١٦٦).

وأحق بهذه المسؤولية - في نظرهم - من «الملك أكبر»[1].

٢ - أثرها في تنظير المذهب الأكبري وتحضيره:

تقدم قبل قليل أن دعاة «النقطوية» مهدوا الطريق أمام «الملك أكبر» لإعلان مذهبه الجديد، وذلك بالتشكيك في صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من ظهوره، وإثارة كره الناس تجاه رسول الإسلام محمد ﷺ وكتاب الله تعالى برفع شعارات تنادي بأفول مجد العرب، وبزوغ فجر جديد يسود فيه مجد العجم؛ وفي نفس الوقت زودوا الملك بالأفكار الرئيسة التي تقوم عليها «الحركة النقطوية» وهي بمثابة الخطوط العريضة التي قام عليها «المذهب الأكبري». وقام بهذا الدور - بالذات - من الدعاة النقطويين: «مير شريف الآملي»، «وقوعي نيشابوري»، «مير تشبيهي الكاشي» بالإضافة إلى الوزير والعضد الأيمن للملك «الشيخ أبو الفضل» - الذي كان قد ارتمى في أحضان «النقطوية» من قبل، وأصبح من دعاتها وحماتها -.

ويتبين ذلك جليًا بالمقارنة بين عقائد «النقطوية» والمرتكزات الأساسية التي اعتمدت عليها «الأكبرية» وهي كما يلي:

١ - تؤمن «النقطوية» بعقيدة «التناسخ»، ولا تتصور الثواب والعقاب بدونها، وكان «الملك أكبر» قد سبق أن اعتنق عقيدة «التناسخ» باحتكاك وتأثير رجال الدين الهندوسي؛ ولما أكد عليها النقطويون وقدموا لها أدلة - على حد زعمهم - ترسخت هذه العقيدة في قلبه. ولما قدم على الملك حاكم «البنغال» قال له: «نحن عثرنا على دلائل قطعية على صحة التناسخ، وسيخبرك «الشيخ أبو الفضل» عنها[2].

٢ - كانت «النقطوية» لا تؤمن بالبعث والنشور، وهكذا كان «الملك أكبر» لا يؤمن به، بل كان يستهزأ بالأمور الغيبية[3].

---

(١) الإمام السرهندي (٦٠، ٦١).
(٢) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٥).
(٣) نفس المصدر (١٨٥).

٣ ـ تزعم «النقطوية» أن القرآن الكريم تأليف نبينا محمد ﷺ وهكذا كان «الملك أكبر»، كما قال: «جهانكَير» ـ وهو نجله وخليفته من بعده ـ قال: «لقد لقن «الشيخ أبو الفضل» والدي أن خاتم النبيين محمداً ﷺ كان أفصح الناس، وأن القرآن الكريم من تأليفه، ولذلك أوعزتُ إلى «نرسنكه ديو» ـ أحد قادة الهندوس ـ عند عودة «أبي الفضل من البلاد الجنوبية أن يقتله، وكان والدي بعد ذلك قد تاب من هذه العقيدة»(١).

٤ ـ كان الدعاة النقطويون أمثال: «مير شريف الآملي» وغيره يغالون في عقيدة «وحدة الوجود» وهكذا كان «الشيخ أبو الفضل» وغيره من دعاة «المذهب الأكبري» غالياً في هذه العقيدة، وهو الذي كان يهتف قائلاً: «كل ديانة في الدنيا تقول: أنت وحدك لا شريك لك، إن كان جامع كانت هناك جماعة تناجيك بالصلاة، أو كنيسة كانت أجراس تقرع لشرفك، أزور أحياناً الجامع، وآونة الكنيسة، وفي كل معبد لا أنشد إلاك»(٢).

٥ ـ تؤمن «النقطوية» بـ«الإنسان الكامل» و«المركب المبين» وتعتقد فيه الألوهية، وتعبده، وهكذا كان «الملك أكبر» يرى أن رؤية وجوه السلطان عبادة، وأنهم يسمون بـ«ظل الله» ورؤيتهم تذكر في الحقيقة بالخالق ويتبادر في الذهن عندها ظل القادر المطلق؛ كما أن مريديه يسجدون له سجدة التحية والتعظيم، ويرونها سجوداً لإله النور(٣).

٦ ـ كانت «النقطوية» تؤمن «بالعقيدة الألفية» بأن الدين الإسلامي ستنتهي صلاحيته بانتهاء ألف سنة من ظهوره؛ وهكذا كان «الملك أكبر» يتبنى هذه العقيدة، وبناء عليها أقدم على إنشاء «المذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي»(٤).

---

(١) انظر: مآثر الأمراء (٣/ ٤٤).
(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي لستودارد (٤/ ٣٠٦).
(٣) انظر: الإمام السرهندي (١٠٢، ١٠٧).
(٤) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).

٧ ـ تذهب «النقطوية» إلى الإلحاد والإباحية؛ وأثرَ عن الشيخ أبي الفضل ـ أكبر مُنَظِّر للمذهب الأكبري ـ أنه قال: «يميل قلبي إلى أن أسير في وادي الإلحاد مدة من الزمن»، فقال له صديق له: «لو نبذت عقد النكاح لكان أفضل»[١].

وكان أخوه الكبير «الشيخ فيضي»[٢] معروفاً بآرائه الإلحادية، يقول عنه «العلامة صدِّيق حسن خان القنوجي»: «وكان فيضي على طريقة الحكماء، وكذا إخوانه «أبو الفضل» وغيره كانوا معروفين بانحلال العقائد، وسوء التدني، والإلحاد، والزندقة، نعوذ بالله منها»[٣].

٨ ـ عند التقاء النقطويين يرددون لفظ الجلالة «الله» «الله» بدلاً من إلقاء التحية المسنونة، ويردد أتباع «المذهب الأكبري» عند التقائهم كلمة «الله أكبر» ويردون بالقول: «جل جلاله»[٤].

٩ ـ يوجد عند النقطويين دعاء خاص، يقرؤنه عند شروق الشمس، وكان «الملك أكبر» أيضاً يعظم الشمس، ويردد دعاء عند طلوعها[٥].

١٠ ـ لا ترى «النقطوية» الاغتسال من الجنابة، وكان «الملك أكبر» أيضاً قد أسقط الغسل عن أتباعه من الجنابة[٦].

١١ ـ تؤمن النقطوية بالأمور العقلية، وترفض المأثورة، وكان «أكبر» يقول: «إذا أردتم أن تسألوا عن شيء معقول، فأتوا عندي، وإذا أردتم أن تعرفوا أمور الشرع، فاذهبوا إلى المُلائين، يقول ذلك سخرية، ويقصد بهم الفقهاء[٧].

---

(١) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٧).
(٢) هو الشيخ أبو الفيض فيضي بن مبارك الناگوري (٩٥٤هـ ـ ١٠٠٤هـ)، أحد دعاة «المذهب الأكبري»، سيأتي التفصيل عنه في الفصل السادس إن شاء الله.
(٣) انظر: أبجد العلوم (٣/ ٢٢٥)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
(٤) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).
(٥) انظر: الإمام السرهندي (١٠١).
(٦) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).
(٧) نفس المصدر والصفحة.

١٢ ـ ترى «النقطوية» أن أمور الشرع من وضع الرجال، وكان «الملك أكبر» يعتبرها مجموعةً من السفاهات، وأن واضعيه أعراب فقراء من جزيرة العرب، كانوا مفسدين في الأرض، وقطاع طرق[١].

١٣ ـ كان النقطويون يسخرون من الحج ومناسكه، وهكذا «الملك أكبر» قد أسقط فريضة الحج عن أتباعه، فإذا تجرأ أحد وطلب إذن السفر لأداء فريضة الحج كان مصيره الموت المحقق[٢].

١٤ ـ ترى «النقطوية» أن شهر رمضان شهر الجوع والعطش، وكان «الملك أكبر» يأمر مريديه، وحاشيته أن يأكلوا ويشربوا في نهار رمضان، وإن لم يرغبوا في الأكل والشرب أن يضعوا أوراق «التنبول»[٣] في أفواههم[٤].

ويمكن القول أن للنقطوية أثراً كبيراً في تنظير «المذهب الأكبري» وأن أفكار «الفرقة النقطوية» هي الهيكل الفكري الحقيقي الذي بنيت عليه جزئيات «المذهب الأكبري».

---

(١) الإمام السرهندي (١٠٨).

(٢) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٦).

(٣) «التنبول» عبارة عن أوراق خضراء يأكلها أهل الهند عامة، ويضاف إليها لب «الفوفل» و«نورة الصدف»، ومن البهارات ذي الرائحة الزكية.

(٤) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (١٨٨).

المبحث الرابع

النقطوية في الميزان

وفي هذا المبحث أتناول عقائد هذه الفرقة بالتقويم في ضوء الكتاب والسنة، وعقيدة السلف الصالح، فأقول وبالله التوفيق:

أولًا: الإنسان الكامل والمركب المبين

الإنسان الكامل:

«هو البرزخ بين الوجوب والإمكان، والمرآة الجامعة بين صفات القدم، وصفات الحدثان، وهو الواسطة بين الحق والخلق، وبه وبمرتبته يصل فيض الحق، والمدد الذي هو سبب بقاء ما سوى الحق إلى العالم كله، علواً وسفلاً، ولولاه لم يقبل شيء من العالم المدد الإلهي»[(١)(٢)].

تقدم ـ في المبحث الثاني ـ أن هذه العقيدة تقوم عند «النقطويين» على أساس الفكر التطوري، حيث يزعمون أن الإنسان في أصل تكوينه لم يظهر على صورته المعروفة دفعة واحدة، وإنما تطور من عنصر الطين إلى عنصر المعدن، ثم إلى عنصر النبات، ثم إلى الصورة الإنسانية، فكان آدم عليه السلام ثم استمر الإنسان في الرقي منذ آدم حتى وصل إلى «المرتبة المحمدية»، فكان

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا (١/١٥٧) طبعة (١٩٨٢م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان.

(٢) وهناك تعريف آخر ذكره «الجرجاني» تركته لطوله مع أنه لا يختلف كثيراً في مضمونه عما نقلته عن صاحب المعجم الفلسفي.
انظر: كتاب التعريفات (٣٠).

نبينا محمد ﷺ، ثم أخذت هذه «المرتبة المحمدية» في الرقي حتى وصلت إلى صورتها المثلى، وهي «المرتبة المحمودية» في أعلى مظهر للكمال الإنساني، وهو «محمود البسيخواني» ـ مؤسس الفرقة النقطوية[1].

إن فكرة «الإنسان الكامل» فكرة قديمة تذهب جذورها في عمق التاريخ، وتتمثل هذه الفلسفة في الفكر اليوناني القديم، في تفسير معنى «الكلمة». فقد استعمل الفلاسفة القدماء هذا اللفظ ـ أي الكلمة ـ بمعنى «القوة العاقلة المنبثة في جميع أنحاء الكون»؛ ويعني بها الروح الإلهي الظاهر أثره في كل ما في الوجود الخارجي من حياة وصيرورة.

واستعملها «الرواقيون»[2] ـ من فلاسفة اليونان ـ بمعنى «العقل الفعال، المدبر للكون، أو العقل الكلي الذي يمد العقول الجزئية بكل ما فيها من نطق وعلم».

وقد استعمل «اليهود» «الكلمة» بمعنى «كلمة الله» ويصفونها بأنها حافظة للكون مدبرة له، وبأنها مصدر الوحي والنبوة؛ ويسمونه «البرزخ بين الله والعالم» ويسمى «بالإنسان الأول» و«الخليفة» و«حقيقة الحقائق» و«الشفيع» و«الإمام الأعظم» وما إلى ذلك.

وفي الفلسفة «المسيحية» أخذت «الكلمة» معنى «ابن الله وصورته» وهو الروح السارية في الكون، والواسطة في خلق العالم مشخصة في صورة المسيح، وهذه الفلسفة ممزوجة بالفكر اليوناني، واليهودي، في معنى «الكلمة» بأنها «القوة العاقلة المدبرة» أو «القوة الأزلية القديمة السابق وجودها وجود المسيح»، وعليه «فالابن» هو هذه القوة العاقلة التي كانت في العالم قبل تجسيدها في الصورة الناسوتية، وهو مصدر الحياة، والوجود، كما أنه

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٣).

(٢) الرواقية: مذهب «زينون» وأصحابه من فلاسفة اليونان، وسموا بالرواقيين لأن زينون الفيلسوف صاحب هذا المذهب كان يعلم تلاميذه في رواق.
انظر: المعجم الفلسفي (١/ ٦٢٢).

مصدر العلم والوحي، وهو الذي تكلم بلسان موسى ﷺ وغيره من الأنبياء[1].

ويذهب «نيكلسون» إلى أن اصطلاح «الإنسان الكامل» ورد عند المسلمين في فكر «ابن عربي»[2] لأول مرة. ويرى «الدكتور مصطفى كامل الشيبي» أنها وردت للمرة الأولى في رسائل «إخوان الصفا»، وقد استفادها «ابن عربي» منهم؛ إذ أن عبارة «الإنسان الكامل» قريبة من «الإنسان الفاضل» المتصل «بالمدينة الفاضلة الروحانية» التي يرد ذكرها في رسائل «إخوان الصفا» باعتبار المثل الأعلى للمجتمع الروحي المترابط الخالي من شوائب النقص، إلا أن «ابن عربي» غيّر العبارة فوضع «الإنسان الكامل» بدلاً من «الإنسان الفاضل» وذلك تمييزاً عن الاصطلاح الشيعي.

ويرى «الشيبي» أن «ابن عربي» لم يكن أصيلاً كل الأصالة في ابتكار هذا التعبير؛ لأنه مأخوذ أيضاً من رسائل «إخوان الصفا»، وقد وردت عبارة «الكامل» تالية لعبارة «الفاضل» في الرسائل في معرض وصف النبي ﷺ الذي هو «الإنسان الكامل» عند الصوفية، وهو نفسه «الإنسان الفاضل» عند الإسماعيليين في الرسائل، وأورد العبارة التالية من الرسائل: «... ولما رأيناك ـ المقصود المريد الإسماعيلي ـ بهذه الصفة، وعرفناك بهذه المعرفة،

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٣٨، ١٣٩)، الطبعة الأولى (١٩٨٦م)، معهد الإنماء العربي.

(٢) هو: أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بـ محيي الدين بن عربي (٥٦٠هـ ـ ٦٣٨هـ).
أحد كبار مشائخ الصوفية. ولد في «مرسية» «بالأندلس» وانتقل إلى «إشبيلية» زار بلاد الشام، والروم، والعراق، واستقر في «دمشق». له مؤلفات كثيرة، من أشهرها: «الفتوحات المكية» و«مفاتيح الغيب» و«فصوص الحكم». قال عنه الإمام الذهبي: «فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر». توفي في «دمشق».
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٤٨، ٤٩).
ـ لسان الميزان لابن حجر (٥/٣١١ ـ ٣١٥)، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

لم يحل لنا، ولا وسعنا في ديننا أن نكتمك النصيحة، ولا نؤدي إليك الأمانة، لئلا ترانا بعين الخيانة، وليصح عندك قول نبينا الصادق الفاضل، السيد الكامل: «سافروا تغنموا»[١].

وعند البحث في التراث الصوفي نجد أن الكلمة قد استخدمت في التصوف قبل «ابن عربي» وذلك عند «سهل التستري»[٢] و«الحسين بن منصور الحلاج»[٣]، إذ أشار الأخير إلى أن «الاسم الأعظم» يشير إلى رحمة الله الجامعة المتمثلة في النبي محمد ﷺ، وهذا التعريف للاسم الإلهي الأعظم «بالحقيقة المحمدية» و«النور المحمدي» هو الذي عبر عنه ـ أي الحلاج ـ بقوله: «أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم [أي أنوار الأنبياء] من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور، وأظهر وأقدم من القدم سوى نور صاحب الكرم، همته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، واسمه سبق القلم؛ لأنه كان قبل الأمم»[٤].

وقال أيضاً: «لم يزل كان، كان مشهوراً قبل الحوادث، والكوائن،

---

(١) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبي (٤٦٤، ٤٦٥)، الطبعة الثانية (١٩٦٩م) دار المعارف بمصر.

(٢) هو: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري (٢٠٠هـ ـ ٢٨٣هـ)، أحد مشايخ الصوفية وأئمتهم. له كتاب «تفسير القرآن العظيم» و«رقائق المحبين».
انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٤٢٩، ٤٣٠)، دار الثقافة، ببيروت.
ـ سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢).

(٣) هو: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الفارسي البيضاوي الصوفي (٠٠٠ ـ ٣٠٩هـ).
أصله من «فارس» ونشأ في العراق، كان يدعي الألوهية، ويقول بالحلول. وكان يتنقل في البلاد، وينشر دعوته. له مؤلفات كثيرة من أشهرها: «طاسين الأول»، «الأحرف المحدثة والأزلية»، «هو هو» و«كيف كان وكيف يكون» وغيرها، قتل في بغداد.
انظر: تاريخ بغداد (٨/ ١١٢ ـ ١٤١).
ـ وفيات الأعيان (٢/ ١٤٠ ـ ١٤٦).
ـ سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣ ـ ١٥٤).

(٤) انظر: كتاب الطواسين للحلاج، طاسين السراج (ص١١)، نشره: لويس ماسينيون، باريس طبعة (١٩١٣م).

والأكوان، ولم يزل كان مذكوراً قبل القَبْل، وبعد البعد، والجواهر، والألوان»[1].

وهكذا يرى «التستري» أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما أراد أن يخلق محمداً ﷺ خلق من نوره نوراً، وهو نور النبي ﷺ. وهذا الإفراد للنبي ﷺ بخلق مخصوص، يسبق خلق بقية ذرية الجنس البشري. فنور النبي ﷺ هو أول الذرية، ومن نوره كانت أنوار الأنبياء، ونور الملكوت، ونور الدنيا والآخرة»[2].

دليلهم في ذلك ـ على حد زعمهم ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾[3] والحديث: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين»[4].

وهو ـ أي الإنسان الكامل ـ ما عبر عنه «الحكيم الترمذي»[5] بنظرية «خاتم الأولياء» وخلاصة هذه النظرية:

«أن يخلق [الله] إنساناً مقدساً هو سر الكون، وهو الغاية التي يهدف إليها، فمن أجله خلق الخلق، ومن أجله نشأ الكون، وظلَّ هذا الخلق يتدرج في مراتب الكون خطوة خطوة، درجة فدرجة حتى بلغ به غاية الكمال، وجمع له ما وهب لكل من أتى قبله، فكان «خاتم الأولياء»

---

(١) انظر: كتاب الطواسين (ص١٢).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم للتستري (ص٤٠، ٤١، ٤٧)، نقلاً عن الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٣٩، ١٤٠).

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٦.

(٤) وهو حديث موضوع، كما سيأتي بعد قليل.

(٥) هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن، المعروف بـ الحكيم الترمذي (٠٠٠ ـ ٣٢٠هـ).
من أئمة الصوفية وعلمائهم، أول من ابتكر نظرية «ختم الولاية». ومن أشهر مصنفاته: «ختم الولاية» و«علل الشريعة» و«نوادر الأصول»، توفي في «بلخ».
انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/٤٣٩ ـ ٤٤٢).
ـ لسان الميزان (٥/٣٠٨ ـ ٣١٠).

و«المثل الأعلى» الذي كان يهدف إليه الخلق والكون، فهو أمين الأولياء وخاتمهم، وهو الصورة المثلى للإنسان، انتهى إليها الكون أبداً، وبدأ سرُّ خلقها، وتقديسها أزلاً، هي موضع نظر الله من الخلق منذ النشأة الأولى إلى النشأة الآخرة، وهي موضع حبه، ووحيه، وحديثه، وأنسه»[1].

وخاتم الأولياء في فكر «الحكيم الترمذي» هو «الإنسان الكامل». كما يقول «الدكتور عبد الفتاح بركة»: «وظاهر كلام الترمذي أن الخاتم مقام يستحقه الولي حيث يناوله مفاتيح الكرم، وخزائن المنن، والمفروض على هذا أن يكون محمد ﷺ خاتم الأولياء، فهو صاحب المقام المحمود، وصاحب المغفرة، كما هو خاتم الأنبياء، على هذا يكون المراد بالخاتم «الإنسان الكامل»[2].

وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجري أطَلَّ محيي الدين بن عربي «ناقلاً هذه النصوص الصوفية، وخرج بها بمصطلح «الإنسان الكامل»، كما أشار إليه بمصطلحات أخرى، أمثال: «النسخة الجامعة»، «حقيقة الحقائق»، «أصل العالم»، «روح العالم»، و«مرآة الحق والحقيقة» وغير ذلك. يقول في أحد المواضع من «فتوحاته»: «وهو (أي الإنسان الكامل) كلمة الجامعة، وأعطاه الله من القوة بحيث أنه ينظر من النظرة الواحدة إلى الحضرتين: فيتلقى من الحق، ويلقي إلى الخلق»[3].

فتبين مما سلف أن فلسفة «الإنسان الكامل» وجدت عند المسلمين في الفكر الشيعي والصوفي، إلا أن هناك فرقاً جوهرياً بين الفكرتين في تحديد الكمال الإنساني، وتعميمه، حيث يذهب الفكر الشيعي إلى أن الكمال في الإنسان هو وراثة أو سلالة بمعنى أن «الإنسان الكامل» هو الإمام، وهذه

---

(١) انظر: المعرفة عند الحكيم الترمذي لعبد المحسن الحسيني (٢٩٥، ٢٩٦)، دار الكاتب العربي، القاهرة.

(٢) انظر: الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية (٢/ ٣٦٥، ٣٦٦) من مطبوعات المجمع البحوث الإسلامية، عابدين، القاهرة.

(٣) انظر: الفتوحات المكية (٢/ ٤٤٦)، دار صادر، بيروت.

الإمامة تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالنص الواضح؛ فأول «الإنسان الكامل» عندهم نبينا محمد ﷺ ثم علي رضي الله عنه وبنوه وينتهي إلى «الإمام المنتظر». ولذلك كثرت الفرق عندهم لتفرع السلالات[1].

بينما يرى الفكر الصوفي أن الكمال في الإنسان مشاع لكل مؤهل، فعبارة «الإنسان الكامل» تطلق عندهم باشتراك لفظي فيطلق على النبي ﷺ بالذات والأصالة، وعلى كل من تماهى بالصفات المحمدية، ونال الكمال تحققاً، وليس ذاتاً. وصفة هذا الكمال تتمثل عند الصوفية في مفهوم «القطب»[2] و«صاحب الوقت» و«الخلافة الباطنة» وغيرها من الاصطلاحات الصوفية[3].

خلاصة الكلام أن فكرة «الإنسان الكامل» فكرة قديمة وجدت في الفكر اليوناني القديم بمعنى «القوة العاقلة» و«العقل الفعال»، وعرفت في الفكر اليهودي بمعنى «البرزخ بين الله والعالم» كما جاءت في الفكر المسيحي بمعنى «ابن الله وصورته».

وأخذ الشيعة هذه الفكرة من تلك الفلسفات، والملل السابقة، واستفادوا بها في نظريتهم عن «الإنسان الفاضل»، ثم انتقلت إلى «ابن عربي» فطورها إلى «الإنسان الكامل».

وعلى رأي آخر أن الصوفية الأوائل استعملوها بمعنى «النور المحمدي» و«الحقيقة المحمدية» و«خاتم الأولياء»، ثم تكاملت الفكرة عند «ابن عربي» وصاغها وخرج بمصطلح «الإنسان الكامل»، وكل من جاء بعده

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٤٦).

(٢) وقد يسمى «غوثاً» باعتبار التجاء الملهوف إليه، وهو عبارة عن الواحد الذي هو نظر الله في كل زمان، أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه، وهو يسري في الكون، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزنه يتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق»... إلى غير ذلك من الصفات.
انظر: التعريفات للجرجاني (١٧٧).

(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية (١/١٤٤، ١٤٦).

أخذها منه، ومنهم «محمود البسيخواني»، ولا غرو في ذلك ـ وقد تقدم ـ أن «محمود البسيخواني» بدأ رحلاته من القدس وزار بلاداً كثيرة، فمن غير المستبعد أن يكون قد وقف على أفكار «ابن عربي» واستفاد منها، ما دام قد تجول في «بلاد الشام»؛ ثم إن هذه الفرقة ـ أي النقطوية ـ إيرانية لحماً ودماً، و«إيران» موطن التشيع، ولفلسفته جذور عميقة في هذه البلاد، و«محمود، البسيخواني» ولد منها، ونشأ وتربى فيها، وتتلمذ على «فضل الله الاسترآبادي» ـ مؤسس الفرقة الحروفية ـ وهي فرقة شيعية ـ كما تقدم ـ فمن البدهي تأثره بالفكر الشيعي، ويتأكد هذا الظن في إرجاع جسد علي رضي الله عنه إلى جسد النبي ﷺ في الكمال، واستدلاله بالأحاديث الموضوعة في مناقب علي رضي الله عنه والتي هي مرجع الشيعة دائماً.

و«محمود البسيخواني» كمنظر لفرقة لم يأت بـ جديد حول محور «الإنسان الكامل» إلا بتعديلات لفظية ـ إن صح التعبير ـ تتسق مع مبادئ الفرقة النقطوية، ارتكازاً على أن النقطة ـ أي الطين ـ أساس كل شيء، وادعاء الكمال الإنساني لنفسه الذي فاق كل كمال.

ثم إن اصطلاح «المركب المبين» الذي ابتكره «محمود البسيخواني» ليس بجديد أيضاً، فقد سبقه إليه «أبو الحكم بن بَرّجان»[1]. وقد عبر عن الإنسان الكامل «بالإمام المبين» والذي عبر عنه «محمود» «بالمركب المبين»[2].

وبعد هذا العرض أقول: إن عقيدة «الإنسان الكامل» و«المركب المبين» عقيدة فاسدة مرفوضة من الشرع والعقل؛ لأن الكمال المطلق لله وحده ـ سبحانه وتعالى ـ وله الجلال والعظمة والكبرياء. والإنسان مهما بلغ من العلم والفضل لا يبلغ إلى درجة الكمال المنزه من الشوائب والنقص.

---

(١) هو: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمٰن الإشبيلي (٠٠٠ ـ ٥٣٦هـ).
من صوفية الأندلس، وهو ممن تلقى عنهم «ابن عربي» أفكاره وفلسفته، كما سيأتي في الفصل السادس إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفة العربية (١/ ١٤٢).

كما أن ما يجعلونه من مميزات «الإنسان الكامل» من كونه الواسطة بين الحق والخلق، وهو سبب بقاء العالم، وهو مصدر كل علم ومعرفة وما إلى ذلك من الأوصاف التي يذكرونها للإنسان الكامل، ففيه كفر صريح، وخروج عن الإسلام، كما لا يخفى.

وإذا نظر الباحث إلى الأسس والقواعد التي بنيت عليها عقيدة «الإنسان الكامل» يجد أنها قواعد منهارة، وأسس واهنة.

ففكرة «النور المحمدي» أو «الحقيقة المحمدية» التي وضعت عليها عقيدة «الإنسان الكامل» فكرة خاطئة، والأدلة التي ذكروها من الكتاب والسنة لا تدل على مرادهم، فالاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[1] لا يصح.

روى الطبري بسنده عن قتادة في قوله: «داعياً إلى الله» أي إلى شهادة أن لا إله إلا الله؛ وقوله: «بإذنه» يقول: بأمره إياك بذلك، و«سراجاً منيراً» يقول: وضياءً لخلقه، يستضيئ بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده». «منيراً» يقول: ضياءً ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره، وإنما يعني بذلك أنه يهدي به من اتبعه من أمته»[2].

وقال الحافظ ابن كثير في معنى هذه الآية: قوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: داعياً للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك. ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: وأمرك ظاهر فيما جئت به من الحق، كالشمس في إشراقها، وإضاءتها، ولا يجحد إلا معاند»[3].

وأما الحديث: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» فهو حديث موضوع. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«يغلط كثير من الناس في قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٦. (٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢/ ١٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣١)، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الشعب، شارع قصر العيسى، القاهرة.

رواه ميسرة قال: «قلت: يا رسول الله متى كنت نبيّاً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[1]. فيظنون أن ذاته ونبوته وجدت حينئذ، وهذا جهل، فإن الله إنما نبأه على رأس أربعين من عمره، وقد قال له: ﴿بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[2]، وقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾[3]. وفي الصحيحين: «إن الملك قال له ـ حين جاءه ـ اقرأ. فقال: لست بقارئ ثلاث مرات»[4].

«ومن قال: إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى إن الله كتب نبوته، فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم، وقبل نفخ الروح فيه، كما أخبر أنه يكتب رزق المولود، وأجله، وعمله، وشقاوته، وسعادته، بعد خلق جسده، وقبل نفخ الروح فيه[5].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه في المناقب، باب ما جاء في فضل النبي ﷺ بلفظ: «متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد» وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه (١٠/ ٧٧، ٧٨ برقم: ٣٦٨٨)، المطبوع مع التحفة.
ـ والإمام أحمد في مسنده بلفظ: «متى جعلت نبياً؟... إلخ. (٤/ ٦٦) و(٥/ ٣٧٩)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
والحاكم في المستدرك من حديث ميسرة الفخر بتمام اللفظ، وصححه، ووافقه الذهبي (٢/ ٦٠٨، ٦٠٩) مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣. (٣) سورة الضحى: الآية ٧.

(٤) وهو من حديث «بدأ الوحي» الطويل من رواية أم المؤمنين عائشة ﵂، رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدأ الوحي، بلفظ: «ما أنا بقارئ» (١/ ٢٣ برقم ٣)، المطبوع مع فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
ـ ومسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ١٣٩ ـ ١٤٢ برقم: ٢٥٢)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (١٣٧٤هـ)، دار الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

(٥) كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يُجمع خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح»... الحديث. =

كما في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أحمد وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «إني عبد الله وخاتم النبيين».

وفي رواية: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل[(١)] في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاءت منه قصور الشام»[(٢)].

«وكثير من الجهال المصنفين وغيرهم يرويه: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» و«آدم لا ماء ولا طين»، ويجعلون ذلك وجوده بعينه، وآدم لم يكن بين الماء والطين، بل الماء بعض الطين لا مقابله»[(٣)].

وقد نقل الشيخ ناصر الدين الألباني كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على «البكري» ما نصه:

«لا أصل له [أي للحديث المذكور] لا من نقل، ولا من عقل، فإن أحداً من المحدثين لم يذكره، ومعناه باطل؛ فإن آدم ﷺ لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.

ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذ موجوداً، وأن ذاته

= رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة (٦/ ٣٠٣، برقم ٣٢٠٨).

(١) المنجدل: من الجدالة، وهي الأرض. والمنجدل الذي قد ألقي على الأرض، والمراد أن آدم ﷺ كان بعد لم يُصَوّر، ولم يخلق.
انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٨/ ٥٤٥)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٧، ١٢٨).
- والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠)، وصححه، ووافقه الذهبي.
- وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير «سعيد بن سويد» وقد وثقه ابن حبان، (٨/ ٢٢٣)، الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٨٢، ٢٨٣)، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمٰن بن قاسم، تنفيذ: مكتبة النهضة الحديثة، طبعة (١٤٠٤هـ)، القاهرة.

خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث فيه أنه كان نوراً حول العرش، فقال: يا جبريل: أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل»[1].

وهكذا نظرية «ختم الولاية» التي سبقت فكرة «الإنسان الكامل» نظرية باطلة، لا يدل عليها شرع، ولا عقل، وليس هناك منصب يسمى بـ/ خاتم الأولياء، وهو مقام مبتدع في الإسلام، ليس عند المسلمين منصب «ختم الولاية»، وأن الذي ابتدعه أول ما ابتدعه هو «الحكيم الترمذي» ـ كما سلف بيانه ـ فالقول به وحده بدعة وضلالة، فكيف إذا اقترن بالكفر الصريح، والذي يزعم فيه مُدَّعُوه أنه المشكاة والمصدر الذي يستمد منه كل ولي ونبي العلوم الباطنة، وأنه يأخذ عن الله مباشرة؛ لأنه يأخذ العلم من معدنه، ولا شك ما في هذا الكلام من كفر وزندقة. ومما يدل على بطلان هذا المنصب، وكذب مدعيه محاولتهم منافسة النبي ﷺ في مقام ختمه للنبوة؛ وإن هذا المنصب قد ادعاه أكثر من واحد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «لفظ «خاتم الأولياء» لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره «محمد بن علي الحكيم الترمذي». وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء: «كابن حَمَوَيه»[2] و«ابن عربي»، وبعض الشيوخ الضالين «بدمشق» وغيرها؛ وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعاً في رياسة «خاتم الأولياء» لما فاتتهم رياسة «خاتم الأنبياء»، وقد غلطوا، فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك «خاتم الأولياء»، فإن أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ﷺ، ثم

---

(١) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٣١٦، ٣١٧، برقم: ٣٠٢)، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ)، مكتبة المعارف، الرياض.
(٢) لعله: عبد الله بن عمر بن علي بن محمد ابن حمويه الصوفي (٥٧٢هـ ـ ٦٤٢هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٣/٩٦، ٩٧).

عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وخير قرونها القرن الذي بعث فيه النبي ﷺ ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم. و«خاتم الأولياء» في الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء، ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر رضي الله عنه اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما»[(١)].

وقال أيضاً: «وقد ظنت طائفة غالطة أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء قياساً على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشائخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا «محمد بن علي الحكيم الترمذي»، فإنه صنف مصنفاً غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن «خاتم الأولياء» أفضل من «خاتم الأنبياء» من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما يزعم ذلك «ابن عربي» صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص» فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله ـ تعالى ـ وأوليائه»[(٢)].

فتبين مما سبق أن القواعد التي بنيت عليها عقيدة «الإنسان الكامل» قواعد منهارة، فبنيانها لا أساس له من الشرع ولا من العقل، ولا يوجد في الإسلام منصب أو مقام يسمى بـ«الإنسان الكامل» أو «المركب المبين»، بل هو من ابتداع النحل الضالة نقلاً عن الفلسفات والأديان القديمة.

ثانياً: الإيمان بالتناسخ[(٣)]

والتناسخ عقيدة شاعت بين الأمم القديمة، مؤداها أن روح الميت

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٤٤).

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٤٢)، نشرها: قصي محب الدين الخطيب، طبعة (١٣٨٧هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.

(٣) وقد تقدم تعريف التناسخ في (ص٥٤، ٥٥)، ويسمى أيضاً: تكرار المولد، تجوال الأرواح، التقمص، التجول، وتداول الأرواح.

تنتقل إلى موجود أعلى أو أدنى لتنعم، أو تعذب، جزاء وفاقاً لما فعلته أثناء تعلقها بالجسم السابق[١].

أنواع التناسخ:

وعقيدة التناسخ عند بعض معتنقيها[٢] تأتي على أربع مراتب: النسخ، والمسخ، والرسخ، والفسخ.

١ ـ أما النسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر.

٢ ـ وأما المسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم حيوان.

٣ ـ وأما الرسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجر والنبات والجماد.

٤ ـ وأما الفسخ: فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها[٣].

ولعقيدة التناسخ جذور ضاربة في أعماق التاريخ، وأول ظهور لهذه العقيدة كان عند القدماء المصريين، حيث كان المصريون القدماء يعتقدون أن هناك حياة ثانية للإنسان، وأن في مقدور الإنسان أن يعود إلى الحياة بعد موته؛ لأن الموت رقود في القبر إلى أن تعود روح الميت، فترتدي جسدها من جديد، وهذا ما جعلهم يبنون «الأهرامات» من أجل هذه الأجسام، إذ أنهم ـ أي المصريين القدماء ـ كانوا يعتقدون أن في كل جسم حي تستقر قرينة تأوي إليه كما يأوي الطير إلى وكره[٤].

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي (١/ ٢٤٦).

(٢) وهم: النصيرية.

(٣) انظر: فرق معاصرة للدكتور غالب عواجي (١/ ٣٥٢)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) مكتبة لينة.

(٤) انظر: تناسخ الأرواح أصوله وآثاره للدكتور محمد أحمد الخطيب (١٥)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ) مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن.

فقد كانوا يرون أن الإنسان يشمل في تكوينه كائنين روحيين، هما: (ألكا) و(ألبا). فأما (ألكا) عندهم فهو القرين الذي يولد من الإنسان في صورة أثيرية للجسم، وفي شكل أصغر منه، وأنه يحيى حياة منفصلة عن الجسم أثناء حياته على الأرض، فإذا حلّت في الإنسان ظاهرة الموت فإن (ألكا) يتحد بالجسم في القبر محاولاً بذلك أن ينقل إليه القوة الحيوية التي يحصل عليها من الاغتذاء بالأطعمة، ومن هنا جاءت فكرة تقديم القرابين في القبور ليتغذى عليها (ألكا)، فإذا تحلل جسم المتوفى وبُلِيَ امتنع على (ألكا) تحقيق الهدف من اغتذائه فهلك هو أيضاً.

أما (ألبا) فهي الروح التي تجعل في جسم الإنسان قابلية الحياة، إذ يموت الفرد إذا فارقت جسده وانقطعت صلته بها، وكان «الفراعنة» يمثلون (ألبا) في صورة أو على شكل طائر له رأس إنسان في حجم صغير يهبط من السماء كلما شعر بالحنين إلى الجسد الذي أقام فيه أثناء حياته على الأرض، فيحوم فوق «مومياء» الجسد رغبة منه في العودة[١].

وهكذا الأديان القديمة الهندية[٢] تتفق كلها على القول بتناسخ الأرواح وتجوالها بين الأجساد ضمن قانون الجزاء الذي يسمونه بـ«كارما». فالأرواح حسب نظريتهم في التناسخ لا تموت، ولا تفنى، فهي أبدية الوجود، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغضّها، ولا ريح تيبسها، ولكنها تنتقل من بدن إلى بدن، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق، وتترقى النفس في الأبدان المختلفة، كما يترقى الإنسان من طفولة إلى شباب، إلى كهولة، إلى شيخوخة[٣].

ويعود سبب التناسخ عند الهندوس إلى أمرين اثنين، وهما:

---

(١) نفس المصدر (١٥، ١٦).

(٢) من هندوسية، وجينية، وبوذية، والديانة الهندوسية هي الأصل في الديانات الهندية الأخرى.

(٣) انظر: ضحى الإسلام (١/٢٣٨).

١ ـ أن الروح قد خرجت من الجسم، ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي، لم تتحقق بعد.

٢ ـ أنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة في علاقتها بالآخرين لا بد من أدائها، فلا مناص إذاً أن تستوفي شهواتها في حيوات أخرى، وأن تتذوق الروح ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها السابقة.

فالميل يستلزم الإرادة، والإرادة تستلزم الفعل في هذا الجسد، وإن لم يصلح هذا ففي جسد غيره، فإذا لم يبق للإنسان شهوة ما وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثماً، ولم يقم بحسنة تستوجب المثوبة، نجت روحه، وتخلصت من تكرار المولد، وامتزجت «بالبراهما»[١].

فمصير الروح في نظرية التناسخ عند الهنادكة يحدده سلوكه. يقول: «الدكتور رادا كرشنا»: «الذين يتمتعون بسلوك جيد هنا سيدخلون رحماً جديداً؛ إما رحم براهمين أو كساتريا، أو فايسيا. ولكن من يتمتعون بسلوك شائن هنا فسيدخلون رحماً منحطاً؛ إما رحم كلب، أو رحم خنزير، أو رحم أحد المنبوذين»[٢].

فالذي يعيش الآن في رغد، وبحبوحة مرتاح البال، مميزاً عن غيره، فذلك لأنه كان في حياته السابقة شخصاً صالحاً؛ لا يؤذي أحداً، ولا يعتدي عل أحد. والذي يعيش في طبقة أدنى، أو في جسد عليل، يشقى به؛ فذلك لأنه كان في حياته السابقة شخصاً فاسد السيرة. ولو استمر على ذلك فقد تحل روحه في جسم حيوان مسخر للأعمال الشاقة، أو معدّ للذبح لكي تشعر هذه الروح بالضياع والألم، أو متوحل في الأقذار، والدنس، لتحس بالضعة والمهانة[٣].

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شلبي (ص٦٧)، الطبعة التاسعة (١٩٩٣م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٢) انظر: الفكر الفلسفي الهندي (١١٤)، ترجمة: ندرة اليازجي، طبعة (١٩٦٧م)، دار اليقظة العربية.

(٣) انظر: تناسخ الأرواح (١٩).

وتعتقد الهندوسية أنه إذا اكتملت ميول الروح وشهواتها، مع انقطاع عن الأعمال، وعلائق الدنيا، وما فيها من ملاذ وعصيان؛ تلك التي تستلزم تكرار المولد إذا تم له ذلك نجا من تكرار المولد، وانطلقت روحه لتمتزج «ببراهما» كما تندمج قطرة من ماء بالمحيط العظيم[1].

وكان فلاسفة «اليونان» أيضاً يعتقدون في تناسخ الأرواح وفي مقدمتهم «فيثاغورس» الذي علّم تلاميذه تناسخ الروح وتطهّرها في عجلة الميلاد، ويرى - أي فيثاغورس - أن الروح تسجن في الجسم، وتغادره عند الموت، وبعد فترة من التطهير تدخل الجسم مرة أخرى، وهذه العجلة تكرر نفسها عدة مرات[2].

ويروى أن «فيثاغورس» رأى إنساناً يضرب كلباً فمنعه عن ضربه قائلاً للضارب: «إنه تبين في عوائه صوت أحد أصدقائه، بل زعم أنه هو نفسه كان في غيره ممن سبقوه، وأن روحه كانت في «هرمس» ومن ثم انتقلت منه إلى غيره حتى انتهت إليه»[3].

وأخذ بهذه النظرية أيضاً وتشيع لها بعد «فيثاغورس» الفيلسوف المعروف «أفلاطون» الذي كان يرى أن النفوس الإنسانية كانت في عالم الكواكب تتبعها، لتطل على عالم المثل، وعجزت في إحدى محاولاتها عن اللحاق بنفوس الكواكب، ومشاهدة عالم المثل، فهبطت من علوها، وحلت في أبدان بشرية، ولم يكن هبوط النفس من عالمها العلوي، سوى عقوبة على ما ارتكبته من أفعال في عالمها السماوي[4].

وهكذا كانت «الفرس» تؤمن بعقيدة التناسخ. وكان لهم علاقة وثيقة بالشعوب التي قالت بنظرية التناسخ خاصة «الهند» و«مصر» فلا يستغرب انتقال هذه النظرية إلى عقائدها، وأديانها؛ وتتضح ذلك في الديانة المانوية التي أسسها (ماني بن فاتك) في بلاد «فارس»، وفي رأيها أن الأرواح التي

---

(١) انظر: أديان الهند الكبرى (٧٠).
(٢) انظر: تناسخ الأرواح (٢٥).
(٣) انظر: الديانات والعقائد (١/ ٣٨٤).
(٤) انظر: تناسخ الأرواح (٢٥).

تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصدِّيقين، وأرواح الضلالة؛ فأرواح الصديقين، إذا فارقت أجسادها، انتقلت إلى عالم النور الأعلى؛ أما أرواح الضلالة فإنها إذا فارقت الأجساد، ونزعت إلى عالم النور رُدَّت إلى أسفل كي تتناسخ في أجسام الحيوان، وما تزال تنتقل من حيوان إلى آخر حتى تصل إلى درجة الصفا، فتلحق بالنور الأعلى[(١)].

وكانت الأمم والحضارات والأديان التي التقى بها المجتمع الإسلامي من أهم القنوات التي انتقلت عن طريقها عقائد منحرفة، ومنها «التناسخ» إلى المحيط الإسلامي؛ فالترجمة عن الفارسية، والهندية، والإغريقية كانت تمثل هي المعابر التي عبرت عليها هذه العقيدة إلى عالمنا الإسلامي[(٢)].

وأول من قال بهذه النظرية عند المسلمين «السبئية»[(٣)] من الشيعة لدعواهم أن علياً ﷺ صار إلهاً حين حل فيه روح الإله[(٤)]. ولقد كان «ابن سبأ» هو الذي نادى بحلول الله ـ سبحانه وتعالى ـ في علي ﷺ مدعياً أن الجانب الإلهي في علي ينتقل عن طريق التناسخ إلى أبنائه[(٥)]. وهذه البذرة التي بذرها «ابن سبأ» في «التناسخ» والحلول، تلقفها الغلاة على اختلاف مشاربهم.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧١)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة (١٤١١هـ)، المكتبة العصرية، بيروت.

(٢) انظر: تناسخ الأرواح (٣٢).

(٣) هم أتباع «عبد الله بن سبأ» الذي غلا في علي ﷺ، وزعم أنه إله، وأنه لم يمت، بل صعد إلى السماء، وهو الآن في السحاب، وأنه ينزل إلى الدنيا، وينتقم من الأعداء.
ذكر «الشهرستاني» أن «ابن سبأ»؛ أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي ﷺ ومنه انشعبت أصناف الغلاة. و«السبئية» أول فرقة قالت بالغيبة، والرجعة، وبتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي ﷺ.
انظر: الفرق بين الفرق (٢٣٣، ٢٣٤).
ـ الملل والنحل (١٧٤)، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت.

(٤) انظر: الملل والنحل (١٧٤).

(٥) انظر: دراسات في الفلسفة الإسلامية للدكتور محمود قاسم (٢٥٦)، الطبعة الخامسة (١٩٧٣م)، دار المعارف بمصر.

ومن المعروف أن الفرقة «النقطوية» تأثرت بعقائد الفرس القديمة، كما أخذت عن غلاة الشيعة، ومن ثم غدت عقيدة التناسخ تمثل جانباً مهماً من عقائدها. وبما أن «النقطوية» وثيقة الصلة بفرق الشيعة لا سيما الغالية منها، فلا غرو أن استمدت نظرية «التناسخ» من غلاة الشيعة. و«محمود البسيخواني» كمنظِّر لفرقة لم يأت بشيء جديد في نظرية «التناسخ» إلا مصطلح «الإحصاء» و«المحصي». والإحصاء: عملية التعرف عما كان الشيء في حياته السابقة. والمحصي: هو المتعرف. وسَرَدَ بعض الأمثلة على هذا «الإحصاء» بصفته أول «محص» في الفرقة[1].

وبعد هذا العرض أقول: إن عقيدة التناسخ عقيدة باطلة، ومرفوضة شرعاً وعقلاً، وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن «التناسخ» يهدم عقيدة الإيمان باليوم الآخر:

إذ أن «التناسخ» يتناقض مع عقيدة الإسلام في اليوم الآخر؛ لأن الثواب والعقاب، قد قرره الإسلام في ذلك اليوم، بينما تقوم نظرية «التناسخ» على أن الثواب والعقاب يقع في الحياة الدنيا عن طريق تداول الروح في الأجساد والأشكال؛ ويعني ذلك إنكار اليوم الآخر، وما فيه من بعث، وحشر، وحساب، وثواب، وعقاب، وجنة، ونار، وآيات القرآن الكريم تركز مفاهيم البعث على أنه عملية إحياء لا موت بعدها، ليحشر فيها الناس إلى ربهم لأداء حسابهم، ثم يساق هؤلاء إلى نعيم، وأولئك إلى جحيم، وتأتي عقب عملية تدمير عام تتغير فيها معالم الكون، ففيها تُرَجُّ الأرض رجّاً، وتبسُّ الجبال بسّاً، وتشتعل البحار حتى تستحيل لهباً، وفيها تنشق السماء، وتطوى كالسجل، وتكشط النجوم، وتكون كالمهل.

و«التناسخ» يناقض هذا كله؛ إذ هو في مفهوم دعاته عملية تحويل، وانتقال مستمرة أبداً، لا يتصور لها نهاية، وهي بذلك تستتبع الحكم

(١) وهذا أيضاً ليس فيه جديد؛ لأنه روي من قبيل هذا الشيء من «فيثاغورس» الفيلسوف اليوناني ـ كما تقدم ـ.

بسرمدية الأرض، والأفلاك، فلا يعتريها فناء، ولا اضمحلال[1].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: «يخبر ـ تعالى ـ عن حال المحتَضَر عند الموت من الكافرين، أو المفرطين في أمر الله ـ تعالى ـ وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا، ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته». ويسوق ـ أي ابن كثير ـ بعد ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي تؤكد هذا الأمر، وهو عدم الرجوع، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[4].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[5] وغيرها من الآيات.

ويعقب ـ أي ابن كثير ـ على هذه الآيات فيقول: «فذكر ـ تعالى ـ أنهم يسألون الرجعة، فلا يجابون، عند الاحتضار ويوم النشور، ووقت

---

(١) انظر: الإسلام في مواجهة الباطنية لأبي الهيثم (٤٧، ٤٨)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ)، دار الصحوة، القاهرة.
ـ تناسخ الأرواح (٦٠ ـ ٦١).

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩ ـ ١٠٠. (٣) سورة المنافقون: الآيتان ١٠ ـ ١١.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان ٢٧ ـ ٢٨. (٥) سورة فاطر: الآية ٣٧.

العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار، وهم في غمرات عذاب الجحيم». ويضيف قائلاً: «وقوله ههنا: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ كلا حرف ردع وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب، ولا نقبل منه»[1].

ففي الآيات الكريمة السابقة رد دامغ، وبرهان قاطع على بطلان نظرية «التناسخ» وبيان لتناقضها مع عقيدة اليوم الآخر.

وجاء في حديث جبريل المروي عن عمر بن الخطاب ﷺ في السؤال عن الإيمان: «قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2].

فدل الحديث على أن الاعتقاد «باليوم الآخر» ركن من أركان الإيمان، ونظرية «التناسخ» تنفي هذا الركن من الدين.

ثانياً: الأزلية والأبدية لله ﷻ:

يقرر الإسلام أن الأزلية والأبدية خاصة بالله ﷻ وكل شيء دونه مخلوق، وحادث، ومن جملة ذلك النفس الإنسانية، بينما تقوم نظرية «التناسخ» على مبدأ قدم النفس، وخلودها، وهذا يخالف تماماً لمبدأ الحدوث الذي يقرر أن كل شيء في هذا الكون محدث، ومخلوق؛ والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الأزلي والأبدي، وهو الأول والآخر[3].

ثالثاً: قضية المعرفة:

تقوم قضية المعرفة في الإسلام على الاكتساب بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾[4]، بينما «التناسخ» يقيم نظرية المعرفة على أساس «التذكر» والذي تتذكر الروح من خلال تداولها في الأجساد، فنظرية المعرفة الإسلامية تبطل «التناسخ»[5].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/٤٨٦، ٤٨٧).
(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/٣٧، برقم: ٨).
(٣) انظر: تناسخ الأرواح (٦٥).
(٤) سورة النحل: الآية ٧٨.
(٥) انظر: تناسخ الأرواح (٦٥، ٦٦).

رابعاً: العقل:

والعقل أيضاً ينفي عقيدة «التناسخ»؛ لأن «التناسخ» يلزم منه وجود نفسين في بدن واحد، وهو باطل، يقول ابن سينا:

«فإذا فرضنا أن نفساً تناسختها أبدان، وكل بدن فإنه بذاته يستحق نفساً تحدث له، وتتعلق به، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً، ثم العلاقة بين النفس والبدن ليس هي على سبيل الانطباع فيه، بل علاقة الاشتغال به حتى تشعر النفس بذلك البدن، وينفعل البدن عن تلك النفس. وكل حيوان فإنه يستشعر نفسه نفساً واحدة هي المصرفة والمدبرة، فإن كان هناك نفس أخرى، لا يشعر الحيوان بها، ولا هي بنفسها، ولا تشتغل بالبدن، فليس لها علاقة مع البدن؛ لأن العلاقة لا تكون إلا بهذا النحو، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه»[1].

وقد ذكر «الفخر الرازي» أدلة ثلاثة في إبطال التناسخ:

الأول: ما ذكره «ابن سينا» ـ وقد تقدم قبل قليل ـ.

والثاني: «النفس إذا فارقت البدن، فإما أن يصح أن تبقى مجردة حيناً من الأحيان بعد ذلك، أو لا يصح، فإن صح ذلك ـ مع أنه يصح تعلقها ببدن آخر على وجه التناسخ ـ كانت فيما بين البدنين معطلة، ولا تعطل في الطبيعة، وإن لم يصح ذلك، لزم أن يكون عدد الهالكين مساوياً لعدد الكائنين، حتى أنه متى فسد بدن، وفارقته نفسه ففي تلك الحالة يتكون بدن آخر، لتتعلق به تلك النفس، وليس الأمر كذلك».

والثالث: «ما ذكره المتكلمون من أن النفس لو كانت قبل ذلك في بدن آخر، لكانت تذكر الآن أنها كانت قبل ذلك في بدن آخر لأنه قد ثبت أن جوهرها محل العلم، والحفظ، والتذكر، والصفات القائمة بذاتها لا تختلف باختلاف أحوال البدن، فإن النفس في صفاتها وذاتها مجردة عن

---

(١) انظر: أحوال النفس (١٠٦)، تحقيق: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، الطبعة الأولى (١٣٧١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

البدن. وكان يجب أن تبقى علومها بعد مفارقة ذلك البدن، حتى تتذكر في هذا البدن كيفية أحوالها في ذلك البدن، فلما لم تتذكر شيئاً من ذلك، علمنا أنها ما كانت موجودة في بدن آخر»[1].

خامساً: معارضة الدراسات العلمية:

التناسخ يعارض الدراسات العلمية، وعلم الأجناس، حيث تقرر هذه الدراسات أن الولد بعض أبويه واستمرار لهما، وأنه يشبههما جسماً، ويماثلهما روحاً ومواهب، فهو يرث عن ذويه اللون، والقامة، والصحة، والمرض، كما يرث المواهب والأخلاق غالباً، ولذلك فالتناسخ شذوذ عن الفكر العلمي والطبيعي.

ثم إذا كان التناسخ للجزاء فماذا يكون عن الطفل الذي يموت عقب الولادة، فإن الروح به لم تستمتع، ولم تعاقب، فليست ولادته وبعث روح شخص فيه إلا عبثاً.

بالإضافة إلى ذلك فإن «التناسخ» لا يفسر الزيادة المطردة في التعداد، والهبوط الواسع أحياناً أثناء الحروب والكوارث، فمن أين تجيئ الأرواح الجديدة؟ وإلى أين تذهب أرواح القتلى في الحروب والكوارث حيث يكون المواليد أقل من الموتى[2].

فتبين أن عقيدة «التناسخ» باطلة شرعاً، ومرفوضة عقلاً، وعلماً.

ثالثاً: العقيدة الألفية

تعني هذه العقيدة أن صلاحية الشريعة الإسلامية قد انتهت بانتهاء ألف سنة من هجرة المصطفى ﷺ، وذلك بناءً على زعمهم أن مدة العالم ستة عشر ألف سنة، في الثمانية آلاف الأولى كان ثمانية أنبياء، لكُلِّ نبي ألف

---

(١) انظر: المباحث المشرقية (٢/٣٩٧، ٣٩٨)، طبعة (١٩٦٦م)، مكتبة الأسدي، طهران.

(٢) انظر: أديان الهند الكبرى (٢٠٠، ٢٠١).

سنة، والألف الثامن والأخير هو مدة نبينا محمد ـ ﷺ ـ، وقد انتهت بانتهاء ألف سنة من هجرته ﷺ وكان هذا دور العرب، ويبتدأ بعده دور العجم ويمتد هذا الدور لثمانية آلاف سنة أخرى، ويكون فيه ثمانية من «المركب المبين» كلهم من العجم، ومدة كل واحد منهم ألف سنة، ثم تنتهي الدنيا. و«المبين الأول» من هؤلاء الثمانية هو «محمود البسخواني» كما تقدم ذلك في المبحث الثاني.

وهذه العقيدة هي من أهم العقائد التي تتبناها هذه الفرقة، وتدعو إليها، وإن كانت العقائد الأخرى أيضاً من الأهمية بمكان، إلا أنها من العقائد المشتركة بينها وبين الفرق الأخرى، بينما «العقيدة الألفية» تنفرد بها هذه الفرقة، وهي حامل لوائها، ولأول مرة في بلاد القارة الهندية، ومن ثم نجد أنها لعبت دوراً هاماً في أفكار أبطال الفرق المنتسبة للإسلام، وعلى أساسها نشأت الحركات، والدعوات في مستهل هذا القرن ـ وهو القرن العاشر الهجري ـ.

وبالبحث عن جذور هذه العقيدة ـ أي الألفية ـ عند هذه الفرقة يتضح أمام الباحث أمران، وهما:

الأول: ما قيل عن مدة أيام الدنيا ماضيها وباقيها.

الثاني: أثر الشعوبية في هذه الفرقة.

أما بالنسبة للأمر الأول وهو مدة أيام الدنيا فقد كثرت فيها الآراء والأقوال، والتوجيهات في القديم والحديث عند أصحاب الملل والنحل، والأقوام، وأصحاب النظريات والهيئات. وقد جمع علامة الهند «صديق حسن خان القنوجي» هذه الآراء كلها وفصل فيها القول[1].

وأشهر هذه الآراء أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة من ابتداء خلق العالم

---

(١) وذلك في كتابه: «القطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان» (٣٧ ـ ٦٠)، طبعة (١٢٩٦هـ)، مطبعة الجوائب الكائنة أمام الباب العالي.

إلى انقضائه وفنائه، والألف الأخير منها هو مدة نبوة نبينا محمد ﷺ. ونرى إماماً من أئمة المسلمين[1] ينقله من التوراة الموجودة لدى اليهود كحقيقة مسلمة، ويؤيد ذلك بآراء «الصابئة» الذين يقولون بحركات الكواكب، بأن هذه المدة هي مسير الكواكب السبعة وأن مسير كل كوكب منها ألف سنة، ويستدل على ذلك بالحديث المروي عن أبي رحاب الجهني، أنه قال للنبي ﷺ: رأيتك على منبر فيه سبع درجات، وأنت على أعلاها، فقال: «الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفاً». وطَبَّق ـ أي الماوردي ـ تلك المدة على عدة الرسل، وكل ذلك بناء على ما جاء في التوراة على اختلاف رواياتها في توزيع هذه المدة على عدة الرسل، وخلص إلى القول بأن الرسول ﷺ بعث في الألف الأخير من هذه المدة[2].

ولعل الفرقة «النقطوية» تلقفت هذه الفكرة من هذه الإسرائيليات، وتبنتها كعقيدة للفرقة، والتي عرفت «بالعقيدة الألفية» مع زيادات ومبالغات تتسق وتوجهات الفرقة، ولا غرو في ذلك إذ أن الفرق الضالة تتبنى دائماً الآراء المنحرفة، والأفكار الشاذة، لتحقيق أهدافها الخبيثة، وتستدل على ذلك بالأحاديث المكذوبة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثم إن من عجيب الأمر: أن هؤلاء المتكلمين المدعين لحقائق الأمور العلمية والدينية، المخالفين للسنة والجماعة يحتج كل منهم بما يقع له من حديث موضوع، أو مجمل لا يفهم معناه، وكلما وجد أثراً فيه نزَّله على رأيه»[3].

وبعد، فأقول: إن هذه العقيدة باطلة شرعاً، ومرفوضة عقلاً، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: أن الحديث المذكور غير صحيح، فالاستدلال به لا يجوز، وقد قال الحافظ ابن حجر: «هذا الحديث إنما روي عن «ابن زمل» وسنده

---

(١) هو: الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتابه: «أعلام النبوة» (٥٣ ـ ٦٢)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٢) نفس المصدر (٦٣، ٦٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٨٢، ٨٣).

ضعيف جداً، أخرجه «ابن السكن» في «الصحابة»، وقال: إسناده مجهول، وليس بمعروف في الصحابة. و«ابن قتيبة»: في «غريب الحديث». وذكره في الصحابة أيضاً «ابن منده» وغيره، وسماه بعضهم «عبد الله»، وبعضهم «الضحاك». وقد أورده «ابن الجوزي» في «الموضوعات»، وقال «ابن الأثير»: ألفاظه مصنوعة»[1].

ثانياً: إن ما قيل عن مدة العالم إنما جاء من روايات يهودية في كتبهم، وهي من الإسرائيليات، وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام:

أولها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح، ويروى في ذلك أن «عبد الله بن عمرو» ﵄ قد أصاب «يوم اليرموك» زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما.

الثاني: ما علمنا كذبه، لأن عندنا ما يخالفه. وهذا بلا شك مردود.

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من ذاك القبيل، فلا نؤمن به، ولا نكذبه، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ويختلف فيه علماء أهل الكتاب كثيراً، كما يذكرون في مثل أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أي شجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم ﵇ وغير ذلك[2].

وما قيل عن مدة الدنيا فهو من القسم الثاني؛ لأننا علمنا كذبه، بما عندنا من الكتاب والسنة الصحيحة، فهو بلا شك مردود. ولم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ما يحدد مدة العالم، ثم تقوم الساعة بعد هذه المدة. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3].

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/٣٥١).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣٦٦، ٣٦٧).
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[1]، وورد في هذا المعنى آيات عديدة أخرى.

وجاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾[2].

وجاء في حديث جبريل المروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «فأخبرني عن الساعة»؟.

قال: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[3].

فما قيل عن مدة الدنيا من ماضيها، وباقيها، وفنائها كله من الإسرائيليات المكذوبة التي لا شك في ردها. قال الحافظ ابن كثير عن مثل هذه الإسرائيليات: «فإذا كان الله ـ سبحانه وله المجد ـ قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما في أيديهم، مما وقع فيه خلط وخبط، وكذب ووضع، وتحريف وتبديل، وبعد ذلك كله نسخ وتبديل، فالمحتاج إليه قد بيّنه لنا رسولنا وشرحه، وأوضحه، عرفه من عرفه، وجهله من جهله»[4].

فرسول الله ﷺ لم يترك لأمته خيراً إلا دلهم عليه، ولم يترك شرًا إلا حذرهم منه، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. ولم يأت فيما بيّنه الرسول ﷺ هذه المدة المعينة للعالم، وأن نبوته ألف سنة من هذه المدة.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ (٨/ ٥١٣ برقم: ٤٧٧٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/ ٣٧، برقم: ٨).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١/ ٧)، تحقيق: محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، شارع القوسي بالظاهرة القاهرة.

إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه، كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه، فرآه فعرفه»[1].

وعن أبي زيد ﷺ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس؛ فأخبرنا بما كان، وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا»[2].

ولكن عامة من في دينه فساد ـ وفي مقدمتهم زعماء الحركات الهدامة ـ يدخل في الأكاذيب الكونية، وهم الذين حددوا مدة بقاء هذه الأمة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلهذا تجد عامة من في دينه فساد يدخل في الأكاذيب الكونية، مثل: أهل الاتحاد، فإن «ابن عربي» في كتاب «عنقاء مغرب» وغيره أخبر بمستقبلات كثيرة، عامتها كذب، وكذلك «ابن سبعين»[3] وكذلك الذين استخرجوا مدة بقاء هذه الأمة من «حساب الجمل»[4] من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب القدر، باب ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ (١١/ ٤٩٤، برقم: ٦٦٠٤) المطبوع مع فتح الباري.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة. (٢١٧/٤، برقم: ٢٨٩٢).

(٣) هو: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر ابن سبعين الإشبيلي المرسي (٦١٣هـ ـ ٦٦٩هـ).

من أشهر متصوفة الفلاسفة، ومن القائلين «بوحدة الوجود» درس في «الأندلس» وانتقل إلى «سبتة». من أشهر مؤلفاته: «كتاب البد» وكتاب «الهو». مات في مكة.

انظر: فوات الوفيات للكتبي (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ـ النجوم الزاهرة للأتابكي (٧/ ٢٣٢، ٢٣٣)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة.

ـ البداية والنهاية (١٣/ ٢٦١).

(٤) حساب الجمل: هو نوع من الحساب، يقوم على أن لكل حرف من حروف الهجاء قيمة حسابية، فهم يقولون: إن الألف تساوي واحداً، والباء تساوي اثنين، والواو تساوي ستة، والطاء تساوي ثمانية، وهو نوع من الحساب يستخدمه المنجمون. بتوجيه من الدكتور المشرف.

حروف المعجم الذي ورثوه من اليهود، ومن حركات الكواكب الذي ورثوه من «الصابئة»[1].

وقد رد «الإمام ابن حزم» على ما قيل عن مدة العالم فقال: «وأما اختلاف الناس في التاريخ، فإن اليهود يقولون: للدنيا أربعة آلاف سنة، والنصارى يقولون: للدنيا خمسة آلاف سنة، وأما نحن فلا نقطع على علم عدد معروفٍ عندنا، ومن ادعى في ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر، أو أقل، فقد كذب، وقال ما لم يأت عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح، بل صح عنه ﷺ خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمداً لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ، قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾[2][3].

ثالثاً: ومما يدحض هذه العقيدة الزائفة أن من بديهيات الإسلام وخصائصه الأصلية أنه جاء لعموم البشر، ولم يأت لطائفة معينة منهم، أو جنس خاص من أجناسهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[4] وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[5].

وهذا العموم غير مقيد بفترة زمنية معينة، كما هو غير مقتصر على جيل خاص من البشر، وإنما هو عموم في الزمان، كما هو عموم في المكان؛ ولهذا فهو باق، لا يزول، ولا يتغير، ولا ينسخ، أكان النسخ كليًا، أو جزئياً، وحيث أن الإسلام ختم الشرائع السابقة كلها، وأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فمعنى ذلك أن الشرائع الإلهية انقطعت، وأن الوحي لم يعد ينزل على أحد. قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[6]، وعلى هذا

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٨١/٤، ٨٢). (٢) سورة الكهف: الآية ٥١.

(٣) انظر: الفصل (٢٥٧/٢)، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم نصير، والدكتور عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ)، شركة عكاظ، جدة، المملكة العربية السعودية.

(٤) سورة سبأ: الآية ٢٨. (٥) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

لا يتصور أن ينسخ الإسلام، أو يغيره شيء[1].

والشريعة إنما تأتي لسد نقص في تشريع سابق، أو لإكماله بتشريع لاحق مناسب لمستوى البشرية، وحيث إن الشريعة الإسلامية كاملة تامة، سدَّت كل ما لم تأتِ به الشرائع السابقة، وأكدت ما جاءت به هذه الشرائع السابقة، فلا حاجة ولا داعي لمجيء شريعة أخرى، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]، فمع هذا الكمال والتمام لا داعي لمجيء شريعة أخرى، وحيث لا شريعة أخرى فلا رسول آخر بعد محمد ﷺ.

وعموم الشريعة الإسلامية وبقائها، وعدم قابليتها للنسخ، والتبديل، والتغيير بالتنقيص أو الزيادة، كل ذلك يستلزم أن تكون قواعدها، وأحكامها، ومبادئها وجميع ما جاءت به صالحة للناس جميعاً في كل عصر ومصر؛ وتفي بحاجاتهم. وهذا ما جاءت به الشريعة الإسلامية؛ لأن الله ـ تعالى ـ وهو العليم الخبير، جعلها عامة في المكان، والزمان، وخاتمة لجميع الشرائع؛ وجعل قواعدها، وأحكامها مهيأة للبقاء، والاستمرار إلى أن يرث الله الأرض وما عليها[3].

رابعاً: الواقع يكذب ما قيل بأن مدة العالم سبعة آلاف سنة، والرسول ﷺ بعث في الألف الأخير منها، ومعنى ذلك سوف تقوم القيامة بعد ألف سنة من مبعث نبينا محمد ﷺ، ونحن الآن في السنة (١٤١٩) للهجرة النبوية، ولم تقم الساعة بعد، وعلم الساعة عند الله ـ تعالى ـ وحده، كما جاء في القرآن الكريم، ولا يعقل وجود حديث نبوي يحدد قيام الساعة بهذا الشكل المتنافي مع ما جاء في القرآن الكريم.

وأما بالنسبة للأمر الثاني، فهو أثر الشعوبية في هذه الفرقة، والشعوبية

---

(١) انظر: أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان (٥٤)، طبعة (١٤٠١هـ)، مكتبة المنار الإسلامية.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

(٣) انظر: أصول الدعوة (٥٥).

في اللغة مشتقة من «الشعب»، وهي الجماعة الكبيرة التي ترجع لأب واحد، وهو أوسع من القبيلة، وتخضع لنظام اجتماعي واحد، وتتكلم لساناً واحداً[1].

وأما الشعوبية فهي تعني كل من ينكر على العرب تميزهم، أو تفضلهم على غيرهم، وتحاول الحط من قدرهم.

والشعوبية حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب، اتخذت الدين ستاراً لها، ونشأت عنها حركات بعضها أدبي، وبعضها ثوري، وهي تمثل جانباً من محاولات شعوب غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق العقيدة والفكرة، ولما كان سلطان العرب يستند إلى الإسلام، إذ أنه قام به واستقام، فإن بعض الجماعات الخارجة على الدولة الإسلامية تدرجت في اندفاعها إلى مهاجمة الإسلام من إثارة الشعوبية[2].

وقد اتخذت الشعوبية حججاً كثيرة للحط من شأن العرب، ومن حججهم في ذلك ـ كما لخصها ـ «الأستاذ أحمد أمين»:

١ ـ أن العرب ليس لهم أية ميزة على حين أن لكل أمة ميزة تفخر بها؛ «فالرومان» تفتخر بعظم سلطانها، وكثرة مدائنها، وعظم مدنيتها. و«الهند» تفخر بحكمتها وطبها، وكثرة عددها، وأنهارها وثمارها؛ «والصين» تزهى بصناعاتها، وفنونها الجميلة، وما إلى ذلك. ولا نجد العرب تمتاز بشيء يضارع ما ذكرنا، جدب في أرض؟ وبداوة في عيش!؟ كانوا في جاهلية يقتلون أولادهم من الفقر...

٢ ـ قالوا: بم يكون الفخر؟ أبالملك؟ فأين ملك العرب من ملك الفراعنة، والعمالقة، والأكاسرة، والقياصرة؟!...

---

(١) انظر: المعجم الوسيط (٤٨٦/١)، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار. مجمع اللغة العربية.

(٢) انظر: الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة، للدكتور محمد أحمد الخطيب (٧، ٨)، الطبقة الأولى (١٤١٤هـ)، عمان ـ الأردن.

٣ ـ وإن فخرتم بالإسلام، فليس الإسلام دين العرب وحدهم، بل هو دين الناس، والإسلام نفسه حارب نزعتكم، فهدم العصبية الجاهلية، وجعل مقياس الشرف التقوى، فالدين بيننا وبينكم، والدنيا نحن أحظى بها، وأعرف بمزاياها، وأكثر تفنناً في شؤونها[١].

فالشعوبية ـ والحال هذه ـ ليست حركة فئة معينة أو طبقة اجتماعية ـ إن جاز التحديد ـ بل إنها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لإضعاف الإسلام، وإرباكه، ولصد تيار الثقافة الإسلامية، ولزعزعة الدولة الإسلامية[٢].

وبالرغم أن كلاً من هؤلاء الشعوبيين كان يفاخر بأصله، ويعتز بتراثه، لكن الفرس كانوا أشدهم حماساً، وأكثرهم عدداً. وأن أكثر الحركات، والدعوات الهدامة، والثورات التي قامت في الدولة الإسلامية من الفرس يؤكد أن الدافع كان وراء ذلك إحياء الآراء الدينية الفارسية القديمة، ويبدو هذا واضحاً في اتساع نشاط الغلاة الذين تظاهروا بالإسلام[٣].

يقول البغدادي: «إن الذين وضعوا أساس دين «الباطنية»[٤] كانوا من

---

(١) انظر: ضحى الإسلام (١/ ٥٣، ٥٤).

(٢) انظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي الأول، للدكتورة زاهية قدورة (٢٣)، الطبعة الأولى (١٩٧٢م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٣) انظر: الشعوبية والزندقة وأثرهما (٩).

(٤) الباطنية: هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ذكر الشهرستاني: «أن الباطنية القديمة كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة. وأما الباطنية في زمانه فقد جعلهم هم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة، وذكر: أنهم يسمون في العراق بالباطنية، والقرامطة، والمزدكية، وفي خراسان التعليمية، والملحدة».
وذكر البغدادي بأن ضرر الباطنية أعظم من ضرر اليهود، والنصارى، والمجوس، والدهرية، وسائر أصناف الكفرة، وأن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة منهم: «ميمون بن ديصان» المعروف «بالقداح»، ومحمد بن الحسين»، الملقب «بدندان».
انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٢).
ـ الملل والنحل (١٩٢، ١٩٣).

أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أسساً من قَبِلَها منهم صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس، وتأولوا آيات القرآن، وسنن النبي ﷺ على موافقة أسسهم»[1].

والفرقة «النقطوية» من تلك الحركات الهدامة التي تأثرت بالشعوبية، إذ تدعو بجلاء إلى إنهاء دور العرب، وإحياء دور العجم في تحمل أعباء الرسالة ونسخ الشريعة الإسلامية بالشريعة الجديدة. ولا يُعرف في تاريخ الفرق ـ حسب علمي ـ من ادعى أن مهمة الرسالة تنتقل من العرب إلى العجم بعد مضي فترة معينة عن هجرة النبي ﷺ، اللهم إلا ما يحكى عن «اليزيدية»[2] ـ فرقة من الخوارج ـ زعمت أن الله ﷻ يبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً من السماء، وينسخ بشرعه شريعة محمد ﷺ وكانت هذه الفرقة في بلاد الفارس[3].

وسواء أخذت «النقطوية» الفكرة من «اليزيدية» أم لا؟ فإن أثر الشعوبية واضح فيها كمال الوضوح؛ إذ ادعى مؤسسها «محمود البسيخواني» بصراحة أن دور العرب ثمانية آلاف سنة من وجود العالم، وكان فيه ثمانية أنبياء كلهم من العرب، والنبي الثامن والآخير منهم هو نبينا محمد ﷺ، ومدة نبوته ألف سنة، وقد انتهت. ويبتدأ بعده دور العجم في تحمل أعباء الرسالة؛ وهذا الدور أيضاً يمتد ثمانية آلاف سنة، يكون فيه ثمانية من «المركب المبين» ـ على حد تعبيره ـ وكلهم من العجم، وزعم أنه ـ أي «محمود البسيخواني» ـ هو «المبين الأول»، فشريعته نسخت الشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ كما تقدم ذلك في المبحث الثاني.

---

(١) انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٤، ٢٨٥).
(٢) هؤلاء أتباع «يزيد بن أنيسة» الخارجي، كان من البصرة، ثم انتقل إلى أرض «فارس». انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧٩).
(٣) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٧٩).

وليس هناك أجلى عبارة، وأوضح فكرة، وأرسخ عقيدة من هذه في الدعوة إلى الشعوبية؛ وقد شهد التاريخ الإسلامي حركات باطلة، ودعوات خبيثة لها نفس التوجه، وذات الهدف، نبتت في نفس المنطقة[1].

و«النقطوية» حلقة أخرى من حلقات تلك السلسلة التي بدأت في العصر العباسي الأول، وانتعشت للقضاء على سلطان الإسلام وعودة الملك إلى المجوس بإحياء الديانات الفارسية القديمة، كما ذكر البغدادي: أن «زرادشت» قال: «إن الملك يزول عن الفرس إلى «الروم» و«اليونانية»، ثم يعود إلى «الفرس»، ثم يزول عن «الفرس» إلى «العرب» ثم يعود إلى «الفرس» وساعده «جاماسب» المنجم على ذلك، وزعم أن الملك يعود إلى «العجم» لتمام ألف وخمسمائة سنة من وقت ظهور «زرادشت».

وأضاف ـ أي البغدادي ـ قائلاً: «وكان في الباطنية رجل يعرف بـ «أبي عبد الله العردي» يدعي علم النجوم، ويتعصب للمجوس، وصنف كتاباً، وذكر فيه: أن القرن الثامن عشر من مولد محمد ﷺ يوافق الألف العاشر، وهو نوبة «المشتري» و«القوس». وقال: عند ذلك يخرج إنسان يعيد الدولة المجوسية، ويستولي على الأرض كلها، وزعم أنه يملك مدة سبع قرانات.

وقالوا: قد تحقق حكم «زرادشت» و«جاماسب» في زوال ملك «العجم» إلى «الروم» و«اليونانية» في أيام «الإسكندر»، ثم عاد إلى «العجم» بعد ثلاثمائة سنة، ثم زال بعد ذلك ملك «العجم» إلى «العرب» وسيعود إلى «العجم» لتمام المدة التي ذكرها «جاماسب»، وقد وافق الوقت الذي ذكروه أيام «المكتفي»[2]

---

(١) أمثال: الحركة الراوندية، والمقنعية، والخرمية وغيرها من حركات الزنادقة. إذ ترجع حركة الزندقة إلى الشعوبية، والارتباط بينهما وثيق، حيث أصبحت الواحدة متممة للأخرى، ومرادفة لها.
انظر: الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر البعاسي الأول (١٢٧ ـ ١٧٢).

(٢) هو: أبو محمد علي بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل (٢٦٣هـ ـ ٢٩٥هـ). من خلفاء الدولة العباسية في العراق. تولى الخلافة بعد موت أبيه «المعتضد». حارب القرامطة، وكسر شوكتهم، وفي أيامه فتحت «أنطاكية» كان «الروم» قد استولوا عليها. توفي وهو شاب.

و«المقتدر»[1] وأخلف موعودهم، وما رجع الملك إلى «المجوس».

ثم علّق البغدادي على مزاعم المجوس قائلاً:

«وفي آخر سنة ألف ومائتين وأربعين «للإسكندر» تم من تاريخ «زرادشت» ألف وخمسمائة سنة، وما عاد ملك الأرض إلى المجوس، بل اتسع بعدها نطاق الإسلام في الأرض. وفتح الله على المسلمين بلاد «بلا ساغون» وأرض «التبت» وأكثر نواحي «الصين»، ثم فتح لهم بعدها جميع أرض «الهند»[2].

وهكذا خيب الله تعالى آمال «محمود البسيخواني» أيضاً، ولم يظهر أي «مبين» ـ على حد زعمه ـ بعد مضي ألف سنة من هجرة النبي ﷺ إلا أمثاله من المنحرفين ومن هو على شاكلته ممن تسول له نفسه محاولة تحقيق مثل هذه الأحلام. ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يحمي دينه، ويحفظ كتابه، ويقيض في كل عصر ومصر، من ينسف أحلامهم، ويكشف عوارهم، ويفضح خططهم، ويعيد للدين مكانته، ويجدد معالمه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[3].

بالإضافة إلى سفاهة هذه العقيدة يكتنفها كثير من التناقض، فحسب قول «البسيخواني» أن الدور الأول من مدة العالم كان فيه ثمانية أنبياء كلهم من العرب، وليس بصحيح؛ لأن الأنبياء الذين بعثوا من العرب عددهم

= انظر: ترجمته في: تاريخ بغداد (١١/٣١٦ ـ ٣١٨).
ـ سير أعلام النبلاء (١٣/٤٨٩ ـ ٤٨٥).

(١) هو: أبو الفضل جعفر بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل (٢٨٢هـ ـ ٣٢٠هـ). خليفة عباسي. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه «المكتفي» وكان صغير السن، فخلعه الناس، ثم أعيد بعد يومين. طالت أيامه. وفي عهده قتل «الحلاج» وقلع «أبو طاهر القرمطي» الحجر الأسود. قتل بأيدي الخارجين عليه.
انظر: ترجمته في: تاريخ بغداد (٧/٢١٣ ـ ٢١٩).
ـ سير أعلام النبلاء (١٥/٤٣ ـ ٥٦).

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) سورة الحجر: الآية ٩.

أربعة وهم: هود، وصالح، وإسماعيل، ومحمد ـ عليهم الصلاة والسلام ـ[1].

ثم إن عدد الأنبياء ليس ثمانية ـ كما يزعم البسيخواني ـ بل أكثر من ذلك، وقد جاء في القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين نبياً[2].

وهناك أنبياء لم يصل إلينا خبرهم كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[3].

ومن التناقض أيضاً أنه ـ أي محمود البسيخواني ـ يزعم أنه الأول من «المبين» الثمانية الذين يظهرون من العجم بناءً على انتهاء ألف سنة من هجرة النبي ﷺ وهذا أيضاً ليس بصحيح؛ لأنه توفي في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة، وذلك عام (٨٣٢هـ) ـ كما تقدم ـ ولم يكتمل ألف سنة من هجرة النبي ﷺ، بل بقي ثمان وستون ومائة سنة لتمام الألف[4]، والله أعلم.

---

(١) انظر: ضحى الإسلام (١/ ٥٤).
(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/ ١٠٦١ ـ ١٠٧٣)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار ابن كثير، دمشق.
(٣) سورة غافر: الآية ٧٨.
(٤) وأما الأباطيل الأخرى أمثال: إنكار البعث والنشور، وزعمهم أن القرآن الكريم من كلام الرسول ﷺ وترك التحية الإسلامية، وعدم الاغتسال من الجنابة وغير ذلك تدخل تحت مفهوم العقيدة الألفية.




الفصل الثاني

الفرقة الذكرية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الذكرية في الميزان.




المبحث الأول

نشأتها وتاريخها

تعد الفرقة «الذكرية» إحدى الفرق التي نشأت وتطورت في القرن العاشر الهجري في مدينة «تُرْبَتْ» من منطقة «مُكْران» في إقليم «بِلُوشِستان»[1]، ونمت وقويت ثم انتشرت إلى المناطق المجاورة، وبقيت إلى أيامنا هذه.

تنسب هذه الفرقة إلى المدعو «الملا محمد[2] الأتكي»[3] وقد حيكت حول شخصيته روايات وأساطير ما مضمونه:

أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق من نوره نور «الملا محمد الأتكي». وخلق الكائنات كلها من نوره، وسيّر روحه في السموات العلا، وتشرف بزيارته الملائكة المقربون، وتقرب إلى حضرة رب العزة والجلال ونظر إلى الكتب المقدسة قبل نزولها، واختار منها لأمته عشرة أجزاء.

ثم ظهر في صورته الإنسانية وفي كسوة أهل الفقر والزهد في بلدة «الأتك» الجبلية بوضع قدميه المباركتين على رأس جبل عالٍ، وذلك صباح الاثنين عام (٩٧٧هـ). وادعى أنه مهدي آخر الزمان، وبعد ظهوره في كيانه البشري بدأ جولاته ورحلاته حول العالم، والتي استغرقت ثلاثاً وثلاثين

---

(١) كانت بلوشستان أحد أقاليم الهند الموحدة، وهي الآن إحدى ولايات جمهورية باكستان الأربع، تقع في جنوب غربها، وعاصمتها «كوئته»، والنسبة إليها «البلوشي».

(٢) يقصد الذكريون دائماً بـ محمد مهديهم المزعوم، ويذكرون نبينا محمداً ﷺ بأحمد العربي.

(٣) نسبة إلى «أتك» (أٹك) اسم بلدة كانت تقع في إقليم «البنجاب»، وهي الآن واقعة في ولاية بنجاب الباكستانية، بين «إسلام آباد» و«بيشاور».

سنة، ولم يكشف عن أسراره في هذه الرحلات إلا على بعض مريديه وأتباعه الذين عرفوه بنور بصيرتهم وإشراق عقولهم، فآمنوا به واتبعوه، وفي نهاية المطاف وصل إلى إقليم «بلوشستان» وحط رحله على جبل قرب «كوادر»[١]، ويعرف حتى الآن بـ «جبل المهدي»، واشتغل هناك بالرياضة الروحية أربعين يوماً، ثم وصل مع رفقائه وأتباعه إلى مدينة «تُربَت» واستقر على جبل يعرف الآن «بجبل مراد»[٢]، وهناك شمر عن ساق الجد والاجتهاد في نشر دعوته وبث مبادئه ومعتقداته، وبعث إلى رؤساء القبائل وحكام المناطق للإيمان به وقبول دعوته، فبايعه آلاف من البشر، وفي مقدمتهم حاكم «سِرْباز»[٣] وحاكم «كِيْج»[٤] وحاكم «بَنْجَكُوْر»[٥]، كما بايعه «الملا مراد الكجكي» أحد الوجهاء والشخصيات المؤثرة في هذه المنطقة.

ولما نظر كثرة مريديه، وشدة إقبال الناس عليه، تجاوز مرحلة المهدية وادعى أنه نبي، حيث كتب كتاباً باللغة الفارسية ووضعه على شجرة قديمة في غرب مدينة «تربت» وأعلن بين أتباعه أن كتاباً من السماء نزل عليه وهو الآن محفوظ في المكان الفلاني على الشجرة الفلانية، فذهب مع أتباعه إلى ذلك المكان، وادعى أنه نبي ورسول وخاتم النبيين بل أفضلهم، ولإثبات صدق دعواه للنبوة أظهر معجزتين حيث دفن تحت الأرض قِرْبتين كبيرتين في موضعين، إحداهما مليئة بالماء والأخرى باللبن، ثم ذهب بأتباعه إلى أحد الموضعين، فضرب رمحاً على قربة الماء فتفجر منها الماء بشدّة، فلما أوشك على النفاد ضرب رمحه ثانياً، وقال: «قف أيها الماء وإلا تغرق هذه البلاد بسيلك الجارف»، فتوقف الماء ونفد، ثم أتى موضعاً آخر فضرب رمحه على قربة اللبن فتدفق منها اللبن، فلما كاد أن ينفد ضرب رمحه قائلاً: «قف لماذا تجري وأنت من نعماء الله والناس قد رأوك» فتوقف.

---

(١) اسم مدينة تقع في ولاية بلوشستان.
(٢) نسبة إلى الملا مراد الكجكي أحد زعماء الذكرية وخليفة المهدي بعد غيابه سيأتي الحديث عنه في المبحث الثاني.
(٣)(٤)(٥) أسماء مواضع في إقليم بلوشستان.

فلما شاهد أتباعه معجزة نبع عين الماء وعين اللبن من داخل الأرض، ازدادوا به إيماناً، فأعلن أمامهم أن كتابه قد نسخ الشريعة المحمدية ﷺ وتكون كلمة التوحيد من الآن هكذا: «لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله» وأعفى أتباعه عن أداء الصلوات، ووضع مكانها «الذكر»، ونسخ صوم رمضان، واستبدله بثمانية أيام الأولى من شهر ذي الحجة. ونسخ الزكاة فجعل المفروض «العشر» في كل ما يملكه الإنسان.

كما أعلن أن الحج سيؤدى من القادم في «جبل مراد». وأعلمهم أن رحمة الله تعالى أدركت أمة هذا المذهب، فرفع عنهم أغلال التكاليف وتساهل بهم، فمن الآن الإيمان بالشريعة المحمدية يُعَدُّ كفراً، ويجب اتباع شريعة المهدي على كل فرد.

وبعد عشر سنوات من العمل الدؤوب والجهد المتواصل في تبليغ دعوته ونشر حركته رأى أن دينه قد قوي، وتمكن من قلوب الناس، وفي إحدى الليالي من عام (١٠٢٩هـ) وبينما الناس في سبات عميق اختفى المهدي، وزعم أتباعه أنه قد غاص في الأرض تاركاً أحد أطراف ردائه فوق الأرض كأنه بمثابة تحديد المكان الذي غاص فيه، وذلك لأن مدة إقامته في الأرض قد انتهت، ثم خرج من باطن الأرض، وقد رجع إلى طبيعته الأصلية التي خلق منها، وصار نوراً، وصعد إلى السماء، وجلس إلى جوار الله تعالى ـ في زعمهم ـ وهو الآن حيٌّ، يراقب أمته ويدافع عنهم، ويشفع لهم، فلا يدخل أحد منهم النار مطلقاً[(١)][(٢)].

---

(١) انظر: نور تجلي، جي. إيس. بجا راني بزنجو (ص١٤ ـ ١٩) طبعة (١٩٨١م) كراتشي.
ـ ذكري كون هين؟ (من هم ذكري؟) لمحمد إسحاق درًا زئي (ص١٢ ـ ١٤)، نشره: مير عبد الرحيم البلوشي، كراتشي.
ـ ذكري مذهب كاتفصيلي جائزه (الدراسة التفصيلية للفرقة الذكرية)، للدكتور ضياء الحق الصديقي (ص٥، ٦)، صديقي ترست، نسيم پلازا، شارع نشتر، كراتشي.
ـ ذكري مذهب اور إسلام (الفرقة الذكرية والإسلام) لمولانا عبد المجيد (ص٢٧)، نشره: مجلس عمل تحفظ ختم نبوت، شارع لياقت علي، كوئته، بلوچستان، پاكستان.
ـ ما هي الذكرية، للشيخ احتشام الحق آسيا آبادي (ص٣٠، ٣١)، نشره: جمعية أنصار السنة المحمدية، مكران، بلوچستان، پاكستان.

(٢) لا يخفى ما في قصة ظهور «الملا محمد الأتكي» واختفائه ثم صعوده إلى السماء من =

وبعد اختفاء المهدي هَبَّ أتباعه لتكوين الدولة الذكرية في «مكران» وبعد التمكن منها نشروا الذكرية بقوة السيف والسنان حتى عمت المنطقة كلها، وتجاوزتها إلى ما حولها.

دولة الذكريين الأولى: [١٠٣٦هـ ـ ١١٥٣هـ]

كان تأسيس هذه الدولة في أرض «مكران» على يد «أبي سعيد البليدي»[١] من أخص أتباع «الملا محمد الأتكي». ولم يتفق الذكريون في تحديد موطنه الأصلي، هل كان «مكرانياً» أم قدم من الخارج، وأيًّا كان الأمر، فإنه من المتفق عليه بينهم أنه يُعَدُّ أول حاكم ذكري تمكن من تأسيس دولة ذكرية في منطقة «مكران»، وذلك بعد غياب «محمد الأتكي» بسبع سنوات. وكانت «مكران» قبل ذلك تحكمها قبيلة تسمى «هوت» وآخر حكامها كان «ملك مرزا» فوثب عليه «أبو سعيد البليدي» فقتله، وأعانه على ذلك زعماء الذكرية وعلى رأسهم «عيسى الكجكي»، فاستولى على «مكران» وذلك عام (١٠٣٦هـ). فكان أول حاكم ذكري لأول دولة ذكرية، وصارت «الذكرية» دين الدولة، وحصلت لها العزة والمنعة، ونمت، وازدهرت، وقويت شوكتها في ظل حكم البليديين حيث تعاقب عليها تسعة سلاطين منهم حتى عام (١١٥٣هـ). إذاً فلقد استمر حكم البليديين لهذه الدولة الذكرية نحواً من (١١٧) عاماً. وفي هذه المدة لم يدخروا وسعاً، ولم يألوا جهداً في سبيل نشر الحركة الذكرية ومبادئها في منطقة «مكران» وما جاورها.

يقول الملا درّازئي ـ أحد دعاة الذكرية: «وفي أيام الحكم البليدي، حصل لهذه الفرقة تطور عظيم، وانتشرت في الوطن سريعاً، ومضى منهم تسعة سلاطين». فسرد أسماءهم، وأضاف قائلاً: ولا نجد معلومات أكثر عن المملكة البليدية»[٢].

= خرافة اخترعها الدعاة الذكريون لإضفاء المجد والكرامة على زعيمهم.

(١) سيرد مزيد تفصيل عنه في المبحث الثاني عند ذكر دعاة الذكرية.

(٢) انظر: ذكري كون هين؟ (ص١٥).

ـ ذكري مذهب اور إسلام (ص٢٧).

دولة الذكريين الثانية: [١١٥٣هـ ـ ١١٨٨هـ]

إن الحاكم التاسع والأخير للعائلة البليدية كان «شاه بلال»، فهذا الحاكم هداه الله ﷻ إلى الإسلام، فآمن وتاب عن الذكرية فثار ضده «ملك دينار الكجكي» وكان أبوه «الملا مراد الكجكي» خليفة «للملا محمد الأتكي» بعد غيابه. وكان هو الخليفة على الذكريين بعد موت أبيه، فلما رأى الحاكم البليدي قد عاد إلى الإسلام الصحيح وتاب عن الذكرية بغى عليه وقتله واستولى على «مكران»، وبهذا انتقلت السلطة من العائلة البليدية إلى العائلة الكجكية، وصار سلطانها «ملك دينار بن الملا مراد» وباستيلائه على إقليم «مكران» قامت دولة الذكريين الثانية، وذلك عام (١١٥٣هـ). واجتمعت له زعامة الفرقة ورئاسة الدولة، فكانت أيامه أزهى أيام الدولة الذكرية للذكريين؛ إذ كانت الأسرة الكجكية شديدة التعصب للذكرية.

وبجهود هذه الدولة انتشرت «الذكرية» في جميع أطراف «بِلُوشِستان»، وتمكنت من القلوب والأذهان، وكان «ملك دينار» شديد العداوة للإسلام فاتسم عهده بالظلم والتعسف بالنسبة للمسلمين، وكان يقتل الكثيرين منهم في المساجد أثناء الصلاة، وكانوا لا يستطيعون المرور ببلادهم، فكانت أيامه أيام نكبة واضطهاد للمسلمين حتى وفق الله ـ سبحانه وتعالى ـ المجاهد البطل «نصير خان النوري»[1] لمقاومة هذه الفتنة العمياء والداهية الدهياء، فحمل راية الجهاد ضد الذكريين، وبعد صراع مرير تمكن من قتل «ملك دينار» والقضاء على الدولة الذكرية، وذلك عام (١١٨٨هـ)، ولم تقم لهم دولة بعد ذلك[2].

---

(١) سيرد مزيد تفصيل عن حياته وجهوده في الفصل الثامن عند الحديث عن جهود العلماء والحكام في مقاومة هذه الفرق.

(٢) انظر: بلوچستان قديم اور جديد تاريخ كي روشني مين (بلوشستان القديمة والجديدة في ضوء التاريخ)، مير كل خان نصير (ص٣٥) نساء ٹريڈرز، جناح ماركيت، كوئته، پاكستان.
ـ مكتوبات شاه فقير الله علوي (ص٣٧٣)، كتب خانه إسلامي، لاهور، پنجاب.
ـ ذكري مذهب اور إسلامي (ص٢٨ ـ ٣١).

لماذا سميت هذه الفرقة بالذكرية؟

تقدم قبل قليل أن صانع هذه النحلة «محمد المهدي الأتكي» ألغى فرضية الصلاة ووضع مكانها «الذكر» فسميت بالذكرية.

يقول عبد الغفار الضامراني ـ وهو أحد زعماء الذكرية ـ:

«عُرِفت طَائفتنا باسم الذكرية لاجل كثرة عبادتنا بذكر الله»(١).

ويقول عيسى نوري ـ أحد أقطاب الذكرية المعروفين ـ:

«إن تعليمات المهدي ترتكز على الذكر الإلهي، وعملاً بتعليماته يستغرق الذكريون حتى اليوم في الذكر الإلهي، ويفنون فيه، فلاستغراقهم في ذكر الله، وفنائهم فيه سموا بالذكرية»(٢).

ويقول بجاراني:

«سألني أناس كثيرون عن الذكريين لماذا سموا بهذا الاسم وما عقيدتهم؟ وأنا أرد عليهم دائماً بالقول: إن هؤلاء القوم يكثرون من ذكر الله ـ تعالى ـ فالناس ينادونهم بالذكريين»(٣).

و«الذكرية» وإن كانوا يقولون فيما بينهم، ويكتبون في كتبهم اسم «الذكري» و«الذكرية»، ولكنهم لا يظهرون عند عامة المسلمين أنهم ذكريون، وذلك إخفاء لعقيدتهم، فإن سألهم أحد عن هويتهم يجيبون بأنهم «بلوش»، فإذا ألح في السؤال عنهم يقولون: بأنهم مسلمون(٤).

وهم يسمون أيضاً الواحد من طائفتهم بـ «داعي المذهب» أو «داعي» وينطقون بلغة البلوش «ذاهي»، كما وضعوا كلمتين مخصوصتين بلغة البلوش، للتفريق بين الذكري وبين المسلم، وهما:

---

(١) انظر: مقدمة ذكر وحدت، لعيسى نوري (ص١)، نشره: نور محمد غلام حسين رئيس جمعية مسلمي الذكرية لعموم باكستان، الطبعة الثانية (١٩٧٧م)، كراتشي، باكستان.

(٢) انظر: ذكري تحريك تاريخ كي روشني مين (الحركة الذكرية في ضوء التاريخ) (ص٤٧) تحصيل پسني كلك، مكران.

(٣) انظر: نور تجلي (ص٣٧).

(٤) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص٢٧).

١ ـ جمروك (چمروك).

٢ ـ كين تول (كين ثول).

فهم يسمون أنفسهم بجمروك، ومعناه في لغتهم البلوشية صاحب بصيرة ومعرفة، ويقولون لمرشدهم وعالمهم «جمروك» أيضاً. ويسمون المصلي (أي: المسلم الذي يؤدي الصلوات) «كين تول» إهانة له، ومعناه في لغتهم: الهيئة التي يتمثل بها المصلي في حالة السجدة عند أداء الصلاة، ويقصدون بهذا اللفظ الاستهزاء والسخرية بالمصلي، فيصفونه بالحماقة والسفاهة، فمن صلى فهو عندهم سفيه وأحمق، وقد تم وضع هذين اللفظين منذ نصف قرن للتفريق بين الذكري والمسلم[1].

الذكرية المعاصرة:

ينحصر وجود الذكريين حالياً في منطقة «كراتشي» و«بلوشستان» عند القبائل الناطقة بلغة البلوش، والقاطنين في المناطق الساحلية ابتداء من «كراتشي» امتداداً إلى «كوادر» ووصل كثير منهم إلى إقليم «السند» بعد هجرتهم من «مكران» موطنهم الأصلي. وفي مدينة «كراتشي» معظم سكان بلدة «لياري» ذكريون. وفي «بلوشستان» يتمركز الذكريون في مناطق «جهاؤ» و«مشكي» و«كوالوا» و«نال»، وأيضاً في بلدة «كجك» و«درخشان» وأودية «البليدة» من توابع «بنجكور». ومعظم مساكنهم في الأودية والصحارى ومركزهم الرئيسي حالياً في بلدة «كلّك» بمنطقة «مكران». وتشكل نسبة الذكريين في المناطق المذكورة من عشرة في المائة إلى مائة في المائة، ومعظمهم أميون وجهلة ومتخلفون، وزعيم مذهبهم يسمونه «الملائي»، ورئيس الملائيين في الوقت الحاضر رجل يدعى بـ «عبد الكريم»، ويكون في كل قبيلة وقرية «ملائي» خاص بسكان تلك القبيلة أو القرية. وهؤلاء الملائيون يعلقون دائماً في أعناقهم التعويذات والتمائم المختلفة، ويكونون عادةً جهلة، يفضلون العيش بعيداً عن المناطق الآهلة بالسكان حتى تختفي

---

(١) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص٢٦).

حياتهم عن أنظار عامتهم، ولا يتعرضون لمصاعب البحث والمناقشة، ويملكون الخبرة الكافية في أعمال السحر والشعوذة، والكهانة، ويخضعون أتباعهم عن طريق التخويف. ويتسابق أتباعهم في إرضائهم، وتلبية رغباتهم.

يوجد للذكريين حالياً جمعية في مدينة «كراتشي» باسم: «آل پاكستان ذكري مسلم انجمن» (جمعية مسلمي الذكريين لعموم باكستان) ويقع مكتبها في بلدة «كلري»، كما يوجد لشبابهم جمعية خاصة باسم: «ذكري مهدوي استوذنتس آركنائزيشن» (جمعية طلبة الذكريين المهدويين).

عددهم في الوقت الحالي:

اختلف الباحثون في تحديد عددهم في الوقت الحالي. فمن مقل يقول: إن عددهم يتراوح ما بين ثلاثين إلى أربعين ألف نسمة. ومتوسط يرى أن عددهم ما بين الخمسين إلى ستين ألف نسمة.

ويرى بعض الباحثين الذين زاروا مناطقهم كلها أن عددهم يصل إلى أربعمائة ألف وخمسين ألف نسمة، وأما الملائيون فيذكرون أن عدد الذكرية يزيد على سبعمائة ألف نسمة، وعند بعضهم يصل عددهم إلى مليون أو أكثر من ذلك[1].

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أنه لا توجد هناك إحصائية دقيقة لأتباع هذه الفرقة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى إخفائهم مذهبهم وعقائدهم عن عامة المسلمين، واعتبار أنفسهم منهم، ثم انتشارهم في مناطق واسعة في إقليمي «بلوشستان» و«السند».

---

(١) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزة (ص٢).
ـ ذكري فرقه پرايك نظر (نظرة على الفرقة الذكرية)، للشيخ محمد حيات (ص٩) صديقي ترست، نسيم بلازا، نشتر رود، كراتشي.
ـ مقال: مهدويت اور ذكري فرقه (المهدوية والفرقة الذكرية)، بقلم الدكتور أبو معاذ طارق في مجلة «صراط مستقيم» الشهرية في عددها الرابع لسنة (١٤١٥هـ)، الصادرة من «برمنغهام» بريطانيا.
ـ مقال: ذكري فرقة كےنشيب وفراز (تطور وانحطاط الفرقة الذكرية)، بقلم الشيخ عبد الحق في مجلة «بينات» الشهرية، عدد رجب لسنة (١٣٩٨هـ)، الصادرة من كراتشي، باكستان.

المبحث الثاني

عقائدها وأشهر دعاتها

تحدثت في المبحث السابق عن نشأة وتعريف بطائفة الذكريين، وتعليل تسميتهم، وعددهم، وأماكن وجودهم، وأرى الآن أن أتحدث عن عقيدتهم من وجهة نظرهم، وكما تصورها مراجعهم، فإن العقيدة تمثل أهم عناصر البحث في أية فرقة باعتبارها المحور الأساسي، الذي تدور عليها أفكارها، وتلتقي عليه مبادئها، وأما مناقشة هذه العقائد وتقويمها فإني سأعرض له في المبحث الرابع، الذي خصصته لذلك.

أ ـ العقائد:

أولاً: كلمة التوحيد:

تعتقد «الذكرية» أن كلمة التوحيد لأول الأنبياء آدم ﵇ كانت «لا إله إلا الله آدم صفي الله»، وبعد رحيله من الدنيا توالى قدوم الأنبياء مع كلماتهم، ولما جاء أحمد المصطفى العربي ﷺ قرأ كلمة المهدي، وهي: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والمراد «بمحمد» هنا هو «الملا محمد المهدي». وبعد ظهور المهدي في كيانه البشري اتضحت كلمة التوحيد أكثر، وصارت هكذا: «لا إله إلا الله نور پاك[1] محمد مهدي رسول الله»،

---

(١) لفظ «پاك» كلمة تستعمل في الفارسية والأردية، معناها: الطاهر أو المقدس. و«نور پاك» معناهما: النور الطاهر أو المقدس. وبعض الذكريين يستخدمون حرف الفاء العربي بدلاً من الباء الفارسي فيكتبون «فاك» ظناً منهم أن هذا الاستخدام يصرف الكلمة من العجمية إلى العربية حتى تساوي كلمتهم كلمة التوحيد عند المسلمين.

وتستمر هذه الكلمة إلى يوم القيامة، ويُعَدُّ منكرها كافراً. تلقى الأنبياء كلهم هذه الكلمة من ربهم، وقرأها أحمد المصطفى في ليلة المعراج، وهي مكتوبة على أبواب الجنة، كما هي مكتوبة على طير فوق السماء السابع، وتتطهر أمة المهدي بقراءة هذه الكلمة من جميع الذنوب والآثام، ولو كانت قدر الجبال، وذلك ببركة المهدي النور المقدس. ولهم كلمات أخرى يرددونها أثناء الأذكار والتسبيحات. ومن خلال كتبهم ومراجعهم وقفت على خمس صيغ لكلمة التوحيد غير التي ذكرتها، وهذه الصيغ هي:

١ ـ لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي مراد الله.

٢ ـ لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين.

٣ ـ لا إله إلا الله الملك الحق المبين، نور پاك نور المهدي رسول الله.

٤ ـ لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي خليفة الله.

٥ ـ لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي سرُّ مكنون الله.

يلاحظ أن الصيغة المكررة والتي يرددونها في كل وقت لإظهار الإيمان، وتصديق القلب هي قولهم: «لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله». وأما بقية الصيغ المذكورة فيرددونها أثناء الأذكار والتسبيحات.

يقول البجاراني ـ أحد زعماء الذكرية ـ في فضل كلمة الذكريين ـ: «إن الملائكة وجدوها مكتوبة على العرش، فلما قرأوها خروا سجداً، وقالوا: يا رب ما فضيلة هذه الكلمة؟، فقال: «من قرأ هذه الكلمة بصدق قلبه، غفر له سبعون ألف خطيئة وحرمت عليه النار»[1]. وهذه الكلمة بألفاظها المختلفة مذكورة في كتبهم[2]، كما أن هذه الصيغة لكلمة التوحيد عندهم مكتوبة على واجهات قبورهم.

---

(١) انظر: نور تجلي (ص٢٢).

(٢) انظر: ذكر إلهي، لمحمد إسحاق درازئي (ص٣٩، ٤٠)، طبعة (١٩٦٥م)، كراتشي.
ـ ذكر وحدت، لعيسى نوري (ص١٧، ١٩، ٢١، ٢٥).
ـ ذكر توحيد، لمحمد أيوب شه زاد (ص٩، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٥)، الطبعة الأولى (١٩٧٣م)، نشره: جمعية طلبة الذكريين المهدويين.

وفي هذه الأيام يقرأون كلمتهم بالاختصار على هذا الشكل: «لا إله إلا الله نور محمد رسول الله». وأحياناً يردد الذكري الذكي كلمة التوحيد عند المسلمين بدون أية زيادة، من باب التقية، ويقصدون «بمحمد» المهدي عندهم، وذلك لخداع المسلمين(١).

ثانياً: عقيدتهم في القرآن الكريم:

يؤمن الذكريون بالقرآن الكريم الذي نزل على نبينا محمد ﷺ ولكنهم في الوقت نفسه يعتقدون أن تأويل القرآن، أو تفسيره مما اختص إمامهم المهدي، باعتباره صاحب الحق وحده في هذا التفسير، ومن ثم فإنهم لا يقبلون تفسير غيره؛ لأنهم يعتقدون أنه قد فسَّر القرآن كما هو في اللوح المحفوظ(٢).

يقول «الملا درَّازئي» في وصف المهدي: «أنيس المقربين، جليس القديسين، بلبل البساتين، مؤول القرآن، آخر الأنبياء، سيد المرسلين، وخاتم النبيين، نور محمد، مهدي آخر الزمان، عليه الصلاة والسلام»(٣).

وقد ذكر كي. إيم. عمراني البلوشي قولاً نسبه إلى عيسى عليه السلام يقول فيه: «نحن نأتيكم بالتنزيل، وأما التأويل فيأتي به المهدي في آخر الزمان». ثم تناوله بالشرح قائلاً: نحن معشر الأنبياء، نأتيكم بالتنزيل أي: الأحكام الظاهرة، وأما تأويلها، أي: الأحكام الباطنة، فيأتيكم بها المهدي عليه السلام في آخر الزمان، والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾(٤)، أي: بلسان المهدي، إذ أن البيان يتعلق بأحكام القرآن الباطنة»(٥).

---

(١) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص٥٥).

(٢) انظر: ذكري عقائد آپ كي عدالت مين (العقائد الذكرية وأنت الحكم)، لمحمد سليم البلوشي (ص٨)، نشره: مجلس تحفظ ختم نبوت، بلوشستان، باكستان.

(٣) انظر: ذكر إلهي (ص٣٩).

(٤) سورة القيامة: الآية ١٩.

(٥) انظر: نور هدايت (ص٣٩، ٤٠)، نشره: ملا بهرام عمراني البلوشي، الطبعة الأولى (١٩٨٦م).

ويستشهد الذكريون لإثبات عقائدهم بآيات القرآن الكريم، وأذكر هنا بعضاً منها على سبيل المثال، لا على الحصر:

١ ـ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[1].

يقول البجاراني: «المقصود بـ ألف ولام وميم الدلالة على اللطف والكرم والقرابة بين الله ـ تعالى ـ وبين محمد المهدي»، وقال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ «أيقنوا أن نور المهدي من الغيب أيضاً، فالإيمان به فرض لازم»[2].

٢ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾[3].

المراد بالروح في الآية «محمد المهدي».

يقول البجاراني: «اعلموا أن الله ـ تعالى ـ لما سوى جسد آدم عليه السلام ألقى فيه مثقال ذرة من تجليات روح محمد النوراني الطاهر، ولذا أمر الله ـ تعالى ـ الملائكة بالسجود لآدم؛ لأن الروح النوراني حل في جسده»[4].

٣ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣٥﴾[5].

يقول البجاراني: «مثل النور الذي ضُرِب في القرآن هو مثال للنور الطاهر نور محمدي صاحب الزمان؛ لأن الله ـ تعالى ـ ليس له مثال، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ﴾[6][7].

---

(١) سورة البقرة: الآيات ١ ـ ٣.

(٢) انظر: نور تجلي، (ص٦).

(٣) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(٤) انظر: نور تجلي (ص٢٠).

(٥) سورة النور: الآية ٣٥.

(٦) سورة النحل: الآية ٧٤.

(٧) انظر: نور تجلي (ص١٨).

٤ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1].

يقول البجاراني في شرح هذه الآية: «هو الأول عن كل شيء، والآخر عن كل شيء، وهو الظاهر على كل شيء والباطن عن كل شيء، والأول هو الحد الذي يبتدئ منه الشيء، والآخر هو الحدُّ الذي ينتهي فيه الشيء، وذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس لها ابتداء ولا انتهاء وهو منزه منهما، بل هو خالقهما، والمحيط بكل شيء والقادر عليه. فلفظ الأول والآخر حد لذات نور محمد المهدي؛ لأن الله تعالى خلقه أولاً، وأظهر رسالته على الأرض آخراً»[2].

٥ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾[3].

المراد بالإنسان في الآية: المهدي.

يقول البجاراني في شرح الآية: «الله ـ سبحانه وتعالى ـ الرحمن الذي علَّم علم الفرقان، وخلق إنساناً نادراً، لا مثيل له في الوجود، ووهبه العلم والحكمة، ويطوف حوله الشمس والقمر، وتسجد له النجوم والأشجار، وأظهره الله ـ تعالى ـ؛ لأنه مظهر لذات الربوبية، وأمين لجميع العلوم الإلهية، وذاته [موضع][4] الأسرار الربانية»[5].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾[6].

وقد كتب البجاراني: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً، لا تكلم الله نفساً إلا من أذن الرحمن»[7].

---

(١) سورة الحديد: الآية ٣.
(٢) انظر: نور تجلي (ص١٩).
(٣) سورة الرحمن: الآيات ١ ـ ٦.
(٤) كلمة «موضع» أضفت من عندي؛ لأن المعنى لا يستقيم بدونه.
(٥) انظر: نور تجلي (ص١٩، ٢٠).
(٦) سورة النبأ: الآية ٣٨.
(٧) انظر: نور تجلي (ص٦٢).

ثم ترجمها باللغة الأردية هكذا: «يقوم يوم القيامة روح النور المحمدي، وتصف الملائكة، فلا تؤذن لنفسٍ إلا للروح المحمدي (نور المهدي)[1] فيؤذن له أن يتكلم؛ لأن نور المهدي سلطان العالم كله»[2].

٧ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[3].

المراد بالإمام المبين: المهدي.

يقول البجاراني: «إن الإمام المبين لقب من ألقاب المهدي، كما قال الله ـ تعالى ـ في هذه الآية».

ثم يوضح هذا المعنى ويقول: «المراد بالإمام المبين، هو ذات أولي الأمر، عظيم القدر، وهو المقدم على كل شيء، وهو المظهر لكل شيء، ولكن لا بد لرؤيته العين البصيرة. والإمام المبين هو الهادي الحق، العالم بالعلم اللدني، ولنور محمد المصطفى تسعة وتسعون اسماً منها الإمام، والمهدي، وهي أسماء مقدسة التي يعبر عنها العلماء «باللوح المحفوظ» والمراد بـ «كل شيء أحصيناه» أن ذات الإمام ظرف، والأشياء مظروفة فيها، فوجود الإمام خزينة الموجودات، والمبين هو المظهر لكل شيء، فلا يراد به اللوح المحفوظ». ثم ذكر قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وتساءل إذا كان عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى، والروح المقدس (روح المهدي) الذي ببركته ولد عيسى ألا يقدرُ على إحياء الموتى»؟[4].

٨ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5].

المهدي من «عالم الأمر».

---

(١) بين القوسين.

(٢) انظر: نور تجلي (ص٦٢).

(٣) سورة يس: الآية ١٢.

(٤) انظر: نور تجلي (ص٦٣).

(٥) سورة يس: الآية ٨٣.

يقول البجاراني: «المهدي من عالم الأمر، وليس من عالم الخلق والمادة، فهو مقدس عن الأشياء المادية، وهو خليفة الله ونائبه، ومظهر كامل لولايته المطلقة، متصرف في العالم، وشهيد على الناس، ينظر بعين الله، ويسمع بأذنه، ويتكلم بلسانه، ويتصرف في العالم بيده، وينظر إليه بعينه النورانية مثل كفه، وتظهر منه كمالات الله ـ تعالى ـ وهو مظهرُ لها»[1].

٩ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾[2].

المراد بالروح: نور المهدي.

يشرح البجاراني هذه الآية الكريمة بقوله: «لما سئل النبي ﷺ عن هذه الآية، فقال: إن جبريل ذلك الملك الذي ينزل على الأنبياء، وأما الروح هو الملك الذي يعلم الأنبياء والأولياء كل شيء على الدوام، فثبت أن الملائكة والروح شيئان مختلفان، ولما نفخت القدرة الإلهية الروح في جسد آدم أمر الملائكة بالسجود له، فتبين جلياً أن الروح أفضل من الملائكة بدرجاتٍ، وهو سبب سجود الملائكة لآدم، وذلك الروح هو «النور الطاهر»، وهو أمر من الرب ـ تعالى ـ»[3].

وهكذا جميع الآيات التي ورد فيها كلمة «الروح» يفسرونها بنور المهدي كما في الآيات الآتية:

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[4].

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾[5].

﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾[6].

---

(١) انظر: نور تجلي (ص٦١).
(٢) سورة النحل: الآية ٢.
(٣) انظر: نور تجلي (ص٢٤).
(٤) سورة النحل: الآية ١٠٢.
(٥) سورة الشعراء: الآية ١٩٣.
(٦) سورة مريم: الآية ١٧.

١٠ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[1].

يقول البجاراني في شرح هذه الآية: «ولما أن الروح المحمدي (أي المهدي) خلق منه الكائنات كلها، فمحمد حياتها، والأب الروحي لها، وهذا هو الروح النوراني الذي ألبسه الله ـ تعالى ـ لباس الكمالات، وجعله مأموراً على تنظيم العرش، وهذا هو أمر الرب الذي ينظم رسالات الأنبياء في هذه الدنيا»[2].

هذا قليل من كثير من النماذج والأمثلة التي تدل على مدى تحريف الذكريين لآيات القرآن الكريم، واكتفيت بهذه الأمثلة العشرة، وإلا فإنه لا يخلو كتاب من كتب الذكرية من تحريف لآيات القرآن الكريم، وتشويه لمعانيه.

ثالثاً: النبوة المحمدية:

تعتقد الذكرية أن النبي الذي يسميه المسلمون محمداً ﷺ اسمه الأصلي «أحمد»، وليس محمداً وهو من جملة الأنبياء السابقين أمثال: نوح، وإبراهيم، وموسى عليهم السلام ورسالته ليست خاتمة الرسالات فلا يجب الإيمان به إلا إجمالاً، وحيثما ترد في القرآن الكريم كلمة «محمد» فالمراد به «محمد المهدي» الذي يؤمن به الذكريون. وهو الرسول الأعظم، وخاتم الأنبياء، وسيد الرسل، والإيمان بنبوته ورسالته فرض عين[3].

يقول شيئ[4] محمد درفشان قصرقندي ـ أحد كبار علمائهم ـ في ثناء المهدي في قصيدة طويلة:

«إن المهدي رسول، بل هو سيد الرسل، وأمين الله وتاجٌ للأنبياء».

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠. (٢) انظر: نور تجلي (ص٢٦).

(٣) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص٧، ٨).

(٤) من ألقاب الدعاة عند الذكرية، تساوي كلمة «الشيخ».

ويقول مخاطباً له: «إن جميع الرسل يفتخرون بك، لأنك عبد مقرب لدى رب العالمين»[(١)].

يقول «ملا إبراهيم بنجكوري» في منظومته الطويلة في وصف المهدي:

«أيها القلب انتبه، وانشد فضائل رسول الإنس والجن؛ لأنه شافع يوم محشر، وهادي العالم أجمع، إن الله - تعالى - وهبه حق تأويل القرآن، وهو ملك الملوك ومهدي صاحب الزمان»[(٢)].

ويقول أيضاً في منظومة أخرى:

«أنا أنظم هذه القصيدة لدين المهدي، وهو الهادي، والبلاغ المبين، والحبيب، والأمين، والمتين، والمبين، وهو الشاهد للسماء والأرض، وهو الحبيب، والهادي للخلق، وسيد السادات وأفضلهم، وهو إمام للرسل، وقدوة للسبل، كل الأنبياء مثل الأوراق، وهو مثل الزهرة»[(٣)].

فتبين مما تقدم أن الذكريين ينكرون ختم النبوة لنبينا محمد ﷺ وكتب الذكرية متفقة على ذلك وعملهم يؤيده أيضاً، وهذا أمر ظاهر، لأن من ادعى النبوة بعد نبينا محمد ﷺ ومن صدق في دعواه فهو منكر لعقيدة ختم

---

(١) انظر: ثناء مهدي، لمحمد أيوب شاه زاده البلوشي (ص١١، ١٢)، نشره: ذكري مهدوي اسٹودنٹس آركنائزيشن (جمعية طلبة الذكريين المهدويين)، والأبيات كالآتي:

رسولِ كه مر جمله را سرورست	أمين خدا تاج پيغمبر است
بمه أنبياء را بتو افتخار	توئي بنده خاص بروردكار

(٢) انظر: نفس المصدر (ص٩) وهذه الأبيات كالآتي:

أي دل برخيز بخوان نعت رسول إنس وجان	آن شافع يوم محشر هادي سارا جهان
حق بر أو بخشد برآن كرد تأويل قرآن	تاجداران جمله شاهان مهدي صاحب زمان

(٣) انظر: نور هدايت (ص٧٩)، وهذه الأبيات كالآتي:

كنم نظم بنياد از بهر دين	به مهدي هادي بلاغ المبين
حبيب أمين ومتين ومبين	بود شاهد آسمان زمين
حبيب كه مر خلق را رهبر است	بهر سروران مهتر وبهتر است
إمام رسل پيشواى سبل	بمه بمچو برگ است او همچو گل

النبوة المتفقة بين جمهور الأمة[1][2].

رابعاً: عقيدتهم في المعراج:

تعتقد الذكرية أن نور المهدي نزل من السماء ثم عرج إليه، وهو الآن موجود عند الله ـ تعالى ـ على العرش، ويستشهدون على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾[3][4].

ويزعمون أن النبي «أحمد المصطفى» قال مرةً يوم الجمعة في جمع من أصحابه: «أنا محمد خاتم النبيين ولا نبي بعدي». ولما سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت له: «لماذا تقول هذا بغير وحي من السماء»؟ وسخط الله ـ تعالى ـ عليه بهذا القول؛ لأنه قرر من الأزل بأن نور الأولين والآخرين، ونبي آخر الزمان هو محمد المهدي، فأرسل الملك جبريل، وقال: ائت بأحمد حتى ير محبوبي المهدي هنا، ويعرف أنه محبوبي وخاتم النبيين، فانطلق جبريل وأخبره الخبر، وأخذه معه حتى وصل إلى السماء الأولى ووجد الباب مقفولاً، والملك «كاكائيل»[5] يحفظه، فقرأ «أحمد» هذا الدعاء الذي علمه الملك بالتواضع الشديد:

أو پير ما مريديم، أو پدر ما فرزنديم، ما إيمان آورديم بر «لا إله إلا الله»[6] نور پاك نور محمد مهدي رسول الله، ومهدي مراد الله،

---

(١) سيرد مزيد توضيح لهذه المسألة عند بيان منزلة المهدي عند الذكرية.

(٢) ولعل هذا هو الأصل الذي أخذ منه القاديانيون عقيدتهم في هذه المسألة حيث أنهم لا يعترفون لنبينا محمد ﷺ أنه خاتم الأنبياء، ولكن تطوروا في مفهومهم للختم، فأولوه تأويلاً آخر، ولكنهم يتفقون مع الذكريين في أن محمداً ﷺ ليس خاتم الأنبياء بمعنى آخرهم.

(٣) سورة السجدة: الآية ٥.

(٤) انظر: نور تجلي (ص٥٨، ٥٩).

(٥) هذا اسم ملك اخترعوه من عندهم، ولم أجد لهذا الاسم مرجعاً في الكتاب أو السنة الصحيحة.

(٦) معناه: هو الشيخ ونحن مريدوه، هو الوالد نحن أولاده. آمنا بـ «لا إله إلا الله... إلخ، والضمير يعود إلى المهدي.

ومحبوب الله، ونور الله، وعزيز الله، ورحيم الله، وفضل الله، وشهيد الله، وحقوق الله، نور على خلق الله، داعياً إلى الله بإذنه سراجاً منيراً».

وانفتح الباب فور قراءة هذا الدعاء، وعلمه أدعية أخرى قرأها فانفتحت الأبواب الأخرى حتى وصل تحت سدرة المنتهى، وهناك عُلِّمَ دعاءً طويلاً دعا به متضرعاً إلى الله حتى أوصله حملة العرش إلى ما فوق العرش، وهناك شاهد شخصاً جميلاً، حسن الوجه، طويل القامة، طويل اليدين، محترماً، جالساً أمام الله ـ سبحان وتعالى ـ على كرسي؛ فخاطبه الله ـ تعالى ـ قائلاً: «يا أحمد ذكرت لأصحابك في جمعٍ لهم بأنك محمد، وخاتم النبيين، ولكن الصحيح أن محمداً وخاتم النَّبيين، ونور الأولين والآخرين هو المهدي، وهو الذي يجلس هنا، ولا أفارقه أبداً، تعلم منه الهداية وعلم الشريعة».

فلما توجه «أحمد» إلى «محمد المهدي» قال له: «أنا الوالد، وأنت الولد، أنصحك حول الذي ذكرته في مجلس أصحابك، وأسألك أأنت أحمد أم محمد؟ فأجاب قائلاً: «كنت مُخطئاً في ذلك اسمي «أحمد» واسمك «محمد» وأنت خاتم النبيين» فأرشده المهدي إلى أشياء أخرى، فلما رجع أحمد إلى الأرض قال لأصحابه: «لا تنكروا المهدي، وهو محمد، وهو نور الأولين والآخرين، ويأتي إلى الدنيا من بعدي، ولا تبغضوا أمته، ولا تأكلوا أموالهم، ولا تقتلوا أحداً منهم»[1].

خامساً: عقيدتهم في المهدي:

ظهور المهدي:

تعتقد «الذكرية» أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق محمد المهدي من

---

(١) انظر: الفئة الذكرية وفتنتها في مكران، للشيخ عبد الغفار محمد الضامراني (ص٧، ٨)، نشره: جمعية أنصار السنة المحمدية مكران، بلوشستان، باكستان.
ـ ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص٨، ٩).
ـ ذكري عقائد آب كي عدالت مين (ص٩ ـ ١١).

نوره بدون أب ولا أم، وخلق الكائنات كلها من نور محمد المهدي، واستفاض من هذا النور الأنبياء والأولياء والرجال الصالحون. وبهذا النور نجا «نوح» من الطوفان، «وإبراهيم» من النار، و«موسى» من الغرق، ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ وببركته كان «عيسى» عليه السلام يحيي الموتى.

سيّر الله ـ تعالى ـ وروحه في الكائنات كلها وأثناء تجواله في السموات العلا أغمي على الملائكة من شدة جلاء نوره، واستمر هذا الإغماء سبعين ألف سنة، ولما أفاقوا سألوا الله عز وجل عن هذا النور، فأجاب: هذا نور المهدي خلقته من نوري، أنا وهو شيء واحد وقامت الملائكة «جبريل» و«ميكائيل» و«إسرافيل» و«عزرائيل» عليهم السلام بزيارات خاصة، وتقرب إلى حضرة رب العزة والجلال، ثم نظر إلى الكتب المقدسة قبل نزولها، وأذن الله تعالى أن يختار له صحيفة من تلك الصحف فاختار أربع مسائل من الصحف السماوية كلها، كما اختار عشرة أجزاء من أربعين جزءً من القرآن الكريم، والتي تشتمل على الأسرار والرموز، وسميت هذه المجموعة المختارة باسم «البرهان» أو «كنز الأسرار» وهي التي نزلت على المهدي في «بَرْكَهْوَرْ»[1]، والأجزاء الثلاثون الأخرى التي نزلت على النبي أحمد العربي تضم الأحكام الظاهرة، وتمثل المهدي بقول الشاعر:

من زقرآن مغزرا برداشتم استخوان پيش سكان بكذاشتم

أي: اخترت من القرآن مغزاه، ورميت العظام أمام الكلاب[2]. وهذا هو المهدي في حقيقته الروحانية، وقبل نزوله إلى الدنيا.

ثم ظهر محمد المهدي في صورته الإنسانية سنة (٩٧٧هـ) في منطقة «أَتَكْ» على قمة جبل شاهق، وهو المهدي المنتظر الذي أخبر عنه القرآن[3]

---

(١) اسم شجرة التي نزل عليها كتاب المهدي باسم «البرهان».

(٢) يقصد بالعظام القرآن الكريم الذي نزل على رسولنا محمد ﷺ، وبالكلاب المسلمين الذين يقرؤنه.

(٣) على حسب زعمهم وإلا أخبار المهدي جاءت في السنة، ولم ترد في القرآن الكريم، وليس هو المهدي الذي يتحدثون عنه.

ولا مهدي بعده، وبعد ظهوره في كيانه البشري بدأ جولاته حول العالم، والتي استغرقت ثلاثاً وثلاثين سنة[1] ولم يكشف عن أسراره في هذه الرحلات، ولكن الذي عرفه بنور بصيرته آمن به، وارتمى في حلقة مريديه وأتباعه، والذي عرفه قبل الجميع هو السيد «محمد الجونبوري»[2] ووجده المهدي أميناً، فكشف له بعض الحقائق وأوصاه ألا يكشف عنها إلا عند أهل الإيمان، وبعد ثلاثين عاماً كان يتجول في «طاشقند»[3] فمرَّ على شاب يدعى بـ أبي سعيد[4] فآمن به، ورافقه في السفر، وفي «قصر قند»[5] آمن به «ميرملاجنكي»، «وملا شهداد»، ثم اشتغل بالرياضة الروحية أربعين يوماً على جبل قرب «كوادر» عرف «بجبل المهدي»، ثم وصل إلى «كيج»[6] قرب مدينة «تربت»، وأقام مع رفقائه في جبل عرف بـ «جبل مراد». واشتغل هناك بالذكر الإلهي والدعوة والإرشاد قرابة عشر سنوات، وفي هذه الأثناء بايعه آلاف من البشر من الحكام والمحكومين، ومنهم «ملا مراد كجكي» الذي عينه خليفة له. وفي يوم من الأيام، وبعد منتصف إحدى الليالي حيث كان الجميع يغطون في نوم عميق، غاب المهدي عن الناس بعد أن غاص في الأرض تاركاً أحد أطراف ردائه فوق الأرض ليكون علامة على اختفائه.

ويعتقد الذكريون أن المهدي عندما قرر الغيبة، وترك الناس نياماً، وشرع في تنفيذ الغيبة فوجئ «بأبي سعيد» متيقظاً، فسلمه بعض الأمانات، وراح هو في غيبته عن طريق شق في الأرض نزل فيه، وترك أحد أطراف ردائه ليدل على المكان الذي اختفى منه، وأنه الآن جالس مع الله ـ تعالى ـ على عرشه، يراقب أمته، ويدافع عنهم، ولا يسمح لأحد منهم بدخول النار[7].

---

(١) يعبرون عنها بـ «سير جهاني».
(٢) هو: السيد محمد بن يوسف الجونبوري (٨٤٧ ـ ٩١٠هـ) مؤسس الحركة المهدوية، سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث عند الحديث عن المهدوية.
(٣) اسم مدينة تقع في جمهورية أوزبكستان.
(٤) وهو من الدعاة الذكريين وأول حاكم ذكري، سيأتي الحديث عنه عند ذكر الدعاة.
(٥) اسم بلدة في ولاية بلوشستان. (٦) اسم بلدة في ولاية بلوشستان.
(٧) انظر: نور تجلي (ص١٤ ـ ١٩).

منزلة المهدي عند الذكريين:

وتلك أهم مسألة ترتكز عليها عقيدة الذكريين في المهدي، إذ أنني بعد تتبع هذه العقيدة ودراستها في كتبهم، وجدت أن منزلة المهدي تتميز لدى الذكريين في الأمور الآتية:

١ ـ محمد مهدي رسول الله وخاتم النبيين:

تقدم في عقيدة النبوة المحمدية أن «الذكرية» تعتقد أن النبي أحمد ﷺ كان نبياً من جملة الأنبياء، ورسالته ليست خاتمة الرسالات بل محمد المهدي هو خاتم النبيين وأفضلهم، يقول داعيتهم المعتمد «الشيخ محمد درفشان قصرقندي» مخاطباً للمهدي:

تـوئي خـاتـم جـمـلـه پـيـغـمـبـران   تـوئـي تـاجـدار بـمـه سـروران
تـو بـودي پـيـغـمـبـر بـحـق الـيـقـيـن   كـه آدم نـهـان بـود در مـاء وطـيـن

معناه: «أنت خاتم الأنبياء كلهم، وأنت سيد لجميع السادات، كنت نبيًا بالحق واليقين، وآدم بين الماء والطين».

ويقول «ملا إبراهيم البنجكوري»[1]:

نـوك قـلـمـت نـقـش زد از روز أزل   نام زد ختـم نبيان مهدي آخر الزمان[2]

يخاطب الله ـ سبحانه وتعالى ـ قائلاً:

«لسان قلمك سجّل من الأزل ورشح بأن خاتم النبيين هو مهدي آخر الزمان».

ويقول «الملا عزت البنجكوري» في وصف المهدي:

از شافع المسلمين ختم جمله مرسلين   تاجدار جمله شاهان مهدي صاحب زمان[3]

= ـ ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص٥، ٦).
ذكري مذهب اور إسلام (ص١٩، ٢٠).

(١) انظر: نور تجلي (ص٦٨).
(٢) انظر: ثناء مهدي (ص٧).
(٣) انظر: نفس المصدر (ص١٠).

معنى ذلك: «إنه شفيع المسلمين، وخاتم جميع المرسلين، وملك سائر الملوك، مهدي صاحب الزمان».

وذكر «الملا محمد إسحاق درازئي» في كتابه «الدعاء» الذي يدعون به عقب الذكر، وجاء فيه:

«يا رب بحق فضلك وكرمك ولطفك وجودك وإحسانك، حضرة نور محمد مهدي هادي... تأويل قرآن، نبيء تمام، سيد إمام مرسلين، ختم رفيع الإكرام، نور محمد مهدي أول آخر الزمان عليه الصلاة والسلام»(1).

٢ ـ المهدي سبب لإيجاد الكون:

يؤمن الذكريون أن المهدي هو السبب في إيجاد الكون، لولاه لما كانت الموجودات، فببركته وعزته أخرج الموجود من حيز العدم، إلى ساحة الوجود.

يقول شيخ إسلام الذكريين «محمد درفشان قصرقندي».

همه هستي وجود از تو يافت ... همه كالبدع وجود از تو يافت
نه بودي اكر نور تو آشكار ... عيان نه بودي خلق هژده هزار
توئي بنده خاص ذو الجلال ... عدم يافت از بركت تو كمال(2)

أي: «كل الموجودات خرج إلى ساحة الوجود عن طريقك، فإن لم يكن نورك ظاهراً، لم يكن لثمانية عشر ألف نوع من الخلائق وجود(3)، أنت عبد مقرب عند الله ذي الجلال، وكل عدم جاء إلى الوجود، ووجد الكمال ببركتك».

يقول القاضي «إبراهيم الكاشاني البنجكوري»:

اكر تو نبودي دو عالم نبود ... از قفل جمله زيهرت كشود

---

(1) انظر: ذكر إلهي (ص٣٨، ٣٩). (2) انظر: ثناء مهدي (ص١١).

(3) هذا من خرافات الدعاة الذكريين، ولا يوجد نص في تحديد المخلوقات بهذا العدد.

زنـورت دو عـالـم مـنـور شـده	شـفـاعـت كـري بـر تـو وافـر شـده
دو عـالـم زنـور اسـت آدم چـنـان	مـنـور زتـو بـود هـر دوجـهـان
خـلائـق نـبـود ومـلائـك نـبـود	كه اى نـور منظور تـو در شـود[1]

يقول مخاطباً للمهدي:

«إذا لم تكن ذاتك موجودة، فلم يكن للدنيا والآخرة وجود، بل انفتح قفل كل شيء بوسيلتك، ومن نورك استضاءت الدنيا والآخرة، وأنت الشافع في المحشر، تنورت الدنيا والآخرة بنورك وهكذا آدم ﷺ، لم تكن هناك خلائق ولا ملائكة، لما خلق الله ـ تعالى ـ نورك».

وذكر المولوي «فقير محمد السندي» في مقدمة كتابه «مين ذكري هون» (أنا ذكريّ): «الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، هو الأول والآخر نوراً، وعلى نور محمد المهدي الهادي «لولاك لما خلقت الأفلاك» عليه الصلاة والسلام»[2].

ويقول «البجاراني»: «إن الله قسم نور المهدي إلى أربعة أقسام: خلق من القسم الأول العرش ورفعه، وأوجد من القسم الثاني اللوح والقلم، ومن القسم الثالث خلق الجنة وعالم الأرواح، ومن القسم الرابع سائر الكائنات كلها ثم أعلن، «لولاك لما خلقت الأفلاك»[3].

٣ ـ المهدي نور من نور الله ـ تعالى ـ:

يعتقد الذكريون أن المهدي نور من نور الله خلقه من نوره قبل كل شيء، فهو الأول خلقاً، والآخر بعثاً، وهذا النور أزلي، ليس له أب ولا أم، وليس هو من جنس البشر، فلا يحتاج إلى أكل ولا شرب[4].

---

(١) انظر: نور تجلي (ص٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٩).
(٢) انظر: مين ذكري هون (أنا ذكري) (ص٦).
(٣) انظر: نور تجلي (ص١٦).
(٤) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (ص١٩).
ـ ذكري عقائد آپ كي عدالت مين (ص١١).

يقول البجاراني: «لما خلق الله نور المهدي أذن للملائكة بزيارته، فزاره أولاً الملائكة المقربون الأربعة: جبرائيل، ميكائيل، إسرافيل، عزرائيل(١)، فصاروا أفضل الملائكة، ثم قام بزيارته حملة العرش، وكانوا ثمانية. ولما شاهد الملائكة جلاء نوره أغمى عليهم واستمر الإغماء لمدة سبعين ألف سنة، فلما أفاقوا سألوا الله - تعالى - لمن كان هذا النور؟ قال: هذا نور (نور محمدي)(٢) محمد المهدي الطاهر، فخروا له ساجدين فلما رفعوا رؤوسهم سألوه: «يا الله كيف خلقت هذا؟ قال: خلقت من نوري»(٣).

ويقول «محمد درفشان قصرقندي» في وصف المهدي:

ترا دانم اى نور هر دوسرا	علو مرتبت در حريم خدا
توئي رحمت الله نور خدا	زياران وخويشان مكَر دان جُدا(٤)

يقول مخاطباً للمهدي: «أنا أعرفك يا نور الدنيا والآخرة، لك الدرجة العليا عند الله - تعالى - أنت نور الله ورحمته فلا تقطع عن الأحباب والأقرباء».

٤ - الله عاشق والمهدي معشوقه:

يؤمن الذكريون بأن الله - سبحانه وتعالى - عاشق والمهدي معشوقه، ويستدلون على ذلك بقوله - تعالى -: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾(٥).

وكتب «الشيخ شكر بن الشيخ كلابي» - داعية الذكريين - إلى «الشيخ القاضي عبد الصمد السربازي» - أحد المقاومين للحركة الذكرية - حين قامت بينهما مناظرة تحريرية في عقائد الذكرية وذلك سنة (١٩٣٧م)، فذكر في

(١) يعتقد كثير من العوام أن ملك الموت اسمه «عزرائيل» وهو غير صحيح. وقد سماه الله «ملك الموت»، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾. [السجدة: ١١].

(٢) يحذف ما بين القوسين.

(٣) انظر: نور تجلي (ص٢٠).

(٤) انظر: نفس المصدر (ص٧١).

(٥) سورة طه: الآية ٤١.

بيان كمال علم المهدي قائلاً: «يظهر مقدار العلم الذي أعطي المهدي من خالقه وعاشقه بدليل آية القرآن: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[١].

فالألف واللام في كلمة «البحر» للجنس، ومعناه: لو كانت كل البحار الموجودة في الأرض سواء كانت عذبة أو مالحة مداداً لعلم معشوقي، لنفدت كل البحار قبل أن ينفد علم معشوقي، ولو يعاد المداد من جديد»[٢][٣].

العبادات عند الذكريين:

من المعروف أن العبادات في كل نحلة تتبع عقيدتها، وقد قَدَّمتُ قبل ذلك الجانب العقدي لطائفة الذكريين، وعرضت من هذا الجانب ما يدين به الذكريون من نسخ للشريعة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ، وهنا أعرض عباداتهم التي تنبع من عقيدتهم، وأتناول هذه العبادات بشيء من التوضيح، فأقول ـ وبالله التوفيق ـ:

أولاً: الصلاة:

يَصُبُّ الذكريون دائماً جام غضبهم على الصلاة، ويحتقرون المصلين، ويتعقبونهم باللعن والسخرية، ويعتقدون أن الصلاة التي هي عماد الدين عند المسلمين قد نسخت، ويستدلون على ذلك ـ في زعمهم ـ بما جاء في القرآن الكريم من قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٤]. ويحل محلها الذكر، ويرون أن الذكر أهم من الصلاة وأولى، ويستشهدون

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٢) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (٤٥).

ـ ذكري عقائد آپ كي عدالت مين (١١، ١٢).

(٣) وفيه تحريف سافر لمعنى الآية الكريمة حيث جعل المراد بقوله ـ تعالى ـ: (ربي) هو المهدي.

(٤) سورة النساء: الآية ٤٣.

على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1]. أي: أكبر من الصلاة وأهم منها. وحيثما ورد في القرآن الكريم لفظ «الذكر» فالمراد به «الذكر» الذي يزاوله الذكريون[2]. ولهذا فإن الذكر هو لب العبادة عندهم، وعماد نحلتهم، ومنه يشتق اسمهم وينتسبون إليه.

وتبدو عظمة الذكر لدى الذكريين في سعة اهتمامهم به حيث أفردوا له مساحات واسعة من مؤلفاتهم إلى الحد الذي جعل بعض دعاتهم يفرد للذكر مؤلفات خاصة يتحدث فيها عن أهمية الذكر، وفضله، وطريقته، والأدعية التي يرددون فيها، أمثال: «ذكر إلهي» لمحمد إسحاق درّازئي، «ذكر توحيد» لمحمد أيوب شه زاده، «ذكر وحدت» للسيد عيسى نوري، «مين ذكري هون» (أنا ذكري) لمولوي فقير محمد سندي.

الذكر عبارة عن عبادة مخصوصة بكلمات مخصوصة في أوقات مخصوصة، وهو قد يكون جلياً أي: بالجهر والجماعة في «ذكر خانه» أي: بيت الذكر. وقد يكون خفياً أي: بالإخفاء والانفراد وفي البيت. وهذا الذكر فرض واجب على كل ذكري رجلاً كان أو امرأة، شاباً كان أو شيخاً. ولأهمية الذكر عند هذه الفرقة أود أن أبينه بشيء من التفصيل، وأبدأ بالمصطلحات التي يستعملونها في الذكر.

مصطلحات الذكر:

للذكر عندهم طقوس مخصوصة تتم بواسطة أناس مخصوصين، يقودون حلقات الذكر وهم:

١ ـ لاخوان: يعني قارئ «لا» وهو الذي يتقدم الذكريين ويبدأ أولاً بكلمة «لا إله إلا الله» في حلقة الذكر، ويقال له أيضاً «پيش لا» و«پيش ذكر».

٢ ـ «دعا خوان»: يعني «قارئ الدعاء» وهو الذي يقرأ الأدعية في حلقة الذكر.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٢) انظر: إسلام اور ذكري فرقه (ص٨٣).

٣ ـ الدعاء: كل آية من القرآن الكريم تبدأ بكلمة «ربنا» فهي دعاء عند «الذكرية».

٤ ـ الكلمة: الكلمة التي يرددونها أثناء الذكر هي: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين، نور پاك محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين»[١].

أوقات الذكر وأنواعه:

وللذكر عندهم أوقات خاصة، بكيفيات مخصوصة، وهي على الترتيب كالتالي:

الأول: ذكر التسبيحات الأربعة. ويقرأ بعد طلوع الشمس، وعند الظهر، والعشاء.

الثاني: ذكر التسبيحات الستة. ويقرأ عند الفجر، والمغرب، ويكون فيه قيام واحد، وركوع واحد، وسجدة واحدة.

الثالث: ذكر التسبيحات العشر. ويقرأ وقت التهجد، ويكون فيه عشرة قيام، وعشرة ركوعات، وعشر سجدات.

ويقرأ هذا الذكر في الليالي الفاضلة كليلة القدر، وليلة المعراج، وليلة التاسع من شهر ذي الحجة، وليلة العاشر من شهر محرم الحرام[٢].

طريقة الذكر:

يجلس المجتمعون للذكر في الحلقة متوضئين، ولابسين الثياب الطاهرة، ويكون فيهم «لاخوان» و«دعا خوان»، وقبل الشروع في الذكر ينوون بالطريقة الآتية:

نية الذكر: يقرأون التعوذ والتسمية، ثم يقرأون الإيمان المفصل[٣]

---

(١) انظر: ذكر توحيد (ص٩). (٢) انظر: نفس المصدر (ص١٠).

(٣) المراد بالإيمان المفصل أن يقول: «آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله ـ تعالى ـ والبعث بعد الموت».

وبعده يقرأون سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وسورة الناس، ثم يقولون: «بفرموده خدائى بزرك برتر»[1] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[2]. براءِ عبادت حق - تعالى - ودوستيءِ نور باك وبركت سبع من المثاني نيت كرتا هون: ذكر چهار تسبيح ياشش تسبيح (جيسا بهي وقت هو)[3].

الدعاء المخصوص:

١ - يقرأ «لاخوان» ومن معه في الدائرة كلمة «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ثم يقرأ: «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين».

ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4]، ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[6]، آمين يا الله برحمتك يا أرحم الرّاحِمِين.

٢ - ثم يقرأ بعده «لاخوان» وأصحاب الحلقة: «لا إله إلا الله الوعد الأمين». ويقرأون الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾[7]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[8]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٣ - ثم يردد «لاخوان» ومن معه كلمة «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ويقرأ «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية الآتية:

---

(١) معناه: يقول الله ﷻ. (٢) سورة الذاريات: الآيتان ٥٥، ٥٦.

(٣) معناه: لعبادة الله - تعالى - وحب النور الطاهر، وبركة سبع من المثاني نويت ذكر أربع تسبيحات أو ست تسبيحات (حسب وقت الذكر).

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٣. (٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٠.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٠١. (٧) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٨) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾[1]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٤ ـ ثم يقرأ بعده «لاخوان» وأصحاب الحلقة كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٥ ـ ثم يقرأ «لاخوان» ومن معه في الحلقة «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ويقرأ «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». والأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[6]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٦ ـ ثم يردد «لاخوان» ومن معه في الحلقة كلمة «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ويقرأ «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾[7]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[8]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠١.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠١.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٠١.
(٧) سورة آل عمران: الآية ١٩٣.
(٨) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

٧ ـ ثم يقرأ «لاخوان» ذكر «لا يرجو» ـ كما يأتي بيانه ـ بحيث يقرأ معه أصحاب اليمين كل قطعة ثلاث مرات، وأصحاب الشمال صامتون فإذا فرغ أصحاب اليمين من قراءة القطعة ثلاث مرات فهم يسكتون ويقرأ أصحاب الشمال ثلاثة مرات، وهكذا. وذكر «لا يرجو» كما يلي:

ـ لا يرجو من غير الله إلا العميان	ثلاث مرات
ـ لا يظن بالجبَاتِ إلا الصبيان	ثلاث مرات
ـ لا يتربص الرُّجعى إلا الموتى	ثلاث مرات
ـ لا يتخيل السند إلا المرضى	ثلاث مرات
ـ لا يتوهم الوكلا إلا الخسرى	ثلاث مرات
ـ لا مفتح الأبواب إلا الله	ثلاث مرات
ـ لا مسبب الأسباب إلا الله	ثلاث مرات
ـ لا مقطع الأسباب إلا الله	ثلاث مرات
ـ لا منقذ من البليات إلا الله	ثلاث مرات
ـ لا فاعل في السموات والأرض إلا الله	ثلاث مرات
ـ ليس النافع ولا الضارُّ إلا الله	ثلاث مرات

ويلاحظ أن القطعات المذكورة تقرأ في ذكر التسبيحات الست فقط.

٨ ـ ثم يقرأ أصحاب الحلقة كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

٩ ـ ثم يقرأ «لاخوان» ذكر «سبحان الذي» ـ كما يأتي بيانه ـ مع أصحاب اليمين، يقرأون كل قطعة ثلاث مرات، وأصحاب الشمال صامتون، فإذا فرغ أصحاب اليمين يقرأ أصحاب الشمال هذه القطعة وأصحاب اليمين

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

ساكتون، وكل ذلك يكون بالتناوب. وذكر «سبحان الذي» كالآتي:

ـ سبحان الذي لا يجري في ملكه إلا ما يشاء	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي بإرادته تتكون الأشياء	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي يصطفى من بني آدم من يختار	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي يمحو من الأباطيل ما يشاء	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي يثبت من المداحض ما يشاء	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي يستأصل من المناسك بما يختار	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي يسقط من الأقوام من هو مشادُ	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي يهدم من الأديان ما ملأ الأرض والسموات	ثلاث مرات
ـ سبحان الذي يهدم من الأمم من هو في ملكه منار	ثلاث مرات

تقرأ هذه القطع في ذكر التسبيحات الست فقط.

١٠ ـ ثم يقرأ «لاخوان» ومن معه في الدائرة «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ويقرأ «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين».

ويقرأ الأدعية الآتية: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾[١]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٢]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

١١ ـ ثم يقرأ «دعا خوان» ومن معه في حلقة الذكر يميناً وشمالاً بالتناوب كل قطعة من القطع التالية ثلاثة مرات:

ـ اللَّهُ اللَّهُ ليس الهادي إلا هو	ثلاث مرات
ـ اللَّهُ اللَّهُ ليس المنجي إلا هو	ثلاث مرات
ـ اللَّهُ اللَّهُ ليس المغني إلا هو	ثلاث مرات
ـ اللَّهُ اللَّهُ ليس المحيي إلا هو	ثلاث مرات

(١) سورة غافر: الآيتان ٨، ٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

- اللَّهُ اللَّهُ ليس المعطي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المصطفى إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس المجتبى إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس القاضي إلا هو ثلاث مرات
- اللَّهُ اللَّهُ ليس الباقي إلا هو ثلاث مرات

١٢ - ثم يقرأون جميعاً: «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ويقرأ «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية الآتية:

«ربنا إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنك أنت الغفور الرحيم ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٣ - ثم يقرأون: «جلَّ اللَّهُ جَلَّ مالكنا ربٌّ باقيٌ لا يُفنَى»، ويقرأون «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ويقرأ «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية الآية:

﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨﴾[3]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4]، أمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٤ - ثم يقرؤون جميعاً «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة. ويقرأ: «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية الآتية:

---

(١) سورة التحريم: الآية ٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠١.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾[1]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٥ ـ قيام: ثم يقولون: «الله أكبر» ويقفون.

ويقرأ «دعا خوان» بصوت رفيع: «فاذكروا الله قياماً وقعوداً» فيقرأون: «لا إله إلا الله» خمس عشرة مرة، ويقرأ «دعا خوان» كلمة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين نور پاك نور محمد مهدي رسول الله صادق الوعد الأمين». ويقرأ الأدعية الآتية:

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[3]، ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾[4]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[5]. آمين يا الله برحمتك يا أرحم الراحمين.

١٦ ـ ثم يقرأون «بسم الله الرحمن الرحيم» «يا اللّهُ، أنت ربي، وعلمك حسبي، فنعم الرب ربي، ونعم الحسب حسبي، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم».

ويقول «دعا خوان» بصوت عال: «استغيثوا يا عباد الله»، فيقرأون بصوت رخيم: «بسم الله الرحمن الرحيم» ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[6]، «لا إلـه إلا هـو رب السموات والأرض رب العرش الكريم، ذو الجلال والإكرام الحي القيوم».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٣.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٠١.
(٦) سورة الحشر: الآيات ٢٢ ـ ٢٤.

ويقرأ «دعا خوان» ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[1].

١٧ ـ ركوع:

ـ ثم يقولون: «الله أكبر» ويركعون ويقرأون: «سبحان الله وبحمده سبحان ربي العظيم» ثلاث مرات.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾[2]. ثم يرفعون من الركوع مكبرين، ويقولون: «أستغفر الله الذي» ثلاث مرات، ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[3] ويكبرون ويسجدون.

١٨ ـ السجود:

ويقرأون: «ولله يسجد من في السموات وما في الأرض والنجم والشجر يسجدان سبوح قدوس ربنا ورب الملائكة والروح، سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي الأعلى العلي العظيم، سبحان ربي الأعلى عما يصفون، وسبحان الملك المقصود، سبحان الملك الموجود، سبحان الملك المعبود، سبحان الملك الجبار، سبحان الواحد القهار، سبحان العزيز الغفار».

ويقرأون بعده دعاءً طويلاً مخلوطاً باللغة الفارسية والعربية، ثم يرفعون رؤوسهم قائلين: «الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر» ويجلسون.

١٩ ـ الجلوس:

ـ ويقرأون في الجلوس سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص، وسورة الفلق، وسورة الناس، وآية الكرسي. ثم يقرأون رافعي أيديهم:

«سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، سبحانك ما حمدناك حق حمدك،

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٥.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٠٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠٦.

سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رحمة للعالمين، برحمتك يا أرحم الراحمين آمين.

ثم يقرأ «دعا خوان» دعاء طويلاً مخلوطاً باللغة العربية والفارسية وجاء في آخره: «يا رب بحق فضلك وكرمك ولطفك، وجود إحسانك، حضرت نور محمد مهدي هادي، حضرت صاحب أثر، خواجه بيان، خليفة رحمان، پاك وپاك تراست أهل زمين وآسمان، شمع جمع عارفان، چشم چراغ عاشقان، بلبل عندليب كلستان، كلشن روئى بوستان، أنيس قروبيان، جليس قدوسيان، بلبل شكرستان، تأويل قرآن، نبئ تمام، سيد إمام مرسلين، رفيع الإكرام، نور محمد مهدي أول آخر الزمان ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلهي إيمان مرا، بسترياران مرا، بدعاء مستجاب، وكماليت وعافيت به إيمان برساند». آمين[1].

ويقرأ «دعا خوان» بعده القطع التالية:

ـ لا إله إلا الله آدم صفي الله.

ـ لا إله إلا الله نوح نجي الله.

ـ لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله.

ـ لا إله إلا الله إسماعيل ذبيح الله.

ـ لا إله إلا الله موسى كليم الله.

---

(١) ترجمته كالآتي: «يا رب بحق فضلك، وكرمك، ولطفك، وجود إحسانك، وإحسان حضرة نور محمد المهدي الهادي، صاحب الأثر، وصاحب البيان، وخليفة الرحمن، طاهر وأطهر من جميع أهل السموات والأرض، شمع جميع العارفين، عين مصباح العاشقين، بلبل البساتين، وروضة الرياض، أنيس المقربين، وجليس الصالحين، بلبل البساتين، صاحب تأويل القرآن، نبي الكل، سيد المرسلين، رفيع الدرجات، نور محمد المهدي الأول (خلقاً) والآخر (بعثاً) ـ عليه الصلاة والسلام ـ اللّهم احفظ إيماني، وإيمان أصحابي بدعاء مستجاب؛ وبلغنا بالإيمان إلى الكمال والعافية». آمين.

ـ لا إله إلا الله داود خليفة الله.

ـ لا إله إلا الله عيسى روح الله.

ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ـ لا إله إلا الله نور محمد مهدي مراد الله.

ويقرأون بعده الدعاء الآتي:

اللّهم أنت السلام، ومنك السلام، وإليك يرجع السلام، حَيِّنَا ربنا بالسلام، وأدخلنا دار السلام، تباركت ربنا وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام.

ثم يسلم «دعا خوان» على من يمينه بقوله: «السلام عليكم»، وهم يردون عليه السلام بقولهم: «وعليكم السلام». ويسلم كل واحد من الحضور على من بجانبه، ويرد عليه السلام.

هذا في ذكر التسبيحات الست، وأما بالنسبة لذكر التسبيحات الأربع «لاخوان» هو الذي يسلم. وهكذا ينتهي حفل الذكر[1].

ثانياً: الصوم:

يؤمن الذكريون بفرضية الصوم، ولكن ليس على الطريقة التي يؤمن بها سائر المسلمين من أهل السنة. فالذكريون لا يصومون رمضان كما يصومه المسلمون، وإنما يعتمدون صوم العشرة الأولى من شهر ذي الحجة، وأيام البيض من كل شهر قمري، وهي ثلاثة أيام: ثلاثة عشر، أربعة عشر، خمسة عشر. ويوم الاثنين من كل أسبوع ويزعمون أنهم بذلك أكثر المسلمين صوماً[2].

---

(١) انظر: التفاصيل عن الذكر وأدبه في:
ـ ذكر وحدت، للسيد عيسى نوري.
ـ ذكر توحيد، لمحمد شاه زاده البلوشي.
ـ ذكر إلهي، لمحمد إسحاق درازئي.
ـ مين ذكري هون (أنا ذكري) (ص٢٧ ـ ٣٧).
نور تجلي (ص٩٢ ـ ١١٩).

(٢) يقول داعية الذكريين فقير محمد السندهي: إنهم أكثر المسلمين صوماً حيث يصومون =

ويستدلون على ذلك بالكثير من الأدلة، منها ما يأتي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾[(١)].

ويزعمون أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ فرض علينا الصيام لأيام معدودات كما فرض على من قبلنا.

٢ ـ ويستدلون في صيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة بقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾[(٢)].

ويقولون: إن للصائم في هذه الأيام عشر فضائل وهي:

١ ـ الزيادة في العمر ٢ ـ البركة في المال ٣ ـ حفظ الأهل والأولاد.
٤ ـ تكفير السيئات ٥ ـ الزيادة في الحسنات ٦ ـ تخفيف سكرات الموت.
٧ ـ تنوير في القبر ٨ ـ الثقل في الميزان ٩ ـ الأمن من الخوف.
١٠ ـ الرفع في الدرجات.

ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام يصومون هذه الأيام. وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أحبُّ إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة منها بقيام ليلة القدر»[(٣)].

= خمسة عشر يوماً من كل شهرين ـ تسعة أيام الاثنين وستة أيام البيض ـ وثمانية أيام الأولى من شهر ذي الحجة، والمجموع ثلاثة شهور وثمانية أيام.
انظر: مين ذكري هون (أنا ذكري) (ص٤١، ٤٢).
ولا يدري هذا الذكري أنه لو صام أحد عشر شهراً لا يجزئ عن يوم واحد من شهر رمضان، ويتبين تناقضهم في القول والعمل حيث يقولون بصوم العشرة الأولى من ذي الحجة ويصومون الثمانية الأولى فقط.

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٨٣، ١٨٤. (٢) سورة الفجر: الآيات ١ ـ ٥.

(٣) هكذا ذكروا في كتبهم من ألفاظ الحديث. رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صيام العشر عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «ما مِنْ أيامٍ أحب إلى الله أن يتعبد له فيها =

٣ ـ ويذكرون في فضل صيام أيام البيض أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أمر النبي زكريا عليه السلام بصيام تلك الأيام، وذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[1]، وكان زكريا عليه السلام مقطوعاً من النسل فدعا إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ أن يهب له الذرية، فأمره أن يصوم الثلاثة الأيام البيض فصامها ووهبه النبي يحيى عليه السلام.

وجاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»[2].

٤ ـ ويستدلون على صوم يوم الاثنين بما جاء في الحديث عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم الاثنين فقال: «فيه ولدت، وفيه ينزل عليَّ»[3].

ويزعمون أن النور محمد المهدي قال: «صوموا يوم الاثنين لأن

= من عشر ذي الحجة، يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر».
وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث مسعود بن واصل عن النهاس، وسألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه من غير هذا الوجه مثل هذا». (٣/٤٦٤، ٤٦٥، برقم: ٧٥٥). الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر.
ـ وابن ماجه في سننه في كتاب الصيام عن أبي هريرة رضي الله عنه باختلاف في اللفظ (١/٥٥١، برقم: ١٧٢٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي.

(١) سورة آل عمران: الآية ٤١.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في صوم ثلاثة من كل شهر عن أبي ذر رضي الله عنه بتمام اللفظ، وقال: «حديث أبي ذر حسن. وقد روي في بعض الحديث: «أن من صام ثلاثة أيام من كل شهر كان كمن صام الدهر». (٣/٤٦٩، ٤٧٠، برقم: ٧٥٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصيام، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، بلفظ: «فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ». (٢/٨٢٠، برقم: ١١٦٢).

عيسى ﷺ ولد في ذلك اليوم. وكانت مريم ﷺ تصوم يوم الاثنين، وهو المراد من قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1][2].

ثالثاً: الزكاة:

أما الزكاة التي هي الركن الثالث من أركان الإسلام فإنها عند الذكريين مقصورة على زكاة الأموال فقط وليس عندهم زكاة للفطر. ومقدار زكاة الأموال عندهم هو «العشر» دون تحديد للنصاب، أو اشتراط حولان الحول كما هو معروف في الفقه الإسلامي.

وتُجْمَعُ الزكاة من عامة الذكريين، وتدفع لمشائخهم الذين يسمون بـ «الملائيين». وهم يضمنون لهم دخول الجنة مقابل دفع الزكاة إليهم، كما يبيعون الأماكن في الجنة في مقابل المبالغ الكبيرة من الصدقات والزكاة[3][4].

رابعاً: الحج:

يمكن الحديث عن الحج عند الذكريين من ناحيتين.

الأولى: التطور في معنى الحج.

الثانية: الأماكن المقدسة لأداء مناسك الحج.

أما بالنسبة للنقطة الأولى: فقد كان الذكريون إبان عروجهم كانوا

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٦.

(٢) انظر: تفاصيل هذا الموضوع في: نور تجلي (٥٧ ـ ٦٠).
ـ مين ذكري هون (٣٧ ـ ٤٢).

(٣) انظر: ذكري مذهب اور إسلام (٥٩ ـ ٦١).
ـ ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (١٧، ١٨).

(٤) هنا يبدأ تأثرهم بالنصرانية واضحاً فيما ابتدعته البابوية باسم صكوك الغفران التي تضمن لدافعيها دخول الجنة، وتبيع لهم قصورها. وكان ذلك سبباً في قيام طائفة «البروتستانت».

يحجون إلى «كوه مراد»[1] إذ أن المهدي قد نسخ الحج إلى بيت الله، وشرع بدلاً من ذلك الحج إلى «كوه مراد».

والميقات الزمني لهذا الحج كان في الماضي في التاسع من شهر ذي الحجة، وكانوا يؤدون ما يؤديه الحجاج إلى بيت الله الحرام من مناسك في هذا المكان. وهكذا كان شأنهم في القديم.

وأما في هذا العصر وبعد قيام دولة «باكستان» فإن ميقاتهم الزماني للحج قد تغير. وأصبح في السابع والعشرين من شهر رمضان، حيث يقومون بزيارة هذا المكان، ويجتمعون فيه على الطواف، والأدعية والأذكار المخصوصة بهذا المناسبة.

ويذكرون السبب في ذلك أن ليلة القدر تكون في ليلة السبع والعشرين من شهر رمضان، وفي تلك الليلة تنزل الملائكة والروح، والمراد بالروح «نور المهدي» والملائكة ترافقه عند النزول، والمقصود بهذه الزيارة هو زيارة «نور المهدي»[2] ـ على حد زعمهم.

الأماكن المقدسة التي يؤدون فيها مناسكهم[3]:

١ ـ كوه مراد: (جبل مراد):

وهذا الجبل عبارة عن هضبة جرداء، تقع على بعد ميلين ونصف إلى

---

(١) أي: «جبل مراد» الواقع قرب مدينة «تربت» بمنطقة «مكران» في ولاية «بلوشستان» الباكستانية.

(٢) انظر: ذكري مذهب اوز إسلام (ص٥٩).
ـ نور تجلي (٤٨ ـ ٥٠).

(٣) كان من ضمن برنامجي في الرحلة العلمية التي قمت بها إلى باكستان أن أقوم بزيارة هذه الأماكن، وأثناء وجودي في مدينة «لاهور» قابلت جماعة من العلماء قدموا من مناطق الذكريين في إقليم «بلوشستان» فاستفدت منهم تفصيلات كثيرة واقعية؛ كما أخبروني أيضاً أن أماكنهم المقدسة (؟) وضعت تحت حراسة حكومية مشددة إثر أحداث جرت هناك لمحاولة نسف هذه الأماكن من قبل المسلمين، وليس من السهولة بمكان زيارتها، فعدلت عن رأيي.

الجنوب من بلدة «تربت» ولا يزيد ارتفاعها على عشرين قدماً، وتم تسويرها الآن بسور ارتفاعه أربعة أقدام.

يعتقد الذكريون أن مهديهم أقام على هذه الهضبة عشر سنوات، فهي تعد في نظرهم مركز أنواره، ومصدر تجلياته، ولها في نفوسهم من القداسة والاحترام، كما أن للكعبة المشرفة في نفوس المسلمين، ويطلقون عليها اسم «المقام المحمود». يقول «البجاراني»: «هذا الموضع المقدس هو «المقام المحمود». وعلى أساس العقائد الذكرية زيارة هذا المقام فرض؛ لأنه موضع الشفاعة الكبرى»[1].

طريقة الطواف لجبل مراد:

يَصِفُّ المجتمعون في سفح الجبل ويأخذون في الطواف حسب إرشادات ملائيهم، وهذا الطواف يشتمل على ثلاثة أشواط يبدؤن فيه بالكلمات الآتية: «صدق بندان ارد كردان بيررا» يعني أنا أطوف إجلالاً بالذي في هذا الجبل بصدق الجنان».

وبعد الانتهاء من الأشواط الثلاثة يقفون جميعاً حول جُبٍّ في قمة الجبل يسمونه «بالْمُهْر» ويأخذون في ذكر «لا إله إلا الله» بحيث إذا أخذ أصحاب الطرف الواحد في الذكر يستمع إليه أصحاب الطرف الثاني وهكذا، ثم يقعون جميعاً في سجدة طويلة تمتد إلى خمس عشرة دقيقة، ثم يرفعون رؤوسهم ويقعدون ولا يلتزمون استقبال القبلة في سجداتهم وينتهون عن الطواف بالسلام، حيث يُسلِّم الملائي بقوله: «السلام عليكم» فيرد عليه من بيمينه قائلاً: «وعليكم السلام». وهكذا ينتهي الدور إلى آخر الصف.

٢ ـ حرم:

يحيط بجبل مراد ميدان فسيح يمتد على ميلين مربع على وجه التقريب، وقد أحيط هذا الميدان بسور حائل ارتفاعه ثلاثة أقدام ونصف قدم

---

(١) انظر: نور تجلي (ص٤٢).

يعدونه حرماً حيث لا يطئون أرضه متنعلين، بل يجتازونه حفاةً مترجلين.

٣ ـ مهر (الخاتم):.

هناك عند قمة «جبل مراد» جب عميق يقال له «مهر» (الخاتم) وبجانبه في الطرف الغربي توجد صخرة كبيرة مكتوب عليها كلمة الذكرية: «لا إله إلا الله نور پاك نور محمد مهدي رسول الله» وهم يطوفون حوله ويقيمون عنده حلقة الذكر في موسم الحج، كما تقدم قبل قليل.

٤ ـ منى:

جعلوا موضعاً بجانب «جبل مراد» يفدون إليه في آخر ذي الحجة، ويبالغون في الذبح والأضحية بحيث يوفون حق منى «بمكة المكرمة» حسب زعمهم.

٥ ـ مسجد طوبى:

بنوا داخل المكان الذي يعدونه حرماً بيتاً للذكر «ذكر خانه» في شكل قبة، يسمونه اليوم بـ «مسجد طوبى» وكتبوا على واجهته هذا الاسم، يراه الناظر من بعيد.

٦ ـ شجرة الطوبى:

في الجانب الشمالي من «جبل مراد» توجد شجرة يقال لها بالبلوشية «جكَي» وهذه الشجرة تشبه شجرة تمر الهندي، ولكنها قصيرة بالنسبة إليها، وتؤتي أكلها بيضاء حلوة ويدعونها بشجرة الطوبى، وهذه الشجرة تعم في هذه النواحي وتنبت في المناطق الجبلية بكثرة وتثمر في شهر مايو، ويأكلونها متبركين.

٧ ـ عرفات ـ گلء ڈن: (ميدان الطين):

وهو ميدان فسيح يقع في جنوب بلدة «تربت». وفي القديم كانوا يقفون فيها في موسم الحج يوم التاسع من ذي الحجة، ويعتبرونه ميدان عرفات. وفي هذا الزمان يعقدون فيه حلقات ذكرهم غير متقيدين بالوقت.

٨ ـ آب زمزم (ماء زمزم):

وهو عبارة عن تُرعة ماء تقع في مدينة «تربت» وتجري في سوقها من الشرق إلى الغرب، يقال له: «ريزهزئي»، ويعتبرون ماءها بمكانة ماء زمزم فيملئون منه القوارير والزجاجات ويذهبون به إلى بيوتهم. وقد نضبت الآن.

٩ ـ شيرين دو كرم:

وهو نهر يجري في شرق «جبل مراد» المكان الذي أظهر فيه المهدي «الملا محمد الأتكي» خوارق نبع الماء واللبن، ويمر من شمال مدينة «تربت» إلى جنوبها. ولهذا النهر أهمية كبيرة في معتقدات الذكرية، فما ينشدون الأناشيد في حلقات ذكرهم ومجالسهم إلا ورد فيها ذكر هذا النهر «شيرين دو كرم».

١٠ ـ كوه إمام: ـ (جبل إمام)

وهو عبارة عن هضبة تقع غرب «جبل مراد» وهي محاطة بسورة فيه جُبٌ، يزعمون أن مهديهم قد تنسك هنا أربعين يوماً، ويعدونه «غار حراء» بمكة المكرمة ويقيمون هناك مجالس الذكر، وينشدون في فضله الأناشيد والأبيات.

١١ ـ جسر الصراط:

يوجد قرب «جبل مراد» صخرة كبيرة عليها حائط يزعمون أن من صعد هذه الصخرة وعبر ذلك الحائط فكأنه عبر الصراط الموضوع على متن جهنم ودخل الجنة.

١٢ ـ برّ كَهُور:

كَهُور: اسم دوحة في اللغة البلوشية، والبَرّ: الأرض الواسعة واليابسة. وكانت هذه شجرة قديمة وكبيرة تقع في غرب سوق بلدة «تربت» عند مقبرة قديمة. وتُعَدُّ هذه الشجرة مقدسة لدى الذكريين؛ لأنهم يزعمون أن كتاب «البرهان» الذي نزل على مهديهم «الملا محمد الأتكي» من السماء

كان محفوظاً في جوف هذه الشجرة، فاصطحب المهدي بعض مريديه وأتباعه إلى هذا المكان، وأخرج الصحيفة من جوف تلك الشجرة، وأعلن أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنزل عليه هذا الكتاب. فمنذ ذلك الوقت عُدَّت هذه الشجرة مهبطاً للوحي والأحكام. وهم لا يقطعون هذه الشجرة في أيّ مكان كانت. وإذا نبتت في مزارعهم وديارهم يحسبونها سبباً للبركة والرحمة.

هذه من أشهر الأماكن المقدسة لدى الذكريين، وهي توابع لـ «جبل مراد» الذي يعد من أهم الأماكن المقدسة لديهم لاقتران ذكريات مهديهم، ورفقائه بهذا المكان[1].

وكانت هذه الأماكن اكتسبت أهمية كبرى في تاريخ الذكريين إبان عروجهم، حيث كانت تؤدى فيها مناسك الحج، وبعد أن دالت دولتهم، وانكسرت شوكتهم، بدأت هذه الأماكن تفتقد هذه الأهمية. ولكن المكان الذي مازالوا يعتقدون في قدسيته، ويحتل مكانة كبيرة في قلوبهم، ويدافعون عنه بكل حماس هو «جبل مراد» ويؤكدون أن هذا الجبل هو «المقام المحمود» الذي جاء في الآية الكريمة: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2][3].

وهناك أمور أخرى يجدر ذكرها في هذا السياق، وهي تتلخص فيما يأتي:

١ ـ القبلة:

ليس للقبلة أية أهمية عند الذكريين، ولذلك لا يلتزمون في ذكرهم وسجودهم وسائر أعمالهم الدينية استقبال القبلة، بل يولون وجوههم ويتجهون أينما شاؤوا.

---

(١) انظر: ما هي الذكرية (٢٢ ـ ٣٢).
ـ ذكري مذهب اور إسلام (٨٦ ـ ٩٠).
ـ ذكري مذهب كا تخصيلي جائزه (١٨، ١٩).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٩. (٣) انظر: نور تجلي (ص٤٢).

٢ ـ الوضوء:

لا يتبع الذكريون الطريقة المسنونة والمعروفة لأداء الوضوء، إنما هم يغسلون الأيدي والوجوه والأرجل فقط.

٣ ـ الجنازة:

إذا مات منهم أحد، يقرؤون عليه «سورة يس» أو «سورة الرعد» ثم يغسلونه ويكفنونه ويذهبون به إلى «ذكرانه» ـ أي بيت الذكر ـ ففي ذكرانه يقعد عنده على الأقل خمسة وعشرون رجلاً من «الذكرية»، فإن زادوا فحسن ويذكرون عند الميت ثلاث تسبيحات، ثم يرفعون الجنازة ويذهبون إلى المقابر ويدفنونه.

٤ ـ الأذان:

لا يؤمنون بالأذان المعروف للصلاة، ولم يرد ذكر الأذان في كتابٍ من كتبهم، ويبدو أنهم لا يعترفون بالأذان؛ لأن الأذان إعلام للصلاة وهم لا يؤمنون بالصلاة، فماذا يفعلون بالأذان؛ فلذا لم يذكروا الأذان في كتبهم.

٥ ـ غسل الجنابة:

لا يرى الذكريون الغسل من الجنابة، بل يكتفون بغسل الحشفة، والمثقفون الجدد يغتسلون بقصد التنظيف.

٦ ـ ذكرانه:

هذا معبدهم يطلقون عليه كلمة «ذكرانه» ـ بيت الذكر ـ وهذا المعبد يكون مربعاً، وبدون المحراب المعروف في مساجد المسلمين.

٧ ـ رقص شوكان (چوگان):

رقص شوكان عبارة عن رقص شعبي صبغوه بصبغة دينية، ويعتبر هذا الرقص عبادة نافلة غير مؤكدة؛ من قام بها فحسن ومن لم يقم بها فلا لوم عليه.

ويقام هذا الرقص عادةً في الليالي المقمرة وفي الميادين الفسيحة،

يشترك فيه الشباب والشيوخ والأطفال، والرجال والنساء بكل شغف وحماس. ويقف جميعاً على شكل دائرة وتقف في الوسط امرأة مغنية ذات مهارة في الغناء وجمال في الصوت وتكون ملمة بحركات هذا الرقص، وأناشيده، فتردد الأناشيد في وصف المهدي، ويردد كل من في الدائرة المصرع الثاني من كل بيت مع أداء الحركات المطلوبة في الرقص، هكذا إلى انتهاء الرقص[1].

علاقات الذكرية بالفرق الأخرى:

بعد الفراغ من بيان أهم عقائد الفرقة «الذكرية» وعباداتهم، أود أن أسرد آراء الباحثين عما قيل في علاقات الفرقة «الذكرية» بالفرق الأخرى ـ هل هي فرقة مستقلة نشأت بنفسها أم هي منبثقة من فرقة أخرى وتابعة لها ـ حتى يتبين من خلال عقائدها مدى صحة هذه الآراء.

أولاً: بين الذكرية والمهدوية[2]:

إذا تتبع الباحث آراء دعاة «الذكرية بالدارسة والفحص حول علاقتهم «بالمهدوية» يجد هناك رأيين يتناقضان فيما بينهما، ويسيران في خطين متوازيين لا يمكن الجمع بينهما وهما:

الرأي الأول: «الذكرية» فرقة انبثقت عن المهدوية» وإلى هذا الاتجاه يذهب فريق من علماء الذكريين ودعاتهم حيث يقررون أن الذكرية والمهدوية كانتا في الأصل حركة واحدة، وظلت كذلك، لا اختلاف بينهما إلا في التسمية والاصطلاح.

---

(١) انظر: ما هي الذكرية (٣٣ ـ ٣٦).
ـ ذكري مذهب اور إسلام (٦٢، ٦٣).
ـ ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (١٦).

(٢) وهي الفرقة المنسوبة إلى السيد محمد الجونبوري (٨٤٧هـ ـ ٩١٠هـ). وسيأتي الحديث عنها في الفصل الثالث من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

يقول «الملائي» «عبد الغني البلوشي» ـ أحد زعماء الذكرية ـ: «إن الذكرية والمهدوية ليستا حركتين منفصلتين، بل هما اسمان لحركة واحدة؛ لأن الذكريين والمهدويين يؤمنون بعقيدة واحدة، وسائرون في طريق واحد»[(١)].

فإن قيل: لماذا نرى الآن فروقاً واضحةً بين الذكرية والمهدوية؟.

يقول الجواب: ربما كانت هذه الفروق راجعةً إلى التطور الزمني والتاريخي، وتغير العادات من وقت لآخر، فإننا كما نشاهد هذا التطور لدى المهدويين أنفسهم فإن «مهدوية» اليوم تختلف في كثير من عاداتهم من مهدوية العصور الماضية[(٢)].

ويقول «عيسى نوري» ـ أحد دعاة الذكرية:

«إن سفر المهدي وسيره للعالم يوجد في شكلين عند الذكريين: شكل المنظوم، وشكل المنثور. والواقعات المذكورة في القسم المنثور موافقة للحركة المهدوية مائة في المائة»[(٣)]. ويضيف قائلاً: «الفرق الذي نجده اليوم بين الذكرية والمهدوية إذا نظرنا إلى تاريخهم قبل المائة الغابرة، لا نجد فرقاً واضحاً بينهما حتى كادت عادات المهدويين في ذلك الوقت كانت مختلفة من مهدوية اليوم. مثال ذلك: لم يكن في ذلك الوقت منبر، ولا محراب، ولا منارة في المعابد. وكان يقال لها: «جماعت خانه». كما أن الذكريين يلعبون رقص (شوكان) لإحياء الليلة، كذلك كان في المهدوية طريقة النوبة»[(٤)].

الرأي الثاني: «الذكرية» و«المهدوية» حركتان متمايزتان. وفي هذا

---

(١) انظر: ذكري مذهب إسلام كے آئين مين (الفرقة الذكرية في مرآة الإسلام) (ص٢٢) طبعة (١٩٧٩م)، كراتشي، باكستان.

(٢) نفس المصدر.

(٣) انظر: ذكري تحريك تاريخ كي روشني مين (ص٢٧).

(٤) نفس المصدر (ص٤٦).

الاتجاه يسير فريق من أئمة الذكريين ودعاتهم، فهم يقررون أن «الذكرية» و«المهدوية» حركتان منفصلتان تمام الانفصال، فلا توجد بينهما صلة في الأصل، ولا يمكن القول بأن إحداهما قد تفرعت عن الأخرى، كما يذهب إلى ذلك أصحاب الرأي الأول.

يقول: كې. إيم. عمراني البلوشي ـ أحد زعماء الذكرية:

«إن المهدوية والذكرية لهما وجودان مختلفان، ولا يوجد بينهما أمر مشترك إلا الإيمان بظهور مهدي آخر الزمان وذهابه، فمن وَحَّد بين الحركتين، فقد أسدل الستار على وجه الحقيقة»(١).

ويرد على أصحاب الاتجاه الأول الذي وحدوا بين الفرقتين فيقول ما خلاصته:

«إن «مير محراب» أحد الأمراء لدولة «الكيج» الذي كان شديد العقيدة للمذهب «الذكري»، وكان رجلاً فطناً عالماً بالعلوم العربية، والفارسية، وغيرهما، فإنه ذهب إلى «خراسان» لبعض حاجاته، فالتقى هناك ببعض الأفاغنة الذين جاؤوا من «ديره إسماعيل خان»(٢) و«شكار بور»(٣). فدار الحديث بينهم عن «المهدوية» فقال الأفاغنة: هذه الفرقة موجودة الآن «بكُجرات»(٤) و«بالن بور»(٥) فتشوَّق الأمير لزيارتهم، وذهب إلى «الهند»، فلما وصل إلى «دائرة»(٦) «السيد مرتضى» في بلدة «يالن بور» وجد هناك «السيد طاهر» و«السيد طيب» و«السيد شكر الله» و«السيد كرم الله» فأكرموه، وكلموه، وسألوه عن هدف زيارته، فذكر لهم أن الهدف هو التحقيق والبحث عن «المهدوية» فأعطوه بعض الكتب النادرة،

---

(١) انظر: نور هدايت (ص٧٠).
(٢) اسم منطقة تقع حالياً في إقليم البنجاب بباكستان.
(٣) اسم منطقة تقع حالياً في إقليم السند بباكستان.
(٤) اسم منطقة تقع حالياً غرب الهند على ساحل البحر.
(٥) اسم مدينة في شمال منطقة الكُجرات.
(٦) المقصود بها الخلوة المعدة لإقامة المشائخ وأتباعهم.

وبعض الرسائل، فنقل «مير محراب» الكتب والرسائل كلها، وعاد بها إلى الوطن، وكان ذلك عام (١١٢٣هـ). فالأحوال المهدوية المذكورة في الكتب الذكرية مأخوذة كلها من الكتب التي جاء بها «مير محراب» معه من «الهند»، وإلا فلا إشارة «للمهدوية» في الكتب التي أُلِّفت قبلها. وقد صنف «الشيء محمد درقشان»[١] كتاب «دُروجود» قبل ذهاب الأمير إلى «الهند» بسبعة عشر عاماً، ولم يذكر فيه قصة الحركة «المهدوية» وكذلك لم يذكره جده «مير عبد الله الجنكي» قصة الجونبوري، كما لا يوجد ذكر للحركة «المهدوية» في كتب «السيد محمد سراغ خدا داد» «والحاج غازي» و«ملا أحمد اللاري» و«الشيخ قاسم» و«أبو سعيد» و«ميان مسكين». فثبت من هذا كله أن «المهدوية» و«الذكرية» لهما وجودان مختلفان، ولا يوجد بينهما أي أمر مشترك إلا الإيمان بظهور مهدي آخر الزمان وذهابه، فمن وحد بين الفرقتين فقد ألقى الستار على وجه الحقيقة»[٢].

وهذا الرأي الأخير هو الراجح عندي وقد شهد شاهد من أهله وهو «كى إيم، عمراني البلوشي» ـ من كبار دعاة الذكريين وزعمائهم ـ فقد أثبت أنه لا يوجد هناك أوجه للاتصال بين الفرقتين أصلاً؛ لا في التاريخ، ولا في العقائد والأعمال، إلا أن بعض زعماء «الذكرية» ودعاتها بدأوا المحاولات المستميتة للانتماء إلى «المهدوية»، وذلك لأن «الذكرية» فرقة منهزمة في ميدان السياسة والثقافة أمام مخالفيها، ومعظم أتباعها جهلة ومتخلفون، علاوة على ذلك ما يوجد من المعارضة الشديدة بين عقائد هذه الفرقة وعقائد الإسلام، فبدأ يحاول بعض زعماء هذه الفرقة ودُعَاتُها لدمجها في الفرقة «المهدوية» حتى تنسب نفسها إلى هذه الفرقة المشهورة برجالها ودعاتها ومواقفها في التاريخ حتى يمكن الحفاظ على كيانها كفرع من «المهدوية»، وفعلاً رضي بذلك بعض دعاة «المهدوية» أيضاً بغية لَمِّ شملها

(١) سيأتي مزيد تفصيل عنه عند ذكر الدعاة.

(٢) انظر: نور هدايت (ص٦٩، ٧٠).

من الشتات، وجمعها من التفرق، وإكثار عددها بعد القلة، ولكن حالت بين هذا الدمج عقبات وحواجز يستحيل تخطيها لكلتي الفرقتين على السواء[1]، كما سيأتي في المقارنة بين عقائد الفرقتين.

ثم إنه بعد قيام دولة «باكستان»[2] كانت هناك موجات هجرة للمسلمين من «الهند» إلى «باكستان»، ومن بين المهاجرين كان عدد كبير من أتباع «المهدوية» الذين هاجروا من ولاية «الدكن» و«الكجرات» ـ موطن المهدويين ـ إلى «باكستان»، وبعد اطلاعهم وتعرفهم على المذهب الذكري، وجدوا الذكريين يؤمنون بالمهدي، فاعتبروا ذلك نوعاً من الاتفاق بين الطائفتين حتى اعتقدوا أن «الذكرية» ليست إلا فرقة انحرفت عن «المهدوية» يجب تقويمها وإصلاح ما انحرف من عقائدها لإعادتها إلى «المهدوية» الصحيحة.

ولإنجاز هذه المهمة توجه زعيم «المهدوية» «السيد شهاب الدين يد اللهي»[3] إلى «كلّك»[4] للحصول على معلومات مفصلة عن «محمد المهدي الأتكي» الذي يعتقد الذكريون فيه أنه المهدي الموعود، ولكنه لم يجد عندهم ما يروي الغليل، ويشفي العليل؛ فذكر لهم أن «محمد الأتكي» هو نفسه «السيد محمد الجونبوري» مؤسس «المهدوية»، والمعروف في التاريخ بسيرته ومواقفه، وأكد لهم أيضاً أنه أقام في منطقة «أتك» زمناً لما خرج من «الهند» متوجهاً إلى «فراه» الأفغانية حيث وافاه الأجل فاشتهر «بالأتكي».

ومن المحتمل جداً أنه قدم إلى مدينة «تربت» كما تذكره كتابات

---

(١) انظر: مقال «ذكري فرقه كےنشيب وفراز (تطور وانحطاط الفرقة الذكرية) بقلم الشيخ عبد الحق البلوشي في مجلة «بينات» الشهرية، عدد رجب العام (١٣٩٨هـ)، الصادرة من «كراتشي» باكستان.

(٢) أنشئت باكستان بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتين: «الهند» و«باكستان»، وذلك عام (١٩٤٧م) وبعد أربع وعشرين سنة تقريباً من هذا التقسيم انفصل الجزء الشرقي من «باكستان»، وتكونت دولة «بنغلاديش» الحالية، وذلك عام (١٩٧١م).

(٣) وهو من زعماء الفرقة المهدوية في القرن الرابع عشر الهجري، ومن المهاجرين من «الهند» إلى «باكستان»، بذل جهوداً مضنية للتقريب بين الفرقتين.

(٤) اسم موضع في «مكران» بولاية «بلوشستان» حيث المركز الرئيس للذكرية.

الذكريين. وفي أثناء إقامته في «فراه» الأفغانية قابله «أبو سعيد الداعي» حيث كان مقيماً في منطقة «كرم سيل» القريبة من «فراه» فبايعه، وبذل قصارى جهده في تبليغ الدعوة «المهدوية» بين «البليديين» ثم «الكجكيين» حيث اعتنق زعيمهم «ملا مراد» هذه الدعوة ونشرها في المنطقة.

ولما كان الملائيون لا يعرفون شيئاً كثيراً عن مهديهم المزعوم، والذي يعرفونه لا يعتمد على مستندٍ علمي، أو دليل تاريخي، فإنهم قد انتهزوا هذه الفرصة، واغتنموا هذا السرد التاريخي لمهديهم، وَشرف انتمائهم إلى «المهدوية»؛ فأعلن «الملائي عيسى نوري»[1] والطبقة المثقفة من الذكريين في مدينة «كراتشي» الذين كانوا متحيرين في مذهبهم، ومترددين فيه أنهم مهديون ذكريون، و«الذكرية» منبثقة من «المهدوية».

وأنشئت جمعيات مشتركة بين الفرقتين[2]، وألف «الملا دَرّازئي»[3] رسالة في هذا الصدد، لفق فيها الأحداث التاريخية، وقلبها رأساً على عقب، حتى يثبت هذه المزاعم، فيقول: «وعند عودة «السيد محمد الجونبوري» من «مكة المكرمة» مَرَّ على «حلب» و«الشام» و«لارستان» و«فراه» حتى وصل إلى «كيج» في مدينة «تربت» واختفى عن أنظار الناس بعد إقامته سبع أو عشر سنين على «جبل مراد».

وقال عن العقائد والأعمال التي لا يقبلها الشرع ولا العقل، قال: «إن العلماء الذكريين قُتِلوا في أيام الاضطهاد، وأحرقت كتبهم، فظل عامة الذكريين غير متبصرين في دينهم، ومتخلفين في حياتهم، وبعد أن مضت

---

(١) أحد دعاة الذكرية في القرن الرابع عشر الهجري، ومن دعاة التوفيق بين «الذكرية» و«المهدوية». وقد بذل في ذلك جهوداً وألّف كتباً، من أهمها: ذكري تحريك تاريخ كي روشني مين (الحركة الذكرية في ضوء التاريخ)، و«ذكر حدث».

(٢) منها «جمعية طلبة الذكريين المهدويين» (ذكري مهدوي اسٹوڈنٹس آركنائزيشن)، والتي تعنى بتثقيف الشباب على مبادئ الذكرية عن طريق نشر الكتب والرسائل.

(٣) وهو «الملا محمد إسحاق درّازئي» من زعماء الذكرية ودعاتها في القرن الرابع عشر الهجري. وله مؤلفات من أهمها: «ذكري كون هين» (من هم ذكريون؟) و«ذكر إلهي».

أجيال متعاقبة على هذه الحال، تناسوا تاريخ مذهبهم، ولم يبق لديهم إلا الروايات الشفوية المتناقلة عبر الأجيال، فلا يستبعد ـ والحال هذه ـ نشأة بعض الانحراف في المذهب، وللسبب نفسه بدأ المخالفون والمتعصبون التحامل علينا، والسخرية بنا، والشيء الذي ما زال محفوظاً، ولم تمسه يد الانحراف وهو «الذكر وأدبه» فإذا ظهر على يد أي ذكري أمر غير معقول، فلا يحمل ذلك على الذكرية الصحيحة»[1].

ومهما حاول «الملا درّازئي» و«عيسى نوري» وأمثالهما لنسبة مذهبهم إلى «المهدوية» فإن محاولاتهم لن تصل إلى النتيجة التي يريدونها، وذلك لبعض الشقة والتعارض الواضح بين الطائفتين، ويتمثل ذلك في خمس نقاط رئيسة، وهي كالآتي:

١ ـ يزعم الذكري أن المهدي ظهر في صورته الجسمية عام (٩٧٧هـ) في «أتك» بالبنجاب. واختفى عام (١٠٢٩هـ) في «جبل مراد» «بمكران» بينما يرى المهدوي أن «السيد محمد الجونبوري» ولد في «جونبور» عام (٨٤٧هـ) وادعى المهدوية عام (٩٠٥هـ) في «كجرات» وتوفى في «فراه» عام (٩١٠هـ).

٢ ـ يعتقد الذكري أن المهدي نبي آخر الزمان، وأنه نور الأولين والآخرين، بينما لا تثبت «المهدوية» لمهديهم نبوة ولا رسالة.

٣ ـ يزعم الذكري أن المهدي صعد إلى السماء من جبل «مراد» في حياته، ويرى المهدوي أنه توفي في منطقة «فراه» الأفغانية.

٤ ـ يعتقد الذكري نسخ أركان الإسلام وانتهاء فرضيتها بينما يرى المهدوي الالتزام بها[2].

٥ ـ ولو فرضنا «أن السيد محمد الجونبوري» و«محمد المهدي الأتكي» شخص واحد، وفرضنا أيضاً قدومه إلى مدينة «تربت» في «مكران»

---

(١) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (٢٢، ٢٣).
(٢) نفس المصدر (ص٢٤).

فتكون النتيجة أنه بعد ادعائه المهدوية عام (٩٠٥هـ) في مدينة «كجرات» وبعد (٧٢) سنة ظهر في «أتك» عام (٩٧٧هـ) وكان عمره آنذاك (١٣٠) سنة، ثم اختفى عن «جبل مراد» عام (١٠٢٩هـ) وكان عمره وقتئذ (١٨٢) عاماً.

فهذا مستبعد جداً، وتكذيب صريح للحقائق التاريخية، إذ من المتفق عليه أن «السيد محمد الجونبوري» توفي في مدينة «فراه» الأفغانية عام (٩١٠هـ)، وعمره آنئذ (٦٣) سنة[1].

وقد استبعد الداعية الذكري كې. إيم. عمراني البلوشي قدوم «السيد محمد الجونبوري» إلى «مكران» وفنَّد آراء بعض الدعاة «الذكرية» القائلة بقدومه إلى مدينة «تربت» في «مكران»[2].

ثم إن «السيد محمد الجونبوري» لو فرضنا أنه قبل الوصول إلى «فراه» الأفغانية قدم في «كيج» و«تربت» بمكران ومكث هناك عشر سنوات، فهذا يبطل عقيدة الاختفاء من «جبل مراد» كيف يتصور أنه يتوفى في «فراه» عام (٩١٠)، ويختفي من «جبل مراد» عام (١٠٢٩هـ)، فلا يكونان شخصاً واحداً أبداً.

وحسب زعم بعض الذكريين أن أول من عرف «محمد المهدي الأتكي» هو «السيد محمد الجونبوري» فآمن به وبايعه وأصبح مريداً له، فكيف يكون هو التابع والمتبوع؟[3].

وفي الحقيقة أن عامة الذكريين في «بلوشتان» لا يعرفون عن «السيد محمد الجونبوري» شيئاً، ولكن حلقة الوصل هذه وضعت في منتصف القرن الرابع عشر الهجري حتى تكون قنطرة عبور إلى «المهدوية»، وبإيعاز من الزعيم المهدوي «شهاب الدين يد اللهي» أعلن الزعيم الذكري «السيد عيسى

---

(١) كما يأتي تفصيل ذلك في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: نور هدايت (ص٦٥).

(٣) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص٦).

نوري» عام (١٣٥٤هـ) أنهم مهديون وفي الواقع هم طائفة من الذكريين، يقطنون مدينة «كراتشي» ولما أنهم ذكريون لا علاقة بينهم وبين المهدويين في العقيدة والأعمال، والعادات والتقاليد، لم تنفع محاولات الدمج[١].

وأصبح من الواضح والمحقق أن «الذكرية» شيء، و«المهدوية» شيء آخر، ولا علاقة بينهما، ولا صلة بين «الأتكي» و«الجونبوري»، وبيَّن التحقيق العلمي والتاريخي الذي أشرت إليه، أن الفرقتين على طرفي نقيض.

ثانياً: العلاقة بين الذكرية والخوارج:

١ ـ بين الذكرية والإباضية[٢]:

يرى بعض الباحثين أن «الذكرية» انبثقت من «الإباضية» وتفرعت عنها،

---

(١) نفس المصدر (ص: ٢٤، ٢٥).

(٢) الرأي الراجح أن الإباضية فرقة من الخوارج، منسوبة إلى مؤسسها الأول عبد الله بن إباض المري أو التميمي. من أهم عقائدهم: يعتبرون دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان، فإنه دار بغي. وأن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين مناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والخيل، وكل ما فيه من قوة الحرب حلال، وما سواه حرام. ومن ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة، وهم أربع فرق:
١ ـ الحفصية: أصحاب حفص بن أبي المقدام.
٢ ـ الحارثية: أصحاب الحارث الإباضي.
٣ ـ اليزيدية: أصحاب يزيد بن أنيسة.
٤ ـ أصحاب طاعة لا يراد بها الله. بالإضافة إليها توجد ست فرق أخرى للإباضية في المغرب وهي:
١ ـ فرقة النكار: زعيمهم رجل يسمى أبو قدامة يزيد بن فندين.
٢ ـ النفاثية: نسبة إلى رجل يسمى فرج النفوسي، المعروف بالنفاث.
٣ ـ الخلفية: نسبة إلى خلف بن السمح بن أبي الخطاب.
٤ ـ الحسينية: نسبة إلى رجل يسمى أبو زياد أحمد بن الحسين الطرابلسي.
٥ ـ السكاكية: نسبة إلى زعيمهم عبد السكاك اللواتي.
٦ ـ الفرثية: زعيمهم أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح.
انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/١٨٣ ـ ١٨٥)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة (١٤١١هـ)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. =

وذلك أن «أبا سعيد البليدي»[1] الحاكم الأول للذكريين، وأبرز دعاتهم الأولين كان على حسب رأي بعضهم من العائلة الملكية في «مسقط» ـ عاصمة سلطنة عمان حالياً ـ ولما سمع عن «المهدي» اعتقد به غيباً، ولما كان «المهدي» في «خراسان» توجه «أبو سعيد» من «مسقط» إلى «خراسان» وفي قرية «كرم سيل» قابل المهدي، فآمن به، وصدقه.

والمعروف أن الأئمة في «مسقط» و«عمان» كانوا من «الأزد»، وكثير منهم من «الإباضية» فلو كان «أبو سعيد البليدي» منهم، فيحتمل أنه كان من «الخوارج» ومن «الأزد» وقدم بعضهم إلى «خراسان»، كما كانوا يؤثرون على «أهل السند» أيضاً[2]. فمن المحتمل أن «أبا سعيد البليدي» كان خارجياً.

٢ ـ بين الذكرية والخلفية:

ويذهب فريق آخر إلى أن «الذكرية» نشأت من الخلفية ـ أصحاب خلف بن عمر الخارجي ـ من خوارج «كرمان» و«مكران»، وسميت مدينة «تربت» بهذا الاسم لكون «خلف بن عمر الخارجي» دفن في هذا المكان. وكلمة «تربت» تعني القبر في اللغة البلوشية[3].

وأما الخَلَفية: فهي فرقة من «العجاردة» ـ أصحاب عبد الكريم بن عجرد ـ وكان «خلف بن عمر» في أول الأمر تابعاً للحمزية[4] ثم اختلف

= ـ الفرق بين الفرق (١٠٣ ـ ١٠٦).
ـ الملل والنحل (١٣٤ ـ ١٣٦).
ـ فرق معاصرة (١/ ٨٤، ٨٥).

(١) سيأتي مزيد تفصيل عنه عند ذكر أهم الدعاة.

(٢) انظر: اردو دائرهٔ معارف إسلامية (١/ ٣٣١ مادة إباضية) دانش كاه، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان.

(٣) انظر: مقال: «بلوجستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها)، بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي، في مجلة «الحق» الشهرية، عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ)، الصادرة من بشاور، باكستان.

(٤) إحدى فرق خوارج العجاردة، نسبة إلى حمزة بن أدرك ـ أو أكرك ـ الخارجي، عاش بسجستان وخراسان وقهستان وكرمان، وكان من العجاردة الخازمية، ثم خالفهم في =

معهم وقاتلهم، ويقال: كان من الميمونية[1] ثم فارقهم في القول بالقدر.

ومن الأفضل أن أذكر هنا نصوص كتب الفرق، حتى يتبين لنا حقيقة مذهب الخلفية. يقول الإمام أبو الحسن الأشعري:

«الفرقة الثالثة من العجاردة الخلفية أصحاب رجل يقال له: «خلف» فارقوا الميمونيّة في القول بالقدر، وقالوا: بالإثبات»[2].

ويقول البغداديّ: «هم أتباع «خلف» الذي قاتل حمزة الخارجي، و«الخلفية» لا يرون القتال إلا مع إمام منهم، وصارت «الخلفية» إلى قول «الأزارقة» في شيء واحد، وهو دعواهم أن أطفال مخالفيهم في النار»[3].

ويقول الشهرستاني: «الخلفية أصحاب «خلف الخارجي»، وهم خوارج «كرمان» و«مكران»، خالفوا «الحمزية» في القول بالقدر، وأضافوا القدر خيره وشره إلى الله ـ تعالى ـ وسلكوا في ذلك مذهب أهل السنة، وقالوا: «الحمزية» ناقضوا، حيث قالوا: لو عذب الله العباد على أفعال قدّرها عليهم، أو على ما لم يفعلوه كان ظالماً، وقضوا بأن أطفال المشركين في

= باب القدر والاستطاعة، فقال فيهما بقول القدرية، فأكفرته الخازمية في ذلك، ثم زعم أن أطفال المشركين في النار، فأكفرته القدرية في ذلك، ثم إنه والى القعدة من الخوارج مع قوله بتكفير من لا يوافقه على قتال مخالفيه، واعتباره إياهم مشركين. وقد ظهر أيام الرشيد سنة (١٧٩هـ)، وبقي إلى صدر من خلافة المأمون، وقد بعث إليه بكتاب، يدعوه فيه إلى طاعته، فما زاده إلا عتواً في أمره حتى خرج إليه «عبد الرحمن النيسابوري» فهزم حمزة وقتلت الآلاف من أصحابه، وانفلت منهم جريحاً ومات في هزيمته.

انظر: الفرق بين الفرق (٩٨). والملل والنحل (١٢٩).

(١) أتباع «ميمون بن خالد»، وكان على مذهب «العجاردة» من «الخوارج»، ثم خالفهم في الإرادة والقدر والاستطاعة، وقال فيها بقول القدرية المعتزلة، ووافق المجوس فيما أباحوه من نكاح بنات الأولاد من الأجداد، وبنات أولاد الإخوة والأخوات، إذ آية التحريم لم تشملهن، وأنكروا أن تكون سورة يوسف من القرآن الكريم، فهي من الفرق المنتسبة للإسلام وليست منه في شيء.

انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٤). (٣) انظر: الفرق بين الفرق (٩٦).

النار، ولا عمل لهم ولا ترك، وهذا من أعجب ما يعتقد من التناقض»[1].

وقال الإيجي: «الخامسة الخلفية (أصحاب خلف)، أضافوا القدر خيره وشره إلى الله ـ تعالى ـ وحكموا بأن أطفال المشركين في النار بلا عمل وشرك»[2].

فنستخلص من هذه النصوص أن «خلفاً» كان تابعاً «لميمون» و«حمزة» ثم خالفهما في مسألة القدر والاستطاعة، وجعل لنفسه مذهباً، وتبعه على ذلك خوارج «كرمان» و«مكران»، وصارت فرقة مستقلة عن «الحمزية» و«الميمونية».

وأما «خلف بن عمر» فهو رجل مجهول نسباً وشخصاً لم يعرف منه سوى الاسم والعقيدة. وقال الإمام الأشعري: «رجل يقال له: خلف»[3].

وهذا ما قيل عن علاقة الذكريين بالخلفية، بأن «الذكرية» نشأت وتطورت في أماكن «الخلفية» وهي «مكران». وكون «خلف بن عمر» مات ودفن في بلدة «تربت» في «مكران» يشعر أن متبعيه كانوا موجودين في «تربت» وضواحيها. واتخاذ الذكريين هذه المدينة عاصمة لهم أيام عروجهم مما يؤيد علاقتهم مع «الخلفية». فهل الذكرية نشأت من الخوارج؟

وإذا كانت دعوى نسبة «الذكرية» إلى «المهدوية» وضعت على أسس واهية فإن نسبتها إلى «الخوارج» وضعت على قواعد أوهى منها؛ لأن شبهة انتمائهم إلى «الخوارج» جاءت من أمرين:

الأمر الأول:

اختلافهم في شخصية «أبي سعيد البليدي»، «فأبو سعيد البليدي» زعيم الذكريين غير «أبي سعيد العماني» الذي كان حاكماً «لعمان» وزنجبار» ومؤسساً للدولة البوسعيدية[4].

---

(١) انظر: الملل والنحل (١٣٠).

(٢) انظر: المواقف (٤٢٦)، عالم الكتب، بيروت.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٥).

(٤) سيأتي مزيد تفصيل عنه عند ترجمته في ذكر أهم الدعاة.

الأمر الثاني:

موت «خلف بن عمر الخارجي» زعيم «الخلفية» ودفنه في «تربت» موطن الذكريين ومركزهم. «فالخلفية» وأخواتها من حركات الخوارج كانت في القرن الثاني والثالث الهجريين، ثم اندثرت. وأما الفرقة «الذكرية» فقد نشأت في القرن العاشر الهجري، وتطورت في القرن الحادي عشر، ثم إنه لا يلاحظ أيُّ أثر للتفكير الخارجي على «الذكرية» لا في العقائد ولا في الأعمال، فلا علاقة بين الفرقتين على الإطلاق، بل الذكرية حركة مستقلة نشأت على يد «الملا محمد الأتكي».

ثالثاً: بين الذكرية والباطنية:

ويذهب فريق ثالث إلى أن الذكرية نشأت من «الباطنية»، وذلك أن نفراً من الدعاة الإسماعيلية هاجروا من «إيران» إلى مناطق «مكران» هرباً من اضطهاد الملوك الصفويين ـ إذ كانوا من «الإمامية الاثنى عشرية» ويجبرون الناس على اعتناق هذا المذهب ـ فغادروا «إيران» وتوجهوا إلى هذه المناطق من «بلوشستان»، فتأثر «أبو سعيد البليدي» بهؤلاء الباطنيين ـ وكانوا يُعرفون «بالسادات» ـ واختار مذهبهم.

ومن جهة أخرى وصل «الملا محمد الأتكي» هو الآخر إلى هذه المنطقة بعد جولاته ورحلاته، وهناك تعرف ودرس عقائد «الباطنية» فخلط بين ما يعتقد وبين عقائد «الباطنية» وأنشأ مذهباً جديداً سماه «الذكرية»، وادعى الإلهام والمهدوية، فلم يعد هذا المذهب تابعاً «للباطنية»، بل صار مذهباً جديداً، ومعجوناً مركباً، واشتهرت «بالذكرية»[1].

فتبين أن «الذكرية» نشأت بالخلط مع عقائد «الباطنية»، وهذا الرأي هو الذي أؤيده وأذهب إليه؛ لأنه من الأمور البديهية أن «الذكرية» تأثرت

---

(١) انظر: مقال: «بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ» (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها)، بقلم السيد عبد المجيد قصر قندي، في مجلة «الحق»، عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ).

«بالباطنية» إلى حد كبير، سواء أكان ذلك في العقائد أم في الأعمال، كما تبين ذلك من دراسة عقائدهم وأعمالهم.

وقد ذهب إلى هذا الرأي كثير من الباحثين:

قال الدكتور ضياء الحق صديقي: «إن هذا المذهب يميل إلى «الباطنية»، وهم لا يظهرون عقائدهم وتقاليدهم خاصة تلك التي تتنافى وتعاليم الإسلام»(١).

وقال الشيخ عبد الغفار الضامراني: «... وكانوا يعيشون بجوار الشيعة الباطنية والإسماعيلية»(٢).

وقال الشيخ محمد حيات: «... اعتنق «الملا محمد الأتكي» المهدوية على شكل «الباطنية»، وكتب «الذكرية» التي ما زالت مخطوطات لا تميز بين النكاح والطلاق والمحارم وغيرهن»(٣)(٤).

ب ـ أشهر الدعاة:

لقد قامت «الذكرية» على أكتاف العديد من رجالها، الذين حملوا مبادءها، وبذلوا قصارى جهدهم في الدعوة إليها، وجذب الجماهير إلى ساحتها.

ولا أتناول هنا بالدراسة كل دعاة الذكرية ورجالها، ولكن سأقتصر في دراستي على الإشارة إلى بعض دعاتها المشهورين الذين تركوا آثاراً واضحةً في حياة «الذكرية» ونشاطهم، واشتهروا بأعمالهم ومواقفهم.

ومنهم:

---

(١) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص٢).
(٢) انظر: الفئة الذكرية وفتنتها في مكران (ص١).
(٣) ذكري فرقه پرايك نظر (ص١٣).
(٤) وقد تأثر الذكريون أيضاً في عقائدهم وأعمالهم بالوثنية وأفكار الصوفية.

١ ـ ملا محمد الأتكي:

وهو المؤسس الحقيقي، والعقل المدبر لهذه الفرقة الخطرة التي نشأت في القرن العاشر الهجري، والتي سميت «بالذكرية»، وهو مهديهم ونبيهم، بل أفضل من الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين ـ على حد زعمهم.

وهناك اختلاف شديد في شخصية «ملا محمد الأتكي» ولا يوجد رأي موحد عند أتباع هذه الفرقة حول تحديد هذه الشخصية، فإذا دار الحديث في مجالسهم عن المهدي يسأل بعضهم بعضاً من المهدي؟ ومن أين جاء؟ وكل يدلي بدلوه، ولا يتفقون على شيء، وكل ما يقال عنه يتلخص فيما يأتي:

فمنهم من يرى أنه من «البتان»[١].

ومنهم من يرى أنه قدم من «الهند»، ويتمثل ببيت شعر بالفارسية:

چون بشد ازسال نور صد هفتاد هفت   ذات پاك أو قدم بنهاد در هندوستان

معناه: لما اكتمل (٩٧٧) سنة من هجرة النبي أحمد ﷺ وضع المهدي قدمه في «الهند» بجسمه الطاهر. فعلى ما جاء في هذا الرأي أن المهدي قدم من «الهند» إلى «بلوشستان»[٢].

والمشهور عند هذه الفرقة أن «المهدي» غير مولود من أب وأم، بل كان نوراً خلقه الله ـ تعالى ـ من نوره، وسير روحه في السموات العلا، ظهر في صورته الجسمانية سنة (٩٧٧هـ) في قرية «أتك» بالبنجاب، وبعد رحلاته حول العالم استقر في «تربت» «بمكران» من إقليم «بلوشستان»، وبعد

---

(١) جنس من الناس يطلق على الساكنين في إقليم «سرحد» الواقعة حالياً بين «باكستان» و«أفغانستان».

(٢) انظر: مقال: «بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ» (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها) بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي في مجلة «الحق»، عدد ربيع الثاني لعام (١٣٩٧هـ).

انتهاء مدة إقامته على الأرض اختفى من هناك عام (١٠٢٩هـ)[1].

وفي الواقع لا يوجد عند أتباع هذا المذهب وثيقة تاريخية تحدد شخصية «المهدي» وتتحدث عن تاريخه، فكل يجري وراء هواه، وما يذكره الملائيون من روايات شفوية، وهي التي دونت في الكتب ولا سند لها في الواقع.

وليس لهذا الداعية الذكري أية آثار علمية، أو مؤلفات تدل على حقيقة شخصيته، وأصول دعوته. وكل ما يكتب عنه كمؤسس للفرقة مصدره النقول الشفوية من أتباعه، ومن المعروف أن مثل هذه النقول تجري مجرى الشائعات، وتكتنفها المبالغات من كل ناحية.

وكان مما يضفي كثيراً من ظلال الغموض، أو الشكوك على الكثير من جوانب هذه الشخصية.

٢ ـ ملا مراد:

يُعَدّ «ملا مراد الكجكي» الرجل الثاني في الحركة «الذكرية» بعد «ملا محمد الأتكي»، إذا أسس الأول هذه المذهب وقرر مبادئه وأسسه، وقام الثاني بإقرار الذكر والشعائر الأخرى وتعيين الأماكن المقدسة.

كان «ملا مراد» من وجهاء قبيلة «كجك» ومن الشخصيات القوية المؤثرة، ومن أوائل معتنقي هذا المذهب. وكان من خواص أتباع «المهدي» ورجال حاشيته، وقبل اختفائه عينه خليفة له، فاجتهد في نشر هذه الفرقة بين أفراد قبيلته وأبناء وطنه وتمكن ولده «ملك دينار» أن ينشرها في منطقة «مكران» كلها بالقوة والإكراه، كما تقدم.

وبعد اختفاء «المهدي» قام خليفته «ملا مراد» بالدعوة والتبليغ لهذه الحركة، وقرر الذكر والشعائر الدينية الأخرى، وأهم شيء يذكر عنه هو

---

(١) انظر: ذكري كون هين (ص١٤).
ـ ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (ص٦).

تعيين الأماكن المقدسة[1] لأتباع هذه الفرقة في مدينة «تربت»، كما تقدم ذكرها عند ذكر العبادات[2].

ولم يترك «ملا مراد» خلفه أثراً علمياً أو مؤلفاً يحدد الجوانب والملامح الهامة في شخصيته، وإنما مصدر المعلومات عنه هي الروايات الشفوية التي يتناقلها أتباع الذكرية.

٣ ـ أبو سعيد البليدي:

يُعَدُّ أبو سعيد البليدي من أوائل المعتنقين لهذه الحركة، ومن الدعاة البارزين فيها، وكان ثالثة الأثافي بعد «ملا مراد»، إذ نشرها بقوة ساعده وأركان دولته، وكان الحاكم الأول للمناطق التي نشأت فيها «الذكرية». كما تقدم في المبحث الأول.

وحسب معتقدات الذكرية أن «الملا محمد المهدي» أثناء تجواله حول العالم مر على شاب يدعى «أبو سعيد» فآمن به ورافقه في السفر، وعند اختفائه وغوصه في الأرض كان «أبو سعيد» مستيقظاً، فسلم إليه بعض الودائع.

ويعترف جميع أتباع «الذكرية» أن حاكمهم الأول كان «أبو سعيد البليدي». ويوجد حالياً في مدينة «تربت» «بمكران» قلعة قديمة تنسب إلى «أبي سعيد». يزعم الذكريون أنها تحمل ذكريات حكمه في هذه المنطقة.

فهل يا ترى؟ من هذا الشخص الذي يسمى بـ «أبي سعيد» لم يتفق الذكريون على رأي معين ـ كما هو حالهم ـ في مهديهم «الملا محمد الأتكي»، لا يعرفون عنه شيئاً، هكذا شأنهم أيضاً في «أبي سعيد البليدي»، يذهبون فيه مذاهب شتى، لا يتفقون على شيء.

---

(١) ليس هناك أماكن مقدسة إلا ما ورد نص شرعي بتقديسه، والأماكن المقدسة في الإسلام هي المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال.

(٢) انظر: ذكري فرقه پرايك نظر (١٣). أيضاً: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (٤).

فمنهم من يرى أنه من أهالي منطقة «مكران».

ومنهم من يرى أنه «أبو سعيد بن السلطان محمد بن ميران شاه بن تيمور».

ومنهم من يرى أنه من سكان نواحي منطقة «فراه» الأفغانية، وكان هناك بعض الناس يسكنون في أطراف «فراه» يقال لهم: «بليديون»، وأثناء مرور «السيد الجونبوري» عليهم اعتنقوا المهدوية، منهم «أبو سعيد»، وبعد وفاة «السيد الجونبوري» ارتحل نفر من هؤلاء الناس بقيادة «أبي سعيد» إلى منطقة «مكران» في «بلوشستان» والأماكن التي عمروها وسكنوا فيها سميت باسمهم «البليدة».

ويذهب بعض زعماء «الذكرية» المعاصرين أن «أبا سعيد» ينحدر من الأسرة الحاكمة في «مسقط». يقول «رحيم داد خان» الملائي الشيدائي: «إن «مير أبا سعيد البليدي» كان من العائلة الملكية في «مسقط»، ولما سمع عن المهدي اعتقد به غيباً، وعندما كان المهدي في «خراسان» توجه «أبو سعيد» من «مسقط» إلى «خراسان» وبايعه في «كرم سيل»[1] وتشرف بتصديقه»[2].

وذكر «الشيدائي» «لأبي سعيد» هذا أعمالاً جليلةً لا يمكن لشخص القيام بها إلا إذا كان صاحب دولة قوية مرهوبة الجانب، حيث ذكر في كتابه «الحركة المهدوية»: «أن هذه الحركة بدأت تشق طريقها في «مكران» على يدي «أبي سعيد البليدي»، وكان جريئاً مقداماً، سياسياً محنكاً، وأعماله الجليلة في خدمة المسلمين في شبه القارة الهندية تكتب بأحرف من نور، وفي أيامه سيطر قراصنة «الفرنج» على الخليج العربي، وكانوا يغيرون ليلاً ونهاراً على سفن التجار والحجاج ـ إلى أن قال ـ: وفي نفس الوقت كانت

---

(١) اسم قرية في خراسان.

(٢) انظر: مهدوي تحريك (الحركة المهدوية) (ص٦٥)، نقلاً عن المقال «بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها)، بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي، في مجلة «الحق» عدد ربيع الثاني لعام (١٣٩٧هـ).

الأسرة الصفوية الغالية في التشيع كانوا يحكمون في «إيران»، ورجالهم كانوا يغيرون على حجاج البر، فتصدى لهم «أبو سعيد البليدي» وفتح لهم طريق خليج «العمان»، فكانت قوافل الحجاج تسير إلى الحجاز بأمان.

ولما هزم «السلطان سليم الأول»[١] جيوش «الدولة الصفوية» في «إيران»، وأرسل «السلطان سليمان الأعظم»[٢] أسطوله البحري إلى الخليج العربي للقضاء على «البرتغال» ساعد «أبو سعيد» جيوش الخلافة العثمانية، وكسر شوكة قراصنة «البرتغال» ففتح أمام الحجاج طريق البر والبحر[٣].

ولا ينكر أحد الأعمال التي قام بها «أبو سعيد» ولكن من «أبو سعيد» هذا الذي قام بهذه الأعمال الجليلة. ذكر الكاتب الذكري أنه من الدعاة الذكريين، وجاء في التاريخ ذكر «أكثر» من «أبي سعيد» فالمعلومات التي ذكرها الكاتب لبرهنة أنه «أبو سعيد البليدي» زعيم الذكريين لا تثبت أمام الحقائق التاريخية.

---

(١) هو السلطان سليم الأول بن بايزيد خان الثاني ابن السلطان محمد الفاتح (٨٧٥هـ ـ ٩٢٦هـ).
تولى عرش السلطنة العثمانية بعد أن تنازل أبوه عن الحكم. وفي أيامه انهزمت الدولة الصفوية، وتم الاستيلاء على «تبريز»، ثم انهزم المماليك في «مصر»، وتم الاستيلاء على «القاهرة»، وضمها إلى السلطنة العثمانية.
توفي في رحلته من «القسطنطنية» إلى «أدرنة».
انظر: تاريخ الدولة العلية لمحمد فريد بك (٧٣ ـ ٧٨)، طبعة (١٣٩٧هـ)، دار الجيل، بيروت.

(٢) هو السلطان سليمان خان بن السلطان سليم الأول بن السلطان بايزيد خان الثاني (٩٠٠هـ ـ ٩٧٤هـ).
تولى عرش الخلافة العثمانية بعد وفاة أبيه سليم الأول، وفي عهده بلغت الدولة العثمانية. أوجها، وتم فتح مدينة «بلغراد» وجزيرة «رودس» و«بلاد المجر» وعاصمتها.
توفي في حصار مدينة «سكدوار» المجرية.
انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية (٧٩، ١٠٧).

(٣) انظر: بلوچستان مين مهدوي تحريك (الحركة المهدوية في بلوشستان) (ص٥٨، ٦٥) نقلاً عن المقال: «بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها) بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي في مجلة «الحق» عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ).

وذلك لأن «السيد محمد الجونبوري» وصل إلى منطقة «فراه» في شهر ربيع الأول سنة (٩١٠) من الهجرة ـ الموافق (١٥٠٤م)، وفي نفس العام في شهر ذي القعدة وافاه الأجل المحتوم وهو في «فراه» ويعني ذلك أنه أقام هناك تسعة أشهر فقط، فإن صح قول «الشيدائي» أن «أبا سعيد» ذهب إلى «فراه» وبايع «السيد الجونبوري» ونشر «المهدوية» في «مكران» كان كله في القرن العاشر الهجري وهو زمن مهديهم «الملا محمد الأتكي».

وبهذا تبين أن «أبا سعيد البليدي» داعية الذكري غير «أبي سعيد العماني» الذي كان من مسقط، وكان حاكماً «لعمان» و«زنجبار» ومؤسساً للدولة البوسعيدية، وهو «أحمد بن سعيد»[١] الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري، وكان مدافعاً عن الأتراك، ويساعدهم في القضاء على قراصنة البحر في الخليج العربي، وكان والياً في إقليم «صُحّار» في حكومة الإمام سيف بن سلطان الثاني[٢].

٤ ـ شيئ محمد درفشان:

هو شيء محمد درفشان ابن الشيخ جلال، عاش ما بين (١٠٤٠هـ ـ ١١٢٠هـ).

ولد في مسجد الشيخ في بلدة «قصر قند» وكانت أمه «مريم بنت

---

(١) هو أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الأزدي العماني (٠٠٠ ـ ١١٩٦هـ). مؤسس الدولة البوسعيدية. كان والياً على إقليم «صُحّار» في عهد إمام «عمان» اليعربي سيف بن سلطان الثاني، ونجح في الدفاع عن «صُحّار» ضد قائد «نادر شاه» «محمد تقي خان شيرازي» الذي تصالح معه ثم تمكن من الاستيلاء على السلطة في «عمان» بالقوة والدهاء، وخضعت له البلاد كلها، واستمر على الحكم إلى أن توفي.
انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١٣١).
ـ دائرة المعارف الإسلامية (٨/ ٣٤٤).

(٢) انظر: مقال: بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ، بقلم السيد عبد المجيد قصرقندي، في مجلة «الحق» في عدد ربيع الثاني لسنة (١٣٩٧هـ).
ـ اردو دائره معارف إسلامية (٥/ ١٢).

عبد الله الجنكي»[1] وتربى على مبادئ الذكريين، وعقائدهم. يزعم الذكريون أنه لم يتتلمذ على أستاذ، بل فاز بالعلوم الظاهرة والباطنة بفيض المهدي، وحصل له ذلك عن طريق أمه.

وجاءت البشارة إلى أمه وهو صغير بأنها ولدت من ينشر دين المهدي - على حد زعمهم - ولما بلغ طور الشباب شرع في الرياضة، والمجاهدة، والتعمق في العلوم كلها.

وكان شاعراً مجيداً، ترك العديد من مؤلفاته وآثاره الشعرية في أغراض مختلفة: كالزهد، والأخلاق، ووصف المهدي ومدحه.

ومن أهم دواوينه «در وجود» ويتكون من اثنى عشر وأربعمائة وألفي (٢٤١٢) بيت[2].

توفي عام (١١٢٠هـ) في «قصر قند»[3].

ويجدر بالذكر أن لفظ «شيء» مرادف «الشيخ»، وهو من ألقاب الدعاة الذكريين، ولذا لا تذكر أسماء أكابر الدعاة الذكريين إلا مع لفظ «شيء». وهذا كان في القديم. وأما المعاصرون فإنهم قد استبدلوا لفظ «شيء» بلفظ «الشيخ»؛ وذلك للتمويه والتغرير. وأما الذي يقوم بطقوسهم الدينية فيسمونه «بالملائي» كما تقدم.

٥ ـ مُلْك دينار:

هو مُلْك دينار بن ملا مراد (... ـ ١١٨٨هـ).

كان خليفة على الذكريين بعد موت أبيه. وتولى رئاسة «مكران» بعد

---

(١) كان «عبد الله الجنكي» حاكماً في منطقة «قصر قند» من إقليم «بلوشستان» ومن أصحاب «الملا محمد المهدي». وزعموا في قصة إيمانه بالمهدي أنه رأى في المنام أن «المهدي» قادم إلى «مكران» فقام من نومه، وخرج في طلب المهدي وهو لا يعلم بمكان وجوده، فأخذته عاصفة شديدة وأوصلته إلى حضرة «المهدي» فآمن به، وترك ماله وولده وإمارته، وهاجر مع المهدي إلى «تربت» «بمكران» وتوفي هناك.
انظر: نور هدايت (ص١٢٧، ١٢٨).

(٢) وهو باللغة الفارسية، وقد طبع مختارات من هذا الديوان بإشراف الشيخ محمد نوري في «تربت» «بلوشستان».

(٣) انظر: نور تجلي: (٦٦).

«شاه بلال» الذي هداه الله إلى الإسلام الصحيح، فقتله واستولى على السلطة، وذلك عام (١١٥٣هـ)، كما تقدم ذلك في المبحث الأول.

أصبح الذكريون في أيامه في أوج قوتهم، وحصل لهم من السيطرة ما لم يحصل لأي زعيم ذكري في أي دور من الأدوار، حيث استولى على منطقة «مكران» بأكملها، وأدخل المسلمين في الفرقة «الذكرية» بالقوة والإكراه، ومن يرفض ذلك فالموت مصيره، حتى أصبح من العسير جداً مرور المسلمين إلى مناطقهم. وقيض الله الحاكم المسلم خان «قلات»[١] «مير نصير خان»[٢] فحمل راية الجهاد، وقام بعدة هجمات على مناطق الذكريين حتى وصل على مشارف «تربت» مقرهم الرئيسي.

وهناك أقام مع جنوده، ولم يدخل المدينة للقتال خشية أن يصيب الأبرياء، فكان ينتظر خارج المدينة حتى يخرج «ملك دينار» برجاله، ولكن الذكريين أشاعوا أن امتناع «نصير خان» دخول المدينة إنما كان جبناً منه، وخوفاً من الذكريين، واعتبروا ذلك من قبيل الكرامات التي خص بها زعيمهم «ملك دينار». فكان الأخير يتحدى ويردد في رقصاته في الحفلات الدينية[٣] بيتاً من الشعر يقول فيه:

دين داعي چونكه بر ما يار شد   تخت مكران بر «ملك دينار» شد

معناه: لما صار الدين الذكري معيناً لنا، أصبح «ملك دينار» على عشر «مكران».

ولما ورد هذا البيت على مسامع «مير نصير خان» سجّله عنده، وانتظر حتى خرج على رأس جمع عظيم من أتباعه، فاصطف الفريقان، وكانت معركة عظيمة صال فيها كلا الفريقين وجال، ولكن النصر في النهاية كان حليفاً «للمير نصير خان» وحاقت الهزيمة المنكرة «بملك دينار» ومن معه، فهرب وتحصن في قلعة، وتقدم المجاهد «مير نصير خان» إلى القلعة بعد

---

(١) اسم منطقة في إقليم «بلوشستان» تقع حالياً في باكستان.

(٢) سيأتي مزيد تفصيل عنه ـ إن شاء الله ـ في الفصل الثامن.

(٣) هذه الرقصات هي التي تسمى بـ شوكان (چوكان)، وقد تقدم الحديث عنها عند ذكر العبادات.

الفراغ من السيطرة على «تربت» وحاصرها، حتى اضطر «ملك دينار» إلى إلقاء السلاح وتسليم نفسه.

فبعد إلقاء القبض عليه حاول «مير نصير خان» إصلاحه وإرجاعه إلى دين الحق، واستعان بالقضاة والعلماء لإرشاده وهدايته، وطلبوا منه إعلان التوبة، وأداء الصلوات الخمس، ولكنه لم يزل رافضاً للتوبة، ومنكراً للصلاة، فلما يئسوا من رجوعه إلى الحق أمر «مير نصير خان» بقتله؛ لأنه كان قد قتل من قبل «مير بلال البليدي»[1] وتولى تنفيذ القتل ولده «مير نور محمد بن مير بلال البليدي» وقبيل تنفيذ القتل ذكّره «مير نصير خان» ببيت الشعر الذي كان يردده، وعارضه بهذا البيت:

دين أحمد چونكه بر ما يار شد   طوق لعنت بر «ملك دينار» شد

معناه: لما صار دين أحمد ﷺ معيناً لنا أصبح طوق اللعنة على عنق «ملك دينار».

وهكذا تم القضاء على أحد دعاة الذكرية النشيطين، فوقى الله المسلمين شر فتنته، وكان ذلك عام (١١٨٨هـ)[2].

وهناك دعاة آخرون لعبوا أدواراً هامة في الحركة «الذكرية»، منهم: «القاضي إبراهيم الكاشاني»، «مير عبد الله الجنكي»، «وعزيز اللاري» و«الحاج قاسم»، «شيخ جلال»، «الشاه أماني»، والسيد أبو بكر»، و«السيد رحمت»، «مير الله يار»، مولانا دينار»، وغيرهم من أصحاب الفكر والدعوة في «الحركة الذكرية». ولا أستطيع تتبع سير حياتهم لأمرين هما:

١ ـ أنه ليس عندهم جديد والنماذج التي ذكرتها فيها الكفاية.

٢ ـ إن الإتيان على قصصهم جميعاً يؤدي إلى الإسهاب الذي لا طائل تحته.

---

(١) حاكم الذكريين الذي هداه الله إلى الإسلام وتاب، فثار عليه «ملك دينار» وقتله، واستولى على السلطة.

(٢) انظر: مقال: بلوچستان كا ذكري مذهب اور اسكي تاريخ. (الفرقة الذكرية في بلوشستان وتاريخها).

بقلم: السيد عبد المجيد قصرقندي، في مجلة «الحق»، عدد رمضان المبارك لعام (١٣٩٨م).

المبحث الثالث

آثارها

ظهرت الحركة «الذكرية» قبل أربعة قرون ونصف القرن تقريباً، وتمثلت في فرقة لا تقل خطرها على الإسلام عن الفرق الأخرى المنتسبة إلى الإسلام، طالما كان أتباعها موجودين في أرض الواقع، يتمسكون بعقائدهم، وينافحون عنها.

وتركت هذه الحركة آثاراً سيئة على أتباعها في دينهم ودنياهم حيث صرفتهم عن أوجب ما ينبغي أن يتمسك به المسلم في حياته، وهو كلمة التوحيد التي تنجي قائلها من النار، كما جعلتهم يتخلفون عن مواكبة ركب الحضارة بما يسمعون عن ملائيهم من أساطير وحكايات ومبالغات عن مهديهم ومنقذهم المزعوم، مما جعلهم يفضلون العيش، في الأودية والصحارى، وبين الجبال والتلال، وشواطئ البحار. ويكتفون بالرعي والزراعة، وصيد الأسماك[1].

ويمكن تلخيص أهم آثارها في النقاط الآتية:

١ ـ زعزعة العقيدة الإسلامية:

إن ظهور أية فرقة ضالة أو دعوة باطلة في داخل الصفوف الإسلامية

---

(١) وقد ظهرت حديثاً حلقات من الدراسة عنهم في مجلة «صراط مستقيم» الشهرية التي تصدر في «برمنغهام» في «بريطانيا» بقلم الدكتور: طارق أبو معاذ، وبلغت هذه الدراسة إلى عشر حلقات، وهي تصور حياتهم الدينية، والاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

انظر: الحلقة السابعة في العدد الرابع لسنة (١٤١٥هـ).

لها آثارها السيئة في بلبلة أفكار بعض المسلمين، وزعزعة العقيدة في نفوسهم. والفرقة «الذكرية» من كبرى الحركات وأخطرها التي نشأت في القرن العاشر الهجري، وتطورت، وارتمى في أحضانها عدد كبير من عامة المسلمين، زعماً منهم أنها حركة إسلامية مهدوية، و«محمد الأتكي» هو المهدي الموعود، والمنقذ الوحيد في الدنيا من الضلال، وفي الآخرة من النار ووقعوا فريسة الدجل والإفك المبين.

ومما زاد من خطرهم أنهم يدعون دائماً أن «الذكرية» مذهب كالمذاهب الفقهية المشهورة عند المسلمين كالحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية[١]، مما جعل علماء هذه المناطق[٢] يطالبون الحكومات لاعتبار أتباع هذه الفرقة أقلية غير إسلامية حتى لا ينخدع بها عوام المسلمين.

وأما إذا اعتبرت أنها دعوة مستقلة مغايرة للمسلمين، فإن خطرها يقل أثره إلى حد ما، وإن كانت لا تزال تمثل جانباً من الخطورة، ولكن ذلك أقل من بقائها منتسبة للإسلام.

٢ ـ تفريق شمل الأمة:

إن الأمة الإسلامية ما بقيت خاضعة لقيادة الكتاب والسنة تتوحد صفوفها، ويتجمع شملها، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾[٣]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾[٤].

ونشأة أية حركة ضالة مدعاة لتفريق هذه الأمة وانقسامها إلى تجمعات وتكتلات متنافرة ومتعادية، وكلما زادت هذه الحركات، كلما زاد هذا التفرق، فتتمزق الأمة، وتضعف بذلك أسس المجتمع الإسلامي.

ولقد رأينا عبر التاريخ ونشاهد الآن كيف عملت هذه الحركات الباطلة

---

(١) انظر: مين ذكري هون (ص١).
(٢) وهم علماء باكستان حالياً.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

في تمزيق جسم الأمة الإسلامية وكيانها. وهكذا الفرقة «الذكرية» مزقت صفوف المسلمين في هذه البلاد حيث أخذت أتباعها في طريق يختلف تماماً عن طريق المسلمين، وجعلت لهم مناطق خاصة يعيشون فيها، ولهم أماكنهم المقدسة الخاصة بهم، ودور عبادات تخصهم، ولهم مقابرهم الخاصة التي يدفنون فيها موتاهم، وما إلى ذلك من مظاهر التفرق والانقسام، ومع هذا فإن هذه الحركة تمثل مظهراً سيئاً وتشويهاً للإسلام، وذلك لأن غير المسلمين يحسبونها على الإسلام، ويعدونها ضمن أمتها؛ بل ويعتبر الكثيرون منهم أن ما تعتقده هذه الطائفة، أو تقوم به من عبادات وطقوس إنما هو من الإسلام.

٣ ـ تشتيت جهود الأمة:

عندما تتعرض الأمة الإسلامية لخطر يهدد عقيدتها أو شيئاً من دينها، فإنها تتحرك للقضاء على ذلك الخطر. والحركة «الذكرية» من أخطر الحركات التي تهدد الوحدة الإسلامية مما دفع المسلمين إلى مقاومة تلك الحركة، واستنفدت كثيراً من جهودهم وقواهم، وإمكاناتهم العلمية والمادية. وأدت إلى نشوب حروب أهلية، وصراعات مريرة ذهبت فيها آلاف النفوس، وأنفقت فيها الأموال، ولحق الخراب والدمار بالبلاد. وهكذا شغلت هذه الفتنة «الذكرية» حيزاً كبيراً من حياة المسلمين في إقليم «بلوشستان» المسلم عبر القرون، كان يمكن أن يصرف في أمور أخرى، تعود عليهم بالنفع في دينهم ودنياهم[١].

---

(١) وقد تقدمت نماذج من هذا الصراع في المبحث الأول والثاني، وقد استمر هذا الصراع منذ أربعة قرون ونصف قرن تقريباً حتى هذه الأيام. وقد سُجلت في الآونة الأخيرة حوادث عنف كثيرة بأيدي الذكريين، وكان آخرها ـ حسب علمي ـ ما حدث في قرية «مرغوطي» بمدينة «تربت» أثناء أداء صلاة العشاء، حيث كان المسلمون يؤدون صلاة العشاء في مسجد القرية، وفي الركعة الثانية فوجئوا بإطلاق النار عليهم من الهضبة القريبة من المسجد، وأسفر هذا الهجوم عن إصابة ثمانية منهم بجروح خطيرة، وأصيب آخرون بإصابات طفيفة، وقامت عدة مظاهرات للقبض على المجرمين الذكريين. وقد شكلت لجنة للتحقيق في الحادث كان أحد أعضائها من الذكريين، وما =

وبالإضافة إلى ذلك أخذت هذه الفتنة نصيباً كبيراً من جهود العلماء والمفكرين، وكان من نتيجة ذلك المناظرات الشفوية، وظهور عشرات الكتب والرسائل، ومئات المقالات في الصحف والمجلات التي تبين خطورة هذه الفرقة وتكشف زيغها وضلالها، ولا شك أن ذلك تشتيت لجهود الأمة المادية والمعنوية كان يمكن أن تستفاد منها في سبيل الدعوة الإسلامية، وبناء الأمة[1].

٤ ـ العمل في خدمة الاستعمار الإنجليزي:

كان الذكريون موضع سخط المسلمين السنيين الذين كانوا يرون في «الذكرية» خروجاً على الإسلام، ومن ثم أخذوا يحاربونها ويضيقون الخناق على أتباعها حتى جاء الاستعمار الإنجليزي فاهتبل هذه الفرصة، وقرب الذكريين، وأعانهم، ووفر لهم حرية إقامة الشعائر الخاصة بهم، وحمايتهم، والاستفادة بهم في خدمته؛ ومن ثم راح الذكريون يتفانون مخلصين في خدمة الاستعمار رداً للجميل، وبهذا حقق الاستعمار هدفين كبيرين هما:

أ ـ تشويه صورة الإسلام الصحيح.

ب ـ تمزيق جسم الأمة الإسلامية جرياً على سياستهم المعروفة «فرق تسد»[2].

= زالت القضية معلقة لم يبت فيها بشيء.
انظر: مقال: «ذكري كيس كے نشيب وفراز» (تطور وانحطاط القضية الذكرية)، بقلم الشيخ عبد الحق، في مجلة «بينات» الشهرية، الصادرة من كراتشي، في عدد رجب لسنة (١٣٩٨هـ).

(١) أمثال: المقالات التي صدرت في مجلة «الحق» الشهرية الصادرة من مدينة «بشاور» الباكستانية، وفي مجلة «بينات» الشهرية الصادرة من مدنية «كراتشي» الباكستانية، وفي مجلة «صراط مستقيم» الشهرية الصادرة من «برمنغهام» البريطانية، بالإضافة إلى المقالات الكثيرة التي صدرت وتصدر في الصحف اليومية، والكتب والرسائل التي نشرت وتنشر في الكشف عن هذه الفرقة وعقائدها.

(٢) انظر: مقال: «مهدويت اور ذكر فرقه» (المهدوية والفرقة الذكرية)، بقلم الدكتور أبو معاذ طارق، في مجلة «صراط مستقيم» الشهرية، الصادرة من برمنغهام البريطانية في عددها الرابع سنة (١٤١٥هـ).

المبحث الرابع

الذكرية في الميزان

تكلمت في المبحث الأول عن نشأة «الفرقة الذكرية» والأدوار التاريخية التي مرت عليها. وتحدثت في المبحث الثاني عن عقائدها وعلاقتها بالفرق الأخرى، كما ذكرت أشهر دعاتها. وفي المبحث الثالث عن أهم آثارها. وفي هذا المبحث أتناول عقائد هذه الفرقة بالنقد والتقويم على ضوء الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح لهما حتى يتبين لنا موقع هذه الفرقة من الإسلام الصحيح، والحكم الذي يستحقه. فأقول وبالله التوفيق.

أولاً: كلمة التوحيد:

تقدم أن الصيغة المشهورة لكلمة التوحيد عند الذكريين هي قولهم: «لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله». وهذه الصيغة تخالف الصيغة الصحيحة لكلمة التوحيد، وهي: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[1].

---

(١) كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».
رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب «دعاؤكم إيمانكم» (١/٤٩، برقم: ٨)، المطبوع مع فتح الباري.
وعنه رضي الله عنهما أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...» الحديث.
رواه البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم**﴾ (١/٧٥، برقم: ٢٥).
وجاء في حديث وفد عبد القيس عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول الله ﷺ قال: «آمركم =

فهذه الكلمة ذات شقين: الشق الأول وهو الذي يتمثل في القول: «لا إله إلا الله» المتضمن بالشهادة بوحدانية الله ـ تعالى ـ وتفرده بالألوهية. والشق الثاني وهو الذي يتمثل في القول: «محمد رسول الله» المتضمن بالشهادة برسالة نبينا محمد ﷺ، فكما أن من أنكر الشق الأول لا يدخل في حظيرة الإسلام، وهكذا من أنكر الشق الثاني أيضاً سواء بسواء.

وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ۝٣٢﴾[1].

قال «الحافظ ابن كثير» في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ . . .﴾:

«هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله»[2].

وقال في معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي خالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادعى وزعم في نفسه أنه يحب الله، ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي كان الأنبياء ـ بل

= بأربع وأنهاكم عن أربع، الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال): شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. . .» الحديث.

رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/٤٦، برقم: ٢٣).

وجاء في حديث جبريل عن عمر بن الخطاب ﷺ لما سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. . .» الحديث.

رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان (١/٣٦، ٣٧، برقم٨).

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١، ٣٢. (٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/٢٥).

المرسلون، بل أولوا العزم منهم - في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه والدخول في طاعته واتباع شريعته»[1].

وقال الله - تعالى -: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآيات: «يخبر الله - تعالى - أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنن به، ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته»[3].

وجاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حياً، ما وسعه إلا أن يتبعني»[4].

وهذا الحكم في الأنبياء الصادقين الذين تلقوا الرسالات من لدن حكيم خبير، فلو كان أحدهم حياً بعد مجيئ نبينا محمد ﷺ ما وسعه إلا اتباع النبي ﷺ ولا يجوز لأحد أن يتبع ذلك النبي ويترك النبي محمداً ﷺ.

ويزعم الذكريون أن «نور محمد مهدي رسول الله» ويعبرون عن ذلك بقولهم: «لا إله إلا الله نور پاك محمد مهدي رسول الله»، فهذا قطعاً

---

(١) انظر: نفس المصدر.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨١، ٨٢.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٥).

(٤) جزأ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما رواه الإمام أحمد في مسنده من طريق مجالد عن الشعبي (٣/ ٣٨٧). وحسنه الشيخ الألباني.
انظر: إرواء الغليل (٦/ ٣٤، برقم: ١٥٨٩)، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

يخالف كلمة الشهادة التي يدخل بها المرء في دين الإسلام، وهو أحد نواقض الإيمان، فدعواهم للإسلام دعوى باطلة، ودعوى الانتساب إليه محض زور وافتراء وبهتان.

وقد ذكر «شيخ الإسلام ابن تيمية» أن أصل الإسلام الشهادتان، وهو أصل عظيم، على المسلم أن يعرفه، وبهذا الأصل يتميز أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وقال: «وقد وقع كثير من الناس في الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه في غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة، فإقرار المرء بأن الله ـ تعالى ـ رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقترن به إقراره بأن «لا إله إلا الله» فلا يستحق العبادة أحد إلا هو، وأن محمداً رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر»[(١)].

ثانياً: عقيدتهم في القرآن الكريم:

إن عقيدة الذكريين في القرآن الكريم تتلخص في نقطتين:

الأولى: أن المهدي هو صاحب الحق في تأويل آيات القرآن.

واستشهدوا على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝١٩﴾[(٢)]. أي بلسان المهدي، ولم يذكر أحد المفسرين المعتمدين عليهم هذا المعنى.

فقد ذكر الإمام القرطبي: «وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝١٩﴾، أي تفسير ما فيه من الحدود، والحلال والحرام، قاله قتادة. وقيل: ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما. وقيل: أي إن علينا أن نبينه بلسانك»[(٣)].

---

(١) انظر: التدمرية (١٩٥، ١٩٦) بتصرف، تحقيق: محمد بن عودة السعدي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).
(٢) سورة القيامة: الآية ١٩.
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣/١٠٦).

قال الحافظ ابن كثير: «﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝١٩﴾، أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، نلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا»[1].

فقولهم: «بلسان المهدي» تقوُّل بالرأي في القرآن الكريم، وحمل النص على ما لا يحتمله.

وقد جاء الوعيد الشديد فيمن قال في القرآن برأيه بغير علم. كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»[2].

وعنه رضي الله عنهما أيضاً عن النبي ﷺ قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[3].

ولم يدَّع أحد عبر القرون أن تفسير القرآن حكر على فرد معين، ولهذا نرى مناهج المفسرين قد تعددت في عصورهم كما أبينه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

والنقطة الثانية: المراد بالتأويل بيان الأحكام الباطنة.

ووضعوا قولاً[4] على لسان نبي الله عيسى عليه السلام ليستشهدوا على هذا الزعم حتى يموهوا على الناس، ولن يجدوا له مصدراً إلا كتب الذكرية. فلفظ التأويل في اللغة هو الرجوع، من آل يؤول إذا رجع[5].

وأما في الاصطلاح فيطلق التأويل على ثلاثة معان:

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٣٠٣).

(٢) رواه الترمذي في سننه في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» (٥/ ١٨٣، برقم: ٢٩٥٠).
تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

(٣) رواه الترمذي في سننه، وقال: «هذا حديث حسن» (٥/ ١٨٣، برقم: ٢٩٥١).

(٤) تقدم ما وضعوا على لسان عيسى عليه السلام في (ص١٠٦).

(٥) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٤٣٧، مادة: آل).

الأول: تفسير الكلام وبيان معناه سواء أوافق ظاهره أم خالفه، وهو الذي عناه مجاهد بقوله: «إن العلماء يعلمون تأويله». ويقول محمد بن جرير الطبري في تفسيره: «القول في تأويل قوله كذا وكذا». «واختلف أهل التأويل في هذه الآية»، ونحو ذلك فإن مراده التفسير.

الثاني: الحقيقة والعاقبة التي يؤول إليه الأمر، وهذا المعنى هو الذي نزل به القرآن، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[1]. وقوله: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾[2].

وهذان المعنيان هما المقصودان في كلام السلف.

الثالث: وفي عرف المتأخرين هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف. فإذا قال أحدهم: هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا، قال الآخر: هذا نوعُ تأويل، و التأويل يحتاج إلى دليل[3].

فعلماء الأمة سلفاً وخلفاً يستعملون لفظ التأويل في هذه المعاني والإطلاقات، وأما علماء «الذكرية» ودعاتها فإن للتأويل عندهم معنى آخر يختلف تماماً عما اصطلح عليه علماء الأمة: وهو بيان الأحكام الباطنة لآيات القرآن الكريم، وهذا منهجهم الذي يسلكونه في تفسير كتاب الله ـ تعالى ـ، فمن الأفضل أن نلقي نظرة عابرة على مناهج المفسرين حتى نستطيع من خلالها تحديد المنهج الذي يسلكه الذكريون في تفسير كتاب الله ﷻ.

---

(١) سورة يوسف: الآية ٦. (٢) سورة يوسف: الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٣) انظر: تفاصيل هذا الموضوع في رسالة الإكليل في المتشابه والتأويل في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٢٨٨ ـ ٢٩٤).

مما لا شك فيه أن تفسير القرآن المجيد من أشرف العلوم التي عنيت بها الأمة الإسلامية، وفي صدر الإسلام كان الصحابة ﷺ يسألون رسول الله ﷺ عن مبهمه وما أغلق عليهم فهمه، ثم تطور هذا العلم كبقية العلوم حتى أصبح له منهج خاص، وأصول يجب اتباعها لمن أراد الاشتغال به.

فقد ذكر العلماء أن هناك علوماً يحتاج إليها المفسّر، وشروطاً يجب توفرها فيه قبل أن يدخل في هذا المضمار.

أما العلوم التي يحتاج إليها فهي علم اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، وعلوم البلاغة، والقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وما إلى ذلك.

وأما الشروط التي تشترط في المفسر فهي كالآتي:

١ ـ **شروط علمية**: أن يكون المفسر متقناً للعلوم المذكورة إتقاناً جيداً.

٢ ـ **شروط عقلية**: وهي أن يكون المفسر موهوباً ذا قدرات عقلية ممتازة، قوي الاستدلال، حسن الاستنباط، قادراً على الترجيح إن تعارضت الأدلة، عارفاً اختلاف الأقوال على حقيقته؛ إذ كثيراً ما يكون الاختلاف، اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

٣ ـ **شروط دينية وخلقية**: وهي أن يكون صحيح العقيدة، مؤدياً للواجبات الدينية، ملتزماً بالآداب والأخلاق الإسلامية، محرراً من سلطان الهوى، شديد الخشية لله ـ تعالى ـ[1].

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي (١/ ٢٥٥ ـ ٢٦٩)، الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م)، دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية.
ـ لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، لمحمد الصباغ (١٢٥ ـ ١٢٨)، طبعة (١٣٩٤هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت.

مناهج المفسرين:

والمؤلفات التفسيرية التي بين أيدينا لا تعدو أحد منهجين:

١ ـ منهج الرواية أو التفسير بالمأثور:

وهو تفسير القرآن بعضه ببعض أو تفسيره بما نقل عن الرسول ﷺ أو بما نقل عن أصحابه ما هو بيان أو توضيح لمراد الله ـ تعالى ـ وهذا المنهج هو أقدم المناهج، وأجودها على الإطلاق، وقد سلكه كثير من العلماء في تفاسيرهم للقرآن الكريم كمحمد بن جرير الطبري، وابن أبي حاتم الرازي، والبغوي، وابن كثير، والسيوطي، ومحمد أمين الشنقيطي وغيرهم كثير.

٢ ـ منهج الدراية أو التفسير بالرأي:

يطلق الرأي على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه أصحاب الرأي، أي: أصحاب القياس.

والمراد بالرأي هنا الاجتهاد، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها وغير ذلك من العلوم التي يحتاج إليها المفسر[١]، كما تقدم قبل قليل.

وهذا المنهج الأخير منه ما هو محمود:

وهو منهج الفقهاء واللغويين والقصاص.

١ ـ **التفسير الفقهي**: وهو شرح آيات الأحكام، والتركيز على استنباط الأحكام منها. وقد سلكه كثير من العلماء، منهم: أبو بكر الجصاص، أبو بكر ابن العربي، والقرطبي وغيرهم.

٢ ـ **التفسير اللغوي**: وهو شرح المفردات الغامضة من الآيات القرآنية

---

(١) انظر: لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير (١٧٧ ـ ١٩٢).
ـ التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٥).

وبيان معانيها، وشرح الإعجاز البلاغي فيها، إلى غير ذلك مما يستمد من اللغة، أمثال: غريب القرآن لابن قتيبة، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ومعاني القرآن للفراء وغيرها.

٣ ـ **التفسير القصصي**: وهو جمع آيات القصص من القرآن الكريم، وضم بعضها إلى بعض، وجعلهما وحدة متكاملة. وقد أفرده كثير من السابقين واللاحقين بالتأليف[١].

ومنه ما هو مذموم:

وهو ما كان مستنداً إلى هوى من الأهواء كالمذهبية، أو السياسية، أو الشخصية، وهو تفسير لا ينهض عليه دليل أو برهان مشروع، وهذا القسم له خمسة وجوه:

الأول: التفسير من غير تحصيل للعلوم والشروط التي تؤهل المفسر لأن يضطلع بمهمة التفسير، وهي علوم تقدم الحديث عنها قبل قليل.

الثاني: تفسير المتشابه من القرآن، وفي ذلك يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾[٢].

الثالث: التفسير الذي يأتي تدعيماً لأحد المذاهب الضالة، وطريقة ذلك أن يجعل المفسر مذهبه هو الأصل المتبوع، والتفسير هو التابع، فالمفسر بذلك يصطنع أية أدلة ولو كانت موضوعة من أجل أن يعزز مذهبه الذي يتعصب له.

الرابع: أن يذهب المفسر إلى أن مراد الله ـ تعالى ـ من الكلمة أو السورة هو كذا وكذا على القطع دون استناد إلى دليل أو احتجاج ببرهان.

---

(١) انظر: لمحات في علوم القرآن (١٤٤ ـ ١٧٦).
ـ القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين إلهي بخش (٢٦٣)، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م) مكتبة الصديق، الطائف.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى[1].

وبعد هذه الإطالة الغير المقصودة نقول: إن علماء الذكريين ودعاتهم سلكوا سائر هذه الوجوه بصفة عامة، والوجه الثالث بصفة خاصة، كما رأينا ذلك في النماذج لتفاسيرهم التي تقدمت في المبحث الثاني، وهو منهج مرفوض وطريق خاطئ، وقد نهى عنه الشارع وحذر من التورط فيه.

قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿...وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾[3].

وجاء في الحديث:

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»[4].

ثالثاً: عقيدتهم في النبوة المحمدية:

يمكن تلخيص عقيدة الذكريين حيال النبوة المحمدية في ثلاث نقاط:

الأولى: يكفي الإيمان إجمالاً بالنبي ﷺ كالأنبياء السابقين. (ويسمونه أحمد العربي).

الثانية: أن المهدي هو نبي آخر الزمان، بل أفضل الأنبياء.

الثالثة: إنكار ختم النبوة.

---

(١) انظر تفاصيل هذه الوجوه والأمثلة على ذلك في: دراسات في علوم القرآن، للدكتور أمير عبد العزيز (١٥٧ ـ ١٦٧)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الفرقان، عمان ـ الأردن. مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل.

أما بالنسبة للنقطة الأولى فالعلماء على أن الإيمان واجب عموماً بجميع الأنبياء الذين أرسلهم الله ـ تعالى ـ إلى البشر سواء عرفناهم أم لم نعرفهم، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[1].

ويجب الإيمان خصوصاً بمن قصه الله ـ تعالى ـ علينا في كتابه، وعددهم خمسة وعشرون نبياً، وهم كالآتي:

١ ـ آدم، ٢ ـ نوح، ٣ ـ إدريس، ٤ ـ إبراهيم، ٥ ـ إسماعيل، ٦ ـ إسحاق، ٧ ـ يعقوب، ٨ ـ يوسف، ٩ ـ لوط، ١٠ ـ هود، ١١ ـ صالح، ١٢ ـ شعيب، ١٣ ـ موسى، ١٤ ـ هارون، ١٥ ـ داود، ١٦ ـ سليمان، ١٧ ـ أيوب، ١٨ ـ ذو الكفل، ١٩ ـ يونس، ٢٠ ـ إلياس، ٢١ ـ اليسع، ٢٢ ـ زكريا، ٢٣ ـ يحيى، ٢٤ ـ عيسى ابن مريم بنت عمران، ٢٥ ـ محمد ـ عليه وعليهم أزكى التحية وأفضل التسليم[2].

والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[3].

وكما جاء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[4].

وجاء في حديث جبريل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت»[5].

---

(١) سورة غافر: الآية ٧٨.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (١/١٠٦١ ـ ١٠٧٣)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار ابن كثير، دمشق.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٣٦.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٥) تقدم تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... لأن الإيمان بهم واجب عموماً، واجبٌ الإيمانُ خصوصاً بمن قصه الله علينا في كتابه، وسبهم كفر وردةٌ إن كان من مسلم، ومحاربة إن كان من ذمي»[1].

وأما ما ذكره علماء الذكرية من أن كل لفظ «محمد» الذي ورد في القرآن الكريم، فالمقصود به «محمد المهدي الأتكي» فلم يقدموا عليه دليلاً إلا تفسير الآيات حسب أهوائهم الحزبية، ونزعتهم الشخصية، وقد تقدم الحديث عن ذلك.

وأما قولهم: بأن المهدي هو النبي، بل هو أفضل الرسل، فهذه إحدى الطامات الكبرى التي ابتليت بها هذه النحلة، وهو إضفاء كل صفات الأنبياء على المهدي، ولكن القوم لم يقدموا لنا على ذلك دليلاً إلا الافتراء والزور في تفسير آيات القرآن، والقصائد الطويلة التي سود بها دعاةُ الذكرية صفحات الكتب في بيان أوصاف زعيمهم والتي يسمونها «ثناء المهدي» والتي ادعوا فيها أن مهديهم هو نبي آخر الزمان، بل أفضل الأنبياء على الإطلاق.

ومن الحقائق المسلَّمة أن النبوة منة من الله ـ تعالى ـ وفضل منه ﷻ، وهي اصطفاء واختيار الله ـ تعالى ـ عبداً من عباده بتبليغ الوحي إلى البشر، قال ـ تعالى ـ لموسى ﷺ: ﴿إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[2]، وقال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[3].

ولربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أن يخلق ما يشاء، ويختار فهو ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم حيث يجعل رسالته، كما أنه ـ تعالى ـ لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، وإذا كانت النبوة اصطفاءً واختياراً من عند الله ـ تعالى ـ فهي لا تنال باكتساب أو مجاهدة أو رياضة نفسية.

---

(١) انظر: الصارم المسلول (٣/١٤٠٨)، تحقيق: محمد كبير شودري، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ)، رمادي للنشر، الدمام ـ المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٤.

(٣) سورة الحج: الآية ٧٥.

قال السفاريني:

ولا تُنال رتبة النبوة بالكسب والتهذيب والفتوة
لكنها فضل من المولى الأجل لما يشاء من خلقه إلى الأجل[1]

وإذا كان الأمر كذلك، فإن ادعاء النبوة من أشنع الكذب وأظلم الظلم، وأعظم الافتراء على الله ـ سبحانه وتعالى ـ، يقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: لا أظلم ممن تقول على الله، فادعى أن الله أرسله ولم يكن أرسله، ثم لا أظلم ممن كذّب بآيات الله وحججه، وبراهينه ودلالاته، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ أي لا يفلح هذا ولا هذا، لا المفتري ولا المكذب»[3]. ويقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[4]، يقول: «الحافظ ابن كثير» في تفسير هذه الآية: «أي لا أظلم ممن كذب على الله ـ تعالى ـ فجعل له شريكاً أو ولداً، أو ادعى أن الله أرسله إلى الناس، ولم يكن أرسله». ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾[5].

ويقول ـ سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[6].

يقول «الحافظ ابن كثير» في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ...﴾: «هذا وعيد شديد من الله ـ تعالى ـ وتهديد أكبر لمن

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٧)، مطبقة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ٦٨ شارع العباسية، القاهرة.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٢١.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٤١).

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٩٥).

(٦) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

تكبر عن اتباع رسله والانقياد له فيما جاؤوا به فإنه سيصيبه يوم القيامة بين يد الله «صغار» وهو الذلة الدائمة»[1].

فتبين مما تقدم أن ادعاء النبوة كذباً وزوراً من أشنع الكذب وأعظم الافتراء على الله ـ سبحانه وتعالى ـ. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «معلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي ﷺ لما بلغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام: «والله لا أقول لك كلمة، إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أرد عليك»، فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم، وما أحسن قول حسان:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز.

وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً.

والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به، ويخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، ويفعله، ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة»[2].

ويقول ابن أبي العز: «إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتُعَرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/٣٢٦).

(٢) انظر: شرح العقيدة الإصفهانية (٨٩، ٩٠)، دار الكتب الحديثة، لصاحبها: توفيق عفيفي، ١٤ شارع الجمهورية.

فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة»[1]!

وأما إنكارهم لختم النبوة، فإن من ادعى النبوة بعد نبينا محمد ﷺ ومن صدقه في دعواه فهم شركاء في إنكار ختم النبوة قطعاً، وكتب «الذكرية» متفقة على أن «نور محمد المهدي» هو خاتم الأنبياء، كما تقدم ذلك في الحديث عن عقيدتهم في «النبوة المحمدية»، وعقيدتهم في «مكانة المهدي».

عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية هي إحدى العقائد الإسلامية الأساسية، والتي لا يكمل إيمان المسلم بدونها.

ومعنى ختم النبوة: انتهاء إنباء الله للناس[2].

أجمعت الأمة الإسلامية على أن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين، وأن رسالته هي آخر الرسالات الإلهية إلى البشر، والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[3].

وادعاء النبوة تكذيب لصريح القرآن الكريم، حيث قال الله ـ تعالى ـ في القرآن الكريم أن نبينا محمداً ﷺ خاتم النبيين، يقول: «الحافظ ابن كثير» في تفسير هذه الآية: «هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس»[4].

ووردت هناك أحاديث كثيرة صحيحة وصريحة في أن نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، ومنها على سبيل المثال:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٠)، تحقيق: الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، الطبعة الخامسة (١٤١٣هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.

(٢) انظر: عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، لأحمد سعد حمدان (ص١١)، رسالة علمية رقمها في المركز (١٨٧) فرع عقيدة.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٣).

١ ـ عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه، وأجمله، إلا موضع لبنة[١] من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[٢].

٢ ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[٣].

٣ ـ عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي...» الحديث[٤].

وما إلى ذلك من الأحاديث الصحيحة التي بلغت إلى حد التواتر، والتي تدل على ختم النبوة بنبوة نبينا محمد ﷺ فهي من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة.

يقول عبد القاهر البغدادي: «كل من أقر بنبوة نبينا محمد ﷺ أقر بأنه خاتم الأنبياء والرسل، وأقر بتأييد شريعته ومنع من نسخها»[٥].

ويقول ابن حزم: «إن من ادعى إلهية إنسان، أو ادعى نبوة لأحد بعد رسول الله محمد ﷺ حاشا عيسى ابن مريم ـ فهو كافر؛ ولا خلاف في

---

(١) اللَّبِنَة ـ بفتح اللام، وكسر الباء ـ واحدة اللَّبِن، وهي التي يبنى بها الجدار.
انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، تحقيق: محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ (٦/ ٥٥٨، برقم: ٣٥٣٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير، باب المبشرات (١٢/ ٣٧٥، برقم: ٦٩٩٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٦/ ٤٩٥، برقم: ٣٤٥٥).

(٥) انظر: أصول الدين (١٦٢)، الطبعة الأولى (١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م)، استانبول، تركية.

ذلك من أحد من أهل الإسلام؛ وذلك لخلافه القرآن، والثابتَ عن رسول الله ﷺ»[1].

ويقول القاضي أبو يعلى: «ونبينا ﷺ خاتم الأنبياء، ولا يبعث الله نبياً بعد نبينا، خلافاً «لأهل التناسخ»[2] و«الخرمية»[3] في قولهم: يجوز أن يبعث الله نبياً بعد نبينا، وإن الأنبياء لا ينقطعون عن الخلق أبداً»[4].

ويقول القاضي عياض:

«وكذلك من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده «كالعيسوية»[5] من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، و«كالخرمية» القائلين بتواتر الرسل، كأكثر «الرافضة»[6] القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي ﷺ

---

(١) انظر: الدرة فيما يجب اعتقاده (٢٠٥، ٢٠٦)، تحقيق: الدكتور أحمد ناصر الحمد، والدكتور سعيد عبد الرحمن القزقي، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ)، مطبعة المدني، شارع العباسية، القاهرة.

(٢) أهل التناسخ ليسوا فرقة بعينها، وإنما المقصود القائلون بالتناسخ، وقد تقدم الكلام عليه مفصلاً في الفصل الأول (ص٥٤ ـ ٥٥).

(٣) أتباع «بابك الخرمي» الذي ظهر بناحية «أذربيجان»، وكان يستحل المحرمات، ويظهر الإلحاد، وهم فرقة خارجة عن الإسلام، كان «بابك» معتصماً بجبل البدين بناحية أذربيجان ويعلن العصيان، وكان خلفاء بني العباس يرسلون إليه الجيوش إلى أن ألقي عليه القبض أيام «المعتصم» وصلب.
انظر: الفرق بين الفرق (٢٦٦ ـ ٢٦٨).

(٤) انظر: المعتمد في أصول الدين (١٦٧)، تحقيق: الدكتور وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت ـ لبنان.

(٥) وهم أصحاب «أبي عيسى الإصبهاني» رجل من اليهود كان «بإصبهان».
وهو يقولون بنبوة عيسى بن مريم عليه السلام ومحمد ﷺ بأن عيسى عليه السلام بعثه الله عز وجل إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وأن محمداً ﷺ نبي أرسله الله ـ تعالى ـ بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل عليه السلام وإلى سائر العرب.
انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/١٧٩).

(٦) الرافضة في اللغة من «الرفض» وهو ترك الشيء، تقول: رفضني فرفضته، والروافض: جنود تركوا قائدهم وانصرفوا، فكل طائفة منهم رافضة، والنسب إليهم رافضي.
انظر: تهذيب اللغة (١٢/١٥، ١٦، مادة: رفض).
وفي الاصطلاح: فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه ثم =

وبعده، وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة... إلى أن قال...:

وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد منه دون تأويل، ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً إجماعاً سمعاً»[1].

يقول: «الحافظ ابن كثير»: «فمن رحمة الله ـ تعالى ـ بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر ـ تعالى ـ في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده، فهو كذاب، أفاك دجال، ضال مضل»[2].

يقول «ابن نجيم»: «إذا لم يعرف أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء، فليس بمسلم؛ لأنه من الضروريات»[3].

= طلبوا منه البراءة من الشيخين فأبى وقال: «معاذ الله كانا وزيري جدي»، وقال أيضاً: «رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً» فتركوه ورفضوه فسميت الرافضة.

وقال الأشعري: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه باسمه، وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف، وأنها قرابة...».

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨، ٨٩)، المعتمد في أصول الدين (٢١١)، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (٦/ ٢٢)، تهذيب: عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت ـ لبنان. تاريخ الطبري (٧/ ١٨٠، ١٨١)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، طبعة (١٩٦٢م)، دار المعارف بمصر.

البداية والنهاية (٩/ ٣٢٩ ـ ٣٣١).

(١) انظر: الشفا (٢/ ٢٨٥، ٢٨٦)، الطبعة الأخيرة (١٤٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٢٥).

(٣) انظر: الأشباه والنظائر (٢٢٢)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، تقديم وتحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، سوريا.

رابعاً: عقيدتهم في المعراج:

عرفنا أن المقصود بالمعراج عند علماء الذكرية هو إظهار مكانة المهدي من ناحيتين:

الأولى: زعمهم أن المهدي كان نوراً نزل من السماء ثم صعد إليها، وهو الآن يجالس الله - تعالى - على عرشه.

الثانية: زعمهم بأن الله - تعالى - قد عاتب نبينا محمد ﷺ لقوله: «محمد خاتم النبيين ولا نبي بعده».

وقدموا على ذلك دليلين آية وحديثاً:

أما الآية فقوله - تعالى -: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾[1]. على أن المراد «بالأمر» هو نور المهدي الذي نزل من السماء إلى الأرض ثم صعد إليها، وهو الآن موجود على العرش معه - سبحانه وتعالى - فهذا مثال صارخ للتأويلات الباطنية لمعاني آيات القرآن الكريم، وهو ما يزعمه الذكريون أنه من اختصاصات المهدي، وبالتالي فالذكريون هم المخوّلون بهذه الصلاحية[2] ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[3].

يقول: «الحافظ ابن كثير» في تفسير هذه الآية: «أي: يتنزل أمره من أعلى السموات إلى أقصى تخوم الأرض السابعة كما قال - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢﴾[4]، وترفع الأعمال إلى ديوانها فوق سماء الدنيا، ومسافة ما بينهما وبين الأرض مسيرة خمسمائة سنة، وسمك السماء خمسمائة سنة».

---

(١) سورة السجدة: الآية ٥.
(٢) كما تقدم الحديث عنه مفصلاً في الرد على عقيدتهم في القرآن الكريم.
(٣) سورة الكهف: الآية ٥. (٤) سورة الطلاق: الآية ١٢.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

فقول الذكريين بأن المراد «بالأمر» «نور المهدي» تقوُّل على الله ـ تعالى ـ وافتراء على القرآن الكريم.

وأما الحديث فهو الذي تضمن اعتراض أم المؤمنين عائشة ﵂ على نبينا محمد ﷺ عند قوله: «أنا محمد خاتم النبيين ولا نبي بعدي» إلى آخر القصة التي تقدمت في بيان عقيدتهم في المعراج.

وهي قصة باطلة من أساسها، ومختلقة على ألسنة الدعاة الذكريين لإظهار مكانة مهديهم المزعوم ولم يروها أحد من أصحاب كتب السنة إلا أن يكون صاحب «معراج نامه»[2]. ومن علامات الوضع في الحديث أن تكون ألفاظ الحديث ركيكة بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي ﷺ كما أن من قرائنه فساد المعنى، وتناقض نص الكتاب، أو السنة الصحيحة، أو الإجماع[3].

والادعاء من أحد أنه يصعد إلى السماء، ويجالس الله ـ تعالى ـ على عرشه، ويكلمه؛ فهذه الأمور كلها وأمثالها تخالف صراحة الكتاب والسنة، وكفر بإجماع الأمة الإسلامية.

يقول القاضي عياض: «... فذلك كله كفر بإجماع المسلمين... وكذلك من ادعى مجالسة الله، والعروج إليه، ومكالمته، أو حلوله في أحد

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٦١، ٣٦٢).

(٢) «معراج نامه» أي: حديث المعراج أو كتاب المعراج، للملا نور الدين بن كمالان، وهو من الكتب المعتبرة عند هذه النحلة، والخاص بوقائع «معراج المهدي» والذي ما زال مخطوطاً في أيدي الدعاة الذكرية، والذين اطلعوا عليه ذكروا ملخص ما جاء في هذا الكتاب.

(٣) انظر: أصول الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب (٤٣٢ ـ ٤٣٥)، الطبعة الرابعة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

الأشخاص كقول بعض «المتصوفة»، و«الباطنية»، و«النصارى»، و«القرامطة»[1]»[2].

وقال في موضع آخر: «وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه، وإن لم يدع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء، ويدخل الجنة، ويأكل من ثمارها، ويعانق الحور العين، فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ»[3].

معجزة الإسراء والمعراج ثابتة لنبينا محمد ﷺ بالكتاب والسنة الصحيحة.

والمراد بالإسراء: هو ذهاب الله بنبيه محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بإيلياء ـ مدينة القدس ـ في جزأ من الليل ثم رجوعه من ليلته.

والمعراج: هو العروج به ﷺ من بيت المقدس إلى السموات السبع، وما فوق السبع، ثم رجوعه إلى بيت المقدس في جزء من الليل[4].

---

(١) القرمطة في اللغة: دقة الكتاب، وتداني الحروف والسطور، ومقاربة الخطو، يقال: قرمط الكاتب: إذا قارب بين كتابته، وقرمط البعير إذا قارب خطاه.
انظر: تهذيب اللغة (٤٠٨/٩، ٤٠٩ مادة: قرمط).
وفي الاصطلاح: القرامطة فرقة من الباطنية، وهم الذين ينتسبون إلى «حمدان بن الأشعث» ولقب بقرمط، لقرمطته في خطه، أو خطوه، وإليه تنسب القرامطة.
ذكر ابن الجوزي: أنهم قوم من الباطنية، اتبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع، وادعوا أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر، وأنها توهم الأغبياء صوراً، وتفهم الفطناء رموزاً وإشارات إلى حقائق خفية.
وقال ابن خلكان: «إن القرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له: قِرْمِط ـ بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم بعدها طاء مهملة ـ ولهم مذهب مذموم، وقد كان ظهورهم في سنة إحدى وثمانين ومائتين في أيام المعتضد بالله».
انظر: مقالات الإسلاميين (٩٨/١)، الفرق بين الفرق (٢٦٦، ٢٦٧)، المنتظم (١١٠/٥ ـ ١١٩)، الطبعة الأولى (١٣٥٧هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الهند. وفيات الأعيان (٣٣٥/٤).

(٢) انظر: الشفا (٢٨٣/٢).

(٣) انظر: نفس المصدر (٢٨٥/٢).

(٤) انظر: الإسراء والمعراج، لمحمد بن محمد أبي شهبة (٢٥)، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ)، مكتبة السنة، عابدين، القاهرة.

والإسراء ثابت بالقرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة.

أما القرآن فقوله ـ تعالى ـ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾[1].

أما السنة فلقد روى أحاديث الإسراء والمعراج كثير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ تلقاها عنهم الرواة العدول الضابطون، وخرجها أئمة الحديث في كتبهم كالأئمة: البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، والبيهقي وغيرهم، والإمام محمد بن إسحاق، وابن هشام في سيرتيهما[2].

خامساً: عقيدتهم في المهدي:

المهدوية هي محور الدعوة «الذكرية»، والمهدي هو نبيها الناسخ لشريعة أحمد العربي نبي المسلمين ـ كما يزعمون ـ ومحور العقيدة «الذكرية» يدور حول شخصيته، وهذه العقيدة ذات شقين:

الأول: ظهور المهدي.

الثاني: مكانة المهدي.

أما بالنسبة للشق الأول، فقد تقدمت رواية الذكريين عند الحديث عن عقيدتهم في ظهور المهدي بأنه نور من نور الله ـ سبحانه وتعالى ـ بدون أب ولا أم، ثم سار هذا النور في الملأ الأعلى، ويسوقون في ذلك حكايات وأساطير لا تستسيغها العقول، وتمج الآذان سماعها، وقد تقدم بعضها عند الحديث عن مكانة المهدي[3] وبعد ظهوره في الصورة الجسمانية كان سيره

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) انظر تفصيلات الإسراء والمعراج في كتاب «الإسراء والمعراج» لمحمد بن أبي شهبة، وكتاب «الإسراء والمعراج» من تفسير الحافظ ابن كثير، جمع وترتيب: إسماعيل الأنصاري، طبع بمطابع الحديثة بالرياض.

(٣) انظر: (ص١٤١ ـ ١٤٥).

في الآفاق حتى استقر في مدينة «تربت» في إقليم «بلوشستان» ومن هناك غاب عن الأنظار، وذلك بعد انتهاء مدة بقائه على الأرض، ولهم قول مشهور في ذلك: «نورے بود بعالم بالا رفت». (كان نوراً ذهب إلى العالم الأعلى).

ومن أجل هذا لم يذكر علماء الذكرية عن ولادة مهديهم شيئاً، ولا عن والديه، ولا نسبه، كما لم يتعرضوا لوفاته، وكفنه، ودفنه، ومن صلى عليه؟ وأين دفن؟ بل يكتفون بالقول: «أنه كان نوراً من الله - تعالى - ظهر في الصورة الإنسانية في يوم كذا، واختفى في يوم كذا، ليصعد إلى الملأ الأعلى، وليجالس الله - تعالى - على عرشه.

ويتناقل مسلمو «بلوشستان» كابراً عن كابرٍ أنه قبل أربعة قرون ونصف قرن تقريباً، خرج رجل من «أتك» «بالبنجاب» قاصداً حج بيت الله الحرام، وهناك سولت له نفسه ادعاء النبوة، وفي طريق عودته من الحج زار كُلًا من العراق، والشام، وفارس، وبدأ يبحث عن مكان مناسب لادعاء نبوته، وتنفيذ خطته حتى وصل إلى إقليم «بلوشستان» وحين زار المناطق المتخلفة عند مساكن قبيلة «كيج» وجد أن هذه المناطق هي المناسبة لإعلان نبوته، فأقام عند جبل عُرِفَ بـ«جبل مراد» عند مدينة «تربت» فبعد أن ذاع صيته، وعرف مكانه، وصار له أتباع ومعتقدون، كتب كتاباً ووضع على شجرة قديمة في غرب مدينة «تربت» وأعلن بين أتباعه أنه علم عن طريق الإلهام بأن كتاباً من السماء نزل عليه وهو الآن محفوظ في المكان الفلاني على الشجرة الفلانية، فذهب مع أتباعه إلى ذلك المكان، وادعى أنه نبي ومهدي آخر الزمان[١].

وهذا ما يروي مسلمو هذه المنطقة وهم العائشون مع أتباع هذه النحلة، والمحتكون بهم يبدو أقرب إلى الصحة إذا قارنّا مع ما يقوم به الأفاكون والدجالون مع جهال المسلمين في مناطق كثيرة من العالم.

---

(١) انظر: ذكري مذهب كا تفصيلي جائزه (٣، ٤).

وأما الشق الثاني فهو مكانة المهدي عند هذه النحلة، وأبرز مظاهر هذه المكانة تتلخص في الأمور الآتية:

الأول: نور محمد المهدي رسول الله وخاتم النبيين، وقد تقدم الحديث عنها[1].

الثاني: المهدي سبب لإيجاد الكون، ولم يقدموا على ذلك دليلاً إلا الأبيات الشعرية في وصف المهدي (ثناء مهدي) لكبار دعاة «الذكرية» وعلمائهم الذين يخلعون على مهديهم المزعوم كل صفات التبجيل والقداسة، وكثيراً ما يرددون حديث «لولاك لما خلقت الأفلاك» على أنه خطاب من الله - تعالى - لمهديهم، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيراً، مع أن الحديث نفسه موضوع[2].

الثالث: الله عاشق والمهدي معشوقه.

واستدلوا على ذلك بآيتين من القرآن الكريم.

الأولى: قوله - تعالى -: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾[3].

على أنه خطاب من الله - تعالى - للمهدي - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، هذه الآية جاءت في سياق قصة موسى عليه السلام وتذكيره بنعم الله الجليلة التي أنعم عليه، واصطفائه لحمل رسالته، يقول «الإمام ابن جرير الطبري» في تفسير هذه الآية: «أنعمتُ عليك يا موسى هذه النعم، ومننت عليك هذه المنن، اجتباءً مني لك، واختياراً لرسالتي، والبلاغ عني، والقيام بأمري ونهيي»[4].

فاستدلال الذكريين من الآية على عشق الله - تعالى - للمهدي استدلال خاطئ، وليس له سند من السياق.

---

(١) انظر: (ص٢٠٢ - ٢١٠).

(٢) كما ذكره الشيخ الألباني، ورد على الملا علي القاري لتصحيح معناه.
انظر التفاصيل: سلسلة الأحاديث الضعيفة (١/٢٩٩، ٣٠٠، برقم: ٢٨٢)، الطبعة الخامسة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان.

(٣) سورة طه: الآية ٤١.

(٤) انظر: جامع البيان (١٦/١٦٨).

والآية الثانية: قوله ـ تعالى ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[1].

على أن المراد بـ«ربي» معشوقي ـ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ـ وهذا نموذج صارح للتأويلات التعسفية لآيات القرآن الكريم، وليِّ عنقها حسب أهوائهم.

وقد روى الإمام الطبري بسنده عن قتادة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ يقول: إذاً لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه»[2].

وقال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول ـ تعالى ـ: قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي تكتب به كلمات ربي وحكمه وآياته الدالة عليه، لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾، أي: مثل البحر آخر، ثم آخر، وهلم جرًّا بحور تمده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾[3]»[4].

فهذه الآية سيقت لبيان كمال علم الله ـ تعالى ـ وحكمه، وليس المراد بـ«ربي» معشوقي هو «المهدي» كما يزعم العلماء الذكريون.

وقال ابن أبي العز في مراتب المحبة: «السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب ـ تعالى ـ ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلق بعضهم، واختُلِف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل: غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة»[5].

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.
(٢) انظر: جامع البيان (١٦/ ٣٩).
(٣) سورة لقمان: الآية ٢٧.
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٠٠).
(٥) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٦٦).

فلا يجوز وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالعشق، وإنما يوصف بالمحبة والخلّة، كما يليق بجلال الله ـ تعالى ـ وعظمته كسائر صفاته ـ تعالى ـ حسبما ورد به النص[١].

العبادات:

وقد تقدم موقف الذكريين من الشعائر التعبدية في الإسلام، وهنا أتناول هذا الموقف بالرد والتقويم في ضوء الكتاب والسنة، فأقول وبالله التوفيق.

أولاً: الصلاة:

الصلاة المعروفة لدى المسلمين منسوخة عند الذكريين بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٢].

وهذا بتر للآية الكريمة إذ تكملة الآية: ﴿...وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾، ودعاة «الذكرية» يعلمون ذلك جيداً إلا أنهم يتعمدون بترها للتمويه على عامة بني نحلتهم حتى يقدموا لهم دليلاً من القرآن الكريم ـ على حد زعمهم ـ على نسخ الصلاة، وأن الذكر يحل محلّها، بل الذكر أفضل من الصلاة بدليل قوله ـ تعالى ـ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣]. وهذا أنموذج آخر من التقول على الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والقول في القرآن بغير علم، ولم يقل أحد من أهل العلم سلفاً أو خلفاً بأن المراد من «الذكر» في الآية هو الذكر الخاص الذي تزاوله النحلة الذكرية.

وقد ذكر الإمام الطبري في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ثلاثة أقوال:

الأول: ولذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/١٦٧).

(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

الثاني: ولذكركم الله أفضل من كل شيء.

الثالث: لذكر الله العبد في الصلاة أكبر من الصلاة.

وساق الآثار لبيان هذه الأقوال، ورجح القول الأول[1].

وأما الذكر الخاص الذي عنيَ به الذكريون وتمسكوا به، فما أنزل الله به من سلطان ويصدق فيهم قول الله ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[2].

وهو افتراء على الله ـ تعالى ـ كذباً، ولا أحد أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً، ممن افترى على اللّه ـ تعالى ـ كذباً، كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾[4].

وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[5].

قال «الحافظ ابن رجب» في شرح هذا الحديث: «فمن تقرب إلى الله بعمل، لم يجعله الله أو رسوله قربة إلى الله، فعمله باطل مردود عليه، وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاءً وتصديةً؟ وهذا كمن تقرب إلى الله ـ تعالى ـ بسماع الملاهي، أو بالرقص، أو بكشف الرأس في غير

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٠/١٥٦ ـ ١٥٨).

(٢) سورة الشورى: الآية ٢١.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢١.

(٤) سورة النحل: الآيتان ١١٦، ١١٧.

(٥) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٥/٣٠١، برقم: ٢٦٩٧).
ومسلم في صحيحه في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/١٣٤٣، برقم: ١٧١٨)، وفي رواية له بلفظ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

الإحرام، وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله أو رسوله التقرب بها بالكلية»[1].

فالذكر الخاص الذي يزاوله الذكريون عمل باطل مردود عليهم، ولا ينهض لهم دليل على صحته.

ثانياً: الصوم:

يدعي الذكريون أنهم يصومون، ويسوقون في فرضيته قوله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾[2]، ولكنهم يتجاهلون تمام التجاهل عن ذكر آية شهر الصوم، وهي قوله - تعالى -: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[3].

وذلك لأنهم لا يصومون شهر رمضان. وقد توعد الله - سبحانه وتعالى - من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض بأن جزاءه الخزي في الدنيا والعذاب الأشد في الآخرة، حيث قال - جل من قائل -: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[4].

ويصومون بدلاً من شهر رمضان العشرة الأولى من شهر ذي الحجة

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٨)، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ١٨٣، ١٨٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٨٥.

وأيام البيض من كل شهر، ويوم الاثنين من كل أسبوع، ويسوقون في ذلك الكثير من الأدلة، منها ما هو صحيح، ومنها ما هو باطل مردود، والصحيح منها لا تثبت بها فرضية صيام تلك الأيام، بل هي وردت في صيام التطوع والنوافل وفضائل الأعمال، وتفصيل ذلك كما يلي:

١ ـ صيام العشرة الأولى من شهر ذي الحجة:

ويستدلون على ذلك من الكتاب بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ⑤﴾[(١)].

روى الإمام الطبري بسنده عن ابن عباس ﷺ قال: «إن الليالي العشر التي أقسم الله بها، هي ليالي العشر الأولى من ذي الحجة».

وروى عنه أيضاً: «قال: الوتر: يوم عرفة، والشفع: يوم الذبح».

وروى عن الضحاك أنه قال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③﴾ قال: أقسم الله بهن لما يعلم من فضلهن على سائر الأيام، وخير هذين اليومين لما يعلم من فضلهما على سائر هذه الليالي»[(٢)].

فلا شك أن هذه الآثار دلت على أن هذه الأيام فاضلة؛ تتضاعف فيها أجور الحسنات، ولكن لا يدل ذلك قطعاً على فرضية صيام تلك الأيام.

ويستدلون من السنة بقوله ﷺ: «ما من أيام أحبُّ إلى الله ـ تعالى ـ أن يتعبد له فيها. . . الحديث».

تقدم أن «الإمام الترمذي» حكم عليه بالغرابة وعلى فرض صحة الحديث فإنه يدل على فضيلة الصوم في العشر الأوائل من شهر ذي الحجة، ولا يدل على فرضيته.

وأما الفضائل العشر التي ذكروها في هذا الصيام فلا شك أن النوافل من العبادات لها فضائل، وأما التحديد بفضائل معينة يحتاج إلى مستند شرعي؛ لأنها من الأمور التوقيفية.

---

(١) سورة الفجر: الآيات ١ ـ ٥.

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/١٦٨ ـ ١٧٠).

٢ ـ صيام أيام البيض:

ويستدلون على ذلك من الكتاب بقوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾[1].

على أن زكريا عليه السلام دعا الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليهب له ولداً فأمره بصيام ثلاثة أيام، وكانت الأيام البيض، فصامها ووهبه الله النبي يحيى عليه السلام وفرض من بعده على الأمة.

وهذا مثال ما درج عليه علماء «الذكرية» من تحريف القرآن الكريم على أهوائهم الشخصية، فإن الآية لم تتعرض لذكر الصيام البتة، بل ذكرت منع زكريا عليه السلام عن الكلام لمدة ثلاثة أيام، وذلك نتيجة طلب الآية من الله ـ تعالى ـ مع مشافهة الملائكة له، وبشارته بـ«يحيى» عليه السلام فكان لا يطيق على الكلام، ولكن يومئ إيماءً[2].

ويستدلون من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم «يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام: فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»[3].

وهذا حديث صحيح ورد في بيان استحباب صيام أيام البيض، ولا تثبت منه فرضية صيام تلك الأيام ـ كما يزعمه الذكريون ـ، فهو حديث صحيح، ولكن الاستدلال به في هذا الموضع غير صحيح.

٣ ـ صوم يوم الاثنين:

ويستدلون على ذلك من الكتاب بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[4].

على أن السيدة مريم عليها السلام كانت تصوم ذلك اليوم؛ لأن عيسى عليه السلام ولد في ذلك اليوم، كما ورد ذلك على لسان «المهدي».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤١.

(٢) انظر: جامع البيان (٣/ ٢٥٨، ٢٥٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سورة مريم: الآية ٢٦.

وهذا نموذج آخر للافتئات على الحقائق. نعم! إن مريم أمرت بأن تمتنع عن الكلام في هذا اليوم، ولم تؤمر بأن تصوم عن الطعام بدليل سياق الآيات: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[1]، وفسر هذا الصوم بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[2].

كما روى الطبري عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ قال: صمتاً».

وروى ذلك أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما «قال: يعني بالصوم: الصمت».

واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر. فقال بعضهم: أمرها بذلك؛ لأنه لم يكن لها حجة ظاهرة عند الناس، وذلك أنها جاءت بالولد، وهي أيم[3].

ثم من أخبر الذكريين بأن هذا كان يوم الاثنين، إن ذلك لم يرد به نص صحيح في كتاب الله، ولا في سنة رسوله، بل ولا في أقوال الصحابة.

ويستدلون من السنة بحديث قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم الاثنين فقال: «فيه ولدتُ، وفيه أنزل عليّ»[4].

وهذا حديث صحيح، ورد هذا الحديث في بيان استحباب صوم يوم الاثنين، ولا يدل على فرضيته قطعاً، فهو حديث صحيح، والاستدلال به ـ على زعمهم ـ غير صحيح.

ثالثاً: الزكاة:

يمكن تلخيص آراء الذكريين في باب الزكاة في النقاط الرئيسية التالية:

---

(١)(٢)سورة مريم: الآية ٢٦.

(٣) انظر: جامع البيان (١٦/ ٧٤). (٤) تقدم تخريجه.

الأولى: مقدار الزكاة، وهو إعطاء العشر على الأموال.

الثانية: لا نصاب للزكاة، ولا يشترط حولان الحول.

الثالثة: تتحول الزكاة من العامة إلى الملائيين (رجال الدين).

ولكن القوم لم يقدموا على ذلك دليلاً من الكتاب والسنة بل هو تشريع من عند أنفسهم[1]، يقول ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[2].

وهناك أحاديث كثيرة في كتب السنة تفصل كل جزئية من جزئيات الزكاة من المقدار والنصاب، واشتراط حولان الحول، وممن تؤخذ الزكاة، وفيم تصرف، وإليك بعض هذه الأحاديث:

١ ـ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس فيما دون خمس ذود[3] صدقة من الإبل، وليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»[4].

٢ ـ عن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «فإذا كانت لك مائتا درهم، وحال عليها الحول، ففيها خمسة دراهم، وليس عليك شيء ـ يعني في

---

(١) يبدو تأثرهم فيه بالنصارى تأثراً واضحاً، فالنصارى يوجبون العشر في الأموال، ولا يشترطون النصاب أو حولان الحول، ويسلمون ذلك لقساوسهم غالباً، وهذا ما يفعله الذكريون.

(٢) سورة القصص: الآية ٥٠.

(٣) قال ابن الأثير: «الذود من الإبل ما بين الثنتين إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر، واللفظة مؤنثة، ولا واحد لها من لفظها كالنعم، وقال أبو عبيد: الذود من الإناث دون الذكور، والحديث عام فيهما؛ لأن من ملك خمسة من الإبل وجبت عليه الزكاة ذكوراً وإناثاً».
انظر: النهاية (٢/ ١٧١، باب الذال مع الواو).

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب زكاة الورق (٣/ ٣١٠، برقم ١٤٤٧)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه في كتاب الزكاة (٢/ ٦٧٣، برقم: ٩٧٩).

الذهب ـ حتى يكون لك عشرون ديناراً، فإذا كان لك عشرون ديناراً، وحال عليها الحول، ففيها نصف دينار، فما زاد فبحساب ذلك ـ قال: فلا أدري أعليٌّ يقول: «فبحساب ذلك» أو رفعه إلى النبي ﷺ؟ وليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول»[1].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعو لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[2].

رابعاً: الحج:

الحج إلى بيت الله الحرام هو الركن الخامس في الإسلام، ولا يوجد في كتب «الذكرية» أي ذكر للحج إلي بيت الله الحرام بمكة المكرمة؛ لأنهم لا يؤمنون بذلك الحج، ويعتبرونه منسوخاً، ولا يقدمون على هذا النسخ أمارة ولا دليلاً، والحج عندهم ـ كما تقدم ـ هو القصد إلى «جبل مراد» في «تربت».

والأدلة من الكتاب والسنة متضافرة على ثبوت فرضية الحج لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[3].

---

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب الزكاة، باب زكاة السائمة (٢/ ٢٣٠، برقم: ١٥٧٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء، وترد في الفقراء حيث كانوا (٣/ ٣٥٧، برقم ١٤٩٦).

(٣) سورة آل عمران: الآيتان ٩٦، ٩٧.

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أيها الناس! قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكُلَّ عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلتُ: نعم لوجبت، ولما استطعتم». ثم قال: ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[1].

ولم يدّع نسخ ذلك أحد من علماء الأمة.

وأما الأماكن المقدسة ـ على حد زعمهم ـ لأداء مناسك الحج فهي أسماء وضعت على أماكن تقع حول «جبل مراد» لتضاهي الأماكن المقدسة في «مكة المكرمة» فهي سرقة أسماء فقط لا غير ـ إن صح التعبير ـ، والذي اقترف هذا الإثم المبين هو «ملا مراد» خليفة المهدي، وذلك اتباعاً للظن، وهوى النفس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾[2].

وأما قولهم: أن «جبل مراد» هو «المقام المحمود» الذي ورد في الآية الكريمة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3]، وأن هذا الجبل هو موضع الشفاعة الكبرى، فهذا تحريف سافر لمعنى الآية الكريمة، ولم يقل أحد بأن المراد بالمقام المحمود هو «جبل مراد» في إقليم «بلوشستان».

وقد أجمعت الأمة على أن الخطاب فيها لنبينا محمد بن عبد الله العربي ﷺ، والقول الراجح عند علماء الأمة أن المراد بالمقام المحمود هو «الشفاعة».

فقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري قولين في تفسير المقام المحمود:

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر. (٢/ ٩٧٥، برقم: ١٣٣٧).

(٢) سورة النجم: الآية ٢٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

الأول: هو الشفاعة. والثاني: هو قعود النبي ﷺ على العرش، وقال: «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح في الخبر عن رسول الله ﷺ». وساق الأحاديث على أن المراد بالمقام المحمود «الشفاعة»[1].

وذكر القرطبي في تفسيره أربعة أقوال: اثنان منهما ما ذكره الطبري، وزاد عليه قولين آخرين وهما:

١ ـ إعطاءه ﷺ لواء الحمد يوم القيامة.

٢ ـ إخراجه من النار بشفاعته ﷺ من يخرج.

ورجح أن أصح الأقوال في المقام هو «الشفاعة» للناس يوم القيامة[2].

وقال ابن الجوزي: «مقاماً محموداً» هو الذي يحمده لأجله جميع أهل الموقف، وفيه قولان:

أحدهما: أنه الشفاعة للناس يوم القيامة، قاله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وابن عمر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، والحسن، وهي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: يجلسه على العرش يوم القيامة، روى أبو وائل عن عبد الله أنه قرأ هذه الآية، وقال: يقعده على العرش، وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس، وليث ومجاهد[3].

فذكر أن القول الأول هو الذي ذهب إليه الأكثرون.

وذكر الحافظ ابن حجر بالإضافة إلى هذه الأقوال أقوالاً أخرى وهي:

١ ـ أنه ثناؤه ﷺ على الرب ـ تبارك وتعالى ـ.

---

(١) انظر: جامع البيان (١٥/ ١٤٤ ـ ١٤٨).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٣٠٩ ـ ٣١٢).

(٣) انظر: زاد المسير (٥/ ٥٤)، تحقيق: محمد عبد الرحمٰن عبد الله، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ أن النبي ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل، فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجنة.

٣ ـ أنه ﷺ يشفع بعد جبريل، وإبراهيم، وموسى، ﷺ فلا يشفع أحد أكثر مما يشفع فيه.

وقال: «ويمكن رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة، فإن إعطاءه لواء الحمد بيده، وثنائه على ربه، وكلامه بين يديه، وجلوسه على كرسيه، وقيامه أقرب من جبريل كل ذلك صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق، وأما شفاعته في إخراج المذنبين، فمن توابع ذلك»[١].

فتلخص أن المراد بالمقام المحمود «الشفاعة» وليس «جبل مراد» في إقليم «بلوشستان» كما يزعم علماء «الذكرية».

---

(١) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/٤٢٧).




الفصل الثالث

الفرقة المهدوية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: المهدوية في الميزان.




المبحث الأول

نشأتها وتاريخها

نشأت الفرقة «المهدوية» في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري، ثم انتشرت وعمت في أرجاء شبه القارة، وتُعَدُّ من أنشط الحركات المنتسبة للإسلام وأقواها، وأكثرها أثراً في حياة المسلمين في «الهند».

وتنسب هذه الفرقة إلى المدعو «السيد محمد بن عبد الله الجونبوري» الذي ادعى المهدية[1].

ميلاده:

ولد «السيد محمد الجونبوري» يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الأولى لسنة سبع وأربعين وثمانمائة (٨٤٧) من الهجرة النبوية الشريفة في مدينة «جونبور»[2].

---

(١) انظر: حيات پاك (السيرة الطاهرة) للسيد محمود يد اللهي (ص٧٧)، حيدر آباد ـ الهند.

(٢) اسم مدينة تقع حالياً في ولاية «أتر برديش» (الولاية الشمالية) الهندية، اسمها الأصلي «جونا پور»، و«جونا» كلمة تركية، وهي اسم السلطان «محمد تغلق». أسس هذه المدينة «السلطان فيروز شاه تغلق» تخليداً لذكرى «محمد تغلق» المذكور، وذلك عام (٧٧٢هـ) وسماها «جوناپور» وتنطق «جونپور» تسهيلاً.
انظر: تذكرة العلامة الشيخ محمد طاهر الفتني للبروفيسور أبو ظفر الندوي (ص٦٤)، الطبعة الأولى (١٩٥٤م) ندوة المصنفين، أردوبازار، دهلي ـ الهند.
يزعم المهدويون أن البعثة المهدوية جاءت في هذه المدينة وفق الحديث الذي جاء =

طلب العلم:

يقولون إنه لما بلغ عمره أربع سنوات، وأربعة شهور، وأربعة أيام، بدأ في حفظ القرآن الكريم، واستظهره وهو في السابعة من عمره؛ ثم أقبل على طلب العلم الشرعي على يدي «الشيخ دانيال»[1] وغيره، وتمكن من الحصول على العلوم الدينية المعروفة المروجة في ذلك الزمان وهو في الثانية عشرة من عمره[2].

تلقيبه بأسد العلماء:

كان «محمد الجونبوري» يتمتع بالذكاء الخارق، والحافظة القوية، وذا مهارة عالية في التحقيق، والتوفيق، والتدريس، والإفادة، وكان خطيباً مصقعاً، ومناظراً لا يجارى. كما كان شجاعاً جريئاً منذ ريعان شبابه، قلقاً على أوضاع عصره، وظروفه، صادعاً بالحق، مشدداً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه الخصال لقب بـ أسد العلماء في عصره[3].

= فيه: «يخرج المهدي من قرية يقال لها «كريمة»، ومدينة «جونبور» كانت تسمى سابقاً «كريمة».

انظر: حيات پاك(٧٦).

وهذا الزعم ليس بصحيح، ولم أجد حديثاً بهذا المعنى، وذكر العلامة ابن حجر الهيتمي: أن المهدي يخرج من قرية يقال لها: «كرجه» أي: في بعض خرجاته لبعض الحروب، حتى لا ينافي ما ثبت أن أول خروجه يكون من «المدينة»؛ لأنه من أهلها، ثم يبايع «بمكة»، ثم يذهب إلى «الشام» و«خراسان» وغيرهما، ثم يكون مستقره ببيت المقدس.

انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (ص٣٦)، دراسة وتحقيق: مصطفى عاشور، نشرته: مكتبة سيد أحمد شهيد، أردو بازار، لاهور، باكستان.

(١) هو دانيال بن الحسن بن حسام الدين البلخي (٠٠٠ ـ ٩٩٢هـ).
قدم من «البلخ» وتجول في بلاد «الهند» واستقر في «جونبور» وكان يدرس فيها ويفيد.
أخذ عنه «السيد محمد الجونبوري المتمهدي».
انظر: نزهة الخواطر (٤/١٠٦، ١٠٧).

(٢) انظر: حيات پاك (٧٨ ـ ٨٣).

(٣) انظر: الإمام السرهندي (٤٦).
ـ حيات پاك (٨١، ٨٣).

انخراطه في سلك التصوف:

وقد كان القرن العاشر الهجري في هذه البلاد يزخر بمشائخ الصوفية، وطرقها وسلاسلها، وأكثر العلماء كانوا في ذلك الوقت من مشائخها، فأخذ «السيد محمد الجونبوري» البيعة على يد أستاذه «دانيال» على الطريقة الچشتية»[1] وكان يشغل معظم أوقاته بالأذكار والأوراد الصوفية، ويقضي كثيراً من أوقاته في الغابات والوديان في الرياضة النفسية الشاقة، ويعيش حياة التقشف والزهد، ويؤثر الفقر والفاقة؛ وفي هذه الأيام ذاعت شهرته، وعلا صيته، وأصبح مرجعاً للخاص والعام.

ويعتبر المهدويون هذه الفترة من حياة «السيد الجونبوري» بمثابة الإعداد المعنوي والنفسي من الله ـ تعالى ـ للإقدام على أداء المهمة المهدية، حيث قابله «خضر» عليه السلام وأخذه إلى أحد المساجد المهجورة، وسلمه الأمانة التي أخذها من الرسول ﷺ لإيصالها إلى المهدي في آخر الزمان، وحياه بالمرتبة المهدية(؟)، ويزعم المهديون أن «السيد الجونبوري» خُصَّ في هذه الأيام «بالولاية» واشتهر بين الناس بـ«سيد الأولياء»[2].

التحول الخطير في حياة السيد الجونبوري:

في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجريين كان الضعف قد

---

(١) إحدى الطرق الصوفية المنسوبة إلى «الشيخ معين الدين حسن السنجري» (٠٠٠ ـ ٦٢٧هـ) و«جشتية» نسبة إلى قرية «جشت»، وهي قرية شيخ «معين الدين» المذكور.
ومدار هذه الطريقة على الذكر الجلي بحفظ الأنفاس، وربط القلب مع الشيخ على وصف المحبة والتعظيم، والدخول في الأربعينيات مع دوام الصيام والقيام، إلى غير ذلك.
انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (١٨٠).

(٢) انظر: أئمة تلبيس (أئمة تلبيس)، لأبي القاسم دلاوري (٢/ ٢٦)، . طبعة (١٩٨٧م)، مكتبة تعمير إنسانيت، أردو بازار، لاهور ـ باكستان.
ـ تاريخ شيراز هند جونبور، للسيد إقبال أحمد (٦٨٣، ٦٨٤)، إداره شيراز هند پبلشنگ هاؤس، جونبور ـ الهند.
ـ حيات پاك (٨٤، ٨٥).

بدأ يَدُبُّ في أوصال الحكومة المركزية في «دهلي» فأخذت أقاليمها تستقل بعيداً عن الحكومة المركزية، واتخذت لنفسها رئاسات مستقلة أو تابعة لرئاسة أخرى أقوى منها، وكانت «جونبور» في أيام «السيد محمد الجونبوري» يحكمها «السلطان حسين الشرقي»[1] الذي كان يدفع الخراج إلى ملك هندوسي يدعى «رائ دلپت» وكان «السيد محمد الجونبوري» يُفتي بعدم دفع الخراج إلى الهندوس، ويحث على الجهاد، ويبشره بالنصر والتمكين. فأوقف السلطان دفع الخراج إلى الملك الهندوسي، فهاج الأخير وهجم على المسلمين في «جونبور»، وواجه «السلطان حسين» بقواته، ولكن الفارق كان كبيراً في العدد والعتاد بين الفريقين، مما جعل قوات السلطان تتراجع، وبدأت آثار الهزيمة تلوح في الأفق، ولكن «السيد محمد الجونبوري» الذي اشترك في المعركة بألف وخمسمائة رجل من أتباعه صمدوا جميعاً، وتقدم «السيد الجونبوري» بحصانه إلى الملك «رائ دلپت»، ووجه سهماً على رأس فيله، فوقع الفيل على الأرض، وسقط الملك من ظهره، فضرب السيد بسيفه على رأس الملك ضربة قوية حتى وصل السيف إلى صدره، فخر صريعاً، ونزل قلبه إلى الأرض، وهربت قواته، فتحولت الهزيمة إلى فتح مبين لقوات المسلمين، وسيطر «السلطان حسين» على أراضي الملك «رائ دلپت» وضمها إلى مملكته، وكان الجميع في نشوة النصر، ولكن «السيد محمد الجونبوري» طرأ عليه شأن آخر، إذ أمعن النظر في قلب الملك الصريع، فلاحظ فيه صورة منقوشة للصنم الذي كان يعبده في حياته، فقال: «إذا كان هكذا أثر المعبود الباطل على قلب الإنسان، فماذا عسى أن يكون أثر المعبود الحق»؟ فأغمي عليه، وطرأت عليه حالة، يسميها المهدويون «حالة التجليات الإلهية ومشاهدة الأنوار الربانية»، واستغرقت هذه الحالة اثنى

---

(١) هو: السلطان حسين بن محمود بن إبراهيم الجونبوري، المعروف بحسين الشرقي (...).

من الملوك المشهورين في شرق «الهند»، كان له صولات وجولات في الحروب مع الملوك المعاصرين، عرف فيها بالدهاء والشجاعة.

انظر: نزهة الخواطر (٣/٦٣، ٦٤).

عشر عاماً، في السنوات السبع الأولى كان في السكر المحض لا يفيق إلا للصلوات الخمس، ولم يشرب في هذه المدة شربة ماء فضلاً عن الأكل، وفي السنوات الخمس الأخيرة كان بين السكر والصحو، ويتناول الطعام والشراب أحياناً، وفي هذا الاستغراق في الأنوار الربانية، والتجليات الإلهية جاءه النداء الرباني: «أيها السيد محمد أعطيناك ختم الولاية المحمدية، وجعلناك تقيم الصلوات، هذا من فضلي وإحساني عليك»(؟) وبهذا حظي بمنصب «خاتم الأولياء»[1][2].

رحلاته:

ولما بلغ عمره أربعين سنة جاء النداء الثاني من الله ـ تعالى ـ قائلاً: «أيها السيد محمد هاجر من أجلي، وتوجه إلى حج بيت الله الحرام، هناك تظهر دعوتك» ـ كما يزعم المهدويون ـ ومن هنا تبدأ رحلاته التي يسميها المهدويون بـ الهجرة.

فغادر «السيد محمد» مدينة «جونبور» مودعاً دياره، وعشيرته، ومرافقاً أهله، وبعض خواص أتباعه، واستغرقت هذه الجولات والرحلات ثلاثة وعشرين عاماً، وهي مدة دعوة مهديته.

ويزعم المهدويون أن السنوات الثمانية عشرة الأولى كانت الدعوة فيها غير مؤكدة. وفي السنوات الخمس الأخيرة كانت الدعوة فيها مؤكدة وكاملة.

---

(١) انظر: رود كوثر (نهر كوثر) للدكتور شيخ محمد إكرام (٢٤ ـ ٢٦)، طبعة (١٩٩٦م)، إدارة ثقافت إسلامية، لاهور ـ پاكستان.
ـ أئمة تلبيس (٢/ ٢٧ ـ ٣٢).
ـ حيات پاك (٨٨ ـ ٩٧).

(٢) يبدو واضحاً ما في هذه القصة من تلفيقات المهدويين، قد يكون اشتراك «السيد محمد الجونبوري» في المعركة صحيحاً، ولكن الأباطيل التي يضيفها المهدويون لا تخفى على أحد.

والمحطة الأولى لهذه الرحلة كانت منطقة «دانا پور»[1] والمحطة الأخيرة التي لقي فيها «السيد محمد الجونبوري» حتفه هي منطقة «فراه»[2]، وقد قدر دعاة المهدوية مسافة هذه الرحلات بعشرة آلاف وخمسمائة وأربعين (١٠٥٤٠) ميلاً بما في ذلك المسافة البحرية من «الهند» إلى «الحجاز» عن طريق «عدن».

وهذه الرحلة الطويلة التي امتدت ثلاثة وعشرين عاماً شملت معظم أرجاء بلاد «الهند» القديمة خاصة الأجزاء الجنوبية منها والغربية بما في ذلك منطقتي «قندهار» الأفغانية و«خراسان» الإيرانية، وفي كل منطقة أو مدينة يحط فيها «الجونبوري» رحله يقوم في الناس خطيباً، ويتلو عليهم القرآن الكريم، ويؤثر فيهم بما أوتي من ملكات خطابية عجيبة، يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في هذا الصدد: «وكان ـ لكثرة مجاهداته، ورياضاته، وقوته الروحية، واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ يملك تأثيراً قوياً، فكان يسحر الناس بشخصيته ومعاشرته، ويأخذ بألباب الناس بحديثه، وخطابه، حتى كان من يحضره من العامة، والملوك، والأمراء، ومن يجلسون عنده، كأن على رؤوسهم الطير، ويستمعون إليه في دهشة، وتأثر وانبهار، ويهون عليهم رفض المناصب الكبيرة، والإعراض عن الجاه والسلطان، والزهد في الدنيا، وهجر الأوطان، ومرافقته في السفر والحضر، والتسليم له، والانقياد لأمره»[3].

كما أنه كان يلقى في كل بلد معارضة شديدة من العلماء والفقهاء، والقضاة، وتعقد حلقات المناظرة بينه وبين علماء البلد، وصدر في كثير من البلاد حكم النفي والطرد والإعدام، ما يطول بذكره المقام، واستقر في نهاية المطاف في منطقة «فراه»[4].

---

(١) وهي تبعد (١٧٠) ميلاً إلى الشرق من منطقة «جونبور».
انظر: حيات پاك (٩٨).
(٢) تقع حالياً في جنوب أفغانستان، وكانت سابقاً تابعة لإيران.
(٣) الإمام السرهندي (٤٦).
(٤) انظر تفاصيل هذه الرحلات في: حيات پاك (٩٨ ـ ٢١٤).

=

مراحل الدعوة المهدية:

يكاد الباحثون يجمعون على أن «السيد محمد الجونبوري» قد ادعى المهدية لأول مرة في غابات «دانا پور» وهي المحطة الأولى لرحلاته، وفي أثناء سيره في الغابات جاء الإلهام «أنت المهدي» فادعى أنه المهدي الموعود، ويزعم بعض المهدويين أن «السيد محمد» ادعى المهدية لأول مرة في «مكة المكرمة»، وأما في «دانا پور» فكانت رؤيا رأتها زوجته بأنها سمعت نداءً يقول: «زوجك المهدي الموعود، وخاتم الولاية المحمدية، وصاحب الزمان، وخليفة الله»، فذكرت هذه الرؤيا لزوجها «السيد محمد» فصدقها، وقال: «تنزل علي الأوامر بأني المهدي الموعود، ولكن لم يأت الوقت لإظهارها، وفي الوقت المناسب سيظهر الأمر».

وأضاف قائلاً: «إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما تجلى علي بذاته لأول مرة جاءت البشرى من عنده: «أيها السيد محمد أعطيتك علم كتابي، ومرادي، وجعلتك ناصراً للدين المحمدي». وبعد هذا الحوار آمنت زوجته بأنه المهدي، كما آمن ولده «السيد محمود» وكبار مرافقيه[(١)].

ادعاء المهدية للمرة الثانية:

ثم رحل «السيد محمد الجونبوري» وواصل السير في المناطق الغربية «للهند» حتى وصل إلى منطقة «بيجا پور» وبعد الإقامة هناك لمدة أسبوع وصل إلى ميناء «دابهول»، ومن هناك ركب السفينة مع رفقائه متوجهين إلى «الحجاز» عن طريق «عدن» لأداء مناسك الحج حتى وصل إلى «جدة». ويذكر المهدويون كرامات وخوارق كثيرة للمهدي في هذه الرحلة البحرية.

= ـ تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (٥٠ ـ ٦٠).
ـ تاريخ سند هـ، غلام رسول مهر (١٣٢ ـ ١٣٨)، سندهي أدبي بورد،بندر ورد، كراتشي، باكستان.

(١) انظر: تذكرة العلامة محمد طاهر الفتني (٥٧).
ـ نزهة الخواطر (٤/ ٣٢٢).
ـ حيات پاك (١٠١، ١٠٢).

وبعد أداء مناسك الحج وقف «السيد محمد الجونبوري» بين الركن والمقام، وادعى المهدية بأمر من الله تعالى، وأعلن بأعلى صوته «من اتبعني فهو مؤمن» فآمن به رفقاؤه فوراً، ويزعم المهدويون أن ممن آمن به أعرابي يسمى «خضر» كما آمن إمام المصلى الشافعي، وكان ذلك في شهر ذي الحجة عام واحد وتسعمائة (٩٠١) من الهجرة النبوية الشريفة، وكان «الجونبوري» في ذلك الوقت في العام الخامس والأربعين من عمره[1][2].

ادعاء المهدية للمرة الثانية:

بعد ادعاء المهدية، أقام «الجونبوري» عدة أيام في «مكة المكرمة»، ثم عزم على السفر إلى «المدينة المنورة»، ولكنه فوجئ بالأمر من عند النبي ﷺ للتوجه إلى «الهند»(؟)[3] لتأكيد الدعوة المهدية، فكَرَّ عائداً إليها، ووصل إلى «ديوبند»[4]، ومن هناك رحل إلى «كهنبايت»[5] حتى وصل إلى مدينة

---

(١) انظر: حيات پاك (١٢٥ ـ ١٢٧).

(٢) وقد استغرب البروفيسور أبو ظفر الندوي هذا الحدث الذي وقع في مستهل القرن العاشر الهجري في رحاب بيت الله الحرام، وقد توافد الحجاج من كل فج عميق، وعلماء الحرمين الشريفين متواجدون في ذلك الوقت، فلا ينقل عن أحد الرد ولا المناقشة حول هذا الادعاء فهذا مما لا يعقل.
انظر: تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (ص٥٨).
يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن هذا الحدث من تلفيق المهدويين حتى تنطبق على مهديهم ـ المزعوم ـ الأحاديث التي جاءت في بيعة «الإمام المهدي» بين الركن والمقام، وأما قدوم «السيد محمد الجونبوري» للحج وادعاءه المهدية في «الهند» فهذا لم ينكره أحد.
ويحتمل أن تكون الحادثة صحيحة وأن الذين كانوا حول «الجونبوري» ـ وهو بين الركن والمقام ـ أتباعه وأقاربه، وهم كثيرون فلما رفع صوته كانوا أول من سمعه، ولم يلتفت إليه الآخرون؛ لأنهم مشغولون بالدعاء والطواف، فلم ينتبه إليه أحد، لا من الحجيج، ولا من العلماء.
بتوجيه من الدكتور المشرف ـ حفظه الله تعالى ـ.

(٣) ولا يخفى ما في هذا الكلام من خرافة، وهو ما دأب عليه «المهدويون» لإضفاء المجد والكرامة على مهديهم المزعوم.

(٤) مدينة تقع حالياً في ولاية «أتر پرديش» الهندية.

(٥) اسم منطقة في إقليم «گجرات» الهندي.

«أحمد آباد»[1]، ومكث هناك سنة ونصف سنة، فكان يخاطب الناس في جامع «أحمد آباد» ويقرأ عليهم القرآن، وهناك ادعى المهدية للمرة الثالثة على رؤوس الأشهاد، فبايع على يده خلق كثير من العلماء، والوجهاء، والعامة وغيرهم. كما لقي معارضة من العلماء، وصدرت الفتاوى بقتله لكن حاكم «أحمد آباد» اكتفى بالنفي فغادر «أحمد آباد» متوجهاً إلى «الفتن»[2]،[3]

الدعوة الرابعة والأخيرة:

وقد مكث «الجونبوري» في «الفتن» سنة وشهرين، ثم تابع السير، ووصل إلى «برلي»[4] وبعد أن أقام فيها خمسة عشر يوماً، وقف يوماً بعد صلاة الظهر تحت شجرة كبيرة، واجتمع إليه جم غفير من الناس، فألقى عليهم خطبة جذابة ادعى فيها المهدية، وأكدها من جديد ويسميها المهدويون «الدعوة المؤكدة» فيما يلي ترجمة بعض الفقرات لهذه الخطبة:

«منذ ثمانية عشر عاماً، ترد إليَّ الأوامر من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأني المهدي الموعود، ولكني لم أكن أظهر هذا الأمر؛ لأن الأمر لم يكن مؤكداً، والآن لما وصلت من مدينة «نهرواله»[5] إلى موضع «برلي» جاء التهديد من الله ـ تعالى ـ لإظهار الأمر، فأعلِنُ الدعوة المهدية، وأقول: أنا المهدي الموعود، وخليفة الله، وتابعُ محمد ﷺ فمن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله.

أيها الناس آمنوا بي، تنجوا، اسمعوا وأطيعوا تفلحوا. وإذا أبيتم سيأخذكم الله أخذاً شديداً، ولا ترحلوا من الدنيا على هذه الحال فتهلكوا، كلام الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه ﷺ يشهدان لصحة دعوتي، وهذا الأمر ما جاء في الرؤيا، ولا عن طريق الكشف، والإلهام، بل جاءني عن ذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ مباشرة بدون واسطة(!؟).

---

(١) العاصمة الإقليمية «الگجرات». (٢) اسم منطقة في إقليم «گجرات».

(٣) انظر: حيات پاك (١٢٧، ١٣٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨).

(٤) اسم موضع على بعد خمسة أميال من «الفتن» (پتن).

(٥) الاسم القديم لمدينة «الفتن».

وفي هذا الوقت أنا صحيح؛ ليس بي مرض، وعاقل؛ ليس بي جنون، ومنتبه؛ ليس بي غفلة، ولا إغماء، ومتأهل؛ لست بأعزب، يأتيني رزقي من عند الله ـ تعالى ـ ولا أحتاج إلى أحد ولا أطلب الملك، والإنقاذ من حب الدنيا من واجبي، فرض الله ـ تعالى ـ عليكم إطاعتي، أبلغ دعوتي إلى الإنس والجن جميعاً».

وبعد الانتهاء من إلقاء هذه الخطبة أعلن الحضور جميعاً من الأصحاب والمهاجرين[1](؟) طاعتهم وولائهم للمتمهدي، ورفعوا أصواتهم قائلين: «آمنا وصدقنا» وكان ذلك عام خمسة وتسعمائة (٩٠٥هـ)، وكان «السيد الجونبوري» في الثامنة والخمسين من عمره[2].

وكان «السيد محمد الجونبوري» وجه بعد ذلك خطابات إلى السلاطين والعلماء في «الهند»، ولما ذاع أمره، واشتهرت دعوته، جاءه وفد من علماء «الفتن» وأجروا مناظرة طويلة حول ادعاءاته[3].

وفاته:

وبعد العمل الدؤوب، والجهد المستمر، الذي لا يعرف الكلل، ولا الملل لإيصال الدعوة المهدية إلى أرجاء البلاد، والذي استمر ثلاثة وعشرين عاماً، لقي «السيد محمد الجونبوري» حتفه في منطقة «فراه» الأفغانية.

ويزعم المهدويون أن «الجونبوري» لما أحس بدنو أجله جمع أصحابه ومتبعيه، وقرأ عليهم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4].

---

(١) هذا من منكرات المهدويين حيث يستخدمون هذه التسميات للمرافقين لمهديّهم المزعوم ولا يجوز إطلاقها على غير صحابة رسول الله ﷺ.

(٢) انظر تفاصيل هذا الموضوع في: حيات پاك (١٠٠ ـ ١٦١).
ـ نزهة الخواطر (٤/ ٣٢٢، ٣٢٣).
ـ تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (٥٧، ٥٨).

(٣) أوضح فيها المتمهدي آراءه حول الأسئلة التي وجهت إليه، وسيأتي بعض الفقرات من هذه المناظرة في المبحث الثاني عند استعراض عقائده.

(٤) سورة المائدة: الآية ٣.

وقال لهم: «لما اكتمل الدين من حيث الشريعة نزلت هذه الآية الكريمة على النبي محمد ﷺ فجمع أصحابه، وقرأ عليهم هذه الآية، ولما اكتمل من حيث الطريقة جاء النداء الرباني «أيها السيد محمد اجمع أصحابك واقرأ عليهم هذه الآية أيضاً».

وبعد ذلك وجه إلى الأصحاب والمهاجرين الوصية الأخيرة قائلاً: «كل من وجد من العدم فالفناء مصيره، لم يبق خاتم النبيين في هذه الدنيا، وأنا لا أبقى أيضاً، والذي بلغني من عند الله ـ تعالى ـ بلَّغتكم إياه، وما قلتُ لكم قلتُ بأمره، وما علينا إلا البلاغ. والمسؤولية تنصب الآن عليكم، فقوموا بها، وإن لم تقوموا بهذا الواجب تندموا ـ فلما سمع الحاضرون هذا الكلام بدأوا يبكون ـ فقال لهم: «ليس هذا وقت البكاء، البكاء عند الغفلة عن الواجب».

إذا نسيتم ذكر الله ـ تعالى ـ وطلب رؤيته والذي هو أصل أصول دعوتي، وآثرتم متاع الحياة الدنيا، وشهوات النفس، فاعلموا أن العبد ـ يقصد المتمهدي نفسه ـ ليس فيكم، ولكن [أبشركم] سيبقى المهدي والمهدويون إلى يوم القيامة إن شاء الله ـ تعالى ـ». ثم قرأ هذه الآية: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾[1]، [2].

وبعد أداء هذه الوصية الأخيرة، ازداد مرضه، وغلبته السخونة، فارتدى برداء، ونام مستلقياً على ظهره، فتوفاه الله ـ تعالى ـ على هذه الحالة.

وذلك في ضحى يوم الاثنين التاسع عشر من شهر ذي قعدة لعام تسعمائة وعشرة (٩١٠) من الهجرة النبوية الشريفة، وكان عمره إذ ذاك ثلاثة وستين (٦٣) عاماً، وبعد غسله وكفنه، صلى عليه ابنه الأكبر، وخليفته من بعده «السيد محمود بن السيد محمد الجونبوري» ودفن في أحد البساتين في منطقة «فراه» الأفغانية[3].

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.
(٢) انظر: حيات پاك (٢١٠ ـ ٢١٣).
(٣) نفس المصدر (٢١٤، ٢١٥).

الدعوة بعد وفاة المهدي:

بعد وفاة المتمهدي «السيد محمد الجونبوري» في «فراه» أخذ دعاته وأتباعه ينشرون مبادئ هذه الفرقة في أرجاء «الهند»، وتمكن كثير منهم من استمالة الحكام والمحكومين إلى مبادئ هذه الفرقة واعتناقها على أنها الحركة المهدوية الإصلاحية التي تظهر في آخر الزمان، وثورة على واقع المسلمين الأليم، من جهل وتخلف، واتباع الشهوات، وإيثار الدنيا على الدين، والعادات والتقاليد التي ورثوها عن المجتمع الهندوسي، وقد وجدت هذه الدعوة آذاناً صاغية في مناطق كثيرة من «الهند»، خاصة المناطق الغربية والجنوبية، ففي إقليم «كجرات» أقبل كثير من العوام والجهلة والجنود وبعض العلماء على هذه الفرقة، وتكونت منهم قوة كبيرة، ووصل الأمر إلى أنه من ينكر الدعوة «المهدوية» يكفر، وإذا كان المنكر من أصحاب العلم والمعرفة، ومن وجهاء البلد يُقْتل، وعاثوا في الأرض فساداً حتى اضطر السلطان «محمد بن لطيف» إلى طردهم من البلد، وذلك عام أربعة وأربعين وتسعمائة (٩٤٤) من الهجرة، ولكنهم رجعوا ثانيةً بعد وفاة السلطان.

ولما اشتغل حكام «كجرات» بالحروب الأهلية، وانقسم الإقليم إلى رئاسات، استغل المهدويون هذه الفوضى السياسية في البلاد، واستولوا على منطقة «الفتن» بعد أن اعتنقت الأسرة الحاكمة لهذه المنطقة مبادئ «المهدوية»، فعندئذٍ قويت شوكتهم، وعلا أمرهم، وعادوا إلى الفساد من جديد، فكانوا يقتلون كل من أنكر عليهم بعد تكفيرهم، وكانوا يحسبون التضحية بالأرواح في سبيل نشر المهدوية واجباً مقدساً، وأجراً عظيماً، فكانت الفتنة عمياء، والداهية دهياء[١].

وهكذا انتشرت «المهدوية» أيضاً في حيدرآباد «والدكن» من الأقاليم الجنوبية للهند، وقويت شوكتهم هناك[٢].

---

(١) انظر: تذكرة العلامة محمد بن طاهر الفتني (٦٠، ٦١، ٦٨، ٦٩).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٤٨).

أماكن وجودهم في الوقت الحالي:

ولم تكن «المهدوية» فرقة وجدت لتزول كغيرها من الفرق التي وجدت ثم ذهبت ولم يبق إلا تاريخها.

أما «المهدوية» فإن نشأتها القوية وحرص أتباعها ودعاتها على نشرها والتمكين لها قد ساعدها على البقاء. وفي الوقت الحاضر يوجد المهدويون في مناطق واسعة في «الهند» وفي بعض الأماكن في «باكستان»، ويتمركز معظمهم في مناطق «نكره» و«كهنبايت» و«رادهن پور» و«پالن پور» و«أحمد آباد» و«كجرات» وغيرها من المناطق الغربية في «الهند»، كما يوجد عدد كبير منهم في «حيدر آباد» و«الدكن» من المناطق الجنوبية، وبعد تقسيم «الهند» القديمة إلى دولتي «الهند» و«باكستان» هاجر كثير من المهدويين إلى «باكستان» وسكنوا في إقليم «السند» وعاصمتها «كراتشي».

وبعد محاولة التوحيد بين صفوف فرقتي «الذكرية» و«المهدوية» أنشئت مؤسسات وجمعيات مشتركة بينهما، منها: «ذكري مهدوي أنجمن» (الجمعية الذكرية المهدوية)، كما يوجد لشباب الفرقتين جمعية خاصة بهم باسم «ذكري مهدوي استودنس آركنائزيشن». (جميعة طلبة الذكريين المهدويين)، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في الفصل الثاني، ويوجد لهم أيضاً «دائرة» في منطقة «شهداد پور» من إقليم «السند»[(١)].

عددهم في الوقت الحاضر:

من الصعب جداً تحديد عددهم في الوقت الحاضر؛ لأنهم ينتشرون في مناطق متباعدة، وفي دولتين مستقلتين، وذكر العلامة عبد الحي الحسني اللكنوي عن إجمالي عددهم في الهند، فقال: «فإنهم يزيدون مئات ألوف

(١) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٤).
- اردو دائرة معارف إسلامية (٧/ ٥٢٣، مادة: الجونبوري).
- رود كوثر (٣٠).
- حيات پاك (١٣٠).

من النفوس في «رادهن پور» و«پالنپور» من بلاد «كجرات»، وفي أكثر بلاد «الدكن»، والمنازعة قائمة بينهم وبين أهل السنة في تلك البلاد»[1].

بعض مصطلحات المهدوية:

أريد هنا توضيح بعض المصطلحات التي تتعلق «بالمهدوية».

١ ـ دائره:

يُنشأ المهدويون في مناطق نفوذهم أماكن خاصة بهم لاجتماعهم، ينظمون فيها أحوالهم، ويتدارسون مبادئ الفرقة، ويقيمون الشعائر الدينية، خاصة «النوبة الليلية» وتسمى هذه الأماكن «بالدوائر» وهي أشبه ما تكون بخلوات الصوفية، والتي تسمى في بلاد القارة الهندية بـ خانقاه.

٢ ـ النوبة:

وفي الدوائر «المهدوية» يتوزع الناس بعد صلاة العشاء إلى ثلاث مجموعات، ويقسم الليل إلى ثلاثة أجزاء، وكل مجموعة تتولى إحياء جزء منه بالذكر والعبادة حتى يؤذن لصلاة الفجر، وهذا العمل يسمى عندهم «بالنوبة».

٣ ـ الأصحاب والمهاجرون:

يستخدم المهدويون تعبير «الأصحاب» للذين رأوا مهديهم المزعوم، وصدقوه في دعوته، ويستخدمون تعبير «المهاجرين» للذين كانوا يرافقونه في رحلاته وجولاته، ويترضون عنهم.

٤ ـ الإثنا عشر المبشرة:

يستخدم المهدويون تعبير «الاثنا عشر المبشرة» لرفقاء مهديهم الاثني عشر الذين بشرهم المتمهدي بالإيمان الصادق، ومنهم خلفاؤه الخمسة وسبعة من عداهم، وهم كالآتي:

---

(١) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٤).

١ ـ ميران السيد محمود بن السيد محمد المتمهدي، الملقب بالمهدي الثاني.

٢ ـ ميان السيد خوند مير الملقب بصديق الولاية.

٣ ـ شاه نعمت.

٤ ـ شاه نظام.

٥ ـ شاه دلاور.

٦ ـ ملك برهان الدين.

٧ ـ ملك جوهر.

٨ ـ ملك جي حاكم ناكور.

٩ ـ شاه عبد المجيد نوري.

١٠ ـ ملك معروف.

١١ ـ ميان يوسف.

١٢ ـ شاه أمين محمد[١].

---

(١) انظر: حيات پاك (٢١٩، ٢٤٣).

المبحث الثاني

عقائدها وأشهر دعاتها

أ ـ العقائد:

بعد أن فرغت من الحديث عن تاريخ الفرقة «المهدوية» ونشأتها أشرع في البحث عن عقائدها، وبعد الفحص والتتبع في كتبها ودراستها تبين لي أن أهم عقائد هذه الفرقة تتمثل فيما يأتي:

أولاً: العقيدة المهدية:

وهي الاعتقاد بأن المهدي الموعود في آخر الزمان ظهر ومضى، وهو «السيد محمد الجونبوري»، وهذه العقيدة هي السمة البارزة في هذه الفرقة، ومن أجلها سميت «بالمهدوية»، وقد تقدم أن «السيد محمد الجونبوري» أعلن ادعاءه للمهدية أربع مرات على رؤوس الأشهاد، كما أكد على هذه الدعوة أثناء المناظرات التي أقيمت بينه وبين علماء عصره، فبعد ادعائه المهدية للمرة الرابعة جاء وفد من علماء «الفتن» ووجه إليه العديد من الأسئلة، فكان السؤال الأول:

ـ هل أنت تدعي لنفسك أنك المهدي الموعود؟

فرد قائلاً: أنا لا أدعيها من تلقاء نفسي، بل جاءني الأمر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأني المهدي الموعود، وأمرني لادعائه[1].

---

(١) انظر: حيات پاك (١٦٣).

ولما وصل «السيد الجونبوري» إلى منطقة «فراه» واشتهرت في تلك الناحية ادعاءاته بعث حاكم «خراسان» وفداً من علماء «هرات» إلى المتمهدي لمناظرته حول ادعاءاته، فكان السؤال الأول الذي وجه إليه:

ـ على أيّ أساسٍ تدعي المهدية لنفسك؟

ـ فقال: «أنا لا أدعيها من عند نفسي، بل أدعيها بأمر من الله ـ سبحانه وتعالى ـ»[1].

استدلال المتمهدي بالقرآن على صحة دعواه:

كان «السيد محمد الجونبوري» يستدل بالكثير من الآيات القرآنية لإثبات صحة دعواه، منها ما يلي:

١ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[2].

يقول «الجونبوري» في تفسير هذه الآية:

«أنا أسمع من الله ـ سبحانه وتعالى ـ مباشرةً بدون واسطة يقول: إن هذه الآية نزلت في شأنك، والمراد بـ «من» في «أفمن كان» ذاتك، والمراد بـ «بينة» اتباع الولاية المحمدية، وهي ولاية خاصة تتعلق بالذات المحمدي، والمراد بـ«شاهد»: القرآن والتوراة «أولئك» إشارة إلى أمة المهدي وأتباعه، والمراد بالضمير «به» في موضعين هو ذات المهدي.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾[3].

يقول المتمهدي بعد سرد هذه الآية: «ولا أقول شيئاً من تلقاء نفسي، بل أقول من عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ بدون واسطة.

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٠٣).
(٢) سورة هود: الآية ١٧.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٤.

٣ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾(١).

واستدل المتمهدي بهذه الآية على صحة ادعائه، وقال: «من يتقول في القرآن برأيه، فهو داخل في هذا الوعيد».

٤ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾(٢).

والمراد من «من اتبعن» هو المهدي.

٥ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾(٣).

والمراد بالآية ـ كما زعم «الجونبوري» ـ «أي لأنذركم بهذا القرآن، وهكذا ينذركم به من يبلغ إليه هذا القرآن، وهو المهدي».

٦ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾(٤).

على أن المراد بـ «من اتبعك» المهدي.

٧ ـ قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(٥).

على أن المراد بـ «من اتبعني» «المهدي»، «وما أنا من المشركين»، أي: «أنا والمهدي لسنا من المشركين»(٦).

هذه بعض النماذج من الآيات الكريمة التي يسوقها الدعاة المهدويون على لسان المتمهدي بأنه استدل بهذه الآيات على صحة دعواه.

وقد ذكر داعية المهدوية المشهور «عبد الملك السجاوندي» آيات أخرى كثيرة التي وردت على لسان المهدي(٧).

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٠.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٩.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٤.
(٥) سورة يوسف: الآية ١٠٨.
(٦) انظر: حيات پاك (٥٤ ـ ٥٧).
(٧) انظر: منهاج التقويم (٥٧ ـ ٦٠)، طبعة (١٣٧١هـ) طبع بمطبعة الجمعية المهدوية، حيدر آباد، الدكن ـ الهند.

الاستدلال بالحديث:

يستدل المهدويون بكثير من الأحاديث على صحة دعوى «السيد محمد الجونبوري» للمهدية، وأن الأحاديث التي وردت في المهدي الموعود في آخر الزمان، المراد به هو «السيد محمد الجونبوري» المذكور.

وشأن «المهدوية» في الاستدلال بالحديث أنهم يحاولون جهداً أن يطبقوا جميع الأحاديث التي وردت في ظهور المهدي في آخر الزمان على مهديهم المزعوم، وإن تعذر ذلك يجيبون عنه بأحد أمرين:

إما برده كلياً على أنه لا يوافق أحوال مهديهم، وقد قال مهديهم في ميزان صحة الحديث وسقمه: «كثر الخلاف في الحديث، ويصعب تمييز الصحيح من السقيم، فالذي يوافق كتاب الله ـ تعالى ـ ويوافق أحوالي فاقبلوه كما جاء في الحديث عن الرسول: «ستكثر لكم الأحاديث من بعدي فأعرضوا على كتاب الله ـ تعالى ـ فإن وافقوا[1] فاقبلوا وإلا فردوه»[2][3].

وإما بتأويل الحديث بما يوافق توجهاتهم، وأضرب مثالاً على ذلك بما جاء عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي، يُبْعثُ على اختلاف من الناس، وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جَوْراً وظلماً. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً، قيل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس، ويملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنًى، ويسعهم عدله حتى يأمر منادياً ينادي، من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس أحد إلا رجل واحدٌ، فيكون كذلك سبع سنين»[4].

يقول داعية المهدوية «السيد شاه محمد» «المراد باختلاف الناس كثرة

---

(١) هكذا ورد لعل الصحيح «فإن وافقه». (٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.
(٣) انظر: حيات پاك (٥٣).
(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الترمذي باختصار كثير. ورواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات (٧/٣١٣، ٣١٤).

الفرق، والملل، والمذاهب الباطلة المشهورة وزلازل: جمع زليلة من زلة القدم، مثل: خصيصة واحد خصائص، وليس جمع زلزلة التي تكون للأرض.

وينقل كلام «عبد الملك السجاوندي» من كتابه «سراج الأبصار» في تأويل قوله: «فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويقول: «إن ملأ القسط والعدل مذكور في الحديث على وجه التشبيه بالجور والظلم، فلا يخلو إما أن يكون التشبيه في الكيفية أو الكمية، أما الأول: فمسلم أي كيفما تمكن الجور والظلم في أهل الأرض يمكن المهدي العدل والقسط في البعض، ولا دلالة في الحديث على الجميع أو الأكثر، أما التشبيه في الكمية أي كمية الأفراد والمملؤ فيهم الجور، فغير مسلم، لما ذكرت من المعارضات، والحديث... لا يحكم بصحته إلا بعد وجد أنه فيمن ورد في حقه (؟) ولا يفسر معناه بما يعارض الكتاب، والصحاح، فالتأويل الصحيح أن يقال: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً أي: يملأ القسط والعدل في بعض أهل الأرض، والبعض مطلق في القلة والكثرة، فلو ملأ جزءً من أجزاء الأرض يصح أن يقال: ملأ الأرض بالقسط والعدل؛ لأن بين أجزائها ملابسة من حيث أنها قطع متجاورات مدحورات[١]»[٢].

كما يضيف «السيف شاه محمد» في تأويل قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ «يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض» أن المراد بالأرض والسماء «الروح والنفس»، والمراد بكثرة النعيم، النعيم الديني من الزهد، والتقوى، والمعرفة، والرؤية الإلهية في الدنيا؛ وليس المراد النعيم الدنيوي من المال والجاه، بل النعيم من هذا القبيل يكون للدجال في آخر الزمان.

ويفتخر «السيد شاه محمد» بابتكار هذه التوضيحات والمعاني للحديث

---

(١) مدحورات: هكذا ورد في النص، والصحيح «مدحوات».
(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٥٥)، طبعة (١٢٩١هـ)، طبع في مطبعة الفردوس، بنگلور ـ الهند.

ويقول: «إنه من العجيب أن وفق الله ـ سبحانه وتعالى ـ أهل الحق المؤمنين ـ يقصد بهم المهدوية ـ لفهم هذه المعاني الغامضة».

ويسرد في ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2]، وكثيراً ما يردد القول: «كم ترك الأوائل للأواخر».

ويعتبر هذا الفهم كفهم الأئمة المجتهدين لنصوص الشريعة حول المسائل الفقهية، واختلافهم في ذلك، وضرب على ذلك أمثلة من المسائل المختلف فيها بين الفقهاء[3].

ومن تلك الأحاديث التي يستدل بها المهدويون على صحة دعوى مهديهم المزعوم ما يأتي:

١ ـ قوله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي»[4].

٢ ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢. (٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٣) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٠٤، ١٢٩).

(٤) رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب خروج المهدي، عن ثوبان رضي الله عنه باختلاف في اللفظ (٢/١٣٦٧، برقم: ٤٠٨٤).

ـ والحاكم في المستدرك، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي (٤/٦٤٣، ٦٤٤).

ـ وقال الألباني: «الحديث صحيح المعنى دون قوله: «فإن فيها خليفة الله المهدي» فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعاً نحو رواية ثوبان الثانية. وإسناده حسن، وليس فيه «خليفة الله». وهذه الزيادة ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهداً لها، فهي منكرة».

انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/١١٩ ـ ١٢١، برقم: ٨٥).

أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[1].

٣ ـ قوله ﷺ: «المهدي مني يقفو أثري ولا يخطئ»[2].

٤ ـ قوله ﷺ: «كيف تهلك أمتي، أنا في أولها، وعيسى ابن مريم في آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[3]،[4].

ويسوقون أحاديث أخرى كثيرة وردت في شأن المهدي.

ظهور المهدي في القرن العاشر الهجري:

يؤكد الدعاة المهدويون أن القرن العاشر الهجري هو موعد ظهور مهدي آخر الزمان، ويستدلون على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[5]، حيث ذكر «عبد الرزاق الكاشي»[6] في كتابه «تأويلات القرآن» في تفسير هذه الآية: «أي اختفى في

(١) رواه أبو داود في سننه في كتاب المهدي عن ابن مسعود ﷺ باختلاف في اللفظ (٤/ ٤٧٢، ٤٧٣، برقم: ٤٢٩٢).
ـ والحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم عن ابن مسعود ﷺ باختلاف في اللفظ، وقال عنه الذهبي: «صحيح» (٤/ ٤٤٢).
ـ وذكره المقدسي، وقال: أخرجه الحافظ أبو نُعيم في صفة المهدي.
انظر: عِقْد الدُرر (٢٩)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ)، مكتبة عالم الفكر.

(٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.

(٣) ذكره المقدسي عن عبد الله بن عباس ﷺ بلفظ: «لن تهلك أمة...»، وقال: رواه أبو نعيم في عواليه.
انظر: عقد الدرر (١٤٦).

(٤) انظر: حيات پاك (٤٦ ـ ٥٠).
ـ منهاج التقويم (١١٠ ـ ١٢٠).

(٥) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٦) هو عبد الرزاق بن أحمد ابن أبي الغنائم محمد الكاشي (٠٠٠ ـ ٧٣٠هـ).
مفسر صوفي، من أشهر مؤلفاته: «شرح فصوص الحكم لابن عربي»، و«تأويلات القرآن»، و«كشف الوجوه في شرح تائية ابن الفارض».
انظر: الأعلام (٣/ ٣٥٠).

صورة سماء الأرواح وأرض الأجساد في ستة آلاف سنة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]، أي من لدن خلق آدم إلى زمان محمد ﷺ لأن الخلق هو اختفاء الحق في مظاهر الخلقية، وهذه المدة من ابتداء دور الخفاء إلى ابتداء ظهور الذي هو زمان ختم النبوة، وظهور الولاية كما قال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله ـ تعالى ـ السموات والأرض»[2]؛ لأن ابتداء الخفاء بالخلق انتهاء الظهور، فإذا انتهى الخفاء إلى الظهور عاد إلى أول الخلق كما مرّ. [و] يتم بخروج المهدي في تتمة سبعة أيام، ولهذا قالوا: مدة الدنيا سبعة آلاف سنة»[3].

ومعنى ذلك أن بعد انقضاء ستة آلاف سنة من عمر الدنيا في مستهل الألف السابع يتم ظهور خاتم الأنبياء، وفي منتهاه يكون ظهور خاتم الأولياء وهو المهدي[4].

كما يستدلون أيضاً بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[5]. الآية، فقوله: «اليوم» دليل على أن المهدي سيظهر في القرن العاشر الهجري؛ لأن اليوم عند الله ـ تعالى ـ ألف سنة على حساب الدنيا، وإتمام ألف من هجرة النبي ﷺ دليل على اكتمال الدين؛ لأن الدين يكتمل بأيدي المهدي، كما قال ﷺ: «يختم به الله الدين»[6] وهذا الحديث تفسير للآية

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله ﷻ: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً...﴾ عن أبي بكرة رضي الله عنه (٨/ ٣٢٤، برقم: ٤٦٦٢).

(٣) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٦٥، ٦٦).

(٤) انظر: نفس المصدر (٦٥، ٦٦). (٥) سورة المائدة: الآية ٣.

(٦) جزء من حديث طويل عن علي رضي الله عنه.

ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن جابر الحضرمي، وهو كذاب» (٧/ ٣١٧).

ـ وذكره المقدسي في «عقد الدرر» وقال: «أخرجه جماعة من الحفاظ في كتبهم، منهم أبو القاسم الطبراني، وأبو نعيم الإصبهاني، وعبد الرحمٰن بن أبي حاتم، وأبو عبد الله نعيم بن حماد» (٢٥).

المذكورة، فالمهدي «خاتم الولاية» وبه يكتمل الدين، فإذا اكتمل في أيام النبي ﷺ لم يبق شيء للاكتمال؛ لأن الناقص يكتمل والكامل لا يحتاج إلى الاكتمال[1].

ويستدلون أيضاً بالحديث: «النبي لا يمكث في قبره ألف سنة»[2][3].

تعليل ظهور المهدي في بلاد الهند:

يعلل المهدويون ظهور مهدي آخر الزمان في بلاد «الهند» بأن أكثر النبوات ظهرت في بلاد «الشام» و«اليمن» وكانت نبوة نبينا محمد ﷺ في «مكة» و«المدينة» ولم يبعث نبي في بلاد «الهند» وانتشر الإسلام هناك عن طريق الدعاة والصالحين، فشاء الله ـ تعالى ـ أن تكون بلاد «الهند» أرضاً لظهور المهدي الذي هو إمام الأنبياء، وسيد الأولياء، وبه يكتمل الدين؛ لأن البلاد الهندية بلغت في الكفر منتهاه، فجاء المهدي، واكتمل الدين، وبلغ غاية الكمال، وهو المراد بقوله ﷺ: «يختم الله به الدين»[4]، وملأ المهدي الأرض قسطاً وعدلاً كما جاء في الحديث[5].

ثانياً: مكانة المهدي:

ولما أن الركيزة الأولى لهذه الفرقة هو الإيمان بأن المهدي الموعود في آخر الزمان ظهر ومضى، فهم يؤمنون لمهديهم بمزايا وخصائص، فهي من أهم عقائدهم التي تتبع الإيمان بالمهدي «السيد محمد الجونبوري».

وبعد دراسة أقوال مهديهم وأقوال الدعاة «المهدوية» حول هذه

---

(١) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٨٢، ١٠٧، ١٤٢، ١٦٤).
(٢) قال علي المتقي الهندي: «حديث باطل لا أصل له».
انظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ل٣١/ب)، مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم (٤٨٧٢)، عقائد.
(٣) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٦٥). (٤) تقدم تخريجه في (ص٢٢١).
(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٠).

المكانة، يمكن تلخيص هذه الخصائص والمميزات في النقاط الآتية:

أ ـ كلام الله ـ تعالى ـ مع المهدي بدون واسطة.

ب ـ عصمة المهدي.

ج ـ المهدي يحتفظ لنفسه بحق تأويل القرآن الكريم.

د ـ المهدي خاتم الأولياء.

هـ ـ المهدي أفضل من بعض الأنبياء ومساوٍ لرسولنا محمد ﷺ في الدرجة.

و ـ تكفير من لا يؤمن بالمهدي.

وفيما يلي أقدم شرحاً موجزاً لكل نقطة من هذه النقاط.

أ ـ كلام الله ـ تعالى ـ مع المهدي بدون واسطة:

يعتقد المهدويون أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كان يتكلم مع المهدي بدون واسطة، وقد جاء ذلك على لسان المتمهدي مرات كثيرة في خُطَبه، وتفسيره للقرآن الكريم، وأثناء مناظراته مع العلماء حول ادعاءاته بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يكلمه مباشرة بلا واسطة. وكان يقول: «كل ما أقول لكم، وأفعل، وأشرح لكم القرآن الكريم، كل ذلك بأمر الله ـ تعالى ـ ويعلمني ربي كل يوم بلا واسطة»[1].

كما أن في كل خطواته ومواقفه التي يقوم عليها يقول لأتباعه: إن الله ـ تعالى ـ أمرني بقوله لي: أيها السيد افعل كذا وكذا...».

وقد نقل «السيد خوند مير» ـ الخليفة الثاني للمتمهدي ـ مقالته فقال:

«قال الإمام المهدي: عُلِّمتُ من الله ـ تعالى ـ بلا واسطة جديد اليوم، قل: إني عبد الله تابع محمد رسول الله، مهدي آخر الزمان، وارث

---

(١) انظر: حيات پاك (٥٤، ٥٧).

نبي الرحمٰن، عالم علم الكتاب والإيمان، مبين الحقيقة والشريعة والرضوان»[1].

ولكن العجيب في الأمر أن الدعاة المهدويين يتحرجون أن يُعَبِّروا عن ذلك بالوحي، بل كانت ردودهم قاسية على الذين نسبوا إلى «المهدي» ادعاء نزول الوحي عليه، وقالوا: إن هناك فرقاً بين التنزيل والتعليم، أما التنزيل فهو نزول الوحي، وأما التعليم فهو كلام بلا واسطة كتعليم آدم وخضر عليهما السلام وغيرهما، كما جاء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[2]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[3]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[4]، فالتعليم عناية خاصة ورعاية ربانية كريمة لأوليائه ـ تعالى ـ والمهدي سيدهم، وإمامهم، وخاتمهم فهو أولى بهذه الرعاية الكريمة[5].

ب ـ عصمة المهدي:

يعتقد المهدويون أن المهدي قائم مقام الرسول ﷺ، وبه يكتمل الدين فهو معصوم عن الخطأ، كما هو معصوم عن كل صغيرة وكبيرة، والسبب في ذلك أن المهدي تم ظهوره لرفع الاختلافات الكثيرة التي حدثت بين العلماء والفقهاء، وحمل المسلمين كلهم على اتباع الرسول ﷺ وحده، وهذا الأمر لا يتأتى إلا أن يكون المهدي معصوماً، وهنا الفرق بين النبي والمهدي إذ أن النبي ﷺ منبع لأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومحكوم بالوحي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[6]. ولهذا لا يتكلم النبي بالقياس ولا بالرأي.

وأما المهدي فهو عالم بمراد الله ـ تعالى ـ ورسوله بالتعليم من عند الله

---

(١) انظر: هديه مهدويه (الهدية المهدوية)، لمحمد زمان شاه جهان پوري (ص١٣)، طبعة (١٢٨٧هـ)، مطبعة نظامي، كانپور ـ الهند.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٣) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٤) سورة الرحمٰن: الآيتان ٣، ٤.

(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٤).

(٦) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.

ـ تعالى ـ والتحقيق من الرسول ﷺ فهو معصوم عن الخطأ[1].

ويستدلون على ذلك بقوله ﷺ: «المهدي مني يقفو أثري ولا يخطئ»[2]، فهو ـ أي المهدي ـ مأمور من الله ـ تعالى ـ على ما جاء في الكتاب والسنة، وخليفته، وصاحب البينة، والتابع التام لرسول الله ﷺ فهو معصوم عن الخطأ[3].

يقول داعية المهدوي المشهور «عبد الملك السجاوندي»:

«فاعلم أيها الأخ الباحث عن الدين، والفاحص عن اليقين، أن الفقهاء والمتكلمين ما نطقوا في باب عصمة المهدي وعدم عصمته، بل هم ساكتون عن هذا الأمر، فلا نجد دليلاً عقلياً عنهم حتى نذكر، ولكن يفهم من الأحاديث والآثار والأقوال أنه معصوم، فمنها قوله ﷺ: «كيف تهلك أمتي أنا في أولها، وعيسى في آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[4]، ذكر النبي ﷺ المهدي بين النبيين، وجعله سبباً لنجاة أمته من عذاب الاستئصال كما جعل نفسه وعيسى سبباً لنجاتها، فنفي الهلاك بوجود هؤلاء الثلاثة فلو لم يكن معصوماً لكان فرداً من أفرادها، فكيف يكون سبباً لنجاتها إذ لا مزية له على غيره... إلى أن قال: «فلا يصدر عن المهدي صغيرة ولا كبيرة، كما لا يصدران عن الأنبياء، على هذا الاعتقاد وجدنا أرباب البصائر، من أصحاب المهدي، وهؤلاء أولى بالاقتداء، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[5]، [6].

ج ـ المهدي يحتفظ بحق تأويل القرآن الكريم:

يعتقد المهدويون أن مهديهم المزعوم يحتفظ لنفسه بحق تأويل القرآن الكريم، فكل تفسير للقرآن يأتي عن طريق المهدي أو يوافق أحواله وأقواله فهو المقبول، وإلا فمردود، ومن أجل هذا لم يكن المتمهدي يعتمد على

---

(١) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٣). (٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.
(٣) انظر: حيات پاك (٢٢٧). (٤) تقدم تخريجه.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٩٠. (٦) انظر: منهاج التقويم (١٠٨، ١٩٠).

أيّ تفسير؛ لأنه يتلقى هذه التأويلات من الله ـ سبحانه وتعالى ـ مباشرةً بدون واسطة. وجاء قوله في مناظرة مع علماء «خراسان» عندما وُجّه إليه السؤال:

ـ «على أيّ كتاب تعتمد في تفسيرك للقرآن الكريم»؟

ـ فكان الجواب: «أنا لا أطالع أي كتاب في التفسير، والآية التي أتلقى تفسيرها من الله ـ تعالى ـ مباشرةً بدون واسطة أبينه، وأية معان للقرآن الكريم وتفسيره لا يوافق للذي أبينه، فهو غير صحيح، والذي يوافق هو الصحيح»[1].

ويستدل المهدويون على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[2]، بأن يكون بيان وتفسير القرآن الكريم على لسان خاتم الأولياء وهو المهدي، وهو الذي يبين مراد الله ـ تعالى ـ كما قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[3]، ولهذا قال الرسول ﷺ: «يختم الله به الدين»، فهذه شهادة من الرسول ﷺ أن الدين لم يكتمل في زمنه؛ لأن الأحكام لم تتبين في عهده، وهذه الأحكام ورد بيانها على لسان المهدي؛ لأن المهدي هو مبين كتاب الله ـ تعالى ـ وكاشف مراده، وإن كان هذا الكتاب نزل على محمد ﷺ[4].

وقد ذكر داعية المهدوي «عبد الملك السجاوندي» أدلة كثيرة ـ على حد زعمه ـ أن المهدي مبين معاني القرآن الكريم، فقال: «وذكر الشيخ «عز الدين عبد الرزاق الكاشي» في تفسيره المسمى «بتأويلات القرآن» أن بيان معاني القرآن لا يكون كما هو إلا بلسان المهدي، حيث جعل «ألم» قسماً وجوابه محذوفاً، وهو لأنَا مبين لذلك الكتاب الموعود على ألسنة الأنبياء، وفي كتبهم، أنه ـ أي القرآن ـ يكون مع المهدي في آخر الزمان، لا يعلمه

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٠٣).
(٢) سورة القيامة: الآية ١٩.
(٣) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٤) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٨٠ ـ ٨٢).

كما هو إلا هو، كما قال عيسى عليه السلام: «نحن نأتيكم بالتنزيل وأما التأويل فيأتي به الفارقليط في آخر الزمان»، جعل الشيخ - أي عبد الرزاق - فارقليط بلسان عيسى عبارة عن المهدي»[1].

وذكر السجاوندي أيضاً: «ومنها قول - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[2]، أي: بلسان المهدي.

ومنها قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[3]، أي: أحكمت آياته بلسان محمد ﷺ ثم فصلت بلسان المهدي عليه السلام.

ومنها قوله - تعالى -: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[4]، يعني الرحمٰن علم القرآن محمداً، وخلق الإنسان يعني المهدي، «عَلَّمَهُ البيان» أي الألف واللام في «البيان» عوض عن المضاف إليه»[5].

وهذه الشواهد تدل بجلاء على أن تأويل القرآن، وبيان معانيه ومراده إنما هو من اختصاصات المهدي.

د ـ المهدي خاتم الأولياء:

يذهب المهدويون إلى أن مهديهم المزعوم خاتم الأولياء وسيدهم وإمامهم، ودرجة الولاية هذه أفضل من درجة النبوة[6].

وقد تقدم أن «السيد الجونبوري» في حالة التجليات الإلهية، ومشاهدة الأنوار الربانية التي استغرقت اثني عشر عاماً جاءه النداء الرباني «أيها السيد محمد أعطيناك ختم الولاية المحمدية، وجعلناك تقيم الصلوات، وهذا من فضلي وإحساني عليك»، وحظي بهذا الخطاب بمنصب خاتم الأولياء»[7].

وجاء في مناظرة علماء «الفتن» للمتمهدي لما وُجِّهَ إليه السؤال:

---

(١) انظر: منهاج التقويم (١٤، ١٥).
(٢) سورة القيامة: الآية ١٩.
(٣) سورة هود: الآية ١.
(٤) سورة الرحمٰن: الآيتان ٣، ٤.
(٥) انظر: منهاج التقويم (٥٩، ٦٠).
(٦) انظر: حيات پاك (٨٥).
(٧) انظر: حيات پاك (٩٦).

ـ «إنك تفضل الولاية على النبوة»؟

فرد عليهم بقوله: «أنا أفضل الولاية على النبوة أم الرسول ﷺ؟ ألا تسمعون قوله ﷺ: «الولاية أفضل من النبوة»[(١)(٢)].

ودعاة «المهدوية» يُسَوِّدون مؤلفاتهم بالنقول الكثيرة من «الفتوحات المكية» و«الفصوص» لابن عربي، و«اليواقيت والجواهر» «للشعراني»[(٣)] لإثبات منصب «خاتم الولاية» للمهدي وخصائصه ومزاياه، ويحاولون جهداً لتطبيق هذه النقول على مهديهم المزعوم.

و«السجاوندي» يوصي المهدويين وغيرهم الذين يريدون التحقيق في موضوع ختم الولاية أن يقرؤا كتب «ابن عربي» وغيره، ويحاول أن يلتمس من الألفاظ التي وردت في وصف المهدي مأخذاً لهذا الاصطلاح فيقول:

«فاعلم أيها الأخ! إن طلب بيان لفظ «خاتم الولاية» بالقرآن والأحاديث الصحيحة غير صحيح، إذ لا يخفى على العالم أن إطلاق هذا اللفظ على المهدي من مصطلحات الصوفية، ليس عليه حديث ضعيف فضلاً عن الصحيح والكتاب».

«وهل عليه دليل سوى أقوال الصوفية؟ والذي وقع في الأحاديث من الألفاظ «الإمام» و«الخليفة» و«خاتم الدين» ـ كما ذكرنا قبل ـ وهو قوله ﷺ: «يختم به الدين كما فتحه بنا»[(٤)] وبين الدين والولاية مناسبة،

---

(١) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ. (٢) انظر: حيات پاك (١٦٤، ١٦٥).

(٣) هو: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني (٨٩٨هـ ـ ٩٧٣هـ).
من كبار علماء الصوفية. ولد في «قلقشندة» بمصر. نشأ بساقية «أبي شعرة» من قرى «المنوفية» وينسب إليها.
له مصنفات كثيرة من أهمها: «اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر»، و«الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر» و«الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية».
انظر: شذرات الذهب (٨/ ٣٧٢).
ـ الأعلام (٤/ ١٨١).

(٤) تقدم تخريجه.

فلعل المقتبس أخذ لفظ «خاتم الولاية» من هذه الأحاديث، ومن أراد تحقيق معنى ختم الولاية المحمدية فليطالع كتب «ابن عربي» «كالفصوص» وشرحه واصطلاحات «الشيخ عبد الرزاق الكاشي»[1].

ومما يلفت النظر في هذه المسألة أن الدعاة «المهدوية» يقسمون النبوة إلى قسمين: نبوة تشريعية، ونبوة مطلقة وتابعة للنبوة التشريعية السابقة، ولكنها مخولة لبيان أحكام الشرع في نطاق صلاحياته، ويقولون: إن نبوة نبينا محمد ﷺ كانت نبوة التشريع، وانقطعت هذه النبوة بالختم عليها، كما جاء في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[2].

فليس هناك من يأتي بشريعة جديدة؛ لأن نبوة التشريع انقطعت بهذه الآية، ونبينا محمد ﷺ خاتم النبيين بهذا المعنى.

وأما مطلق النبوة فلم تنقطع وهي نبوة تابعة لنبوة محمد ﷺ؛ ولهذا يقال للمهدي: «نبي متبع» بصفته «خاتم الأولياء»، فالأحكام التي بينها «السيد محمد الجونبوري» لا تعتبر نسخ الشريعة المحمدية، ولا تعد تشريعاً جديداً، بل هي بيان لأحكام الولاية المحمدية بتعليم من الله ـ تعالى ـ وتقرير من الرسول ﷺ[3].

هـ ـ المهدي أفضل من الصحابة ومن بعض الأنبياء ومساوٍ لرسولنا محمد ﷺ في الفضيلة.

يعتقد المهدويون أن مهديهم المزعوم أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأفضل من الأنبياء، ومساوٍ في المناقب لرسولنا محمد ﷺ.

أما تفضيله على الصحابة فالدليل على ذلك أنه سئل محمد بن سيرين[4]:

---

(١) انظر: منهاج التقويم (١٣١، ١٣٢). (٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٣) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٤، ٢٥).

(٤) هو: الإمام أبو بكر محمد بن سيرين البصري (٣٣هـ ـ ١١٠هـ).
تابعي جليل، إمام وقته في علوم الدين. ولد بالبصرة، وتوفي فيها. تفقه وروى الحديث. اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا.

«المهدي خير أم أبو بكر وعمر؟ قال: «هو خير منهما»[1].

وعن «عوف بن محمد» قال: «كنا نتحدث أن يكون في هذه الأمة في آخر الزمان خليفة لا يفضل عليه أبو بكر وعمر»[2].

وقوله ﷺ عن المهدي: «يقفو أثري ولا يخطئ»[3].

يقول «السجاوندي» في تعليقه على هذا الحديث:

«وهذه مرتبة لا يشترك فيها أحد من الصحابة؛ لأن أبو بكر مع غاية فضله، ونهاية شرفه، قال في حكم «الكلالة»[4]:

«أقول في «الكلالة» برأيي، فإن كان صواباً فمن الله ورسوله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»[5].

ويسوق في ذلك أحاديث، ويقول: «ثم ينبغي أن يعلم أن لا دليل في تفضيل «أبو بكر» على المهدي إلا العمومات الواردة في فضله على الأمة، كقوله ﷺ: «والله ما طلعت الشمس، ولا غربت على أحد بعد النبيين أفضل من أبي بكر»[6].

= انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٣٣١ ـ ٣٣٨).
ـ سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦ ـ ٦٢٣).

(١) ذكره الهيتمي في القول المختصر (٧١).
ـ وعلي المتقي في البرهان (ل٢٨/أ).

(٢) ذكره ابن حجر الهيتمي في القول المختصر (٧١).
وقال الفتني: موضوع. فيه ضعيف وكذاب.
انظر: تذكرة الموضوعات (٢٢٣).

(٣) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.

(٤) الكلالة: اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة.
انظر: المفردات للراغب (٤٥٥)، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت.

(٥) رواه الخطيب البغدادي بسنده عن الشعبي.
انظر: الفقيه والمتفقه (١/١٩٩)، تصحيح الشيخ إسماعيل الأنصاري، طبعة (١٣٩٥هـ)، دار إحياء السنة النبوية.

(٦) هذا جزء من حديث مروي عن أبي الدرداء ﷺ، رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» وقال المحقق: إسناده ضعيف، وفصل الكلام في وجوه ضعفه.
انظر: فضائل الصحابة (١/ ١٥٢، ١٥٣، برقم: ١٣٥)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى.

وكقوله ﷺ: «لو يزن إيمان أبي بكر مع أمتي لرجح»[1].

والمهدي خارج من هذه العمومات لخصوصياته الواردة في حقه كقوله ﷺ: «كيف تهلك أمتي أنا في أولها، وعيسى في آخرها، والمهدي من أهل بيتي في وسطها»[2] عدّه النبي ﷺ سبباً لنجاة الأمة المفضول عليها، وأبو بكر رضي الله عنه وما عداه في الأمة الناجية»[3].

وأما تفضيله على الأنبياء ومساواته لنبينا محمد ﷺ فالدليل على ذلك أن «محمد بن سيرين» «كان يفضل على بعض الأنبياء، ويعدل بنبينا ﷺ»[4].

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوماً واحداً، يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي، وخلقه خلقي»[5].

وعن علي رضي الله عنه أنه نظر ابنه الحسين فقال: «إن ابني هذا سيد، كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجلاً يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخلق»[6].

يقول «السجاوندي»: «وهذان الحديثان يبينان عن فضله؛ لأنه كان إذا

---

(١) هكذا ذكره السجاوندي، روى الإمام أحمد بسنده عن هُزَيل بن شرحبيل الأودي، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «لو وزن إيمان أبي بكر وإيمان أهل الأرض لرجح بهم».
قال المحقق: إسناده ضعيف جداً، ولكن الأثر صحيح، وفصّل الكلام فيه.
انظر: فضائل الصحابة (١/٤١٨، ٤١٩، برقم: ٦٥٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: منهاج التقويم (١٢٥ ـ ١٢٩).

(٤) ذكره ابن حجر الهيتمي في القول المختصر (٧١).

(٥) ذكره المقدسي، وقال: «أخرجه الحافظ أبو نُعيم في صفة المهدي».
انظر: عقد الدرر (٣١).

(٦) رواه أبو داود في سننه في كتاب المهدي عن علي رضي الله عنه بتمام اللفظ إلا أن فيه «الحسن» بدلاً من «الحسين».
وذكر المحقق أن في سنده انقطاع؛ لأنه من رواية «أبي إسحاق السبيعي» عن «علي» رضي الله عنه وهو رأي «علياً» رؤية، ولم تثبت له رواية عنه.
انظر: سنن أبي داود (٤/٤٧٧، برقم: ٤٢٩٠).

كان خُلُقه كخلق نبينا كان أفضل من الجميع، إذ هو سميه لمكارم الأخلاق، قالت عائشة: ﵂: «كان خلقه القرآن»[1]. ويفهم من الحديثين أن المهدي ﵇ مستخلف بجميع أخلاق نبينا ﵇ إذ لو كان مستخلفاً ببعضها دون بعض فما فائدة تخصيصه إذ جميع الأولياء مشتركون في ذلك»[2].

أما تسويته مع النبي ﷺ فيذكرون لها أدلة كثيرة:

منها: أن المهدي مبعوث لدعوة الخلق إلى الله مأمور بإظهارها بينهم كالنبي ﷺ.

ومنها: ما روي عن المهدي أنه قال: «أسلم شيطاني»، كما روي ذلك عن النبي ﷺ هذه الفضيلة»[3].

ومنها: استخراج الأنوار والأرواح من النور المحمدي، وقيام روح المهدي منه كما قام الولد من الأم، فلما أعطي النبي ﷺ نبوته، أعطي المهدي ولايته، فذاته كذات النبي ﷺ، وعلمه كعلم النبي ﷺ وتوكله كتوكل النبي ﷺ إلى آخر ذلك[4].

ومنها: قوله ﵇: «يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان»[5]، وقوله: «يختم الله به الدين»[6].

وهذان الحديثان أيضاً يدلان على أن المهدي مساوٍ للنبي ﷺ؛ لأنه يقوم بالدين في آخر الزمان، كما قام به النبي ﷺ في أوله، كما أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يختم به الدين ويكمله، ويرفع به الاختلافات الكثيرة التي حدثت بين الأمة، ومن أجل هذه المناقب أصبح مساوياً للرسول ﷺ في الدرجة[7].

---

(١) روى الحاكم في المستدرك عن عائشة ﵂ بلفظ: «كان خلق رسول الله ﷺ القرآن». وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي (٢/ ٣٩٢).

(٢) انظر: منهاج التقويم (١٢٦، ١٢٧).

(٣) انظر: نفس المصدر والصفحة.

(٤) انظر: نفس المصدر (١٣١).

(٥) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.

(٦) تقدم تخريجه في (ص٢٢١).

(٧) انظر: منهاج التقويم (١٣١).

وقد ذكر «الشيخ عبد الحق الدهلوي»: إن «السيد محمد الجونبوري» كان يعتقد أن كل كمال كان يتصف به الرسول ﷺ أو بلغ إليه، كان له هو أيضاً هذا الكمال نفسه، ولكن الفرق بينهما أن الرسول ﷺ كان له هذا الكمال بالأصالة وللجونبوري بالتبع»[1].

و ـ تكفير من لا يؤمن بالمهدي:

يعتقد المهديون أن من لا يؤمن بمهديهم المزعوم فهو كافر.

ويستدلون على ذلك بالكثير من الأدلة:

منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[2].

يقول «السجاوندي» في وجه الاستدلال بهذه الآية:

«خصّص ـ أي المهدي ـ «من» في نفسه وجعل الضمائر راجعةً إلى «من»، و«أولئك» إشارة إلى قومه المفهوم من ذكر «من»، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾[3]، أي: لعل قوم موسى يهتدون، وإن لم يسبق له ذكر؛ لأن ذكر موسى يدل عليه، فكذا هنا إلى «قومه» ـ يقصد قوم المهدي، و«من يكفر به» أي: «بمن» وهو المهدي فالنار موعده، وأصحاب المهدي اتفقوا على أن الكفر بمجرد الإنكار حتى فرضوا أن «با يزيد»[4] لو كان حياً وأنكر لكفر به»[5].

---

(١) انظر: تذكرة لمولانا أبي الكلام آزاد (٥١)، الطبعة الثانية (١٩٨١م)، ساهتيه إكاديمي، نئي دلي ـ الهند.

(٢) سورة هود: الآية ١٧.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٤٩.

(٤) هو: أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، ويقال أيضاً: با يزيد (١٨٨هـ ـ ٢٦١هـ). صوفي مشهور. نسبته إلى «بسطام» ـ بلدة بين خراسان والعراق ـ ولد وتوفي فيها، يعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية.
انظر: الأعلام (٣/ ٢٣٥).

(٥) انظر: منهاج التقويم (٩٥).

ويقول ـ أي السجاوندي ـ في موضع آخر: «ومن لم يجب داعي الشرع تهاوناً به كفر، أي: تهاوناً بالداعي، والمراد بالداعي القاضي، ومن هو منصوب لإجراء أحكام الشرع، فإذا كان إنكار دعاة الشرع كفراً، فالمهدي لا يكون أدنى حالاً منهم فافهم جيداً، فإنه بين. نعم التهاون حاصل بعدم تصديقه، ونسبته إلى الخطأ والغلط، يظنه أن الأحاديث لا يوافقه، هي صارفة عن التصديق وليس الأمر كما ظن»[1]،

وكان المهدي يقول للناس: «من قبل مهديتي فهو مؤمن وإلا كافر»[2].

وبعد ادعاء المهدية للمرة الثالثة قال للحضور ـ وهو يمسك جلد جسمه بإصبعين: «من أنكر مهدية هذا فهو كافر، وأنا أتلقى الأحكام من الله ـ تعالى ـ مباشرة بدون واسطة، وقال ـ تعالى ـ: أنا آتيتك علم الأولين والآخرين، وبيان معاني القرآن، ومفتاح خزائن الإيمان، من أطاعك فقد أطاعني، ومن أنكرك فقد كفر» فأعلن الجميع إيمانهم وولاءهم بالمهدي، ورفعوا أصواتهم قائلين: آمنا وصدقنا[3].

وجاء في مناظرة علماء «الفتن» مع المتمهدي حول ادعاءاته أنهم لما وجّهوا إليه السؤال:

- جاء في الحديث أن الناس يؤمنون بالمهدي، ولا ينكره أحد؟
- فرد عليهم قائلاً: هل يؤمن المؤمنون أم الكافرون؟
- فقالوا: المؤمنون.
- فقال: فقد آمن المؤمنون، وأطاعوا»[4].

هذه من أهم العقائد التي تتبع العقيدة المهدية عند هذه الفرقة، وهناك أمور أخرى، خاصة ما تتعلق بخوارق المهدي ضربت عن ذكرها صفحاً خوف الإطالة.

---

(١) انظر: منهاج التقويم (٢٦).
(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٨٥).
(٣) انظر: تذكرة علماى هند (٤٤٧).
(٤) انظر: حيات پاك (١٦٤).

ثالثاً: الأصول والأحكام:

بناءً على ما زعمه المتمهدي من الصلاحيات المخولة له في بيان أحكام الشريعة بصفته «خاتم الأولياء» فقد بين أصولاً وأحكاماً للشريعة بتعليم من الله ـ تعالى ـ وتحقيق من الرسول ﷺ ويسمونها أركان «الولاية المحمدية»، والهدف من ذلك هو التقرب إلى الله ـ تعالى ـ والفوز برؤيته في هذه الدنيا، والمتابعة الكاملة للرسول ﷺ.

الأول: الأصول وهي سبعة: ١ ـ الهجرة، ٢ ـ صحبة الصادقين، ٣ ـ الذكر الدائم، ٤ ـ ترك الدنيا، ٥ ـ التوكل، ٦ ـ العزلة، ٧ ـ رؤية الله ـ تعالى ـ.

الثاني: الأحكام، وهي ستة: ١ ـ العشر، ٢ ـ التقسيم بالسوية، ٣ ـ النوبة، ٤ ـ الإجماع، ٥ ـ تحية الوضوء، ٦ ـ سلام الوداع[١].

وفيما يلي أقدم شرحاً موجزاً لهذه الأصول والأحكام.

أولاً: الأصول السبعة:

١ ـ الهجرة:

المقصود من الهجرة ترك الوطن الذي لا يتمكن فيه المهدوي أداء الشعائر الدينية، والدليل على فرضية الهجرة قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[٢].

وكان المتمهدي قد أعلن أن ترك الهجرة نفاق[٣].

وقد رأينا كيف أن المهدويين يتركون أهاليهم وأموالهم، ويرافقون المتمهدي في حله وترحاله، وأثناء وجوده في منطقة «ناكور» اعتنق حاكمها

---

(١) نفس المصدر (٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٣) انظر: حيات پاك (٢٣٦).
ـ ختم الهدى سبل السواء (١٩).

«مُلك جي» المهدوية حيث ترك الجاه والمال وخرج مهاجراً مع المتمهدي، كما قَبِل المهدوية أناس آخرون من الوجهاء والعلماء، والعامة فقام فيهم المتمهدي وتلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟﴾[1] الآية.

وقال: «إن هذه الآية نزلت أصالةً في شأن أصحاب النبي محمد ﷺ ومن يتصف بهذه الصفات من جماعة المهدي يتشرف أيضاً بفضل هذه الآية»[2].

والذين كانوا يرافقون المتمهدي في رحلاته كانوا يسمونهم «بالمهاجرين».

والدعاة المهدويون يقسمون الجهاد إلى قسمين: الأصغر، والأكبر، لقوله ﷺ: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[3].

الأول: ما قام به الأولون النبي ﷺ وأصحابه.

والثاني: ما يقوم به الآخرون، وهم المهدويون.

فكانت الهجرة أيضاً هجرتان: صغرى، وكبرى، الصغرى للجهاد الأصغر، والكبرى للجهاد الأكبر، فلما كانت الأولى فريضة فتكون الأخيرة من باب أولى؛ لأن الرسول ﷺ كان يترقى دائماً من المرتبة الدنيا إلى المرتبة العليا.

فالهجرة الكبرى من أجل الجهاد الأكبر هي التي يقوم بها المهدويون، وهي تتأتى بهجرة شبرٍ من الأرض لقوله ﷺ: «من فرّ بدينه من أرض إلى

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٥. (٢) انظر: حيات پاك (١٧٢).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما الحديث الذي يرويه بعضهم أنه قال في غزوة تبوك: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»، فلا أصل له، ولا يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان.
انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٩٧).

أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد»[1].

وعملاً بهذا الحديث فإن كل المهدويين ـ سواء أكانوا رجالاً أم نساءً، أغنياءً أم فقراءً، شباباً أم شيوخاً ـ يموتون مهاجرين ومجاهدين، ويكونون في الجنة برفقة أبيهم إبراهيم ونبيهم محمد ـ عليهما الصلاة والتسليم ـ[2].

٢ ـ صحبة الصادقين:

ويقصد بالصادقين: السلف الصالحين والمشائخ الكاملين[3] في المهدوية، وفي مقدمتهم خلفاء المهدي وأصحابه. والدليل على فرضية صحبة الصادقين قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[4]. والأمر هنا للوجوب.

وقال المتمهدي في صحبة الصادقين: «وَثِّقُوا علاقاتكم مع جماعة ترشدكم إلى ذكر الله ـ تعالى ـ وإلى سبيله»[5].

٣ ـ الذكر الدائم:

المقصود بالذكر الدائم أن يشتغل المهدوي بذكر الله ـ تعالى ـ ليل نهار، ولا يغفل عن ذكره لحظة واحدة، والدليل على وجوب الذكر الدائم

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: «أخرجه الثعلبي في تفسير «العنكبوت» من رواية عباد بن منصور الناجي عن الحسن مرسلاً.
انظر: الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٤٨، برقم (٢٩٢))، المطبوع في نهاية الجزء الرابع لتفسير الكشاف. الطبعة الأولى (١٣٥٤هـ). المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي بمصر.
(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٩، ٢٠، ١٠٨، ١٠٩).
(٣) هذا على حد زعم المهدوية، وفي الحقيقة لا يوجد فيهم السلف الصالحون ولا المشائخ الكاملون.
(٤) سورة التوبة: الآية ١١٩.
(٥) انظر: ختم الهدى سبل السواء (٢٠، ٢١).
ـ حيات پاك (٢٣٧).

قوله - تعالى -: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[1].

وكان المتمهدي تلا الآية المذكورة بأمر من الله - تعالى وأوجب «الذكر الدائم» للفوز برؤية الله - تعالى - في هذه الدنيا[2]، وقال: «إن الله - سبحانه وتعالى - أنزل هذه الآية الكريمة في شأن الطائفة «المهدوية» وبيان صفاتهم. وقال أيضاً: إن المؤمن الكامل الإيمان هو الذي يشتغل بذكر الله - تعالى - ليل نهار، ولا يغفل عن ذكره لحظة واحدة»[3]. ومن هنا جاءت فكرة النوبة الليلية لإحيائها بالذكر عند هذه الفرقة.

٤ - ترك الدنيا:

يُقصد به خروج المهدوي من كل ما يملكه، وتَصَدّقه على الفقراء، وذلك لأن الميل إلى الدنيا يسبب الغفلة عن ذات الله - تعالى - وصفاته وأحكامه، وحَرَّم المهدي هذه الغفلة، والغافل هو الذي لا يخاف الله - تعالى - ويميل إلى الدنيا، ففرض المهدي على أتباعه ترك الدنيا بدليل قوله - تعالى -: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾[4].

وقال المهدي: «من يرد رؤية الله - تعالى - فليعمل صالحاً، والمراد بالعمل الصالح ترك الدنيا، ومن ترك الدنيا، ترك الأنانية»[5].

ويذكر الدعاة المهدويون كلاماً كثيراً في ذم الدنيا وطلبها. ويقولون: إن من لم يتمكن من ترك الدنيا في حياته كلها يقطع قبل الموت جميع علاقاته مع أشغال الدنيا ويهاجر إلى المسجد ويقضي بقية حياته في صحبة أحد المشائخ المهدويين[6].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٢) رؤية الله تعالى في هذه الدنيا من عقائد المهدوية، وسيأتي الرد على هذا العقيدة في (ص٣٣٤).

(٣) انظر: حيات پاك (٢٣٧، ٢٣٨).

(٤) سورة هود: الآيتان ١٥، ١٦.

(٥) انظر حيات پاك (٢٣٨، ٢٣٩).

(٦) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٧، ١٨).

٥ ـ التوكل على الله:

من الأمور التي أوجبها المتمهدي على أتباعه «التوكل على الله»، وذلك بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١]. فيجب على كل واحد أن يتوكل على الله ـ تعالى ـ في كل شأن من شؤونه، واعتبر «التوكل» لازم ترك الدنيا.

وكان المهدويون في الدور الأول من أصحاب المهدي وأتباعه(؟) قد حققوا معنى التوكل، ولهذا لم يكونوا يحملون معهم أي شيء من أسباب المعيشة في تنقلاتهم ورحلاتهم، وكان شعارهم «يوم جديد رزق جديد»[٢].

يقول المتمهدي: «يجب على المتوكل أن يأكل ما رزقه الله ـ تعالى ـ ولا يدخر شيئاً»[٣].

٦ ـ العزلة عن الخلق:

المقصود من العزلة الابتعاد عن هؤلاء الناس الذين مالت قلوبهم إلى غير الله ـ تعالى ـ واتخذوا الدين لعباً ولهواً. والعزلة لازم «صحبة الصادقين»؛ لأن صحبة الصادقين تلزم الابتعاد عن صحبة غير الصادقين.

وألزم المتمهدي أتباعه هذه العزلة بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾[٤]. ولما استأذن من المتمهدي أحد أتباعه في أن يقضي حياته كلها في العزلة عن الخلق، فقال: «أن تكون في مكان حيث لا تسمع أحداً، ولا يسمعك أحدٌ».

فاستنبط المهدويون من كلام إمامهم أن المقصود من العزلة الابتعاد عن صحبة غير الصادقين الذين هم غير المشائخ المهدوية[٥].

٧ ـ الرؤية:

المقصود من الرؤية، رؤية الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الدنيا بعين

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٢) انظر: حيات پاك (٢٣٩، ٢٤٠).
(٣) نفس المصدر (٢٤٨).
(٤) سورة المزمل: الآية ٨.
(٥) انظر: حيات پاك (٢٤٠، ٢٤١).

الرأس، وهذه أعلى درجات الرؤية، وإن لم يكن يراه بعين الرأس فبعين القلب، أو في المنام وهو أدنى درجات الرؤية. وتعد الأصول الستة المذكورة بمثابة الإعداد للفوز بهذه الدرجة[١].

ومسألة الرؤية من أهم المسائل التي شغلت بال المتمهدي طوال حياته المهدية يدافع عنها بقوة، ويؤكد على أن الرؤية فريضة لكل مسلم ويوصي أتباعه قبل وفاته بأن الرؤية أصل أصول دعوته[٢].

وقد جاء في مناظرة علماء «الفتن» للمتمهدي حول ادعاءاته لما وُجِّه إليه السؤال:

ـ أنت تدعي أن الإنسان يرى الله ـ تعالى ـ بعين رأسه؟.

ـ فرد عليهم قائلاً: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾[٣].

ـ قال العلماء: اتفق أهل السنة والجماعة على أن الرؤية تقع في الآخرة وليس في الدنيا.

ـ فقال المتمهدي: «إن وعد الله مطلق، وأنا أذهب إلى إطلاقه لا أقيده بالآخرة». وأضاف قائلاً: «لم يثبت عن أهل السنة أنهم أحالوا الرؤية في الدنيا، وكلامهم يحتاج إلى تفهم»[٤].

أثناء وجود المتمهدي في منطقة «فراه» احتج عليه بعض العلماء بقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾[٥].

وقالوا: لا يمكن للعيون رؤيته ـ تعالى ـ في هذه الدنيا.

ـ فقال المتمهدي: معنى الآية؛ أن العيون المجردة لا تشاهد الله ـ تعالى ـ في الدنيا، ولكن العيون التي أعطاها الله ـ تعالى ـ قوة الإدراك تشاهده[٦].

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٣٨).
(٢) انظر: حيات پاك (٢١٣).
(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٢.
(٤) انظر: حيات پاك (١٦٦، ١٦٧).
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٦) المصدر السابق (٢٠٠).

ولما سأله وفد من علماء «خراسان»:

- هل رأى أحد الله - سبحانه وتعالى - في الدنيا ومن يشهد لذلك.

- فقال المتمهدي: محمد رسول الله ﷺ وإبراهيم عليه السلام من الشاهدين على ذلك؛ لأنهما رأيا الله - تعالى - في هذه الدنيا وهما الآن واقفان عن يميني ويساري، فاسألوهما، وأنا أيضاً من الشاهدين[1].

ولهذا نرى الدعاة المهدويين يخصصون حيزاً كبيراً من مؤلفاتهم لبيان هذه المسألة حيث يستدلون عليها بكثير من الأدلة. وكل آية وحديث يستدلون به يحملونه على الرؤية في الدنيا، ويتفننون في وجوه الاستدلال بها. ويشبهون «أهل السنة» المنكرين للرؤية في الدنيا «بالمعتزلة» الذين ينكرون الرؤية في الآخرة، ويؤكدون أن المهدويين حصلت لهم الرؤية في هذه الدنيا بوسيلة المهدي[2].

ومن الأدلة التي يرددونها كثيراً ما يأتي:

١ - قوله - تعالى -: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3].

على أن المراد باللقاء هو الرؤية وجهاً لوجهٍ في الدنيا.

٢ - قوله - تعالى -: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾[4].

٣ - قوله - تعالى -: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾[5].

على أن «البصير» هو الذي يراه في الدنيا، و«الأعمى» لا يراه. ويفهم

---

(١) نفس المصدر السابق (٢٠٤).
(٢) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٥، ١٢٦، ١٢٧).
(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٢.
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٤.

من صيغة الماضي «أبصر» و«عمى» أن الرؤية وعدمها تقع في الدنيا، وليس في الآخرة[1].

كما يستدلون من السنة بقوله ﷺ في حديث جبريل: «أن تعبد الله كأنك تراه»[2].

على أن المراد «بالإحسان» هو العبادة مع الرؤية، والذي يراه في هذه الدنيا، يصل إلى مرتبة المؤمن الكامل، ويحصل له النعيم الكامل في الآخرة، والعكس بالعكس[3].

ثانياً: الأعمال الستة:

وهي كالآتي:

١ ـ العشر:

المقصود من العشر هو إخراج عشر ما يملكه المهدوي في سبيل الله سواء أكان كثيراً أم قليلاً، وسواء أكان من المكتسبات، أم من الموهوبات، أم من المزروعات.

يقول المهدويون: إن إخراج العشر في أيام الرسول ﷺ كان عملاً اختيارياً، وجاءت فرضيته عن طريق المهدي «السيد محمد الجونبوري» بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[4].

وقال المتمهدي: «أخرجوا العشر مما رزقكم الله كثيراً كان أو قليلاً»[5].

---

(١) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٣ ـ ١٢٦).

(٢) جزء من حديث عمر بن الخطاب ﷺ رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١/٣٦، برقم: ١).

(٣) انظر: ختم الهدى سبل السواء (١٢٣ ـ ١٢٦).

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٦٧.

(٥) انظر: حيات پاك (٢٤٢).

٢ ـ السوية:

المقصود «بالسوية» تقسيم الأموال متساوية بين أصحاب المهدي، وكان المتمهدي ـ كما يزعم المهدويون ـ يقسم كل شيء يأتيه من الناس على السوية بين أصحابه حتى إذا جاءه شيء مطبوخ فلا يعطى منه لقمة للأطفال إلا بعد التقسيم على الجميع بالسوية. وأثناء وجوده في منطقة «فراه» أهدى أحد الناس قطوفاً من العنب فتناول أحد أصحابه عنبةً، فناولها طفلاً له، ولكن المتمهدي أمر بإخراجها من فم الطفل؛ لأنها لم تقسم بالسوية. ويستدلون على هذا التقسيم بما جاء في الحديث في وصف المهدي: «يقسم المال صِحَاحاً قيل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس»[(١)][(٢)].

٣ ـ النوبة:

قد تقدم في المصطلحات «المهدوية» أن المراد بالنوبة هي النوبة الليلية لإحيائها بالذكر، ويعمل بهذه النوبة في «الدوائر» ـ الخلوات المهدوية ـ حتى لا يمر جزء من أجزاء الليل بدون ذكر حيث يتوزع المرابطون في «الدائرة» إلى ثلاث مجموعات ويُقَسَّمُ الليلُ إلى ثلاثة أجزاء، وكل مجموعة تتولى إحياء جزء منها، ويستمر هذا العمل إلى صلاة الفجر.

وكان في زمن المهدي يتولى أحد أصحابه يدعى «إله داد حميد» إيقاظ كل مجموعة، وينادي كل فرد باسمه، وبعد مضي فترة من الزمن جاءه الإلهام(؟) بأن ينبه الراقدين بالكلمات الآتية: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله إلهنا، محمد نبينا، القرآن والمهدي إمامنا، آمنا وصدقنا». فلما عرض المذكور هذه الكلمات الإلهية(؟) على المهدي استحسنها وأمر بإلقائها لإيقاظ أصحاب النوبة. ويستمر العمل على هذا حتى هذه الأيام[(٣)].

٤ ـ الإجماع:

المقصود من الإجماع «العمل الجماعي»، كان المتمهدي في رحلاته

---

(١) تقدم تخريجه في (ص٢٤٨).
(٢) انظر: حيات پاك (٢٤٢، ٢٤٣).
(٣) انظر: حيات پاك (٢٤٣، ٢٤٤).

وتنقلاته إذا نزل في مكان، وأراد القيام فيه يندب أتباعه «للإجماع» - أي العمل الجماعي - فيقوم الجميع بإعداد «الدائرة» و«عبادت خانه» - أي بيت العبادة - وهو المسجد، وأماكن لنزول زوجات المتمهدي - وكان يغضب كثيراً على من لا يشترك في هذا «الإجماع»[1].

٥ - تحية الوضوء:

دعا المتمهدي أتباعه أن يصلوا ركعتين بعد كل وضوء، ويدعوا خفيةً وهم ساجدون، بدليل قوله - تعالى -: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[2][3].

٦ - سلام الوداع:

يذكر الدعاة المهدويون أن الرسول ﷺ لما كان يقوم بعد صلاة العشاء، لينصرف إلى بيته يقف أصحابه حواليه صفوفاً، فيودعهم رسول الله ﷺ بقوله: «السلام عليكم». واتباعاً لهذه السنة كان المتمهدي إذا قام بعد صلاة العشاء لينصرف إلى بيته، كان الأصحاب والمهاجرون يقفون صفوفاً حواليه فيودعهم بقوله: «السلام عليكم» وما زال المهدويون يعملون بهذه البدعة إلى يومنا هذا[4].

هذه الأعمال الستة ليست متساوية في الدرجة، بل بعضها أكثر أهمية من البعض، إذ أن بعضها أوجبه المتمهدي مثل العشر، والبعض الآخر رغب فيه وحبَّذه، ولهذا يسمونها «بالفروع» أيضاً.

ب - أشهر الدعاة:

تمكنت الحركة «المهدوية» من جلب دعاة أكفاء كثيرين إلى صفوفها، لعبوا دوراً هاماً في نشر مبادئ هذه الحركة في ربوع بلاد «الهند»، ونجحوا في استقطاب كثير من الحكام والمحكومين إلى هذه الفرقة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «أنجبت هذه الحركة رجالاً أقوياء

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٤٤).
(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٥.
(٣) انظر: حيات پاك (٢٤٥).
(٤) نفس المصدر (٢٤٦).

مخلصين يستميتون في الدعوة، ويجاهدون في سبيلها، ولا يخافون سلطة وسطوة، ويقومون بواجب «كلمة حق عند سلطان جائر» ـ على حد زعمهم ـ بشجاعة نادرة، وجرأة خارقة، يتحملون مشاق التعذيب والإيذاء الشديد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد وهبوا نفوسهم ومهجهم في هذا الطريق راضين مسرورين، لا يقف الإنسان على هذه البطولات، والمواقف الجريئة إلا بإعجاب وإكبار وانفعال، ويضطر إلى أن يعترف بتأثير تربية «السيد محمد الجونبوري» وصحبته»[1].

وأنا أكتفي هنا بذكر أشهر الدعاة فقط، الذين كان لهم دور بارز في نشر مبادئ هذه الفرقة، ومنهم:

أولاً: السيد محمود:

هو السيد محمود بن السيد محمد الجونبوري المتمهدي (٠٠٠ ـ ٩١٩هـ).

وهو الابن الأول للمتمهدي، وأول خلفائه الخمسة، وأول اثنى عشر المبشرة، والمهدي الثاني ـ على حد زعمهم ـ ولد ونشأ بمدينة «جونپور» وتعلم على يد أبيه[2].

كان «السيد محمود» من المرافقين لوالده المتمهدي أثناء رحلاته، ومن أوائل من آمن بمهديته في منطقة «دانا پور» ـ المحطة الأولى لرحلات المهدي ـ وزوجته التي رأت الرؤيا وسمعت نداء الغيب حول مهدية زوجها، كانت والدة «السيد محمود» فآمنت هي وولدها بالمهدي، كما تقدم[3].

ولما وصل المتمهدي إلى منطقة «الفتن» سأله ابنه «السيد محمود» أي ترك الدنيا أفضل، تركها وهو لا يملك شيئاً، أم تركها وهو يملك مالاً ومتاعاً؟

---

(١) الإمام السرهندي (٤٧).
(٢) انظر: حيات پاك (٢١٨، ٢١٩).
ـ نزهة الخواطر (٤/٣٤٧، ٣٤٨).
(٣) في المبحث الأول من هذا الفصل.

فقال المهدي: بينهما فرق كبير، والذي يترك الدنيا وهو يملك المال والمتاع أفضل من الذي يتركها وهو لا يملك شيئاً، فاستأذنه - أي السيد محمود - لكسب المال حتى يترك الدنيا على طريقة أفضل فأذن له، وأوصاه ألا ينسى ذكر الله - تعالى - في كل شؤونه[1].

ولما استقر المتمهدي في منطقة «فراه» بعد سفر طويل وعناء شديد كتب إلى ابنه «السيد محمود» للقدوم إليه، وبعد وصول الخطاب توجه فوراً إلى لقاء أبيه[2].

وعندما سمع المتمهدي بقدوم ابنه فرح، وبَشَّرَ أتباعه، أن الابن صار مثل الأب. واستقبله بمزيد من الفرحة والسرور والحفاوة البالغة، وخرج من «الدائرة» على مسافة ستين قدماً لاستقباله، وكان ذلك قبل وفاة المتمهدي بستة أشهر ونصف شهر[3].

ولما أحس المتمهدي بدنو أجله جمع أهل بيته وأتباعه المهاجرين، وأوصى ابنه «السيد محمود» بهم، وقال: «ومن لم يصل منكم إلى درجة الكمال، فسوف يصل إلى هذه الدرجة بصحبة أخيكم «السيد محمود»[4].

تلقيبه بالمهدي الثاني:

بعد وفاة المهدي اجتمع الأصحاب والمهاجرون(؟). واتفق الجميع على تلقيب «السيد محمود» «بالمهدي الثاني» لما وجدوه يشبه في خَلْقه وخُلُقه وأوصافه بوالده المهدي[5].

وبعد وفاة أبيه أقام «السيد محمود» في منطقة «فراه» لمدة سنة كاملة يتعهد أتباعه، ويعلمهم كما يقوم بواجب الدعوة «المهدوية» إلى الناس عامةً، فآمن الكثير «بالمهدوية» على يديه، وبعد مضي سنة على هذه الحال جاءته الإشارة من روح المهدي - على حد زعمه - أن ملكاً جباراً سوف يقدم إليهم فيجب عليهم مغادرة «فراه» والتوجه إلى إقليم «كُجرات» الهندية، حيث

(١) انظر: حيات پاك (١٥٤).
(٢) نفس المصدر (١٨٩).
(٣) نفس المصدر (٢٠٧ - ٢٠٩).
(٤) المصدر نفسه (٢١٣، ٢١٤).
(٥) المصدر نفسه (٢١٥).

تجمع المهدويين ومقرهم الرئيسي، فجمع «السيد محمود» الأصحاب والمهاجرين(؟)، وعرض عليهم الموضوع، وبعد تداول الآراء قرروا مغادرة «فراه» فذهب هو مع أهل بيته ومعظم أتباعه المتمهدي إلى إقليم «كجرات»[(١)]. كما انتشر آخرون في مناطق «بأفغانستان»، وفضّل البعض البقاء في «فراه»[(٢)].

وبعد وصول «السيد محمود» إلى «كجرات» توطن في منطقة «بهلوت» وأصبح مرجعاً لخلفاء وأتباع المتمهدي، وصارت «المهدوية» تنتشر وتتطور بسرعة فائقة. ولما علم حاكم «كجرات» «السلطان محمود بيكره»[(٣)] انحرافات هذه الفرقة وضلالاتها أمر بإلقاء القبض على «السيد محمود» وحبسه في سجن «أحمد آباد»، ووضع على رجليه سلاسل ثقيلة من الحديد، وقضى على هذه الحال واحداً وأربعين يوماً، وتشفع إليه بعض كبار رجالات أهل بيته الذين كانوا على الطريقة المهدوية، فأمر السلطان بالإفراج عنه، ولكن الحديد الثقيل أثر في رجليه حتى أعجزهما؛ مما تسبب في وفاته، وكان ذلك عام (٩١٩هـ)، أي: بعد وفاة والده بتسع سنوات[(٤)].

ثانياً: السيد خُوَنْدَ مِير:

هو السيد خوند مير بن موسى بن جهجو بن سعيد النهروالي الكجراتي (٠٠٠ _ ٩٣٠هـ).

---

(١) يزعم المهدويون أن بعد مغادرة «السيد محمود» منطقة «فراه» متوجهاً إلى «كجرات» وجّه «الشاه إسماعيل الصفوي» - شاه إيران - جيشاً قوامه خمسمائة فارس لنسف قبر «السيد محمد المتمهدي» وأثناء الطريق سلط الله - تعالى - عليهم عاصفة هوجاء أبادت هذه الحملة، فاعتبر الشاه بهذا الحادث، ولم يعد يفكر في مثل هذا الإجراء.
انظر: حيات پاك (٢١٧).

(٢) نفس المصدر (٢١٦).

(٣) هو سيف الدين محمود بن محمد بن أحمد الكجراتي، المشهور بـ «محمود بيكرة» (. . . . _ . . . .).
عرف بالعدل والجهاد، وتنفيذ الشرع. حكم إقليم «كجرات» خمس وخمسين سنة. له مآثر جليلة.
انظر: نزهة الخواطر (٤/٣٤١ _ ٣٤٧).

(٤) انظر: أئمه تلبيس (٢/٤٤، ٤٥).

ثاني خلفاء المتمهدي الخمسة، وثاني اثنى عشر المبشرة، وصديق الولاية، وسيد الشهداء ـ على حد زعمهم، ولد ونشأ في «نهرواله»[1].

يزعم المهدويون أن «السيد خوند مير» كان من سلالة «الإمام موسى الكاظم»، ويلتقي مع نسب «السيد محمد الجونبوري» في البطن العاشر. كان أفراد عائلته يتولون مناصب عالية في حكومة «كجرات» إلا أن «السيد خوند مير» لم يكن يميل إلى هذه المناصب، بل يبحث عن شخص يدله على الحق، ويرشده إلى الصواب. وكان على هذه الحال إذ فوجئ بقدوم المتمهدي في إقليم «كجرات» فاشتاق إلى لقائه، ولما وصل إلى حضرته نظر إليه المتمهدي فخرّ مغشياً عليه، واستغرق في مشاهدة التجليات الألوهية، فرَشَّ عليه المتمهدي فضلة مائه فأفاق، وبايع على يديه، وعلمه «الذكر» على طريقة حفظ الأنفاس، وقرأ عليه الآية الكريمة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[2]. فطرأت عليه حالة مشاهدة الأنوار الإلهية، وتشرف برؤية الله ﷻ ولقبه المتمهدي بـ صديق الولاية[3].

وكان «السيد خوند مير» مرافقاً للمتمهدي في رحلاته وتنقلاته، وبعد وفاته في منطقة «فراه» بأسبوع توجه إلى إقليم «كجرات»، وذلك بإشارة من روح المتمهدي ـ على حد زعمه ـ وبعد استقراره في مدينة «الفتن» شمر عن ساق الجد والاجتهاد في تبليغ الدعوة المهدوية، ونجح في جلب أعداد كبيرة من المسلمين إلى صفوف الفرقة المهدوية، ولما كثُر أتباعه وازدادت شوكته أحس حاكم «الفتن» بالخطر الداهم تجاه «خوند مير» فأمرْ بمغادرة «الفتن» فلجأ إلى أحد أتباعه يدعى بـ ملك پيار ـ كان من الأثرياء ـ في موضع «كهانبيل»[4].

وفي عام (٩٣٠هـ) أعدم حاكم مدينة «أحمد آباد» أحد الدعاة

---

(١) انظر: حيات پاك (٢١٩).
ـ نزهة الخواطر (٤/١٠٥، ١٠٦).
(٢) سورة النور: الآية ٣٥.
(٣) انظر: حيات پاك (١٥٥ ـ ١٥٧).
(٤) انظر: أئمهٴ تلبيس (٢/٤٥).

المهدويين بعد أن أفتى بقتله عدد من العلماء، ولما بلغ هذا الخبر إلى «السيد خوند مير» بعث أربعة فرسان من رجاله لاغتيال هؤلاء العلماء، وقد نَفَّذ الفرسان هذه الاغتيالات، ورجعوا إلى «السيد خوند مير». ولما علم حاكم «كجرات» «السلطان محمود»[1] بهذا الخبر أرسل جيشاً لإخماد فتنة المهدويين، فحاصر الجيش منطقة «كهانبيل» حيث كان مقر إقامة «السيد خوند مير» فخرج ـ أي: خوند مير ـ في ستين فارساً وأربعين راجلاً لمواجهة جيش السلطان، وأمده شرف الدين المهدوي ـ أحد زعماء المهدوية ـ بثمانين فارساً أيضاً. وكانت المعركة شديدة قتل فيها أربعون من المهدويين، فتراجع «خوند مير» مع أتباعه إلى موضع «سدراسن» بعد أن جرح وفقد إحدى عينيه، ولكن جيش السلطان تعقبهم، وتمكن من قتل «السيد خوند مير» وابنه «جلال الدين» في أربعة وخمسين من أتباعه، وتسمى «المهدوية» هذه المعركة بـ معركة بدر الولاية، وتلقب «السيد خوند مير» بـ سيد الشهداء، وتزعم أن الآية الكريمة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2] نزلت في هذا الشأن، والمراد بالأمانة هذه المعركة، كما أن المراد بالإنسان «السيد خوند مير»[3].

ومن مؤلفاته كتاب «بحر الفوائد وأم العقائد» في العقائد المهدوية[4].

ثالثاً: الشيخ علاء البيانوي:

هو علاء بن الحسن المهدوي البيانوي (۰۰۰ ـ ۹۷٥هـ).

أحد كبار الدعاة المشهورين في الفرقة «المهدوية» وزعمائها. كان متفرداً في الذكاء، والفطنة، وسيلان الذهن، وقوة الحافظة.

---

(١) هو السلطان محمود بن عبد اللطيف بن المظفر الكجراتي (... ـ ٩٦١هـ).
كان من خيار سلاطين «كجرات». من أعماله الصالحة الأوقاف الكثيرة على الحرمين الشريفين، قتله أحد رجال حاشيته.
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٣٣٧ ـ ٣٤١).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٣) انظر: أئمه تلبيس (٢/ ٤٥، ٤٦).

(٤) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٠٦).

أصله من إقليم «البنغال» خرج مع أبيه إلى مدينة «بيانه» وسكن هناك، وأخذ العلم عن أبيه وعن عمه «الشيخ نصر الله». كان أبوه من شيوخ الصوفية، وبعد وفاته جلس «علاء» في مجلس أبيه، واشتغل بالإرشاد والتلقين على طريقته[1].

ولما قدم «الشيخ عبد الله النيازي»[2] إلى مدينة «بيانه» وأخذ يدعو إلى «المهدوية» ظل الشيخ «العلاء البيانوي» يراقب أحواله وأعماله عن كثب حتى مالَ إليه، ورغب في طريقته، فترك مشيخة والده، وبايع «الشيخ عبد الله النيازي» على المبادئ «المهدوية»، ولازمه مدةً، وتلقى عنه «الذكر الدائم»، كما أخذ عنه تفسير القرآن الكريم، واشتغل عنده بالرياضة والمجاهدة حتى اشتهر أمره، وعلا صيته، وقصده الناس من أرجاء «الهند»[3].

وبعد أن أعد العدة بدأ يتصدى للدعوة «المهدوية» وأعلن لأتباعه ومريديه السابقين أن الدين والإيمان هو اتباع الفرقة «المهدوية»، وأن المهدي الموعود هو «السيد محمد الجونبوري» وحسب المبادئ «المهدوية» ترك الدنيا، ووزع ما عنده من المال والمتاع على الفقراء والمساكين حتى الكتب الدينية التي ورثها عن الآباء تنازل عنها للفقراء. وخير زوجته بين الطلاق، وبين البقاء معه في حالة الفقر، وترك الدنيا، فاختارت البقاء معه، ووهبت جميع ما تملك من الحلي والمتاع، وخرجت مع زوجها[4].

وكان من أساليب الدعوة عند «الشيخ علاء» أن يقوم بعد كل صلاة، ويقرأ آيات من القرآن الكريم ويفسرها بطريقته الخاصة، فمن يسمعها يعتنق «المهدوية»، ويبايع على يده وينفق عشر ما يملكه في سبيل الله، أو يترك الدنيا، ويتنازل عن جميع ما يملك، ويرافق الشيخ، وكان من نتيجة ذلك أن حصل كثير من الخلاف والشقاق بين أفراد الأسرة الواحدة، فكان الابن يترك أباه، والأخ أخاه، والمرأة زوجها، ويفضلون صحبة الشيخ. وكان ـ أي

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٤/٢٢٧).
(٢) سيأتي الحديث عنه بعد قليل.
(٣) انظر: المصدر السابق (٤/٢٢٨).
(٤) انظر: أتمه تليس (٤/٥٢، ٥٣).

شيخ علاء - إذا جاءه شيء من النذور أو الهدايا - التي يسمونها بالفتوح - يقسمها بين أتباعه بالسوية. وكان أتباعه يحملون معهم السيوف والسنان دائماً، ويتجولون في الأسواق، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بالقهر والقوة[(١)].

ولما اشتهر أمره، وكثر أتباعه أشار عليه شيخه «عبد الله النيازي» بالذهاب إلى «الحجاز» لأداء مناسك الحج حتى لا تكون فتنة في البلاد. فلما أعلن «الشيخ علاء» عن عزمه للسفر إلى «الحجاز» رافقه ثلاثمائة وسبعون أهل بيت، ووصل معهم إلى منطقة «جودهاپور» فرحب حاكم هذه المنطقة «خواص خان» بالشيخ وأكرمه، واعتنق «المهدوية» هو ورجاله، ولكن سرعان ما أدرك بطلان مبادئ هذه الفرقة، والنتائج الوخيمة التي تترتب على اعتناقها، فانقلب رأساً على عقب، ولكن الشيخ «البيانوي» كان ذكياً، تدارك الموقف قبل أن يتفاقم، وقال لمرافقيه أن الأمير «خواص خان» لا يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الوجه المطلوب، فليس من المناسب البقاء هنا، فكَرَّ عائداً إلى مقره الأصلي في «بيانه»[(٢)].

وكان ملك «الهند» في ذلك الوقت «الملك سليم شاه السوري»[(٣)] وقد بلغته أخبار «الشيخ البيانوي» فبعث إليه للتوجه إلى «آغرا» لمقابلته، فلما وصل إليه لم يلتزم بآداب مراسم التحية الملكية من الانحناء وغيره - جرياً على العادة المتبعة في ذلك الوقت - واكتفى بإلقاء السلام فقط. وجمع الملك كبار علماء الدولة لمباحثته حول خروج المهدي، وعقد مجلساً للمناظرة، وذكر العلماء علامات مهدي آخر الزمان، وأفحموه ولما لم يجد

---

(١) انظر: تاريخ فرشته لمحمد بن قاسم فرشته (١/ ٦٥٣، ٦٥٤)، ترجمة: عبد الحي خواجة، شيخ غلام علي ايندڈ سنز، انار كلي، لاهور - پاكستان.

(٢) نفس المصدر (١/ ٦٥٤).

(٣) هو: سليم شاه بن شير شاه السوري (... - ٩٦١هـ).
تولى عرش الهند بعد أبيه عام (٩٥٢هـ)، وحكمها تسع سنوات. وكان على طريقة أبيه في الحكم.
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٢٧، ١٢٨).

ما يرد به عليهم لجأ ـ كعادته ـ إلى تفسير القرآن الكريم، فقرأ آيات من كتاب الله ـ تعالى ـ وشرحها بطريقته الخاصة، وألقى خطاباً أثر في قلب الملك، فقال له الملك: «تب من هذه العقيدة الباطلة أعينك رئيساً لدائرة الحسبة» ولكنه رفض هذا المنصب. وأفتى أحد علماء البلاط ـ وهو «الشيخ عبد الله السلطانبوري مخدوم الملك»[1] بقتله، ولكن الملك لم يعمل بفتواه ونفاه إلى حدود «الدكن» ـ البلاد الجنوبية ـ «للهند»[2].

فحط رحله في منطقة تسمى «بالهندية» فاستقبله حاكمها «الأمير نياز خان» ورحب به، وقام الشيخ بالدعوة المهدوية بين أهالي هذه المنطقة، وتأثر حاكمها بهذه الدعوة، فاعتنقها هو وجيشه وعدد كبير من أهاليها، وقويت شوكته هناك فخاف «الملك سليم شاه» من نفوذه المتزايد بين أمراء الأقاليم وجيوشها فاستدعاه إلى «آغرا» للمرة الثانية، وحاول الملك هذه المرة أيضاً الاستتابة والأخذ بيده إلى طريق الحق، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، وأخيراً بعثه إلى «الشيخ محمد بن طيب الحقاني» في إقليم «بهار» ليباحث معه في مسألة خروج المهدي، وبعد المباحثة أقر «الشيخ الحقاني» ما أفتى به «الشيخ عبد الله السلطانبوري» بإباحة دمه، وكتب بذلك محضراً، وبعثه إلى الملك «سليم شاه» فلما وصل الكتاب إلى الملك، ووصل «الشيخ البيانوي» وقد أصابه الجهد والهزال الشديد من جراء السفر الطويل، كما كان أصابه مرض الطاعون الذي كان قد انتشر في «الهند» في ذلك الوقت، فكان لا يقدر على الكلام، فهمس الملك في أذنه أن يعترف أنه ليس مهدوياً، فيصدر عنه عفواً. ولكنه رفض ذلك، فلما نفد صبر الملك أمر أن يضرب بالسياط، فمات في السوط الثالث، فأمر بربط رجله

---

(١) هو: الشيخ عبد الله بن شمس الدين الأنصاري السلطانپوري، المشهور بمخدوم الملك (... ـ ٩٩٠هـ).
سيأتي المزيد عنه في الفصل السادس من هذا المبحث.
انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٤/ ٢٠٦ ـ ٢٠٨).

(٢) انظر: تاريخ فرشته (١/ ١٥٥).

بقدم الفيل، وطيف به في المعسكر، كما أمر بترك جثته على الأرض بدون دفن[1][2].

وهكذا كانت نهاية هذا الداعية الذي أسهم بدور فعال في نشر مبادئ الفرقة «المهدوية» في ربوع القارة الهندية. ولكن الغريب في الأمر أن شيخه «عبد الله النيازي» الذي كان على قيد الحياة في ذلك الوقت لم يكن قد رجع عن «المهدوية» وتاب منها، وكان يعيش بعيداً عن أنظار الناس تاركاً للدنيا، ومشغولاً بالذكر، والمجاهدة، والرياضة، وبعد أن قتل تلميذه على يد «سليم شاه» على المبادئ «المهدوية» رجع هو عنها وتاب ـ كما سيأتي ـ فياليت تاب في حياة تلميذه «الشيخ بيانوي» فيكون قد تاب هو أيضاً، ولم يهلك مهلك الردي، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

رابعاً: عبد الله النيازي[3]:

هو عبد الله النيازي السرهندي المهدوي (٠٠٠ ـ ١٠٠٠هـ). أحد أشهر الدعاة المهدوية. كان الشيخ «عبد الله النيازي» من «الأفغان»، ومن طائفة

---

(١) تقول الرواية الأخرى أن «الشيخ البيانوي» لما وصل في إقليم «بهار» لقي «الشيخ الحقاني» في منزله، وبينما هو كذلك، إذ سمع صوت الغناء من بيت الشيخ فأنكره «البيانوي» واعتذر إليه «الحقاني» وكتب إلى الملك «سليم شاه» أن مسألة خروج المهدي، ليست مما يدور عليه الكفر والإيمان، وهناك اختلاف كثير حول تحديد علامات مهدي آخر الزمان فلا ينبغي أن يكفر بها أحد المسلمين، وأن الكتب المتعلقة بهذه المسألة لا توجد في هذه البلاد، ولذلك لا أقدر على دفع شبهاته.

فلما رأى أبناء «الشيخ الحقاني» أن «الشيخ عبد الله السلطانبوري» ـ الذي أصدر فتوى بإباحة دمه ـ لا يعجبه هذا الكتاب، بدلوه، وكتبوا من عند أنفسهم إلى «الملك سليم شاه» أن «مخدوم الملك عبد الله السلطانبوري» يعد من كبار العلماء المحققين، وهو موجود عندكم، فارجعوا إليه في هذه المسألة، وبعثوا به إلى الملك، فلما وصله الكتاب سلّمه إلى «الشيخ السلطانبوري»: فأمر بضرب السياط... القصة.

انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٢٢٩).

(٢) انظر: تاريخ فرشته (١/ ٦٥٥، ٦٥٦).

(٣) كان من الممكن أن يتقدم الحديث عن «النيازي» قبل البيانوي». وإنما رأيت تأخيره؛ لأن «النيازي» توفي بعد تلميذه «البيانوي».

«نيازي» وأحد شيوخ الصوفية المشهورين في «الهند»، إذ كان يقصده الناس من كل حدب وصوب. وكان قد ذهب إلى «الحجاز» لأداء مناسك الحج، وفي طريق عودته تلقفه أحد خلفاء «السيد محمد الجونبوري المتمهدي»، وشرح له مبادئ الدعوة المهدوية، ولما أن الشيخ كان يفضل حياة الزهد والتقشف من البداية، فسرعان ما استجاب لهذه الدعوة، وارتمى في أحضانها، وأصبح من دعاتها وحماتها. وحسب الأصول المهدوية ترك الدنيا، وذهب إلى مدينة «بيانه» في منطقة «جے پور» وحط رحله خارج المدينة في بستان خرب، وأخذ يعيش عيش الفقراء والمساكين، ويدعو الناس إلى المبادئ «المهدوية».

كان من أساليب دعوته أن كان يعبئ جرات الماء بنفسه من الآبار، ويمر بها على الحطابين، والعمال ويسقيهم. وإذا رأى شيخاً مسناً يحمل حزمة حطب أو شيئاً ثقيلاً يأخذ منه خزمته، ويمشي معه إلى أميال. وإذا حضر وقت الصلاة يجمع الحطابين والحمالين والسقائين والعمال ويحثهم على أداء الصلوات معه بالجماعة. وإذا رأى أحداً لا يستطيع أن يحضر للصلاة من أجل عمله، يهبه ما يملكه من المال، ويدعوه لأداء الصلوات مع الجماعة عنده. وكان من نتيجة ذلك أن قَبِلَ عدد كبير من المسلمين مبادئ «المهدوية» وفي مقدمتهم الشيخ «علاء بن الحسن البيانوي» ـ وقد تقدم الحديث عنه[1].

كان «الملك سليم شاه» شديداً على «النيازيين» وكان قد خرج لإخماد فتنتهم في إقليم «البنجاب» فلما وصل على مقربة من منطقة «بيانه» أشار عليه رجال حاشيته أن «الشيخ عبد الله النيازي» المهدوي ـ المقيم حالياً في منطقة «بيانه» ـ بصفته شيخاً «لعلاء البيانوي» وزعيماً للمهدويين والنيازيين، يشكل خطراً على الدولة، فيجب التخلص منه، فأرسل «الملك سليم شاه» إلى

(١) انظر: تذكرة لأبي الكلام آزاد (٦٢، ٦٣).
ـ نزهة الخواطر (٤/٢١٢، ٢١٣).

حاكم «بيانه» لإحضار «الشيخ النيازي» إليه، وكان حاكمها أيضاً على الطريقة «المهدوية» مريداً له، فحاول أن ينقذ الشيخ من غضبة الملك، وعرض عليه أن يخرج خفيةً إلى إحدى المناطق النائية؛ ليتمكن من الاعتذار إلى الملك بأن الشيخ قد اختفى، ولكن الشيخ لم يرحب بهذه الفكرة، وأبدى استعداده للمثول أمام الملك، وقال: «وليكن ما يكون ليس لأحد أن يفر من القدر وقدر الله في الحال والمستقبل واحد، فلا فائدة في الهروب»[1].

وخرج الحاكم مع الشيخ متوجهاً إلى الملك لينقذه إن أمكن الإنقاذ من غضبته، وكان الملك قد أقام على مسافة عشرة أميال ليواصل المسير إلى إقليم «البنجاب»، فوصل «الشيخ النيازي» في الصباح الباكر إلى معكسر الملك، وكان قد ركب، فوقف الشيخ أمام موكبه وسلم عليه قائلاً: «السلام عليك» ولم يلتزم بآداب التحية الملكية من الانحناء وغيره، فأغضب ذلك الملك، ولكن الحاكم الذي كان يرافق الشيخ لإنقاذ حياته أخذ عنقه، وأخضعه أمام الملك، وقال: «هكذا يسلم على الملك»؟ ولكن الشيخ رفض هذه الهيئة وقال: «الطريقة المسنونة للسلام هي التي قمت بها، ولا أعرف غيرها» فاستشاط الملك غيظاً وأشار إلى الحرس لتأديبه، فانهال عليه العسكر بالضرب، وكان يردد الآية الكريمة: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2]. فسأل الملك أحد علماء بلاطه ماذا يقول الشيخ؟. فأجاب: يقول الشيخ: «إننا كفار» فزاد ذلك في غضبه وأمر العسكر بمعاودة الضرب حتى أغمي عليه، فتركه الملك على هذه الحال وتحرك صوب «البنجاب» فجاء بعض الناس وحملوه[3].

وفي هذه الأثناء أخذت حكومة «السوريين» في الانحسار، وبدأ صبح الدولة المغولية يشرق من جديد؛ إذ رجع الملك المخلوع «همايون»[4] بن

---

(١) انظر: أثمه تلبيس (٢/ ٤٩، ٥٠).
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.
(٣) انظر: أثمه تلبيس (٢/ ٥١).
(٤) هو: همايون بن بابر بن عمر المغولي (٩١٣هـ - ٩٦٣هـ).
تولى مملكة الهند بعد وفاة أبيه «بابر» وفي أيامه قويت شوكة «شير شاه السوري». ولم =

بابر المغولي» من «إيران» وأعاد الكرة على «الهند»، واحتل «قندهار» و«كابل»، ثم استعاد مملكة «الهند» بكاملها، وبهذا زالت دولة السوريين عن «الهند»، وتأسست دولة المغول من جديد، وفي هذه الفترة ـ وهي فترة التقلبات السياسية ـ كانت بالنسبة «للشيخ النيازي» فترة نقاهة من الوعكة الصحية التي أصابته من جراء الضرب المبرح الذي نزل به على أيدي العسكر للملك «سليم شاه».

كما كانت فترة استبصار واستبيان ومراجعة شاملة لمواقفه واختياراته، فكان ينتقل من مكان إلى مكان ومن مدينة إلى أخرى، يقابل الناس، ويباحث معهم حتى انشكفت الغمة عن عيونه، وزالت الشبهات التي علقت بقلبه فتاب عن «المهدوية» وأناب إلى طريق الحق، فكانت «المهدوية» وكأنها سحابة صيف انقشعت ولو بعد حين[1].

فيا ليت الشيخ تاب وأناب في حياة تلميذه «الشيخ علاء بن حسن البيانوي» ـ الذي هز «الهند بشخصيته الفذة هزاً عنيفاً وضحى بكل شيء في سبيل «المهدوية» حتى مات شر ميتة ـ فيكون هو الآخر قد تاب أيضاً.

وقضى «الشيخ النيازي» بقية حياته في الفقر والعوز رافضاً هبات الملوك ومنحهم. وكان يعكف على دراسة كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي.

من أشهر مؤلفاته: «القربة إلى الله وإلى النبي ﷺ و«مرآة الصفا» و«الصراط المستقيم».

توفي في «سرهند»، وله تسعون سنة[2].

وما عدا هؤلاء كان هناك دعاةٌ آخرين كثيرين قاموا بهذه الدعوة بعد وفاة المتمهدي خاصة خلفاءه وأصحابه(؟). وفي مقدمتهم «شاه نعمت» و«شاه نظام الدين» و«شاه دلاور» و«ملك برهان الدين» وغيرهم، إلا أن كتب التاريخ والتراجم لم تذكر شيئاً عن حياتهم.

= يتمكن «همايون» الصمود أمامه، فلجأ إلى «إيران» واستنجد «بالشاه طهماسب» وأعاد الكرة على «الهند» واستعادها. توفي بالوقوع عن مدرجة مكتبته التي كان يطالع فيها.
انظر: ترجمته في: نزهة الخواطر (٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٢).

(١) انظر: أئمه تلبيس (٢/ ٥١). (٢) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٢١٣).

المبحث الثالث

آثارها

خلفت الحركة «المهدوية» آثاراً سيئة ظلت شبه القارة الهندية تعاني منها حتى هذه الأيام، وذلك على الدين والمجتمع على السواء.

ويمكن تلخيص تلك الآثار في الأمور الآتية:

أولاً: التشويش والمغالطة في عقيدة المهدي:

استغل «السيد محمد الجونبوري» عقيدة ظهور المهدي في آخر الزمان شر استغلال للتشويش والمغالطة، وادعى أنه هو المهدي الموعود، واستدل على ذلك ـ على حد زعمه ـ بكثير من الآيات القرآنية بعد تحريف معانيها، وحملها على غير محاملها. وهكذا بالأحاديث النبوية وتأويلها تأويلاً بعيداً لا تستسيغها العقول.

مستعيناً في ذلك بقوة شخصيته، وسرعة تأثيره في الناس، وملكته الخطابية، وقدرته على الجدل، وجرأته في الدعوة، وسلوكه سلوك الزاهدين، استغل ذلك كله بقوة في التأثير على الناس، وكسب الدعاة والمريدين، وإرغامهم على الاعتقاد بأنه المهدي الموعود.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

«وكانت حياته حياة زهد وتجرد، واستغناء، وانقطاع كامل إلى الله ـ تعالى ـ، وكان الناس يشاهدون منه ـ سفراً كان أو حضراً ـ مظاهر الزهد والإيثار، والذكر والعبادة، يوزع الطعام على الناس بالسوية من غير تمييز

بين غني وفقير، وأهله وأفراد أسرته لا يمتازون عن الناس في شيء. فكان هذا الجو الإيماني يؤثر على جميع الوافدين، فلا يرجعون من عنده إلا معجبين به، مأخوذين بتأثيره»[١].

ولهذا نرى كثيراً من العلماء والمؤرخين يشيدون بمواقفه، ويذكرونه بالثناء العطر لما قام به هو وأتباعه من أعمال جليلة ضد سيل الإلحاد والزندقة، وأعمال الشرك، والبدعة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر عند الملوك والسلاطين، وذوي النفوذ، غير مبالين بما يلقون في سبيل ذلك من المعاناة والأذى، ويُعذرونه في ادعاءاته[٢][٣].

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٤٧). (٢) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٣٢٣، ٣٢٤).

(٣) هذا مولانا أبو الكلام آزاد (١٨٨٨م ـ ١٩٥٨م) يكيل المدح لهم ويثني عليهم يبلغ حد الإطراء، ويعتبرهم مصداق قوله ـ تعالى ـ: ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾ [سورة المائدة: الآية ٥٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود**﴾ [سورة الفتح: الآية ٢٩].

ويصم العلماء الذين قاموا ضدهم بعلماء الدنيا وعبيدها، وفقهاء السوء، ويهود هذه الأمة، ويفصل الكلام في بيان مناقب الدعاة المهدويين وأعمالهم الجليلة يبلغ إلى حد الإطناب، ثم ذهب يعذر المتمهدي في عقائده وأقواله، ويقول: بأنها جاءت إما عن غلو معتقديه، وإما صدرت عنه في حال «السكر» و«الاستغراق» و«غلبة الأحوال» فهي إذاً تغتفر. انظر: تذكرة (٤٦ ـ ٧٣).

إن الذين أشادوا بمواقف المتمهدي وأتباعه، وعذروهم في ادعاءاتهم المخالفة للعقيدة الإسلامية، إذا لاحظ الباحث في جذور التماس هذا العذر يجد أن القوم ـ مع اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم ـ يصدرون عن مصدر واحد، وهو «الفكر الصوفي»، فتغلغل الفكر الصوفي في نفوسهم جعلهم يلتمسون الأعذار للموبقات التي أقدم عليها المتمهدي وأتباعه. فشيوخ الصوفية يأتون بشطحات فتغتفر، وينطقون بكلمات فتؤول، ويدَّعُون حالات فتفسَّر، فلماذا لا يعذر هذا الشيخ وأتباعه، وقد أتوا بما لم يأت به الأوائل من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وصدع كلمة الحق عند السلطان الجائر. فهم وقعوا في نفس المحظور الذي أهلك هؤلاء أدعياء الإصلاح والتجديد.

وقد ذكر الأستاذ أبو القاسم دلاوري: أن «مرزا محمود» ـ خليفة «القادياني» ـ ألقى محاضرة في الكلية الإسلامية في «لاهور» في عام (١٩٢٧م) واختار موضوع المحاضرة «سنة السواك»، وأطال الكلام في فضله، وتفلسف في بيان فوائده. وقال ـ أي دلاوري ـ: «لما سمعت هذا الكلام غلبني الضحك وقلت: هل الضفدع أصابه الزكام؟ ـ مثل =

يقول العلامة مسعود عالم الندوي:

«فلا نعرف رجلاً من بين العلماء، تصدى لمقاومة تيار الزندقة والإلحاد، وانبرى لمقارعة فتن البدع، وتتبع الشهوات والأهواء غير «السيد محمد المهدي الجونبوري» الذي ادعى أنه مهدي آخر الزمان، فالتبس أمره على الناس، وأصبح العلماء والمؤرخون من معاصريه، والذين جاؤوا من بعده في شأنه على قسمين بين مادح وقادح، قسم يتجنب الحكم والقطع بشيء في شأنه، ويفوض أمره إلى الله ـ تعالى ـ؛ وذلك لما جاء به وأتباعه من مساع جليلة، وجهود مثمرة متتابعة لإصلاح ما فسد من تعاليم الدين، ومقاومة ما فشا في المسلمين من التهافت على البدع والمنكرات.

وذلك في عصر اتسع فيه الخرق على الراقع، وجاوز السيل الزبى، وبلغ اضطهاد الملوك مبلغاً تقشعرُ لهوله الجلود، وتزل فيه أقدام الرجال.

= يضرب للإعراب عن الشيء الغريب؛ لأن الضفدع عادةً يعيش في الماء فلا يعقل إصابته بالزكام ـ هذا الرجل ـ أي خليفة القادياني ـ وأتباعه معدن الكفريات ومنبعها، جعل «سنة السواك» ستاراً ليتظاهر بالتقوى فما هذه إلا حركة مضحكة».

انظر: أئمه تلبيس (٢/ ٤٤).

وهكذا كان المتمهدي وأتباعه، فقد غيروا الدين وبدلوه ثم تباكوا على الإصلاح والتجديد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصدع كلمة الحق... وما قيل عن غير ذلك.

وأما وصمة العلماء ـ الذين قاموا ضد المهدوية ـ أنهم علماء سوء، وعبيد الدنيا، والمتملقون لدى السلاطين. فلا شك أن في ذلك الوقت كان يوجد بعض علماء السوء يتملقون الملوك والسلاطين، ولكن كون بعض العلماء على هذه الحالة لا يلزم منه أن يكون كل ما يقول هؤلاء العلماء باطلاً.

ثم إن هناك علماء آخرين، شهد الناس لهم بالسلوك الطيب والتدين الصحيح، ولم يكونوا يتملقون سلطاناً، أو ملكاً، أو حاكماً. هؤلاء العلماء أيضاً قد أفتوا ببطلان عقائد هذه الفرقة واعتبروها خارجة على الإسلام، واستباحوا دماء دعاتها وأتباعها باعتبارهم مرتدين عن الإسلام إن لم يتوبوا. وألفوا مؤلفات في الرد عليها، وفي مقدمتهم «الحافظ ابن حجر الهيتمي المكي، وفقهاء مكة في عصره، والشيخ علي المتقي الهندي، والشيخ محمد طاهر الفتني»، وغيرهم كثير.

فتلك حجتهم داحضة، ورأيهم سقيم.

وقسم لم يتحرج في تكفير «السيد محمد» وأتباعه، ولم يدخر وسعاً في استئصال شأفتهم»[1].

وهذا «الشيخ علي المتقي الهندي»[2] من كبار علماء الحديث في القرن العاشر الهجري يتحير في شأن «السيد محمد الجونبوري» ويميل إليه، ولما وصل إلى «مكة المكرمة» بحث مع علمائها وتبين له الحق فنذر نفسه للرد على هذه الفرقة[3].

فدعوى «السيد محمد الجونبوري» المهدية أحدثت بلبلةً في عقيدة ظهور المهدي في آخر الزمان، فكثير من الناس اعتقدوا أنه المهدي، ولا مهدي بعده. وذهب آخرون إلى إشادة مواقفه وتمجيد خطواته مع عذره لما صدر منه من ادعاء للمهدية، وعقائد وأعمال تنافي العقيدة الإسلامية، وفريق ثالث يكفره هو وأتباعه لمخالفته الصريحة للكتاب والسنة.

ثانياً: تكفير المسلمين:

من أهم آثار هذه الحركة الضالة أيضاً تكفير من لا يؤمن بالمهدي المزعوم، وقد تقدم في المبحث السابق قول المتمهدي ودعاة «المهدوية» أن من لا يؤمن بالمهدي فهو كافر.

وقد نقل عنهم هذا الحكم كبار علماء القرن العاشر الهجري في بلاد القارة الهندية هذا المحدث الشهير «الملا علي القاري» يقول عنهم:

«وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة تسمى المهدوية، ولهم رياضات

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٥٣، ٥٤).

(٢) سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٣) ذكر الدكتور طارق أبو معاذ أن «الشيخ علي المتقي» حسب بعض الروايات كان قد اعتنق المهدوية، ولما وصل إلى «مكة المكرمة» بحث مع علمائها «مسألة خروج المهدي» حتى تبين له الحق، فشمر عن ساق الجد والاجتهاد للرد على هذه الفرقة.
انظر: مقال: مهدويت اور ذكري فرقه (الفرقة المهدوية والذكرية)، الحلقة الثانية في مجلة «صراط مستقيم» الشهرية عدد محرم لعام (١٤١٤هـ)، الصادرة من برمنغهام البريطانية.

عملية، وكشوفات سفلية، وجهالات ظاهرية، من جملتها: «أنهم يعتقدون أن المهدي الموعود الذي ظهر، ومات ودفن في بلاد «خراسان» وليس يظهر غيره مهدي في الوجود. ومن ضلالتهم أنهم يعتقدون أن من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر»[1].

وكان من نتيجة هذا التكفير استخدام العنف، والعمل بالاغتيالات ضد من يسمونهم بـ أعداء المهدوية. وكان المهدويون عبر التاريخ إذا غلبت شوكتهم في بلد ما، وزادت قوتهم، لا يتحرجون في قتل مخالفيهم بعد تكفيرهم، كما حدث في إقليم «كُجرات» بعد وفاة المتمهدي حيث رحل عدد كبير من الدعاة المهدويين من منطقة «فراه» إلى إقليم «كجرات»، فالتف حولهم المهدويون، فجعلوا ينشرون الدعوة «المهدوية» فقبلها كثير من العوام والجهلة وعسكر السلطان، فقويت شوكتهم، وبدأوا يستعملون القوة في إرغام الناس على قبول «المهدوية»، ومن يرفض ذلك فالموت مصيره، وإذا قتل منهم أحد يعتبرونه «أعظم الشهداء»، وقد ضحى بنفسه من أجل إصلاح الأمة حتى كثرت الاغتيالات، وعمت الفتن، وانتشر الفساد فاضطر السلطان «محمود بن لطيف» أن يطردهم ويحظر على نشاطاتهم، وذلك عام (٩٤٤هـ). ولكنهم لما توفي «السلطان محمود» وتولى «السلطان مظفر» حكم البلاد أعادوا الكرة من جديد[2].

وهكذا كان ديدنهم عبر التاريخ إثارة الفتن، وإحداث الفوضى، وإشاعة القلاقل، واستعمال السلاح لفرض آرائهم عن طريق القوة، والقيام بالاغتيالات للتخلص من مخالفيهم بعد تكفيرهم خاصة العلماء منهم[3]، يقول «الشيخ علي المتقي الهندي»:

---

(١) انظر: المرقاة شرح المشكاة (١٠/ ١٧٩)، مكتبة إمدادية، ملتان ـ باكستان.

(٢) انظر: تذكرة الشيخ محمد بن طاهر الفتني (٦٠، ٦١).

(٣) وقد حدثت كثير من الأحداث والحروب بين المهدويين ومخالفيهم من المسلمين سواء كانت في الأقاليم الجنوبية والغربية للهند التي كانت تتمتع بالاستقلال أو البلاد التي كانت تحت الحكومة المركزية في «دهلي».
انظر: تفاصيل هذه الأحداث في تذكرة «الشيخ محمد بن طاهر الفتني» (٦١ ـ ٧٥).

«وكفى دليلاً على بطلان اعتقاد هذه الطائفة قتلهم العلماء، فإن خصلتهم هذه تدل على عدم الدليل على اعتقادهم وعجزهم عن إثبات معتقدهم، فهذه الخصلة وحدها تكفي على البطلان»[١].

ولأجل هذا أجد الباحثين والكتاب يشبهون هذه الطائفة بعصابة «الحسن بن الصباح»[٢] الذين اتخذوا القتل والاغتيال وسيلة سياسية ودينية لترسيخ معتقداتهم، ونشر الخوف والذعر في قلوب أعدائهم[٣].

وقد ذهب عدد كبير من الحكام والمحكومين وكبار العلماء ضحايا لهذه الاغتيالات[٤]. ومنهم: «الشيخ محمد بن طاهر الفتني»[٥] و«الشيخ أبو رجاء الشاه جهانبوري»[٦].

---

(١) انظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ل/٢/أ). مخطوط في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم: (٨٧٣).

(٢) هو الحسن بن الصباح بن علي الإسماعيلي (٤٢٨هـ ـ ٥١٨هـ).
داعية شجاع، من كبار أعيان الباطنية، طاف البلاد، دخل مصر، ولقي المستنصر الفاطمي، وصار داعياً له. استولى على قلعة «أَلَمَوت» وكان يقوم باغتيالات مخالفيه.
قال عنه الذهبي: «صاحب الدعوة النزارية، وجَدُّ أصحاب قلعة أَلَمَوت، كان من كبار الزنادقة، ومن دهاة العالم».
انظر: الكامل لابن الأثير (٨/ ٢٠١، ٢٠٢).
ـ ميزان الاعتدال (١/ ٥٠٠).

(٣) انظر: تذكرة الشيخ محمد بن طاهر الفتني (٦٠).
ـ مقال: مهدويت اور ذكري فرقه (الفرقة المهدوية والذكرية)، الحلقة الثانية، في مجلة «صراط مستقيم».

(٤) تقدمت نماذج من هذه الاغتيالات في ترجمة الداعية «خوند مير».

(٥) سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٦) هو: أبو رجاء محمد زمان خان الشاه جهان پوري (١٢٤٢هـ ـ ١٢٩٢هـ).
كان من كبار العلماء في إقليم «حيدرآباد»، وكان من قصته أن ألَّف داعية المهدوي «سيد عيسى» في عام (١٢٨٢هـ) ثلاثة كتب في العقائد المهدوية، وهي: «كشف الجذب» و«الدليل المتين» و«الثلاثية»، كما رد على فتاوى «ابن حجر الهيتمي المكي» بكتاب سماه «شهاب الفتاوى»، ورد أيضاً على فتاوى فقهاء مكة التي صدرت حول الفرقة «المهدوية بكتاب آخر سماه «معارضة الروايات»، ووزعت هذه الكتب في أرجاء الهند، وبعد سنة رفع داعية المهدوي المذكور التماساً في محكمة «حيدرآباد» =

ثالثاً: استنزاف جهود العلماء:

إن ظهور أية فرقة ضالة في الساحة الإسلامية يستدعي انتباه علمائها فيعكفون على دراسة مبادئها وأفكارها، ويردون عليها سواء كان ذلك عن طريق المناظرات الشفوية، أو عن طريق تأليف الكتب والرسائل بالأدلة الدامغة حتى يتبين الحق من الباطل، والهدى من الضلال. وهكذا شغلت أفكار هذه الفرقة أذهان علماء الأمة في هذه البلاد منذ نشأتها، وجعلتهم يدرسونها، ويزنونها بميزان الكتاب والسنة، ويردون عليها في انحرافاتها وضلالاتها. ومن أبرز من رد عليها «الشيخ علي المتقي الهندي»[1]، و«الشيخ محمد بن طاهر الفتني»[1]، و«الشيخ محمد أسعد المكي»[2]، و«أبو رجاء محمد زمان خان الشامجهان بوري»[3] و«الشيخ صديق حسن خان القنوجي»[4] و«الشيخ حبيب الله الرائشوري»[5]، وغيرهم كثير[6].

= باسم رئيس القضاة «دلاور علي خان» قال فيه: «إن هذه الكتب وزعت على علماء البلاد، وانتظرت سنة كاملة فلم يرد عليها أحد، والآن أرفعها إلى حضرتكم للنظر فيها، فإذا كان فيها ما يخالف العقيدة الإسلامية نحن نتوب عنها ونرجع إلى الحق، وإذا كان ما فيها صحيحاً فالرجاء منكم الاعتراف بهذا المذهب والتصديق به، والمساعدة على نشرها، فبعث القاضي هذه الكتب إلى «الشيخ محمد زمان خان الشاهجهان پوري» فحملته الغيرة الدينية في الرد على هذه الكتب، وألف كتابه المشهور «هدية مهدوية»، وبعد نشر هذا الكتاب أعلن داعية المهدوي «سيد عيسى» في أتباعه أن من يقتل «الشيخ محمد زمان خان» فله قصران في الجنة، وأربع نخلات، فاندفع شاب مهدوي لتنفيذ اغتياله، وأخذ يتحين الفرص، وفي يوم من الأيام وجد الشيخ وحيداً في المسجد بين المغرب والعشاء يقرأ القرآن الكريم، فجاء من خلفه، وضربه بالسيف، وهرب، واستشهد الشيخ فوراً ـ رحمه الله رحمة واسعةً ـ.

وهكذا يتخلصون من خصومهم ومخالفيهم الذين يعتبرونهم أعداء «المهدوية».

انظر: تذكره علمائے هند (تذكرة علماء الهند). (٤٣٠ ـ ٤٣٢).

(١) سيأتي التفصيل عنهما في الفصل الثامن ـ إن شاء الله تعالى ـ.

(٢) ألف كتاب «الشهب المحرقة» وهو رد على كتاب «سراج الأبصار» للداعية المهدوي عبد الملك السجاوندي».

(٣) تقدم الحديث عنه قبل قليل.

(٤) في كتاب: «حجج الكرامة في آثار القيامة».

(٥) ألف كتاب: «الشهاب المحرق في الرد على المهدوية».

(٦) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٤).

أضف إلى ذلك الحروب الطاحنة التي نشبت بين «المهدوية» ومخالفيهم من المسلمين، والتي ذهب ضحيتها عدد كبير من المسلمين، كما كلفت جهوداً وأموالاً طائلة كل ذلك استنزافاً لقوى الأمة وإمكاناتها، كان من الممكن أن توجه إلى ميادين أخرى فيها نفع للإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية، ولكنها ضاعت بسبب هذه الفرقة الضالة.



المبحث الرابع

المهدوية في الميزان

عرضت في المباحث الثلاثة السابقة الفرقة «المهدوية» من حيث نشأتها وتاريخها، وعقائدها وأشهر دعاتها، وعن أهم آثارها.

وفي هذا المبحث أعرض عقائدها في ميزان الكتاب والسنة حتى يتبين الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، فأقول وبالله التوفيق.

أولاً: العقيدة المهدية:

وهذه العقيدة هي أساس هذه الفرقة والعمود الفقري لها، وعليها تنبني العقائد والأعمال الأخرى. وكان «السيد محمد الجونبوري» بطل هذه الحركة هو حامل هذه الدعوى، بأنه هو المهدي الموعود في آخر الزمان ـ على حد زعمه ـ.

وإذا نظر الباحث إلى الأدلة الشرعية التي يسوقها المهدويون على لسان مهديهم لإثبات مهديته يجد أنهم يثبتون مهديته بآيات من الكتاب وأحاديث من السنة، مع أن ظهور المهدي لم يثبت من الكتاب، بل ثبت بالسنة فقط، ولكن المتمهدي يتعمد الكذب على الله ـ تعالى ـ في إثبات مهديته بآيات من كتاب الله ـ تعالى ـ بعد تحريف ظاهر لمعانيها، وتحميلها ما لا تحتمل من الإيماءات والتوجيهات. فالآية الأولى مثلاً التي تتردد كثيراً على لسان المتمهدي ودعاته هي قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾[1].

---

(١) سورة هود: الآية ١٧.

أن هذه الآية الكريمة نزلت في شأنه، وأن المراد بـ«من» ذاته، والمراد بـ«بينة» أتباع الولاية المحمدية، و«أولئك» إشارة إلى أمته، ومرجع الضمير «ه» في الموضعين نفسه هو ـ كما تقدم في المبحث الثاني ـ وفي هذا تقوُّل ظاهر على كلام الله ـ تعالى ـ وتحريف واضح لمعانيه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

«يخبر ـ تعالى ـ عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله التي فطر عليها عباده من الاعتراف له، بأنه لا إله إلا هو، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1] . . . ».

وقوله: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ أي: وجاءه شاهد من الله، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة محمد ﷺ. ولهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، والضحاك، وإبراهيم النخعي، والسدي وغير واحد في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ إنه جبريل عليه السلام.

وعن علي، والحسن، وقتادة: هو محمد ﷺ، وكلاهما قريب في المعنى؛ لأن كلًا من جبريل ومحمد ـ صلوات الله عليهما ـ بلغ رسالة الله ـ تعالى ـ، فجبريل إلى محمد، ومحمد إلى الأمة».

«وقيل: هو علي، وهو ضعيف لا يثبت له قائل، والأول والثاني هو الحق. وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة، والفطرة تصدقها وتؤمن بها. ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ وهو القرآن، بلّغه جبريل إلى النبي ﷺ وبلّغه النبي محمد إلى أمته».

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي: من قبل القرآن

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

كتاب موسى، وهو التوراة، ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ أي: أنزله الله ـ تعالى ـ إلى تلك الأمة إماماً لهم، وقدوةً يقتدون بها، ورحمة من الله بهم. فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾.

ثم قال ـ تعالى ـ متوعداً لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ أي: ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض مشركيهم: أهل الكتاب وغيرهم من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم وأشكالهم وأجناسهم ممن بلغه القرآن...»[1].

فتبين من تفسير الآية المذكورة أنه ليس هناك أية علاقة بين الآية الكريمة، وبين مزاعم المتمهدي بأنها نزلت في شأنه. وأصرح الأدلة على كذبه في تفسير الآيات القرآنية تصريحه أنه يتلقى هذا التفسير من الله ـ سبحانه وتعالى ـ مباشرة بدون واسطة. وهكذا الآيات الأخرى التي يسوقونها في صحة دعوى المتمهدي، هي حجة عليهم، وداءهم في ذلك يكمن في تخويلهم للمتمهدي السلطة المطلقة في تأويل القرآن. كما سيأتي الحديث عنه عند معرض الرد على مكانة المتمهدي.

وكذلك الاستدلال بالحديث الشريف فالقوم لهم شأن آخر في هذا المجال، ولا يخلو تعاملهم بالحديث من أحد أمرين: إما رد الحديث كلياً بحجة أنه لا يوافق أحوال المهدي، أو تأويله.

ومن الأحاديث التي تتردد كثيراً على ألسنة المهدويين لإثبات مهدية «السيد محمد الجونبوري» حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج، فإن فيها خليفة الله المهدي»[2].

يقول «السيد عيسى المهدوي» في وجه الاستدلال بهذا الحديث: «إذا

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٢) تقدم تخرجه.

سمعتم برايات السيادة توجهت تجاه «خراسان» فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي. وحسب هذا الحديث لما سمعنا برايات السيادة توجهت تجاه «خراسان» أتيناها، وكان فيها خليفة الله المهدي، فصدقناه عملاً بما جاء في هذا الحديث. وهناك أحاديث أخرى كثيرة جاءت موافقة لأحوال السيد محمد الجونبوري»[1].

وقد عَدَّد «الشيخ أبو رجاء الشاهجهان بوري» الأخطاء التي وقع فيها داعية المهدوي المذكور وغيره في الاستدلال بهذا الحديث على صحة دعوى «السيد محمد الجونبوري» وهي كالآتي:

١ ـ قوله: «رأيتم» ترجمه بـ«سمعتم» وهو خلاف اللغة.

٢ ـ قوله: «الرايات السود» تركيب توصيفي، جعله تركيب إضافي، وهو خلاف القواعد العربية.

٣ ـ كلمة «السود» جمع «سوداء» وهي صفة «للرايات» جعلها مصدراً بمعنى «السيادة» وهو أيضاً خلاف اللغة.

٤ ـ كلمة «جاءت» من «المجيء» وهو عكس الذهاب فترجمها «بالتوجه» وهو عكس المجيء.

٥ ـ كلمة «من» لابتداء المسافة، وليس لانتهائها فترجمها «تجاه خراسان». أي لانتهاء المسافة، وهو أيضاً خلاف القواعد.

ولعل «السيد محمد الجونبوري» ذهب إلى «خراسان» ليرجع منها إلى «الهند» بالرايات السود حتى ينطبق عليه الحديث المذكور، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يمهله فتوفاه هناك[2].

بالإضافة إلى ما قال «الشيخ أبو رجاء» فإن فيه قوله: «خليفة الله» وهي زيادة منكرة ـ كما تقدم في تخريجه.

---

(١) انظر: معارضة الروايات (ص٤٧)، نقلاً من كتاب هدية مهدوية (ص٥٧).

(٢) انظر: هدية مهدوية (٥٨، ٥٩).

وقال «الشيخ ناصر الدين الألباني»: «ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: فلان خليفة الله، لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله ـ تعالى ـ من النقص والعجز، ونقل كلام «شيخ الإسلام ابن تيمية» في هذا الموضوع ما خلاصته: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين، ليس له شريك ولا ظهير. والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف. وسمي خليفة؛ لأنه خلف عن الغزو، وهو قائم خلفه، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله ـ تعالى ـ، هو منزه عنها، فإنه حي قيوم شهيد لا يموت، ولا يغيب، ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً منه، ولا يقوم مقامه»[١].

ومن الأحاديث التي يستدل بها المهدويون كثيراً حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»[٢].

يقول المهدويون: إن الشق الأول من هذا الحديث ينطبق على «السيد محمد الجونبوري» من ناحيتين:

الأولى: أنه من أهل البيت؛ إذ ينحدر من سلالة «الإمام موسى الكاظم»[٣] ويسوقون نسبه هكذا: «هو السيد محمد المهدي ابن السيد عبد الله ابن السيد عثمان ابن السيد خضر ابن السيد موسى ابن السيد القاسم ابن السيد نجم الدين ابن السيد عبد الله ابن السيد يوسف ابن السيد يحيى ابن السيد جلال الدين ابن السيد إسماعيل ابن السيد نعمت الله ابن الإمام موسى الكاظم».

---

(١) انظر: بتصرف سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/ ١٢٠، ١٢١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) هو: أبو الحسن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (١٢٨هـ ـ ١٨٣هـ).
سابع الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية. كان من سادات بني هاشم، ولد في «الأبواء»، وسكن «المدينة»، أقدمه «المهدي العباسي» إلى «بغداد»، وتوفي هناك سجيناً.
انظر: الأعلام (٧/ ٣٢١).

والثانية: اسمه «محمد»، واسم أبيه «عبد لله»، واسم أمه «آمنة»[1].

فهو إذاً المهدي الموعود الذي جاء خبره في الحديث المذكور.

ويقول العلماء والمحققون أن هذا الادعاء محض افتراء وزور وبهتان. وذلك لأمرين:

الأول: أن المتمهدي ليس من أهل بيت النبي ﷺ، وليس من سلالة «الإمام الكاظم» كما يزعمون، بل هو مقطوع النسب؛ لأن جده الأعلى «السيد نعمت الله» الذي يلتقي به نسبه إلى «الإمام موسى الكاظم» لا وجود له في الواقع، بل هو من إيجاد المهدويين؛ لربط نسبه بأهل البيت. وقد نقل «الشيخ أبو رجاء محمد زمان خان» عن كتب النسب جميع البطون والسلالات التي تنحدر عن «موسى الكاظم» عن طريق أولاده وأولاد أولاده، ولا يوجد فيهم من اسمه «السيد نعمت الله» كما لا يوجد فيهم من لُقِّبَ أو عرف بهذا الاسم[2].

فإيجاد هذا الابن «للإمام موسى الكاظم» لا أساس له من الصحة.

أضف إلى ذلك أن هناك خلافاً بين المهدويين أنفسهم في سوق نسب المتمهدي، فبعضهم يسوقونه حيث يقع المتمهدي في البطن الثاني عشر «للإمام موسى الكاظم» وعند البعض الآخر يكون في البطن الرابع عشر، كما يوجد الخلط في سرد أسماء الأجداد والآباء والأبناء مما يدل على تخبطهم وعدم ضبطهم لهذا النسب[3].

فتبين أن «السيد محمد الجونبوري» لم يثبت نسبه عن طريق «الإمام موسى الكاظم» فليس هو من أهل بيت النبي ﷺ ـ كما يدعون ـ.

---

(١) انظر: هدية مهدوية (٤٨).
ـ حيات پاك (٧٧).
(٢) انظر تفصيل هذا الموضوع في: هدية مهدوية (٤٧ ـ ٥١).
(٣) انظر: حيات پاك (٧٧).
ـ هدية مهدوية (٤٧، ٤٨).

الأمر الثاني: اتفاق العلماء والمؤرخين على أن اسم والد «السيد محمد الجونبوري» لم يكن «عبد الله»، بل كان اسم أبيه «سيد خان»، فبدل المتمهدي هذا الاسم ليوافق اسم المهدي الذي جاء في الحديث[1].

وجاء على لسان المتمهدي أنه لما سئل أن المهدي يكون اسم أبيه «عبد الله» وأنت ابن «سيد خان»؟

فأجاب قائلاً: «أليس الله بقادر على أن يبعث ابن «سيد خان» مهدياً»؟ وجاء في معرض رده على هذا السؤال في موضع آخر: «اسألوا الله لماذا بعث ابن «سيد خان» مهدياً»؟ كما رد على السائلين في موضع ثالث قائلاً: «اذهبوا فقاتلوا الله ـ تعالى ـ لماذا بعث ابن «سيد خان» مهدياً»؟[2].

ولكن المهدويين يفسرون هذه الروايات على أنها جاءت عن المهدي على سبيل الإنكار على السائلين؛ لأن «سيد خان» لقب أبيه «عبد الله» حصل عليه من حكام عصره على الأعمال الجليلة التي قام بها[3].

وذهب البعض إلى أن اسم أبيه «يوسف» فهو «محمد بن يوسف الجونبوري»[4].

وخلاصة الكلام أن العلماء والمؤرخين أجمعوا على أن اسم والد «السيد محمد الجونبوري» لم يكن «عبد الله» وذهب الأكثرون إلى أن اسم أبيه كان «سيد خان»، وذهب البعض إلى أن اسم أبيه كان «يوسف». وعلى أية حال ثبت أن الشق الأول من الحديث لا ينطبق على المتمهدي، فليس هو من أهل بيت الرسول ﷺ، وليس اسم أبيه يواطئ اسم أبيه ﷺ.

---

(١) انظر: أردو دائره معارف إسلامية (٧/ ٥٢١، مادة: الجونبوري).
(٢) انظر: هديه مهدويه (٥٥).
ـ حيات پاك (١٦٣).
(٣) انظر: حيات پاك (٧٧، ١٦٣).
(٤) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٣).
ـ نزهة الخواطر (٤/ ٣٢٢).

وأما الشق الثاني من الحديث: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» فلما كان هذا الشق لا ينطبق على المتمهدي فإنهم يلجئون إلى تأويله بطرق شتى ووجوه كثيرة لا يدل عليها عين ولا أثر[1].

وذكر «الشيخ أبو رجاء محمد زمان الشاه جهان بوري» أن شأن «المهدوية» في التعامل مع نصوص الشريعة شأن الرجل الذي كان يتخلف عن الصلاة، ولما سأله الناس عن سبب ذلك قرأ قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَوٰةَ﴾[2]، فقالوا: اقرأ الذي بعده، فقال: الذي بعده هو القرآن كله، فمن يعمل بالقرآن كله؟.

وهكذا شأن المهدويين لما رأوا أن الشق الأول من الحديث المذكور يتحدث عن أن المهدي يكون من أهل بيته ﷺ، واسمه يوافق اسمه، واسم أبيه اسم أبيه تكون لهم أربعة أعين، ويتسابقون إلى الاستدلال به ـ مع أنه لا يدل على مدلولهم ـ ولما رأوا أن الشق الثاني لا ينطبق على المهدي ـ ولو حسب مزاعمهم ـ يذهبون مذاهب شتى في التأويلات لا يكادون يتفقون على شيء[3].

ومما يدل على جهل المهدويين وقلة بضاعتهم في علم الشريعة أن الأحاديث التي وردت في أخبار المهدي، لم يأت فيها ذكر لاسم أم المهدي. وقال السفاريني: «ولم نقف على اسم أم المهدي بعد الفحص والتتبع»[4].

ولكن المهدويين ظناً منهم أن اسم أمه يكون كاسم أم النبي ﷺ سموا أم مهديهم «آمنة»، وقد اتفق المؤرخون على أن اسم أمه كان «بي بي آقا ملك»[5].

---

(١) وقد تقدم الكلام في المبحث الثاني على هذا التأويل. انظر (ص٢١٧، ٢١٨).
(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.
(٣) انظر: هدية مهدوية (٥٤).
(٤) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨١).
(٥) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (٧/ ٥٢١، مادة: الجونبوري).

خلاصة الكلام أن الاستدلال بمثل هذه الأحاديث على صحة دعوى «السيد محمد الجونبوري» استدلال خاطئ، وحمل الحديث في غير محمله. واكتفيت بهذه النماذج من الردود على استدلالهم بالكتاب والسنة خشية الإطالة(١).

فالمهدي الموعود في آخر الزمان الذي جاءت أخباره وعلاماته في الأحاديث لا تنطبق على «السيد محمد الجونبوري» فدعوى مهديته دعوى باطلة(٢).

ظهور المهدي في القرن العاشر الهجري:

أما ظهور المهدي في القرن العاشر الهجري الذي يؤكد عليه المهدويون لإثبات صحة دعوى «السيد محمد الجونبوري» فليس بصحيح.

وإذا نظر الباحث إلى جذور هذه الفكرة، والأدلة التي يسوقونها في هذا الصدد يجد أنها مستمدة من «العقيدة الألفية» التي تدور في فلكها معظم الفرق الضالة التي نشأت في بلاد «الهند». وقد تقدم الرد عليها في المبحث الرابع من الفصل الأول.

وقال العلامة صديق حسن خان القنوجي: «لا شك في أن المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الأخبار في

---

(١) وتتبع «الشيخ أبو رجاء محمد زمان خان الشاه جهان بوري» جميع الأدلة التي يستدل بها المهدويون على صحة دعوى مهديهم المزعوم، ورد عليها دليلاً دليلاً بالتفصيل. انظر: هدية مهدوية (٤٦ ـ ١٤٥).

(٢) جمع العلامة ابن حجر الهيتمي المكي (٩٠٩هـ ـ ٩٧٤هـ) علامات المهدي في كتابه القيم: «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر»، رد به على الفرقة المهدوية هذه، وقد ذكر في مقدمة كتابه الدافع لتأليف هذا الكتاب فقال: «دعاني إلى تأليفه ادعاء جماعة في زماننا، وقيل: إنهم المهديون، وما دروا أنهم الضالون المضلون، وكيف لا؟! وصرائح السنة الغراء قاضية بتكذيبهم، وتسفيههم، وتعذيبهم، كما سيتلى عليك في هذا الكتاب».
والكتاب مطبوع بتحقيق: مصطفى عاشور، نشرته: مكتبة سيد أحمد شهيد، لاهور ـ باكستان.

الباب، واتفق عليه جمهور الأمة سلفاً عن خلف إلا من لا يعتد بخلافه»[1].

ظهور المهدي في بلاد «الهند»:

وأما ظهور المهدي في البلاد «الهندية» فلم يدل عليه عين ولا أثر. ولم يقدم المهدويون دليلاً على هذه الدعوى سوى بعض الهوس والظنون التي يلجأون إليها دائماً لتحقيق أهوائهم.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في أحوال المهدي: «يبعث ملك بيت المقدس، يعني المهدي جيشاً إلى الهند يفتحها، ويأخذ كنوزها، فيجعل حلية بيت المقدس، ويقدم عليهم ملوك الهند مغلغلين، ويفتح له ما بين المشرق والمغرب»[2].

يؤخذ من كلام «الهيتمي» أن المهدي الحقيقي يبعث جيشاً إلى «الهند» ليعيد فتحها، وليس يأتي من «الهند»، كما يزعم المهدويون.

ثانياً: مكانة المهدي:

تقدم في المبحث الثاني أن المتمهدي ادعى لنفسه خصائص ومميزات تخصه، وهي كالآتي:

أ ـ كلام الله ـ تعالى ـ بلا واسطة مع المتمهدي:

يعتقد المهدويون أن هذه الخصيصة منزلة خاصة بالمهدي ورعاية كريمة ربانية له، ويحاولون جهداً الابتعاد عن استخدام كلمة نزول «الوحي» عليه، بل يعتبرونه بمنزلة العناية الإلهية «لخاتم الأولياء»، ويسمونه «التعليم».

إذا نظر الباحث إلى جذور هذه القضية ومصدر هذا الادعاء، يجد أنه مأخوذ من «الفكر الصوفي»، ومصبوغ بالصبغة المهدوية. وإن الدارس لكتب الصوفية لا سيما كتب «ابن عربي» أمثال: كتاب «الفتوحات المكية»،

---

(١) انظر: الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة (١٤٥)، طبعة (١٩٧٧م)، مطبعة الشركة التونسية للصحافة والتنمية في تونس.

(٢) انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٦٨).

و«فصوص الحكم»، وكتب «الشعراني»، وخاصة كتابه «الجواهر واليواقيت» يجد أن الصوفية قد عنوا عناية خاصة بما يسمونه «ختم الولاية» و«نبوة الأولياء».

«فابن عربي» هو الذي نادى بقضية نبوة الأولياء، والوحي إليهم، بأن الولي قد يصل بفضل الله ـ تعالى ـ ووهبه إلى درجة النبوة، فيوحى إليه كما يوحى إلى الأنبياء بكل الصور والطرق التي يوحى بها إلى الأنبياء، سواء أكان ذلك بتكليم الله ـ تعالى ـ إياه من غير حجاب، أو من وراء حجاب، أو بإنزال ملك، فيأخذ الولي عنه ويعقل ما ألقاه عليه[1].

وهذا ما تلقفه «الجونبوري» عن «ابن عربي» وصاغه بفلسفته الخاصة. وما دام كل ولي يتلقى وحياً من الله ـ تعالى ـ فكيف لا يتلقى هو، وهو إمامهم وسيدهم وسمى هذا الوحي «بالتعليم».

الحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وعليه إجماع الأمة هو أن لا وحي بعد رسول الله ﷺ، فمن ادعى نزول الوحي عليه، فليس بمسلم، بل هو مرتد عن الإسلام، يجب قتله على الردة، إن لم يتب. ولا يفيد المهدويين كونهم قد استبدلوا كلمة «الوحي» «بالتعليم»؛ لأن المؤدى واحد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾[2].

ب ـ العصمة:

أي عصمة المهدي من كل صغيرة وكبيرة؛ لأنه قائم مقام الرسول ﷺ،

---

(١) انظر: رد الفصوص المسمى مرتبة الوجود ومنزلة الشهود للملا علي القاري (١/ ٥٣٤)، رسالة علمية، تحقيق: الطالب عبد الله علي الملا، رقمها في المركز (١١٢٤) عقيدة.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

والأحاديث التي يسوقها «المهدويون» كأدلة في هذا الموضوع لم تثبت صحتها، ولو ثبتت ما تدل على مدلولهم.

وقد اعترف داعية المهدوي «عبد الملك السجاوندي» أن الفقهاء والمتكلمين لم يتكلموا في باب عصمة المهدي أو عدم عصمته. ولكن الجهل بالدين، والابتعاد عن الحق، والغلو في الأشخاص، واتباع الهوى جعلهم يركبون كل صعب وذلول، ويتفوهون بما يريدون، وكيف يشاؤن.

إذا نظر الباحث إلى مصادر هذه العقيدة يجد أن «الشيعة» هم الذين قرروا لأئمتهم العصمة، وذهبوا إلى أن أئمتهم معصومون في كل حياتهم، لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة من أول العمر إلى آخره، فلا يقع منهم الخطأ أصلاً، لا عمداً ولا نسياناً ولا سهواً، ولا غير ذلك[١].

يقول «المجلسي» في كتابه «حيات القلوب»: «وهم ـ أي: الأئمة ـ معصومون من الذنوب صغيرها، وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلاً، لا عمداً، ولا نسياناً، ولا سهواً ولا غير ذلك»[٢].

و«المهدوية» استمدت هذه العقيدة من «الشيعة» ولا غرو في ذلك؛ إذ أن دعاة الحركات الباطلة قد يستمدون أفكارهم وعقائدهم بعضهم من بعض لتحقيق أهوائهم خاصة المتأخر منهم من المتقدم ـ كما هو معروف في تاريخ الفرق ـ ثم إن الفلسفة المهدوية مصدرها الفكر الشيعي والصوفي، ويبدو ذلك جلياً في استشهاداتهم بتوجيهات الشيعة والصوفية وتأويلاتهم للكتاب والسنة.

«وأهل السنة والجماعة» لا يرون العصمة إلا للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولا يرون العصمة لغير الأنبياء[٣]، فالمهدي الحقيقي الذي يظهر آخر الزمان غير معصوم. قال الإمام القرطبي في شرح حديث: «لا مهدي

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، للدكتور أحمد جلي (٢٠٣)، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ)، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.

(٢) نقلاً عن ظهر الإسلام (١١٠/٤).

(٣) انظر: عصمة الأنبياء، لأبي النور الحديدي (٦٢، ٦٣)، مطبعة الأمانة، ٣ شارع جزيرة بدران شيرا، مصر.

إلا عيسى»[1]، أي: لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى عليه السلام[2]؛ لأنه نبي، وله العصمة، وأما غير الأنبياء فليسوا بمعصومين.

ج ـ المهدي يحتفظ لنفسه بحق تأويل القرآن الكريم:

وهذا هو نفس الهراء الذي كان يردده الذكريون في إمامهم ومهديهم «الملا محمد الأتكي» ويبدو من المقارنة بين أدلة الفرقتين أن مصدرهما واحد، وهو «الفكر الصوفي» إذ كل من الطائفتين يستدل بكلام «عبد الرزاق الكاشي» في تفسيره المسمى «بتأويلات القرآن»، ويرددون في ذلك نفس الأدلة، وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على وحدة المصدر والفكر.

ومما يدل على غي الفرقة «المهذوية» وضلالتهم وابتعادهم عن الحق، تخويلهم للمتمهدي الصلاحية الكاملة، والحق المطلق لتأويل القرآن الكريم، وحظرهم تأويل كلام مهديهم المزعوم وحمله على الحقيقة مهما كان خلاف النقل والعقل والحس.

وقد نقل الشيخ «أبو رجاء الشاهجهانبوري» عن «السيد خوند مير» ـ الخليفة الثاني للمتمهدي ـ أنه قال في مجمع كبير من الخلفاء والمهاجرين(؟) وأمسك بيده غثاء وقال: ما هذا الشيء؟ فقالوا: هذا غثاء. ثم أعاد السؤال للمرة الثانية والثالثة وقال: انظروا جيداً ما هذا الشيء؟ فقالوا: هذا غثاء. فقال ـ أي خوند مير ـ: قال المهدي: هذا مِلكٌ، فقال الجميع بصوت واحد: هذا ملك آمنا وصدقنا.

---

(١) جزء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
رواه ابن ماجه في سننه في كتاب الفتن، باب شدة الزمن (٢/ ١٣٤٠، ١٣٤١، برقم: ٤٠٣٩). والحاكم في المستدرك (٤/ ٤٤١، ٤٤٢).
قال الشيخ صديق حسن خان القنوجي: «أخرجه محمد بن خالد الجندي عن أنس أيضاً، وسنده مختلف عليه، وفيه راو مجهول، ضعفه الحفاظ، وفيه اضطراب وانقطاع، كما قال الحافظ ابن القيم.
انظر: الإذاعة (١٣٦).

(٢) انظر: التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٧٠٢)، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ)، دار الريان للتراث، القاهرة.

ثم رفع حصاة وقال: ما هذا؟ قالوا: هذه حصاة. وأعاد السؤال ثلاث مرات، وأجابوا: هذه حصاة. فقال - أي خوند مير -: قال المهدي الموعود: هذه جوهرة لا تقدر بثمن. فقال الجميع: أمنا وصدقنا، لا اعتبار لرؤيتنا. من شك في كلام المهدي أو أوّله فليس منه[١].

وموقف هؤلاء القوم من عقولهم يذكرنا كلام الإمام «الشعبي»[٢] في «الرافضة» حيث قال: «إني درست الأهواء، فلم أر قوماً أحمق من «الخشبية»[٣] لو كانوا من الدواب كانوا حمراً، ولو كانوا من الطير كانوا «رخماً»[٤]»[٥].

وهذا ما ينطبق على هؤلاء القوم؛ لأن ما من بدعة أو فرقة من الفرق الضالة الموجودة اليوم على وجه الأرض إلا ولها جذورها وأصولها التاريخية من أرباب البدع والأهواء عبر التاريخ حتى ولو اختلفت الأساليب، وتنوعت الدعايات.

وأما الرد التفصيلي على هذا الشق فقد تقدم في المبحث الرابع من الفصل الثاني.

---

(١) انظر: هديه مهدويه (٦).

(٢) هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري (١٩هـ - ١٠٣هـ).
من كبار التابعين، يضرب به المثل في الحفظ والإتقان. استقضاه عمر بن عبد العزيز. كان فقيهاً شاعراً.
انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦ - ٢٥٦)، دار صادر، بيروت.
- وفيات الأعيان (٣/ ١٢).

(٣) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الرافضة اشتهرت بهذا الاسم من زمن خروج «زيد بن علي» حين افترقت الشيعة إلى «رافضة» و«زيدية»، وكانوا يسمون قبل ذلك بغير هذا الاسم كما كانوا يسمون «الخشبية» لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم فقاتلوا بالخشب.
انظر: منهاج السنة (١/ ٣٥، ٣٦)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) الرَّخَمُ نوع من الطير، - واحدته «رَخَمَةٌ» - يوصف بالغدر، وقيل: بالقذر.
انظر: لسان العرب (١٢/ ٢٣٥).

(٥) انظر: السنة للخلال (٤٩٧)، تحقيق: الدكتور عطية الزهراني، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ)، دار الراية، الرياض.

د ـ المهدي خاتم الأولياء:

قضية ختم الولاية إحدى الطامات الكبرى التي ابتلي بها أبطال الحركات الضالة، فكل يدعيها، ويزعم أنه خاتم الأولياء. والمهدويون يسوِّدون صفحات كتبهم بالنقول الكثيرة من كتب «ابن عربي» وغيره، ويحاولون جهداً لتطبيقها على مهديهم المزعوم «السيد محمد الجونبوري» بناءً على أنه «خاتم الأولياء».

وقد تقدم الحديث عن منصب «خاتم الأولياء» والرد عليه في المبحث الرابع من الفصل الأول.

ومما يضيف المهدويون في نظرية «ختم الولاية» تقسيم النبوة إلى نبوة تشريعية، ونبوة عامة تابعة للنبوة التشريعية: أما الأولى: فخُتِمَت. وأما الثانية: فظلَّت مفتوحة. وذلك لتبرير العقائد والأعمال التي أضافها «الجونبوري» في الشريعة الإسلامية، وإضفاء الشرعية عليها، إذ أنها تصرف في حدود الصلاحيات لصاحب النبوة العامة، والتي يتمتع بها المهدي ويسمونه «نبي متبع» كما تقدم.

وهذه صورة أخرى لتأثير الفكر الصوفي على «المهدوية»؛ أن «ابن عربي» هو أول من نادى بهذا التقسيم، وذلك للتفريق بين نبوة الأنبياء، وبين ما يسميه هو بـ«نبوة الأولياء».

فأما نبوة التشريع عنده فهو الوحي المقترن بتشريع من عند الله، يعمل به النبي، ويأمر به قومه. وهذه المرتبة من النبوة قد انقطعت؛ إذ لا نبي بتشريع جديد ناسخ لشرع نبينا محمد ﷺ.

وأما النبوة العامة: فهي المسماة بنبوة الأولياء، وهو تنزل الوحي على قلوب الأولياء المصطفين لهذا الوحي، من غير اقتران بتشريع جديد.

وأما النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، والتي دلت على أنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وأنه خاتم النبيين، فإن «ابن عربي» يوجهها إلى نبوة التشريع، أي: لا نبي مشرعاً بعده، فهو خاتم النبيين المشرعين. أما الأنبياء

غير المشرعين فما دل أيّ نص في زعم «ابن عربي» على انقضائهم وانقطاعهم.

ويستدل «ابن عربي» على صحة وجود الأنبياء غير المشرعين بعد النبي محمد ﷺ بنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، وهو مع كونه نبياً عند نزوله إلا أنه ليس صاحب تشريع جديد ناسخ لشريعة نبينا محمد ﷺ، بل هو عامل بشريعته، فظهور عيسى عليه السلام مع كونه نبياً عاملاً بشرع محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد وفاته دليل على أن باب النبوة العامة مفتوح لم يغلق.

يقول «ابن عربي» في هذا الصدد: «واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباء العام، وأما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة. وفي محمد ﷺ قد انقطعت، فلا نبي بعده، يعني مشرّعاً له، ولا رسول، وهو المشرّع... إلى أن قال: ... إلا أن الله لطف بعباده فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها»[1].

ويقول أيضاً: «... الأكابر من عباد الله الذين هم في زمانهم بمنزلة الأنبياء في زمان النبوة، وهي النبوة العامة، فإن النبوة التي انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هي نبوة التشريع، لا مقامها. فلا شرع يكون ناسخاً لشرعه ﷺ، ولا يزيد في حكمه شرعاً آخر، وهذا معنى قوله ﷺ: إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي، ولا نبي، أي: لا نبي بعدي يكون على شرع يخالف شرعي، بل إذا كان يكون تحت شريعتي، ولا رسول أي: لا رسول بعدي إلى أحد من خلق الله بشرع يدعوهم إليه، فهذا هو الذي انقطع، وسُدَّ بابه. لا مقام النبوة، فإنه لا خلاف أن عيسى عليه السلام نبي ورسول، وأنه لا خلاف أنه ينزل في آخر الزمان حكماً مقسطاً عدلاً بشرعنا لا بشرع آخر، ولا بشرعه الذي تعبد اللّهُ به بني إسرائيل من حيث ما نزل هو به، بل ما ظهر من ذلك هو ما قرره شرع محمد ﷺ ونبوة

---

(١) انظر: فصوص الحكم (١٣٤، ١٣٥)، تحقيق: أبو العلاء العفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

عيسى ﷺ ثابتة محققة، فهذا نبي ورسول، قد ظهر بعده ﷺ وهو الصادق في قوله: «أنه لا نبي بعده» فعلمنا قطعاً أنه يريد التشريع خاصة، وهو المعبر عنه عند أهل النظر بالاختصاص، وهو المراد بقولهم: «إن النبوة غير مكتسبة»»[1].

وتلقف «الجونبوري» هذه الفلسفة من «ابن عربي» وادعى أنه نبي غير مشرع، وكيف لا وهو خاتم الأولياء وسيدهم وإمامهم ـ في زعمه ـ فهو أولى بهذه المرتبة إلا أنه «نبي متبع» لشريعة محمد ﷺ.

وهذا الباب هو الذي دخل منه «مرزا غلام أحمد القادياني»[2]، ولا عجب في ذلك؛ إذ أن دعوة «محمد الجونبوري» المهدوية قد هزت «الهند»، وتعالت أصداء هذه الدعوة في أرجائها، وعمت أطرافها، واستمرت عبر القرون إلى هذه اللحظة. وتلقف «القادياني» هذه الفلسفة، واعتبرها فرصة ثمينة، وادعى لنفسه أيضاً هذه المنزلة، وهي النبوة العامة تحت إطار النبوة التشريعية الخاصة. وما أشبه الليل بالبارحة.

ذكر «الأستاذ أبو القاسم رفيق دلاوري» أن «مرزا القادياني» استمد أشياء كثيرة من إلحاد «السيد الجونبوري» عن طريق الدعاة المهدويين، وعقد مقارنة بين أهم عقائد «المهدوية» وانحرافاتها، وبين عقائد «القاديانية»، وقال: إن أول شيء استفاد «القادياني» من «الجونبوري» في مسألة النبوة، فإن «الجونبوري» ذهب إلى أن المراد بـ«خاتم النبيين» أن لا يكون هناك نبي صاحب شريعة جديدة بعد النبي ﷺ وإذا وُجد نبي متبع للشريعة المحمدية

---

(١) انظر: الفتوحات المكية (٢/٣)، أيضاً (٢/٥٨)، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

(٢) هو: غلام أحمد بن غلام مرتضى القادياني المتنبي (١٢٥٦هـ ـ ١٣٢٦هـ).
كان في أول حياته يظهر الزهد والتصوف ثم تدرج في دعاويه أنه مهدي موعود، ثم مسيح معهود، ثم ادعى النبوة، بلغ عدد مؤلفاته إلى أربعة وثمانين كتاباً، أشهرها: «براهين أحمدية» و«فتح إسلام»، و«إزاله أوهام» وغيرها. توفي في «لاهور» ونقلت جثته إلى «قاديان» ودفن هناك.
انظر: نزهة الخواطر (٨/ ٣٤٠ ـ ٣٤٥).

فلا ينافي قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠﴾[1]. وكان «السيد الجونبوري» نبياً متبعاً ـ على حد زعمه ـ وتبنى «القادياني» هذه النظرية، ودخل منها في ميدان دعوته، وردد نفس الكلام الذي استمده من «الجونبوري»[2].

وهكذا فتح «ابن عربي» باب النبوة المخالف لنصوص الشرع، وإجماع الأمة، وفتح بذلك باباً من الشر عظيماً على الأمة الإسلامية، حيث مهد الطريق أمام المتنبئين الدجالين، الذين يمزقون صفوف الأمة الإسلامية، ويهددون عقائدها ووحدتها، ولن تقف حركة التنبؤ عند حد معين؛ لأن ذلك الادعاء أصبح شيئاً ميسوراً لا يحتاج إلى كثير عناء.

يقول «الشيخ أبو الحسن الندوي» عن آثار الدعوة القاديانية: «لقد فتح الميرزا غلام أحمد باب النبوة على مصراعيه، وقال: إن اتباع النبي ﷺ يمنح كمالات النبوة، وإن العناية بذلك والاهتمام به، ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم».

وقال نجله وخليفته «الميرزا بشير الدين محمود»: «لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت، ما قدروا الله حق قدره إنكم تتنازعون في نبي واحد وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي بعد محمد ﷺ»[3].

فدعوة فتح باب النبوة في الإسلام جناية شنيعة، وجريمة كبرى، إذ يؤدي ذلك إلى فوضى في ادعاء النبوة ،ويُفقِد النبوة حرمتها وقداستها، ويجعلها ألعوبة في أيدي العابثين.

والحق الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة أن لا نبي ولا وحي بعد محمد ﷺ حتى تقوم الساعة، سواء كانت نبوة

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.

(٢) انظر هذه المقارنة في: أئمه تلبيس (٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٦).

(٣) انظر: القادياني والقاديانية دراسة وتحليل (١١١، ١١٢)، الطبعة الثانية (١٣٨٢هـ)، مطبعة ندوة العلماء.

التشريع أو النبوة العامة. ومن ادعى ذلك من المسلمين يصير مرتداً يجب قتله.

وقد تقدم الرد التفصيلي على هذا الموضوع في المبحث الرابع من الفصل الثاني.

هـ ـ المهدي أفضل من الصحابة ومن بعض الأنبياء ومساوٍ لرسولنا محمد ﷺ في الفضيلة.

هذا نموذج من نماذج غلو المهدية المفرط لمهديهم المزعوم، بينما المهدي الحقيقي لا يكون في هذه المنزلة فضلاً عن المتمهدي الدعي «الجونبوري».

والأدلة التي يسوقها المهدويون في هذا الموضوع منها ما هو صحيح، ومنها ما هو غير صحيح، والصحيح منها لا يدل على مدلولهم؛ إذ هم يثبتون ذلك بتأويلات بعيدة، وتوجيهات غريبة لا يقرها الشرع ولا العقل.

وأما ما يردده المهدويون من أن «ابن سيرين» كان يفضل المهدي على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعلى بعض الأنبياء عليهم السلام.

فقال العلامة ابن حجر الهيتمي: «ما جاء عن «ابن سيرين» المهدي خير من أبي بكر وعمر، قد كاد يفضل على بعض الأنبياء، وصح عنه لا يفضل عليه أبو بكر وعمر».

وهو إن كان أحق من الأول، إلا أنه يجب تأويلهما بصرائح الأحاديث، وقيام الإجماع على أنهما أفضل منه، بل وأفضل بقية الأربعة بل الصحابة، خلاف لما شذّ «ابن عبد البر» أن يكون فيمن بعد الصحابة أفضل منهم».

وأضاف قائلاً: «وكأن «ابن سيرين» أراد بقوله: «كاد أن يفضل على بعض الأنبياء» أنه يؤم عيسى، وللإمام فضل ما على المأموم من حيث التبعية، لكن في الحقيقة ليس هذا الفضل له، بل لنبينا ﷺ؛ لأن ائتمامه به

علامة على نزوله بشريعة نبينا واتباعه له»[1].

وقال السفاريني: «جاء عن «ابن سيرين» أن المهدي خير من أبي بكر وعمر. قد كاد يفضل على الأنبياء. وجاء عنه أيضاً: لا يفضل عليه أبو بكر وعمر، وهو إن كان أخف من الأول، فليس بصحيح، فإن الأمة مجتمعة على أفضليتهما عليه، بل وعلى جميع الصحابة خلافاً للرافضة ـ خذلهم الله ـ تعالى ـ كما سيأتي بيان ذلك ـ بل غيرهما من الصحابة أفضل من المهدي»[2].

ثم إن هذه التوجيهات من العلماء جاءت في شأن المهدي الحقيقي، وأما الجونبوري فلم يكن مهدياً صادقاً، بل كان ضليلاً كذاباً، فلا يصدق عليه هذه الكلام.

ثم إن تناقض المهدويين يبدو هنا واضحاً حيث يزعمون المساواة بين متمهديهم وبين الرسول ﷺ، وقد قالوا من قبل عن مهديهم أنه «نبي متبع»، أي متبع للرسول ﷺ فكيف يكون التابع مساوياً للمتبوع(؟).

و ـ تكفير من لا يؤمن بالمهدي:

وذلك كما جاء على لسان المتمهدي وخلفائه وأتباعه. ويسوقون في ذلك أدلة ـ حسب زعمهم ـ وهي لا تدل على ادعائهم.

وأول دليل يستدل بها المهديون على تكفير من لا يؤمن بالمتمهدي هو قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ....﴾[3] الآية.

على أنها نزلت في شأن المهدي «ومن يكفر به» أي: بالمهدي، «فالنار موعده» وهذا يدل على كفر من لا يؤمن بالمهدي. وقد تقدم الجواب عن هذه الآية في أول المبحث.

---

(١) انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: (٧١، ٧٢).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤). (٣) سورة هود: الآية ١٧.

وتكفير المسلمين من الحركات الضالة ليس جديداً في تاريخ الفرق. وقد سبق «المهدوية» كثير من الفرق إلى تكفير المسلمين الذين لم ينضموا إلى صفوفهم من فرق «الخوارج» وغيرها. وتكفير «المهدوية» للمسلمين الذين لم يؤمنوا بمهديهم كانت نتيجة طبعية لمجانبتها الحق، وبطلان ما يدعو إليه المتمهدي.

كما ترتبت على هذه العقيدة آثار خطيرة، وعواقب وخيمة تمثلت في محاولة التخلص من كل من يقف أمامهم بالقتل بعد تكفيره. وقد ذهب عدد كبير من الضحايا من العلماء والحكام نتيجة هذه العقيدة الضالة حتى شبه المؤرخون والباحثون هذه الفرقة بعصابة «حسن الصباح» كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

ويلزم أيضاً من هذه العقيدة أن ملايين المسلمين من الشرق إلى الغرب كفروا بإنكارهم لمهدية «الجونبوري» وانحصر الإسلام على هذه الطائفة عبر هذه القرون في بعض الأقاليم من بلاد «الهند».

ويذهب علماء الإسلام إلى أن «السيد محمد الجونبوري» لا توجد فيه علامات مهدي آخر الزمان فتصديقه يلزم منه تكذيب المهدي الحقيقي، فوجب إنكاره، وتكفير المسلمين على إنكاره كفر، وبهذا كفّر المتمهدي نفسه وأتباعه[١].

ثالثاً: الأصول والأحكام:

يزعم المتمهدي أن هذه الأصول والأحكام وضعها بناءً على الصلاحية المخولة له بصفته «خاتم الأولياء»، وذلك بتعليم من الله ـ تعالى ـ وتقرير من الرسول ﷺ. ولا يدري هذا المهدي المزعوم أن فرض الأحكام، وسن التشريعات في الإسلام من خصوصيات الباري ﷻ ولا يملك أحد هذا الحق كائناً من كان، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[٢].

---

(١) انظر: هدية مهدوية (ص).

(٢) سورة الشورى: الآية ٢١.

ففرض هذه الأصول والأحكام من الابتداء مرفوض شرعاً ومردود عقلاً. وتفصيل ذلك كما يلي:

أولًا: الأصول السبعة

١ - الهجرة:

ويُقصَدُ بها ترك المكان الذي يوجد فيه المهدوي، وذكر «الشيخ أبو رجاء الشاهجهان بوري» - وهو من الذين عايشوا المهدويين واكتووا بنارهم - أن المتمهدي كان يرتحل من بلد إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى؛ لأن حكام هذه البلاد كانوا من أهل السنة، فما كان يطيب له المقام في هذه البلاد، والمهدويون يرتحلون من قرية إلى أخرى، ومن موضع إلى آخر في نفس البلد تحت نفس الحكومة، ويحسبون أنهم أدوا فريضة الهجرة، وهذه الهجرة ليست فريضة في الإسلام[١].

والآية الكريمة التي يستدل بها المتمهدي على فرضية الهجرة وهي قوله - تعالى -: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ...﴾[٢] الآية. لا تدل على فرضية الهجرة التي قصدها المتمهدي.

روى الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتي السهمُ يُرمى به فيصيب أحدهم، فيقتله، أو يُضرَب فيُقتَلُ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[٣] الآية.

ولا علاقة بين الآية المذكورة والهجرة التي فرضها المتمهدي على أتباعه.

ثم إن مفهوم الهجرة قد تطور لدى المهدويين حتى قالوا: إن الهجرة

---

(١) انظر: هدية مهدوية (٢٠٤، ٢٠٥). (٢) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم...**﴾ الآية. (٨/ ٢٦٢، برقم: ٤٥٩٦)، المطبوع مع الفتح.

تتأتى ولو بهجرة شبر من الأرض، وتسقط الفريضة واستدلوا على ذلك بالحديث: «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً»... الحديث. وهذا الحديث لم تثبت صحته ـ كما تقدم ـ.

ويبدو أن هذا التطور في مفهوم الهجرة لدى المهدويين إنما جاء بعد وفاة المتمهدي لما بدأ المهدويون العودة إلى ديارهم، والسكنى في منازلهم، وممارسة الحياة العادية، فذهب الدعاة المهدويون يتفلسفون في تفسير الهجرة بأنها هجرتان: الأولى: صغرى للجهاد الأصغر، أي: قتال المشركين وهو ما قام به الأولون. والثانية: كبرى للجهاد الأكبر، أي: جهاد النفس وهو ما قام به المهدويون. ويستدلون بحديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ولا أصل له ـ كما تقدم ـ كما لا يخفى ما فيه من تأثير الفكر الصوفي في صرف معنى الجهاد والهجرة من معناهما الحقيقي إلى المعنى المحرف.

٢ ـ صحبة الصادقين:

ويقصد المتمهدي بالصادقين مشائخ «المهدوية»، ودعاتها. ويستدل المتمهدي على فرضية صحبة الصادقين بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1]. على أن المراد بالصادقين هم مشائخ «المهدوية»، وفي مقدمتهم خلفاء المهدي وأصحابه.

وهذا نموذج آخر من الافتراء والتقول على الله ـ تعالى ـ الذي درج عليه المتمهدي وأتباعه ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[2].

قال السيوطي: «أخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[3]، قال: مع محمد ﷺ وأصحابه»[4].

(١) سورة التوبة: الآية ١١٩.
(٢) سورة الكهف: الآية ٥.
(٣) سورة التوبة: الآية ١١٩.
(٤) انظر: الدر المنثور في التفسير المأثور (٣١٦/٤)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

ولعل مقصود المتمهدي من إلزام أتباعه صحبة الدعاة المهدويين هو إبعادهم عن علماء «أهل السنة» حتى لا يفتضح أمره، وحتى يظل أتباعه على الجهل والتقليد الأعمى لإمامهم.

ومما يؤكد هذا الأمر أن المتمهدي قد حظر على أتباعه طلب العلم. ويفسر المهدويون هذا الحظر بأن الإمام المهدي منع هؤلاء الأشخاص الذين لا يوجد لديهم صلاحيات طلب العلم؛ لأن العلم يضرهم. ويمثلون لذلك بغذاء الإنسان، لأنه شيء مهم، وعليه تعتمد حياة الإنسان، ولكن الطبيب الماهر يمنع المرضى عن تناول الغذاء في حالات خاصة، وهكذا الإمام المهدي فإنه طبيب روحاني للبشرية، يعرف ما يصلح، وما لا يصلح(؟). وبناء عليه منع الأشخاص الذين لا يملكون المواهب المؤهلة لهم عن طلب العلم[١].

وهكذا يبدو واضحاً تحايل أئمة التلبيس لإبعاد أتباعهم عن صحبة علماء الإسلام، وطلب العلم النافع، الذي يرشدهم إلى الحق، وينقذهم من الضلال.

٣ ـ الذكر الدائم:

المقصود بالذكر عند المتمهدي وهو الذكر على طريقة حفظ الأنفاس[٢] ويستدل على فرضيته بقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾[٣]. ويزعم ـ كعادته ـ أن الآية المذكورة نزلت في شأن المهدوية.

وهذا النوع من الذكر الذي فرضه المتمهدي على أتباعه هو «الذكر الصوفي» وإثبات فرضيته من الآية المذكورة تقول في الشريعة، كما أنها لم تنزل في شأن «المهدوية».

---

(١) انظر: حيات پاك (٢٢٣، ٢٢٤).
(٢) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٣).
(٣) سورة النساء: الآية ١٠٣.

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

«يأمر الله ـ تعالى ـ بكثرة الذكر عقيب صلاة الخوف، وإن كان مشروعاً مرغباً فيه أيضاً بعد غيرها، ولكن ها هنا آكد لما وقع فيه من التخفيف في أركانها، ومن الرخصة في الذهاب فيها والإياب، وغير ذلك مما ليس يوجد في غيرها»[(١)].

وهذا الأصل وهو: «الذكر الدائم» على طريقة حفظ الأنفاس ساقهم إلى إيجاد الخلوات التي يسمونها «بالدوائر» وهي شبيهة بالخلوات الصوفية البدعية والتي تورث التوهمات لدى أصحابها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا أصيب صاحب الخلوة بثلاث توهمات:

أحدها: أنه يعتقد في نفسه أنه أكمل الناس استعداداً.

والثاني: أن يتوهم في شيخه أنه أكملُ من على وجه الأرض.

والثالث: أنه يتوهم أنه يصل إلى مطلوبه بدون سبب، وأكثر اعتماده على القوة الوهمية»[(٢)].

وهكذا المهدويون يحسبون أنهم أفضل الناس وأكملهم، وأنهم هم المسلمون فقط. كما يزعمون أن شيخهم وإمامهم «السيد محمد الجونبوري» المتمهدي أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأفضل من بعض الأنبياء، ومساوٍ في الفضيلة مع نبينا محمد ﷺ ساء ما يحكمون.

٤ ـ ترك الدنيا:

فرض المتمهدي «ترك الدنيا» على أتباعه؛ لأن الميل إليها يسبب الغفلة، والابتعاد عن الله ـ تعالى ـ. واستدل على فرضيته ـ حسب زعمه ـ

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٥٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٥٨).

بقوله - تعالى -: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

وهذه الآية الكريمة لا تدل على «ترك الدنيا» أصلاً، فضلاً عن فرضيته. قال الإمام السيوطي: «أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس - ﷺ في الآية قال: «ومن عمل صالحاً لالتماس الدنيا صوماً أو صلاةً أو تهجداً بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا يقول - تعالى - أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل، وهو في الآخرة من الخاسرين»[2].

فلا يوجد أدنى علاقة بين ما يزعم المتمهدي وما تدل هذه الآية الكريمة. وترك الدنيا الذي فرضه المتمهدي على أتباعه ليس من الدين في شيء، قال - تعالى -: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[3]. وقال - تعالى -: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[4].

وإذا قصد المتمهدي بترك الدنيا «الزهد» فليس هذا بزهد. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة، وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله، فليس تركه من الزهد المشروع، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع»[5].

وذكر «الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري» تناقض المهدويين في تطبيق هذا الأصل، حيث يتناقلونه عن المهدي كمبدأ مسلم ثم لا يعملون به، ويتهافتون على طلب الدنيا وجمعها تهافت الفراش على النار. وإذا أيس أحدهم من الحياة، وشَعُر بدنو الأجل، يأتيه أحد مشائخهم، ويعلمه طريقة ترك الدنيا، وبالمقابل يأخذ ملابسه المستعملة، وأثاث بيته القديم، ويحسب

---

(١) سورة هود: الآيتان ١٥، ١٦.
(٢) انظر: الدر المنثور (٤/٤٠٦).
(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٢.
(٤) سورة القصص: الآية ٧٧.
(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٢٨، ٢٩).

أنه صار بذلك «تارك الدنيا» وفي الحقيقة وهو «متروك الدنيا» وملك الموت ينتظره[١].

٥ - التوكل على الله:

من الأصول التي فرضها المتمهدي على أتباعه «التوكل على الله» ويقصد به الامتناع عن الكسب، والابتعاد عن اتخاذ الأسباب الشرعية، وهذا ليس التوكل الشرعي، بل هو «التواكل» بعينه.

قال - تعالى -: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[٢]. يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: إذا شاورتهم في الأمر، وعزمت عليه، فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٣].

وقال الرسول ﷺ للذي سأله: أرسل ناقتي وأتوكل، قال: «اعقلها وتوكل»[٤].

قال الإمام ابن القيم: «وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب. فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد».

وقال أيضاً: «فالتوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن عمل على حاله فلا يتركن سنته»[٥].

ذكر «الشيخ أبو رجاء» أن المتمهدي وخلفائه كانوا يمتنعون عن الكسب الحلال توكلاً على الله - تعالى -، وبعد رحيلهم انتقلت هذه الظاهرة

---

(١) انظر: هدية مهدوية (١٩٢، ١٩٣). (٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٣٠).
(٤) رواه الهيثمي عن جعفر بن عمرو بن أمية عن أبيه.
انظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (٦٣٣، برقم: ٢٥٤٩). تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية ومكتبتها.
وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٠/ ٢١٢).
(٥) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٢١)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

إلى رجال الدين المهدويين الذين يسمون «بالمشائخ» و«الفقراء»، وهم يمتنعون عن الكسب الحلال كما يمتنع المسلمون عن الأشياء المحرمة شرعاً. وإذا سألهم أحد عن سبب امتناعهم عن الكسب، يقولون: «إن الكسب ليس حراماً ولكن «الذكر الدائم» فرض، والذي يُخِلُّ بالذكر يُعَدُّ حراماً سواء أكان الكسب الحلال أم غير ذلك، فمن أجل هذا لا نكسب ونتوكل»[1].

ولا يخفى ما في هذا الفهم من زيغ وخطأ في معنى التوكل. وقد ندب الشرع إلى العمل وبذل الجهد، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[3].

٦ ـ العزلة عن الخلق:

فرض المتمهدي على أتباعه العزلة عن الخلق، ويقصد بالخلق غير المهدويين، واستدل على حد زعمه ـ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[4]. وهذه الآية لا تدل على فرضية العزلة عن الخلق كما يزعم المتمهدي.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: قوله: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾﴾[5]. أي: إذا فرغت من مهامك فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال.

---

(١) انظر: هديه مهدويه (١٧٣).
(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٥.
(٣) سورة الجمعة: الآية ١٠.
(٤) سورة المزمل: الآية ٨.
(٥) سورة الشرح: الآية ٧.

قال ابن عباس، ومجاهد، وأبو صالح، وعطية، والضحاك، والسدي: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾، أي: أخلص له العبادة.

وقال الحسن: اجتهد وبتّل إليه نفسك»[1].

فلا علاقة إذاً بين مدلول الآية، وما يدعي المتمهدي، ولا يخفى ما في هذه العقيدة من محاولة إبعاد أتباعه وبني نحلته عن المسلمين حتى لا تنكشف ضلالاتهم، وحتى يظلوا خاضعين لنحلتهم ومنقادين أوفياء لإمامهم ومهديهم.

وأما ضابط الخلطة والعزلة المشروعة هو كما بين «شيخ الإسلام ابن تيمية» حيث قال: «فحقيقة الأمر: أن «الخلطة» تارةً تكون واجبة أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأموراً بالمخالطة تارةً، وبالانفراد تارةً. وجماع ذلك: أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهي عنها. فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات: كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء ونحو ذلك هو مما أمر الله به ورسوله».

«وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكفار، و«الخوارج» المارقين وإن كان أئمة ذلك فجاراً، وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيماناً إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له، ونحو ذلك».

«ولا بد للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكره، ومحاسبته نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه»[2].

٧ ـ الرؤية:

تُعَدُّ الرؤية عند المتمهدي من أهم أصول دعوته. والمقصود من

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٨١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٥، ٤٢٦).

الرؤية، رؤية الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الدنيا، وهي فريضة لتحقيق إيمان المرء. وتتفاوت درجة الإيمان حسب رؤية المسلم لربه بعين الرأس، أو بعين القلب، أو في المنام. ولكن الشيء الذي لا يمكن القطع به، هو موقف المهدويين حول الرؤية في الآخرة، فلم أجد لهم رأياً واضحاً في هذا الموضوع. يفهم من بعض العبارات في كتبهم أنهم لا ينكرون الرؤية في الآخرة. وفي نفس الوقت توجد عبارات في توجيه الأدلة وحملها على الرؤية الدنيوية أنهم ينكرون الرؤية في الآخرة. وعلى أية حال ما دام لم يثبت إنكارهم للرؤية الأخروية صراحة فيكون حديثي في الرد عليهم من ناحيتين:

الأولى: فرضية الرؤية في الدنيا.

الثانية: تعاملهم مع النصوص الشرعية في هذه المسألة.

فإذا نظرت إلى النقطة الأولى وهي فرضية رؤية الله ـ تعالى ـ في دار الدنيا، وتعويل إيمان المرء عليها، فهذا ـ حسب علمي ـ لم يقل به أحد في تاريخ الفرق إلا ما حكى «الكعبي» عن بعض «المشبهة» أنهم أجازوا رؤية الله ـ تعالى ـ في دار الدنيا، وأنهم يزورونه، ويزورهم[١].

وذكر «الأشعري» أنه قال قائلون: «يجوز أن نرى الله بالأبصار في الدنيا، ولسنا ننكر أن يكون بعض من نلقاه في الطرقات وأجاز عليه بعضهم الحلول في الأجسام وأصحاب الحلول إذا رأوا إنساناً يستحسنونه، لم يدروا لعل إلههم فيه، وأجاز كثير ممن أجاز رؤيته في الدنيا مصافحته وملامسته، ومزاورته إياهم. وقالوا: إن المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة إذا أرادوا ذلك»[٢].

بَيْدَ أن هؤلاء الحلوليين والاتحاديين الذين نقل عنهم «الأشعري» لم

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٠٥)، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٦٣).

يفرضوا رؤية الله ـ تعالى ـ في دار الدنيا لتحقيق الإيمان، بخلاف «الجونبوري» فإن الإيمان عنده يعتمد على رؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا.

والقول بوقوع الرؤية في الدنيا وحده مخالف لما عليه جمهور المسلمين فضلاً من فرضيته لتحقيق الإيمان. وقد سئل «شيخ الإسلام ابن تيمية» عن أقوام يدعون أنهم يرون الله بأبصارهم في الدنيا، وأنهم يحصل لهم بغير سؤال ما حصل لموسى ﷺ بالسؤال، فأجاب:

«أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة، وأجمعوا على أنهم لا يرونه في الدنيا بأبصارهم، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ...»[1].

«ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا، لا سيما إذا ادعوا أنهم أفضل من موسى، فإن هؤلاء يستتابون، فإن تابوا وإلا قُتِلوا. والله أعلم»[2].

وقال أيضاً: «وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له: «لن تراني» وأن رؤية الله أعظم من إنزال الكتاب من السماء، فمن قال: إن أحداً من الناس يراه، فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران، ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتاباً من السماء»[3].

وفي الحقيقة إن الذين يدّعون الرؤية العينية في دار الدنيا فهم لا يرون الله ـ تعالى ـ وإنما هم يرون شيطاناً تمثل إليه أنه ربه وإلهه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد:

---

(١) ذكر الإمام ابن أبي العز الدمشقي اختلاف العلماء في رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا بالتفصيل، وخلص إلى القول: «إن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى ﷺ لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية». وساق الأدلة على ذلك.
انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٢٢ ـ ٢٢٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).

(٣) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٩٩، ١٠٠)، تعليق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.

«وهذا كما أن كثيراً من العُبَّاد يرى الكعبة تطوف به، ويرى عرشاً عظيماً، وعليه صورة عظيمة، ويرى أشخاصاً تصعد وتنزل، فيظنها الملائكة، ويظن أن تلك الصورة هي الله ـ تعالى وتقدس ـ ويكون ذلك شيطاناً. وقد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس، فمنهم من عصمه الله، وعرف أنه الشيطان «كالشيخ عبد القادر»[1] في حكايته المشهورة حيث قال: كنتُ مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً، وعليه نورٌ، فقال لي: يا عبد القادر! أنا ربك، وقد حلَّلْت لك ما حَرَّمْتُ على غيرك. قال: فقلت له أأنت الله الذي لا إله إلا هو؟ إخسأ يا عدو الله. قال: فتمزق ذلك النور، وصار ظلمة، وقال: يا عبد القادر! نجوت عني بفقهك في دينك وعلمك، وبمنازلاتك في أحوالك. لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلاً. فقيل له: كيف علمت أنه الشيطان؟ قال: بقوله لي: «حلَّلْت لك ما حرمتُ على غيرك»، وقد علمت أن شريعة محمد ﷺ لا تنسخُ، ولا تبدل. ولأنه قال: أنا ربك، ولم يقدر أن يقول: أنا الله الذي لا إله إلا أنا».

«ومن هؤلاء من اعتقد أن المرئي هو الله، وصار هو وأصحابه يعتقدون أنهم يرون الله ـ تعالى ـ في اليقظة، ومستندهم ما شاهدوه. وهم صادقون فيما يخبرون به، ولكن لم يعلموا أن ذلك هو الشيطان. وهذا وقع كثيراً لطوائف من جهال العُبَّاد، يظُن أحدهم أنه يرى الله ـ تعالى ـ بعينه في الدنيا؛ لأن كثيراً منهم أُرِيَ ما ظن أنه الله وإنما هو شيطان»[2].

ولعل «السيد محمد الجونبوري» ـ وهو المعروف بالعبادة والمجاهدة

---

(١) هو: أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني (الگيلاني) (٤٧١هـ ـ ٥٦١هـ).
من الزهاد المعروفين. ولد في «جيلان» وانتقل إلى بغداد شاباً. سمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر بالوعظ. تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد. من أهم مؤلفاته: «الغنية» «الفتح الرباني» «فتوح الغيب» وغيرها. تنسب إليه الطريقة القادرية، توفي في بغداد.
انظر: الأعلام (٤/ ٤٧).

(٢) انظر: التوسل والوسيلة (٢٨)، طبعة (١٤٠٤هـ) طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

والرياضة النفسية ـ تمثل له الشيطان، فتخيل إليه أنه ربه وإلهه، ولم يكن عنده من الفقه في الدين، ولا درجة اليقين ما يميز به بين الحق والباطل، فأعلن أنه شاهد الله ـ تعالى ـ بعينه، والحال أنه رأى الشيطان، فيا ليت الأمر توقف عند هذا الحد، ولكنه تقدم إلى خطوة أخرى، ففرض الرؤية على المسلم لتحقيق إيمانه.

وهذا ظاهر البطلان؛ لأنه لم يعتمد فيه على دليل، بل بنى القول على مجرد المشاهدة التي تقدمت بعض النماذج منها، والتي قال العلماء عنها: إنها من تلاعب الشيطان بعقول أولئك الناس، وإفساده لعقائدهم. والقول الذي لم يعتمد على دليل صحيح، هو مجرد دعوى، والدعوى بلا دليل لا يلتفت إليها.

وأما النقطة الثانية: وهي تعامل المهدويين مع النصوص الشرعية في هذه المسألة. فشأنهم في التعامل مع الأدلة الشرعية لا يخلو من أمرين، لا ثالث لهما: إما التأويل الفاسد، وإما الرد، ففي الآيات القرآنية يتعاملون بالتأويل، وقد رأينا ـ فيما سبق ـ كيف أن المتمهدي يلوي عنق النص لإثبات عقائده، ومنها الرؤية الدنيوية.

وأما الأحاديث فإذا لم توافق أهوائهم، ولا يمكن التأويل فيها يردونها، ولو كانت أحاديث صحيحة بحجة أنها لا توافق أحوال المهدي وأقواله. ولهذا نجدهم لا يستدلون بالأحاديث الصحيحة التي وردت في الرؤية؛ لأنها تصرح أن الرؤية تقع في الآخرة. وإذا وافقت أهوائهم فإنهم يستدلون بها مهما كانت درجة الحديث.

هنا يبدو تناقض المتمهدي مع نفسه واضحاً حيث يزعم أنه يتابع الرسول ﷺ متابعة كاملة، ولا يحيد عنها قيد أنملة، ثم يجعل موافقة أحواله وأقواله هي الميزان لصحة الحديث وسقمه، فكيف يوزن كلام المتبوع بميزان التابع؟.

ومن الأدلة التي يتردد كثيراً على لسان المتمهدي لإثبات الرؤية الدنيوية

قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1].

«على أن المراد باللقاء هو الرؤية العينية في دار الدنيا ـ كما يزعم المتمهدي ـ، بل معناه كما قال الحافظ ابن كثير: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثوابه، وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصاً لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ»[2].

وهكذا قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾[3].

على أن البصير هو الذي يراه في الدنيا، و«الأعمى» لا يراه، وتأكد ذلك المعنى باستعمال صيغة الماضي «أبصر» و«عَمِيَ».

وهذا تقوُّل سافر في كلام الله ـ تعالى ـ وحمله على ما لا يحتمله، ولا يوجد بين مسألة الرؤية الدنيوية وهذه الآية أدنى علاقة، ومعناها كما قال الحافظ ابن كثير:

««البصائر»: هي البينات والحجج التي اشتمل عليها القرآن، وما جاء به الرسول ﷺ ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ﴾، مثل قوله: ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[4]، ولهذا قال: ﴿وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فإنها يعود وبال ذلك عليه، كقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[5]، ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: بحافظ ولا رقيب، بل أنا مبلغ، والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء»[6].

وأما قوله ﷺ: «أن تعبد الله كأنك تراه»، فإنه لا يدل على أن معنى

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٥/ ٢٠٠).
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٤.
(٤) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٥) سورة الحج: الآية ٤٦.
(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠٥).

الإحسان هو العبادة مع الرؤية العينية لله ـ تعالى ـ وقد ذكر الحافظ ابن رجب في قوله ﷺ في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه...» إلخ. فقال:

«يشير إلى أن العبد، يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف، والهيبة والتعظيم، كما جاء في رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «أن تخشى الله كأنك تراه» ويوجب أيضاً: النصح في العبادة، وبذل الجهد في تحسينها، وإتمامها، وإكمالها»[1].

فتبين من هذا العرض أن القول برؤية الله في دار الدنيا باطل، فضلاً عن فرضها لتحقيق الإيمان.

ثانياً: الأعمال الستة

وهي الأحكام التي وضعها المتمهدي على أتباعه بصفته مخولاً في بيان الأحكام الشرعية، ومنها:

١ ـ العشر:

يجب دفع العشر من كل ما يملكه المهدوي بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾[2].

وهذا ما تقوله المتمهدي في كلام الله ـ تعالى ـ فإنه لا يدل على فرضية دفع العشر، ولا يوجد هناك علاقة بين ما تدل عليه الآية المذكورة وبين ما يزعمه المتمهدي. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة: «يأمر ـ تعالى ـ عباده المؤمنين بالإنفاق ـ والمراد به ههنا الصدقة

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١/١٢٦)، تحقيق: شعيب أرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٧.

قاله ابن عباس ـ من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها».

قال مجاهد: يعني التجارة بتيسيره إياها لهم.

قال علي والسدي: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ يعني: الذهب والفضة، ومن الثمار، والزروع التي أنبتناها لهم من الأرض.

قال ابن عباس: «أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه. ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه ـ وهو خبيثه ـ فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً. ولهذا قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ أي: تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: لو أُعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه، فالله أغنى عنه منكم، فلا تجعلوا لله ما تكرهون»[1].

فتبين أنه لا توجد أية علاقة بين ما تدل عليه الآية الكريمة وما يزعمه المتمهدي أنها تدل على فرضية العشر، كما يلاحظ بتر الآية الكريمة للاستدلال بها على هواه.

ذكر «الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري» أنه ليس المقصود بالعشر ما يدفع من المحاصيل الزراعية، بل هو تشريع جديد فرضه المتمهدي إلى جانب فرضية الزكاة، فكما أن المسلم يستحق الوعيد لمنع الزكاة، وهكذا يستحق الوعيد أيضاً إذا امتنع عن دفع عشر ما يملكه الإنسان[2].

وهكذا شرع المتمهدي حكماً جديداً في الشريعة، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[3].

٢ ـ السوية:

يقصد بها تقسيم الأموال بالتساوي بين أصحاب المتمهدي. والدليل على ذلك قوله ﷺ في وصف المهدي: «يقسم المال صحاحاً. قيل: وما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس»[4].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٧٣). (٢) انظر: هدية مهدوية (٢٩٨).
(٣) سورة الشورى: الآية ٢١. (٤) تقدم تخريجه.

وهو قول حق أريد به باطل، إذ أنه من أوصاف المهدي الحقيقي الذي يظهر آخر الزمان، ويفيض المال في زمنه، ويعم الرخاء، وتنعم الأمة. وعند ذلك يقسم المهدي المال صحاحاً أي بالسوية[1].

وأما المتمهدي لم يفض المال في زمانه بل عاش هو وأتباعه في فقر مدقع، وضيق شديد، ولم يملك البلاد بل كان شريداً طريداً يرتحل من بلد إلى آخر حتى هلك.

وأما تقسيمه بالسوية ما يأتيه من المال والطعام والذي كانوا يسمونه «بالفتوح» فكان لحاجتهم إليه إذ كانوا لا يكتسبون، يتوكلون على حد زعمهم.

ذكر «الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري» أن المتمهدي لم يكن يقسم ما يأتيه بالسوية بل كان يعطي البعض أكثر من نصيبه بشفاعة الآخرين، كما كان يعطي زوجته أنصبة ثلاثة أشخاص. وكان يعطي ابنه «محمود» وزوجته، وولده أنصبة تسعة أشخاص. وهو تناقض واضح مع ما يدعيه[2].

٣ ـ النوبة:

يُقصد بها التناوب الليلي لإحيائها بالذكر ـ وقد تقدم ـ أن المقصود بالذكر هو الذكر الدائم على طريقة حفظ الأنفاس، وتقام هذه النوبة في الخلوات المهدوية التي يسمونها «بالدوائر» هذه الأمور كلها بدعية، كما تقدم الكلام عليها.

٤ ـ الإجماع:

والمقصود به القيام بالعمل الجماعي أثناء الرحلات والتنقلات بين البلاد. ولا يخفى أن هذا الأمر فرض عليه الواقع، وظروف الحياة، إذ كان كثير الترحال يجوب البلاد الهندية من أقصاها إلى أقصاها حتى وصل إقليم

---

(١) انظر: القول المختصر في علامات المهدي المنتظر (٣٣).

(٢) انظر: هدية مهدوية (٩١).

«خراسان» خارج القارة الهندية ـ حيث لقي حتفه ـ، وكان يواجه هو وأتباعه ظروفاً قاسية في هذه التنقلات مما جعله يدعو أتباعه إلى هذا العمل الجماعي.

٥ ـ تحية الوضوء:

يقصد بها صلاة ركعتين بعد الوضوء، ثم الدعاء في حال السجود. بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[(١)].

أما الصلاة بعد الوضوء فهو أمر مرغوب فيه شرعاً، وكذلك الدعاء في حال السجود. قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[(٢)] وأمر ﷺ بالاجتهاد في الدعاء في السجود، وقال: «إنه قَمِنٌ[(٣)] أن يستجاب لكم»[(٤)].

وأما الاستدلال بالآية المذكورة فغير صحيح؛ لأنها لا تدل على الحال المذكورة للدعاء فقط، بل هي مطلقة. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أرشد ـ تبارك وتعالى ـ عباده إلى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وأخراهم، فقال: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ معناه: تذللاً واستكانة ﴿وَخُفْيَةً...﴾ كما قال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾[(٥)] الآية.

قال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس في قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ قال: السر.

وقال ابن جرير: «﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً واستكانة لطاعته، ﴿وَخُفْيَةً﴾ يقول:

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

(٢) جزء من حديث أبي هريرة ﷺ رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/ ٣٥٠، برقم: ٤٨٢).

(٣) يقال: قَمَنٌ وقَمِنٌ وقَمِينٌ: أي خليق وجدير.
انظر: النهاية (٤/ ١١١).

(٤) جزء من حديث عبد الله بن عباس ﷺ، رواه مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (١/ ٣٤٨، برقم: ٤٧٩).

(٥) سورة الأعراف: الآية ٢٠٥.

بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه، لا جهاراً ومراءاة»[1][2].

وحصر الدعاء في حال السجود فقط لا يدل عليه دليل، بل مجاله واسع في حال السجود وغيره.

ثم إن ندب المتمهدي أتباعه إلى الدعاء في السجود وبيان الفضائل الكثيرة له لا يغطي ما جاء به من عقائد باطلة وانحرافات واضحة بل هو كبيان «القادياني» فضائل السواك، وفوائده، وترغيب الناس فيه، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

٦ ـ سلام الوداع:

يقصد به أن الرسول ﷺ لما كان يقوم لينصرف إلى بيته بعد أداء صلاة العشاء، يقف أصحابه صفوفاً، فيسلم عليهم النبي ﷺ سلام الوداع، ويودعهم. واتباعاً لهذه السنة هكذا كان يفعل المتمهدي، ودعا أتباعه إلى هذا العمل.

ولم أجد ـ فيما عرفته ـ في كتب السنة والسيرة أن الرسول ﷺ كان يفعل ذلك، كما لم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان أنهم كانوا يسلمون بعد صلاة العشاء سلام الوداع. بل هو افتراء المتمهدي وكذبه على الرسول ﷺ، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[3]. ولعله أراد من خلال هذا العمل أن يرى للناس مكانته لدى أتباعه.

وقد ثبت عن الرسول ﷺ عكس ما كان يفعل المتمهدي، كما جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[4].

---

(١) انظر: قول الطبري في تفسيره (١٢/ ٤٨٥).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٣، ٤٢٤).
(٣) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما تقدم تخريجه في المبحث الرابع من الفصل الثاني.
(٤) حديث معاوية رضي الله عنه رواه أبو داود في سننه بتمام اللفظ في كتاب الأدب، باب الرجل يقوم للرجل يعظمه بذلك (٥/ ٣٩٧، برقم: ٥٢٢٩).

بعد هذا الرد على عقائد «المهدوية» يحسن أن أذيِّل هذا المبحث بفتاوى فقهاء «مكة» ـ في القرن العاشر الهجري ـ إزاء هذه الفرقة، وكانت لهذه الفتاوى آثار فعالة حيث فضح هؤلاء الفقهاء مزاعم المتمهدي، وكشفوا عن عواره، مما حد من نفوذ هذه الفرقة وانتشارها، وكشفِ حقيقتها أمام المسلمين.

ذكر «الشيخ أبو رجاء الشاهجهانبوري» أن هذه الفتاوى لما وصلت إلى إقليم «كجرات» استدعى حاكمها «السلطان مظفر» كبار دعاة «المهدوية»، وطلب منهم التوبة عن «المهدوية»، ولما رفضوا قتلهم جميعاً، وكان عددهم ثلاثة عشر داعية، كما ألقى القبض على «السيد علي بن السيد محمد الجونبوري المتمهدي»، وزَجَّ به في السجن حيث لقي مصرعه هناك[1]. وهكذا كان أثر هذه الفتاوى طيباً في الحد من نفوذ هذه الفرقة.

وقد ضمن «الشيخ علي المتقي الهندي» هذه الفتاوى في آخر كتابه: «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» وهذا نصها:

«ما يقول السادة العلماء أئمة الدين، وهداة المسلمين ـ أيدهم الله بروح القدس ـ في طائفة اعتقدوا شخصاً من بلاد «الهند» مات سنة عشر وتسعمائة ببلد من بلاد العجم يسمى «فره» أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان، وأن من أنكر هذا المهدي فقد كفر. ثم حُكْم من أنكر المهدي الموعود. أفتونا ـ رضي الله عنكم ـ وكان هذا الاستفتاء في سنة اثنين وخمسين وتسعمائة.

فأفتى «الشيخ العلامة أحمد بن حجر الشافعي» ـ فسح الله تعالى في عمره ـ «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. اللّهم هدايةً لما اختلف فيه من الحق بإذنك، وتوفيقاً للصواب.

= والترمذي في جامعه بلفظ: «مَن سَرّه...» في كتاب الأدب، باب كراهة قيام الرجل للرجل، وقال: هذا حديث حسن (٨/ ٣٠، برقم: ٢٩٠٣).

(١) انظر: هدية مهدوية (٣١، ٣٢).

اعتقاد هؤلاء الطائفة باطل قبيح، وجهل صريح، وبدعة شنيعة، وضلالة قطعية.

أما الأول: فلمخالفته لصرائح الأحاديث المستفيضة المتواترة بأنه من أهل بيت النبي ﷺ وأنه يملك الأرض شرقها وغربها. ويملأها عدلاً لم يسمع بمثله. وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لُدّ بأرض فلسطين قريب من بيت المقدس. وأنه يؤم هذه الأمة. وأن عيسى بن مريم يصلي خلفه. وأنه يذبح السفياني. وأنه يُخسف بجيشه الذي يُرسل إلى المهدي بالبيداء بين «مكة» و«المدينة» عند «ذي الحليفة»؛ فلا ينجو منهم إلا اثنان. وغير ذلك من العلامات الكثيرة. وقد أفردتها بتأليف سميته: «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر»[1] ذكرنا فيه نحواً من مائة علامة لم يُمَيّز بها عن غيره، جاءت عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه، وتابعيهم، وجمعته من كتب الأئمة المؤلفة على سعتها، وكثرة أحاديثها، وطرقها، وما فيها من الآثار الكثيرة، والأعاجيب الشهيرة؛ وكل ذلك يضلل هؤلاء الطائفة المعتقدين في ذلك الميت أنه المهدي، لم يوجد فيه أدنى شبهة تحمل ذا عقل بلغته السنة على أن يعتقدوا فيه ذلك.

وأما الثاني: فلأنه يترتب عليه تكفير الأئمة المصرحين في كتبهم بما يستلزم إنكار أن ذلك الميت هو المهدي، ومن كَفَّر مؤمناً لدينه فهو كافر يضرب عنقه، إن لم يتب ويجدّد إسلامه. ومن كفر الصحابة أو ضلّل الأمة، فهو كافر. فهؤلاء الضالون إن صرحوا بشيء من هذه اللوازم المكفرة كانوا كفاراً مرتدين من الدين، فعلى الإمام ـ أيد الله بسيف عدله معالم الدين، وأباد بصادق همته، وانتصاره للشريعة المحمدية طوائف الكفار والمفسدين ـ أن يجري على هؤلاء الطائفة ما ذكرناه من أحكامهم، وبيَّناه من قبائحهم، وإيلامهم، ويشدد عليهم أنواع العقوبة حتى يرجعوا للحق، ويعترفوا بالصدق».

---

(١) وهو مطبوع. وتقدم الحديث عنه.

«وأما الثالث: وهو لازم ما قبله فإن كان لإنكارهم السنة رأساً فهو كفرٌ، يقضى عليهم بكفرهم وردتهم، فيقتلون ـ كما مر ـ وإن كان لا لإنكارهم لها، وإنما هو محض عناد لأئمة الإسلام، وجهابذة الأحكام، ومصابيح الهدى، ونجوم الظلام، فهو يقتضي تعزيرهم البليغ، وإهانتهم بما يراه الحاكم لائقاً بعظيم جريمتهم، وقبح طريقتهم، وفساد عقيدتهم، من حبسٍ وضربٍ وصفعٍ وغيرها مما يزجرهم عن هذه القبائح، ويكفهم عن تلك الفضائح، ويرجعهم إلى الحق، رغم أنوفهم، ويَرُدهم إلى اعتقاد ما ورد به الشرع ردعاً عن كفرهم وإكفارهم. والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم. وهو ولي الهداية والتوفيق، وإليه الضراعة في أن يمنحنا مراتب الاتباع والتصديق، ومعالم العرفان والتحقيق. إنه جواد كريم رؤوف رحيم».

«قال ذلك وكتبه فقير عفو ربه وكرمه الملتجئ إلى بيته وحرمه أحمد بن حجر الشافعي ـ عفا الله ـ تعالى ـ عنه وعن مشائخه، ووالديه ـ حامداً ومصلياً ومسلماً».

«وأفتى الحنفي: «الحمد لله، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً. اعتقاد هذا الطائفة المذكورة المحكي عنهم هذه الأمور الشنيعة، والأحوال المنكرة القطعية باطل لا أصل له، ولا حقيقة. ويجب قمعهم أشد القمع، وردعهم أشد الردع لمخالفة اعتقادهم ما وردت به النصوص الصحيحة، والسنن الصريحة التي تواترت الأخبار بها، واستفاضت بكثرة رواتها من أن المهدي ﷺ الموعود بظهوره في آخر الزمان يخرج مع سيدنا عيسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ ويساعد سيدنا عيسى على قتل الدجال. وأنه يكون له علامات قبل ظهوره، منها: السفياني، وخسوف القمر في شهر رمضان. وورد أيضاً أنه يخسف في شهر رمضان مرتين، وكسوف الشمس في النصف من رمضان على خلاف ما جرت به العادة عند حُسَّاب النجوم.

كل ذلك لم يقع، فدل عدم ظهور شيء من هذه العلامات المنصوص عليها على فساد اعتقادهم، وغلط مرادهم، ولا يجوز تكفيرهم لأحد من

المسلمين. فإن كفروا المخالفين ما اعتقدوه، واعتقدوا كفرهم بسبب أنهم خالفوا معتقدهم الباطل، فقد كفروا؛ لأن من اعتقد أن المسلم كافر، فقد اعتقد دينه كفراً، فيكفر ويجري عليه أحكام الكفر من الاستتابة أو القتل. والله ولي من نصر الحق، وقام، وقمع أهل الظلم، ومن تذرع به».

«قال ذلك وكتبه الفقير إلى الله ـ تعالى ـ أحمد أبو السرور بن الصبا الحنفي ـ عامله الله بلطفه الخفي حامداً، مصلياً، مسلماً، ومفوضاً متوكلاً ـ والله أعلم».

«وأفتى المالكي: «الحمد لله وحده ما شاء الله لا قوة إلا بالله. اعتقاد هؤلاء الطائفة في الرجل الميت أنه المهدي الموعود بظهوره في آخر الزمان باطل؛ للأحاديث الصحيحة الدالة على صحة صفة المهدي، وصفة خروج المهدي، وما يتقدم بين يدي ذلك من الفتن كظهور السفياني، والخسف بالجيش، الذي يخرج لمحاربته بالبيداء، وكسوف الشمس في نصف شهر رمضان، وخسوف القمر في أوله وغير ذلك من الفتن، والأحاديث الدالة على كون المهدي يملك الأرض، ويظهر الدجال في أيامه وغير ذلك، ولم توجد هذه الأمور في الرجل الميت المذكور، فظهر أن اعتقادهم فيه أنه المهدي، باطل لا أصل له.

وأما اعتقادهم أن من أنكر كونه المهدي فقد كفر بذلك. فإن صرحوا باعتقاد كفر جميع المسلمين المخالفين لمعتقدهم، ورأوا أنهم خرجوا من الإسلام بذلك، وصاروا كفرة لذلك، فقد كفروا بهذا الاعتقاد الباطل، فيستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا. فنسأل الله العافية من الزيغ والضلال. ونسأله الثبات على الإسلام في جميع الأحوال بجاه[1] سيد المرسلين، صلى الله عليه وسلم، وآله وصحبه أجمعين».

«قال ذلك وكتبه: محمد بن محمد الخطابي المالكي غفر الله له ولوالديه، ولمشائخه ولجميع المسلمين. آمين».

---

(١) لم يثبت عن السلف الصالح التوسل بجاه النبي ﷺ فهو بدعة مستحدثة.

«وأفتى الحنبلي: «الحمد لله، اللهم اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك. لا ريبة في فساد هذا الاعتقاد لما اشتمل عليه من مخالفة الأحاديث الصحيحة بالعناد. فقد صح عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما رواه الثقات عن الرواة الأثبات أنه أخبر بخروج المهدي في آخر الزمان. وذَكَرَ مُقدِّماتٍ لظهوره، وصفاتٍ في ذاته، وأمور تقع في زمانه. من أعظمها ما لا يمكن دعوى أنه وقع: وهو نزول سيدنا عيسى ـ صلوات الله على نبينا وعليه ـ في زمانه واجتماعه، وصلاته خلفه. وخروج الدجال وقتله إياه معه، وهذه أمور لم تقع، ولا بد من وقوعها، وقد فات ذلك هذا الرجل بموته. نعوذ بالله من الخذلان، وتزيين الشيطان.

وأما تكفير هذه الطائفة من خالفها من المسلمين على خلاف الحق ومعتقدهم، وأنهم خرجوا عن الإسلام بذلك فقد ارتدوا. والعياذ بالله.

وأما من كذّب بالمهدي الموعود به. فقد أخبر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكفره. فإن أصرت هذه الطائفة الضالة على تكفير أهل الإسلام تكفيراً يخرج عن الملة، فلكل من الإمام، ومن يقوم مقامه من حكام المسلمين ـ أيد الله بهم الدين ـ أن يجري عليها أحكام المرتدين باستتابتهم ثلاثاً، فإن تابوا، وإلا ضربت أعناقهم بالسيف كي يرتدع أمثالهم من المبتدعين. رَيَّح الله المسلمين منهم أجمعين. والله أعلم بالصواب.

قال ذلك وكتبه: الفقير إلى الله العلي «يحيى بن محمد الحنبلي» لطف الله به حامداً ومصلياً مسلماً محوقلاً محسبلاً مستغفراً»[1].

ومما يجدر بالذكر هنا أن طائفةً من الباحثين المعاصرين[2] أنكروا

---

(١) انظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ل٢٩/أ ـ ٣١/ب)، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٨٧٣).

(٢) من أبرز هؤلاء الباحثين «الشيخ محمد رشيد رضا» في تفسيره «المنار» (٩/ ٤١٦ ـ ٤٢٣). و«محمد فريد وجدي» في «دائرة معارف القرن العشرين» (١٠/ ٤٨٠)، و«أحمد أمين» في كتابه «ضحى الإسلام» (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٤٦)، و«محمد عبد الله عنان» في كتابه «مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام» (٣٥٩ ـ ٣٦٤)، و«عبد الكريم الخطيب» =

ظهور المهدي الحقيقي آخر الزمان. يصمون أحاديثه بالتناقض والبطلان، وأن المهدي ليس إلا أسطورة اخترعها «الشيعة» ثم دخلت في كتب «أهل السنة».

وقد تأثر هؤلاء بما اشتهر عن «ابن خلدون»[1] من تضعيف لأحاديث المهدي[2].

قال «الشيخ أحمد شاكر» في رده على «ابن خلدون»: «إن ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين الجرح مقدم على التعديل» ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال، وقد يكون قرأ وعرف، ولكنه أراد تضعيف أحاديث المهدي بما غلب عليه الرأي السياسي في عصره».

ثم بين أن ما كتبه «ابن خلدون» في باب المهدي مملوء بالأغلاط الكثيرة في أسماء الرجال، ونقل العلل، واعتذر عنه بأن ذلك قد يكون من خلط الناسخين، وإهمال المصححين[3].

= في كتابه «المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل» (٥٣٩). ولعل آخر من أدلى بدلوه في هذا المضمار هو «الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود» في كتابه: «لا مهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر».
لقد تصدى للرد على هؤلاء المنكرين نخبة من علماء المسلمين، لعل من أبرزهم «الشيخ عبد المحسن العباد». في كتابه القيم: «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي» وخص منهم الشيخ عبد الله آل محمود في رسالته المذكورة.
كما تولى الرد عليه أيضاً «الشيخ حمود التويجري» في كتابه: «الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر».

(١) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي، المعروف بابن خلدون (. . . ـ ٨٠٨هـ).
مؤرخ مشهور. نشأ في تونس، وتقلد هناك مناصب كثيرة، ثم رحل منها إلى مصر وتولى قضاء المالكية فيها. من أشهر مصنفاته كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر». توفي في القاهرة.
انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٧/٧٦، ٧٧)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان.

(٢) انظر كلام ابن خلدون في: مقدمته (٣١١ ـ ٣٢٢).

(٣) انظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر في مسند الإمام أحمد (٥/١٩٧، ١٩٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأحاديث التي وردت في مهدي آخر الزمان: «وأحاديث المهدي معروفة رواها الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم»[1].

وقال الشيخ السفاريني: «وقد كثرت بخروجه ـ أي المهدي ـ الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدَّ من معتقداتهم»[2].

وقد نقل الشيخ صديق حسن خان القنوجي كلام «الشوكاني» من «التوضيح» حيث قال: «الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها، منها خمسون حديثاً: فيها الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك وشبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول. وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك»[3].

كما تأثر هؤلاء ـ أي المنكرون للمهدي ـ بكلام بعض المستشرقين الذين قالوا: إن عقيدة المهدي كانت سبباً في إثارة الفتن، وإشاعة الفوضى في العالم الإسلامي، كما قال «جولد تسيهر»: «وقد أمكن استخدام هذه العقيدة ـ أي المهدوية ـ خلال عصور التاريخ الإسلامي لتبرير الفتن والقلاقل التي أشعل نيرانها بعض الثائرين السياسيين الدينيين، متطلعين إلى قلب النظم الحكومية القائمة، وساعين إلى استجلاب محبة الشعب حتى يفتتن بهم، على اعتبار أنهم يمثلون الفكرة المهدية، فدفعوا بأجزاء كبيرة من العالم الإسلامي إلى خوض غمار الاضطراب والحروب»[4].

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٩٥). (٢) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٨٤).

(٣) انظر: الإذاعة (١١٣، ١١٤).

(٤) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام (٢١٨، ٢١٩)، ترجمة: الدكتور محمد يوسف موسى وآخرون.
الطبعة الثانية (....)، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

وهذا ما جاء أيضاً في تعبير «ابن محمود» في أسباب إنكاره للمهدي، فقال: «لهذا رأينا كل من انتحل خطة باطلة من الدجالين المنحرفين فإنه يسمي نفسه بالمهدي، ويتبعه على دعوته الهمج السُذّج والغوغاء الذين هم عون الظالم، ويد الغاشم في كل زمان ومكان»[1].

وقد رد عليه الشيخ التويجري بقوله:

«فجوابه أن أقول: قد ذكرت مراراً أن دعوى المدعين للمهدية كذباً وزوراً، لا تقدح في الأحاديث الثابتة في المهدي، ولا تؤثر فيها، كما أن دعوى المدعين للنبوة كذباً وزوراً لا تقدح في دلائل نبوة الأنبياء، ولا تؤثر فيها. وذكرت أيضاً في عدة مواضع أن المهدي لا يطلب الأمر لنفسه ابتداءً مدعياً أنه المهدي، كما يفعل ذلك المدعون للمهدية كذباً وزوراً، وإنما يأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه، ثم يسميه الناس بعد ذلك بالمهدي لما يرون من صلاحه وعدله، وإزالته للجور والظلم، وقد التبس الأمر في المهدي على «ابن محمود» فخلط بين المهدي الذي بشر النبي ﷺ بخروجه في آخر الزمان، وبين الكذابين الذين ادعوا المهدية كذباً وزوراً، وجعل الجميع من باب واحد، وهذا خطأ كبير»[2].

ومن أهم أسباب إنكار ظهور المهدي الحقيقي في آخر الزمان عند منكريه، أن فكرة المهدي جاءت عن «الشيعة»، يقول ابن محمود: «وأن أصل من تبنى هذه الفكرة والعقيدة هم «الشيعة» الذين من عقائدهم الإيمان بالإمام الغائب المنتظر، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وهو الإمام الثاني عشر «محمد بن الحسن العسكري»، فسرت هذه الفكرة، وهذا الاعتقاد بطريق المجالسة والمؤانسة والاختلاط إلى أهل السنة، فدخلت في معتقدهم، وهي ليست من أصل عقيدتهم»[3].

---

(١) انظر: لا مهدي ينتظر بعد الرسول ﷺ خير البشر (ص٧١).

(٢) انظر: الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر (١/٣٠٢، ٣٠٣)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ)، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: لا مهدي ينتظر (٣، ٤).

فرد عليه «الشيخ عبد المحسن العباد» بقوله:

«والجواب أن هناك فرقاً كبيراً، وبوناً شاسعاً، بين «أهل السنة» و«الشيعة»، فالمهدي عند «أهل السنة» لا يعدو كونه إماماً من أئمة المسلمين، الذين ينشرون العدل، ويطبقون شريعة الإسلام، يولد في آخر الزمان، ويتولى إمرة المسلمين، ويكون خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من السماء في زمانه، وهو غير معصوم، ومستندهم في ذلك أحاديث ثابتة عن رسول الله ﷺ مدونة في دواوين أهل السنة، قال بصحتها وثبوتها جهابذة أهل العلم المعتد بهم، مثل: البيهقي، والعقيلي، والذهبي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير وغيرهم.

أما المهدي عند الشيعة فهو «محمد بن الحسن العسكري»[١] ـ ولد في منتصف القرن الثالث تقريباً، ودخل سرداباً في «سامرا» وهو صغير ـ في زعمهم ـ ولا يزالون في انتظار خروجه من سردابه، وهو الإمام الثاني عشر[٢] من أئمتهم الاثنى عشر، الذين يعتقدون فيهم أنهم معصومون، ويصفونهم بصفات تجاوروا فيها الحدود...»[٣].

ثم إن الذي ذهب إليه «الشيعة» لا يدل عليه دليل، بل هو من هوس الشيطان وتلبيسه عليهم. قال الحافظ ابن كثير:

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن «الحسن بن علي العسكري» لم يكن له نسب ولا عقب، فعلى هذا لا وجود لولده «محمد بن الحسن العسكري».
انظر: منهاج السنة النبوية (٤/٨٧).

(٢) هذه عقيدة الفرقة الإمامية الاثنى عشرية. وأما الكيسانية ـ وهم أول من اخترعوا فكرة الإمام الغائب ـ فزعموا أن «محمد بن الحنفية» الذي غاب في جبل «رضوى» ـ على حد زعمهم ـ هو المهدي المنتظر. وأما «الإسماعيلية» فقد نسبوا المهدية إلى «عبيد الله المهدي» (... ـ ٣٢٤هـ)، الذي ظهرت على يده الدولة العبيدية أو الفاطمية. وهكذا يبدو التناقض واضحاً في تحديد شخص المهدي عند فرق «الشيعة» بينما «أهل السنة» لا يوجد بينهم أي خلاف كما تقدم في كلام «الشيخ العباد».
انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٥٩).

(٣) انظر تفصيلات هذا الجواب في: الرد على من كذب بالأحاديث الواردة بالمهدي (٨، ٩)، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ)، مطابع الرشيد، المدينة المنورة.

«ويكون ظهوره ـ أي المهدي ـ من بلاد المشرق، لا من سرداب «سامرا» كما تزعمه جهلة «الرافضة» من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كثير من الخذلان، وهوس شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل عليه ولا برهان، لا من كتاب ولا من سنة، ولا من معقول صحيح، ولا استحسان»[1]. والله أعلم.



(١) النهاية في الفتن والملاحم (٥٥).




الفصل الرابع

الفرقة الروشنية[1] أو الروشنائية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الروشنية في الميزان.




(١) كلمة «الروشنية» نسبة إلى كلمة «روشن» بمعنى النور. وسيأتي بعد قليل وجه تسمية هذه الفرقة بهذا الاسم.

المبحث الأول

تاريخها ونشأتها

تُعَدُّ «الفرقة الروشنية» إحدى الفرق النشطة التي نشأت في القرن العاشر الهجري في الأطراف الشمالية للقارة الهندية، وبلاد الأفغان[١]. تنسب هذه الفرقة إلى «بايزيد بن عبد الله بن محمد الأنصاري»[٢] الذي ينحدر من قبيلة «أرمر» الأفغانية التي تعرف «بالبتان»، وكانت مساكنها في منطقة «كاني كرم»[٣][٤].

ميلاده:

ولد «بايزيد» في مدينة «جالندر» الهندية عام (٩٣١هـ). وذلك أن بعض

---

(١) يجدر بالذكر هنا أنه في أيام الحكم الإسلامي على بلاد «الهند»، كانت «أفغانستان» تابعة للحكومة المركزية للهند، وقبل دخول «الملك بابر المغولي» إلى «دهلي» ـ ليؤسس الدولة المغولية في الهند ـ عام (٩٣٢هـ)، كانت الأسرة اللودية الأفغانية هي الحاكمة لبلاد الهند و«أفغانستان». وكان آخر حكامها «إبراهيم اللودي» الذي انهزم أمام «الملك بابر المغولي» في موقعة «باني بت» الشهيرة عام (٩٣٢هـ).
انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم للساداتي (١/ ٢٤٩).

(٢) هناك رأيان للباحثين في تلقيبه بالأنصاري: يرى البعض أن هذه النسبة ليست صحيحة، بل ادعاء من «بايزيد» ليضفي على حركته احتراماً وتقبلاً من قبل المسلمين لنسبته إلى «الأنصار». ويرى الآخرون أن فرعاً من قبيلة «أرمر» التي ينحدر منها «بايزيد» كان يعرف «بالأنصاري»؛ إذ أن أحد أجداد هذا الفرع ينتمي إلى سلالة «الصحابي أبي أيوب الأنصاري ﷺ» وأن «بايزيد» من هذا الفرع. انظر: تذكره صوفيائے سرحد (تذكرة صوفية سَرْحَد) إعجاز الحق قدوسي (٨٣، ٨٤) مركزي اردو بورد، لاهور ـ باكستان.

(٣) اسم منطقة تقع حالياً في أفغانستان. (٤) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (٨٣).

الأسر الأنصارية المذكورة استوطن في مدينة «جالندر» الواقعة في «الهند»، وكان أجداد «بايزيد الأنصاري» يقومون بشراء الخيول من «أفغانستان» ويبيعونها في «الهند»، ويأتون بالبضائع الهندية إلى «أفغانستان» فسافر مرة جد «بايزيد» «الشيخ محمد» في مهمة تجارية إلى «الهند» وأقام عند أخيه «الشيخ أبي بكر» في مدينة «جالندر» وأعجب هناك «بأيمنة» بنت أخيه «الشيخ أبي بكر» فخطبها لأحد أبنائه، ووافق عليه «الشيخ أبو بكر» بشرط أن يحضر ابنه إلى «جالندر» فحضر ابن «الشيخ محمد» إلى «جالندر» وتزوج «بأيمنة»، وأنجب منها بنتاً ثم توفي هناك، ولما بلغ خبر وفاته أخاه «عبد الله» في «كاني كرم» شد رحله، وقدم إلى «جالندر» حيث عقد على «أيمنة» أرملة أخيه المتوفى، وأنجب منها «بايزيد الأنصاري» عام (٩٣١هـ).

ولما كانت «العبد الله» زوجة أخرى في «كاني كرم» بالإضافة إلى ثروته الطائلة هناك، رجع إلى وطنه الأصلي «كاني كرم» بعد ولادة «بايزيد الأنصاري»: بأربعين يوماً، تاركاً ولده، وزوجه في «جالندر». وهكذا حرم «بايزيد» من عطف أبيه وهو رضيع[1].

نشأته:

بعد ولادة «بايزيد الأنصاري» بقليل بدأ «الملك بابر المغولي»[2] يزحف بجحافل جيشه إلى «الهند» وتمكن من طرد «السلطان إبراهيم اللودي الأفغاني» آخر ملوك الأسرة اللودية الأفغانية، وذلك عام (٩٣٢هـ)،

---

(١) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (الأدب الفارسي في باكستان) للدكتور ظهور الدين أحمد (٥٦٠، ٥٦١)، يونيورستي بوك ايجنسي، أنار كلي، لاهور ـ پاكستان.

(٢) هو: ظهير الدين محمد بابر بن عمر بن أبي سعيد التيموري المغولي (٨٨٨هـ ـ ٩٣٩هـ). جلس على سرير الملك في «اندجان» من بلاد ما وراء النهر، وله اثنا عشر عاماً ثم دخل «كابل» وزحف على بلاد «الهند»، وهزم «إبراهيم اللودي» ملك «الهند» في ذلك الوقت في معركة «پاني پت»، وأسس الدولة المغولية في بلاد «الهند» والأفغان. توفي في «آغرا».
انظر: نزهة الخواطر (٤/٤٦ ـ ٤٨).

فاضطربت بذلك الأسر الأفغانية في «الهند»، وتعرضت لضروب من المحن والمظالم، فقررت أغلب الأسر الأفغانية مغادرة «الهند» والسفر إلى «أفغانستان» فبدأت القوافل تتوجه إلى «أفغانستان» وانضمت والدة «بايزيد» مع ابنه إلى إحدى القوافل، ووصلت إلى زوجها «عبد الله» في «كاني كرم».

ولما كان «العبد الله» زوجة أخرى، وكان يعتني بها أكثر من عنايته «بأيمنة» ـ أم بايزيد ـ وقعت بينهما المشاحنة والمشاجرة، واشتد الخلاف حتى أصبحت الحياة الزوجية نكداً، فاجتمع أقرباء «الشيخ عبد الله» وطالبوه بالمساواة بين الزوجين أو الطلاق، وهددوه بالقتل، إن لم يخضع لأحد الأمرين. ولم يستطع «عبد الله» المساواة بينهما فطلق «أيمنة» ـ أم بايزيد ـ فرجعت هي إلى «جالندر» وطنها الأصلي، تاركة ابنها «بايزيد» لدى أبيه، وقد بلغ «بايزيد» في ذلك الوقت من العمر سبع سنوات. وهكذا حرم «بايزيد» من عطف أمه وحنانها، كما قد حُرم من قبل من رعاية أبيه وشفقته، وكان لهذين الحرمانين أثر بالغ في نفس «بايزيد» واختياره حياة العزلة والتفكير[1].

طلب العلم:

كان والد «بايزيد» «الشيخ عبد الله» قاضياً في بلدته «كاني كرم» وأحد المشائخ المعروفين، وكان يرغب في أن يتعلم «بايزيد» ويتسلم منه منصب القضاء إذ كَبُر، فكان يرسله إلى الكُتَّاب مع أخيه لأبيه «يعقوب» حتى ختم قراءة القرآن الكريم، وقرأ بعض كتب الفقه عند أبيه، أمثال: «اللباب» و«القدوري»، كما درس بعض كتب التفسير والتصوف، ولكن «بايزيد» كان يعيش حياة قلقة غير مستقرة؛ إذ كانت زوج أبيه «فاطمة» تعامله معاملة قاسية، وتنظر إليه نظرة الكراهة والحقارة، ومما أضاف في حقدها وحسدها أن «بايزيد» كان ذكياً في الدرس، وبارعاً في التعلم، ومتفوقاً على ابنها

---

(١) انظر: رود كوثر (٤٣، ٤٤).
ـ مقدمة مقصود المؤمنين (٧، ٨).

«يعقوب» في الحفظ والقراءة، فكانت تحيك له المؤامرات في البيت حتى أنها اتهمته بسرقة بعض متاعها، ولكن «بايزيد» برأ نفسه من هذه التهمة بالحلف إلا أنها تركت آثاراً مؤلمة في نفسه.

ومن ناحية أخرى كان أبوه «الشيخ عبد الله» يستغل ابنه «بايزيد» في تجارة الخيول، وزراعة الأراضي، ورعي الأغنام والحصان، وطحن الدقيق مما صرفه عن مواصلة التحصيل العلمي، ولكن رغبة «بايزيد» كانت شديدة في طلب العلم، وغلب عليه حب الاستطلاع حتى أنه خرج من بيته متوجهاً إلى «مكة المكرمة» مع قافلة الحجيج، قاصداً حج بيت الله الحرام، وطلب العلم، ولما وصل خبر خروجه إلى أبيه «عبد الله» ذهب وراءه، واسترجعه من الطريق، وقال له: «إن حجك لا يقبل إذا لم تحصل على إذن مني». وهكذا توقف عن طلب العلم، ولم يجد فرصة لاستكماله[١].

التحول في حياته:

ولما رأى «بايزيد» أن حياته غير مستقرة ومهددة بالمشاكل العائلية، ومعرضة للأخطار من قبل زوج أبيه، طلب من أبيه «الشيخ عبد الله» أن يوزع ثروته، وأن يعطى منها نصيبه، ليعيش عيشة مستقلة هادئة، وقد عارض أبوه هذا الطلب لأول الأمر، ولكن رضخ له في النهاية تحت ضغوط من شيوخ البلدة، وأعطى «بايزيد» نصيبه من المال، فبدأ حياة مستقلة بعيداً عن المشاحنة، وبنى بيتاً خاصاً به، وشرع يعمل ويكسب لنفسه، ثم تزوج بإحدى بنات عمه تدعى «بي بي شمسو»[٢].

ولما كان «بايزيد» قد جبل على حب الاستطلاع منذ صباه، يحب صحبة العلماء والمشائخ الصوفية، ويستمع إلى مواعظهم، ويتردد على حلقاتهم كلما أتيحت له الفرصة، ويستكثر قراءة الأوراد والأذكار، وسهر

---

(١) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٦١، ٥٦٢).
ـ مقدمة مقصود المؤمنين (٧ ـ ١٠).

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠، ١١).

الليالي، ويفكر في الخالق والكون، وينظر إلى أهل زمانه، وإلى أقوالهم وأفعالهم حتى سمع يوماً من بعض المشائخ أن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى معرفة الحق إلا عن طريق «الشيخ الكامل»، وهنا تحرك ضميره، واشتد ولوعه للبحث عن «الشيخ الكامل» والمصلح الروحي ليبايعه، ويتبع طريقه، ولكنه رأى أن أغلب مشائخ الصوفية في زمانه يميلون إلى الدنيا أكثر من ميلهم إلى الدين، وكانوا يجعلون الدين وسيلة لكسب المال، وخداع عامة الناس، وإذا قدم أحد إلى منطقته من «الهند» أو «خراسان» يسأله عن «المرشد الكامل» والمشائخ الذين تصل أخبارهم إليه يعتبرهم «المرشد الناقص»؛ لا يصلح للمبايعة والمتابعة إلى أن وجد «الشيخ إسماعيل بن خدا داد» ـ ابن عمه ـ الذي زهد في الدنيا، وعرف بين الناس بالورع والتقوى، واشتهر بين القبائل بالمصلح الروحي، وكان يرشد الناس، ويهديهم إلى معرفة الحق، ويأمرهم بالاعتكاف ـ أي العزلة ـ فأراد «بايزيد» أن يبايعه، ولكن أباه «الشيخ عبد الله» منعه من ذلك بحجة أنه يُنَقِّص من شأنه، ويزدريه في أعين الناس؛ لأنه ابن أخيه، بل نصحه بالذهاب إلى «ملتان»[1] ليبايع «الشيخ بهاء الدين زكريا الملتاني» ولكن «بايزيد» عارض هذه الفكرة؛ لأنه في نظره لا يمثل «الشيخ الكامل» بل من الشيوخ الناقصين الذين لا يحصل لديهم على شيء من المعرفة والدين.

ولما يئس «بايزيد» عن الحصول على الإذن من أبيه ليبايع «الشيخ إسماعيل» طلب منه أن يعلمه الأوراد والأذكار بدون بيعة، ولكن الشيخ رفض ذلك، فكان «بايزيد» في هذا الصراع النفسي، ما يدري إلى أين يذهب؟ وماذا يفعل؟ حتى يجد «الشيخ الكامل»، وكان يراقب «الشيخ إسماعيل» المذكور ماذا يأمر أتباعه؟ فرأى أنه يوصيهم بقلة الأكل، وسهر الليل، والعزلة عن الناس، فكان يفعل ذلك مع المواظبة على «الذكر الخفي» الذي تعود عليه منذ الصبا.

(١) اسم منطقة تقع حالياً في باكستان.

فبينما كان «بايزيد» منهمكاً في «الذكر الخفي» ومستغرقاً في البحث عن «الشيخ الكامل» حدث له حادث ـ على حد زعمه ـ كان نقطة تحول خطير في حياته، وذلك أنه رأى رؤيا في المنام، خلاصتها أن «خضر» عليه السلام جاءه في النوم وطلب منه أن يكون شريكه في الدين، وأخاه في الإسلام، ثم سقاه ماء الحياة ـ آب حيات ـ وجرت بعد ذلك محادثات ومكالمات بينهما، فابتهج «بايزيد» بهذه الرؤيا، وأصبح عنده أمل قوي في الوصول إلى معرفة الحق، وازداد شوقه إلى عبادة الله، واستكثر من «الذكر الخفي» وقطع في ذلك شوطاً كبيراً في مراحل السلوك حتى إنه دخل نهائياً في مرحلة ذكر «الاسم الأعظم»[1].

وداوم «بايزيد» على هذه الرياضة، واستمر فيها اثنتي عشرة سنة، لم يلتفت خلالها إلى شيء، ولم يقم فيها بعمل غير العبادة والذكر، وذهب إلى الغابات، وأمضى هناك فترة من الزمن، ثم رجع إلى البيت، وقد طرأ عليه خلال هذه الفترة ـ وهي مدة اثنتي عشرة سنة ـ حالات وكيفيات شتى، كغيابه عن النفس، وسماعه التسبيح من كل شيء، ورؤيته معظم الناس مبتلين بالشرك والنفاق وما إلى ذلك. وفي هذه الفترة لم يكن «بايزيد» مستقراً على حالة واحدة، بل كان ينقلب ويتحول من طور إلى طور، طلباً لمعرفة الحق فرأى أن المعرفة لا تحصل إلا عن طريق «الشيخ الكامل»، ولكنه لم يوفق في الحصول على مثل هذا الشيخ، ثم اختار طريقة لنفسه ظنها موصلة إلى معرفة الحق، وهي: العزلة عن الناس، والاعتكاف في بيت خاص، وقلة الأكل، والنوم، وكثرة الذكر، والصوم، فكان له شطط وعنف حتى لم يكن يسلم على الناس ظناً منه أنهم ملوثون بالشرك والنفاق، وهكذا كان أمره غير مستقر في هذه الفترة[2].

---

(١) ذكر الاسم الأعظم من خرافات الصوفية، فهم نسجوا حوله من الخيال والهالة وتحديد ثواب من ذكر الله بهذا الاسم ما لا يدل عليه نقل ولا عقل. كما زعموا حول هذا الذكر من الأوهام والخوارق والخصائص ما أنزل الله بها من سلطان.
انظر: تفاصيل هذا الموضوع في كتاب: اسم الله الأعظم للدكتور عبد الله الدميجي (١٢٣ ـ ١٢٧) الطبعة الأولى (١٤١٩هـ) دار الوطن، الرياض.

(٢) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٦٣ ـ ٥٦٦). =

سفره إلى قندهار[1]:

ولما كان «بايزيد» قد اختار العزلة عن الناس، وترك القيام بأمور الدنيا، وانصرف إلى «الذكر الخفي» ومجاهدة النفس راغباً عن الدنيا، اقترحت عليه زوجه «شمسو بي بي» أن يقوم بالتجارة حتى يكسب نفقة البيت والضيوف، واستصوب «بايزيد» هذا الاقتراح لعله يجد «الشيخ الكامل»، فرافق قافلة تجارية متجهة إلى «قندهار» ولما وصل هناك ترك القافلة، وخرج باحثاً عن «الشيخ الكامل» ولكنه لم يفلح في ذلك، فاشترى فرسين، وأخذهما إلى «الهند»، ولما وصل إلى منطقة «كالنجر» الهندية لقي هناك «ملا سليمان الإسماعيلي» وكان ملحداً يدعو الناس إلى «التناسخ» فتأثر به «بايزيد» وتعلم منه عقيدة «التناسخ» وعند ما وصل إلى «كاني كرم» بلده الأصلي، بدأ يدعو الناس إلى عقيدة «التناسخ» فحصلت بينه وبين أبيه أحداث وأعمال عنف من جراء دعوة الناس إلى هذه العقيدة[2].

وتقول رواية أخرى أن «بايزيد» أُمِرَ عن طريق «الإلهام»، وهو في «قندهار» أن يعتكف في بيته خمس سنوات متوالية، يذكر الله فيها، ويناجيه، لا يذهب فيها إلى أحد، ولا يقوم بأعمال الدنيا، وإلا لعَرَّض نفسه لغضب الله، ولما رجع «بايزيد» من «قندهار» بنى حجرة خاصة في داخل البيت، واعتكف فيها خمس سنوات متوالية يقوم فيها بالذكر والعبادة، واختار لنفسه العيشة الضيقة، والحياة الخشنة، وفضل التقشف، والتزم العزلة عن الناس حتى أصبح قلبه قوياً بنور الإيمان(؟)، واشتد عزمه، وتوكل على الله في كل شيء، ثم خرج لإظهار دعوته[3].

= ـ تذكره صوفيائےسرحد (٨٦ ـ ٩٤).
ـ مقدمة مقصود المؤمنين (١١ ـ ١٦).

(١) تقع حالياً في جنوب أفغانستان على حدود إيران.
(٢) انظر: أئمه تلبيس (٢/ ١٣١، ١٣٢).
(٣) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٦، ١٧).

بداية الدعوة والتبليغ:

بعد مُضيّ هذه الفترة التي تقلب فيها «بايزيد» على أحوال وأطوار، ثم استقر أمره على العزلة عن الناس، والاعتكاف في البيت، وذلك بناءً على ما جاءه الأمر عن طريق «الإلهام» ـ على حد زعمه ـ ثم خرج للناس ينشر دعوته، يقول «بايزيد» عن نفسه:

«ثم إنه بعد فترة من الزمن رأيت في المنام أن شخصاً يقول لي: إذا اعتقد فيك أحد، واختار خدمتك وطاعتك بإخلاص فأعلمه علم التوحيد[1]، حتى يعرف التوحيد، ويبتعد عن الشرك، ولكني ـ يقصد بايزيد نفسه ـ لم أخبر أحداً بهذه الرؤيا، ثم جاءني «الإلهام» في حال اليقظة، فقلت للناس: كل من بايعني، وقام بمجاهدة النفس، وعمل بالقرآن، والحديث، واتخذ طريقة المشائخ مسلكاً فإنه يفوز لا محالة بالشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، وعلم التوحيد، وإنه سيخرج من نجاسة الشرك، الخفي، والجلي، وسيُقْبَل منه طاعته، وعبادته، وحسناته، وسيجد قلبه القرار، وراحة الإيمان، وسيصبح من زمرة الموحدين...»[2].

فكان «بايزيد الأنصاري» يأمر من بايعه بالاعتكاف، ويلقنه «الذكر الخفي»، ويوصيه بقلة الأكل، والكلام، وينصحه بسهر الليالي، والعزلة من الناس.

فاستجاب له بعض الناس، وخالفه آخرون، ولكن «بايزيد» شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في نشر دعوته فازداد أتباعه من الرجال والنساء، وذاع صيته في القبائل المجاورة، وفي نفس الوقت ازدادت معارضة العلماء والمشائخ لهذه الحركة الجديدة على يد «بايزيد الأنصاري»[3].

---

(١) المراد بالتوحيد هنا «التوحيد الوجودي»، كما سيأتي في المبحث الثاني إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٢) انظر: صراط التوحيد (ص٢٤)، نقلاً من تذكره صوفيائےسرحد (٩٨، ٩٩).

(٣) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٦٦، ٥٦٧).
ـ مقدمة مقصود المؤمنين (١٨، ١٩).

رحلاته وتنقلاته:

لما طارت شهرته، وازداد أتباعه، واشتدت مخالفة المعارضين له في مدينة «كاني كرم» أشار عليه بعض أتباعه بمغادرة هذه المدينة إلى بلدة «سنك توى»[1] حيث يوجد هناك أتباع له، فانتقل «بايزيد» إلى هذه البلدة، ونزل عند أحد أتباعه يسمى «إبراهيم»، فجاء الناس رجالاً ونساءً لبيعته والارتماء في حلقته، وكان يقيم في هذه البلدة شيخ يدعى «بالشيخ أوريا» ـ الذي كان ذا نفوذ وأتباع ـ فاختلف مع «بايزيد» واشتد الخلاف حتى وصل إلى استخدام القوة، فخرج «بايزيد» بنفسه، ورجع إلى مدينة «كاني كرم» وبدأ يسكن عند أبيه «الشيخ عبد الله» واستمر في سبيله والدعوة إلى حركته[2].

رحلته إلى منطقة دَور[3]:

كانت علاقة «بايزيد» قد ساءت مع أبيه منذ البداية نتيجة الظروف العائلية، والآن ازدادت سوءاً بسبب دعوته إلى ما يخالف عقيدة أبيه وطريقته، وقد عاد النزاع بينهما واشتد من جديد، طالما يسكن «بايزيد» في بيت أبيه، فكان يفكر دائماً لإيجاد مكان يهاجر إليه، ويقوم فيه بدعوة الناس إلى التوحيد، ومعرفة الحق، وبينما هو في هذا الصراع النفسي وصل إليه خطاب من أحد أتباعه يدعى محمد كمال ـ الذي قام بنشر دعوته في منطقة «دَوَرْ» يدعوه فيها بالرحيل إلى هذه المنطقة، حيث ينتظره جم غفير من الرجال والنساء الذين يريدون مبايعته واتباعه.

---

(١) هي بلدة صغيرة على مسافة حوالي ثلاثين ميلاً من مدينة «كاني كرم» يسكن فيها حالياً قوم «مسعود» و«وزير» وبعض الأسر عن «كاني كرم».
انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (ص: ٢٧، هامش: (٢)).

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٢٧، ٢٨).

(٣) هذه المنطقة تقع حالياً في الشمال من باكستان، أغلبية سكانها من قبيلة «دور»، كما يوجد فيها بعض القرى من قبيلة «وزير»، وتسمى هذه المنطقة باسم «توجي»، ومركزها «مدينة ميران شاه».
انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (ص: ٣١، هامش رقم (١)).

وقدم «محمد كمال» مع بضعة من رفقائه إلى «بايزيد» لمرافقته عند الرحلة فقرر «بايزيد» استجابةً لرغبتهم مغادرة «كاني كرم» والذهاب إلى منطقة «دور» حيث كان الناس ينتظرون قدومه في شوق، ويتمنون لقاءه بشغف. ولما وصل «بايزيد» إلى هذه المنطقة، بدأ الناس يتهافتون عليه، ويبايعونه، وأصبحت حلقته تزداد يوماً بعد يوم. وفي ذات الوقت واجه «بايزيد» الإنكار الشديد، والمعارضة من المشائخ المخالفين.

ومن أشهر من بايعه في هذه الفترة أيضاً «ملا مودود» و«ملا أرزاني» اللذان قدما من «الهند»، وانضما إلى حلقة «بايزيد» وأصبح كل واحد منهما خليفة «لبايزيد» وداعيةً مشهوراً للدعوة «الروشنية». كما سيأتي[1].

رحلته إلى إقليم بشاور[2]:

أثناء وجود «بايزيد» في منطقة «دور» رأى في المنام أن رؤساء «سَرْبَنْ»[3] و«تيراه»[4] يدعونه إلى وطنهم ليرشد الناس هناك إلى التوحيد ومعرفة الحق ـ على حد زعمه ـ فبعث أحد أتباعه يدعى «بايزيد» أيضاً إلى مواطن هذه القبائل لاستطلاع الأحوال، فقام بزيارة هذه القبائل ووجدها متعطشة للدعوة الجديدة، فكتب إلى شيخه «بايزيد الأنصاري» يخبره عن أحوال تلك المنطقة، ويستقدمه إليها، فتوجه مع أهله وبعض أتباعه إلى بلاد «تيراه»، وفي الطريق مرَّ على قبيلة «بنكش» فأكرمه أهلها، وبايعه كثير منهم، ثم تقدم إلى بلاد «تيراه» واستقبله أهلها من قبائل «ورك زئي»، و«آفريدي»، و«تيراه» وبعد نزوله فيهم دخل في بيعته عدد كبير من الرجال والنساء من أهالي تلك القبائل.

---

(١) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٦٨).
ـ مقدمة مقصود المؤمنين (٣٣، ٣٤).

(٢) تقع حالياً في باكستان، وتمثل العاصمة الإقليمية لولاية سَرْحَدْ.

(٣) اسم قبيلة كبيرة في إقليم بشاور الباكستانية.

(٤) هذه منطقة جبلية في إقليم بشاور الباكستانية، يسكن فيها قبائل «ورك زئي، وآفريدي، وتيراهي».

ولما دخل أغلب أهالي «ورك زئي» و«تيراه» في بيعة «بايزيد» واستجابوا إلى دعوته، أراد أن ينشر دعوته في بلاد «سربن» فغادر «تيراه» وهبط إلى وادي «بشاور» فبدأ أهالي قبائل «خليل» «ومهمند زئي» و«داود زئي» يتهافتون على «بايزيد» ويبايعونه[1].

إحضاره في «كابل»[2] ومناظرته مع قاضي خان:

ولما نالت دعوة «بايزيد» نجاحاً كبيراً بين القبائل، وأقبل عليها أهلها إقبالاً شديداً رفع علماء هذه المناطق ومشائخها شكوى بإفساد دين المسلمين، ونشر العقائد الباطلة فيهم إلى حاكم عام كابل «ميرزا محمد حكيم» فأمر حاكم «بشاور» بإلقاء القبض عليه، وإرساله إلى «كابل»، ولما وصل هناك بعثه إلى قاضي «كابل» «الشيخ قاضي خان» للمناظرة حول ادعاءاته.

ـ فقال له القاضي: «أيها الشيخ! يقال: إنك ادعيت لنفسك أنك مهدي؟.

ـ فأجاب بايزيد قائلاً: إني لم أدع لنفسي أني مهدي، بل أقول إنّي أرشد الناس إلى التوحيد، ومعرفة ذات الحق، ولكن الحساد يحرفون الهادي بالمهدي، والولي بالنبي.

ـ ثم سأله القاضي: يقال: إنك تدعي نزول الوحي عليك؟

ـ فرد عليه بايزيد قائلاً: إني لم أدع نزول الوحي عليّ، ولكن أقول: يُلْهَمُ إليّ، وأسمع نداء الغيب.

ـ ثم قال له القاضي: كيف تفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين الصوت الرحماني، والصوت الشيطاني؟.

ـ فرد عليه بايزيد بقوله: إني أفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين النداء

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٣٤ ـ ٣٦).
(٢) عاصمة أفغانستان حالياً.

الرحماني، والصوت الشيطاني بالآيات والأحاديث، وأقوال المشائخ، فإذا كان الإلهام، أو النداء الغيبي موافقاً للآية، والحديث، وأقوال المشائخ، أحسبه إلهاماً، ونداء رحمانياً. وإذا لم يكن موافقاً للآية، والحديث، وأقوال المشائخ، فأحسبه وسوسةً، ونداءً شيطانياً.

- ثم قال له القاضي: إن الناس يقولون في حقك: إنك تدعي أنه قد نزل عليك عن طريق الوحي كتاب مشتمل على أربعين موضوعاً.

- فرد عليه بايزيد قائلاً: هذا قول الحساد، وهو غير صحيح، إذ أني أقول: إن الله - تعالى - ألقى في قلبي عن طريق الإلهام كتاباً يسمى «خير البيان» يشتمل على أربعين موضوعاً... إلى آخر المناظرة»[1].

وبعد انتهاء المناظرة التي غلب فيها «بايزيد» على قاضي «كابل» أكرمه «ميرزا محمد حكيم» وأعطاه الهدايا الثمينة، وأذن له بالرجوع إلى «بشاور» فرجع «بايزيد» واستمر في دعوة الناس إلى حركته[2].

---

(١) في نهاية هذه المناظرة أعجب القاضي بـ «بايزيد الأنصاري» وأقر ما أجاب به على أسئلته، وأعلن أن «بايزيد الأنصاري» رجل صالح كلُّ من بايعه، ودخل في حلقته سيجد المعرفة الحقة، وسيحصل على التوحيد الصحيح حتى همَّ «ميرزا محمد حكيم» - حاكم «كابل» - اتباعه والبيعة على يده لولا تدخل الأمراء ورجال حاشيته.
يبدو من استصواب القاضي ادعاءات «بايزيد الأنصاري» بأنه الهادي - أي الشيخ الكامل - وبأنه يتلقى إلهاماً ربانياً، ونداءً غيبياً، وبأن الله - تعالى - ألهم إليه كتاباً عن طريق الإلهام، وأن عنده العلم اللدني، إلى آخر ما جاء في المناظرة، لم يكن عنده علم من الشرع ما يدرك به خطورة ادعاء هذه الأمور، وأثرها في العقيدة الإسلامية.
ذكر الأستاذ أبو القاسم رفيق دلاوري: أن هؤلاء الفقهاء في «كابل» كانوا يعتمدون على العلوم التقليدية، ولكن «بايزيد» كان مسلحاً بالمعقولات، وبارعاً في المناظرة والمشافهة يعرف كيف يفحم الخصم، ويتغلب عليه، فغلب بذلك على فقهاء «كابل» مما زاد في حسن سمعته وقبوله لدى الناس.
انظر: أئمهٔ تلبيس (٢/ ١٣٠).

(٢) انظر: رود كوثر (٤٥، ٤٦).
- تذكره صوفيائ سرحد (١٤٤، ١٤٥).
- مقدمة مقصود المؤمنين (٣٧ - ٣٩).

الرحيل إلى «هشت نغر»[١]:

وفي «بشاور» أقام «بايزيد» مدة من الزمن، ولكنه وجد أن معارضيه دائبون في معارضته ومحاولات إلحاق الأذى به فقرر ترك «بشاور» والابتعاد عنها ليكون في مأمن هو وأتباعه، فذهب إلى منطقة «هشت نغر» ونزل في قبيلة «مهمند زئي» وقد رحبت هذه القبيلة بمقدمه، وأكرمت مثواه، ودخل في بيعته جمع كبير من أبنائها.

ولما رأى «بايزيد» تفاني هذه القبيلة في حبه، وإخلاصهم له، صاهرهم، فزوّج بنته «بي بي كمال خاتون» إلى «علي خان بن پائنده خان» رئيس قبيلة «مهمند زئي» وزوج ابنه «الشيخ عمر بن بايزيد» بنت «بهار خان» رئيس آخر لهذه القبيلة، وتزوج هو أيضاً بامرأة من هذه القبيلة[٢].

نشر دعاته في البلاد:

بعد أن استقر أمره وكثر أتباعه، وقويت شوكته عمل على نشر دعوته في البلاد، ودعوة الملوك والحكام إلى مبادئ «الحركة الروشنية». فأرسل خليفةً له يسمى «الملا مودود» إلى «قندهار» داعيةً إلى هذه الجهة، فقام بهذه المهمة هناك وتمكن من جلب أعداد هائلة من سكان هذه المنطقة إلى «الفرقة الروشنية»، ثم تحول إلى بلاد «السند» و«بلوشستان»[٣].

كما أرسل خليفةً آخر له يسمى «دولت خان» إلى «الملك محمد جلال الدين أكبر المغولي» ـ ملك الهند ـ مع نسخة من كتابه: «صراط التوحيد»، ولما رأى «أكبر» هذا الكتاب أعجب به، وقال للداعية «دولت خان» إنه ـ أي «الملك أكبر» اتبع «الشيخ بايزيد»، ومستعد لكل خدمة يعرضها عليه، وأرسل الهدايا «للشيخ بايزيد الأنصاري»، كما منح «دولت خان» أيضاً بعض الهدايا.

---

(١) اسم منطقة تقع حالياً في أفغانستان.

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٣٩، ٤٠).
ـ مذاهب الإسلام (٥٧٧).

(٣) هما الآن ولايتان من الولايات الأربع في باكستان.

ثم بعث داعيةً ثالثاً يسمى «يوسف» إلى حاكم إقليم «بدخشان»[١] «ميرزا سليمان» وأعطاه نسخة من كتابه «فخر الطالبين». وقد قام هذا الداعية بشرح الأصول الثمانية التي تقوم عليها «الدعوة الروشنية»، وهي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة. كما بين له أهمية هذه الأصول أو المقامات، فأعطاه «ميرزا سليمان» فرساً وهدايا إلى «بايزيد» وكتب إليه رسالة قال فيها: إنه مستعد لخدمة «بايزيد»، وطلب منه أن يحسبه من أتباعه، كما أخبره بأنه يرغب زيارة «بشاور» ليتشرف بلقائه.

ثم أرسل «بايزيد» داعية آخر يدعى «الملا أرزاني» إلى «الهند» ليقوم هناك بدعوة الناس إلى مبادئ «الحركة الروشنية»، كما أرسل دعاة آخرين إلى «بلخ» و«بخارى» ومناطق أخرى[٢].

يقول «الشيخ أبو الحسن الندوي» في سرعة انتشار الدعوة الروشنية: «وبايعته عدة قبائل أفغانية بمنطقة «بشاور»، ودخلت في دائرة مريديه وأتباعه. وبدأت قبيلة «مهمند زئي» بنشر هذه الدعوة، وتأثر بذلك السنديون، والبلوچيون، وكتب له النجاح الكبير رغم معارضة العلماء، ومشائخ الطرق، وبعث «الشيخ بايزيد» دعاته إلى حكام البلدان المجاورة، وأمرائها، وعلمائها»[٣].

تلقيبه بـ «پير روشن»:

لُقِّبَ مؤسس هذه الفرقة «بايزيد الأنصاري» بلقب «پير روشن» ومن هنا اشتهرت حركته «بالفرقة الروشنية أو الروشنائية».

وهناك رأيان للباحثين في وجه هذه التسمية:

أحدهما: أن «بايزيد الأنصاري» رأى في المنام أن رجلاً صالحاً يقول

(١) اسم منطقة تقع حالياً في «أفغانستان».
(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٤٠ ـ ٤٢).
(٣) انظر: الإمام السرهندي (٤٣).

للناس: لا تدعوا «بايزيد» باسمه بل ادعوه بـ «پير روشن» أي: الشيخ المنور.

كما أدرك أتباعه بدافع خفي أن لا يدعوه باسمه بل أن يدعوه باللقب المذكور، فبعد هذه الرؤيا من «بايزيد» والشعور الخفي من أتباعه بدأوا يدعونه بـ «پير روشن»، أي الشيخ المنور.

ولما ذاع هذا اللقب في البلد سأله بعض المعارضين على أي أساس يدعي هذا اللقب، فرد عليهم «بايزيد» قائلاً: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أنعم عليه، وهداه إلى التوحيد والمعرفة، واستدل بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

الرأي الثاني: أن «بايزيد» كان مع أتباعه في البيت مساء أحد الأيام، وانتهى الزيت من السراج الذي كان يضيئ لهم، وكاد أن ينطفئ، فأمر «بايزيد» أحد أتباعه أن يصب فيه ماءً، فبدأ يضيئ أحسن من الأول، واشتهر بعد ذلك بـ «پير روشن»، أي الشيخ المنور، وأيًا كان السبب فإن «الشيخ بايزيد الأنصاري» قد اشتهر بين أتباعه وأعوانه بـ «پير روشن»، وعرفت حركته «بالفرقة الروشنية».

وبعد انتشار هذا اللقب، لقبه معارضوه بـ «پير تاريك» أي: الشيخ المظلم، ويقصدون بذلك الشيخ الضال والمضل[2].

صراعه مع الدولة المغولية:

أيام كانت «الدعوة الروشنية» تنتشر في بلاد «الهند» و«الأفغان» ـ وهي أملاك الدولة المغولية ـ انتشار الرياح، وتزداد قوتها كسرعة البرق، كانت الدولة المغولية في أوج مجدها، إذ كانت تضم في جنباتها بلاد القارة

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٣.
(٢) انظر: مذاهب إسلام (٥٧٧).
ـ مقدمة مقصود المؤمنين (٢٢، ٢٣).
ـ تذكره صوفيائے سرحد (٨٦).

الهندية، وبلاد الأفغان من الشرق إلى الغرب، ويتربع على عرشها أعظم سلاطينها وهو: «أبو الفتح محمد جلال الدين أكبر». وكان المغول ينظرون إلى القوة المتنامية «للحركة الروشنية» نظرة قلق وريبة، إذ نشأت هذه الحركة، وترعرعت في أوساط الأفغان، وهم الذين دالت دولتهم على أيدي المغول، وكان الأفغان ينظرون إلى الحكام المغول بأنهم ظالمون وغاصبون لحقوقهم، فنشأة مثل هذه الحركة التي تجمع الأفغان تحت رايتها تعني أنها محاولة لاستعادة المجد الأفغاني الذي ضاع أمام المغول، ونزع بلاد الأفغان من سيطرتهم على الأقل[1].

أول عراك بين الحركة والمغول كان أن قافلة تجارية قادمة من «الهند» متجهة إلى «كابل» مرت بقبيلة في «بشاور» تسمى «توى» وهذه القبيلة بايعت «بايزيد الأنصاري»، وصارت من غلاة أتباعه، حيث ترك أفرادها عمل الدنيا، واشتغلوا «بالذكر الخفي» ليل نهار، وجلسوا ينتظرون يوم القيامة القريب ـ في حد زعمهم ـ ولما رأوا رجالَ القافلة قالوا: هؤلاء منهمكون في حب الدنيا، وغافلون عن الآخرة يجب معاقبتهم، فهاجموهم، وسلبوا أموالهم، ومتاعهم، ففر رجال القافلة إلى «كابل»، واشتكوا إلى حاكمها «ميرزا محمد حكيم» فبعث خمسمائة فارس لتأديب قبيلة «توى» فهاجم الجيش القبيلة، وقتلوا رجالها وأخذوا النساء والصبيان أسرى إلى «كابل».

وكتب «بايزيد الأنصاري» إلى «ميرزا حكيم» يطلب فيه إطلاق سراح

---

(١) يرى بعض الباحثين أن سبب الصدام الدامي بين الدولة المغولية و«الحركة الروشنية» هو أن «الملك أكبر» كان يقدم على إنشاء مذهب جديد لأهل «الهند» تجمع جميع الأديان والملل من جميع الطوائف، والذي عرف «بالمذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي»، وكان «الملك أكبر» يرى في نشأة مثل هذه الحركة، وسرعة انتشارها تحدّياً لمذهبه الجديد مما حمله على ضرب هذه الحركة والقضاء عليها. ومهما يكن الأمر فإن هذه الحركة دوخت الدولة المغولية، وشغلتها فترة طويلة من الزمن حتى تمكنت من القضاء على قوة هذه الحركة العسكرية.
انظر: تذكره صوفيائ سرحد (١٥٤، ١٥٥).
ـ الإمام السرهندي (٤١).

النساء والأطفال فأغضبه ذلك، وأمر حاكم «بشاور» «معصوم خان» لإلقاء القبض على «بايزيد» وإرساله إلى «كابل»، وإذا امتنع عن تسليم نفسه يقاتله. فتحرك «معصوم خان» بجيشه إلى «بايزيد» وتحصن «بايزيد» مع أتباعه بالجبال، وكانت أول معركة خاضها «بايزيد» ضد المغول، وتسمى معركة «أغاز پور»[1]، وكانت الدائرة فيها على الجيش المغولي، فرجع «معصوم خان» إلى «بشاور» بعد أن مُني بشر هزيمة أمام «بايزيد»، وذلك عام (٩٧٠هـ).

ثم نشبت بعدها معركة «تيراه» والتي انتصر فيها «بايزيد» أيضاً على الجيش المغولي للمرة الثانية، وكبده خسائر فادحة في الأرواح، كما خسر هو من أتباعه ثلاثمائة وعشرين فرداً. ثم خاض معركة «توراغة» الثالثة، وهي الأخيرة في حياته التي انهزم فيها، وتوفي بعد ذلك، ثم حمل أبناؤه وأحفاده لواء الحرب ضد الدولة المغولية، فكانت الحرب سجالاً بين الطرفين إلى أن وضعت أوزارها لما قتل آخر قواد «الحركة الروشنية» «الشيخ أحداد بن عمر بن بايزيد الأنصاري» أمام المغول، واستسلم آخرون، وحصلوا على المناصب العالية من الدولة، وذلك عام (١٠٣٢هـ). وبذلك انكسرت القوة العسكرية للفرقة «الروشنية» التي ظلت تشغل الدولة المغولية أكثر من ستين عاماً[2][3].

---

(١) «آغاز پور» كلمة فارسية، معناها «موضع البداية» وهذا تسمية «بايزيد» لهذه المعركة. وهذه التسمية تعكس عما يقصد «بايزيد» من أن هناك حروباً أخرى سوف تقع مع قوات المغول.

(٢) ليس المهم الخوض في تفاصيل هذه الحروب الدامية التي استمرت أكثر من ستين عاماً ولكن المهم الإشارة إلى أن هذه الفرقة وصلت من القوة والشوكة إلى درجةٍ أن الدولة المغولية القوية لم تتمكن من كسر شوكتها إلا بعد اثنين وستين عاماً، تكبدت خلالها الخسائر الكبيرة في الأرواح والأموال.

(٣) انظر تفاصيل هذه الحروب في:
- مآثر الأمراء (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨).
- تذكره صوفيائے سرحد (١١٢، ١١٣، ١٥٤ ـ ١٦٦).
- پاكستان مين فارسي ادب (٥٧٠ ـ ٥٧٢).
- مقدمة مقصود المؤمنين (٤٢ ـ ٥٤).

وفاته ووصيته:

بعد هزيمته في المعركة الأخيرة التي خاضها ضد المغول، ساءت صحته، وأَحَسَّ بالصداع في رأسه، ولما اشتد الصداع، وأحس أتباعه بدنو أجله سألوه أن يوصيهم بما يريد. فقال: «ما ألهم الله ـ تعالى ـ في قلبي دونته في كتابي «خير البيان»، ولم أبخل فيه». بعد ذلك بقليل فاضت روحه، وبعد التجهيز والتكفين، والصلاة عليه دفن في بلاد قبيلة «يوسف زئي» التي لجأ إليها في آخر حياته، وذلك عام (٩٨٠هـ).

وترك «بايزيد» عند وفاته سبعة أبناء وبنتاً، وهم:

١ ـ الشيخ عمر، ٢ ـ كمال الدين، ٣ ـ خير الدين، ٤ ـ نور الدين، ٥ ـ جلال الدين، ٦ ـ الله داد، أو إله داد، ٧ ـ دولت خان، والبنت هي: بي بي كمال خاتون[١].

مؤلفاته:

ألّف «بايزيد الأنصاري» كتباً ورسائل نشر فيها آراءه وأصول دعوته، بعضها مطبوع، وآخر مفقود. وأهم المؤلفات التي يذكرها الباحثون كما يلي:

١ ـ صراط التوحيد:

ألّف «بايزيد» هذا الكتاب عام (٩٤٨هـ). وهو باللغة الفارسية والعربية، بين فيه «بايزيد» حياته الشخصية، والكيفيات التي طرأت عليه أثناء بحثه عن المعرفة، وقيامه بالرياضة النفسية للحصول على علم التوحيد، والمعرفة الحقة، ثم شرح الأصول الثمانية التي تقوم عليها «الحركة الروشنية».

بعث «بايزيد الأنصاري» بنسخة من هذا الكتاب إلى «الملك جلال الدين محمد أكبر» فأعجب به الملك، وأرسل الهدايا إلى «بايزيد» ـ كما تقدم ـ[٢].

---

(١) انظر: تذكره صوفيائ سرحد (١٦١).

(٢) والكتاب مطبوع، نشرته «إدارة إشاعة سرحد» في بشاور عام (١٩٥٢م).

٢ ـ خير البيان:

يُعَدُّ هذا الكتاب من أهم مؤلفات «بايزيد الأنصاري»، حيث أودع فيه الآراء والأفكار التي يزعم أنه ألهم بها من الله ـ تعالى ـ، ولهذا ألَّفه بأسلوب خطابي، كأنه خطاب من الله ـ تعالى ـ واستجابة منه. ألَّف «بايزيد» هذا الكتاب بأربع لغات، وهي: العربية، والفارسية، والبختونية ـ أي لغة البشتو ـ والهندية. ويلاحظ من تتبع طريقته في التأليف أنه يكتب موضوعاً واحداً بإحدى هذه اللغات، ثم يعيده بثلاث لغات أخرى. وأحياناً يكتفي بلغتين أو ثلاث. يعرف مدى أهمية هذا الكتاب عند «بايزيد» أنه أوصى أتباعه قبل وفاته بالتزام ما جاء فيه؛ لأنه دون فيه ما ألقى الله ـ سبحانه وتعالى ـ في قلبه عن طريق «الإلهام». ومن أجل هذا نرى أبناءه ودعاته، يقدسون هذا الكتاب. ولا يتركونه في الحل أو الترحال[١].

٣ ـ حالنامه:

ذكر فيها «بايزيد» حياته. وهو باللغة الفارسية، وهذا الكتاب مفقود. يوجد كتاب آخر باسم «حال نامه پير دستگير»، ألَّفه «علي محمد بن أبي بكر القندهاري» أحد أتباع «بايزيد الأنصاري» وهو ما زال مخطوطاً[٢].

٤ ـ فخر الطالبين:

وهو أحد تأليفات «بايزيد الأنصاري»، وكان قد بعث بنسخة منه إلى «ميرزا سليمان» حاكم إقليم «بدخشان»، إلا أنه فُقِد فيما بعد فلم يعثر عليه أحد.

٥ ـ مقصود المؤمنين:

وهو آخر كتاب ألَّفه «بايزيد» في حياته، وكان الباعث على تأليفه هو طلب ابنه «الشيخ عمر» كما يقول «بايزيد» في مطلع كتابه بعد الحمد والصلاة:

---

(١) وهو مطبوع، نشرته «پشتو اكيڈمي» في بشاور، كانت الطبعة الثانية عام (١٩٨٨م).

(٢) يوجد هذا المخطوط في مكتبة جامعة عليگڑه في الهند، كما توجد صورة منه في مكتبة جامعة بنجاب في لاهور.

«قال أصغر وأعجز وأضعف من أمة محمد ﷺ «بايزيد الأنصاري - رحمة الله عليه - بن عبد الله القاضي»: قال لي ابني «الشيخ عمر ﷺ: إن كان رضاك اكتب لأجل أبنائك وأهلك وعيالك من آيات القرآن، وأحاديث الأنبياء، وأقوال الأولياء نصيحةً، ثم أجبت قوله، وأريد أن أكتبها مفصلاً بمقدار علمي، وإدراكي بالعناية والمدد، وبتوفيق الله - تعالى - في واحد وعشرين فصلاً، وسميتها. مقصود المؤمنين»[١].

وقد ألف «بايزيد» هذا الكتاب باللغة العربية، دون ذكر أية عبارة بلغة أخرى[٢][٣].

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (١٢٨، ١٢٩)، من النسخة المطبوعة.

(٢) قام «الدكتور مير ولي خان المسعودي» رئيس قسم العربي في جامعة بشاور الباكستانية بتحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً عصرياً، وقدمه لنيل درجة الدكتوراه في جامعة بنجاب في لاهور. وقد بذل المحقق جهداً في إخراج هذا الكتاب، حيث وضع له مقدمةً طويلةً ومفيدةً، تتضمن حياة «بايزيد الأنصاري»، ودراسة الموضوعات التي احتواه، وكشف عن جوانب كثيرة عن «الحركة الروشنية» مما سهل على الباحثين العثور عليها، ولا سيما الناطقين بلغة الضاد. ولكن المحقق - مع احترامي له - قد جانبه الصواب في الحكم على ما يدعو إليه «بايزيد» من عقائد وأحكام، وهي في نظر المحقق كله إصلاح وتجديد للدين الإسلامي، وبالتالي يصور «بايزيد» كأنه مجدد القرن العاشر الهجري، ومصلح للانحرافات الدينية التي تلوثت بها جميع فئات المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت.

فأقول للمحقق: إن الانحراف لا يصلح بانحراف آخر أخطر منه، والفساد لا يصحح بفساد آخر أشد منه. وتصوير ما دعا إليه «بايزيد» بأنه إصلاح للدين يدل على أن المحقق يفتقد الرؤية الصحيحة للدين الإسلامي كما جاء في الكتاب والسنة، وينقصه المعيار الصحيح الذي يزن به أفكار الناس وآراءهم.

هذا، وقد طبع هذا الكتاب، ونشره مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد - باكستان، عام (١٣٩٦هـ).

(٣) انظر: تاريخي مقالات (المقالات التاريخية)، للبروفيسور خليق أحمد نظامي (ص١٢٧ - ١٢٩)، ندوة المصنفين، اردو بازار، جامع مسجد دهلي - الهند.

- اروينتل كالج ميگزين (مجلة الكلية الشرقية) (ص٥٧ - ٥٩)، عدد فبراير لسنة (١٩٥٥م) لاهور - باكستان.

- مذاهب الإسلام (٥٨٠، ٥٨١).

- مقدمة مقصود المؤمنين (٦٦ - ٧٣).

المبحث الثاني

عقائدها وأشهر دعاتها

أ ـ العقائد:

أسس «بايزيد الأنصاري» «حركته الروشنية» في القرن العاشر الهجري بعد تحولات خطيرة وتقلبات مستمرة في حياته. وبعد قراءة مؤلفاته التي وضع فيها أفكاره، والدراسات التي أجراها الباحثون حول حياته وحركته يتبين أنه دعا إلى عقائد كثيرة زعمها أنها من صميم الإسلام. وأهم تلك العقائد كالآتي:

أولاً: فرضية طلب الشيخ الكامل:

أول عقيدة نادى بها «بايزيد الأنصاري» هي فرضية طلب «الشيخ الكامل» أو «المرشد الكامل»، فمن يطلب الحق فرض عليه أن يبحث عن «الشيخ الكامل». ويستدل في ذلك ـ على حد زعمه ـ بالحديث القدسي: «جَعلت فرض على الإنسان أن يطلبوا «الشيخ الكامل» لأجل علم الأنبياء، ومعرفتي إن كان مكانه في الصين أو في العجم أو في الشام»[(١)][(٢)].

يرى «بايزيد» أن الهداية الحقة لا تحصل إلا عن طريق الأنبياء، أو ورثة الأنبياء وهم «المشائخ الكاملون»، فلا بد لطالب الحق من «الشيخ الكامل» الذي يهدي إلى معرفة الحق، والصراط المستقيم، وعلم التوحيد

---

(١) هكذا ورد لفظ الحديث، ولم أجد حديثاً بهذا اللفظ، ويبدو واضحاً أنه من وضع «بايزيد الأنصاري».

(٢) انظر: صراط التوحيد (٤٨)، نقلاً عن: پاكستان مين فارسي ادب (٥٧٥).

عن طريق القرآن والحديث، ويقول: «... تحصل الهداية الحقة، والصراط المستقيم، وعلم التوحيد عن الأنبياء - صلوات الله عليهم - أو عن ورثة الأنبياء، وهم «المشائخ الكاملون» فخذوها منهم حتى لا تضلوا، ولا تشقوا كما قال - تعالى -: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾[1] أي: نبي أو وارثه، وقوله - تعالى -: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] أي: من عمل بالإخلاص بمتابعته، فلا يضل ولا يشقى»[3].

ويرى «بايزيد الأنصاري» أن الإنسان إذا أراد التوبة، فليتب على يد «شيخ كامل» وليعاهده، وليبايعه، وليعمل بمتابعته؛ لأن العهد والبيعة مع «الشيخ الكامل» كالعهد والبيعة مع النبي، والعهد والبيعة مع النبي كالعهد والبيعة مع الله - تعالى -، ويستدل على ذلك بقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾[4].

ويقول: «من أراد محبة الله فليتبع الشيخ الكامل، ومتابعة الشيخ الكامل، كانت متابعة النبي، وبمتابعة النبي يحصل له محبة الله. قال الله - تعالى -: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[5]. حديث: قال ﷺ: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته»[6][7].

ويحدد «بايزيد» أوصاف «الشيخ الكامل» فيقول:

«بمتابعة المرشد الكامل يحصل البيعة، ومحبة الحق، ويخرج من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٨.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٨.
(٣) انظر: مقصود المؤمنين (١٩٢).
(٤) سورة الفتح: الآية ١٠.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(٦) هذا الحديث مروي عن طريق ابن غنايم عن مالك. قال ابن حبان: «ابن غنايم يروي عن مالك ما لم يحدث به قط. لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل الاعتبار».
انظر: كتاب الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٨٣)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى (١٣٨٦هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
(٧) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٠، ٢٤١).

الصفات المذمومة إلى الصفات المحمودة، ويخلص من الشرك الجلي والخفي، ويعرف جميع المقامات[1]، ويدخل في النور، ويخرج من الظلمات»[2].

يتبين من خلال هذه الأوصاف أنه يقصد من «الشيخ الكامل» نفسه، ومن اعتنق مبادئ حركته؛ لأنه هو الذي يدعي هذه الأمور، ويدعو الناس إليها.

يرى «بايزيد» أن «الشيخ الكامل» هو صاحب الهداية، ومفترض الطاعة، لا تقبل العبادة بدون طاعته، ويجب الاجتهاد في خدمته بالمال والنفس ما دام حياً. يقول ـ أي: بايزيد ـ: «إذا وجد أحد «الشيخ الكامل» فينبغي أن يحسبه صاحب الهداية بالإيقان قبل أن يجد عنه المقام، وأن يحسبه صاحب الهداية، ولم يدخل في طاعته لا يحصل مقصوده، فينبغي أن يضم الطاعة والمجاهدة بالإيقان حتى صار مقصوده إتمام»[3].

ويقول في موضع آخر: «لا يقبل عبادتهم بغير طاعة المرشد»[4].

ويقول أيضاً: «يا بني! كل طالب إذا وجد عن «المرشد الكامل» الهداية الحقة، والصراط المستقيم، وعلم التوحيد بذكر القرآن، فليخدمه كثيراً بالإخلاص بالنفس والمال ما دام في الحياة»[5]. ويعتبر خدمة «الشيخ الكامل» كالجهاد في سبيل الله، وقيام الليل وصيام النهار، فيقول: «خدمة الشيخ كانت كالمجاهدة في سبيل الله ـ تعالى ـ أو كالذي كان قائماً بالليل وصائماً بالنهار»[6].

---

(١) أي: المقامات الثمانية التي هي أساس الحركة الروشنية ـ كما سيأتي قريباً ـ، ذكر الأستاذ إعجاز الحق قدوسي: أن «الشيخ الكامل» في نظر «بايزيد» هو من يحقق هذه المقامات الثمانية.
انظر: تذكره صوفيائ سرحد (١٠١).

(٢) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤١، ٢٤٢).

(٣) انظر: خير البيان (٢٦٥).

(٤) نفس المصدر (٢٧٥).

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (١٩٢).

(٦) انظر: خير البيان (٢٢٣).

ومن جهة أخرى أرى «بايزيد» يحذر الناس أشد التحذير من «الشيخ الناقص» فيقول: «والطالب يحذر ويجتنب عن متابعة الشيخ الناقص وإن كان عالماً، أو ذا نسب، أو عابداً، أو زاهداً، أو غنياً، أو سخياً، ومتابعته آفة شديدة»[1].

ويعتبر «الشيخ الناقص» مشركاً، فمن عاهده صار بريئاً من الله ورسوله، وشيطاناً في كل زمان، يعذب الله الإنسان بطاعته، فيقول: «والناقص مشرك فمن عاهد مع المشركين صار بريئاً من الله ورسوله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾»[2].

ويقول أيضاً: «أشد الخصال والأعمال كان للشيطان، والشيطان كان الشيخ الناقص في كل زمان أن يحسب نفسه وعمله من الإنسان ومن عمل الإنسان»[3].

وكما يعتبر «بايزيد» متابعة «الشيخ الكامل» كمتابعة النبي ﷺ، يعتبر متابعة «الشيخ الناقص» كمتابعة الشيطان، فيقول: «والمؤمنون يحسبون متابعة «الشيخ الكامل» كمتابعة النبي ﷺ ومتابعة الشيخ الناقص كمتابعة الشيطان؛ لأن دعوة «الكامل» إلى دار السلام، وإلى الطاعة، وإلى الذكر، وإلى الرؤية، وإلى السماع، وإلى الوصال، وإلى التوحيد. ودعوة الناقص إلى الكفر، وإلى المعصية، وإلى الغفلة، وإلى العمى، وإلى الصم، وإلى الفصال، وإلى الشرك...»[4].

وهكذا يشنع «بايزيد» على «الشيخ الناقص» ويذكره بكل رذيلة، ونقيصة، ويفرض حظراً على الاقتراب منه وطاعته.

ثانياً: وحدة الوجود:

بعد عقيدة «الشيخ الكامل» تَوَصَّلَ «بايزيد الأنصاري» بتفكيره في

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٢، ٢٤٣). (٢) سورة التوبة: الآية ١.
(٣) انظر: خير البيان (١٩٢). (٤) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٤).

الخالق والكون، واعتكافه الطويل إلى عقيدة «وحدة الوجود» حيث لم ير للأشياء وجوداً منفرداً مستقلاً عن ذاته ـ تعالى ـ؛ لأنه كان يعتقد أنه لا يمكن أن تتحرك الأشياء إلا بمحرك، ولا يوجد محرك حقيقي إلا الله ـ تعالى ـ، فالله هو المحرك الحقيقي، وهو الموجود المستقل[1].

يقول «بايزيد» عن أول أمره في البحث عن معرفة الحق: «فبدأت أصحب العلماء والزهاد والنساك، وأخدمهم راجياً منهم الهداية إلى معرفة الحق، وكنت أبحث في ذلك الوقت عن «المرشد الكامل» ولكني لم أجده حتى تفضل الله عليّ، وتجلى لي الرب، ورفع ستار قلبي، وأطلعني على عين اليقين، فرأيت ذاته ـ تعالى ـ بعين القلب في كل جهة بلا مثيل. ولم أر أي شيء منفرداً ومستقلاً عن ذاته ـ تعالى ـ. ولم أسمع أي صوت بلا تسبيحه ـ تعالى ـ بل قد رأيت علامة هذه الآية: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[2]، في نفسي واضحة جلية»[3].

كان «بايزيد الأنصاري» يدعو إلى عقيدة «وحدة الوجود» طول حياته، ولم يترك مؤلفاً إلا وتناول فيه هذه العقيدة، إما بالإجمال أو بالتفصيل، كما أراه يستعين بالوسائل التوضيحية لتقريب هذه العقيدة إلى أفهام الناس، فيقول: «ذات الله ـ تعالى ـ كان في الإنسان، وحول الإنسان، كالماء في الحيتان، وحول الحيتان»[4].

ويقول أيضاً: «قطرة السماء كانت من الماء، بسبب البرد صارت ثلجاً، إذا طلع عليه الشمس بسبب الحر يهلك عنه البرد فصار ماء، كذلك ذات الإنسان كان عن ذات الرحمن، تغير وصفهم بسبب «الظمان»[5] إذا

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٤). (٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٣) انظر: صراط التوحيد (١٠)، نقلاً عن مقدمة مقصود المؤمنين (١٤، ١٥).

(٤) انظر: خير البيان (٤٠٠).

(٥) ذكر محقق الكتاب أن هذا اللفظ ورد هكذا في المخطوط، ويحتمل أن يكون «الظن» فكتب الناسخ «الظمان».
ويبدو لي ـ والله أعلم ـ أن بايزيد ذكر هذا اللفظ من اللهجات الدارجة في ذلك الوقت ـ كما هو عادته ـ ويدعي أنه إلهام من الله ـ تعالى ـ.

طلع عليهم شمس التوحيد بسبب نوره يهلك «ظمان» ثم يصير موحداً مع الرحمن»[1].

ويضيف قائلاً: «كل عدد صار من أحد، وليس عدد بغير الأحد، وكل عدد كان واحداً بالأحد»[2].

وهكذا أرى «بايزيد» يعلن عقيدة «وحدة الوجود» في وضوح وصراحة، ويدعو الناس إليها، ويقول: «الخالق واحد مع كل مخلوق»[3]. ويستدل لإثبات هذه العقيدة بآيات كثيرة ـ على حد زعمه ـ منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾[4]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ﴾[5]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[6].

ويزعم أن هذا هو التوحيد الذي جاء به الإسلام، وخلافه الشرك، ولهذا أراه يحذر الناس عن العدول عن هذا التوحيد، والوقوع في الشرك، ويسوق في ذلك آيات قرآنية كقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[7]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾[8]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[9]. ويذكر حديث: «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا في ليلة الظلمة، ولا يطلع على الشرك أحد إلا بيد المرشد»[10][11].

---

(١) انظر: خير البيان (٤٠٤، ٤٠٦).

(٢) نفس المصدر (٤٢٢).

(٣) المصدر نفسه (٤٠٥).

(٤) سورة الذاريات: الآية ٢١.

(٥) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٦) سورة ق: الآية ١٦.

(٧) سورة النساء: الآية ١٥٠.

(٨) سورة النحل: الآية ٥١.

(٩) سورة النساء: الآية ٤٨.

(١٠) هكذا ذكره «بايزيد الأنصاري» ولا يخفى ما فيه من زيادة في الحديث، حيث زاد من عنده: «ولا يطلع على الشرك أحد إلا بيد المرشد».
والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: «رواه البزار، وفيه «عبد الأعلى بن أعين» وهو ضعيف» (١٠/٢٢٦).

(١١) انظر: خير البيان (٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٧).

وهكذا يعتبر «بايزيد» أن التوحيد الوجودي هو التوحيد الحقيقي الذي جاء به الإسلام، ويدل عليه القرآن الكريم، وضده الشرك الحقيقي الذي يجب اجتنابه كما دل عليه الكتاب والسنة ـ على حد زعمه ـ.

ثالثاً: الإلهام:

ومن أهم ما كان يعتقد «بايزيد» ويدعيه طول حياته، ويصر عليه، ويؤكده أنه ملهم من الله ـ تعالى ـ ويسمع نداء الغيب. وذكر حديثاً على لسان رسول الله ﷺ في تعريف الإلهام، وقال: «الإلهام نور ينزل في القلب يعرف به حقيقة الأشياء كما هي»[1][2].

وقد تقدم في مناظرته مع قاضي «كابل» لما سأله القاضي:

ـ يقال: إنك تدعي نزول الوحي عليك؟

ـ فرد عليه بايزيد بقوله: إني لم أدع نزول الوحي عليّ، ولكني أقول: يلهم إليّ، وأسمع نداء الغيب.

ـ ثم سأله القاضي: كيف تفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين الصوت الرحماني، والصوت الشيطاني؟.

ـ فرد عليه بايزيد وقال: إني أفرق بين الإلهام والوسوسة، وبين النداء الرحماني، والنداء الشيطاني بالآيات والأحاديث، وأقوال المشائخ[3]، فإذا كان هذا الإلهام، أو ذاك النداء الغيبي موافقاً للآية والحديث، وأقوال المشائخ أحسبه إلهاماً، ونداءً رحمانياً، وإذا لم يكن موافقاً بالآية والحديث، وأقوال المشائخ فأحسبه وسوسة ونداء شيطانياً.

---

(١) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، ويبدو واضحاً أنه من كلام الصوفية.

(٢) انظر: خير البيان (٣٥٧).

(٣) يقصد «بايزيد» بالآيات، الآيات القرآنية حسب فهمه هو؛ لأنه يدعي أنه ـ تعالى ـ كشف عليه معاني القرآن الكريم. وبالأحاديث الأحاديث المكذوبة التي تضعها أيديه الأثيمة، ويقصد بالمشائخ مشائخ الصوفية الذين يعتبر أقوالهم دليلاً شرعياً يعرف بها الصواب من الخطأ.

ـ ثم قال له القاضي: إن الناس يقولون: إنك تدعي أنه قد نزل عليك عن طريق الوحي كتاب يشتمل على أربعين موضوعاً؟.

ـ فرد عليه بايزيد قائلاً: هذا قول الحساد، وهو غير صحيح، إذ أني أقول: إن الله ـ تعالى ـ ألقى في قلبي عن طريق «الإلهام» كتاباً يسمى «خير البيان» يشتمل على أربعين موضوعاً[1]... إلى آخر المناظرة.

وقد تبين واضحاً من خلال هذه المناظرة أن «بايزيد» يعلن ادعاء «الإلهام» بصراحة ووضوح، كما يعلن أن كتابه «خير البيان» مما ألهمه الله ـ تعالى ـ في قلبه، ولهذا أرى من المناسب أن أضع أمام القارئ بعض النماذج من هذا الكتاب حتى يعرف بعض ما ألهم إليه(؟).

وقد استهل «بايزيد» كتابه بهذه العبارة:

«يا بايزيد، اكتب على بداية الكتاب بتعظيم الحروف بسم الله إتمام إني لا أضيع أجر الذين يكتبون ثم يخربون حرفاً أو نقطة، ثم يكتبون لأجل صحيح البيان»[2].

وقد وضح «الدكتور مير ولي خان المسعودي» القطعة المذكورة بالعبارة التالية: «يا بايزيد! اكتب في بداية الكتاب بحروف واضحة صحيحة بسم الله كاملاً إني لا أضيع أجر الذين يكتبون ثم يشطبون حرفاً أو نقطةً ثم يكتبون لأجل البيان الصحيح»[3].

ويقول في موضع آخر:

«يا بايزيد! اكتب الحروف التي تفسر بكل لسان لأجل منفعة الإنسان. أنت عالم إني لا أعلم بغير حروف القرآن يا سبحان.

يا بايزيد! كتابة الحروف عليك ظهر، وعلم أسماء الحروف عليّ، اكتب بأمري بمثل حروف القرآن، وضع على بعض الحروف نقطةً أو جزماً

---

(١) انظر: تذكره صوفيائےسرحد (١٤٤، ١٤٥).

(٢) انظر: خير البيان (١٣١). (٣) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٨).

أو علامةً أخرى لأجل أن يعرف الإنسان، اكتب بعض الحروف أربعاً أربعاً عيان، سيعلمون إذا يقرأون يخرجون النفس مع بعض آخر الحرفين إنسان»[1].

ويقول أيضاً:

«يا بايزيد! اكتب حمدي حمداً كثيراً يبدو رضائي إذا قال من حمدي إنسان. انظر يسبح لي ما في سمائي وما في أرضي، ليس من شيء إلا يسبح حمدي فلتؤمن بهذا الكلام ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾[2] كان في القرآن عيان، كل شيء قال تسبيح الرحمن، قال هادي ـ رحمة الله عليه ـ هذا الكلام: أنا رجل أمي كيف أكتب حمدك حمداً كثيراً، يا سبحان...»[3] اهـ[4].

---

(١) انظر: خير البيان (١٣٢).

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٣) انظر: خير البيان (١٣٥).

(٤) يلاحظ أن التعبير ركيك، وهي ألفاظ متناثرة غير مركبة تركيباً سليماً. ذكر الدكتور ظهور الدين أحمد أن «بايزيد» سلك هذا الأسلوب حتى في اللغة الفارسية أيضاً.
انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٥٨).
لعل السبب في ذلك ـ والله أعلم ـ إيهام القارئ أن هذه الألفاظ ملهمة من الله ـ تعالى ـ ليس بإمكانه التصرف فيها.
كما يلاحظ محاكاته لنزول الوحي عليه، حيث المخاطبات والمكالمات مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهذا ما حمل كثيراً من العلماء والباحثين من القدماء والمحدثين يذهبون إلى أن «بايزيد» ادعى نزول الوحي عليه، وبالتالي ادعى النبوة، ولكني لم أجد في مؤلفات «بايزيد» والدراسات التي أجريت حول دعوته أنه ادعى نزول الوحي عليه، أو ادعى النبوة، بل كانت ردوده قاسية على الذين نسبوا إليه ادعاء نزول الوحي، والنبوة حتى والمهدوية، وهو يصرح دائماً ويكرر أنه ملهم، وأنه ولي، وأنه هادي، وأنه الشيخ الكامل، وعنده العلم اللدني، وما إلى ذلك، فلا أرى من الإنصاف أن ألصق به شيئاً وهو يرفضه، بل أرى التقيد بالمصطلحات التي التزمها لنفسه ودعوته حتى يتبين من خلال دراستها مدى مصداقيته في ادعاء هذه الأمور.
انظر آراء من نسب إليه ادعاء نزول الوحي، والنبوة في:
ـ تذكرة الأبرار والأشرار، لأخوند درويزه ننگرهاري (١٤٦)، مكتبة الإسلامية، محلة «جنگي»، پشاور ـ پاكستان.
ـ مقال: تحريك روشنيه عے باني كے دعاوي اور نظريات (ادعاءات وآراء مؤسس =

سترد نماذج أخرى في ثنايا البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ.

وبالإضافة إلى ادعائه «الإلهام» أراه أيضاً يدعي أنه حائز على «العلم اللدني»، كما جاء في مناظرة «كابل» المذكورة لما سأله القاضي:

ـ من أين لك هذا العلم؟

ـ فرد قائلاً: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهبني «العلم اللدني»، وكشف عليّ معاني القرآن الكريم، وألقى في قلبي ترتيب «المقامات»[1]، كما أمرني بدعوة الآخرين إلى ما ألهم إليّ[2].

ويرى «بايزيد» أن علوم الأنبياء علوم لدنية، وهذه العلوم ليست علوم الشريعة، ولا يحصل عليها بمطالعة الكتب، ولا تلاوة القرآن، ومن استفاد علماً من الكتب، أو عن طريق المعلمين لا يقال له: إنه من ورثة الأنبياء إلا من باب التوسع في لفظ الميراث، وعلم الأنبياء لا يستفاد إلا من الله ـ تعالى ـ مباشرة، ومن استفاد علمه من الله ـ تعالى ـ فهو من ورثة الأنبياء؛ لأنه حصل على «العلم اللدني». ويستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾[3]. كما يستدل بالحديث: «إن من العلم كهيئة المكنون المخزون لا يعلمه إلا العلماء بالله ـ تعالى ـ فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله ﷻ»[4][5].

ويرى «بايزيد» أن كل من وصل في سلوكه إلى حقيقة التقوى فلا بد أن يعلمه الله ـ تعالى ـ ما لم يعلم، وهو «العلم اللدني»، ويكون ذلك التعليم مباشرة وبدون واسطة، والدليل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[6][7].

= الحركة الروشنية)، بقلم: مولانا مدرار الله مدرار، في مجلة الحق الشهرية، عدد ربيع الأول لسنة (١٤٠١هـ)، الصادرة من پشاور ـ باكستان.

(١) وهي المقامات الثمانية، كما يأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر تذكره صوفيائے سرحد (١٤٥).

(٣) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٤) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.

(٥) انظر: خير البيان (٣٧٧).

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٧) انظر: مقصود المؤمنين (١٣٩، ١٤٠).

ـ خير البيان (٣٧٧).

وهكذا أراه أيضاً يعتمد كثيراً على «الرؤى والأحلام» ويبني عليها الأحكام.

رابعاً: الذكر الخفي:

من أهم الأمور التي عنيت بها «الحركة الروشنية» عقيدة «الذكر الخفي» حيث اهتدى «بايزيد» إلى هذا الذكر أثناء اعتكافه، وعزلته عن الخلق، كما حكى ذلك عن نفسه[1] ثم قرر فيما بعد هذا الذكر، كمبدأ من المبادئ الأساسية للفرقة.

ويرى «بايزيد» أن «الذكر الخفي» هو ذكر القلب بالنَّفَس، وهو أن يدخل ويخرج كل نفس بذكر الله ـ تعالى ـ، ويعبر عنه «بايزيد» بـ علم الحقيقة، ويرى أن الإنسان مأمور بهذا الذكر، ويسوق في ذلك آيات كثيرة من القرآن الكريم، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾[2]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[4]. وغيرها.

كما يذكر أحاديث كثيرة وردت في شأن «الذكر الخفي» ـ على حد زعمه ـ مثل حديث: «أفضل العباد عند الله من يذكر الله كثيراً»[5].

وحديث: اذكر الله ذكراً حامداً، قيل: يا رسول الله! ما هو الذكر الحامد؟ فقال: الذكر الخفي»[6]. وحديث: «خير الذكر، الذكر الخفي، وخير الرزق ما يكفي»[7][8].

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٤).
(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٥.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٠٥.
(٤) سورة الأحزاب: الآيات ٤١، ٤٣.
(٥) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.
(٦) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.
(٧) حديث سعد بن مالك ﷺ رواه الإمام أحمد في مسنده بلفظ: «خير الذكر الخفي...» (١/ ١٧٢). وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده ضعيف لانقطاعه». انظر: المسند (٣/ ١٤٧٧).
(٨) انظر: مقصود المؤمنين (٢٩٩ ـ ٣٠١).
=

ثم قسم «الذكر الخفي» إلى أربعة أقسام، وقال: «واعلم أن للذكر أربع درجات:

الدرجة الأولى: هي ذكر اللسان بأن يكون ذاكراً باللسان، وغافلاً في القلب، وهذا ذكر ضعيف، ولكن لم يكن بلا أثر، لأجل ذلك كل لسان يشغل بذكر الله أفضل من اللسان الذي يشغل بكلام اللغو والفحش والشرك أو يكون معطلاً.

والدرجة الثانية: هي أن يكون ذاكراً بالقلب ولكن لا يسكن فيه ذكره بسبب غفلة النفس وكلامها.

والدرجة الثالثة: هي أن يكون الذكر ساكناً في قلبه، لا يغفل عنه، وإن اشتغل بكلام الدنيا وعملها...

والدرجة الرابعة: هي أن يذكر في قلبه ذاته المذكورة، وأن لا يكون فيه غير المذكور لا الذكر، ولا الذاكر، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[1].

وذكر المذكور هو الذكر الكامل، وهو مؤد إلى «الاسم الأعظم» والاسم الأعظم هو جامع الأسماء، يزيل الشرك ووصف البشرية، ويزيد علم التوحيد، ووصف الربوبية[2]»[3].

ويرى «بايزيد» أنّ تعليم هذا الذكر ـ أي الخفي ـ من اختصاصات «الشيخ الكامل» فلا يُعلّمه إلا هو[4].

= ـ خير البيان (٣٧٩).
ـ پاكستان مين فارسي ادب (٥٦٧).

(١) سورة طه: الآية ١٤.

(٢) هذا الكلام عن الاسم الأعظم هو من خرافات الصوفية، ويشير إلى عقيدة وحدة الوجود.

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٠٧ ـ ٣٠٩).

(٤) نفس المصدر (٣٠١).

خامساً: الأصول أو المقامات الثمانية:

هذه الأصول أو المقامات هي خلاصة دعوة «بايزيد»، وهي أهم ما يميز هذه الفرقة عن مثيلاتها التي نشأت في القرن العاشر الهجري. ويرى «بايزيد» أن هذه المقامات حصل عليها عن طريق «الإلهام» من الله ـ تعالى ـ، ولا بد لطالب الحق أن يحقق هذه المقامات[1].

وقد خصص «بايزيد» النصف الأخير من كتابه «مقصود المؤمنين» للحديث عن هذه المقامات، كما أشار إليها في مؤلفاته الأخرى، وهي تتلخص فيما يأتي:

١ ـ الشريعة:

يرى «بايزيد» أن الشريعة عبارة عن البناء المخمس، وهي: الكلمة الطيبة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. ويرى أن اتباع الشريعة ضروري لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[2].

يقول بايزيد: «ينبغي لأهل الشريعة ألا يتركوا علم الشريعة وعملها حتى يتم إيمانهم»[3]. ويقول أيضاً: «الشريعة مثل جلد الشجر، والشجر بغير الجلد يصير يابساً ويهلك ثمره»[4].

يرى «بايزيد» أن الاستقامة والدوام على الشريعة واجب على المؤمن، ثم يجب عليه الانتقال إلى مقام الطريقة، ثم الحقيقة، ثم المعرفة؛ لأن الشريعة مثل الليل ونجومه الطريقة، وقمره الحقيقة، وأما المعرفة فهي مثل الشمس التي لا شيء فوقها.

يقول بايزيد: «أما بعد الاستقامة في الشريعة فينبغي لأهل الشريعة ألا

---

(١) انظر: تذكره صوفيائ سرحد (١٤٥).
(٢) سورة الجاثية: الآية ١٨.
(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٢٨٤).
(٤) نفس المصدر (٢٨٥).

يتركوا علم الشريعة وعملها، وألا يسكنوا فيها دائماً وأن يرفعوا أقدامهم إلى الطريقة حتى لا يصيروا محجوبين عن علم الطريقة وعالمها وعملها، وأن يطلبوها بالصدق حتى يروا، ويجدوا، ويعرفوا علم الطريقة وعالمها وعملها»[1].

ويقول أيضاً: «الشريعة مثل الليل، والطريقة مثل النجوم، والحقيقة مثل القمر، والمعرفة مثل الشمس، ليس فوق الشمس شيء»[2].

٢ ـ الطريقة:

يرى «بايزيد» أن معرفة الطريقة والاستقامة عليها واجبة على المسلم، وعلمها فوق علم الشريعة، ويقول: «واعلم أن علم الطريقة وعالمها وعملها كان فوق علم الشريعة وعالمها، وعملها، فليفعلوا علم الطريقة، وعملها، إلى علم الشريعة وعملها»[3].

ويقول أيضاً: «أما علم الطريقة فكان علم القلب، وعالم الطريقة: هو عالم الملكوت، وعمل الطريقة هو متابعة عالم الملكوت في العمل»[4].

ويرى «بايزيد» أن هناك عالمين: عالم حزب الملائكة، وعالم حزب الشيطان. وسبيل عالم حزب الملائكة إلى القلب من الجانب الأيمن، وسبيل عالم حزب الشيطان إلى القلب من الجانب الأيسر. يدخل في القلب حزب الملائكة ليذكر الإنسان بالثواب والطاعة والصفات المحمودة. أما حزب الشيطان فهو يدخل في القلب لأجل وسوسة الشيطان، ويذكره بأعمال السوء، ويمنعه عن الأعمال الحسنة، والطاعة، والصفات المحمودة. وحذّر «بايزيد» من صحبة حزب الشيطان، وحث على صحبة حزب الملائكة[5].

ثم يوصي ويقول: «فينبغي لأهل الطريقة ألا يتركوا علم الطريقة، وعملها، وألا يسكنوا فيها أبداً، وأن يرفعوا أقدامهم إلى الحقيقة، ليضموا

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٨٦). (٢) نفس المصدر (٢٨٣).
(٣) نفس المصدر (٢٨٦). (٤) نفس المصدر (٢٨٨).
(٥) انظر: مقصود المؤمنين (٢٨٨ ـ ٢٩٠).

علم الحقيقة وعملها إلى علم الطريقة وعملها، أي: أن يضموا إلى تزكية الجسد تصفية القلب حتى لا يصيروا محجوبين عن علم الحقيقة وعالمها وعملها»[1].

٣ ـ الحقيقة:

يرى «بايزيد» أن علم الحقيقة يتعلق بالروح، وعالم الحقيقة هو عالم الجبروت، وعالم الجبروت في نظره هو عالم الروح، ويجب على السالك أن يكون على علم من معرفة التوحيد، وأن يدعو الناس إلى هذه المعرفة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾[2]، ولحديث: «من طلب شيئاً غير الله فهو جاهل»[3].

أما علم الحقيقة فهو في نظره الذكر الخفي في القلب بالنفس، وهو أن يدخل ويخرج كل نفس بذكر الله ـ تعالى ـ، ويستدل على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾[4]. ويرى أن الإنسان مأمور «بالذكر الخفي» لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾[5]. ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[6]. والنجاة من الظلمات في نظره تكون بالتضرع والذكر الخفي لقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[7].

وقسم «بايزيد» «الذكر الخفي» إلى أربعة أقسام: ذكر اللسان، وذكر القلب، وأن يكون الذكر ساكناً في القلب، وأن لا يكون في القلب غير الذات الإلهية. والذكر الأخير هو الذكر الكامل الذي يؤدي إلى الاسم

---

(١) نفس المصدر (٢٩٦، ٢٩٧).
(٢) سورة لقمان: الآية ١٥.
(٣) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، يبدو أنه من كلام الصوفية.
(٤) سورة الطلاق: الآية ١٠.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٥٥.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٢٠٥.
(٧) سورة الأنعام: الآية ٦٣.

الأعظم، ويرى أنه يجب على المؤمنين أن يجمعوا بين علم الحقيقة، وعلم المعرفة حتى لا يصيروا محجوبين عن الله ـ تعالى ـ[1].

٤ ـ المعرفة:

يرى «بايزيد» أن علم المعرفة هو علم يتعلق بذات الله ـ تعالى ـ وهو علم لدني من عند الله ـ تعالى ـ يحصل صاحبه على درجات عالية، ومناصب رفيعة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[2]. ولقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[3].

ويرى أن عالم المعرفة هو عالم العارفين، وعمل المعرفة هو رؤية ذات الله ـ تعالى ـ بعين القلب في كل جهة بلا مثل، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4]، كما يرى أن ذات الله ـ تعالى ـ موجود مع كل كائن؛ لا يفارقه أبداً، فيجب على العارف أن يرى بعين القلب ذات الله في كل مخلوق وكائن[5].

يقول «بايزيد»: «واعلم أن مع كل مخلوق كان ذات الخالق، ومع كل عابد كان ذات المعبود، ومع كل مرزوق كان ذات الرازق، ومع كل مربوب كان ذات الرب، ومع كل عدد كان ذات الأحد، ويرى العارف كل شيء واحداً مع الأحد، فمن صار مستقيماً بهذه الأعمال صار عارفاً واجداً».

ويضيف قائلاً: «أما إذا رأى العارف مع المخلوقات ذات الله ـ تعالى ـ فينبغي له ألا يصيب المضرة على المخلوقات بغير حق لأجل رضاء الله ـ تعالى ـ، وأن يكظم غيظه بالحلم لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[6][7].

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٢٩٨ ـ ٣١٨).

(٢) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٣) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ١١.

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (٣٢٠ ـ ٣٢٢).

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٣٤.

(٧) انظر: مقصود المؤمنين (٣٢٣).

٥ ـ القربة:

القربة ـ في نظر بايزيد ـ درجة أو مقام يسمع السالك فيه صوت الحق فقط، ويتلذذ بسماعه، ويرى أن الله ـ تعالى ـ قريب من عباده لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[١].

وأما علم القربة ـ عنده ـ فهو علم الأصوات، وعالم القربة هو عالم المقربين والسامعين، وعمل القربة هو معرفة الأصوات، وإدراك تسبيحها.

يقول بايزيد: «ينبغي للمقربين أن يحسبوا بالصدق أن كل صوت مع تسبيح الله، وإن كان بعض الأصوات من الغضب، والبعض الآخر من رحمة الله؛ لأن الغضب والرحمة كانا متحدين عند ذات الله».

ويقول أيضاً: «واعلم أنه لا يبدأ الصوت من الشيء بغير الحركة، ولا يتحرك الشيء بغيرة القوة، وكل قوة من قوة الله، فكل صوت يقول تسبيح الله، ولا يدركه غير أهل القربة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾[٢][٣].

٦ ـ الوصلة:

الوصلة ـ في نظر بايزيد ـ مقام يترك فيه السالك صفاته، فلا يرى، ولا يسمع، ولا يتحرك، ولا يمشي إلا بإرادته ـ تعالى ـ، ولا يقع نظره إلا على ذاته ـ تعالى ـ وعلم الوصلة هو علم وصال الله ـ تعالى ـ وعمله هو كل عمل يتعلق بذات الله ـ تعالى ـ بترك الوجود.

ويرى «بايزيد» أن الذات الخفية تتجلى وتبرز بصورة الروح بصفة المحبوب، وليس للمحب في طور المحبة أثر ولا خبر؛ لأن المحب في حكم المحبوب محو، ليس له اختيار سوى اختيار المحبوب، فهو لا يتكلم إلا باختياره وإرادته، ولا يمشي إلا بإرادته، ولا يضحك إلا باختياره، ولا

---

(١) سورة ق: الآية ١٦.
(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٢.
(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٢٨ ـ ٣٣٠).

يبكي إلا بإرادته، ولا يتحرك، ولا يسكن باختيار نفسه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[1].

يقول بايزيد: «يرى الواصلون ذات الله بعين الله، كما قيل: «رأيت ربي بعين ربي». ويعرفون ذات الله بذات الله، كما قيل: «عرفت ربي بربي». ويسمعون صوت الله بأذن الله، ويذكرون ذات الله بالذكر الذي يذكرون فيه أن الموجودات واحدة مع ذات المعبود، ويقولون الكلام الحق بفم الله، ويعملون كل عمل يتعلق بترك الوجود، وبذات المعبود حتى إنهم يرون علامة هذه الآية في وجودهم ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[2].

كما قال الشاعر:

هـا أنـا أم أنـت هـذان الإلـهـان	حاشاك حاشاك عن إثبات الاثنين
فـأيـن ذاتـك حـيـث كـنـت أرى	قـد بـان ذاتـي حـيـث لا أنـا[3]

٧ ـ الوحدة:

الوحدة ـ في نظر بايزيد ـ مقام ينسى السالك فيه وجوده، ويترك الأوصاف البشرية، ويتخذ الأوصاف الربوبية، ويغيب عن نظره جميع الكائنات حتى نفسه.

ويرى أن علم الوحدة هو علم التوحيد، وعالم الوحدة هو عالم اللاهوت، وعمل الوحدة هو أن يذكر كل موحد وجوده بذكر «الاسم الأعظم» كالمذكور لا كالذاكر.

أما «الاسم الأعظم» فهو جامع الأسماء يهلك به الشرك ووصف البشرية، ويحصل به عالم التوحيد، ووصف الربوبية، ولا يجوز أن يقوله بالجهر.

ويرى «بايزيد» أن الموحد لا يشرك وجوده مع ذات المعبود مخافة

---

(١) سورة الشورى: الآية ٥٣. (٢) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٣٣ ـ ٣٣٥).

الشرك، ويستدل بقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[1]. وبالحديث: «من رأى نفسه فقد أشرك»[2].

ويرى «بايزيد» أن الإنسان إذا وصل إلى مقام الوحدة فلا يشعر بنفسه، بل يرى ذات الله فقط، ويغيب كل شيء عن نظره، بل إنه يترك صفة العابد، ويتخذ صفة المعبود، ويتكلم الصدق والتوحيد، ولا يتكلم الكذب والشرك.

ويقول: «إن الأنبياء والمخلصين كانوا متحدين مع الله، ولم يكونوا متفرقين عنه، ومن يحسب الأنبياء متفرقين عن الله، فعليه خوف الكفر»[3].

٨ ـ السكونة:

يرى «بايزيد» أن علم السكونة هو سكونة الله. وعالم السكونة هو عالم المساكين، وعمل السكونة هو أن يسكن روحه في سكونة الله، وأن يزداد فيه وصف الربوبية، وأن يزول عنه وصف البشرية، وأن يتخلق بأخلاق الله ـ تعالى ـ، وأن يسكن عن طلب شيء فان، وألا يريد بقاء أكثر من بقاء الله، ومالاً وملكاً أكثر من ماله وملكه، ولا علماً وقوةً وقدرةً أزيد من علمه وقوته وقدرته، وألا يتمنى عزةً وسلطاناً أفضل من عزته وسلطانه، إن أراد فلا يجده أبداً[4].

يقول بايزيد: «يا بني! ليس من مقام السكونة مقام أفضل وأرفع. إن الأنبياء يريدون درجة أمة محمد ﷺ ويريد محمد المصطفى ﷺ درجة المساكين، كما قال: «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين»[5].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٢. (٢) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ.

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٨٨، ٣٤١).

(٤) انظر: مقصود المؤمنين (٣٤٥ ـ ٣٤٨).

(٥) حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه الحاكم في المستدرك، باختلاف في اللفظ، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٣٢٢/٤)، المطبوع مع التلخيص.

«قال بايزيد المسكين: من وجد سكونة الله، صار غنياً، وصمداً، يتحرك جسده ظاهراً، ولا يتحرك روحه باطناً أبداً»[1].

ويرى بايزيد: أن المسكين يصير مستقيماً ظاهراً وباطناً، أي: ظاهراً بالجسد، وباطناً بالروح، حتى إنه يصير العالم الكامل، وصاحب علم الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾[2].

ويؤكد «بايزيد» أنه حقق هذه المقامات كلها، وفاز بمقام السكونة، ولهذا أراه كثيراً ما يضيف إلى اسمه لقب «المسكين»، فيقول: «بايزيد المسكين»[3].

هذا من أهم العقائد والمبادئ التي أسست عليها «الحركة الروشنية» وهناك بدع وخرافات أخرى كثيرة دعا إليها «بايزيد الأنصاري» ضربت عن ذكرها صفحاً خوف الإطالة.

ب ـ أشهر الدعاة:

تمكن «بايزيد الأنصاري» من استقطاب دعاة كثيرين إلى صفوف حركته، الذين اعتنقوا مبادئ «الفرقة الروشنية»، ثم قاموا بدور مهم في نشر مبادئ هذه الفرقة في بلاد القارة الهندية وبلاد الأفغان، وفيما يلي ترجمة موجزة لأشهر هؤلاء الدعاة.

١ ـ محمد كمال:

هو محمد بن خدا داد، ابن عم «بايزيد الأنصاري»[4] وصديقه منذ صباه. كان «خدا داد» عم «بايزيد» قد استوطن في منطقة «دور»، ولما توفي «خدا داد» بقي ابنه «محمد» في قبيلة «دور» وكان صديقاً «للبايزيد» منذ

---

(١) انظر: مقصود المؤمنين (٣٤٨). (٢) سورة الإسراء: الآية ٨٤.

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٥٠).

(٤) المصادر التي بين يدي لم تذكر عن تاريخ مواليد هؤلاء الدعاة، ووفياتهم شيئاً.

صغره، وكان «بايزيد» يشتاق إلى لقائه، ويتمنى أن ينضم إلى حلقته، ولما لقيه «محمد» رحب به وعانقه ثم جرت بينهما مباحثات حول دعوة «بايزيد» فشرح «بايزيد» دعوته لصديقه «محمد» فلما اطمأن إلى دعوته طلب منه «محمد» أن يهديه إلى التوحيد، ومعرفة الحق، فأمره «بايزيد» بالاعتكاف أربعين يوماً، فقام «محمد» بهذا الاعتكاف وانتظره جمع غفير من الناس ليعرفوا حال «محمد» بعد الاعتكاف أحقاً يحصل على التوحيد والمعرفة، أم لا؟ فلما أتم «محمد» الاعتكاف خرج إلى الناس وقال لهم: إنه قد حصل فعلاً على التوحيد والمعرفة، وشهد بأن دعوة «بايزيد» دعوة حقة، يصل بها الإنسان إلى التوحيد، والمعرفة، فانضم بعده عدد كبير من الرجال والنساء إلى حلقة «بايزيد» وبايعوه[1].

ولما رأى «بايزيد» أن «محمداً» قد استوعب مبادئ «الحركة الروشنية» وأتقنها عينه داعيةً من قبله وبعثه إلى منطقة «دور» ليقوم بنشر «الدعوة الروشنية» هناك، فقام بجد واجتهاد في نشر مبادئ هذه الحركة، ودعوة الناس إليها واستجاب له عدد كبير من أهالي هذه المنطقة، فبدأ «محمد» أن يأخذ منهم البيعة «للبايزيد». ولما كثر أتباعه ألحوا على «محمد بن خدا داد» أن يدعو «بايزيد الأنصاري» إلى منطقة «دور» ليستفيد منه الخواص والعوام من الرجال والنساء، فأبلغ «محمد» إصرار هؤلاء الناس إلى «بايزيد» لقدومه إلى هذه المنطقة، وأخبره برغبتهم في الاستفادة منه، فغادر «بايزيد» استجابةً لرغبتهم بلدة «كاني كرم» وذهب إلى منطقة «دور» حيث كان الناس ينتظرون قدومه في شوق بالغ[2].

وبعد وصول «بايزيد» إلى هذه المنطقة رأى أن «الدعوة الروشنية» شقت طريقها إلى الأمام بفضل جهود «محمد بن خدا داد» ووجده مخلصاً «للدعوة الروشنية»، ومتفانياً في سبيل نشرها، فلقبه «بايزيد» بـ «محمد

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٢٣).

(٢) نفس المصدر (٣١، ٣٢).

كمال»؛ لأنه ـ في نظر بايزيد ـ قطع المراحل، واستكمل المقامات حتى بلغ درجة الكمال، وبقي «محمد كمال» في منطقة «دور» يقوم بدعوة الناس إلى بيعة «بايزيد الأنصاري» إلى أن توفي[1].

٢ ـ بايزيد الدوري:

كان «بايزيد» هذا من سكان منطقة «دور». وكان رجلاً تقياً قبل انتمائه إلى «الدعوة الروشنية»، وكان قد بايع «بايزيد الأنصاري» أثناء إقامته في «دور» ولما رآه «بايزيد» مؤهلاً لحمل عبأ الدعوة بعثه إلى قبائل «تيراه» و«سربن» لمعرفة أحوال الناس هناك، إذ كان «بايزيد الأنصاري» نشر دعوته في تلك القبائل، فجاء «بايزيد الدوري» إلى قبيلة «بنكش» وبايعه جماعة من هذه القبيلة، وقبيلة «آفريدي» و«تيراهي» أيضاً.

وبينما كان «بايزيد» متنقلاً بين مساكن هذه القبائل داعياً إلى «الحركة الروشنية» إذ أغار عساكر المغول على قبيلة «ورك زئي» فلقي «بايزيد» مصرعه في تلك الغارة على يد جنود المغول، وكان قد كتب قبل أن يقتل إلى شيخه «بايزيد الأنصاري» أحوال هذه القبائل، وأخبره بأنهم دخلوا في طاعته وبيعته، وأنهم يرغبون في لقاء «بايزيد الأنصاري».

وكان «بايزيد الدوري» مقرباً ومحبباً إلى شيخه «بايزيد الأنصاري» إلى درجة أن «بايزيد الأنصاري» كان يقول في حقه: «إن بايزيد هذا وبايزيد ذاك واحد»، وكان يقصد بذلك أنهما أصبحا كشخص واحد في قالب جسمين اثنين. وكان «بايزيد الدوري» سبباً في دخول أهل «بشاور» في بيعة «بايزيد الأنصاري»[2].

٣ ـ ملا مودود:

كان ملا مودود ينحدر من قبيلة «ترين» الأفغانية، ولكنه كان قد غادر بلاد الأفغان، واستوطن في مدينة «سرهند» الهندية، ولما وصل إليه الخبر

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٥٤، ٥٥).

(٢) المصدر نفسه (٥٥، ٥٦).

عن «بايزيد الأنصاري» ودعوته عن طريق القوافل التجارية، حضر إلى «بايزيد» وارتمى في حلقة مريديه وبايعه، وبعد مضي فترة من الزمن فاز برتبة الخلافة من قبل «بايزيد» حيث عينه خليفة له يأخذ البيعة عن الناس والعهد على المبادئ الروشنية[1].

أثناء وجود «بايزيد الأنصاري» في قبيلة «مهمند زئي» بعث خليفته «مودود» داعياً إلى منطقة «قندهار» الأفغانية لينشر دعوته بين قبائل «كاسئي» فأقام «ملا مودود» هناك ينشر مبادئ «الحركة الروشنية» حتى دخل في بيعته عدد كبير من أفراد قبائل «كاسئي»، وبقي فيهم «ملا مودود» عدة سنين، وعين فيهم دعاة آخرين لتوعيتهم، ثم توجه إلى إقليمي «سند» و«بلوشستان»، ومكث هناك فترةً من الزمن، ودخل في بيعته كثير من أهالي تلك البلاد، واعتنقوا العقائد الروشنية، فعين فيهم «ملا مودود» خلفاءه للقيام بمهمة الدعوة والتوجيه، ثم رجع إلى وطنه الأصلي في «بشاور» وتوفي هناك[2].

كان «للملا مودود» أثر بالغ في نشر دعوة «بايزيد الأنصاري» في بلاد الأفغان والقارة الهندية خاصة في منطقة «قندهار» إذ دخل رجال «قندهار» عن طريقه في بيعة «بايزيد الأنصاري» الذين حاربوا في سبيل «الدعوة الروشنية» ودافعوا عنها بشجاعة وبسالة عندما أعلنت الدولة المغولية الحرب ضد هذه الفرقة[3].

كان «الملا مودود» واعظاً بارعاً يعظ الناس ويدعوهم إلى «الفرقة الروشنية» أينما حَلَّ. وله كتاب «مقصود الطالبين» الذي يدور حول النصائح والمواعظ الدينية[4].

٤ ـ ملا أرزاني:

كان «الملا أرزاني» ينتمي إلى قبيلة «خويشكي» الأفغانية، وقد استوطن

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٣٣).

(٢) نفس المصدر (٣٢، ٥٨). (٣) المصدر نفسه (٥٨).

(٤) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٦٨).

في مدينة «قصور»[١]. وقد قدم «ملا أرزاني» من «الهند» وقابل «بايزيد الأنصاري» أثناء إقامته في منطقة «دور»، فرغب في طريقة «بايزيد» وبايعه، وبقي في صحبته مدة، ثم بعثه «بايزيد» داعياً إلى «الهند» لينشر «الدعوة الروشنية» هناك، فقام بهذه المهمة. وكان شاعراً مجيداً يقول الشعر باللغة الفارسية والأفغانية والهندية، كما ألّف كتاباً باسم «مرآة المحققين»[٢].

كان إلى جانب هؤلاء دعاة آخرون أمثال: خليفة درويش داد، خليفة دولت، خليفة يوسف[٣]: الذين نشروا «الدعوة الروشنية» في ربوع بلاد «الهند» و«الأفغان» في حياة «بايزيد الأنصاري»، وأما بعد وفاته فحمل لواء «الدعوة الروشنية» أبناؤه وأحفاده الذين قضوا معظم حياتهم في الصدام المسلح مع القوات المناوئة المحلية «للدعوة الروشنية» من جهة، ومع القوات الحكومية المغولية من جهة أخرى، بالإضافة إلى القيام بشؤون «الدعوة الروشنية». وأبرز هؤلاء الدعاة كالآتي:

١ ـ الشيخ عمر:

هو عمر بن بايزيد بن عبد الله الأنصاري (... ـ ٩٩٩هـ). أكبر أولاد «بايزيد الأنصاري» وخليفته من بعده، كان «بايزيد» يُجِلّه، ويقدّره، وألّف كتابه «مقصود المؤمنين» بطلب من ولده «عمر» هذا. ولما تُوفي «بايزيد الأنصاري» بايعه أولاده وأتباعه وصار مرجعاً لدعاة وأتباع «الحركة الروشنية». وكان «الشيخ عمر» يعيش في منطقة «هشت نغر» الأفغانية في قبيلة «يوسف زئي» إذ رأى في المنام أن والده «بايزيد» يستغيث به من الأشرار(؟) فأخذ معه نفراً من أتباعه وجاء إلى قبر والده عند منتصف الليل، فوجد هناك جماعة من قرية «كوجر» تحفر قبر والده، تريد إخراج الصندوق الذي وضع فيه جثة «بايزيد». ولما شعر هؤلاء بقدوم «الشيخ عمر» ولّوا

---

(١) تقع حالياً في باكستان.

(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٥٦، ٥٧).

ـ پاكستان مين فارسي ادب (٥٦٨).

(٣) انظر عنهم في مقدمة مقصود المؤمنين (٥٧ ـ ٥٩).

هاربين من هناك، ولكن «الشيخ عمر» تعقبهم وقبض على بعض منهم، بينما انفلت منه البعض الآخر، وبعد التحقيق معهم تبين بأن «حمزة خان» ـ أحد رؤساء يوسف زئي ـ هو الذي أمرهم بإخراج هذا الصندوق، فأغار أتباع «الروشنية» على مواشي «حمزة خان» وأخذوها كما أغاروا على قرية «كوجر» وأخذوا منهم الأسرى، وسلبوا أموالهم، فجمع «حمزة خان» القبائل للحرب ضد أتباع «الروشنية».

ولما أحسّ «الشيخ عمر» بخطر الحرب غادر قبيلة «يوسف زئي» متوجهاً إلى قبيلة «مندر»، ثم رحل منها إلى قبيلة «سركاوا»، وهناك وقعت معركة حامية بين «حمزة خان» و«الشيخ عمر». وكان الفتح فيها للأخير، ثم تقدم «الشيخ عمر» وواصل السير، و«حمزة خان» يتعقبهم حتى وصل مع أتباعه إلى ساحل البحر، وبعث إلى قبيلة «دِلاً زاك» يطلب منهم الأمان والحماية، فوعدوا لهم بذلك، ولما عبر بعض أتباع «الشيخ عمر» البحر غدروا بهم، وحاصروهم من كل جهة، فهجم عليهم «حمزة خان» مع رجاله من جهة البر، كما هجم رجال قبيلة «دلاً زاك» من جهة البحر، ووقعت هناك معركة دامية بين أتباع «الروشنية» ومناوئيهم، أسفرت عن مقتل خمسة من أبناء «بايزيد» وهم: الشيخ عمر، وخير الدين، ونور الدين، وإله داد، ودولت خان، كما قتل مشاهير خلفاء «بايزيد»، أمثال: ملا زكريا، وملا عمر خويشكي، وأيوب، وعدد كبير من أفراد «الروشنية». ووقع عدد منهم في الأسر. وهكذا هلك «الشيخ عمر» مع إخوانه وخيرة أتباع «بايزيد»[1].

٢ ـ جلال الدين:

هو جلال الدين ابن بايزيد بن عبد الله الأنصاري (... ـ ١٠١٢هـ).

تولى قيادة «الفرقة الروشنية» بعد مقتل أخيه «الشيخ عمر»، وذلك لما وصل خبر مقتل أهل «بايزيد» إلى «الملك جلال الدين محمد أكبر» ـ وكان

---

(١) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٦٠ ـ ١٦٣).
ـ مذاهب الإسلام (٥٨١).

مقيماً في ذلك الوقت في «لاهور» ـ طلب من رؤساء قبائل «يوسف زئي» و«دلازاك» بتسليم أولاد «بايزيد» وأتباعه الذين وقعوا في الأسر، ولما امتثل أهل «بايزيد» أمام «الملك أكبر» وقع نظره على «جلال الدين بن بايزيد» فأعجب بوسامته ووجاهته، فأخذه معه وأكرم مثواه، وأذن للباقي بالرجوع إلى ديارهم وأوطانهم.

كان «جلال الدين» يعيش عيشاً هانئاً رغداً في كنف «الملك أكبر»، ولكن أتباع «بايزيد الأنصاري» أخذوه خفيةً إلى جبال «كوهستان» الأفغانية، وهناك اجتمع حوله أتباع «بايزيد الأنصاري» من قبائل الأفغان المختلفة، وانتخبوه خليفةً لأخيه، فنظم «الفرقة الروشنية» من جديد حتى قويت شوكته، واستفحل أمره، وسد الطريق بين «الهند» و«كابل»، فبعث «الملك أكبر» أحد أشهر قواده يدعى «راجه مان سنگه بن راجه بهگوان داس» للقضاء على «الحركة الروشنية»، واستمرت الحروب بين الفريقين، ولكن «راجه مان سنگه» باء بالفشل، ولم يتمكن من القضاء على شوكة هذه الفرقة.

كان «جلال الدين بن بايزيد» فارساً شجاعاً، وبطلاً مغواراً، لم يكن يستقر في مقر خاص، بل كان يتنقل بين القبائل، ويتعقب الجيش المغولي إلى أن لقي مصرعه في إحدى المعارك عام (١٠١٢هـ)[1].

٣ ـ أحداد ابن الشيخ عمر:

هو أحداد بن الشيخ عمر بن بايزيد الأنصاري (... ـ ١٠٣٢هـ).

تولى الخلافة على «الفرقة الروشنية» بعد مقتل عمه «جلال الدين» عام (١٠١٢هـ)، ونظم «الفرقة الروشنية» تحت قيادته، وكان يكثر قراءة «خير البيان» و«مقصود المؤمنين» ويشرحهما لأتباع «الفرقة الروشنية» من الرجال والنساء.

---

(١) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٦٣، ١٦٤).
ـ أئمهٔ تلبيس (٢/ ١٤١).

كانت الحروب مستمرة بين «الحركة الروشنية» والحكومة المغولية، وخاض «أحداد ابن الشيخ عمر» عدة معارك ضد المغول، وكانت كفة «الروشنية» هي الراجحة في هذه الحروب مما شجع «أحداد» لمحاصرة «كابل» فوقعت هناك معركة حامية بين الفريقين أسفرت عن هزيمة «الروشنية»، فاضطر «أحداد» لرفع الحصار، واللجوء إلى جبل «الواغر»، ولكن الجيش المغولي لم يمهله، فحاصر الجبل وهاجمه، وهناك لقي «أحداد» مصرعه، وذلك عام (١٠٣٢هـ).

وهذا الداعية هو آخر من حمل السيف ضد المغول، وبعد مقتله تصالح آخرون من أسرة «بايزيد الأنصاري»؛ مع الحكومة المغولية، وحصلوا على المناصب العالية في الجيش والإدارة، وبهذا تم القضاء على القوة العسكرية «للحركة الروشنية» التي دوخت الدولة المغولية لأكثر من نصف قرن[١].



(١) انظر: مقصود المؤمنين (٥٢، ٥٣).
ـ مآثر الأمراء (٢/٢٤٨، ٢٤٩).

المبحث الثالث

آثارها

تركت «الحركة الروشنية» آثاراً سيئةً على الدين والمجتمع عانت منها بلاد «الهند» و«الأفغان» على حد سواء. ويمكن إجمال هذه الآثار فيما تأتي:

أولاً: التفريق بين جماعة المسلمين:

كانت البلاد الهندية في القرن العاشر الهجري تزدحم بالفرق الضالة، والطرق الصوفية، وكان أكثر المسلمين مقيدين بهذه الفرق وتلك الطرق، إذ طلع «بايزيد الأنصاري» بدعوته الجديدة، سرت هذه الدعوة في نفوس الناس سريان النار في الهشيم، وسرعان ما تحولت هذه الدعوة إلى فرقة جديدة تخالف العقيدة الإسلامية الصحيحة، التي جاء بها الكتاب والسنة، وتتهم كل من لم ينضم إليها بالكفر والشرك والنفاق والمروق من الدين. فزاد الأمر سوءاً، والوضع شراً.

وليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين أن دعوة «بايزيد» كانت إصلاحاً دينياً وتهذيباً خلقياً، كما يقول: الدكتور مير ولي خان المسعودي في إشادة أثر «الدعوة الروشنية» الديني: «رأى «بايزيد الأنصاري» أن الفساد والنفاق والخداع قد عم في المجتمع حوله، وأن العقائد الباطلة، والتقاليد الفاسدة قد فشت في الدهماء الذين يسودهم الجهل والغرور، وأن تلك العقائد قد رسخت في عقول هؤلاء الناس الذين انصرفوا إلى الدنيا، وتركوا الدين، والقيام بأموره، بل إنهم لا يقومون بأمور الدين إلا رسماً وعادةً».

ويضيف الدكتور المسعودي قائلاً: «رأى «بايزيد الأنصاري» لزاماً عليه كأيّ مسلم أن يقوم بدعوة الناس إلى التوحيد، وهدايتهم إلى معرفة ذات الله، وأن ينقذهم من الضلال، والتقاليد الفاسدة، وأن يهديهم إلى طريق الصواب، فالذين استجابوا لدعوته أصبحوا صالحين، وزاهدين في الدنيا ومتاعها، وانصرفوا إلى العبادة والذكر الخفي، وتركوا التقاليد الفاسدة، والعقائد الباطلة».

«فكانت دعوته إصلاحاً دينياً وتهذيباً خلقياً، وكان إرشاده هذا خدمة دينية كبيرة استفاد منها الخواص والعوام فائدةً جمة، وقد تركت دعوته الدينية آثاراً حسنةً في المجتمع؛ إذ صرفت الناس من حب الدنيا، والانهماك في أمورها إلى التوحيد، ومعرفة ذات الله ـ تعالى ـ بالقلب والروح معاً»[1].

كما أشاد الدكتور المسعودي بالأصول الثمانية التي وضعها «بايزيد» أساساً للحركة الروشنية، وقال: «أعلن «بايزيد الأنصاري» في الناس أن العبادة الظاهرية لا تكفي إذا لم يتصل بها تزكية الجسد وتصفية القلب، وتنقية الروح، ووضع لتزكية الجسد، وتصفية القلب، وتنقية الروح خطوات ثمانية يجب على السالك أن يحصل عليها حتى يصل إلى الوحدة الحقيقية، ويستقر في سكونة الله ـ تعالى ـ التي لا تفنى ولا تزول، بل هي أبدية أزلية لا يتخللها التغير والتبدل»[2].

وهذا الذي قاله «الدكتور المسعودي» في إشادة أثر «الحركة الروشنية» الديني، لا يقوم على ميزان صحيح لتقويم ـ ما زعمه ـ بالإصلاح الديني؛ لأن إصلاح الانحراف لا يكون بانحراف آخر أشد منه، والفساد لا يعالج بفساد أكبر منه. وليس ما دعا إليه «بايزيد الأنصاري» من العقائد والتعليمات من الدين في شيء، بل هو خرافات وضلالات صوفية استقاها «بايزيد» من المجتمع حوله، وعن طريق صحبة المشائخ الصوفية، فخلطها بفلسفته الخاصة التي ورثها عن وساوس الشيطان نتيجة طول العزلة، والرياضة

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٠). (٢) نفس المصدر والصفحة.

النفسية الطويلة، ولم يكن عنده علم من الشرع ما يقوم به من الإصلاح في الدين، والتهذيب في الخلق، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها، ولم يكن في سلف هذه الأمة ما دعا إليه «بايزيد الأنصاري» من الأصول الثمانية التي تدور في فلك التعليمات والأحوال الصوفية، بل كان صلاح سلف هذه الأمة في الالتزام بما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة.
ولم يكن مصدر أفكار «بايزيد» الفهم الصحيح للكتاب والسنة، ومن يدرس مؤلفاته يجد أنه لا تمر صفحة إلا وفيها أحاديث مكذوبة وضعها من تلقاء نفسه، أو تحريفات واضحة لمعاني الآيات الكريمة، وكان سببها فهمه السقيم لكتاب الله ﷻ، وهكذا سائر الأدلة التي حاول أن يستدل بها لإثبات مزاعمه، فلا يصح القول أبداً أن «الدعوة الروشنية» تركت آثاراً حسنة في الإصلاح الديني، والتهذيب الخلقي.

وأما ما زعمه ـ الدكتور المذكور ـ أن «الذين استجابوا لدعوته، أصبحوا صالحين، زاهدين في الدنيا ومتاعها، وانصرفوا إلى العبادة، والذكر الخفي، وتركوا التقاليد الفاسدة، والعقائد الباطلة» ـ كما تقدم آنفاً ـ.

وهذا الدكتور نفسه هو الذي شَبَّه أتباع «بايزيد» المخلصين في موضع آخر بالمجانين، لما ألقى الضوء على سلوكهم، حيث قال: «بينما كان «بايزيد الأنصاري» في طريقه إلى «كابل» مر بقبيلة «توى» فدخلت هذه القبيلة في بيعة «بايزيد» بقيادة زعيمها «عبد الكريم» وتورطت في الزهد والرياضة، والتزمت حياة التقشف، وتركت عمل الدنيا، وجلست تنتظر يوم القيامة ـ القريب في نظرهم ـ فحدث أن مرت بهذه القبيلة قافلة تجارية قادمة من «الهند» متجهة نحو «كابل»، ولما رأى أفراد هذه القبيلة رجال القافلة منهمكين في حب الدنيا، غافلين عن الآخرة، رأوا من الصواب معاقبتهم، فهاجموها، سلبوا أموالها ومتاعها، ثم جمعوها في مكان خاص، وبدأوا يعدون، ويقفزون الخيل فوقها كالمجانين...»[1].

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٤٢).

هذا هو أثر الإصلاح الديني «للدعوة الروشنية» حيث التزم هؤلاء الناس حياة التقشف، وتركوا الدنيا، وجلسوا ينتظرون يوم القيامة - في حد زعمهم - ثم يثبون على أناس أبرياء آمنين، فيهاجمونهم، يسلبون أموالهم ويروعونهم، ثم هؤلاء هم الذين أوقدوا نار الحرب في المنطقة، فازداد الحال سوءاً، والناس شقاءً، وهذا ما أسفر عنه الإصلاح الديني المزعوم الذي قام به «بايزيد الأنصاري» - على حد قول الدكتور المسعودي.

ثانياً: إشاعة المنكرات والفوضى في السلوك الاجتماعي:

من أهم آثار «الحركة الروشنية» أيضاً إشاعة المنكرات، والفوضى في المجتمع الإسلامي؛ إذ كان «بايزيد» يدعو أتباعه إلى الاعتكاف - على حد زعمه - لمدة أربعين يوماً على أقل تقدير، ليحصل على علم التوحيد، والمعرفة الحقة. وكان هذا الاعتكاف أو الخلوة يتم بالاختلاط بين الجنسين الرجال والنساء. فإن «بايزيد» لما عاد من رحلته إلى «قندهار» واعتكف لمدة خمس سنوات متواصلة مع أتباعه كان معهم زوجه «بي بي شمسو» وعدد من النساء الأخريات اللاتي اعتكفن مع الرجال، وقُمْنَ على خدمتهم في فترة الاعتكاف[1].

وهكذا كان يفعل أيضاً أفراد القبائل الذين بايعوا «بايزيد» كما كان من قبيلة «توى» التي أصبحت من أتباع «بايزيد» المخلصين، ومتفانين في حبه، وتعليماته، حتى خرج أفراد هذه القبيلة كلهم، واجتمعوا جميعاً في مسجد القرية، رجالاً ونساء، وبدأوا في «الذكر الخفي» وانتظار القيامة. وكان منهم امرأة عجوز لم تذق الطعام لمدة أربعين يوماً، فسموها «مريم الثانية». وولد لهم مولود في هذه الأيام سموه «عيسى الثاني»[2].

---

(١) انظر: مقال: تحريك روشنيه اور اس كا باني (الحركة الروشنية ومؤسسها)، للشيخ مدرار الله مدرار، في مجلة الحق الشهرية، عدد رمضان لسنة (١٤٠٣هـ)، الصادرة من بشاور، باكستان.

(٢) انظر: تذكره صوفيائے سرحد (١٥٦).

ولا يخفى ما يترتب من الآثار السلبية على الفرد والمجتمع في مثل هذا السلوك، وهذا ما أدى إلى السلب والنهب من المخالفين للدعوة الروشنية. وكان «بايزيد» قد أسس بيتاً للمال يجمع فيه الغنائم التي يحصل عليها أتباعه في الحروب والسلب والنهب من المخالفين، وينفق منها عليهم[1].

ومما زاد في إشاعة المنكرات في المجتمع الإسلامي أن «بايزيد» شجع الموسيقى والمزامير باسم «السماع المباح» يقول الدكتور المسعودي: «لم تكن نهضة بايزيد الأنصاري نهضة دينية اجتماعية بحتة، بل إنها كانت إلى جانب ذلك نهضة ثقافية أيضاً. وقد اتفق الكُتّابُ على أن الموسيقى الأفغانية قد ترقت وتحسنت بيد «بايزيد الأنصاري» وأولاده وأتباعه فيما بعد، بل إنهم أدخلوا فيها إصلاحات رئيسية، وبنوداً جديدة، لم تكن موجودة في الموسيقى الأفغانية من قبل»[2].

وكان «بايزيد» يستدل ـ كعادته ـ على جواز الموسيقى والمزامير بأحاديث مكذوبة اختلقها من تلقاء نفسه، منها حديث: «السماع طريقة وصول القلوب إلى قرب المحبوب»[3]. وحديث: «السماع رمز من سائر رموز الرحمن، لا ينكشف بالبيان، ولا يقدر أحد أن يتكلم باللسان»[4][5].

وهكذا ـ كعادته أيضاً ـ يُبيّن المنامات لاستنباط الأحكام منها. حكى لأتباعه أنه رأى في المنام أنه جاء إليه جماعة من «الهندوس»، وفي الصباح اليوم التالي جاء في بيته أربعون رجلاً من الدراوشة معهم أنواع من آلات المزامير، وقالوا «لبايزيد»: حرم العلماء السماع إلى المزامير فما رأيك أنت؟ فقال بايزيد: رأيت في الحديث المزامير على ثلاثة أنواع: حرام، ومباح، وجائز. وجاء في الحديث القدسي: من يسمع إلى صوت شيء لمحبة الدنيا

---

(١) انظر: رود كوثر (٥٨، ٥٩).
(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٢).
(٣) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، يبدو أنه من كلام الصوفية.
(٤) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، يبدو أنه من كلام الصوفية.
(٥) انظر: خير البيان (١٠٤).

فهو حرام، ومن يسمع لمحبة الجنة فهو حلال، فقال: هؤلاء الدراوشة: لو أذنت لنا نعزف أمامك المزامير؟ فأذن لهم إذا كان العزف في محبة الله[1].

هكذا أعطى «بايزيد» مكانة دينية للموسيقى والمزامير عند أتباعه. ومن شدة حبه للموسيقى والمزامير كان يشترك أحياناً مع الزَّمَّارين والمطربين. وعند قدومه إلى قبيلة أو بلدة، يخرج أتباعه رجالاً ونساءً بالزمور والطبول يستقبلونه، وهم يتغنون بمدائحه وفضائله[2].

ثالثاً: استنزاف قوى الأمة:

حمل «بايزيد الأنصاري» ـ مؤسس الفرقة الروشنية ـ السيف ضد مناوئيه في وقت مبكر من دعوته، حيث خاض أكثر من حرب ضد المغول في حياته، ولما تولى أولاده قيادة الفرقة من بعد وفاته، توسعت هذه الحروب، واحتدم القتال مع القوة المناوئة المحلية من جهة، والحكومة المغولية المركزية من جهة ثانية.

وفي رأي بعض الباحثين تحولت هذه الحركة في نهاية الأمر إلى حركة سياسية قوية تطالب بالدولة المستقلة لنفسها. يقول الدكتور مير ولي خان المسعودي: «لما تولى قيادة «الفرقة الروشنية» «جلال الدين بن بايزيد الأنصاري» بدأت هذه الدعوة تدخل في السياسة، وأرادت «الحركة الروشنية» أن تعيش حرة لا تحكمها أية حكومة، وإذا كان لا بد من الحكومة، فهي أولى بالحكومة. ومن هنا بدأ الصراع بين «الحركة الروشنية» والحكومة المغولية، وأخذت «الحركة الروشنية» شكل حركة سياسية تريد حكومة مستقلة لنفسها لا تخضع لأية سلطة أخرى»[3].

---

(١) انظر: تذكره صوفيائ سرحد (١٥٢).

(٢) انظر: مقال: «تحريك روشنيه دعاوي ونظريات» (الحركة الروشنية ادعاءاتها ونظرياتها)، بقلم الشيخ مدرار الله مدرار، في مجلة الحق الشهرية، عدد رمضان لسنة (١٤٠٣هـ)، الصادرة من بشاور ـ باكستان.

(٣) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٦٥).

تمكنت هذه الفرقة من احتلال بلاد واسعة إبان قوتها وشوكتها حتى استولت على ممر «خيبر» ـ المنفذ الرئيسي بين بلاد الهند وبلاد الأفغان ـ فأقلق ذلك حكام المغول مما أدى إلى حروب دامية، استمرت أكثر من نصف قرن ذهبت فيها آلاف مؤلفة من الضحايا، كما تسببت في خسارة الأموال الطائلة للمسلمين. وهذا الاستنزاف لأرواح المسلمين وأموالهم كان سببه هذه الفرقة المنحرفة عن الإسلام.

وليس بصحيح ما ذهب إليه بعض الباحثين أن «بايزيد الأنصاري» حمل السيف ضد الدولة المغولية لمحاربة «الدين الإلهي» أو «المذهب الأكبري»[١] الذي أسسه «الملك جلال الدين محمد أكبر»[٢].

والدليل على ذلك أن «بايزيد الأنصاري» لم يتناول في مؤلفاته موضوع «الدين الإلهي» ولم يشر إليه ولو بكلمة، أو إشارة عابرة. والدراسات التي قام بها الباحثون حول دعوة «بايزيد» لم تثبت أنه تناول في حياته موضوع «الدين الإلهي الأكبري»، بل من المحتمل أن يكون «بايزيد الأنصاري» قد ساهم في نشأة «المذهب الأكبري» ولو بطريقة غير مباشرة، إذ أنه بعث بنسخة من كتابه «صراط التوحيد» إلى «الملك أكبر» فأعجب به الملك، وأرسل له الهدايا ـ كما تقدم ـ. وأهم موضوع يركز عليه «بايزيد» في مؤلفاته موضوع «وحدة الوجود» الذي هو أحد أركان «المذهب الأكبري» ـ كما سيأتي ـ. فمن المحتمل أن يكون «بايزيد» قد أفاد «المذهب الأكبري»، ولا أن يكون قد حاربه.

---

(١) سيأتي الحديث عنه في الفصل السادس ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٢) ذهب إلى هذا الرأي «الدكتور عبد الرشيد» أستاذ في جامعة كراتشي، وذلك في مقال له بعنوان: «تحريك رووشنيه اور قيام پاكستان» (الحركة الروشنية ونشأة باكستان). قال في مقدمته: أن علماء الهند في القرن العاشر الهجري تصدوا «للدين الإلهي» باللسان والحجة والبرهان. وأما «بايزيد الأنصاري» فحمل السيف والسنان، وأعلن الجهاد ضد هذا المذهب الجديد.

انظر: مجلة الحق الشهرية، عدد ذي قعدة لسنة (١٤٠٢هـ)، الصادرة من بشاور ـ باكستان.

المبحث الرابع

الفرقة الروشنية في الميزان

تقدم الحديث في المباحث السابقة عن نشأة «الروشنية» وتاريخها، وعن أهم عقائدها، وأشهر دعاتها، والآثار التي ترتبت عليها. وفي هذا المبحث يجري تقويم عقائد هذه الفرقة في ضوء الكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح ﷺ فأقول وبالله التوفيق.

أولاً: فرضية طلب الشيخ الكامل:

أول شيء نادى به «بايزيد الأنصاري» هو فرضية طلب «الشيخ الكامل» لطالب الحق، حيث لا يتمكن أحد من الوصول إلى الحق إلا عن طريق هذا الشيخ، الذي هو وارث النبي ﷺ. واستدل على ذلك بآيات قرآنية ـ على حد زعمه ـ بعد تحريف معانيها، وأحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ.

وإذا نظر الباحث إلى الظروف والأحوال التي نشأ فيها «بايزيد الأنصاري» والأوضاع التي كانت سائدة حوله يجد أن «بايزيد» قام بثورة عارمة ضد جميع الطوائف في عهده، حيث اتهم عامة المسلمين بالشرك والنفاق، ووصف العلماء والقضاة والفقهاء في عصره أنهم مرتزقة محسوبون على الدين، يؤثرون الدنيا على الآخرة، ويتعاملون بالربا والرشاوى، ويأكلون أموال الناس بالباطل(١).

فإذاً هؤلاء الفقهاء والعلماء والمشائخ والقضاة لا يكونون قدوة للناس

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (٢٧).

يهدونهم إلى الحق - وهم على باطل - فلا بد من «شيخ كامل» يهدي الناس إلى التوحيد والمعرفة الحقة والذكر الخفي. . . وما إلى ذلك. فمن ذا عسى أن يكون هذا «الشيخ الكامل» في نظره(؟) وهو يقول عن نفسه إنه بحث عن مثل هذا الشيخ مدة من الزمن، وجاب في طلبه الفيافي والقفار، وسأل عنه القاصي والداني فلم يجده[١]، ويصور نفسه أنه هو «الشيخ الكامل» الوحيد الذي يُرجع إليه لطلب الهداية[٢]. إذاً «الشيخ الكامل» في نظره هو وأتباعه الذين حققوا المقامات الثمانية.

والحديث عن «الشيخ الكامل» وحقوقه وفضائله جرّه إلى الحديث عن «الشيخ الناقص» فأرى «بايزيد» يصم «الشيخ الناقص» بكل عار وعيب، ويذكره بكل رذيلة ونقيصة، ويحذر الناس عنه بعبارات شديدة، فمن ذا عسى أن يكون هذا «الشيخ الناقص» في نظر «بايزيد»(؟)، المشائخ الذين عارضوا «بايزيد» في دعوته، وردوا عليه هم المشائخ الناقصون في نظره، ويصفهم بأنهم يخرجون الناس من الهداية إلى الضلالة، ومن الطاعة إلى المعصية، ومن الذكر إلى الغفلة، ومن النور إلى الظلمة، ومن الصفات المحمودة إلى الصفات المذمومة، ومن الراحة إلى العقوبة[٣]. كما أن «الشيخ الناقص» مشرك وشيطان في كل زمان، فهذا كله عداء وانتقام من العلماء والمشائخ الذين عارضوه، وتصدوا لحركته.

ثم إذا تأمل الباحث إلى جذور هذه العقيدة يجد أنها مؤلفة من شقين:

الشق الأول: البيعة عند شيخ معين طلباً للهداية والمعرفة الحقة.

الشق الثاني: وصف هذا الشيخ بالكامل احترازاً عن الناقص.

ويبدو واضحاً هنا تأثر «بايزيد» بالفكر الصوفي، حيث يقضي بأن لا هداية ولا المعرفة الحقة إلا على يد الشيخ، ويرى أن هذا الشيخ مفترض الطاعة، لا تقبل عبادة الطالب بدون طاعته.

---

(١) نفس المصدر (١٤).

(٢) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٧٦).

(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٢٤٣).

وهذا رأي خاطئ؛ لأن طالب العلم يحصل علمه بالتلقي المباشر عن المعلم، أو قراءة الكتب المختصة بذلك على يد معلم أو أكثر فلا يحتاج إلى الانتساب لشيخ معين، بل كل من أفاده من علمه وآثاره فهو شيخه، سواء كان واحداً أو أكثر حياً أو ميتاً، فلا يحتاج الطالب لبيعة شيخ معين، والانتساب إليه، وموالاته، ومعاداة من سواه. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين، فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن، كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ، وتلقاه عنهم التابعون. وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان، فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه، فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر، ولا يتعين ذلك في شخص معين، ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين، كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها. وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة»[1].

ويقول في موضع آخر: «فأما الانتساب الذي يفرق بين المسلمين، وفيه خروج عن الجماعة، والائتلاف إلى الفرقة، وسلك طريق الابتداع، ومفارقة السنة والاتباع، فهذا مما ينهى عنه، ويأثم فاعله، ويخرج بذلك عن طاعة الله ورسوله ﷺ»[2].

ثم ليس هناك من يُفترض طاعته في الشريعة غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ ورسوله ﷺ فيجب على المسلم أن يرجع إلى كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ في كل شيء، وليس أحد من البشر معصوماً إلا الرسول ﷺ، فلا تجب طاعة أي شيخ مهما بلغ من العلم والفضل، كما لا يملك أحد وساطة بين الله وعبده حتى لا تقبل العبادة إلا بطاعته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٥١٢). (٢) نفس المصدر (١١/ ٥١٤).

«وبالجملة فالشيوخ والملوك وغيرهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله أطيعوا، وإن أمروا بخلاف ذلك لم يطاعوا، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليس أحد معصوماً إلا رسول الله ﷺ، وهذا في الشيخ الذي ثبت معرفته بالدين، وعمله به».

«وأما من كان مبتدعاً بدعة ظاهرة، أو فاجراً فجوراً ظاهراً فهذا إلى أن تنكر عليه بدعته وفجوره، أحوج منه إلى أن يطاع فيما يأمر به، لكن إن أمر هو أو غيره بما أمر الله به ورسوله، وجبت طاعة الله ورسوله، فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد، في كل حال، ولو كان الآمر بها كائناً من كان»[١].

كما يبدو واضحاً أن نظرية «الشيخ الكامل» عند «بايزيد الأنصاري» هي وجه آخر لنظرية «الإنسان الكامل» عند «محمود البسيخواني» ـ مؤسس الفرقة النقطوية ـ وقد تقدم الحديث عنه، والرد عليه في المبحث الرابع من الفصل الأول.

ثانياً: وحدة الوجود[٢]:

تقدم في المبحث الأول أن «بايزيد الأنصاري» كان قد حرم من عطف أبيه وهو رضيع، كما حرم من حنان أمه وهو صغير، وكان يعاني من الصراع العائلي منذ نعومة أظفاره في بيت زوج أبيه، يقاسي أنواعاً من المظالم والآلام من أبيه وزوجته، وكان لهذه الظروف العائلية أثر بالغ في نفسية «بايزيد» مما جعله يكره المجتمع الذي ترعرع فيه، ويكره كل من حوله، ويفضل حياة العزلة، والتفكير الشخصي الذي أخذه بعيداً عن جادة الصواب.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٥١٧).

(٢) تعني هذه العقيدة أن الوجود مشتمل على حقيقة واحدة، وأنه لا اثنينية أو أكثر في الوجود، أي: أن الله هو العالم، والعالم هو الله.

انظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/٥٦٩)، طبعة (١٩٨٢م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان.

ثم حرمانه من طلب العلم الشرعي مع رغبته الشديدة في ذلك، وقد أعطي نصيباً من الذكاء، والقوة الحافظة، ولكن ظروفه العائلية حالت دون ذلك، وكان أبوه «الشيخ عبد الله» حجر عثرة في سبيل طلب العلم، إذ كان يستغله في أشغال البيت من زراعة، ورعي، وتجارة مما جعله يتردد على مجالس مشائخ الصوفية في بلدته يسمع منهم، ويتأثر بكلامهم، ويشغل فراغه بالرياضة والعزلة من الناس، ولما عاد من رحلة «قندهار» جلس في خلوة، واعتزل الناس لمدة خمس سنوات متوالية، فهذه العزلة الطويلة أورثت فيه الهوس والوهم، إذ أن الخلوات البدعية من أهم خصوصياتها أنها تورث صاحب الخلوة الوهم، بأنه أكمل الناس استعداداً، وأنه يصل إلى مطلوبه بدون سبب، واعتماده في ذلك على القوة الوهمية[١]. فكانت هذه الخلوة الطويلة، والتفكير الشخصي بدون ضابط شرعي، مؤدية إلى الانحراف في العقيدة.

وأول شيء أدى إليه تفكيره ـ كما زعم بايزيد ـ هو عقيدة «وحدة الوجود» فبدأ يتفلسف في إثبات هذه العقيدة، ويدعو الناس إليها على أنها هو التوحيد الذي جاء به الإسلام، وضده الشرك، واستدل على ذلك بآيات قرآنية ـ على حد زعمه ـ وهي لا تدل على مقصوده.

وادعاء «بايزيد الأنصاري» أن تفكيره في الخالق والكون واعتزاله عن الناس لسنوات طويلة هو الذي أدى إلى الظفر بهذا التوحيد، حيث تجلى له الرب، ورفع ستار قلبه، فرآه في كل جهة بدون مثل، ليس بصحيح، وبدعوته إلى هذا التوحيد لم يأت بشيء جديد، بل ورثه عن المشائخ الصوفية الذين كان يصحبهم ويتردد على مجالسهم، وكانت عقيدة «وحدة الوجود» مشهورة في ذلك الوقت بين الأوساط الصوفية.

وقد ذكر «بايزيد الأنصاري» أقوال كثير من الصوفية في كتبه، أمثال:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٥٨).

«بايزيد البسطامي»[1]، و«الشيخ سري السقطي»[2]، و«ذو النون المصري»[3] وغيرهم[4].

كما ذكر أسماء كتب لبعض الصوفية، أمثال: «الفتوحات المكية» «لابن عربي»[5] و«الحضرات الخمسة»[6] وهذه الكتب تطفح بالأبحاث عن عقيدة «وحدة الوجود»، بل إن «ابن عربي» هو الذي قرر هذه العقيدة في جرأة وصراحة، وتناولها في أكثر من موضع من كتابه «الفتوحات»، وما دام «بايزيد» قد طالع هذه الكتب، فمن المؤكد استفاد عقيدته منها. ولا غرو في ذلك إذ أن كثيراً من أبطال الحركات الضالة يستفيد بعضهم من بعض خاصة المتأخر منهم من المتقدم.

وهكذا شأن «بايزيد الأنصاري» أخذ عقيدة «وحدة الوجود» من المشائخ الصوفية في زمانه ومن مطالعة كتب الصوفية، خاصة كتب «ابن عربي» ثم أضافها إلى نفسه، وحاول أن يصوغها صياغة جديدة، فلم يزدها إلا غموضاً وتعقيداً، كما ازداد هو ضلالاً وبعداً.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) هو: أبو الحسن سري بن المغلس السقطي (... ـ ٢٥٣هـ).
من كبار المتصوفة. ولد في «بغداد». أول من تكلم عن التوحيد، وأحوال الصوفية في «بغداد». توفي فيها.
انظر: الأعلام (٣/ ٨٢).

(٣) هو: أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري (... ـ ٢٤٥هـ).
أحد الزهاد المشهورين. أول من تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» فأنكر عليه «ابن عبد الحكم» واتهمه «المتوكل العباسي» بالزندقة. توفي في «جيزة».
انظر: الأعلام (٢/ ١٠٢).

(٤) انظر: مقصود المؤمنين (٢٢٩، ٢٣٥، ٢٣٦).

(٥) نفس المصدر (٣١٨).

(٦) «الحضرات الخمسة» عبارة عن خمس رسائل منظومة باللغة الفارسية، للسيد شاه ياسين القادري الجيلي، تدور هذه الرسائل حول عقيدة «وحدة الوجود»، وهي موجودة في المكتبة الآصفية بحيدرآباد، الدكن ـ الهند.
انظر: مقصود المؤمنين (ص١٤٠، هامش رقم ١٢).

وأما الرد التفصيلي على عقيدة «وحدة الوجود» فسيأتي في المُبحث الرابع من الفصل السادس بإذن الله - تعالى -[1].

ثالثاً: الإلهام[2]:

من أهم عقائد «بايزيد الأنصاري» «الإلهام»، وكان ادعى أن كتابه «خير البيان» مما ألقاه الله - تعالى - في قلبه عن طريق «الإلهام» بأربع لغات.

وقد حاول «بايزيد» بهذا الادعاء أن يقلد «الرسالة الغوثية»[3] التي تنسب إلى «الشيخ عبد القادر الجيلاني» والتي يقال عنها: أنها كانت إلهاماً من الله - تعالى - إلى «الشيخ عبد القادر».

وقد صرح بذلك «بايزيد الأنصاري» حيث قال: إن كتابه «خير البيان» كان إلهاماً إليه، كما كانت «الرسالة الغوثية» إلهاماً إلى «الشيخ عبد القادر الجيلاني» من الله - تعالى -[4].

---

(١) وذلك في «المذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي»؛ لأن عقيدة «وحدة الوجود» تكاملت في هذا المذهب، فالحديث عنها هناك أنسب من هنا.

(٢) الإلهام في اللغة: الإلقاء. يقال: ألهم الله فلاناً الرشد إلهاماً، إذا ألقاه في روعه، فتلقاه بفهمه.
انظر: تهذيب اللغة (٦/٣١٨، ٣١٩، مادة: لهم).
وفي الاصطلاح: «هو أن يلقى الله في نفس الإنسان أمراً يبعثه على فعل الشيء، أو تركه، وذلك بلا اكتساب، أو فكر، ولا استفاضة. وهو وارد غيبي. ويشترط فيه أن يكون باعثاً على فعل الخير أو ترك الشر...».
وقيل: «الإلهام ما وقع في القلب من العلم، وهو يدفع إلى العمل من غير استدلال، ولا نظر».
انظر: المعجم الفلسفي (١/١٣٠).

(٣) ذكر الدكتور مير ولي خان المسعودي: أن هذه الرسالة موجودة في مخطوطات مكتبة الكلية الإسلامية بجامعة بشاور الباكستانية، تحت رقم (١٠٣٦)، وهي رسالة صغيرة باللغة العربية قوامها (٢٧) صفحة، في أولها أشعار تنسب للشيخ عبد القادر الجيلاني، وبعدها مكالمة بين الله - تعالى - وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني.
انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (ص١٠٥، هامش رقم ١).

(٤) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥).

وقد نقل «الدكتور مير ولي خان المسعودي» نصوصاً من «الرسالة الغوثية» وقارنها بنصوص من كتب «بايزيد» ليؤكد على أنه اطلع على هذه الرسالة، وتأثر بما جاء فيها من مضامين، فقال ـ أي الدكتور المسعودي ـ: «وأحب أن أقدم جملاً من هذه الرسالة ليرى القارئ بنفسه أثرها على «بايزيد الأنصاري»، وتلك الجمل كالآتي:

١ ـ «قال ﷺ: يا غوث الأعظم[1]! قلت: لبيك. قال: كل طور بين الناسوت والملكوت فهي الشريعة، وكل طور بين الملكوت والجبروت فهي الطريقة، وكل طور بين الجبروت واللاهوت فهي الحقيقة»[2].

يقول الدكتور المسعودي معلقاً على هذه العبارة: «إننا وجدنا أن «بايزيد الأنصاري» قد بين هذه الدرجات في جميع مؤلفاته، وتوسع فيها، فجعلها ثمانية، وهي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة. وشرح لطالب الحق ضرورتها وفائدتها، فعرفنا أن كل واحد من «الشيخ عبد القادر الجيلاني» و«بايزيد الأنصاري» قد تحدث عن هذه الدرجات»[3].

٢ ـ قال الشيخ الجيلاني في موضع آخر:

«قال لي: يا غوث الأعظم! ما ظهرت في شيء كظهوري في الإنسان»[4].

وقال «بايزيد الأنصاري»:

«قال النبي: الخليفة مظهر دعوة الحق، ومظهر تجليه بصفة الداعي والهادي، يدعو الناس إلى دار السلام، وهو الداعي والهادي فيه بلسانه»[5].

---

(١) «غوث الأعظم» اللقب المعروف للشيخ عبد القادر الجيلاني عند الصوفية.

(٢) انظر: الرسالة الغوثية (ص٨) نقلاً عن مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥).

(٣) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).

(٤) انظر: الرسالة الغوثية (ص٩) نقلاً عن مقدمة مقصود المؤمنين (ص١٠٦).

(٥) انظر: مقصود المؤمنين (١٤١).

فعلق عليه الدكتور المسعودي وقال: «فكل واحدٍ من «الشيخ عبد القادر الجيلاني» و«بايزيد الأنصاري» يثبت أن الله ـ تعالى ـ ظهر في «الإنسان الكامل» بصورة واضحة جلية»[1].

٣ ـ وقال عبد القادر الجيلاني أيضاً:

«يا غوث الأعظم! ما أكل الإنسان شيئاً، وما شرب، وما قعد، وما قام، وما نطق، وما صمت، وما سكت، وما توجه بشيء، وما غاب عن شيء إلا أنا ساكن، ومتحرك فيه»[2].

وقال «بايزيد الأنصاري»:

«وليس للمحب في طور المحبة أثر ولا خبر؛ لأن المحب في حكم المحبوب محو، ليس له اختيار سوى اختيار المحبوب، فهو لا يتكلم إلا باختياره، ولا يمشي إلا بإرادته، ولا يتحرك، ولا يسكن باختيار نفسه»[3].

وعلق عليه الدكتور المسعودي قائلاً: «فظهر من كلامهما أن كل واحد منهما يرى أن الإنسان آلة لا اختيار له، وإنما المحرك الحقيقي له هو الله وحده»[4].

يظهر من هذه المقارنة أن «بايزيد الأنصاري» اطلع على هذه الرسالة، وحاول أن يحاكيها في كتابه «خير البيان»، ومما يؤكد هذا الأمر أن «بايزيد الأنصاري» ينقل في مؤلفاته عن «الرسالة الغوثية» المذكورة بدون ذكر اسمها كما يقول في أحد المواضع من كتابه: «مقصود المؤمنين»:

«حديث قدسي: يقول الله ـ تعالى ـ فيه: يا غوث الأعظم! طوبى لك إن كنت غفوراً على بريتي، ثم طوبى لك إن كنت رؤوفاً على بريتي»[5].

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).
(٢) انظر: الرسالة الغوثية (ص١٣) نقلاً عن مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).
(٣) انظر: مقصود المؤمنين (٣٣٤).
(٤) انظر هذه المقارنة في: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥ ـ ١٠٨).
(٥) انظر: (ص٣٤٨).

ويقول في موضع من كتابه «خير البيان»:

«يا غوث الأعظم! قل لأصحابك اغتنموا دعوة الفقراء، فإنهم عندي وأنا عندهم»[1].

وهذا الأسلوب الخطابي هو الموجود في «الرسالة الغوثية» المنسوبة «للشيخ عبد القادر الجيلاني»، والتي يقال عنها إن فيها مكالمات ومحادثات وسؤالاً وجواباً بين الله ـ تعالى ـ وبين «الشيخ عبد القادر الجيلاني» عن طريق الإلهام.

فبات من المؤكد أن «بايزيد الأنصاري» قد حاول محاكاة هذه الرسالة في كتابه «خير البيان» وادعى أنه ألقي إليه عن طريق الإلهام.

والمعروف أن «الكشف والإلهام» من مصادر التلقي عند المتصوفة، وأما عند «أهل السنة والجماعة» فمصدر التلقي عندهم الوحي فقط، أي: الكتاب والسنة الصحيحة[2]. وليس في الناس معصوم يسوغ له ولغيره اتباع ما يقع في قلبه إلا أن يكون موافقاً للشرع، وإن كان لهم مخاطبات ومكاشفات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وأهل المكاشفات والمخاطبات يصيبون تارةً ويخطئون أخرى كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد، ولهذا وجب عليهم جميعهم أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن يزنوا مواجيدهم، ومشاهدتهم، وآراءهم، ومعقولاتهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا يكتفوا بمجرد ذلك؛ فإن سيد المحدثين، والمخاطبين الملهمين من هذه الأمة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كانت تقع له وقائع فيردها عليه رسول الله ﷺ»[3].

وأضاف الشيخ قائلاً:

---

(١) انظر: (ص٣٢٤).

(٢) انظر: موقف الإسلام من الإلهام... والكشف... والرؤى... للدكتور يوسف القرضاوي (٤٣ ـ ٤٦)، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥).

«ولهذا وجب على جميع الخلق اتباع الرسول ﷺ وطاعته في جميع أمور الباطنة والظاهرة، ولو كان أحد يأتيه من الله ما لا يحتاج إلى عرضه على الكتاب والسنة، لكان مستغنياً عن الرسول ﷺ في بعض دينه. وهذا من أقوال المارقين الذين يظنون أن من الناس من يكون مع الرسول كالخضر مع موسى عليه السلام، ومن قال هذا، فهو كافر»[1].

وقد ذكر «ابن تيمية» في معرض الحديث عن أولياء الشيطان وقال: «هؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم، وتتمثل لهم، وهي جنٌّ وشياطين، فيظنونها ملائكة؛ كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام. وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام «المختار ابن أبي عبيد»[2] الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير»[3][4]. وكان الكذاب: المختار بن أبي عبيد. والمبير: الحجاج بن يوسف[5]. فقيل لابن عمر وابن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥، ٦٦).

(٢) هو: أبو إسحاق المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي (... - ٦٧هـ).
من زعماء الثائرين على بني أمية، كان من أهل «الطائف» انتقل منها إلى «المدينة». سجنه «عبيد الله بن زياد» في «البصرة»، ثم نفاه إلى «الطائف»، ثم دخل «الكوفة» ودعا إلى إمامة «محمد ابن الحنفية»، واستولى على «الكوفة» و«الموصل»، واستفحل أمره. قتله «مصعب بن الزبير» في الكوفة.
انظر: الأعلام (٧/ ١٩٢).

(٣) أي: مهلك يسرف في إهلاك الناس، يقال: بارَ الرّجل يَبُورُ بوراً فهو بائر، وأبار غيره فهو مبير.
انظر: النهاية (١/ ١٦١).

(٤) حديث أسماء رضي الله عنها رواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها بلفظ: «إن في ثقيف كذاباً ومبيراً». (٤/ ١٩٧١، ١٩٧٢، برقم: ٢٥٤٥).

(٥) هو: أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي (٤٠هـ - ٩٥هـ).
قائد داهية، سفاك خطيب، ولد ونشأ في «الطائف»، وانتقل إلى «الشام». كان والياً على «مكة» و«المدينة» و«الطائف» و«العراق» من قبل «عبد الملك بن مروان». بنى مدينة «واسط»، مات فيها.
انظر: الأعلام (٢/ ١٦٨).

عباس رضي الله عنهما: أن المختار يزعم أنه يُنَزَّل إليه، فقالا: صدق. قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢﴾[1].

وأضاف الشيخ قائلاً: «وهذه الأرواح الشيطانية هي الروح الذي يزعم صاحب «الفتوحات» أنه ألقى إليه ذلك الكتاب، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين، وشيء معين، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء، وإنما هو من الأحوال الشيطانية»[2].

ولعل هذا هو الذي حدث لـ «بايزيد الأنصاري» حيث إنه قد بدأ الرياضة النفسية بالجوع، وكثرة السهر، وطول الخلوة التي امتدت إلى سنوات طويلة، فتسلط عليه شيطان من الجن يوحي إليه، فيظنه «إلهاماً» ألقاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في قلبه، ودوَّنه في كتاب سماه «خير البيان»، وقد سماه معارضوه في عصره «شر البيان»، وهو بهذا الاسم أحرى، وأليق، لاحتوائه على خرافات وضلالات وكذب على الرسول ﷺ ما لا يخفى على من اطلع على هذا الكتاب.

بالإضافة إلى ادعاء «بايزيد» «الإلهام» كان يدعي في ذات الوقت حيازة «العلم اللدني»، ولكن الدليل الذي ساقه في هذا الصدد لا يدل على ما ادعاه، وهو قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾[3]. وهذه الآية سيقت في معرض قصة موسى مع الخضر عليه السلام، والخضر كان نبياً في أرجح أقوال العلماء، يأتيه الوحي من الله ـ تعالى ـ فلا إشكال.

قال القرطبي في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ العبد: هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور، وبمقتضى الأحاديث الثابتة.

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان ٢٢١، ٢٢٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٢٣٨، ٢٣٩).

(٣) سورة الكهف: الآية ٦٥.

وخالف من لا يُعتد بقوله، فقال: ليس صاحب موسى بالخضر، بل هو عالم آخر».

وأضاف قائلًا: «الخضر نبي عند الجمهور. وقيل: هو عبد صالح غير نبي. والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي. وأيضاً فإن الإنسان لا يتعلم، ولا يتبع إلا من فوقه، وليس يجوز أن يكون فوق النبي من ليس بنبي».

«وقيل: كان ملَكاً أمر الله موسى أن يأخذ عنه مما حمله من علم الباطن. والأول: الصحيح. والله أعلم».

«وقال ـ أي القرطبي ـ في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ الرحمة في هذه الآية النبوة. وقيل: النعمة. ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ أي: علم الغيب»[1].

وما زعمه «بايزيد الأنصاري» أن «العلم اللدني» ليست علوم الشريعة، ولا يحصل عليها الإنسان بقراءة الكتب، ولا عن طريق المعلمين، بل كل من وصل في سلوكه إلى حقيقة التقوى فلا بد أن يعلمه الله ـ تعالى ـ ما لم يعلم بدليل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[2].

هذا ليس بصحيح، وهو زعم خاطئ، والآية المذكورة لا تدل على زعمه، وتفسيرها كما ذكر الإمام القرطبي:

«وعد من الله ـ تعالى ـ بأن من اتقاه علّمه، أي: يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقى إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقاناً، أي: فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[3][4].

فلا تدل الآية الكريمة على أن «العلم اللدني» علم سري خاص،

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٦/١١).
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٩.
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٣/٤٠٦).

يحصل عليه الشخص إذا وصل إلى حقيقة التقوى، بل تدل على أن الله - تعالى - يهب من اتقاه ملكة فهم علوم الشريعة ما يفرق به بين الحق والباطل.

وكذلك لجؤ «بايزيد الأنصاري» إلى بيان كثرة الأحلام والرؤى، وبناء الأحكام عليها، على درجة كبيرة من الخطورة في الدين. وقد جاء الوعيد الشديد لمن تعمد الكذب في حلمه، روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من تحلَّم بحلم لم يره، كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون، أو يفرون منه، صُبَّ في أذنيه الآنُكَ[1] يوم القيامة، ومن صوَّر صورة عُذِّب، وكُلِّفَ أن ينفخ فيها، وليس بنافخ»[2].

ثم إن الرؤى والأحلام لا ينبني عليها، أي حكم شرعي، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«إن هناك طائفة ممن تدعي السنة والحديث يحتجون بأحاديث موضوعة، وحكايات مصنوعة، يعلم أنها كذب، وقد يحتجون بالضعيف في مقابلة القوي. وكثير من المتصوفة والفقراء يبني على منامات وأذواق وخيالات يعتقدها كشفاً، وهي خيالات غير مطابقة، وأوهام غير صادقة: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[3][4].

ويقول الشاطبي:

«إن أضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلاناً الرجل الصالح، فقال

---

(١) الآنُك: هو الرصاص الأبيض. وقيل: الأسود، وقيل: الخالص منه.
انظر: النهاية (١/٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه. (١٢/٤٢٦ برقم: ٧٠٤٢).

(٣) سورة النجم: الآية ٢٨.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١١/٣٣٩).

لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا. ويتفق مثل هذا للمترسمين برسم التصوف، وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها، ويترك بها، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال، إلا أن تُعرضَ على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوَّغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها، والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة، أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا...»[1].

رابعاً: الذكر الخفي:

من أهم مبادئ «الفرقة الروشنية» أيضاً «الذكر الخفي» وهو كما يزعم بايزيد: ذكر القلب مع النَّفس أي أن يدخل ويخرج كل نفس بذكر الله ـ تعالى ـ كما تقدم.

ويستدل «بايزيد» لإثبات هذا الذكر بآيات كثيرة ورد فيها لفظ «الذكر»، كما يستدل بأحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ وضعها بنفسه ـ كما هو عادته ـ وقد ذكر «الدكتور ظهور الدين أحمد» أن «الذكر الخفي» كان معروفاً لدى الصوفية قبل «بايزيد»، خاصة عند مشائخ «الطريقة الچشتية»[2] فلم يأت «بايزيد» بشيء جديد، بل ورثه من مشائخ التصوف في زمنه، وجعله مبدأً من مبادئ حركته بعد أن خلطه بفلسفته الخاصة.

ثم إن هذا الذكر الذي يسميه «بايزيد» «الذكر الخفي»، وهو ذكر مبتدع في الدين، لم يؤثر مثل هذا الذكر، ولا أقسامه التي يذكرها «بايزيد» عن الرسول ﷺ ولا عن صحابته، ولا عن التابعين، فهو بدعة مستحدثة لا أصل لها. وهو من قبيل «الذكر الدائم» الذي فرضه «السيد محمد الجونبوري المتمهدي» على أتباعه[3].

---

(١) انظر: الاعتصام (١/٣٥١)، الطبعة الأولى (١٣٣١هـ)، مطبعة المنار بمصر.

(٢) انظر: پاكستان مين فارسي ادب (٥٧٩).

(٣) تقدم الحديث عنه في الفرقة المهدوية.

خامساً: الأصول أو المقامات الثمانية:

هذه الأصول أو المقامات أودعها «بايزيد الأنصاري» كتابه «مقصود المؤمنين» وشرح هذه المقامات في هذا الكتاب شرحاً مفصلاً، وكان في مؤلفاته السابقة يشير إليها إشارة إجمالية، أو كان يتناولها باختصار شديد. وهي خلاصة دعوته، وعصارة أفكاره، وهي ما تمتاز به هذه الفرقة عن الفرق الأخرى التي نشأت في القرن العاشر الهجري في البلاد الهندية[١].

وإذا نظر الباحث إلى جذور هذه المقامات وأصالة «بايزيد» في ابتكارها يجد أن مصدره في ذلك «الفكر الصوفي» حيث ورثها عن المشائخ الصوفية، وصبغها بصبغته الخاصة، وأسهب الكلام في شرحها، وبيان فضائلها وفوائدها.

يقول الدكتور ظهور الدين أحمد: «أربعة من هذه المقامات الثمانية أساسية، وهي: الشريعة، والطريقة، والحقيقة، والمعرفة. وهذه هي المقامات التي كانت معروفة لدى الصوفية من قبل «بايزيد». وأما الأربعة المتبقية فهي: القربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة؛ وإن كانت مسمياتها جديدة، ولكنها من حيث المعنى لا تختلف كثيراً عن مصطلح «الفناء»[٢] و«البقاء» لدى الصوفية»[٣].

وأضاف الدكتور ظهور الدين أحمد قائلاً: «إن «بايزيد» صرح بأنه

---

(١) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٥).

(٢) الفناء: «فناء الشيء زوال وجوده. والفرق بينه وبين الفساد أن فناء الشيء عدمه، على حين أن فساده تحوله إلى شيء آخر».
«والفناء عند الصوفية عدم شعور الشخص بنفسه، أو بشيء من لوازم نفسه. وقيل: الفناء تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية. وقيل: الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاء ثبوت النعوت المحمودة. وعلامته عندهم: ذهاب حظ المرء من الدنيا والآخرة إلا من الله ـ تعالى ـ.
والبقاء الذي يعقبه هو: أن يفني عمّا له، ويبقى بما لله ـ تعالى ـ.
انظر: المعجم الفلسفي (٢/١٦٧).

(٣) پاكستان مين فارسي ادب (٥٧٧).

وصل إلى نهاية هذه المقامات حيث قال: «إذا ألقيت النظر إلى أية جهة رأيت الله ـ تعالى ـ بدون مثل، ولم أر شيئاً منفصلاً عن ذاته، ولم أسمع صوتاً بغير تسبيحه»[1].

وقال «الدكتور مير ولي خان المسعودي» في المقارنة بين آراء «الشيخ عبد القادر الجيلاني» وآراء «بايزيد الأنصاري» بعد أن نقل نصاً من كتاب «الرسالة الغوثية» المنسوبة إلى «الشيخ عبد القادر» قال: «إننا وجدنا أن «بايزيد الأنصاري» قد بين هذه الدرجات في جميع مؤلفاته، وتوسع فيها، فجعلها ثمانية، وهي: الشريعة، والطريقة، والمعرفة، والقربة، والوصلة، والوحدة، والسكونة. وشرح لطالب الحق ضرورتها وفائدتها، فعرفنا أن كل واحدٍ من «الشيخ عبد القادر الجيلاني» و«بايزيد الأنصاري» قد تحدث عن هذه الدرجات»[2].

فاتضح من كلام الباحثين أن «بايزيد» ليس أصيلاً في ابتكار هذه المقامات الثمانية، بل مصدره في ذلك «الفكر الصوفي» الذي استقى منه أفكاره.

سواء أكان «بايزيد» قد ابتكرها من عند نفسه، أو ورثها عن المتصوفة الذين سبقوه، فإنه قد جعلها طريقاً للوصول إلى الله، وهذا تشريع في الدين، وإحداث فيه ما ليس منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[3].

وجاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[4].

قال الحافظ ابن رجب في شرحه لهذا الحديث: «فهذا الحديث يدل

---

(١) پاكستان مين فارسي ادب.
(٢) انظر: مقدمة مقصود المؤمنين (١٠٦).
(٣) سورة الشورى: الآية ٢١.
(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٥/ ٣٠١، برقم: ٢٦٩٧).

بمنطوقه على أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع، فهو مردود، ويدل بمفهومه على أن كل عمل عليه أمره، فهو غير مردود. والمراد بأمره ههنا: دينه وشرعه»[1].

فتشريع «بايزيد» لهذه المقامات الثمانية واتخاذها طريقاً للوصول إلى الله ـ تعالى ـ مردود عليه، وهو طريق من غير متابعة النبي ﷺ فلا يُوصِل إلى المطلوب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«ومن الإيمان به ـ أي بالرسول ﷺ ـ بأنه الواسطة بين الله ـ تعالى ـ وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحلاله وحرامه، فالحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله ﷺ، فمن اعتقد أن لأحدٍ من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان»[2].

ويقول في موضع آخر:

«ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله، لا يحتاج فيه إلى محمد ﷺ فهذا كافر ملحد. وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون الباطن، أو في علم الشريعة دون الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب. فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك هذا الذي يقول: إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون الباطن، آمن ببعض ما جاء به، وكفر ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب، ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة. وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة»[3].

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (١/ ١٧٧).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ١٧٠).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٢٥).

ومما زاد الطين بلةً والأمر سوءاً أن «بايزيد» قد حاول شرح هذه المقامات على ضوء الكتاب والسنة، فاستدل بكثير من الآيات القرآنية بعد بترها، وتحريف معانيها، وحملها على ما لا تحتمل. كما استدل بكثير من الأحاديث المكذوبة على الرسول ﷺ.

وإذا كان أبطال الحركات الباطلة يلجأون دائماً إلى الأحاديث الواهية والموضوعة لتحقيق أهدافهم، وترويج بضائعهم، فإن «بايزيد الأنصاري» ـ مؤسس الفرقة الروشنية» ـ له شأن آخر في هذا الميدان، إذ أنه كان يضع كلاماً باللسان العربي، وينسبه إلى الرسول ﷺ[1] وهكذا الأقوال المنقولة عن المشائخ الصوفية، وكذلك كلمات الأمثال والحكم المتداولة بين الناس ينسبها «بايزيد» إلى الرسول ﷺ ويستدل بها في إثبات معتقداته.

ثم إن المتأمل في هذه المقامات يجد أنها تدور في فلك التفسير الباطني للشريعة، وعقيدة وحدة الوجود، والحلول، والاتحاد. وهذه الأمور كلها إلحاد وزندقة، ومروق من الدين ممّا لا يخفى على مسلم.



(١) انظر: مذاهب الإسلام (٥٧٩).




الفصل الخامس

ستيه پير (الشيخية الصادقة أو الحقة)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني : عقائدها وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: ستيه پير في الميزان.




المبحث الأول

نشأتها وتاريخها

تُعَدُّ «سَتْيَهْ پير» إحدى الفرق التي نشأت بين المسلمين في القرن العاشر الهجري في إقليم «البنغال»[1] من البلاد الهندية. وكلمة «سَتْيَهْ» تستعمل في اللغة الهندية والبنغالية بمعنى «الصادق» أو «الحق». ولفظ «پِيْر» فارسي معناه «كبير السن» ويقصد به «الشيخ» أو «المرشد الصوفي» أي: شيخ الطريقة. و«سَتْيَهْ پِيْر» كشخص «الشيخ الصادق» أو «الحق» وكفرقة «الشيخية الصادقة» أو «الحقة».

بدأت «سَتْيَهْ پِيْر» كفرقة لها عقائدها الخاصة بها، وبمرور الزمن تلاشت كفرقة، ولكن عقائدها بقيت شائعة في جماعة المسلمين في إقليم «البنغال» حتى هذه اللحظة.

وقد كثرت الحكايات والأساطير في نشأة هذه الفرقة، وذلك ناتج عن كثرة الخلاف بين الباحثين والكُتّاب الذين تصدوا للتاريخ لهذه الفرقة، وفيما يلي أذكر بعض الروايات التي شاعت في هذا الصدد، ثم أتبع ذلك بتمحيصها ومقارنتها، واستخلاص النتائج منها.

الأولى: رواية الهندوس:

خلاصة هذه الرواية أن أحد البراهمة ـ أي رجل الدين الهندوسي ـ

---

(١) يقع إقليم «البنغال» في أقصى شرق القارة الهندية، وهو مقسم إلى قسمين «البنغال الشرقية»، وهي دولة «بنغلاديش» المستقلة حالياً، ونسبة المسلمين فيها ٩٠٪ على وجه التقريب، وعاصمتها «داكا»، والقسم الثاني «البنغال الغربية» وهي إحدى ولايات الهند الحالية، ونسبة المسلمين فيها لا تتجاوز ٨٪ وعاصمتها الإقليمية مدينة «كلكتّا».

كان يقيم في مدينة «مَتْهورا» الواقعة في جنوب «دهلي»، وكانت زوجه مطيعةً له، أحبَّتْ مع زوجها الإله «وِشْنُو» ـ أحد آلهة الهندوس ـ وكانا يعيشان في فقر مدقع، ولكن هذا البؤس الشديد لم يمنعهما من تقديم القرابين للإله «وِشْنُو».

وفي أحد الأيام خرج «البرهمي» للتسول، ولكنه لم يجد شيئاً، بل لقي من الناس الشتائم والإساءة، حتى هم بعضهم بضربه، وبعد منتصف النهار، كان «البرهمي» يرجع إلى بيته منكسر النفس، حزين القلب، وفي الطريق جلس تحت شجرة كبيرة، وبدأ يفكر في زوجه، ويقول في نفسه: لعلها ماتت من شدة الجوع، أو على شفير الموت، فكيف أرجع إليها وأنا خاوي الوفاض.

ومن شدة الهم والحزن أراد «البرهمي» أن ينتحر، وفي هذه اللحظة أشفق عليه الإله، وحضر أمامه في صورة سائل، وكان على رأسه عمامة، وقد ارتدى جلابية معقودة بالحلق، ويحمل في يده جلداً من ماعز وكيساً، وفي عنقه سلسلة منظومة من الصدف، معه ـ إلى جانب ذلك ـ طبق وعصا. وقد رآه «البرهمي» على حاله تلك، وهو يدق ناقوراً بيده، ويردد مع دقات الناقور ذكر الإله.

وكان هذا هو «ستيه پير».

فقال للبرهمي: «لعلك رجل متدين، وأنا سائل فقير أطعمني شيئاً من عندك، رأيت الناس يدعون الإيمان كذباً، لم يعطني أحد لقمة من الطعام».

فقال البرهمي: «أنا أصارع الموت من الجوع، وأنى لي ما أعطيكه؟ فهذا ثوبي خذه، واذهب به إلى السوق، فبعه هناك واشتر لك طعاماً، وقد حان وقت هلاكي».

فقال ستيه پير: لماذا تريد الموت؟ الشقاوة والسعادة تدومان في الدنيا كالليل والنهار، قُمْ تعالَ معي، واعبد «ستيه پير» هو يحقق أمنيتك، وقَسِّم

«الشيرني»[1] ـ أي: الحلوى ـ تحصل على مرادك.

فاعترض عليه البرهمي وقال: «هذا عمل المسلمين، وأنا «برهمي» ولا يمكن أن أفارق ديني من أجل سعادة الدنيا».

فقال ستيه پير: «خالق الناس واحد، اسمه: «رام»[2] و«رحيم»[3] ولا ينبغي لك أن تفرق بين الأسماء، فتعجب «البرهمي» عند سماع ذلك، وأمعن النظر إلى السائل فإذا له أربع أيدي، وتشبه صورته صورة الإله «سَتْيَهْ نَارَايَنْ»[4] أحد آلهة الهندوس.

وقال ـ أي ستيه پير ـ: أنا «رحيم» في «مكة» و«رام» في «أيدوهيا»[5]، وبعد عهود طويلة أصبحت «سته ناراين» وأتيتك في صورة السائل، فقدم «الشيرني» لأجلي، وانشر بين الناس عبادتي، ولا تحتاج من اليوم إلى التسول، وأعطى «البرهمي» خمسة لآلئ ثم علَّمه كيفية تحضير «الشيرني»، وأوصاه بنذر مثل هذه «الشيرني» باسم «ستيه پير» واختفى بعد ذلك عن أنظار «البرهمي».

ثم جاء «ستيه پير» في بيت «البرهمي» قبل وصوله إليه، وظهر أمام زوجه في صورة أبيها، وأحضر معه حلياً، وملابس فاخرة، وأثاثاً للبيت، فحسبت البرهمية أنه أبوها، وأدَّت مراسم التحية بتقبيل رجليه، وسألت عن

---

(١) «شيرني» كلمة فارسية بمعنى «الحلوى»، وهو مصطلح خاص يطلق على ما يعمل من الحلوى «لستيه پير» خاصة، ولمشائخ الصوفية عامة، ويأتي تفصيل ذلك في المبحث القادم بإذن الله ـ تعالى ـ.

(٢) يقصد بـ«رام» الإله «راما» أحد آلهة الهندوس.

(٣) يقصد «بالرحيم» لفظ الجلالة، تعالى الله عما يقول المشركون.

(٤) «نارايِن» اسم آخر للإله «وِشْنُو» لدى الهندوس، والمعروف بـ«سَتْيَهْ نارايِن» أي: «وشنو» الصادق أو الحق، ومن هنا يتضح أن الهندوس يقصدون بـ«ستيه پير» إلههم «وِشْنُو» المعروف بـ«ستيه نارايِن».

(٥) أيودهيا: اسم مدينة تقع في ولاية «أترا برديش» بشمالي الهند، وهي مسقط رأس الإله «رام» ويزعم الهندوس أن مكان المسجد البابري الذي شيده الملك ظهير الدين بابر (٨٨٨هـ ـ ٩٣٩هـ) في «أيودهيا» هو مكان ولادة إلههم «راما».

أحوال بيته، فقال: كلهم بخير بفضل «ستيه پير». وقال لها: «لقد قابلت زوجك في الطريق، وعَلَّمْتُه كيفية الخلاص من المصائب والشدائد، وقد ذهب الآن ليشتري مستلزمات «الشيرني»، فإذا وصل حضِّرِي «الشيرني» واستعملي الملابس الجديدة، والبسي الحلي، وأنا ذاهب الآن»، واختفى «ستيه پير» عن نظرها.

وفي هذه الأثناء حضر زوجها إلى البيت، ولما رأى زوجه وقد ارتدت الحلي والملابس الجديدة، دُهش لما رأى ذلك، وسأل عن حالها، فأخبرته عما حصل لها، فدمعت عينا «البرهمي» وقال: هذا هو الإله - ستيه پير - الذي جاء إلى بيتنا في صورة أبيك.

ورتَّب «البرهمي» أداء طقوس «ستيه پير» وحضَّر «الشيرني» حسب تعليمات «ستيه پير»، ثم دعا جميع «براهمة» القرية لتناولها، فثار الجدل بينهم حول جواز تناول هذه «الشيرني»؛ لأنها أعدت باسم «ستيه پير». وبعد الجدل الشديد، اتفق الجميع على أن يطلبوا من «البرهمي» المذكور خوارق «ستيه پير» فإذا استطاع - أي ستيه پير - أن يحول كوخ «البرهمي» إلى رمادٍ في الحال، ويبني مكانه عمارة فاخرة، يؤمن الجميع بـ«ستيه پير»، ويتناولون «الشيرني»، فتوجه «البرهمي» إلى «ستيه پير» ورفع دعاءه إليه، وعرض عليه حاجته، فجاءت نار وأحرقت كوخه في الحال، ثم شُيِّدَت مكانه عمارة جميلة، وتم كل ذلك في طرفة عين، فاعتذر الجميع إلى «البرهمي» وتناولوا «الشيرني» مؤمنين ومصدقين بـ«ستيه پير».

ومنذ ذلك اليوم كان «البرهمي» وزوجه يجلسان على ربوة ويعبدان «ستيه پير» ويحضر عندهما كل يوم من عشرة إلى عشرين ألف نسمة يتعلمون منهما كيف تكون عبادة «ستيه پير»، وإذا توجه «البرهمي» إلى إلهه بالدعاء لشخص ما فإن دعاءه لا يرد، وهكذا اعتنق الناس عقيدة «ستيه پير» وانتشرت عبادته فيما بينهم[١].

---

(١) انظر: بنغلا شَاهِتّيز كَوْتا (حديث الأدب البنغالي) للدكتور محمد شهيد الله (١٥٦ - ١٦٠)، رنيسانس برنترز، داكا، بنغلاديش.

- بنغالي وبنغلا شَاهِتّة (البنغالي وأدبه)، لأحمد شريف (٨١١) بنغلا إكاديمي، داكا.

الثانية: رواية المسلمين:

تتلخص هذه الرواية فيما يأتي:

كان يعيش في منطقة «هوغلي»[1] تاجر يدعى «جَوَى دَهَر»، وكان له ثلاثة أبناء، ولما أحس التاجر بدنو أجله دعا ابنيه الكبيرين، وهما: «مَدَنْ» و«كَامْ دِيُوْ» وأوصاهما بأخيهما الصغير واسمه «شُنْدَرْ»، ثم قال للصغير: أنا رزقت إياك بفضل «سَتْيَهْ پِيْر» وبركته، فإذا نزلت بك النوازل تذكَّر «ستيه پِيْر» وتوجه إليه، ثم توفي التاجر بعد ذلك.

وبعد وفاة أبيهم أراد الأخوان الكبيران ـ مدن وكام ديو ـ الخروج للتجارة أسوةً بأبيهم، فجهَّزا السفن التابعة لهما، ودعوا أخاهما من المدرسة، وأوصيا زوجيهما به خيراً، وهما: «شُوْمَتِيْ» و«كُوْمَتِيْ»، وطلب الصغير من أخويه أن يحضرا له طائراً جميلاً عند رجوعهما إلى البلد، فتذكر الأخوان «سَتْيَهْ پِيْر» وتوجها إليه، ثم أمرا بإبحار السفن السبعة المحملة ببضائع التجارة، فتحركت السفن، ونشرت الأشرعة، وتوجهت إلى الجنوب حتى دخلت خليج البنغال، ثم واصلت السير لمدة ستة أشهر متوالية حتى وصلت إلى المدينة التي يريد الأخوان الوصول إليها، ورست السفن في مينائها، وأحس أهل المدينة برسوها، وحمل الأخوان بعض الهدايا النفيسة إلى حاكم المدينة، ليحصلا منه على الإذن بالتجارة في مدينته، ومكثا هناك مدة يمارسان البيع والشراء.

وكانت زوجاهما «شُوْمَتِيْ» و«كَوْمَتِيْ»؛ ساحرتين في الخفاء، ولم يكن يعرف ذلك أحد، ففي كل ليلة عندما ينام أخوهما الصغير «شُنْدَرْ» تركب الزوجان شجرة سحرية، وتصلان إلى مدينة «كَامرُوپ»[2] وتعبدان هناك الإله «كامكًا» ثم ترجعان في الصباح قبل أن يصحو «شُنْدَر» من النوم، وفي

---

(١) اسم منطقة تقع الآن في الهند، وهي تابعة لولاية البنغال الغربية.

(٢) هذه المدينة تقع في ولاية «آسام» الهندية، وهي مدينة قديمة معروفة بالسحر والطلسمات، ويوجد فيها معبد للإله «كامكا» أحد آلهة الهندوس. وهو إله السحر.

إحدى الليالي رأى «شُنْدَرْ» في المنام رؤيا أقلقته، فاستيقظ من نومه فزعاً في منتصف الليل، وبدأ يبحث عن زوجتي أخويه، فلم يجد لهما أثراً. فجلس يبكي حتى حضرتا في الصباح من مدينة «كَامْرُوپ»، وعند ذلك اشتكى إليهما «شُنْدَرُ» لغيابهما في الليل في حال عدم وجود أخويه في البيت، فغضب الزوجان على «شُنْدَرْ» ولكنهما أخفتا غضبهما، وأعدتا طعاماً شهياً وقدمتاه له.

وفي الليلة التالية لما نام شُنْدَرْ» قررتا قتله حتى لا يفضحهما عند أخويه، فذهبتا إلى «كَامْرُوپ» وعبدتا الإله «كَامَكَّا»، ثم رجعتا على وجه السرعة إلى البيت، ووجدتا «شُنْدَرْ» نائماً، فأطلقت إحداهما سهماً مسموماً على جسمه، فقتلته، ثم حملته إلى غابة عميقة، وألقت بجثته هناك.

ولما علم «سَتْيَهْ پِيْر» أن «شُنْدَرْ» قد لقي حتفه، حضر إليه في الغابة، وأفاض عليه من فيوضه وبركاته، ثم رَشَّ عليه قطرات من ماء الجنة (؟)، فعادت إليه الحياة، ورجع إلى البيت، ولما رأت الزوجان أن «شُنْدَرْ» رجع إلى البيت خافتا منه حتى لا يكشف أمرهما عند أخويه، فقتلتاه مرة ثانية، وقطعتاه إرباً إرباً، وكلّما تقتلانه يأتي «سَتْيَهْ پِيْر» ويعيد له الحياة، ثم يرجع إلى البيت، وفي المرة الأخيرة لما رفض «شُنْدَرْ» العودة إلى البيت، أخذه «سَتْيَهْ پِيْر» إلى مدينة «كَامْرُوپ» ورتَّب زواجه بالأميرة «بِيْمَلَا» بنت حاكم هذه المدينة.

ولما رأت الزوجان ـ «شُوْمَتِيْ» و«كَوْمَتِيْ» ـ أن «شُنْدَرْ» عادت إليه الحياة، وتزوج بالأميرة، احترقتا حسداً وحقداً عليه، وحوّلتاه بسحرهما إلى طائر جميل، ولكن «سَتْيَهْ پِيْر» تدخل هنا أيضاً فأخذ هذا الطائر، وأوصله إلى المدينة التي يتاجر فيها أخواه.

وكان أخواه ـ «مَدَنْ» وكَامْ دِيْو» ـ بعد الفراغ من تجارتهما يبحثان عن طائر لأخيهما، فوقع هذا الطائر في أيديهما، فاشترياه بألف، ووضعاه في قفص، ثم غادرا هذه المدينة متوجيهن إلى مدينة «كَامْرُوپ» المحطة الثانية للتجارة، ولما وصلا إلى هناك استقبلتهما الأميرة «بيمْلا» وأعدت لهما

طعاماً، فلما جلسا للأكل، سألت الأميرة عن أخيهما الصغير، فدهشا لهذا السؤال، وتركا الأكل، وجلسا يبكيان، فقالت الأميرة: لا تبكيا، وأنا أحضره الآن. ففتحت القفص أمام الأخوين، وأخرجت الطائر، وحلت السحر بالسحر، فتحول الطائر إلى أخيهما «شُنْدَرْ» فتعانقوا وتباكوا، وحكى «شُنْدَرْ» على أخويه جميع ما لقيه من زوجيهما «شُوْمَتِيْ» و«كُوْمَتِيْ»، ثم أمرت الأميرة بحبسهما في غرفة صغيرة في القصر، ولقيتا حتفهما هناك، وتحولت الغرفة إلى مقبرة لهما.

ثم حضَّر الإخوة الثلاثة «الشيرني» «لِسَتْيَهْ پِيْر» بمائة ألف «تاكا»[1] ووجهوا الدعوة العامة للمسلمين والهندوس، فاجتمعوا جميعاً، وتناولوا «الشيرني» وانتشر الخبر عن «سَتْيَهْ پِيْر»؛ فالهندوس بدأوا يعبدونه، والمسلمون يقدمون له «الشيرني»[2].

انتهت بإيجاز شديد.

الثالثة: أن مؤسس مذهب «ستيه پير» هو «الملك علاء الدين حسين شاه»[3] ملك «البنغال».

هناك آراء كثيرة للمؤرخين والباحثين في نسبة هذه الفرقة إلى الملك المذكور، وأهم تلك الآراء كالآتي:

---

(١) اسم العملة باللغة البنغالية.

(٢) انظر: بنغلا شاهتّير كوتا (١٦٠ ـ ١٦٤).
ـ بنغالي وبنغلا شاهتّه (٨١٥ ـ ٨٢٠).

(٣) هو: أبو المظفر علاء الدين حسين شاه ابن السيد أشرف الحسيني المكي (٠٠٠ ـ ٩٢٦هـ). أول من استقل بإقليم البنغال ـ ثم انتزعه «الملك أكبر» فيما بعد وضمه إلى الحكومة المركزية في دهلي ـ كان ينتمي إلى أشراف مكة، وكان وزيراً للملك «شمس الدين مظفر شاه» حاكم البنغال، فانقلب عليه، وقتله، واستولى على «البنغال» وذلك عام (٨٩٧هـ)، ثم توسع ملكه إلى إقليم «آسام» و«أريسه» و«كامروب»، كان سخياً، بنى المساجد والمدارس، والأربطة لعامة الناس.
انظر ترجمته في: أردو دائره معارف إسلاميه (٨/٢٩٩، ٣٠٠).

١ ـ يقول الدكتور الساداتي: «ويُشتهر من بين حكام «البنغال» «حسين شاه» أول من استقل به، ويذاع عنه ابتكاره لدين جديد يجمع بين عقائد الهنادكة، ومذاهب المسلمين، وهو نفس الأمر الذي نسب إلى «أكبر»، أعظم السلاطين الدولة المغولية من بعد»[1].

٢ ـ يقول الشيخ مسعود عالم الندوي: «لم نسمع بملك من ملوك المسلمين ـ قبل أكبر ـ أراد أن يحدث ديناً جديداً، أو سعى في القضاء على دين الحق، غير ما يروى عن «علاء الدين حسين شاه» ملك البنغال ـ مقاطعة كبيرة في شرق الهند ـ من أنه أراد أن يرغب الناس في عبادة «ستيه پير».

وأضاف الندوي قائلاً: «سَتْيَهْ معناه: «وِشْنُو» ـ أحد آلهة الهندوس ـ و«پِيْر» معناه: «الشيخ»[2].

٣ ـ يقول الدكتور خادم حسين: «وإذا اتجهنا إلى أقصى الشرق نجد من حكام «البنغال» عند أوائل القرن العاشر من الهجرة «حسين شاه» الذي اختلق مذهباً جديداً بمزج المعتقدات الوثنية، وحقائق التوحيد، كل ذلك لتوطيد السلطة، وإرضاء الهندوس على حساب الإسلام»[3].

٤ ـ ويذكر أيضاً أن «سَتْيَهْ پِيْر» حفيد «الملك علاء الدين حسين» المذكور، إذ كانت بنته العذراء شَمَّتْ رائحة زهرة فحملت منه «سَتْيَهْ پِيْر»، ويذكرون له خوارق كثيرة وأساطير طويلة[4].

٥ ـ تنسب إلى الملك «علاء الدين حسين شاه» أيضاً قصةً غراميةً طويلة، ظهر من خلالها «سَتْيَهْ پِيْر» واشتهر بين الناس، وخلاصة هذه القصة

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/٢١٨).
(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (ص٥٩، هامش رقم: ١).
(٣) انظر: أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية (٣٩).
(٤) انظر: بنغلا شَاهِتّير كوتا (١٦٤).
ـ بنغالي وبنغلا شَاهِتّة (٨٠٨).

أنه كان له جار أو وزير يسمى «سيد جمال» وكانت له ابنة حسناء تسمى «لال مون»، وفي أحد الأيام صعدت البنت سقف بيتها بعد أن اغتسلت، وذلك لتجفيف شعرها في الشمس، وعند ما كانت تنفض شعرها سقط الثوب عن صدرها أو جسمها، فرآها الملك على هذه الحالة، فعشقها، وفي نهاية الأمر تزوجها الملك، وأشهدا «سَتْيَهْ پِيْر» على هذا الزواج، ثم خرج الملك مع زوجته خشية أن يتهمه الناس بالانحراف الخلقي، فجاب البلاد، وقطع الغابات، واستمرت هذه الرحلة سنوات طويلة لقي فيها مصائب جمة ومتاعب عديدة، حتى قتل ومسخ أكثر من مرة، وكلما يواجه مشكلة يعمل «الشيرني» «لستيه پير» فتنحل المشكلة، وكلما لقي مصرعه يحضر «سَتْيَهْ پِيْر» فيعيد إليه الحياة... وهكذا، وفي نهاية الأمر عاد إليه الملك أيضاً، وكل ذلك بفضل «سَتْيَهْ پِيْر»، فمنذ ذلك الحين عُرِفَ «سَتْيَهْ پِيْر» بين الناس، فبعضهم بدأوا يعبدونه، وبعضهم يقدمون له «الشيرني»[1].

الرابعة: يذهب بعض الباحثين إلى أن «سَتْيَهْ پِيْر» عقيدة نشأت نتيجة الظلم والاستعمار والاضطهاد الأجنبي لهذه البلاد، فكثرة الحروب والتقلبات السياسية، وانتشار القنوط واليأس بين أهالي إقليم «البنغال» جعلهم يفكرون بجد في طريق الخلاص من هذا الوضع المؤلم، فهم أدركوا أن هؤلاء الغزاة الذين يفدون من الخارج لغزو البلاد ليس همهم إلا احتلال البلد، وسلب الخيرات، فلا يعتمد عليهم، والأعمال التي يعملونها كلها كذب وخيانة، فلا بد من اللجوء إلى الصدق والحق، فلما أن الهندوس يعبدون آلهة كثيرة، فرمز الصدق عندهم هو إله «نارا ين» ويسمونه بـ«ستيه نارا ين» أي: نارا ين الصادق أو الحق.

وأما المسلمون فلما أنهم موحدون، فرمز الصدق والحق عندهم «پير» أي: الشيخ أو المرشد، وهو يساوي «نارا ين» عند الهندوس، فمن هنا

(١) انظر: بنغلا شَاهِتْيَر إتيهاش (تاريخ الأدب البنغالي)، د. سِرِي كُمَار شِين (٤٠١ - ٤٠٥)، الطبعة الثالثة (١٩٧٥م)، آنَنْدَ پليشرز لميتدط كلكتا - الهند.
بنغالي وبنغلا شاهِتْه (٨٢٠ - ٨٢٤).

نشأت «سَتْيَهْ پِيْر» كإله موحد بين الطرفين يوحد صفوف الجانبين لمواجهة الخطر الأجنبي، فـ«سَتْيَهْ پِير» يحضر لدى الهندوس، ويتقبل منهم طقوسهم وعباداتهم، ويحضر عند المسلمين فيرضى عن نذورهم وقرابينهم، وهو «نبي» عند المسلمين، و«وِشْنُوْ» عند الهندوس، «رحيم» في «مكة» و«راما» في «أيودهيا»، في إحدى يديه «القرآن» وفي الثانية «پوران»[1]. وهكذا ظهر «ستيه پير» لمصلحة الهندوس والمسلمين نتيجة الظروف السياسية والأحوال المعيشية[2].

الخامسة: يرى البعض أن «الشيخ عبد القادر الجيلاني» هو المقصود بـ«ستيه پير»؛ لأنه اشتهر في هذه البلاد بلقب «برا پير» أي: الشيخ الكبير، و«پير برحق» أي: الشيخ الحق[3][4].

هذه هي أشهر الحكايات والأساطير التي يذكرها الباحثون والكتّاب عن نشأة «سَتْيَهْ پِيْر»، وهناك أساطير وروايات أخرى ترجع كلها إلى أصول هندوسية، وهي تطفح بأسماء آلهتها وبطولاتهم، وأفاعيلهم ما لا يدع مجالاً للشك أنها من وضع كُتَّاب الهندوس.

ويتأكد لدى الباحث عند التأمل في هذه الأساطير والروايات، أن الفكر الهندوسي هو العامل المباشر فيها، إذ أن الرواية الأولى التي سماها الباحثون «الرواية لدى الهندوس» لا شك أنها من وضع كُتَّاب الهندوس لتعمية حقائق الدين الحنيف أمام المسلمين في هذه البلاد، ولزعزعة ولائهم للدين الإسلامي باختلاق هذه الأساطير، حتى الرواية الثانية التي نسبت إلى بعض

---

(١) «پوران» معناه: قديم، ويقصد به الكتب المقدسة القديمة لدى الهندوس.

(٢) انظر: بنغالي وبنغلا شاهتة (٨٠٥، ٨٠٦).

(٣) انظر: مسلم مانش وبنغلا شاهتة (الفكر الإسلامي والأدب البنغالي)، لأنيس الزمان (١٣٧، ١٣٨)، جامعة داكا، بنغلاديش.

(٤) ومن الشائعات أيضاً في عامة الناس من هذه البلاد أن المقصود بـ«ستيه پير» هو الإمام جعفر الصادق (٨٣هـ - ١٤٨هـ)، الإمام السادس لدى الشيعة الإمامية الاثني عشرية، يبدو من هنا تخبط المسلمين في تعيين «ستيه پير» من هو؟؛ لأنهم ما يعرفون حقيقة الأمر، كما يبدو أثر الشيعة في هذه البلاد.

كُتَّاب المسلمين، العنصر الهندوسي بارز فيها، حيث نجد أسماء ورموز الأسطورة كلها هندوسية مما لا يدع مجالاً للشك أنها من وضع كُتَّاب الهندوس، نقل عنهم بعض كُتَّاب المسلمين.

وأما ما ينسب إلى «الملك علاء الدين حسين شاه» من أنه هو الذي قام بتأسيس هذا المذهب، فهذا محل النظر؛ لأنه لم يثبت ذلك بطريقة علمية موثوق بها، والذين نسبوا ذلك إليه ذكروه بصيغة التضعيف والتشكيك، مما يضعف من قيمة صحة النسبة إليه، وشبه بعضهم قصة الغرام التي وضعت حول عشق «الملك علاء الدين حسين شاه» لإحدى بنات جاره أو وزيره بقصص «ألف ليلة وليلة»، ويعني ذلك أنها أسطورة خرافية لا أساس لها من الصحة.

كما ذكر البعض الآخر أن وضع هذه الأساطير، واختلاق هذه الروايات حول «الملك حسين شاه» جاءت نتيجة الرخاء والرفاهية التي كان ينعم بها شعب «البنغال» في عصر الملك المذكور، فعندهم سعة في الرزق، وفراغ في الوقت، فكانوا يشغلون فراغهم بترديد مثل هذه الأساطير في أنديتهم ومجالسهم[(١)].

وأما الذين قالوا: إن نشأة «سَتْيَهْ پِيْر» كان سببها واقع سكان «البنغال» من مسلمين وهندوس نتيجة الظلم والاضطهاد والاستعمار الأجنبي، فهذا الرأي يذهب إليه عادةً من يقول: إن واقع الشعوب هو مصدر المعتقدات الدينية نتيجة الظروف والأحوال التي يعيشونها، فهؤلاء طبعيون، لا صحة لكلامهم، ثم إن نشأة «سَتْيَهْ پِيْر» لم تكن نتيجة ظروف البنغال ـ كما يزعم هؤلاء الباحثون ـ بل نشأت نتيجة خطة مدبرة وضعها أذكياء الهندوس لصد الزحف الإسلامي في هذه البلاد.

وأما القول بأن «سَتْيَهْ پِيْر» هو «الشيخ عبد القادر الجيلاني» فهذا

---

(١) انظر: سلطان عملےبنغلا شَاهِتّه (الأدب البنغالي في عهد السلطان)، لوكيل أحمد (٨٧)، بنغلا بازار، داكا.

محض خيال، لا يدل عليه عين ولا أثر، والأساطير التي وضعت في نشأة «ستيه پير» لا يوجد فيه أي ذكر أو علاقة مع «الشيخ عبد القادر»، فهو احتمال بعيد ذكره بعض الكتاب؛ لما يتمتع به «الشيخ عبد القادر الجيلاني» من الشهرة عند المسلمين في هذه البلاد.

فتبين واضحاً من التأمل في الأساطير والروايات، أن «الفكر الهندوسي» هو العامل الأساسي وراء اختلاق هذه الأساطير، ووضع هذه الروايات، وذلك لهدف زعزعة عقيدة المسلمين من ناحية، ولصد الهندوس عن الدخول في الإسلام من ناحية أخرى، وساعد في انتشار هذه الأساطير في المجتمع الإسلامي، والاعتقاد في «ستيه پير» جهل المسلمين بتعاليم دينهم، وغلوهم الشديد في تعظيم «ال پيرات» أي: المشائخ الصوفية.



المبحث الثاني

عقائدها وأشهر دعاتها

أ ـ العقائد:

تقدم في المبحث الأول أن «سَتْيَهْ پِيْر» محاولة هندوسية لصد الزحف الإسلامي في إقليم «البنغال» من بلاد «الهند». وكُتَّاب الهندوس يرددون في كتاباتهم أن نشأة «سَتْيَهْ پِيْر» كانت محاولة لتوحيد صفوف البنغاليين من المسلمين والهندوس، وذلك بهدف العيش السلمي في هذا الإقليم بعد الصراع المرير الذي دام مائة وخمسين عاماً، ومن أجل هذا الهدف اخترع إله مشتركٌ بين الطرفين، وهو «سَتْيَهْ پِيْر»[1].

كما اتفق جميع الباحثين الهنادكة أن المقصود من «سَتْيَهْ پِيْر» عند الهندوس هو «سَتْيَهْ نارابن»، أي: نارابن الصادق أو الحق، و«نارابن» يُقصد به الإله «وِشْنُوْ»، أحد الآلهة المشهورين عند الهندوس، كما تقدم في المبحث الأول[2].

---

(١) انظر: براسين بنغلا شَاهِتِّير إيتيهاش (تاريخ الأدب البنغالي القديم)، للدكتور تمو ناش چندر گپت (٢١٣)، طبعة (١٩٥١م)، جامعة كلكتا ـ الهند.
ـ بنغلا شَاهِتِّير إيتي برتُّه (التاريخ التفصيلي للأدب البنغالي)، وشيت كُمَار بندهو پاذّاي (٤٠)، ماڈرن بوك إيجنسي ليمٹڈ، كلكتا ـ الهند.

(٢) وأما عند المسلمين فعندهم خبط وخلط في تعيين «ستيه پير»، كما تقدم في المبحث الأول، وهذا عند الباحثين المثقفين، وأما عامة الناس فهم يعتبرون أن «ستيه پير» أحد أولياء الله الكاملين من رجال الغيب، وله تأثير وقوة في الكون، كما يعتقدون ذلك في «الخضر» وغيره، وساء ما يظنون.

فإذا تبين أن «الفكر الهندوسي» هو العامل الرئيسي وراء نشأة «سَتْيَهْ پِيْر» فمن هنا يتضح أنه هو الفكر الذي نبعت منه عقائدها، ومن خلال البحث في الأساطير والروايات التي جاءت حول «سَتْيَهْ پِيْر» يلاحظ أنه ـ أي: «سَتْيَهْ پِيْر» ـ عَلَّم «البرهمي»[1] أمرين اثنين لكسب رضائه، ولتحقيق المطالب، وهما:

١ ـ عبادة سَتْيَهْ پِيْر.

٢ ـ تقديم القرابين له[2].

أما الأمر الأول: فلم أعثر على تفصيلات هذه العبادة، وكل ما جاء في الرواية لدى الهندوس أن «البرهمي» وزوجه كانا يعبدان «سَتْيَهْ پِير» كل يوم فيضربان الناقوس، وينفخان في الصور[3]، وهذه الأمور يفعلها الهندوس عادةً عند عبادتهم للأصنام، ثم هذه العبادة لـ«ستيه پير» غير معروفة لدى المسلمين، فلا داعي للبحث فيها.

وأما الأمر الثاني: فهو تقديم القرابين والنذور، وهذا الأمر هو الذي ابتلي به المسلمون في هذه البلاد، وهو باق إلى يومنا هذا، وهنا يبدو ذكاء المخططين لعقيدة «سَتْيَهْ پِيْر» حيث سموا هذه القرابين باسم «الشِّيْرِنِيْ»[4]،

---

(١) كما تقدم في الرواية لدى الهندوس. (٢) انظر: بنغلا شَاهِتِّير كوتا (١٥٨).

(٣) انظر: بنغلا شاهتير كوتا (١٦٠).

(٤) لفظ «شيرني» فارسي الأصل، جاء من لفظ «شِيْرِيْن» بمعنى «الحلو»، و«شيرني» يعني الحلوى، وهو من الألفاظ المعروفة في هذه البلاد.
ومصطلح «الشيرني» يطلق على الحلوى التي تعد «لستيه پير» خاصة، ولجميع «البيرات» عامة، كما يطلق لفظ «شيرني» على الحلوى التي يُبعث بها إلى المساجد في أيام الجمعة، فمن العادات المعمول بها في أرياف هذه البلاد خاصة، أن الفلاح عند حصاد محصول الأرز في أول الموسم، يعد «الشيرني» ويبعث بها إلى سبعة مساجد في يوم الجمعة، ويفعلون ذلك أيضاً عند نزول الملمات كانتشار الوباء، والأمراض المعدية، وعند مرض أحد الأولاد، وعند السفر لمهمة تجارية أو غيرها، ولكسب الدعوى في المحاكم، وقبل الزواج... وغير ذلك.
و«الشيرني» عبارة عن دقيق أرز، وحليب بقر، وسكر، وملح، وأوصال من النارجيل =

ومصطلح «الشيرني» هو المصطلح المعروف والمعمول به لدى المسلمين، وهو الشيء الوحيد لإظهار العقيدة في «سَتْيَهْ بِير» لدى المسلمين.

اتفق جميع من كتب عن «سَتْيَهْ بِيْر» على أن تحضير «الشيرني» لـ«ستيه بير» هو الذي يجمع المسلمين والهندوس في مظهر واحد، فإذا أَعَدَّ المسلمون «الشِّيرِني» يأتي الهندوس ويأكلونها حتى يلعقون بطون أكفهم[1].

وقد نقل بعض الباحثين الطريقة التفصيلية لتحضير «الشيرني» وهي كالآتي:

تؤخذ عشرة كيلو من دقيق الأرز، وعشرة كيلو من السكر، وعشرة كيلو من الحليب، كما يؤخذ الموز الناضج، تؤخذ هذه الأشياء لتحضير «الشيرني»، بالإضافة إلى هذا هناك مستلزمات أخرى يجب إحضارها في هذه المناسبة، وهي: ألف ورقة من «التنبول»[2]، وألف حبة من «الفوفل»[3] وكمية كبيرة من «النارجيل» ـ جوز الهند ـ وباقات من الأزهار المتنوعة، وألوان من الطيب، ومنها: البخور، والصندل، والورد، والمسك، توضع هذه الأشياء على سرير مرتبةً ومنظمةً، وهو مجلس «سَتْيَهْ بِيْر»[4].

هذا ما نقله الباحثون من طريقة تحضير «الشيرني» «لِسَتْيَهْ بِيْر»، هو الذي كان معمولا به في القرن العاشر الهجري، وهي طريقة مشتركة بين المسلمين والهندوس، ويتبين من التفاصيل المذكورة أنها نابعة من تقاليد عبادة الأصنام عند الهندوس، حيث الزهور، والورود، وألوان من الطيب، وهذا ما يعملونه عند عبادة أوثانهم.

= ـ جوز الهند ـ، وبعض الفواكه الجافة، خاصة الزبيب، والتمر، تؤخذ هذه الأشياء بنسب معينة ومتناسبة، ثم يصنع منها «الشيرني» بعد الطهي.

(١) انظر: بنغالي وبنغلا شاهته (٨٠٧).

(٢) وهو عبارة عن أوراق خضراء يأكلها سكان هذا الإقليم خاصة، وأهل الهند عامة، ويضاف إليها لب «الفوفل» و«نورة» الصدف، ومن البهارات ذي الرائحة الزكية.

(٣) ثمرة صغيرة تشبه جوز الهند، يضاف لبها إلى التنبول عند أكلها.

(٤) مسلم شَاهِتّة وشَاهِتّيك (الأدب الإسلامي وأدباؤه)، للدكتور غلام ثقلين (١١٦)، عادل برادرس إيندط كمبني، ذاكا.

أما الطريقة المتبعة لإعداد «الشيرني» عند المسلمين في الوقت الحاضر، فلا تختلف كثيراً عما كانت عليه في القرن العاشر الهجري، والأشياء التي تتكون منها «الشيرني» الآن هي: دقيق الأرز، وحليب البقر، والسكر، والموز الناضج، توضع هذه الأشياء في القدور بنسب معينة ومتناسبة، ولا يضاف إليها الملح، وبعد تحضيرها وطبخها، يأتي «المولوي»[1] فيقرأ الفاتحة على روح «سَتْيَهْ پِيْر» ثم يتناولها الجميع على سبيل البركة، أو للشفاء من المرض، أو لطلب الولد، أو لدفع البلية، أو غير ذلك من الحاجات.

ويلاحظ هنا أنه لا يوجد الآن في مناسبة إعداد «الشيرني» «لستيه پير» الزهور، ولا الورود، ولا البخور، ولا السرير لجلوس «سَتْيَهْ پِيْر»، ويبدو لي أنه بعد مرور الزمن، وتعاقب الأجيال تطورت المفاهيم، وتغيرت العادات والتقاليد.

كما يلاحظ أيضاً أن ظاهرة تحضير «الشيرني» لـ«ستيه پير» آخذة إلى الانقراض، وسبب ذلك ليس رجوع الناس إلى الحق، ونبذ الشرك والخرافات، بل سببه كثرة وجود «الپيرات» و«المشاهد» و«الأضرحة» و«المزارات» وكثرة ما تقدم لها من نذور وقرابين، وما تقام في مثل هذه المناسبات من أعراس، وحفلات، وما يرتكب فيها من أعمال، التي تقشعر لذكرها الأبدان، ولا يتسع لبيانها المقام.

ب ـ أشهر الدعاة:

تبين مما سبق أن «الفكر الهندوسي» هو الدافع لنشأة «سَتْيَهْ پِيْر» فتلقف أدباء الهنادكة وشعراؤهم قضية «سَتْيَهْ پِيْر» وجعلوها من أغراض الشعر والنثر عندهم، ومن هنا دخل موضوع «سَتْيَهْ پِيْر» في الأدب البنغالي، وخاصة في الأدب الشعبي، فنُظِمت قصائد شعرية طويلة حول مدائح «سَتْيَهْ پِيْر»

---

(١) عادة يكون إمام مسجد الحارة، أو المؤذن، أو معلم الكُتَّاب الذي يعلم الأطفال قراءة القرآن الكريم.

وخوارقه والأساطير التي وضعت فيه، مما جعل انتشار هذه العقيدة سريعاً فيما بين المسلمين.

وقد اعترف الباحثون الهندوس أن جميع الأدباء والشعراء، والكتاب، والمؤلفين الذين نشروا هذه العقيدة عن طريق الأدب الشعبي، والقصص، والروايات كانوا من الهندوس[١].

وقد عدّ بعض الباحثين الكتاب من «سَتْيَهْ پِيْر» فوصل عدد الهندوس منهم إلى ثمانية وسبعين كاتباً، وأما من المسلمين فلا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة، وهم: ١ ـ الشيخ فيض الله، ٢ ـ فقير غريب الله، ٣ ـ عارف، ٤ ـ فيض الله دوباشي، ٥ ـ سيد حمزة[٢].

ويلاحظ أن هؤلاء الدعاة متأخرون عن القرن العاشر الهجري من ناحية، ثم إن مصدرهم في ذلك هو كتابات أدباء الهندوس الذين سبقوهم[٣].

(١) انظر: بنغلا شَاهِتِّير إيتي برته (١١٨).
(٢) لا تذكر المصادر التي بين يديّ عن مواليدهم ووفياتهم شيئاً، إلا أن فيها إشارات تدل على أنهم من بعد القرن العاشر الهجري.
(٣) انظر: مسلم شاهتّة وشاهتيك (٨٤).
ـ بنغالي وبنغلا شَاهِتّة (٨٠٩، ٨١٥، ٨١٧، ٨٢٠، ٨٢٤).
ـ بنغلا شاهتِّير إيتيهاش (٣٩٩).

المبحث الثالث

آثارها

تركت عقيدة «سَتْيَهْ پِير» آثاراً سلبية وسيئة في حياة المسلمين في إقليم «البنغال»، ويمكن إجمال هذه الآثار فيما يأتي:

أولاً: انتشار الشرك والخرافات:

تعلُّق كثير من المسلمين واعتقادهم في «سَتْيَهْ پِير» أورثهم الشرك والخرافات، وأجلى مظاهر هذا الشرك الاعتقاد في رجال الغيب، «كستيه پير» و«الخضر» وغيرهما بأن لهم قوة النفع والضر، ولهم تأثير في هذا الكون، فيستغيثون، ويستعينون بهم، ويقدمون إليهم النذور والقرابين، ويدعونهم من دون الله ﷻ في الشدائد، والأزمات، كما يطلبون منهم الشفاء من المرض، وسعة الرزق، والولد، وكسب الدعوى في المحاكم وغير ذلك من الحاجات.

ومن جهة أخرى جرَّ هذا الاعتقاد كثيراً من الناس إلى بناء المساجد والقباب والأضرحة على القبور، وفي أكثرها لا يوجد شخص مدفون، إنما هي قبور وهمية اتخذها سدنتها وخدامها ابتغاء الرزق، فهذه الأضرحة والمشاهد تذبح عندها الذبائح، وتقدم لها النذور، وتقام عندها حفلات المجون باسم الأعراس، ومجالس السماع، وتغسل هذه القبور سنوياً بماء الورد والزعفران، ويشربه الناس للاستشفاء وطلب البرء، كما يقومون بالطواف حولها كالطواف بالكعبة المشرفة، وفي الواقع هذه القبور والأضرحة هي التي تهيمن على حياة هؤلاء الناس كلها، وكان ذلك نتيجة لعقيدتهم تجاه «سَتْيَهْ پِير» وغيره من «الپيرات» ورجال الغيب.

ثانياً: أثرها في الأدب والثقافة:

تأثر الأدب البنغالي بعقيدة «سَتْيَهْ پِيْر» بصفة خاصة، والثقافة لدى المسلمين في «بنغلاديش» بصفة عامة، فلا يذكر الأدب البنغالي إلا وفيه حيز كبير من أساطير «سَتْيَهْ پِيْر» ورواياتها، وكل هذه الأساطير في شكل منظوم مما سهَّل حفظه وتداوله بين الناس. يقول الدكتور غلام ثقلين: «إن الأساطير «ستيه پير» وحكاياته، احتلت حيزاً كبيراً من الأدب البنغالي»[1].

ومما زاد الأمر سوءاً أن الأدب الشعبي تأثر بهذه الأساطير والحكايات، فعامة الناس الذين لا يعرفون كثيراً عن حقائق الدين الإسلامي وتعاليمه، كانوا يشغلون فراغهم بقراءة هذه الأساطير والحكايات في مجالسهم وأنديتهم، وهي مليئة بأسماء آلهة الهنادكة وبطولاتهم مما يؤثر على ولاء المسلم لدينه.

وأما في الأوساط العلمية، وبين المثقفين والشباب فالحديث عن ذلك أدهى وأمر، فالأدب البنغالي يُدَرَّس في جامعات البلاد وكلياتها بعناية فائقة، والكتب المؤلفة في هذا الموضوع يأتي أكثرها من «البنغال الغربية» ـ في الهند ـ ومؤلفوها هندوس، وأساتذة هذا القسم أيضاً معظمهم من الهندوس، أو مسلمون قوميون علمانيون ليس لهم انتماء حقيقي إلى الإسلام، وهؤلاء تمكنوا من التأثير على الشباب بمساندة الاتجاه العلماني في البلاد، ولهذا يرى الناظر عدداً كبيراً من قطاع الشباب في الجامعات والكليات يتنكرون للثقافة الإسلامية، وتعاليم الدين الحنيف، ويفضلون الثقافة القومية البنغالية، وهي إما وثنية محضة، وإما مستمدة من الوثنية، مصبوغة بالصبغة القومية، والسبب في ذلك هو التأثر بما درسوا من الأدب والثقافة التي تمجد الوثنية على أنها ميراث الأجداد وتراثهم، وهي في حقيقتها جاهلية جهلاء، أورثتها فلسفة الوثنية الهندوسية[2].

---

(١) انظر: مسلم شاهِتْه وشَاهِتِّك (٨٢).

(٢) ولا يزال التأثير الهندوسي يعمل عمله في الحياة المعاصرة، حتى إنه في المناسبات العامة والوطنية، وعندما تقام الاحتفالات في مجتمعات المسلمين يبدأ الحفل بآيات من =

المبحث الرابع

ستيه پير في الميزان

اتضح من المباحث السابقة أن «سَتْيَهْ پِير» نشأت بتدبير من أذكياء الهندوس وعباقرتهم لإيقاف المد الإسلامي في إقليم «البنغال» من البلاد الهندية، وذلك أن القرن الثامن والتاسع الهجريين قد شهدا إقبالاً شديداً على الإسلام من أهالي «البنغال الشرقية» ـ بنغلاديش حالياً ـ، إذ أن معظم سكان هذه المنطقة كانوا فلاحين، ومن الطبقة الدنيا المهضومة الحق في الهندوسية، ولما رأى هؤلاء سماحة الدين الإسلامي متمثلة في دعاته وعلمائه ومشائخه حيث لا طبقية، ولا نبذ من أجل الحرفة وغيرها، أقبلوا على الإسلام أفواجاً أفواجاً، وكاد الإسلام أن يعم هذا الإقليم، أو قد عم، لولا هجمات الهندوس الشرسة المدبرة لإيقاف هذا المد المبارك، ومن الخطط التي نجح فيها الهندوس إنشاء حركة «سَتْيَهْ پِير»[1].

= القرآن الكريم، يقرؤها أحد المسلمين، ثم يأتي بعده أحد الهندوس ليقرأ فقرات من كتاب من كتبهم الدينية، ثم توقد شمعة في مكان معهود من المنصة الرئيسية في الاحتفال تسمى «شمعة الخير».

هذا المظهر الذي يرى في الحفلات الرسمية، وما يحصل في وسائل الإعلام الحكومية في البرامج اليومية، ما هو إلا امتداد لتأثير العقائد الهندوسية والتراث الهندوسي في حياة المسلمين، مما يجب أن يتصدى له علماء المسلمين بالبيان لإيقاف هذا الزحف الوثني الذي تسانده العلمانية المعاصرة.

(١) وقبل ظهور «سَتْيَهْ پِير» كانت هناك حركات أخرى قوية اخترعت لإيقاف هذا المد، من أهمها: «حركة چتنيه» والتي تعني العودة إلى الهندوسية القديمة، ونبذ الطبقية والخلافات التي نشأت في المجتمع الهندوسي، وتمكنت هذه الحركة من منع الهندوس عن اعتناق الإسلام من ناحية، وتحول كثير من المسلمين الجدد إلى الهندوسية من ناحية أخرى. =

ويعترف الباحثون الهنادكة أن عقيدة «سَتْيَهْ پِيْر» نشأت في «البنغال الغربية» وأن أكثر معتنقيها من الهندوس بالمقارنة إلى المسلمين(١)، وهذه حقيقة علمية لا يمكن تجاهلها، إذ أنها ـ أي: البنغال الغربية ـ ظلت مركزاً للهنادكة من القديم، وهي وكر للمؤامرات الدينية والثقافية ضد المسلمين حتى هذه اللحظة(٢).

كما يتفق جميع الباحثين الهندوس أن المقصود من «سَتْيَهْ پِيْر» هو «سَتْيَهْ نَارَايَنْ» ـ أحد آلهة الهندوس ـ، ولكنهم لا يعترفون أبداً أن هذه الحركة نشأت لصد زحف الإسلام في إقليم «البنغال»، بل يقولون إن العقائد الدينية لدى سكان «البنغال» دائماً في تطور عبر التاريخ، وهم يختارون ما يناسبهم من العقائد حسب الظروف والأحوال التي تمر بهم، وهذه العقيدة دائماً تتأثر بما سبق من العقائد الأخرى، وكانت «سَتْيَهْ پِيْر» من هذا القبيل،

= وتفرعت من هذه الحركة فرقة أخرى تسمى «فرقة باوول» وهم جماعة كانوا من المسلمين الجدد، تحولوا إلى الهندوسية نتيجة جهود «حركة چتنيه» المذكورة، فخرجت عن الإسلام، ولم تبق منتمية إلى الهندوسية، بل تشكلت فرقة أو ديانة مستقلة تسمى «باوول»، وهذه الفرقة موجودة في بعض مناطق «بنغلاديش» حتى هذه الأيام، وهي إلى الهندوسية أقرب منها إلى الإسلام، وقد صدرت الفتاوى من العلماء المسلمين منذ قرون أن هذه الفرقة ليست من الإسلام في شيء، وعلى هذا يجري العمل حتى الآن.

انظر التفاصيل في: رود كوثر (٤٩٣ ـ ٤٩٨).

(١) انظر: بنغلا شَاهِتْيِر روپ ـ ريقا (دراسة الأدب البنغالي)، كوپال حالدار (٢٣٢)، إي. مُكَرجي إيند كمپني ليمتدط، كلكتا ـ الهند.

(٢) وما قضية «تسليمة نسرين» ـ البنغلاديشية كاتبة الرواية «الحياء» ـ إلا محاولة مكشوفة لأدباء كلكتا ـ عاصمة البنغال الغربية الهندية ـ وقد اكتشف مؤخراً أن الرواية التي وضعتها «تسليمة» المذكورة على غرار «آيات شيطانية» «لسلمان رشدي»، وضع نص هذه الرواية بعض أدباء الهندوس في «كلكتا»، ونشرت في «بنغلاديش» باسم «تسليمة نسرين»، وأول جائزة منحت لها كانت من رابطة الأدباء في «كلكتا»، كما قامت بترجمة هذه الرواية إلى اللغات الأخرى، ثم توالت الجوائز، وتوجيه الدعوات إليها من الدول الغربية، وليس ذلك يرجع إلى قيمة أدبية للرواية نفسها، وإنما يرجع ذلك التكريم وتلك الجوائز إلى سبب واحد تلتقي عنده العلمانية مع الصليبية والوثنية، وهو النيل من الإسلام.

وهو تطور عقدي لدى الهندوس والمسلمين متأثرين بعقيدة «سَتْيَهْ نَارَايَنْ» عند الهندوس، و«پِيْر بَرْحَقْ» عند المسلمين، ونتج عنهما «سَتْيَهِ پِيْر» المقدس لدى الجانبين، وذلك لتوحيد صفوفهم، ولهدف العيش السلمي في هذه البلاد[1].

وكان معظم المسلمين في القرن العاشر الهجري قد تَرَسَّخَت في أذهانهم فكرة أن «الپير» ـ أي: الشيخ ـ هو الصادق والحق، وذلك بتأثير قوي من المشائخ الصوفية[2]. وانتهز الهندوس هذه الفكرة لنشر حركة «سَتْيَهْ پِيْر» بين المسلمين، كما وضعوا ـ أي الهندوس ـ طقوس هذه الحركة بذكاء بالغ حتى لا يتنكر لها المسلمون، وسموها «الشيرني»، المصطلح المعروف والمألوف لدى المسلمين في هذه البلاد، وإذا نظر الباحث إلى جذور هذه الطقوس يجد أنها نابعة من «الفكر الهندوسي» في تقديم النذور والقرابين إلى آلهتهم لكسب رضاهم، أو لجلب منفعة ودفع مضرة، فهي طريقة هندوسية ووثنية بحتة لا تمت إلى الإسلام بصلة. ويمكن الحديث عن هذه القضية من ناحيتين:

الأولى: العقيدة في «سَتْيَهْ پِيْر».

الثانية: تقديم القرابين له.

أما الأولى: فالعقيدة في «سَتْيَهْ پِيْر» لدى الهندوس أنه «سَتْيَهْ نَارَايَنْ» ـ أحد آلهتهم ـ وهذا البحث ليس موضع الكلام فيه، وأما عند المسلمين فلم ينقل عنهم أنهم يقصدون بذلك الإله «ستيه نارايِن» كما هو عند الهندوس، بل يعتبرونه أحد أولياء الله الكاملين، الذين يعيشون وراء الأنظار، وله قوة النفع والضر، وتأثير في الكون، إذاً فهو من رجال الغيب ـ كما يزعمون ـ.

وهذا الاعتقاد باطل لسببين:

---

(١) انظر: بنغلا شاهتير إيتي برته (١١٧، ١١٨).
ـ بنغالي وبنغلا شاهته (٨٠٦).
(٢) انظر: مسلم شاهتّه وشاهتيك (٨٣).

الأول: أنه لم يكن يوجد شخص في المسلمين باسم «سَتْيَهْ پِيْر»، فهو شخصية موهومة، اخترعه الوثنيون لإضلال المسلمين.

الثاني: ولو فُرِض جدلاً أن «سَتْيَهْ پِيْر» كان موجوداً في يوم ما، ثم اختفى عن الأنظار، كما يزعم الخرافيون والجهلة في «الخضر»[1]، وهذا أيضاً اعتقاد فاسد، ولا يوجد في الكون «رجال الغيب» لهم قوة النفع الضر، وتَدَخُّلٌ في تصريف شؤون الكون، وإنما النافع والضار هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ وحده دون سواه، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾[2]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾[3]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[4].

ثم لا يوجد من أنبياء الله ـ تعالى ـ ولا من أوليائه من يسمون برجال الغيب، ومن زعم أنه رأى أحداً منهم فإنما رأى شيطاناً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«... وكذلك جبل «لبنان» وأمثاله من الجبال، لا يستحب السفر إليه، وليس فيه أحد من الصالحين المتبعين لشريعة الإسلام، ولكن فيه كثير من الجن، وهم «رجال الغيب» الذين يُرَون أحياناً في هذه البقاع، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾[5]»[6].

---

(١) الصحيح أن «الخضر» الذي كان مع موسى عليه السلام مات. ومن رآه، فإنما رأى شيطاناً، انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٨/٢٧).

(٢) سورة فاطر: الآيتان ١٣، ١٤.

(٣) سورة النحل: الآية: ٧٣.

(٤) سورة سبأ: الآية ٢٢.

(٥) سورة الجن: الآية ٦.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/٢٧، ١٨).

وقال أيضاً: «لم يكن من أنبياء الله - تعالى - وأوليائه من كان غائب الجسد عن أبصار الناس، ولكن كثير منهم قد تَغِيبُ عن الناس حقيقة قلبه، وما في باطنه من ولاية الله، وعظيم العلم والإيمان، والأحوال الزكية، فيكون في الأمصار والمساجد وبين الناس من يكون من أولياء الله، وأكثر الناس لا يعلمون حاله»(١).

وقال في موضع آخر:

«وليس في أولياء الله المتقين، ولا عباد الله المخلصين الصالحين، ولا أنبيائه المرسلين، من كان غائب الجسد دائماً عن أبصار الناس، بل هذا من جنس القائلين إن «علياً» في السحاب، وإن «محمد ابن الحنفية» في جبال «رضوى»، وإن «محمد بن الحسن» بسرداب «سامراء»، وإن «الحاكم» بجبل «مصر»، وإن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل «لبنان»، فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان»(٢).

وأما الناحية الثانية: فهي تقديم القرابين والنذور إلى «سَتْيَه پِيْر» باسم «الشيرني». فتقديم مثل هذه القرابين والنذور إلى أحد، سواء أكان ميتاً أو غائباً، أو جناً، أو إنساً، أو شجراً أو حجراً، أو قبراً، أو غير ذلك لدفع مضرة، أو جلب منفعة لا تجيزه الشريعة الإسلامية؛ لأنه شرك محبط للعمل، يدخل صاحبه النار، قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾(٣).

وهكذا من الشرك أيضاً الاستغاثة والاستعانة بـ«ستيه پير» أو غيره من «الپيرات»، سواء كان ميتاً، أو غائباً، لجلب منفعة، أو دفع مضرة، ودعاءه عند الشدائد والأزمات، وعند المحن والكربات، كل ذلك يؤدي إلى الشرك بالله ﷻ، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٥٨). (٢) نفس المصدر (١١/٤٤٣).
(٣) سورة الأنعام: الآيتان ١٦٢، ١٦٣.

وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾[1]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾[2].

وفي الحديث: «أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، قال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»[3].

فالعقيدة في «ستيه پير» أنه من «رجال الغيب»، وأنه ينفع ويضر، ويُفَرِّجُ عن المكروبين، وتقديم القرابين له، والاستغاثة والاستعانة به، ودعاؤه كل ذلك شرك ينافي التوحيد، ويجافي تعاليم الدين الحنيف.

---

(١) سورة يونس: الآيتان ١٠٦، ١٠٧.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ٥.

(٣) حديث عبادة بن الصامت ﷺ ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير «ابن لهيعة»، وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق، وهو في الأدب في باب القيام» (١٠/ ١٥٩).




الفصل السادس

الأكبرية[1]

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأتها وتاريخها.

المبحث الثاني: عقائد الأكبرية وأشهر دعاتها.

المبحث الثالث: آثارها.

المبحث الرابع: الأكبرية في الميزان.




(١) ويعرف أيضاً «بالدين الإلهي» و«المذهب الإلهي» و«التوحيد الإلهي» و«الدعوة الإلهية» و«المذهب الأكبري».

المبحث الأول

نشأتها وتاريخها

«الأكبرية» إحدى أشهر الحركات وأخطرها التي نشأت وتطورت في القرن العاشر الهجري على يد الملك «أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر»[1] سلطان «الهند». لم يهتم كثير من ملوك المسلمين في «الهند» بدعوة الإسلام اهتمامهم بتوطيد دعائم ملكهم، وقواعد سلطانهم، ومن هنا نرى أكثر الذين أسلموا من المشركين، وعبدة الأوثان على أيدي الدعاة والوعاظ، بقيت عقائدهم، وأعمالهم ممتزجة بمعتقدات الهنادكة وشعائرهم، وما زالت الحال كذلك حتى تبوأ عرش الهند «الملك جلال الدين محمد أكبر» عام (٩٦٣هـ) بعد وفاة أبيه، فانقلبت الأرض ظهراً لبطن، وتنكرت وجوه الأعيان والأمراء للدين الحنيف، وطغى سيل الإلحاد، فكانت فتنة عمياء، ذهبت بكثير من العلماء والمشائخ في سيلها الجارف، وذلك أن الملوك الذين تبوؤوا عرش «الهند» قبل «أكبر» ما كانوا يناصبون الإسلام العداء، بل كان الكثيرون منهم يعملون على دعم الإسلام وحمايته[2]. ولكن عصر هذا الملك ـ أي أكبر ـ

---

(١) هو: أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري الكوركاني (٩٤٩ ـ ١٠١٤هـ). أشهر ملوك القارة الهندية، ولد في قلعة «أمر كوت» من أرض «السند» من بطن «حميدة بانو» حين انهزم أبوه «همايون» أمام «شير شاه السوري». وجلس على الكرسي بعد موت أبيه عام (٩٦٣هـ)، وتوفى في «آغرا» بعد أن حكم بلاد الهند واحداً وخمسين سنة، ودفن في «سكندر آباد»، بلدة قريبة من «آغرا».
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٧٤ ـ ٨٠).

(٢) من أمثال «الملك تغلق»، وقد حكم من عام (٧٢٥هـ) إلى عام (٧٥١هـ) «والملك فيروز تغلق» وكان حكمه بين الفترة (٧٥٢هـ) إلى (٧٩٠هـ)، و«الملك سكندر اللودي» =

قد تفرد باضطهاد الدين الحنيف والتضييق على المسلمين، وإحداث منكرات وضلالات شنيعة وانتحالها على الدين المبين[1].

تحولات في حياة الملك «أكبر»:

يكاد إجماع المؤرخين والباحثين ينعقد على أن حياة «الملك أكبر» وبعد اعتلائه عرش الهند، قد مرت في طورين مختلفين:

ففي الطور الأول كان يظهر الالتزام بالإسلام السائد في هذا العصر، وهو إسلام الصوفية[2]، فهو وإن كان ملتزماً بأداء الصلوات الخمس مع الجماعة في المسجد، إلا أنه من ناحية أخرى كان يؤمن بالبدع والخرافات التي أشاعتها الصوفية بالمجتمع الإسلامي هناك؛ إذ كان يعظم الأضرحة، ويتبرك بالقبور، ويشد الرحال إليها في الأزمات والأفراح، كما كان يعظم المشائخ، ويعتقد أن لهم مكانة متميزة عند الله ـ تعالى ـ.

ومن المظاهر الإسلامية التي كان «الملك أكبر» يحرص على اتباعها اهتمامه بقوافل الحجيج، حيث كان يقوم بوداعها بنفسه، كما كان يرسل الهدايا، والأموال الطائلة لتوزيعها على أهل الحرمين الشريفين.

خلاصة القول: أن «الملك أكبر» في هذا الطور من حياته كان ملتزماً بالإسلام على الطريقة الصوفية، شأنه في ذلك شأن عامة المسلمين، الذين ابتلوا بالبدع والخرافات الصوفية في هذه البلاد.

أما في الطور الثاني: فإن الملك «أكبر» يطلع على الناس بفكر جديد يتمثل فيما أعلنه من نظرياته الجديدة حول مذهبه الجديد، ترى ما هي الأسباب التي أدّت إلى هذا التغير الخطير في حياة الملك ودعوته؟[3].

= وقد حكم من سنة (٨٩٤هـ) إلى سنة (٩٢٣هـ).

انظر التفاصيل عنهم في: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٢٣ ـ ٤٦).

(١) نفس المصدر (٥٩، ٦٠).

(٢) كان يقال: إن إسلام المرء لا يقبل إلا إذا كان عن طريق إحدى الطرق الصوفية.

(٣) انظر: دين إلهي أوراس كاپس منظر (٣٠ ـ ٤٦). =

الأسباب التي أدت بالملك «أكبر» إلى إنشاء مذهب جديد:

إذا تصفح القارئ حياة هذا الملك، يجد أن هناك عوامل وأسباباً عملت على ابتداع هذا المذهب الجديد، الذي هز القارة الهندية هزة عنيفة، وأهم هذه الأسباب ما يلي:

الأول: إنشاء «عبادت خانه» أي: بيت العبادة:

تبوأ الملك «أكبر» سرير الملك، وهو حدث، لا يتجاوز الثالثة عشرة من سني عمره، فناب عنه أمير شيعي اسمه «بيرم خان»[1] بضع سنين.

ثم لما بلغ أشده واستوى، أخذ زمام الأمور بيده، واستقل بالملك، وكان شبه أمي، وكان تدينه في الطور الأول من حياته تديناً خرافياً غير مبني على العلم الصحيح من الكتاب والسنة، بل كان مديناً للتقليد الأعمى للحكام المسلمين في ذلك الوقت، ومحاكاتهم في زيارة القبور والأضرحة، وتقدير مشائخ الصوفية، وأصحاب التكايا، وعلماء البلاط. وكان من نتيجة

= - الإمام السرهندي حياته وأعماله (٦٣ - ٦٩).
- مسلمانون كا عروج وزوال، (ارتقاء المسلمين وانهيارهم)، لسعيد أحمد أكبر آبادي (٣١٨، ٣١٩)، إدارة إسلاميات، أنار كلي، لاهور.

(١) هو: بيرم خان بن سيف علي بن يار علي بن شير علي التركماني البلخي، الملقب بخان خانان - أي: أمير الأمراء - (٠٠٠ - ٩٨٥هـ).
ولد في «غزنة»، وكان والده والياً فيها من قبل الملك «بابر شاه التيموري» - مؤسس الدولة المغولية - وبعد وفاة الملك «بابر» وتولى عرش «الهند» ابنه «همايون»، كان «بيرم خان» من رجاله المعتمدين، ولما غلب «شير شاه السوري» على «دهلي» وهزم الملك «همايون» حرضه - أي: بيرم خان - على السفر إلى «إيران»، وكان معه في فتح «الهند» للمرة الثانية.
ولما توفي الملك «همايون» وجلس على سرير الملك ولده «أكبر» وكان صغير السن، فناب عنه «بيرم خان» في تصريف شؤون الدولة، ولما بلغ «أكبر» سن الرشد، واستقل بالملك، دب بينهما دبيب الخلاف، ووقع سوء التفاهم، فكان سبباً لخروجه على الملك، ثم عفا عنه الملك، ورحله إلى «بلاد الحجاز» لأداء مناسك الحج، فلما وصل إلى بلدة «فتن» من أرض «كجرات» قتل، قتله بعض الأفغان.
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٦٤ - ٦٦).

ذلك أنه نشأ على حب الاستطلاع، والعقلية الباحثة، وأسس قصراً في «فتحبور سيكري» - عاصمته الجديدة -، وسماه «عبادت خانه» - أي بيت العبادة - ودعا إليه العلماء من كل طائفة من السنة، والشيعة، والبراهمة[1]، واليهود، والنصارى، والمجوس، وجعل يناقشهم في مسائل الدين، فبدأ يجنح إلى أن الأديان كلها حق، ولا مزية للإسلام من بينها، ولا فضل له على غيره، وكانت هذه النزعة الجديدة توطئةً لدعوة التقارب بين الأديان، وتأسيس المذهب الجديد[2].

الثاني: علماء السوء في عصره:

وهم علماء البلاط الذين اعتقد فيهم الملك «أكبر» الخير، وأحسن الظن بهم، ووضع ثقته فيهم، وأدناهم إليه، فكان بإمكانهم إصلاح حال الملك، والتغلب على مواطن الضعف في نفسه، وصرف الهمة إلى حماية الإسلام والذب عنه، ولكن مما يسيل له القلب حزناً من أمر هؤلاء العلماء الذين آثروا الدنيا على الدين، فكانوا يتسارعون في جلب مودة الملك، وتبرير اتجاهاتها الخاطئة بدليل من الشرع مقابل حطام الدنيا.

بالإضافة إلى ذلك أن هؤلاء العلماء كانوا يتنافسون فيما بينهم لإبراز شخصياتهم، وإظهار عضلاتهم العلمية فيختلفون في أتفه الأمور، ويتشاتمون، ويتراشقون فيما بينهم بالطعن والتشنيع، ويصل إلى حد التفسيق والتكفير.

---

(١) المقصود «بالبراهمة» رجال الدين في الديانة الهندوسية، وأطلق على الهندوسية - أي الهندوكية - اسم البرهمية ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبةً إلى «براهما»، وهو القوة العظيمة السحرية الكامنة، التي تطلب كثيراً من العبادات، كقراءة الأدعية، وإنشاد الأناشيد، وتقديم القرابين، ومن «براهما» اشتقت الكلمة «البراهمة» لتكون علماً على رجال الدين، يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الإلهي.
انظر: أديان الهند الكبرى للشلبي (٣٩)، الطبعة الرابعة (١٩٧٦م) مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة.

(٢) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢٢٥).
- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٦٠، ٦١).

ومما ينقل عن هؤلاء ـ المحسوبين على الدين ـ أن أول نزاعهم بين يدي الملك كان على مقاعد الجلوس، والدنو من مجلس الملك، كل منهم يود أن يكون على مقربة من مجلس الملك، ولا يرضى أن يؤثر غيره عليه.

«وجملة القول أن الشيوخ قد كفر بعضهم بعضاً وتبادلوا فيما بينهم الشتائم، فكان من ثمرات تنابزهم وجدالهم فيما بينهم، أن الملك بدأ يجنح شيئاً فشيئاً إلى عدم التدين بدين الحق، وأخذ يركن إلى ما يلقنه نواب الطوائف الأخرى من آرائها ومعتقداتها المتضاربة»[1].

فهذا «الشيخ عبد النبي الكنكوهي» ـ صدر الصدور[2] ـ[3] كان يعد من كبار العلماء في عصر «أكبر»، وبلغ من تكريم الملك إياه أنه كان يقوم إكراماً له كلما دخل عليه، ويقدم نعليه إذا أراد الانصراف.

ولما تولى منصب «صدر الصدور» نفخ في أوداجه شيطان الغرور، فجعل يتطاول على العمال والموظفين، الذين كانت وظائفهم منوطة بالمصلحة الدينية، ففشت الرشاوى، وجعل المشائخ والعلماء من أصحاب الإقطاعات، والرواتب الشهرية، يترددون على باب «صدر الصدور» ويتوددون إلى نوابه وخدمه وبوابه بأنواع من العطايا والرشوة، حتى أصبحت المصلحة الدينية عاراً وسبةً على الدولة.

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٦٢، ٦٣).
ـ تذكرة لمولانا أبي الكلام آزاد (١٠٤، ١٠٥).

(٢) «صدر الصدور» أعلى منصب ديني في الدولة المغولية في «الهند»، يشابه منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية التركية.

(٣) هو: الشيخ المحدث عبد النبي بن أحمد بن عبد القدوس الكنكوهي (... ـ ٩٩١هـ).
أحد العلماء المشهورين في «أهل الهند»، طلب العلم في الهند، ثم سافر إلى بلاد الحرمين وأخذ العلم عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر المكي وغيره من المحدثين، لما رجع إلى الهند، أنكر على رسوم المشائخ الصوفية، فأوذي في ذلك، تولى الصدارة في أرض «الهند» أيام الملك «أكبر».
من مصنفاته: «وظائف النبي في الأدعية المأثورة»، و«سنن الهدى في متابعة المصطفى» و«رسالة في حرمة السماع».
انظر: نزهة الخواطر (٤/٢١٩ ـ ٢٢٣).

وأما ثاني اثنين من كبار مشائخ هذا العصر فهو «الملا عبد الله السلطانبوري» - مخدوم الملك[1] - فقد بلغ الغاية في حب المال واكتناز الذهب والفضة، وتجاوز الحد في تحريف الدين وتلفيق الأباطيل، حتى إنه أفتى بسقوط فريضة الحج، لئلا يقول الناس أن مخدوم الملك، لم يقم بأدائه[2]، وكان يفعل ما هو أدهى من ذلك وأمر، حيث إنه كان يهب أمواله لزوجه قبل تمام الحول، وكانت هي تهبه تلك الأموال نفسها من جديد بعد مضي ستة أشهر، وذلك فراراً من أداء الزكاة، حتى لا يحول عليها الحول.

ولما توفى مخدوم الملك، أمر الملك «أكبر» بداره في «لاهور» فحفظت وعين رجلاً خاصاً للتحقيق في خزائنه وكنوزه، فانكشف البحث والتحقيق عن القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

ومما عثروا عليه من ذخائر كنوزه قبور مزورة اصطنعها لأمواله، وأودعها صناديق مملوءة بالذهب الخالص لئلا تصل إليها أيدي الناس، ولا

---

(١) هو: الشيخ الملا عبد الله بن شمس الدين الأنصاري السلطانبوري، المشهرو بمخدوم الملك (٠٠٠ - ٩٩٠هـ).
ولد في «سلطانبور» من «بلاد البنجاب»، واشتغل بالعلم في صباه، وسافر إلى «سرهند» و«دهلي»، وأخذ من علمائهما، ولما رجع إلى بلده اشتغل بالتدريس، والتصنيف، والتذكير، وولاه «الملك همايون» مشيخة الإسلام، وكان الملوك والسلاطين يكرمونه غاية الإكرام، ولما رجع «الملك همايون» من «إيران»، وجلس على سرير الملك مرة أخرى لقبه بشيخ الإسلام، ولقبه الملك «أكبر» «بمخدوم الملك».
له مؤلفات عديدة، منها: كشف الغمة، ومنهاج الدين، وعصمة الأنبياء، وغيرها، توفي في «كجرات» مسموماً.
انظر: نزهة الخواطر (٤/٢٠٦ - ٢٠٨).

(٢) وذلك بحجة أن الذي يعزم السفر إلى بلاد الحرمين عن طريق البحر فلا بد عليه الحصول على جواز سفر من البرتغال، وهم نصارى وعلى جوازاتهم صور الصلبان والسيدة مريم وعيسى عليه السلام، فلا يجوز للمسلم أن يترك في حوزته مثل هذه الوثائق، والذي قصد الحجاز عن طريق البر، فلا بد أن يمر عن طريق «إيران» وهي دولة شيعية لا يجوز للسنة أن يجتازوا أراضيهم، ويسمعوا ما يسوؤهم، ففي هاتين الحالتين تسقط فريضة الحج عن أهل الهند.

يجترئ أحد على نبشها، ظناً بأنها قبور للأموات من أهل بيته.

ومن سيئات هذين العلمين في البلاط، أنهما ما زالا يتنازعان فيما بينهما، ويتجادلان بالرسائل والفتوى، فربما يفتي أحدهما بأن الصلاة لا تجوز خلف خصمه، ثم يأتي الآخر بحيلة أخرى مثلها ويعارضها بها، ولذلك كان يدور بينهما الجدال والنزاع.

وهذه بعض النماذج للأخلاق السيئة التي كان عليها علماء البلاط في عصر الملك «أكبر»، والذين عليهم جُل تبعة ضلالته وتنكبه عن محجة الحنفية السمحاء.

ولقد قال عنهم الإمام السرهندي[1] ـ وهو الذي قيض الله سبحانه وتعالى لمقاومة هذه الفتنة «الأكبرية»، كما سيأتي ذلك مفصلاً[2] ـ:

«رأى أحد من يعز علينا فيما يرى النائم أن الشيطان الملعون جالس بهدوء وسكينة، لا عمل له في تضليل الناس وإغوائهم، فاستفسره الأخ ـ الآنف الذكر ـ عن ذلك، فقال ـ لعنه الله ـ: أن علماء السوء في هذا العصر أنفسهم قائمون بهذه المهمة دوننا، فنحن اليوم في غنى عن السعي فيها.

ومما لا مجال فيه للشك أن كل ما وقع من المداهنة والتخاذل في الأحكام الشرعية في هذا الزمان، وما ظهر من الفساد والوهن من نشر «الدعوة الإلهية» وإبقاء مآثرها في هذا العصر، إنما يرجع سببه إلى «علماء السوء» الذين هم لصوص الدين، وشر من تحت أديم السماء، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون»[3].

---

(١) هو: الشيخ أحمد بن عبد الأحد المعروف بمجدد الألف الثاني (٩٧١هـ ـ ١٠٣٤هـ)، ويأتي الحديث عنه في الفصل الثامن إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٢) وذلك في الفصل الثامن من هذا البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٣) انظر: التفاصيل في هذا الموضوع في: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٦٢ ـ ٦٩). ـ دين إلهي أوراس كاپس منظر (٤٧ ـ ٦٥).

ثالثاً: التأثير الشيعي:

إنَّ التأثير الشيعي الاثنى عشري قد ورثه «أكبر» من تركة أبيه «همايون بن بابر»، إذ لم يتمكن من الصمود أمام هجمات «شير شاه السوري»[(١)]، فغادر «الهند» ولجأ إلى «إيران»، وقد أحسن «الشاه طهماسب الصفوي»[(٢)] استقباله في «إيران» ووفر له أسباب الراحة، وقد استطاع «همايون» بعد قضاء بعض الوقت في «إيران» أن يعيد الكرة على «قندهار» ويستولي على «كابل» والأقاليم الغربية للهند بمساعدة الجيش الإيراني، وكان معهم «محمد ميرزا ابن الشاه طهماسب»، وقد طلب «همايون» المساعدة العسكرية من «طهماسب» مرة أخرى حتى دانت له أمور مملكته، والشاه الصفوي لم يمد يد العون إلى «همايون» لاسترداد «الهند» إلا بعد أن أخذ عليه العهد بمؤازرة التشيع. وسواء اعتنق «همايون» التشيع أو لم يعتنقه[(٣)]، فقد أذن بنشره بين السنيين الهنود، وذلك بفتح أبواب الهند أمام علماء الشيعة المهاجرين من «إيران» إلى «الهند» ليبثوا نزعاتهم تحت حماية الدولة في عهده، وعهد من جاء بعده[(٤)].

---

(١) هو: السلطان شير شاه بن حسن بن إبراهيم السوري (٠٠٠ ـ ٩٥٢هـ).
كان اسمه «فريد خان»، و«سور» قبيلة من الأفغان، كان استولى على «بهار» و«البنغال»، هزم الملك «همايون بن بابر» في معركة «قنوج» ثم طارده حتى لجأ إلى «إيران»، فاستولى على «الهند» بأكملها، كان من خيار السلاطين عدلاً وبذلاً وتنظيماً وإصلاحاً، يذكره المؤرخون «بالسلطان العادل».
انظر: نزهة الخواطر (٤/١٤٩ ـ ١٥٥).

(٢) تقدمت ترجمته في المبحث الأول من الفصل الأول.

(٣) اختلف الباحثون في قبول همايون للتشيع، أو فرضه عليه من قبل الشاه مقابل إيوائه في «إيران»، ومما لا غبار عليه أن الشاه عرض على الملك «همايون» مذهب الشيعة، وراوده إلى أن يعتنق هذا المذهب، فقال همايون: «أرى أن تكتبوا لي جميع عقائد الشيعة»، فلما كتبوا له، قرأها همايون.
ويرجع مؤلف كتاب «تاريخ الصفويين وحضارتهم» اعتناق «همايون» للمذهب الشيعي، ولكن الأدلة التي ذكرها في هذا الصدد محتملة، وليست قطعية، ولا توجد وثيقة صحيحة تثبت اعتناق «همايون» للتشيع.

(٤) انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١/ ١٣٤، ١٣٥).
ـ الإمام السرهندي حياته وأعماله (٣٨، ٣٩).

ومن هنا بدأ التأثير الشيعي المنظم على البلاط الملكي، وقد تقدم - قبل قليل - أن «بيرم خان» الذي كان يقوم بأعمال الملك قبل أن يبلغ الملك الرشد كان شيعياً.

وكان «الشيعة» في مقدمة من يشاركون في المباحثات الدينية في «عبادت خانه»، ومنهم «الشيخ محمد بزدي»[1] - عالم الشيعة والقادم من إيران - وأثناء مناظراته في يوم من الأيام جعل يطعن على الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ ويسب جميع الصحابة والتابعين، والسلف الصالحين، وحكم عليهم بالكفر والفسق، حتى جعل «أهل السنة» أذلاء حقيرين؟ في نظر الملك، كما تمكن من إفهامه أن الفرق كلها باطلة وضالة ما عدا «الشيعة».

ومن ثم نرى أن الملك «أكبر» كان يحتفي بعلماء «الشيعة» القادمين من «إيران»، ويرحب بهم في بلاطه، ويجعلهم من خواصه وحاشيته، ويقلدهم المناصب والوظائف.

وهذا «مير شريف الآملي»[2] من كبار علماء «الشيعة»، نزل «الهند» في عهد الملك «أكبر» فاستقبله بحفاوة بالغة، وولاه رئاسة «كابل» عام (٩٩٣هـ)، ثم رئاسة «البنغال» عام (٩٩٩هـ)، وأقطعه الأراضي في «أجمير» وكان على مذهب «محمود بسيخواني»[3] ويحمل الأفكار الملحدة.

وهذا «الحكيم أبو الفتح عبد الرزاق الكيلاني»[4] الشيعي، يصاحب

---

(١) هو: الشيخ القاضي محمد بن أبيه الشيعي اليزدي (٠٠٠ - ٩٩٨هـ).
أحد العلماء البارزين في المنطق والحكمة، ولد ونشأ بيزد من بلاد الفارس، قدم «الهند» وتقرب إلى الملك «أكبر» عام (٩٩٤هـ). ولي القضاء بمدينة «جونبور»، كان شديد التعصب على أهل السنة والجماعة، ويسب الخلفاء الراشدين الثلاثة، ويكفر الصحابة والتابعين، مات غريقاً في مياه نهر «جمُنا».
انظر: نزهة الخواطر (٣٢٩/٤).

(٢) تقدمت ترجمته في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٣) هو مؤسس «الحركة النقطوية» كما تقدم في الفصل الأول.

(٤) هو: الشيخ أبو الفتح بن عبد الرزاق الشيعي الكيلاني (٠٠٠ - ٩٩٧هـ).
ولد ونشأ في «كيلان» في «إيران»، قدم الهند في عهد الشاه «طهماسب الصفوي»، =

الملك، ويُصوِّبُه في أباطيله، ويأخذ بيده إلى الإلحاد والزندقة، وهذا «الشيخ أحمد بن نصر الله السندي»[1]، الذي يؤلف للملك «التاريخ الألفي» لتثبيت العقيدة الألفية ـ كما سيأتي قريباً ـ.

ومنهم «الشيخ فتح الله الشيرازي»[2]، الذي تَقَلَّدَ الوزارة والصدارة، وكان الملك «أكبر» يقدره غاية التقدير، ويسير على إشارة أنامله، وغيرهم كثير.

ونرى بعد قليل أن «الشيخ مبارك الناكوري الشيعي»[3] كيف وضع «مرسوم العصمة والاجتهاد» للملك «أكبر» على أساس عقائد «الشيعة»، حيث جعله الإمام العادل ظل الله على الأرض، والمجتهد الأكبر، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه، فقد خسر الدنيا والآخرة.

= وتقرب إلى الملك «أكبر»، كان عالماً بارعاً في العلوم الحكمية، ويضرب به المثل في الإلحاد والزندقة، وقد دس في قلب الملك «أكبر» أشياء منكرة، كما كان يصوبه على أباطيله، ويضلله، توفي في «بنجاب».
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٠، ١١).

(١) هو: الشيخ أحمد بن نصر الله الشيعي التتوي السندي (٠٠٠ ـ ٩٩٦هـ).
درس العلوم في «المشهد» على مذهب الشيعة، ورحل إلى «يزد» و«شيراز»، ثم وصل إلى «قزوين» عاصمة الدولة الصفوية، وتقرب إلى الشاه «طهماسب»، ثم قدم «الهند» وتقرب إلى الملك «أكبر»، وألف له جزءاً من «التاريخ الألفي».
كان متصلباً في التشيع، متعصباً على أهل السنة، طويل اللسان عليهم، من مؤلفاته «الحياة في ذكر الحكماء»، قتل في «لاهور».

(٢) هو: الشيخ فتح الله بن شكر الله الشيعي الشيرازي (٠٠٠ ـ ٩٩٧هـ).
أحد العلماء المتبحرين في العلوم الحكمية، ولد ونشأ في «شيراز» وقدم «الهند» فكان «عند علي عادل شاه» حاكم «بيجابور»، وبعد وفاته لحق بالملك «أكبر» فأكرمه غاية التكريم، وولاه «الصدارة» و«الوزارة». ولقبه «بأمين الملك» ثم «بعضد الدولة» ثم «بعضد الملك».
من مصنفاته: «منهج الصادقين» وهو تفسير القرآن بالفارسي، وتكملة حاشية الدواني على تهذيب المنطق، توفي عند رجوعه من «كشمير»، ودفن في «جبل سليمان».
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٢٥٤، ٢٥٥).

(٣) هو الشيخ مبارك بن خضر الناكوري (٩١١هـ ١٠٠١هـ).
سترد ترجمته مفصلة في المبحث القادم.

ففكرة «الإمام العادل» و«المجتهد الأكبر» مأخوذة من صفات «المهدي المنتظر» عند الشيعة[1].

وهكذا لعب «الشيعة» دوراً هاماً في العمل على انحراف الملك «أكبر» وتشجيعه على ما أقدم عليه من منكرات وضلالات.

رابعاً: التأثير الهندوكي:

كان الملك «أكبر» يحب أن يرتكز حكمه على أساسٍ قوي، ينبعث من حبّ رعاياه ورضائهم، بصرف النظر عن عقائدهم ومذاهبهم، ومن ثم بدأ يعمل على كسب حب الهنادكة بعقد المصاهرات معهم.

ومن جهة أخرى فتح الملك أبواب بلاطه للهنادكة، وبلغ كثيرون منهم إلى أعلى المناصب في الوزارة والقيادة، والشؤون المالية[2].

وكان تأثير زوجات الملك الهندوكيات عاملاً قوياً من عوامل انحراف «أكبر» وتحول نفسيته، إذا بدأ يقدم على كثير من المنكرات لإرضاء الزوجات الهندوكيات، وكسب ثقة الأمراء الهنادكة، كالنهي عن «ذبح البقرة»، و«حلق اللحية»، و«وضع نقطة» من الطين الملون في وسط الجبين ـ وهو من شعار الهندوس ـ و«وضع الفتيلة» في وسط الجسم، وما إلى ذلك[3].

كما ترك الحرية للزوجات الوثنيات في التمسك بعقائدهن، وعبادة الأوثان داخل القصر الملكي، فبنيت فيه المعابد، ونصبت الأصنام والتماثيل، وجعل أهله رجالاً ونساءً يحتفلون بأعياد المشركين، وجعل

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (٢/ ١٣٧، ١٣٨).
ـ دين إلهي أوراس كاپس منظر (٦٣).
(٢) انظر: المصدر نفسه (٢/ ١٠١، ١٠٢، ١٠٨).
أيضاً: تاريخ أباطرة المغول للشيال (٨٩ ـ ٩١).
(٣) انظر: الإمام السرهندي (٩٣، ٩٤).
ـ نزهة الخواطر (٤/ ٧٩).

الملك «أكبر» من عادته أن يقوم تكريماً للشموع والقناديل حيثما تضاء مساءً، فأزواجه الوثنيات لم تدخر جهداً في تهنيده وصرفه عن وجه الحق ومنهج الصواب[1].

ومن جهة أخرى كان الملك «أكبر» شغوفاً بالاطلاع على التراث الهندوسي، فأمر بترجمة الكتب المقدسة لدى الهندوس، فترجمت «مهابهارت»[2] من السنسكريتية إلى الفارسية في ثمانية عشر جزءاً ثم لُخِّص في جزئين، وسميت بـ«روزنامه»، كما ترجم «رامائن»[3] في أربع سنوات، وترجم «أتهرووید»، وهكذا تمت ترجمة كثير من الكتب الدينية والتاريخية لدى الهندوس، ووضعت في المكتبة الملكية[4]، وكان لهذه الترجمة أثر سيء على الملك «أكبر».

بالإضافة إلى ذلك فإن مجلس الملك في «عبادت خانه» كان يتميز بحضور البراهمة أصحاب الثقافة الواسعة والعميقة في الديانة الهندوسية، وعلى رأسهم «البرهمي بهاؤن» الذي تظاهر بالإسلام، فكلفه الملك بترجمة

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٦١).

(٢) مها بهارت: ملحمة الهند الكبرى، أحد الكتب المقدسة لدى الهندوس، وهي من الكتب الهندية التي لا يعرف مؤلفها، وقد وقعت هذه الملحمة الكبرى حوالي (٩٥٠ق.م) وهي تصف حرباً بين أمراء أسرة ملكية واحدة، ولكن جميع ملوك الهند اشتركوا فيها مع هذا الجانب أو ذاك. بل اتخذ الآلهة دوراً في المعركة أيضاً، كما تروي الأقاصيص ذلك.
انظر: أديان الهند الكبرى (٨١).

(٣) رامائن: أحد الكتب المقدسة لدى الهندوس، وهو كتاب قديم لا يعرف مؤلفه، ولا تاريخ تأليفه بالضبط.
ورامائن: يُعنى بالأفكار السياسية، أو الدستورية للحياة الهندية، فهو يتحدث عن تكوين مجالس الشورى، وطرق اختيار الملوك، وولاة العهود، ثم عن واجبات الملك، وعن واجبات مجلس الشورى، وسلوك أعضائها... وما إلى ذلك.
انظر: أديان الهند الكبرى (٩٧).

(٤) انظر: مسلم ثقافت هندوستان مين (الثقافة الإسلامية في الهند)، لعبد المجيد سالك (ص٢١٦)، إداره ثقافت إسلاميه، كليب رودٹ، لاهور، پاكستان.

الكتب الهندوسية إلى الفارسية، وكان يشرح المسائل الدقيقة في الديانة الهندوسية أمام الملك ويعرضها مصبوغة بالصبغة الإسلامية، فيصدقها الملك، واقتنع بصحة «عقيدة التناسخ»، و«تأثير الشمس والكواكب»، و«خاصية النار»، حتى كان يقول: «عندما ترد على مسامعي من أخبار الأمم السابقة بأن الله ـ تعالى ـ مسخ أمة النبي الفلاني إلى قردة أو حيوان آخر جزاءً على أعمالهم فكنت أستحيله، ولكني لما آمنت بالتناسخ عرفت أن ذلك ممكن»[1].

ولما رأى البراهمة أن الملك يقبل عليهم، يسمع منهم، ويصدق كلامهم، أخرجوا من مكتباتهم القديمة كتباً من العصور الغابرة بأوراق ممزقة، وادعوا أنها كتبت بأيدي العلماء الهندوسيين القدماء في غابر الزمان، وأنهم يجدون فيها ما معناه: «سوف يعتلي عرش «الهند» ملك عادل، يقدس البقرة ويعظم البراهمة» ـ على حد زعمهم ـ، ولما سمع الملك كلامهم، ورأى الأوراق القديمة في أيديهم ـ وهي مزورة ـ كان يكرم البراهمة أيما تكريم، وجعل تقديس البقرة شعاره[2].

ووصلت جرأة الهندوس في مجلس الملك إلى حد أنهم كانوا يسخرون من أحكام الدين الإسلامي، وكتاب الله، ورسوله بكل وقاحة[3]، وهذا «ديب شاند منجهوله» يعلن في «عبادت خانه» وأمام الملك: «أن البقرة لو لم تكن مقدسة عند الله ـ تعالى ـ لما ذكرها في أول سورة من القرآن»[4].

والخلاصة أن لزوجات الملك الوثنيات، والبراهمة ـ رجال الدين الهندوسي ـ وقادة الهناذكة وزعمائهم تأثيراً بالغاً في انحراف الملك، وصرفه عن الدين الحنيف.

---

(١) انظر: دين إلهي أوراس كابس منظر (١١٧، ١١٨).
(٢) انظر: نفس المصدر (١٢٠).
(٣) كما كان يفعل «بيربر» الهندوسي أحد كبار المقربين لدى الملك.
(٤) انظر: دين إلهي أوراس كابس منظر (٦٢).

خامساً: «أكبر» والنصارى:

كان أول تعارف «أكبر» مع وفد من النصارى عام (١٥٧٣م) أثناء محاصرته لمدينة «سُورَت» في إقليم «كُجرات» الذي بعثه الحاكم البرتغالي في ولاية «غوا»[1]، وبعده بأربع سنوات حضر عند الملك الراهب «جولين برابرا» وكان مناظراً مفوهاً، ومتكلماً بارعاً، عرض على الملك مزايا الدين المسيحي، ونقائص الدين الإسلامي ـ على حد زعمه ـ فأعجب به الملك، فلما رأى الراهب تأثر الملك بالنصرانية، عرض عليه بطلب بعثة من الرهبان من الحكام البرتغاليين في «غوا»، فأرسل الملك طلباً بذلك، فلبوا دعوته، وأرسلوا بعثة تضم خيرة الرهبان عندهم كما أرسلوا إليه نسخة من الإنجيل، واستقبل الملك هذه البعثة في «فتحپور سيكري» ـ عاصمة «أكبر» الجديدة ـ واحتفى بهم، وعهد إليهم ابنه «مراد» لتثقيفه، وبعد انتهاء المهمة رجعت البعثة من حيث أتت.

ولما سمع الملك بعد ذلك عن ترجمة التوراة والإنجيل إلى اللغة الفارسية، أرسل «السيد عثمان» ـ أحد أعيان الدولة ـ إلى حاكم «غوا» لإحضارها إلى حضرته في أقرب وقت يمكن.

وفي سنة (١٥٩٠م) أيام كان الملك في «لاهور» طلب من حاكم «غوا» بعثة ثانية من الرهبان، وعند وصولها استقبلها الملك، واحتفى بهم احتفاءً بالغاً، وهذه المرة احتدم النقاش، وحميت المناظرات بين علماء الإسلام ورهبان النصارى حول مسائل العقيدة والشريعة، وكانت كفة النصارى هي الراجحة في هذه المجادلات، وبعد رجوع هذه البعثة طلب الملك بعثة ثالثة، وذلك عام (١٥٩٥م) أثناء وجوده في «لاهور» أيضاً، وكان عملها كمثيلاتها التي سبقتها[2].

---

(١) اسم ولاية تقع غرب الهند على ساحل البحر، وهي من المنافذ البحرية لأهل الهند.

(٢) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٣٠٧/٤).
ـ دائرة المعارف للبستاني (١٠٩/٤، مادة: أكبر)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
ـ دين إلهي أوراس كاپس منظر (١٦٣ ـ ١٦٧).

وكانت هذه البعثات تستهدف تنصير الملك «أكبر» ونشر تعليمات الإنجيل في «الهند»، ومن أجل هذا الغرض ترجموا الإنجيل إلى اللغة الفارسية، حتى يبينوا للملك مزايا الإنجيل وأخطاء القرآن الكريم ـ على حد زعمهم ـ وأثناء مناقشتهم مع علماء المسلمين، كانوا يسيئون إساءات بالغة إلى شخص الرسول ﷺ، ويطبقون عليه صفات «الدجال» ـ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ـ وكانوا يؤكدون على أن القرآن ليس وحياً من الله ـ تعالى ـ، بل هو تأليف من عند محمد ﷺ، وذلك بإثارة الشكوك والشبهات في مسألة النبوة والرسالة والوحي، وكانت كفة النصارى هي الراجحة أمام الملك في هذه المناظرات[١].

وذلك أن «الديانة المسيحية» كانت غريبة للهند، وكان أتباعها قلة قليلة، ومعظمهم كانوا من الأجانب، فلم يهتم بهم العلماء المسلمون، ولم يبالوا «بالديانة المسيحية» أي مبالاة، على حين أن البرتغاليين فتحوا مدرسة تبشيرية مسيحية في ولاية «غوا» في «الهند» حتى يقوموا بنشر هذه الديانة في «الهند»، وترسيخ جذورها.

ولا يستبعد في مثل هذا الوضع أن يكون العلماء المسيحيون الأجانب كسبوا المعركة، وأثبتوا تفوقهم على علماء المسلمين الذين لم يكونوا ـ إذ ذاك ـ فرسان هذا الميدان، فخسروا الصفقة، وسقطوا في عين الملك، فكان من البدهي أن يتأثر الملك بآراء النصارى وتقاليدهم.

فكان من نتيجة تلك المناظرات أن ذهبت مكانة الإسلام من قلب

---

(١) ومما ينقل في هذا الصدد: أنه ذات مرة، قد دارت المناظرة في قصر الملك «عبادت خانه» حول فضائل القرآن والإنجيل، إذ كان أتباع كل هذين الكتابين يقولون: إن كتابهم هو المنزل من السماء لا غير، حتى انبرى أحد المسلمين يدعى «بالشيخ قطب الدين»، وتحدى المسيحيين وقال: تعالوا نوقد النار، وندخل فيها، ونثبت عن طريقها صحة دعوانا، فأوقدت النيران، وتقدم «الشيخ قطب الدين»، وجذب بأطراف معاطف الرهبان المسيحيين، وقال: تعالوا باسم الله ندخل فيها، فلم يتجرأ أحد منهم أن يقتحم النار.
انظر: الإمام السرهندي (٩١).

الملك «أكبر»، وفرض حظراً على تدريس العلوم الشرعية في البلاد من التفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك، وشجع في مكانها تدريس علوم الرياضة، والفلك، والحكمة، والمنطق، والفلسفة وغيرها، كما ذهب توقير الرسول ﷺ واحترامه من قلبه، فكان يكره الأسماء: أحمد، محمد، ومحمود، ومصطفى ويغيرها إلى أسماء أخرى حتى أقدم على تبديل الكلمة الطيبة ب«لا إله إلا الله أكبر خليفة الله».

أضف إلى ذلك أن الملك أذن للبعثات بفتح المدارس التنصيرية في «لاهور» و«آغرا» و«كامباي» وكان يذهب إلى كنائسهم، ويجثو فيها على ركبه، كما تمكنت هذه البعثات من تنصير أناس كثيرين في «كامباي» في أيامه. وبذلك قد فتحت أبواب الهند أمام الزحف التنصيري[١].

سادساً: التأثير الزردشتي:

تعرف الملك «أكبر» على الدعاة الزردشتية قبل إنشاء «عبادت خانه» وتوجيه الدعوات الرسمية إليهم للمشاركة في فعالياتها، وذلك أثناء وجوده في «كجرات» عام (١٥٧٣م)، وهناك سمع من داعية الزردشتي الشهير «دَسْتُور مُهْرجي رانا» الذي كان مقيماً في نواحي «كجرات» فاشتاق إلى لقائه، وأرسل إليه ليتشرف بزيارة الملك، فلبى دعوته، وحضر في مجلسه، وعرض عليه خلاصة «الدعوة الزردشتية»، فتأثر به الملك ـ كعادته التأثر بكل جديد ـ ووجه إليه الدعوة للحضور في مجالس «عبادت خانه» في العاصمة «فتحپور سيكري».

وفي عام (١٥٧٨م) حضر «مهرجي رانا» مع وفد من الدعاة الزردشتية إلى مجلس أكبر، وبصفة كون «مهرجي رانا» من أصل فارسي، كان يجيد اللغة الفارسية ويتحدث مع الملك بدون ترجمان، وتمكن من وضع المبادئ

---

(١) انظر: دين إلهي أوراس كاپس منظر (١٦٨ ـ ١٧٢).
ـ حاضر العالم الإسلامي (٤/٢٠٧).
ـ الإمام السرهندي (٧٤، ٧٥).

الزردشتية على فكر الملك حتى آمن بعبادة الشمس والنار، وكان يعتقد أن النار أم العناصر، فلا بد من تقديسها من صميم القلب، وأمر أن تظل النار موقدة في القصر الملكي، وَاستُدعي من أجل هذا الغرض فريق من «الزردشتية» من «كرمان»، كما جيء بالنار المقدسة ـ من إيران ـ المحفوظة بلهيبها منذ القديم إلى عصر الملك، واستقبلها بالتعظيم الفائق في بلاطه.

يقول «أبو الفضل»: «إن جلال السلطان ـ نور الله بصيرته ـ شغوف بالنور، ويعتبر تقديسه وتعظيمه من عبادة الله، والثناء عليه، وإن الجهلة الذين أظلمت قلوبهم يعدون ذلك عبادة النار، والإعراض من الله ـ تعالى ـ».

ويقول أيضاً: «يشعل الخدم بعد غروب الشمس اثني عشر شمعاً ممزوجاً بالكافور، ويضعون كل شمعة من هذه الشموع في قصاع من الذهب، والفضة، ويأتون بها إلى حضرة السلطان، ويتغنى أحد من هؤلاء الخدم ـ حلو اللسان، جيد النغم ـ بأناشيد الثناء على الله ـ تعالى ـ في ألحان جميلة جذابة متنوعة، وهو يحمل الشمعة، ثم يدعو في الختام، ليمد الله في عمر جلالة السلطان وثروته».

ويقول عن عبادة الشمس: «كانت عبادة إله النور في عمارة تسمى «دو آشيانه منزل» ومنها بدأ تعظيم الشمس، ويقول جلالة السلطان إن للشمس اهتماماً خاصاً بحال السلاطين، ولأجل ذلك يعتقد أن عبادتها، عبادة الله، إلا أن قصار النظر يقعون في سوء الظن»[(١)].

وبتأثير من الزردشتيين أيضاً، بدّل الملك طريقة دفن الموتى، ولما توفي مريده الخاص «سلطان خواجه» فقبل إنزاله على القبر وضع الملك «جمرة موقدة» في فمه، وجعل في القبر فتحة صغيرة تجاه الشرق بحيث تدخل أشعة الشمس عند طلوعها وتطهره من الذنوب والآثام؛ لأن الملك ومريدوه يعتقدون أن للشمس ميزة خاصة في تطهير الناس من الذنوب، كما

---

(١) انظر: آئين أكبري (١/٢٨، ٢٩)، أيضاً (٣/١٨٤)، نقلاً عن الإمام السرهندي (١٠٠، ١٠١).

ألغى التقويم الهجري ووضع مكانه تقويم الإيرانيين القديم، وأحيى الاحتفال بعيد «النيروز» في القصر الملكي.

وكان الملك يقدر «مهرجي رانا» غاية التقدير، وأقطعه أراضي واسعة، وبعد وفاته عام (١٥٩١م) أمر بنقل ملكية هذه الأراضي إلى ولده «كيقباد»[١].

سابعاً: الملك «أكبر» والعقيدة الألفية:

تتلخص هذه العقيدة في انتهاء صلاحية الإسلام بعد ألف سنة من هجرة المصطفى ﷺ وبداية شريعة جديدة للبشر، وابتكر هذه الفكرة، ولأول مرة «محمود بسيخواني» ـ مؤسس الفرقة النقطوية ـ كما تقدم في ذلك في الفصل الأول.

ودخلت هذه العقيدة في القارة الهندية عن طريق الدعاة النقطويين[٢]، الذين غادروا «إيران»، وتوجهوا إلى «الهند» أيام الملك «أكبر»، وكان «أبو الفضل» ـ العقل المدبر للمذهب الأكبري ـ من النقطويين متشبعاً بالفكرة الألفية، أفهم الملك أنه قد مضى على الإسلام ألف سنة، ويبدأ الألف الثاني، وإن الدنيا مع بداية الألف الثاني يجب أن تستأنف عهداً جديداً، فلا بد لها إذاً من شريعة جديدة، ومشرع جديد، وحاكم جديد، وليس في العالم لهذا المنصب الجليل إلا «أكبر» صاحب التاج والعرش، والإمام العادل والعاقل.

يقول المؤرخ عبد القادر البدايوني[٣]:

---

(١) انظر تفاصيل هذا الموضوع في: دين إلهي أوراس كاپس منظر (١٥٧ ـ ١٦٣).
ـ حاضر العالم الإسلامي (٣٠٩).
ـ الإمام السرهندي (١٠٠د ١٠١).

(٢) تقدمت تراجمهم في المبحث الثاني من الفصل الأول.

(٣) هو: الشيخ عبد القادر بن ملوك شاه البدايوني (٩٤٧هـ ـ ١٠٠٤هـ).
ولد في بلدة «بَسَاوَر»، درس العلوم العربية والشرعية والعقلية على كثير من العلماء =

«ولما كان الملك قد اقتنع أن مدة ألف سنة بعد البعثة النبوية ـ وهي العمر الطبيعي لهذا الدين ـ قد انقرضت فلم يبق هناك ما يحول دون إبداء تلك الرغبات الكامنة في الصدر»[1].

وبعد نضج هذه العقيدة عند الملك، شرع في اتخاذ ما يلزم لنشر هذه العقيدة بين الجماهير، ولترسيخها في أنحاء الدولة.

ومن ثم كتب «التاريخ الألفي» على العملة التي تتداولها الأيدي، وليست هناك وسيلة أكثر منها ذيوعاً وانتشاراً، وأصدر الملك أوامر صارمة، لجمع جميع العملات السابقة في خزانة الدولة، وإصدار عملة جديدة تحمل «التاريخ الألفي» حتى يعرف عامة الناس أن ألف سنة من هجرة النبي ﷺ قد انتهت.

كما أقدم على تأليف كتاب جديد في التاريخ، يكون ناسخاً للتاريخ الهجري الإسلامي، ويكون حاوياً لأحوال جميع الملوك والسلاطين، سماه «التأريخ الألفي» وأسند تأليفه إلى لجنة مكونة من سبعة علماء، وذكروا فيه «الرحلة» أي: الوفاة بدلاً من الهجرة، وألفوا تاريخ خمس وثلاثين سنة، ثم كلف الملك «الشيخ أحمد بن نصر الله السندي» ـ أحد كبار علماء الشيعة ـ بإتمام هذا المشروع، فوصل إلى «چنكيز خان»، وبعد مقتل «الشيخ السندي» أمر «جعفر بيگ» بإتمامه، فأتمه، وحرر الوقائع إلى عهد الملك «أكبر»، وقدم له «أبو الفضل بن المبارك الناكوري»[2].

= حتى برع فيها. عينه الملك «أكبر» إماماً له لصلواته، ثم كلفه بترجمة الكتب السنسكريتية والعربية إلى الفارسية. ومن أجل مؤلفاته كتاب «منتخب التواريخ» في ثلاثة مجلدات.

انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٢٣٧ ـ ٢٤١).

(١) انظر: منتخب التواريخ (٣/ ٣٠١)، نقلاً عن الإمام السرهندي (٩٨، ٩٩).

(٢) انظر: علماء هند كاشندار ماضي (١/ ٥٩، ٦٠).
ـ نزهة الخواطر (٥/ ٧٩).
ـ الإمام السرهندي (٩٨، ٩٩).

وكان حجر الأساس في المذهب الأكبري هو محاولة إزالة الخلاف بين المسلمين والهندوس بصفة خاصة، وبين الإسلام والديانات الأخرى عامةً وصولاً إلى ما كان يهدف إليه من «وحدة الأديان» في المذهب الجديد، وكان الملك «أكبر» يرى أن نشر العقيدة الألفية يساعد على ترسيخ هذا الاتجاه.

ثامناً: مرسوم العصمة:

المقصود بـ «مرسوم العصمة» هو الوثيقة التي وضعها الشيخ «الملا مبارك بن خضر الناكوري»، ووقّع عليها كبار علماء الدولة، ومنح الملك «أكبر» بموجبها المرجعية النهائية في أمور الدين، ومكانة أعلى من درجة المجتهدين، وحق الترجيح والاختيار في المسائل التي اختلف فيها الأئمة المجتهدون.

وكان السبب المباشر لهذا المرسوم هو: أن «الشيخ عبد الرحيم» قاضي مدينة «متهرا»[1] أعدّ العُدَّةَ لبناء مسجد في المدينة، فأغار أحد «البراهمة» في جنح الليل، وحمل أدوات البناء، وكل ما جهز لأجله، وبنى بذلك معبداً هندوكياً.

فلما أخذ المسلمون يناقشونه، ويلومونه، بدأ يسُبُّ الإسلام والرسول ﷺ، فرفعت القضية إلى صدر الصدور «الشيخ عبد النبي الكنكوهي»، فأصدر الشيخ أمراً بطلبه إلى المجلس، وأسفر التحقيق عن إدانة ذلك البرهمي وصحة ما نسب إليه، فحكم الشيخ بإعدامه، ولكن هذا البرهمي كان مرشداً للملكة الهندوسية «جوده بائي» والقائم بأعمال «بروهيت»[2]، وكانت الملكة تضغط على «أكبر» ليتدخل في الأمر، ويصدر العفو عن «البرهمي»، ولكن الملك لم يكن يريد التدخل في شؤون القضاء،

---

(١) اسم مدينة تقع في جنوب دهلي.
(٢) هم الذي يكون رجلاً من رجال الدين الهندوكي ـ البراهمة ـ يقوم بالشؤون الدينية، وأداء تقاليد الزواج، والمآتم، وكفن الموتى، وإحراقهم.

وإغضاب صدر الصدور، وبالفعل نَفَّذ صدر الصدور حكم الإعدام، فثارت الفتنة، وتطورت القضية.

وأوغرت زوجات الملك الهندوسيات صدر السلطان وحركن فيه النخوة، حيث إنه أطلق الحرية لعلماء الدين حتى ركبوا على رؤوسهم، لا يبالون برضا السلطان وأمره، كما أثيرت في البلاط مسألة الشتم، إذ أن المذهب الحنفي لا ينص على قتل شاتم الرسول[1] ﷺ، ولذلك فإن هذا الإجراء مخالف للمذهب الذي يسود قانونه هذه البلاد، فأغضب ذلك الملك.

وهنا جاء دور «الشيخ ملا مبارك الناكوري» ـ الذي كان يتصيد الفرص ـ إذ سأله الملك عن رأيه في هذا الأمر، فانتهز هذه الحادثة لتنفير السلطان من علماء الدين وتخليصه من تأثيرهم، فقال له: «إن جلالة السلطان، إمام هذا الزمان، ومجتهد هذا العصر، فلا حاجة له في إصدار رسائله وأحكامه، ـ سواء أكانت تتعلق بأمور الدين أم بشؤون الدنيا ـ إلى الاستعانة بأي عالم من العلماء، أو شيخ من المشائخ»[2].

وما أن سمع الملك هذا الكلام من «الشيخ ملا مبارك» حتى طلب منه فوراً أن يفكر في وضع خطة تنقذه من مخالب هؤلاء العلماء، فوضع محضراً بذكاء ودهاء، يخول للملك درجة الاجتهاد والمرجعية النهائية في أمور الدين[3].

---

(١) يتلخص المذهب الحنفي في شاتم الرسول ﷺ على أنه كالمرتد، حكمه حكم المرتد إذا كان مسلماً. وإذا كان ذمياً لا ينتقض عهده، بل يؤمر بعدم المعاودة، فإذا عاوده عزر ولم يقتل. يقول الطحاوي: «ومن سب رسول الله ﷺ من المسلمين أو تنقصه كان بذلك مرتداً، وكان حكمه حكم المرتد في جميع ما ذكرنا من أحكام المرتدين، ومن كان ذلك منه من الكفار ذوي العهود، ولم يكن بذلك خارجاً من عهده، وأمر أن لا يعاوده، فإن عاوده أدب عليه ولم يقتل».
انظر: مختصر الطحاوي (٢٦٢)، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت.

(٢) انظر: منتخب التواريخ (٣/ ٨٣)، نقلاً عن الإمام السرهندي (٩٥).

(٣) انظر: دين إلهي أوراس كاپس منظر (٨٥، ٨٦).
ـ الإمام السرهندي (٩٤ ـ ٩٦).

وهذا نص المحضر (أو المرسوم):

«حيث إن الهند العزيزة ـ وقاها الله شرور الدهر ـ أصبحت اليوم في غاية من الدعة والأمن، ويكاد يضرب بها المثل في العدل، والكرم، قد نزح إليها عدد غير قليل من رجال العرب والعجم، العامة منهم والخاصة، وفيهم من تبوأ ذروة المجد العلمي، وحاز قصب السبق في مضمار البحث والتحقيق.

والآن جمهور العلماء من الذين تضلعوا من العلوم النقلية، وفاقوا أقرانهم في الفنون العقلية، وعرفوا بالورع والأمانة، وصدق الطوية، يعلنون بعد ما تدبروا معاني الآية الكريمة: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، وأمعنوا في مغزى الأحاديث الشريفة: «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة إمام عادل»[2]، و«من يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»[3]، وتفطنوا إلى غيرها من الشواهد العقلية، والدلائل النقلية، يعلنون بعد ذلك.

إن السلطان العادل، أرفع درجةً عند الله، من العالم المجتهد، وكذلك يقرون أن سلطان الإسلام، أمير المؤمنين، ظل الله في الأرض، الملك الغازي، «أبا الفتح جلال الدين محمد أكبر» ـ خلد الله ملكه ـ أعدل الملوك، وأعقلهم، وأعلمهم.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) رواه الترمذي في جامعه في أبواب الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل، عن أبي سعيد الخدري ﷺ ولفظه: «إن أحبَّ الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلساً، إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر».
وقال الترمذي: «حديث أبي سعيد: حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه». (٤/٥٥٩، ٥٦٠، برقم: ١٣٤٤).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمير في غير معصية، وتحريمها في المعصية، عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير، فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني» (١٤٦٦/٣، برقم ١٨٣٥).

فإذا عرضت مسألة من المسائل التي تضاربت فيها أقوال الأئمة المجتهدين، وأراد الملك أن يعزز جانباً، أو يرجح رأياً، مستنداً إلى ثقوب ذهنه، ونضوج رأيه، إذا عرضت مسألة كهذه، وقطع الملك بشيء تسهيلاً للعامة وتحسيناً لإدارة الملك، وجب على الجميع الخضوع لأمره، والعمل به.

وكذلك إذا صدر الملك أمراً لا يعارض النص، ويكون فيه ترفيه عن الأمة، وجب العمل بمقتضاه على كل واحد، والذي يخالف عن أمره من رعيته يستحق العذاب في الآخرة، والخسران في الدين والدنيا جميعاً.

قد كُتِب هذا المرسوم ابتغاءً لمرضاة الله، وإعلاء كلمة الدين، وها نحن عيون علماء الإسلام في هذا العصر، قد زكيناه، وصدقناه، وذلك في رجب سنة سبع وثمانين وتسعمائة (٩٨٧هـ)»[١].

وبعد صدور هذا المحضر، أحضر العلماء الكبار منهم: «الشيخ عبد الله السلطانبوري» مخدوم الملك، و«الشيخ عبد النبي صدر الصدور»، و«المفتي صدر جهان»[٢] مفتي الدولة، و«القاضي جلال الدين الملتاني»[٣] قاضي

---

(١) اخترت ترجمة هذا النص من كتاب تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، للشيخ مسعود عالم الندوي (٨٣ ـ ٨٥)، وكتاب نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي اللكنوي (٥/ ٧٥، ٧٦)، مع مراجعة النص الفارسي في كتاب رود كوثر؛ للشيخ محمد إكرام (١٠٣)، الطبعة السابعة (١٩٧٩م)، إدارة ثقافت إسلامية، كليب روڈ، لاهور. وفي كتاب دين إلهي أوراس كاپس منظر، للأستاذ محمد أسلم (٨٧ ـ ٨٩).

(٢) هو: الشيخ صدر جهان بن عبد المقتدر بن شاهين الترمذي البهانوي (٠٠٠ ـ ١٠٢٠هـ).

ولد في قرية «بهاني»، أخذ العلم عن كبار العلماء في عصره، ولي الإفتاء للملك «أكبر». ثم بعثه برسالته إلى «توران»، وبعد رجوعه ولي الصدارة. درس عنده الملك «جهانكير بن عبد الملك أكبر»، وحفظ عنه أربعين حديثاً، توفي في «بهاني»، وله مائة وعشرون سنة.

انظر: نزهة الخواطر (٥/ ١٧٨، ١٧٩).

(٣) هو: الشيخ جلال الدين الملتاني (٠٠٠ ـ ٩٩٩هـ).

ولد في مدينة «بهكر»، ونشأ في «ملتان»، وترحل في نواحي «الهند» يطلب العلم، وولي القضاء للملك «أكبر»، ثم رحّله إلى بلاد «الدكن»، فذهب إلى «بيجاپور»، وتوفي هناك. =

القضاة، وغيرهم من علماء العصر، وأثبتوا توقيعاتهم على ذلك المحضر، وانشرح به صدر السلطان، وفتح باب الاجتهاد للملك، وأصبح إماماً مجتهداً، ومستوجب الطاعة والانقياد، وخليفة الله في الأرض، وكانت هذه نقطة البداية للانحراف المنظم، وإنشاء مذهبه الجديد بعد أن اجتمعت له أسبابه ودواعيه.

ويتبين للناظر في فقرات هذا المرسوم الذي وضعه «الشيخ ملا مبارك الناكوري»، ووقع عليه علماء عصره، لمساندة السلطان وتدعيمه في اتجاهاته، أنه خوَّل الملك الشاب(١) مكانة أعلى من مكانة المجتهدين، وحق الترجيح والاختيار في المسائل التي اختلف فيها الأئمة المجتهدون، واعتبره أعقل الناس، وأعدلهم - وهو أمي -، وكان من قبل متحرراً ومنطلقاً من كل القيود، وفقد ثقته في علماء الإسلام، وفقهاء الشريعة، وتأثر بالبيئة الهندوكية المسيطرة على بلاطه، كما تأثر بالأديان والملل الأخرى، وكان يملك سلطة مطلقة، ودولة قوية جبارة(٢)، وإعطاء هذا الملك هذه السلطة الدينية المطلقة مع ما يتمتع به من السلطة الزمنية، وتوفر الأسباب والدواعي للانحراف عن جادة الصواف، لا يخفى على لبيب ما يترتب عليه من آثار سيئة، ونتائج وخيمة(٣)(٤).

= انظر نزهة الخواطر (٤/ ٧٤، ٧٥).

(١) إذ كان عمره في ذلك الوقت لا يتجاوز الثمانية والثلاثين عاماً.

(٢) إذ لم تتوحد أطراف القارة الهندية المترامية إلا زمن الملك «أكبر».

(٣) انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٧٦).
- الإمام السرهندي (٩٦، ٩٧).

(٤) ومن غريب ما يروى عن هذا الملك، أنه بعد صدور المرسوم واعتباره المجتهد الأعظم، والإمام المعصوم، وظل الله في الأرض، أنه أراد ذات مرة أن يقوم خطيباً؛ لأنه كان يسمع العلماء أن الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون ﷺ كانوا يخطبون بأنفسهم، فزعم أن وقوفه موقف الخطيب يزيد قوة في دعوى الاجتهاد، وكتب له «الشيخ فيضي» خطبة الجمعة، فقام في جامع «فتح پور» لإلقاء هذه الخطبة، ولكنه ما كاد يقف على المنبر، ويشرع في إلقاء الخطبة، حتى تزلزلت قدماه، وألقي في قلبه الرعب فاضطر إلى النزول، وأمر «الحافظ محمد أمين الخطيب» للإمامة.
انظر: أئمة تلبيس (٢/ ٧٩).

المبحث الثاني

عقائد الأكبرية وأشهر دعاتها

أ ـ العقائد:

تقدم في المبحث السابق أن الملك «أكبر» ورد كل مورد، وشرب من كل منهل، وطاف على كل دين ومذهب، واقتبس منه ما أراد، وأعلن عن مذهبه الجديد، الذي سمي «بالمذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي»، وذلك بعد صدور مرسوم العصمة بثلاث سنوات، أي: سنة (٩٩٠هـ).

ومن دراستي المتأنية للآراء والأفكار التي تقوم عليها «الأكبرية»، يمكن القول أن العقائد الأساسية التي عليها مدار هذا المذهب تتلخص في أمور ثلاثة:

الأول: عقيدة وحدة الوجود:

إن العقيدة الأساسية والركيزة الأولى التي يعتمد عليها المذهب الأكبري هي: عقيدة «وحدة الوجود». وتعني هذه العقيدة أن الوجود مشتمل على حقيقة واحدة، وأنه لا اثنينية أو أكثر في الوجود، أي: أن الله هو العالم، والعالم هو الله[1].

ومنشأ هذه العقيدة فلسفي، ترجع جذورها إلى فلسفة الإغريق، وأديان «الهند» الأولى؛ ثم انتقل هذا المفهوم إلى غلاة الصوفية، ليتخذ شكله الجديد عند «ابن عربي» وأمثاله، ومن ثم تناقلته الطرق الصوفية، وحمله

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٥٦٩).

مشائخها إلى «الهند» حيث كان مشهوراً لدى الصوفية الهنود في القرن العاشر الهجري[(١)]، ومن ثم تبنته «الأكبرية»، وارتكزت عليه.

ومن أشهر هؤلاء المشائخ كان «الشيخ عبد الرزاق الجهنجانوي»[(٢)]، وكان يقول: «إن الحق ـ سبحانه وتعالى ـ واجب الوجود، فإذا وجب وجوده، وجب عدم ما سواه، وما يُظَنُّ أنه سواه، ليس سواه؛ لأنه ـ تعالى ـ منزه عن أن يكون غيره سواه، بل غيره هو، فلا غير، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[(٣)]، فأشار إلى أن وجود الدهر، وجود الله ـ تعالى ـ لا أنه وراء العالم، تعالى وتقدس عن ذلك».

ويقول أيضاً: إن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ﴾[(٤)]، يعني المؤمنين المستقيمين بأنفسهم آمنوا بالله، بأن وجودكم

---

(١) وفي هذا القرن، كانت الطرق الصوفية وسلاسلها في أوج الانتشار والتطور في بلاد القارة الهندية، وأصبح عامة المسلمين مقيدين بهذه الطرق والسلاسل، حيث أصبح النكير عليها ضرباً من العبث.
وأشهر هذه الطرق التي انتشرت وتطورت في القرن العاشر الهجري، في ربوع القارة الهندية عشرة، وهي: ١ ـ الطريقة الشطارية. ٢ ـ الطريقة المدارية. ٣ ـ الطريقة القادرية، ٤ ـ الطريقة الجشتية. ٥ ـ الطريقة الصابرية، ٦ ـ الطريقة النقشبندية، ٧ ـ الطريقة السهروردية، ٨ ـ الطريقة الكبروية، ٩ ـ الطريقة العيدروسية. ١٠ ـ الطريقة القلندرية.
انظر: التفاصيل عن هذه الطرق في: الثقافة الإسلامية في الهند (١٧٩ ـ ١٨٧).
ـ رود كوثر (٣٥ ـ ٧٧).

(٢) هو: الشيخ عبد الرزاق بن أحمد بن محمد فاضل الرازي الجهنجانوي (٨٨٦هـ ـ ٩٤٩هـ).
من أشهر المشائخ الصوفية في الدعوة إلى التوحيد الوجودي في القرن العاشر. تنقل في البلاد، وأخذ علم التصوف عن أصحابه، وكان على مذهب «ابن عربي»، وله في ذلك رسائل كثيرة.
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٧٥، ١٧٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الألفاظ وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، عن أبي هريرة رضي الله عنه (٤/ ١٧٦٣، برقم٢٢٤٦).

(٤) سورة النساء: الآية ١٣٦.

وجود الله ـ تعالى ـ، وإليه أشار النبي ﷺ بقوله: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1] لأنه هو الأول والآخر، والظاهر، والباطن، وإذا ثبت ذلك ثبت أنك لست أنت، بل أنت هو».

كما كان يقول: «إن حجابه وحدانيته وفردانيته لا غير، ولهذا أجاز للواصل أن يقول: «أنا الحق»، وأن يقول: «سبحاني ما أعظم شأني»[2] إلى غير ذلك.

ومن أشهر مشائخ صوفية هذا العصر أيضاً «الشيخ أمان الله پاني پتي»[3] الذي ألف عديداً من الكتب والرسائل في نشر عقيدة وحدة الوجود، وكان من أعلم مشائخ الصوفية بهذه العقيدة، وكانت له مكانة كبيرة في الأوساط الصوفية إلى حد أنهم كانوا يلقبونه بابن عربي الثاني[4].

وكان تلميذه «الشيخ تاج الدين» المشهور بتاج العارفين[5] حمل لواء هذه العقيدة بعد رحيل أستاذه، وكان من المقربين عند الملك «أكبر»، ويقابله في خلوات الليل، ويسأله عن مسائل التصوف، فكان ينتهز هذه

---

(١) وهو حديث موضوع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو شيء من كتب الحديث، ولا يعرف له إسناد».
انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٩/١٦).

(٢) انظر: نزهة الخواطر (١٧٥/٤، ١٧٦).

(٣) هو: الشيخ عبد الملك بن عبد الغفور الپاني پتي، المشهور بأمان الله (٠٠٠ ـ ٩٥٧هـ).
من كبار مشائخ الصوفية، تعلم عند أبيه، وأخذ علم التصوف من مشائخ الصوفية في زمانه، كان على مذهب «ابن عربي» في التوحيد. له رسالة في إثبات «الأحدية»، وله «مرآة الحقيقة» و«شرح على اللوائح» للجامي.
انظر: نزهة الخواطر (٢١٦/٤، ٢١٧).

(٤) انظر: دين إلهي أوراس كاپس منظر (٦٦ ـ ٦٧).

(٥) هو: الشيخ تاج الدين بن زكريا بن عيسى الدهلوي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، من كبار علماء المنطق والحكمة والتصوف، أخذ العلم عن والده وعن الشيخ عبد الملك الپاني پتي. استقدمه السلطان «أكبر» في مجلسه، ومكن في قلبه الإلحاد، والزندقة، ومن أشهر مصنفاته: «شرح اللوائح» و«شرح نزهة الأرواح».
انظر: نزهة الخواطر (٩٨/٥، ٩٩).

الفرصة، ويشرح له مسائل التصوف، وكان يعتقد بإيمان فرعون، وأن الكفار لا يخلدون في النار، كما كان يفسر القرآن الكريم للملك على أساس عقيدة «وحدة الوجود».

وهذا الشيخ من الذين أجازوا سجدة التحية للملك «أكبر» على أنه «الإنسان الكامل» و«خليفة الزمان»، تتجلى فيه الصفات الإلهية، فهو مظهر من مظاهر الإله، فسجدته لا تكون السجدة لغير الله[1].

وكان قبل ذلك الشيخ «عبد القدوس الكنكوهي»[2] قائداً للدعوة إلى «وحدة الوجود»، ويشرحها في المجامع العامة، وذات مرة ألقى درساً في مسجده حول هذه العقيدة، وذكر فيه ما يتنافى والعقيدة الإسلامية، فغضب عليه الحضور، واستنكروا عليه، فقال الشيخ: «لا أقيم في بلدٍ لا يؤمن أهله بوحدة الوجود»، وترك الصلاة خلف إمام المسجد «الشيخ ركن الدين» - وهو ابنه - فلما سأله عن ذلك قال: «ديني غير ودينك غير»؛ لأنه لا يعتقد بالتوحيد الوجودي[3].

وحمل بعده تلاميذه هذا الاتجاه، وفي مقدمتهم «الشيخ أحمد الملتاني»[4].

---

(١) انظر: علماء هند كا شاندار ماضي (١/ ٦٦).
- دين إلهي أوراس كاپس منظر (٦٩).

(٢) هو: الشيخ عبد القدوس بن إسماعيل بن صفي الكنكوهي (٠٠٠ - ٩٤٤هـ).
أحد المشائخ الصوفية المشهورين في بلاد الهند، كان يجاور قبور المشائخ، ويستمع إلى الغناء ويفرط فيه. كان يشرح مسائل «وحدة الوجود» وأسرارها على عامة الناس، ومن أشهر مصنفاته: «شرح على عوارف المعارف»، و«أنوار العيون وأسرار المكنون» وكتاب في «المقامات»، توفي في كنكوه.
انظر نزهة الخواطر (٥/ ١٩٨، ١٩٩).

(٣) انظر: دين إلهي أوراس كاپس منظر (٦٩).

(٤) هو: الشيخ السيد الشريف أحمد الملتاني (٠٠٠ - ٠٠٠).
أحد العلماء البارزين في الفقه والأصول وعلم الكلام والعربية، كان تلميذ «الشيخ عبد القدوس الكنكوهي» قرأ عليه «عوارف المعارف» و«عرائس البيان» وغيرهما. كان من الدعاة إلى وحدة الوجود.
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٣٢).

وكان الملك «أكبر» في الطور الأول من حياته يتردد على هؤلاء المشائخ الصوفية، يعتقد فيهم، ويسمع عنهم، ويحضر مجالسهم، ويستقدمهم في بلاطه ـ كما تقدم ـ كما كان الفقهاء والعقلاء(؟) الذين يمدون الملك في اتجاهاته وتلبية رغباته متشبعين بعقيدة وحدة الوجود، هذا «أبو الفضل» ـ العضد الأيمن للملك في مذهبه ـ يهتف قائلاً: «يا رب من رأى حكماء المغول، ونساك جبل لبنان، ولاماوت التبت، وقسوس البرتغال، وكهنة المجوس، وعلماء الزندافستا (معناه الكلمة الحية، وهي كتب ديانة الفرس) رأى في جميع الهياكل تطلبك، وبجميع الألسنة تستعين بك، والتوحيد هو أنت، الإسلام هو أنت، وكل ديانة في الدنيا تقول: أنت وحدك لا شريك لك، إن كان جامع كانت هناك جماعة تناجيك بالصلاة، أو كنيسة كانت أجراس تقرع لشرفك، أزور أحياناً الجامع، وآونة الكنيسة؛ وفي كل معبد لا أنشد إلاك. وأصفياءك ليس لهم علاقة بالسنة ولا بالبدعة، لأنه لا واحدة منهما ملكت قدسية الحق، فأنا أترك الديانة لأهل الجماعة، والبدعة لأهل الفرقة، ونظير تاجر الطيب، وترتاح نفسي إلى شم جميع الورود»[1].

وعلى هذا أيضاً كان أبوه «الشيخ مبارك الناكوري» وصنوه «فيضي».

فكان من نتيجة ذلك أن كان يرى الملك أن الموجودات كلها مظاهر شتى لحقيقة واحدة، وهي الحقيقة الإلهية، فعبادة أي مظهر من المظاهر الإلهية تعتبر عبادة للحقيقة الإلهية، ويتبين بعد قليل كيف تعمقت هذه العقيدة في التشريعات التي شرعها الملك «أكبر» لمذهبه الجديد.

الثانية: وحدة الأديان:

إن فكرة «وحدة الأديان» مبنية على فكرة «وحدة الوجود» ومرتبطة بها ارتباطاً محكماً، وذلك أنه لما كان الوجود واحداً، وهو وجود الحق ـ جل

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٤/ ٣٠٥، ٣٠٦).

وعلا ـ وكانت مظاهر العالم تجليات الحق وصوره، كان ـ وبلا شك ـ في كل مظهر من مظاهر العالم نسبة من الألوهية بحيث يصدق عليه «إله» بالتنكير، لأنه عبارة عن صوره اللامتناهية[1].

وكان الملك يرى أن القارة الهندية تجمع أدياناً مختلفة وتضم أجناساً شتى، فأراد أن يجعل الدين واحداً على أساس عقيدة «وحدة الوجود» تحت شعار «صلح كل» أي: المصالحة مع الجميع، وكان يرى أن الإنسان يجب عليه «اتباع الحق» أي: «الحق المجرد» بغض النظر عن الدين والمذهب؛ لأن الحق ليس حكراً على دين أو مذهب بعينه، بل هو دائر بين جميع الأديان والمذاهب ـ على حد زعمه ـ والذي يميز الحق عن الباطل هو العقل ـ كما سيأتي ـ، وعلى ضوء ما دل عليه عقله وعقول أصحابه اختار مجموعةً من العقائد والأعمال، والتي يرى فيها أنها توحد صفوف جميع أهل الأديان، ويرفع من بينهم الشحناء والبغضاء[2] ـ على حد زعمه ـ وأبرز هذه العقائد والأعمال كالآتي:

الأولى: كلمة هذا المذهب:

رأى الملك أن جميع أهل الأديان يعتقدون «بالإله» الخالق، ويتفقون في ذلك، ولكنهم يختلفون في الإيمان بالرسالة، ولا يكادون يتفقون فيه على شيء، فرأى أنه من المصلحة لتوحيد أهل الأديان حذف الشق الثاني من كلمة التوحيد، ووضع نفسه في هذا الموضع بصفته رمزاً لهذه الوحدة، ومؤسساً لهذا المذهب الجديد، فأعلن أن كلمة الدخول في هذا المذهب تكون هكذا: «لا إله إلا الله «أكبر» خليفة الله»، ولما جُوبِه هذا الإجراء من الملك بالإنكار الشديد من الجماهير العريضة المسلمة؛ لما مس ذلك في

---

(١) انظر: رد الفصوص المسمى بـ «مرتبة الوجود ومنزلة الشهود» للملا علي القاري، رسالة علمية مقدمة من الطالب: عبد الله علي الملا (١/٥٠٦)، رقمها في المركز (١١٢٤).

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية وضعها أئمة المستشرقين في العالم، ترجمها: جماعة من العلماء (١٤٨/٤، ١٤٩)، كتاب الشعب، شارع قصر العيسى بالقاهرة.

صلب إيمانهم وعقيدتهم، سمح بالتفوه بها في دائرة أتباعه وأعوانه وفي محيط القصر الملكي، والمناسبات الرسمية[1].

الثانية: سجدة التحية:

كان المريدون والمعتقدون يسجدون للملك سجدة التحية والتعظيم حتى العلماء والمشائخ[2] والأمراء والأعيان، كلهم يخرون للملك سجداً، كلما دخلوا عليه الباب[3].

الثالثة: عبادة الشمس والنار:

كان الملك «أكبر» وأتباعه يعبدون الشمس أربع مرات في اليوم، وكان يرى أن للشمس علاقة خاصة بملوك الأرض، فيجب عليهم تقديسها، كما يتوجه إلى الشمس عند طلوعها، ويرتل «ألف اسم» لها باللغة السنسكريتية، ولما رأى «ملا شيري»[4] عناء الملك في ترديد هذه الأسماء نظَّمها في

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام (٥٨٣).
ـ حاضر العالم الإسلامي (٤/ ٣٠٧).

(٢) ومن البلية أن علماء السوء أولئك جعلوا يؤولونها، وأرادوا أن يتستروا وراء كلمات (سجدة التحية) وزمين بوسي (تقبيل الأرض). وبئس ما فعلوا أن سموا هذا الشرك الفظيع سجدة التحية وتقبيل الأرض. وكان قد روّج قبل «أكبر» أبوه «همايون بن بابر» التسليم راكعاً منحنياً على الأمراء والوزراء، وكانوا يسمونه بـ (كورنيش). ولما جاء الملك «أكبر» روج «سجدة التحية»، ولكن المسلمين أَبَوْها لكونها مخالفة للشرع الإسلامي، إلا أن كبار علماء الدولة، أمثال: «الشيخ تاج الدين الدهلوي» و«الشيخ يعقوب الكشميري» وغيرهما أفتوا بجوازها.
وقد أصبحت هذه السجدة التكريمية أسلوباً متبعاً في التسليم على الملك. وبقي العمل به جارياً حتى زمن الملك «جهانگير بن أكبر» (١٠١٤هـ ـ ١٠٣٧هـ). وأما الملك شاه جهان بن جهانگير (١٠٣٧هـ ـ ١٠٦٨هـ) فأعفى العلماء عن هذه السوءة، ولكن هذه الطريقة بقيت للعامة زمناً غير قليل من ولايته.
انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٧٥ ـ ٧٧).

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) هو: شيري بن يحيى الصياد اللاهوري (... ـ ٩٩٠هـ).
أحد المشهورين بالشعر والإنشاء. ولد في «لاهور». كان مفرط الذكاء جيد القريحة. من أشهر مؤلفاته «هربنس» كتاب في أخبار «كشن» عظيم الهنادك. ترجمه من اللغة =

قصيدة ليسهل عليه، ففرح الملك وشكر له ذلك[1]، وقد بلغ تعظيم الشمس شأواً بعيداً عند الملك حتى يقال عند ورود ذكرها «جلّت قدرتها» و«عزّت شأنها»، وكان يكرم «يوم الأحد» من أيام الأسبوع؛ لأنه ينسب إلى الشمس، ويأمر بعدم ذبح أي حيوان في هذا اليوم، وكان يعتقد أنها المتصرفة في العالم، واهبة النعم، المظلة على الملك بظلال ربوبيتها وما إلى ذلك من الخرافات.

وهكذا كان يقدس النار أيضاً؛ لأنه يرى أن النار مستمدة من الشمس، وهي مصدر النار ـ وتقدم ـ أنه أمر بأن تكون النار موقدةً في القصر الملكي، وأحضر النار المقدسة(؟) من «إيران»، واستقدم فريقاً من موقدي النيران من «كرمان» إلى «فتح پور سيكري». ولما سمع الملك من هذا الفريق أنه يوجد في «كرمان» أحد عباد النار يدعى بـ«أرد شير»، وله مكانة كبيرة ومنزلة خاصة عند أهل هذه الديانة، وجه إليه دعوة خاصة للقدوم إلى «الهند».

وانطلاقاً من تقديس النار كان من عادته أن يقيم تكريماً للشموع والقناديل حين تضاء في المساء حيث جعل لإيقاد السرج والشموع في القصر مراسم خاصة[2][3].

= الهندية إلى الفارسية بأمر من الملك «أكبر». وله ديوان شعر بالفارسية. توفي في «يوسف زئي» من أرض أفغانستان.
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٥٥، ١٥٦).

(١) ولما اشتهر عند الناس إلحاد الملك وعبادة الشمس رموه بالخروج عن الدين، فدافع عنه «العلامة أبو الفضل» وقال: «إن الذين يرمونه بالخروج عن الدين قصار النظر؛ لأن الشمس لو لم تكن واجبة التعظيم لما أقسم الله بها، ولما أنزل سورة الشمس في القرآن الكريم ـ على حد زعمه ـ.
انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢٢٥).

(٢) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢٢٤، ٢٢٥).
ـ مذاهب الإسلام (٥٨٣، ٥٨٤).

(٣) لقد دافع عنه المستشرقون واعتذر المتحمسون له في عبادة الشمس بأنه لما وضع عقيدة «التوحيد الإلهي» ـ على حد زعمه ـ وهي اعتقاد مجرد بالإله مما اتفقت عليه =

الرابعة: إسقاط فرائض الإسلام:

إنه أسقط فرائض الإسلام كلها، وفرض الحظر على أداء الصلوات في القصر، وأقدم على خطوة أخرى بأن أمر بهدم بعض المساجد وتحويلها إلى معابد هندوسية، وحظر على الناس أن يصوموا في شهر رمضان[(١)].

وفي عام (٩٨٩هـ) أصدر مرسوماً ملكياً بإلغاء الزكاة، واعتبر ذلك شفقة الملك وعطفه على الخلق، كما منع الناس عن أداء فريضة الحج، وبلغ الأمر به في ذلك عام (١٠٠٤هـ) أن كان يعاقب من اجترأ على ذكره بأشد أنواع العقوبة[(٢)].

الخامسة: استبدال تحية السلام:

ومما أقدم عليه أهل هذا المذهب أنهم استبدلوا بالسلام ـ سنة الإسلام وتحية أهل الجنة ـ كلمة «الله أكبر»، ـ وذلك في إشارة واضحة إلى تأليه «أكبر» نفسه ـ، وكانوا يردون هذه التحية الأكبرية بكلمة «جلّ جلاله» لكون «جلال الدين» لقباً للملك[(٣)].

السادسة: تقديس الخنازير والأبقار:

تمكن كبار رجال الدين الهندوس من إفهام الملك أن الخنزير مظهر

= كل المذاهب، ولكن لما كان الناس يريدون رمزاً للإله، وتحقق «أكبر» أنهم يريدون رمزاً، فهو يوصيهم بأن يجعلوا الشمس رمزاً للإله. وعلى الأرض «النار» التي هي من طبيعة الشمس.

«فياليت شعري لماذا تخصيص هذا الرمز بالشمس والنار؟ أفليس كل خلق الله رمزاً وآيةً؟ أو لا يكون ذلك مفضياً إلى اعتبار ذلك هو المعبود». أعاذنا الله من ذلك.

انظر: حاضر العالم الإسلامي (٤/٣٠٨، ٣٠٩).

(١) وكان أبو الفضل ـ العقل المدبر للمذهب الأكبري ـ كان يسمي شهر رمضان شهر الجوع والعطش. وأمر الملك رجال حاشيته أن يأكلوا ويشربوا جهاراً في نهار رمضان، وإن لم تكن لديهم حاجة للأكل أن يضعوا أوراق «التنبول» في أفواههم.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٧٩).

ـ الإمام السرهندي (١٠٤، ١٠٥).

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٨٨).

للإله ـ والعياذ بالله ـ لأن الإله تناسخ مرةً في صورة الخنزير، ولهذا يُعَدُّ النظر إلى الخنزير عبادة وسبب السعادة، ففتح الملك بيتاً للخنازير تحت قصره لينظر إليها كل صباح لما يقوم من النوم.

وهكذا كان من عادته النظر إلى البقرة في مناسبات دينية وفي كل يوم الأربعاء، لحصول البركة والسعادة، حتى بلغ من تقديس البقرة أن بدأ بتقديس أرواثها ـ كما يفعل الهندوس ـ كما أصدر فرماناً (مرسوماً) يمنع فيه ذبح البقرة[1].

السابعة: اعتناق التقاليد الهندوسية:

كان الملك «أكبر» يشارك في أعياد الهنادك ومواسمهم، بل كان يضرب بسهم وافر في العبادات والشعائر الخاصة بهم، فكان يضع القَشْقَة[2] والزُّنَّار[3].

ولما توفيت أمه «حميدة بانو» أقام عليها المأتم على الطريقة الهندوسية[4].

ولما زوج ابنه سليم بن أكبر ـ الذي تولى الحكم بعد وفاته ـ بنت «راجا بهگوان داس» ـ أحد كبار زعماء الهندوس ـ أقام تقاليد الزواج أيضاً على الطريقة الهندوسية، كما كان الملك يشرب دائماً من ماء نهر گنكا»[5]، [6].

---

(١) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢٢١).

(٢) وهي عبارة عن وضع نقطة من الطين الملون على الجبين، وتكون لها أحياناً خطوط أفقية، وهي من شعار الهنادكة يفعلونها لحصول البركة.

(٣) الزنار: عبارة عن فتيلة متخذة من خيط أبيض يلبسها رجال الدين الهندوسي في وسط الجسم.

(٤) إذا توفي أحد الهندوس فأقاربه يحلقون اللحى والشوارب والرؤوس، ولا يلبسون المخيط، ولا يتنعلون، ولا يأكلون اللحوم ولا الأسماك لمدة أربعين يوماً، وذلك حداداً على الميت.

(٥) وهو النهر المقدس لدى الهندوس، يعبدونه، ويتقربون بالاغتسال فيه، ويزعمون أن ماءه يطهر من الذنوب والآثام.

(٦) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢٢٩).
ـ تاريخ الدعوة الإسلامية (٧٢).

الثامنة: بدع ومنكرات أخرى:

١ ـ أباح للمسلمين الجدد أن يرتدوا عن دين الإسلام، ويرجعوا إلى أديانهم الأولى، بحجة أنهم أسلموا مكرهين.

٢ ـ أحلَّ الخمر وأباح بيعها على مرأى من الناس ومسمع، كما أحل لبس الحرير[١].

٣ ـ منع المسلمين من تزوج بنات العم والعمة، والخال والخالة، وكذلك منع أولادهم من الختان.

٤ ـ أباح للبغايا والعواهر أن يتعاطين أشغالهن تحت رقابة الحكومة.

٥ ـ أباح للناس المقامرة، وعقد مجلساً خاصاً للمقامرين في القصر الملكي، وبلغ من غوايته في هذا الباب أنه كان يقرض المقامرين من الخزانة الملكية بالربا.

٦ ـ أسقط الاغتسال من الجنابة، وكان الملك يرى هو وأصحابه أنَّ الاستحمام قبل الجماع أنسب وأوفق للطبائع البشرية.

٧ ـ شجع السفور والخلاعة، وأمر الفتيات أن يكشفن عن وجوههن إذا خرجن لحاجة عرضت لهن.

٨ ـ أفتى بجواز نكاح المتعة كما تقول به «الشيعة».

٩ ـ أصدر أمراً ملكياً بمنع اللغة العربية، وكذلك بالغ في تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخالصة[٢].

---

(١) كان يقول هذا الملك المغرور: إن الخمر إذا شرب لمنفعة بدنية، ولا يخرج به إلى الفساد، جاز شربه. فياليت لو وقف الأمر إلى هذا الحد، فيقل فساده، ويقل ضرره، ولكنه سهَّل على الناس شرب الخمور، ففتح محلات للخمور، يتوفر فيها كل أنواع الخمور مقابل سعر زهيد، فعم شرب الخمور. ووصل الأمر إلى هذا الحد أن الفقهاء والقضاة كانوا يشربون الخمور يوم «النيروز» على مجلس الملك. ذكر المؤرخون أسماء بعض العلماء والقضاة الذين لقوا حتفهم لكثرة شرب الخمور.
انظر: دين إلهي أور اس كا پس منظر (٢١٢).

(٢) بعد صدور هذا المرسوم أصبح من العسير جداً تعليم اللغة العربية وتعلمها، وما يتعلق =

١٠ ـ عطل أعياد المسلمين، وانقطع الاحتفال بها في عصره.

١١ ـ أبيح للناس أن يأكلوا لحوم النمر، والخنازير.

١٢ ـ أمر الملك رجال حاشيته بحلق اللحية، وكانوا يستهزؤون بها[١].

١٣ ـ أسقط الجزية عن المشركين كما ألغى ضرائب كان أوجبها من قبله من الملوك على مواسم الهنادك، ومواطن اجتماعهم، وكذلك أذن لهم في بناء معابد جديدة إذا شاؤوا، وقد كان ذلك محظوراً في زمن من تقدمه، فبنيت معابد جديدة للهنادك، وشيدت كنائس للنصارى، وبيع للمجوس، ودور عبادة لفرق أخرى وغيرها من سكان البلاد.

١٤ ـ أصدر مرسوماً عاماً بمنع ذبح البقرة لتعظيم الوثنيين إياها، وعبادتهم لها، وكذلك منع ذبح غيرها من الماشية في أيام مخصوصة، ثم تقدم خطوة أخرى وحظر على الناس أكل لحوم الثيران، والشياه والخيول والجمال.

= بها من العلوم الشرعية. ووضعت العلوم العقلية، والنجوم، والحكمة، والطب، والرياضة، والشعر، والقصة مكانها. وأوقفت الرواتب والجرايات لمدرسي العلوم الشرعية، فكسدت هذه العلوم، وتوقف تخرج الفقهاء والقضاة والأئمة والخطباء.
انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢١٩).

(١) كان الملك بدأ يكره اللحية بتأثير من الملكات الهندوسيات، ولما عرف علماء البلاط رغبة الملك بدأوا يبحثون عن المبررات والأدلة لتلبية هذه الرغبة، فذكر أحد المشائخ ـ وهو الشيخ الحاج إبراهيم السرهندي ـ بأن أهل الجنة «مرد» لا شعر على وجوههم. فقال الملك: لماذا لا نتشبه بأهل الجنة ونحلق لحانا؟ لما رأى فقيه آخر أن كلام الشيخ المذكور أعجبه الملك أحضر كتاباً مكتوب فيه: «لا تتركوا لحاكم كما يفعل بعض قضاة العراق». وكان النص الصحيح «عصاة العراق»، ولكن الفقيه حرّف النص ووضع لفظ «قضاة» مكان «عصاة» ليلبي رغبة الملك ويساير اتجاهاته. وانبرى آخر وقدّم دليلاً عقلياً على ذلك وقال: «إن شعرات اللحية تسقى بماء الخصيتين فلا فائدة في تركها». فأعجب الملك بكلام الفقهاء والعقلاء(؟)، وأمر بحلق اللحية. ووصل الأمر إلى هذا الحد أن القضاة والفقهاء الذين كانوا يوفرون لحاهم من قبل، بدأوا يحلقونها أمام الملك.
انظر: علماء هند كا شاندار ماضي (١/ ٢٣، ٢٤).

١٥ ـ ألغى التقويم الإسلامي الهجري، واتخذ تقويماً جديداً، وجعل بدءه اعتلاءه لسرير الملك، وسماه «التاريخ الألفي»[١]، [٢].

الثالثة: تقديم العقل على النقل:

عاش «أكبر» طفولة قلقة، وقضى حياة غير مستقرة، منعته عن مواصلة تعليمه كما ينبغي، فكان حظه من التعليم قليلاً، وذلك لأنه حين وُلِد كان أبوه مطارداً من قبل «شير شاه السوري الأفغاني»، فاضطر أن يترك ولده «أكبر» في «قندهار» ويتوجه إلى «إيران». وبعد رجوعه من «إيران» واستعادة مملكة «الهند» كان مشغولاً بتدبير أمور المملكة، وتوطيد أركانها مما صرفه عن العناية بأي شيء آخر، وكان ابنه «أكبر» يساعده في مطاردة فلول الحكام

---

(١) انظر: التفصيلات في: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٧٠ ـ ٨٩).
ـ مذاهب الإسلام (٥٨٢ ـ ٥٨٩).
ـ علماء هند كا شاندار ماضي (١/ ١٥ ـ ٣٣).
ـ دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢٠٣ ـ ٢٢٩).

(٢) كان الملك «أكبر» يبايع المعتنقين في المذهب الجديد، وأصدر مرسوماً بمنع البيعة عند مشائخ الطرق الصوفية ـ حسب العادة المتبعة في البلاد ـ وعين في ذلك الشرط والمباحث، فمن ثبت منه أنه أخذ البيعة من أحد، ترفع الدعوى ضده، فإما السجن، أو الترحيل إلى البلاد النائية.
وكان الملك هو الذي يأخذ البيعة من الناس على مذهبه الجديد. ويدعى مريده «چيلا» أي: المريد ـ حسب اصطلاح اليوگيين ـ الفقراء الهندوكيين ـ وكان الناس يأتون إليه فوجاً فوجاً، وكل فوج يضم اثنى عشر رجلاً، يبايعون على يد الملك. وطريقة البيعة أن يعترف أمام الملك بالكلمات الآتية:
«أنا فلان ابن فلان... أتبرأ من دين الإسلام التقليدي والمجازي الذي ورثته عن آبائي، وأدخل في «الدين الإلهي الأكبر شاهي». وأقبل الأركان الأربعة، وهي: ترك المال، والنفس، والعرض، والدين».
وكل من يحقق هذه الأركان أكثر كانت درجته أعلى، وبعد الانتهاء من مراسم البيعة كان «أكبر» يعطي نسخة من صورته، والتي يضعها المريد في غلاف مرصع بالجواهر الثمينة ويحتفظها في أكوار عمامته، ويعتبر وجود هذه الصورة مع المريد من أسباب السعادة والفلاح.
انظر: أئمهء تلبيس (٢/ ٩٠، ٩١).
ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٨٧، ٨٨).

السوريين، وقد توفي «همايون» (عام ٩٦٤هـ) إثر سقوطه من مدرجة مكتبته[١].

وتولى «أكبر» السلطة وعمره لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره دون أن يتاح له قدر يذكر من التعليم، فنشأ شبه أمي، ولكنه كان شغوفاً بالاطلاع على العلوم والمعارف، ومحباً للحكماء والعقلاء[٢]، فكان يسحر عقله، ويملك لبه كلّ عالم ذكي، فطن ألمعي، لا سيما إذا كان وافداً من «إيران» التي كان يَعُدُّها أبناء «الهند» بمنزلة «اليونان» في عصورها المزدهرة، وقصد بلاط الملك في تلك الفترة التي أصيب فيها «أكبر» في دينه وعقيدته عدد كبير من حكماء وفلاسفة «إيران»، وفي مقدمتهم «الحكيم أبو الفتح الگيلاني»[٣] و«الحكيم همام»[٤] و«ملايزدي»[٥] و«الحكيم نور الدين»[٦] و«فتح الله الشيرازي»[٧] و«شريف الآملي» وغيرهم.

وعدا هؤلاء النوابغ القاصدين من «إيران» اندس في البلاط في هذه الفترة المضطربة رجل هندوكي يدعى «برهم داس»، كان حاضر البديهة،

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٤/ ٣٠٨).

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٦٠).

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) هو الحكيم همام بن عبد الرزاق الگيلاني (... - ١٠٠٤هـ).
كان من علماء الشيعة المعروفين، وشقيق الحكيم أبي الفتح الگيلاني. قدم إلى مجلس الملك «أكبر» مع شقيقه. كان من الأشخاص البارزين الذين تأثر الملك بهم في العقل والفلسفة. كان اسمه «همايون» فغيره إلى «همام» تأدباً مع والده الملك «همايون».
انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٤٣٣).

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) هو: الشيخ نور الدين بن سلطان علي الرضوي الهروي (... - ٩٩٤هـ).
كان من العلماء البارزين في الهيئة، والهندسة، والاصطرلاب، والمنطق، والحكمة. ولد في «خراسان» وتربى في «المشهد»، قدم «الهند» أيام الملك «همايون بن بابر» والد الملك «أكبر»، وكان من جلسائه وندمائه. وهو من الأشخاص الذين أثروا في نفسية الملك «أكبر».
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٣٨٣، ٣٨٤).

(٧) تقدمت ترجمته.

بارزاً في المناظرة، فكهاً، ظريفاً، فتقرب إلى الملك، وتحكم في ذوقه وعقله، وتصدر في البلاط، وما لبث أن لقبه بـ«راجه بيربر»، وكان نديم الملك الخاص[1].

ومما زاد الطين بلة وصول «الملا مبارك الناكوري» وحصول ابنيه «فيضي» و«أبي الفضل» من الحظوة والتقدير عند السلطان ما لم يحصل لأحد من قبل[2].

فهؤلاء الرجال الذين كانوا نوابغ الزمان، وذوي الباع الطويل في العلم والثقافة، والمتبحرين في العلوم الحكمية والفلسفية، أثروا في تكوين عقلية الملك «أكبر»، حيث جعلوه متنوراً، ومتحرراً من كل قيد، وكان هذا الاتجاه العقلي هو «الركيزة الثالثة» في «المذهب الأكبري»[3].

وبعد الإعلان عن المذهب الجديد شكل الملك مجلساً استشارياً للعقلاء(؟) يضم أربعين عضواً، وكانت المهمة المنوطة بهذا المجلس هي النظر في المسائل المطروحة على ضوء «العقل»، فإذا وافق العقل يتم إدراجها في لائحة «عقائد وأعمال» المذهب الجديد، وإلا يرفض رفضاً باتاً، مما جعل مسائل الدين ألعوبة في أيدي هؤلاء العقلاء(؟).

ومن الأمور والأحكام التي صدرت عن هذا المجلس إسقاط الغسل من الجنابة، وذلك بحجة أن النطفة أصل الإنسان، وهي بذر الصالحين والأبرار، فما السبب أن الغسل لا يجب من خروج البول والبراز، ويجب من خروج المني؟ وجعل من المناسب أن يكون الاغتسال قبل الجماع لا بعده؛ لأن خروج المني لا يوجب الغسل.

ومن المسائل أيضاً التي أقر هذا المجلس هو إحلال أكل لحم النمر، وذلك بحجة أن لحم الخنزير لم يجز أكله لدياثته وعدم غيرته، فيجوز أكل لحم النمر لشجاعته وبسالته.

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٨٣). (٢) انظر: نفس المصدر.

(٣) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (٩/ ٥٦٧، مادة: أكبر).

ومن المسائل التي درسها المجلس المذكور وأصدر فيها حكمه مسألة تجهيز الميت وتكفينه، فقد اعتبر مسألة التكفين من الأعراف القديمة والعادات الجاهلية؛ ولذا أوجب أن يدفن الميت كما ولد عارياً بلا تكفين؛ لأن الكفن ثقيل على الميت المرتحل إلى العالم المجهول ـ كما يسمونه ـ[1]،[2].

وكان الملك «أكبر» ينكر الأحكام الشرعية والأمور الغيبية بحجة أن العقل لا يقبلها. ويقول عن المعجزات أن السفهاء هم الذين يؤمنون بالمعجزات، ولكن العقلاء لا يعتقدون في شيء إلا بعد تحققه وثبوته بالدلائل.

وقال مرة لأصحابه ـ ساخراً بمعجزة الإسراء والمعراج ـ: «كيف يتصور أن يقبل العقل أن شخصاً يحمل جسماً ضخماً يبلغ بغتةً عنان السماء، ويتحدث مع الله ـ تعالى ـ . . . ويبقى فراشه دافئاً ثم يقبل الناس هذه الدعوى».

ووجّه سؤالاً إلى الحاضرين ـ وقد رفع إحدى رجليه ـ قائلاً: «لا يمكن أن أقوم إلا بأن تكون الرجل الثانية مستندةً على الأرض، فما هذه الخرافات»[3].

وتكلم ذات يوم أمام مريديه وأتباعه عن الرسم والتصوير فقال: «إن فريقاً من الناس يعادون فن التصوير، ويبينون عيبه وفساده، ولكن القلب لا يقبل أقوالهم وأدلتهم، بل إن ما يدل عليه العقل، وتشهد عليه القرائن، أن

---

(١) ومن هنا يتبين تناقض آراء هؤلاء، حيث يأمر الملك مريديه بوضع جمرة موقدة على فم الميت، وفتح فرجة في القبر باتجاه الشرق لتدخل منها أشعة الشمس عند شروقها. ويأمر ثانيةً بإغراق الموتى في أعماق البحار، وثالثة بتعليقها على الأشجار الشاهقة. وهنا يوصي مجلس العقلاء الموقر(؟) بدفن الميت كما ولدته أمه. فوأسفاه على عقول هؤلاء.

(٢) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢١٠).
ـ علماء هند كا شاندار ماضي (١/ ٥٣، ٥٤).

(٣) انظر: الإمام السرهندي (١٠٦، ١٠٨).

المصور يكون أقرب إلى معرفة الله ـ تعالى ـ من غيره من الطبقات البشرية المختلفة؛ لأنه عند تصويره لحيوان يأتي بشبيه لكل عضو من أعضائه، ثم حين يكمل الصورة، وينظر إليها يرى أنه رغم هذه الريشة المصورة الساحرة، يعجز تماماً عن أن ينفخ فيه الروح، فتتجلى له عند ذلك قدرة الخالق المطلقة، ويسجد أمام هذا الصانع العظيم»[1].

وهكذا كان يرى تحريم أكل اللحم والسمك، ويصف ذلك بأنه قتل وإماتة للحيوانات البريئة، كما يرى إبعاد بيوت الجزارين والصيادين عن عامة السكان، وأخذ الغرامة من كل من يتصل بهم، ويقابلهم[2].

فانظر إلى أي من التخبط والاضطراب قادتهم عقولهم، فهل في ذلك عقل، إن ذلك شأن كل من يترك شرع الله ويتبع هواه.

ب ـ أشهر دعاتها:

استطاع الملك «أكبر» أن يجذب إلى مذهبه الكثيرين من علماء السوء، وأن يجند الكثيرين منهم لحمل دعوة «الأكبرية» وتقديمها للناس بشيء يهيء لها القبول في نفوسهم، فكان لها دعاة كثيرون، تحملوا عبء هذه الدعوة المزيفة.

وفيما يلي أقدم ترجمة موجزة لأهم وأشهر دعاة «الأكبرية» من أولئك الذين كان لهم أكبر الأثر في الدعوة إليها، وازدهارها، ومنهم:

أولاً: الشيخ مبارك الناكوري:

هو مبارك بن خضر الناكوري (٩١١هـ ـ ١٠٠١هـ).

أصله من «اليمن»، كان أبوه «خضر» قد قدم «الهند» لغرض السياحة، وأقام في «ناكور»، وكان لا يعيش له ولد؛ ولما ولد له هذا المولود عام (٩١١هـ) سماه «مباركاً»[3]. ولما شبّ المولود سافر إلى إقليم «كجرات»

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (١٠١، ١٠٢). (٢) نفس المصدر (١٠٥).

(٣) انظر: مآثر الأمراء (٢/٥٨٨).

وتتلمذ على «الخطيب أبي الفضل الكاذوراني»[1]، و«الشيخ عماد الطارمي»[2]، كما درس عند علماء آخرين، واهتم بعلم التصوف وفاق فيه الأقران[3].

وفي عام (٩٥٠هـ) انتقل إلى «آغرا» واشتغل بتدريس العلوم المختلفة، وكانت حياته في هذه المرحلة حياة زهد وتقشف، وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ثم انقلب رأساً على عقب، وتقلب في أطوار مختلفة من حياته، ففي زمن «سليم شاه السوري» اشتهر بانتمائه إلى الفرقة «المهدوية» وتحمل في ذلك معاناة كثيرة، وفي المرحلة الأولى من حياة الملك «أكبر» لما كان معتقداً في المشائخ الصوفية، كان ينسب نفسه إلى الطريقة الصوفية «النقشبندية»، ولما لاحظ قدوم علماء «الشيعة» من «إيران» إلى البلاط الملكي، وميول «أكبر» إليهم، أقام الصِّلات معهم، وأصبح من «الشيعة»[4].

ومن أعظم ما جرَّأ الملك «أكبر» على إنشاء هذا المذهب وشجعه على سياسته المعادية للدين الحنيف، مصاحبته لثلاثة رجال من ذوي العلم،

---

(١) هو: الخطيب أبو الفضل الكاذوراني (... ـ ٩٥٩هـ).
أحد الأساتذة المشهورين. ولد ونشأ بمدينة «شيراز» وقرأ العلم على «جلال الدين الدواني» وغيره، ثم قدم «الهند» ودخل إقليم «كجرات». أخذ عنه «الشيخ مبارك بن خضر الناكوري» وخلق كثير، وله تعليقات نفيسة على تفسير «البيضاوي» و«حاشية على شرح المواقف».
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٢، ١٣).

(٢) هو: الشيخ محمد بن محمود الطارمي (... ـ ٩٤١هـ).
ولد في «طارم» في إقليم «خراسان»، ونشأ بها، وتتلمذ عند «جلال الدواني» صاحب المصنفات المشهورة، قدم «الهند» بكتب الدواني وسكن في «كجرات»، وتخرج عليه علماء كثيرون. توفي في «كجرات».
انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٣١٥، ٣١٦).

(٣) انظر: تذكرة علماء هند (تذكرة علماء الهند)، لمولوي رحمان علي (٤٠٢)، ترجمة: محمد أيوب قادري، پاكستان هسٹاريكل سوسائٹي، كراچي.

(٤) انظر: مآثر الأمراء (٢/ ٥٨٨).

جعلوا الهجوم على الدين مطية لأهوائهم، وشفاءً لما في صدورهم من البغضاء والحقد لعلماء عصرهم، وهم: «الشيخ مبارك الناكوري»، وابناه «أبو الفضل»، و«فيضي»[1].

ولقد كان «الشيخ مبارك» ـ وهو الركن الأول من هذا الثالوث ـ مضطرب النفسية، قلق التفكير، درس المذاهب الفقهية الأربعة، واطلع على الخلافات فيها، فاتجه إلى الكراهية لها، والنفور منها، وإنكار فضلها، بدل أن ينحو نحو الجمع والتطبيق، والتوجيه الصحيح، أنكر هذا التراث الفقهي العظيم، وسيطرت عليه الفلسفة لانضمامه إلى حلقة «أبي الفضل الكاذوراني» ـ تلميذ «جلال الدين الدواني» ـ و«عماد الدين الطارمي» من كبار فضلاء العلوم العقلية المعروفين من أبناء «شيراز»، كما طالع كتب «التصوف الإشراقي»، فكان من نتيجة ذلك أن نشأت فيه طبيعة متقلبة مضطربة بعد أن مرّ بهذه الأودية والشعاب، وتكونت فيه ـ من جراء ذلك ـ القدرة على التلون بكل لون، والسير في كل مسار.

أضف إلى ذلك أن هؤلاء الثلاثة ـ مبارك وابناه فيضي وأبو الفضل ـ أصحاب طموح وطلب للجاه والنفوذ، فاستظلوا بظل الملك «أكبر» حتى تحقق لهم ذلك[2].

و«الشيخ مبارك» هو الذي مهد للملك لـ لإقدام على خط الانحراف، حيث تولى صياغة مرسوم العصمة أو محضر الاجتهاد الذي خول الملك درجة المجتهد المطلق، والمرجعية النهائية في شؤون الدين، وقد كتب بعد التوقيع على هذا المحضر: «هذا أمر كنت أنتظره، وأتمناه من صميم القلب منذ أمد بعيد»[3].

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٦٧، ٦٨).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٨٤، ٨٥).

ـ دين إلهي اور كا پس منظر (٩٢، ٩٤).

(٣) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (١٨/ ٤٣٠).

ومما يدل على انحرافه في التفكير أنه قال ذات مرة مخاطباً «الراجه بيربر» ـ أحد زعماء الهندوس ـ: «كما أن الكتب الهندوسية حرفت كثيراً، وهكذا الدين الإسلامي لم يسلم من يد التحريف، فمن أجل ذلك لا يعتمد على هذا الدين أيضاً»[1].

وفي آخر عمره لما كبر سنُّه، وضعف بصره، وعجز عن النشاط المعهود، اشتغل بتفسير القرآن، وصنف تفسيراً كبيراً في أربع مجلدات، سماه «منبع نفائس العيون»، وكان يواظب على التائية «لابن الفارض»، وقصيدة البردة «للبوصيري»، وقصيدة «كعب بن زهير»، وقصائد أخرى كانت محفوظة عنده فيقرؤها كل يوم عن ظهر قلبه. توفي في «لاهور»، ودفن فيها[2].

ثانياً: الشيخ أبو الفيض فيضي:

هو: أبو الفيض فيضي بن مبارك بن خضر الناكوري (٩٥٤هـ ـ ١٠٠٤هـ).

ولد بمدينة «آغرا»، وهو الابن الأكبر للشيخ مبارك، أخذ العلم عن والده، وعن «الشيخ حسين المروزي»، كان حاد الذهن، ويتمتع بالذكاء الخارق من الصغر، برع في جميع العلوم، خاصة في الأدب العربي والطب، ولما علا صيته وذاعت شهرته إلى آذان الملك طلبه إلى المجلس، وذلك عام (٩٧٤هـ)، ومدح الملك بقصيدة طويلة فلقبه بملك الشعراء[3].

وإذا كان أبوه «الشيخ مبارك» قد فتح للملك الباب على مصراعيه، ليأخذ ما يشاء ويذر ما يريد من أمور الدين، فإن «فيضي» لعب دوراً هامّاً في توجيه الملك في انحرافاته وضلالاته، وقد انتشرت أفكار «فيضي» وآراؤه الإلحادية في الآفاق، وذاع صيتها في الأطراف[4].

---

(١) انظر: أئمه تلبيس (٢/ ٨٨).
(٢) انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٣٢١).
(٣) انظر: مآثر الأمراء (٢/ ٥٨٩).
ـ نزهة الخواطر (٥/ ٢٦).
(٤) الإمام السرهندي (٨٩).

وهذا «الشيخ عبد الحق الدهلوي» يقول: «إنه ـ أي فيضي ـ كان ممن تفرد في عصره بالفصاحة، والبلاغة، والمتانة، والرصانة، ولكنه لوقوعه وهبوطه في هاوية الكفر والضلالة، أثبت على جبينه نقوش الرد، والإنكار، والإدبار».

ويقول: «الشيخ عبد القادر البدايوني»: «(إنه ـ فيضي ـ كان مخترع الجد، والهزل، والعجب، والكبر، والحقد، وقد جمع فيه من الخصال الغير المرضية ما لم يجمع في غيره من النفاق، والخبث، والرياء، والخيلاء، وحب الجاه، والرعونة، وكان غايةً في العناد، والعداوة لأهل الإسلام، والطعن في أصول الدين، والحط من الصحابة وتابعيهم، والسلف، والخلف من القدماء، والمتأخرين، والمشائخ من الأحياء والأموات، حتى كان اليهود والنصارى، والهنادكة والمجوس، يفوقونه[1] ألف مرة في هذا الباب».

«وكان يحل المحرمات الشرعية، ويحرم الفرائض، والمباحات، وصنّف تفسيراً للقرآن لتطهير عرضه عن ذلك بمشهد من الناس، وكان يصنفه في حالة السكر والجنابة، وكانت الكلاب تطأ أوراقها، حتى مات على ذلك الإنكار، والإصرار، والاستكبار، والإدبار، تورم وجهه في مرض الموت، واسود، فكان يعوي كالكلاب»[2].

ويقول «الشيخ صديق حسن خان القنوجي»: «وكان فيضي على طريقة الحكماء، وكذا إخوانه أبو الفضل وغيره، وكانوا معروفين بانحلال العقائد، وسوء التدني، والإلحاد، والزندقة، نعوذ بالله منها»[3].

ولـ«الشيخ فيضي» مؤلفات وترجمات عديدة تدل على اقتداره في العلوم والفنون، منها:

١ ـ ترجمة **«ليلا واتي»** في الحساب والمساحة، نقله من السنسكريتية إلى الفارسية.

---

(١) هكذا جاء في النص، لعل الصواب «كان يفوق اليهود...».

(٢) انظر: نزهة الخواطر (٥/٢٧، ٢٨). (٣) انظر: أبجد العلوم (٣/٢٢٥).

٢ ـ «**مركز أدوار**».

٣ ـ «**نلدمن**»: قصة هندية قديمة نظمها في أربعة آلاف بيت باللغة الفارسية.

٤ ـ «**الطيفه فيضي**».

٥ ـ «**طباشير الصباح**» ديوان شعر فيه تسعة آلاف بيت.

٦ ـ «**بهاكوت كيتا**» نقله عن السنسكريتية إلى الفارسية.

٧ ـ «**سليمان وبلقيس**»: منظوم قصصي باللغة الفارسية يحتوي على أربعة آلاف بيت.

٨ ـ «**هفت كشور**»: منظوم تاريخي يحتوي على خمسة آلاف بيت.

٩ ـ «**سكندر نامه**»: تاريخ سكندر المقدوني نظمه في خمسة آلاف بيت.

١٠ ـ «**أكبر نامه**»: تاريخ الملك «أكبر» نظمه في خمسة آلاف بيت.

١١ ـ «**موارد الكلم**»: وهو باللغة العربية، وبغير نقاط[١].

١٢ ـ وأشهر مصنفاته «**سواطع الإلهام**» في تفسير القرآن، وهو غير منقوط أيضاً[٢].

---

(١) قال فيضي في مقام التسمية من هذا الكتاب: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». وقال في مقام التحميد: «الحمد لملهم الكلام الصاعد، وهو المحمود أولاً والحامد، ما وحدّه موحد إلا هو، والله إلهكم إله واحد. ما درك أسرار علومه العلماء، وما حرّك سلاسل حكمه الحكماء، وما طار طاوس الروح هواء وصاله، وما سار وساع الوهم صحراء كماله، اللّهم صل وسلم رسولاً مودوداً، محمداً، محموداً، اسمه أحمد أصعد، محدد حدود الحلال والحرام، مسدد مصاعد صواعد الإسلام، وآله الأطهار، وأهله الأحرار، ما دام مرور الدهور، وطور الأعصار، أعلمهم ولد عمه أسد الله الكرار».

نقلاً من نزهة الخواطر (٥/٢٨، ٢٩).

(٢) وقال في مقدمته مادحاً تفسيره:

توفي في «آغرا» ودفن هناك، وقيل: دفن بمدينة «لاهور» عند قبر أبيه[1].

ثالثاً: الشيخ أبو الفضل:

هو أبو الفضل بن المبارك بن خضر الناكوري (٩٥٨هـ ـ ١٠١١هـ).

وهو الابن الثاني للشيخ «مبارك» وُلد في «آغرا»، ويصغر أخاه بأربع سنوات، تعلم على أبيه، وصنوه الكبير «أبي الفيض فيضي»، وفرغ من تحصيل العلوم المتداولة في الخامسة عشرة من عمره، ثم أقبل على العلوم الحكمية والفنون الأخرى حتى فاق الأقران.

كان خارق الذكاء، حاد المزاج، عالي الهمة، مفوهاً في الخطابة، وهناك حكايات وواقعات تدل على نبوغه وشدة ذكائه، كان يحب العزلة

= ألـواح سـحـر أم طـلـسـم مـكـرم ... لأسـرار روح لـلـسـواطـع مـلـهـم
لـسـحـرٌ حـلالٌ والـسـطـوعُ طـلـسـمـه ... ومـا هـو سـحـر أو طـلـسـم مـحـرم
صراح لأصل الأصل طرس مطهر ... لـكـل الـكـل عـلـس مـطـهـم
ومـا الـعـلـم إلا هـو أصـل لـكـلـمـه ... لأعـلام أسـمـاء الـعـوالـم آدم
إمـام هـمـام لـلـكـلام مـؤول ... صـلاح سـداد لـلـسـلام مـسـلـم

إلى آخر القصيدة.

نقلاً من نزهة الخواطر (٥/ ٢٩).

وقال الشيخ الندوي معلقاً على هذا التفسير: «ألَّف فيضي هذا التفسير الذي التزم فيه بأن لا يستعمل أياً من الحروف المعجمة، والذي طار صيته في عصره، وتحدث به القاصي والداني، لإثبات فضله ونبوغه، والرد على اتهامه بالانصراف عن العلوم الدينية. ولكن هذا العمل، مهما أثبت له من قدرته على اللغة العربية، وامتلاك لناصية البيان فيها، لم يضف شيئاً علمياً مفيداً. وإنما مثله مثل الكتبة البارعين في الخط، الذين كانوا يتظاهرون بدقة خطهم، وجمال فنهم، بكتابة سورة الإخلاص ـ كاملة ـ على حبة واحدة من الأرز، فجاءت ـ نتيجة ذلك ـ عبارة متكلفة لا لذة فيها، ولا جمال، ولا طراوة».

انظر: الإمام السرهندي (ص٨٨ تعليقة رقم(١)).

(١) انظر: مآثر الأمراء (٢/ ٥٩١، ٥٩٢).
ـ نزهة الخواطر (٥/ ٣٠، ٣١).
ـ علماء هند كا شاندار ماضي (٢/ ٧٧).

والحرية، ولهذا لم يتزوج، وكان يتصور أن الزواج يقيد من حريته، وقدم إلى مجلس الملك ولأول مرة عام (٩٨١هـ) بمدينة «آغرا»، وأهدى إليه تفسير «آية الكرسي» فاستحسنه، وكان ـ أي: الملك ـ يقصد الذهاب إلى النواحي الشرقية من البلاد في عملية عسكرية، ووعده بالمقابلة بعد العودة، وبعد رجوعه من العملية حضر «أبو الفضل» إلى الملك، وأهدى إليه تفسير «سورة الفتح» وذلك عام (٩٨٢هـ)، فأكرمه ومنحه منحاً كثيرة، وقربه إلى نفسه، فتدرج إلى نهاية القرب حتى فاز بالوزارة[١].

ولعب «أبو الفضل» دوراً أكثر أهمية من والده «الشيخ مبارك»، وصنوه الكبير «فيضي» في دعم سياسة الملك «أكبر»، وتوجيهه في اتخاذ المواقف المعادية للدين الحنيف، وذلك بتبرير اتجاهاته من الناحية الدينية والعقلية ـ على حد زعمه ـ وبعد الوصول إلى مجلس الملك لاحظ «أبو الفضل» أن الملك بدأ يكره علماء الدين ـ وهم علماء السوء ـ لكثرة خصوماتهم التي تثار أمام الملك، خاصة بين صدر الصدور «الشيخ عبد النبي»، ومخدوم الملك «عبد الله السلطانبوري»، فكان هو على اهتمام بالغ لتلبية رغبات الملك، وتبرير توجيهاته، فكان يدافع عن رأي الملك، ويمدحه، ويوجه إلى العلماء الأسئلة المفحمة والمسائل التعجيزية، ويذلهم إذلالاً، فكان من نتيجة ذلك، أن ضعف مركز علماء البلاط، وضاعت هيبتهم، وزاد هو مكانةً وقربةً[٢].

كان «أبو الفضل» إنساناً متحرراً، طليقاً من القيود الدينية، ومضللاً، كائداً للإسلام، وهو أهم من جرأ الملك على إنشاء مذهبه الجديد، بعد إقناعه بأن آراءه الدينية ومباحثه العقدية أفضل وأحسن من آراء العلماء المعاصرين[٣].

---

(١) انظر: مآثر الأمراء (٢/ ٦١١، ٦١٢).
ـ نزهة الخواطر (٥/ ٢٤، ٢٥).
(٢) انظر: مآثر الأمراء (٢/ ٦١٢).
(٣) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (١/ ٨٨٩).

يقول المؤرخ شاهنواز خان:

«إن تكفير الشيخ «أبي الفضل» كان مشهوراً على لسان الخاص، والعام، يعتقد فريق أنه على طريقة البراهمة، ويعتقد آخرون أنه من عبدة الشمس، ويرى فريق آخر أنه من الدهرية، كما يذهب البعض الآخر إلى أنه من الملاحدة والزنادقة، ويقول الصوفية: إنه كان على طريقة «المصالحة مع الجميع» و«وحدة الوجود» وكان متحرراً من قيود الشريعة وعلى طريقة الإباحة»[(١)].

يقول الشيخ عبد القادر البدايوني: «قابلْتُه مرةً في الطريق فسألته إلى أي دين، وإلى أي مذهب تميل نفسك؟ فقال: أرغب أن أسير في وادي الإلحاد حيناً من الزمن، فقلت: فلماذا لا تنبذ عقد الزواج؟[(٢)] فضحك ولم يرد شيئاً»[(٣)].

ويقول صاحب كتاب «عالم آرائي عباسي» ـ سكندر منشي ـ: «إن الشيخ أبا الفضل كان نقطوياً[(٤)]، والدليل على ذلك رسالته التي وجّهها إلى «مير سيد أحمد الكاشي» ـ أكبر دعاة «النقطوية» وصاحب التصانيف في علم النقطة ـ لما قتله «الشاه عباس الصفوي» بيده عام (١٠٠٢هـ) وجدت هذه الرسالة عنده»[(٥)].

يقول الملك جهانگير بن أكبر: «لقد لقن «الشيخ أبو الفضل» والدي أن خاتم النبيين محمد ﷺ كان أفصح الناس، وأن القرآن من تأليفه، ولذلك أوعزت إلى «نرسنگهـ ديو» عند عودة «أبي الفضل» من الجنوب، أن يقتله، وكان والدي ـ بعد ذلك ـ تاب من هذه العقيدة»[(٦)].

وكان شديد التعصب لوحدة الأديان ـ وقد تقدم ـ بأنه كان يهتف

---

(١) انظر: مآثر الأمراء (٢/ ٦١٢).
(٢) هذا يدل على أنه تزوج فيما بعد.
(٣) انظر: أنمه تلبيس (٢/ ٩٢).
(٤) نسبة إلى الفرقة النقطوية، تقدم الحديث عنها في الفصل الأول.
(٥) انظر: مآثر الأمراء (٢/ ٦١٢).
(٦) انظر: نفس المصدر (٢/ ٦١٨، ٦١٩).

قائلاً: «... كل ديانة في الدنيا تقول: أنت وحدك لا شريك لك، إن كان جامع كانت هناك جماعة تناجيك بالصلاة، أو كنيسة كانت أجراس تقرع لشرفك، أزور أحياناً الجامع، وآونة الكنيسة، وفي كل معبد لا أنشد إلاك»[1].

وله تأليفات وترجمات عديدة، ومن أهم مؤلفاته:

١ ـ «**آئين أكبري**»: وهو أهم تصانيف «أبي الفضل»، تحدث فيه عن نظام الملك في عهد الملك «أكبر» وآدابه في المالية، والملكية، وبيان أقطاع الهند، وعادات الهنادكة والبراهمة في تقسيم الساعات وضبط التواريخ والأوقات.

٢ ـ «**أكبر نامه**»: وهو كتاب في تاريخ الملوك من أولاد تيمور إلى عهد الملك جلال الدين «أكبر».

٣ ـ ترجمة «**حياة الحيوان الكبرى**» للدميري، ترجمه إلى الفارسية بأمر من السلطان.

٤ ـ ترجمة الإنجيل بالفارسية.

٥ ـ «**عيار دانش**»: وهو ترجمة «كليلة ودمنة» بالفارسية المروجة في ذلك العصر عن الفارسية القديمة.

٦ ـ «**مجموع الرسائل والمكاتيب**»: وهي مجموعة الخطابات التي وجهها «أبو الفضل» إلى الملوك والأمراء باسم الملك «أكبر» أو باسمه شخصياً.

قتله «راجا نرسنگهه» ـ أحد زعماء الهندوس ـ عند عودته من «الدكن»، فتأسف الملك بموته تأسفاً شديداً وبكى عليه[2].

---

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي (٤/ ٣٠٥).
(٢) انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٢٦).
ـ اردو دائره معارف إسلامية (١/ ٨٩٠، ٨٩١).

المبحث الثالث

آثارها

خلّفت «الأكبرية» آثاراً سيئةً في الدين والمجتمع، فقد تبدلت الأرض غير الأرض، من جراء هذا المذهب، ولا غرو في ذلك، إذ كان مؤسسه الملك «أكبر» حاكم بلاد «الهند» بلا منازع، وفي يده السلطة، والقوة، يحمل الناس على مذهبه بالرغب والرهب، وقد قيل: «الناس على دين ملوكهم»، هذا، وأهم آثار هذا المذهب أوجزها فيما يلي:

أولاً: غربة الإسلام:

فقد أصبح الإسلام غريباً، وصار أهله غرباء في بلاد «الهند» من جراء هذا المذهب، ولم تعد للإسلام قوةٌ في البلاد ـ كما كان سابقاً ـ كما ذهبت هيبته من قلوب كثير من المسلمين، يصور الإمام السرهندي[1] ـ وهو الذي تصدى لهذا المذهب الخطير ـ هذه الغربة فيقول: «فقد أجرى الكفار أحكامهم في دار الإسلام على الملأ بطريقة الغلبة والاستيلاء، حتى عجز المسلمون عن إظهار أحكام الإسلام، بحيث من أظهره قتلوه، وا ويلاه، وا مصيبتاه، ويا حسرتاه، ويا حزناه، على ما صار مصدقو محمد رسول الله ﷺ محبوب رب العالمين، أذلاء حقيرين، عديمي المقدار، ومنكروه في غاية العز، والاعتبار، والمسلمون في تعزية الإسلام مع قلوب مجروحة، والمعاندون يرشون الملح على جراحاتهم بالسخرية، والاستهزاء، وشمس

---

(١) هو: الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي، المعروف بـ «مجدد الألف الثاني» (٩٧١هـ ـ ١٠٣٤هـ). سيأتي الحديث عنه في الفصل الثامن من هذا البحث إن شاء الله ـ تعالى ـ.

الهداية مستورة تحت أفق الضلالة، ونور الحق منزو، ومنعزل في حجب الباطل. . . »[1].

ويقول في موضع آخر من مكتوباته: «الإسلام بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء، وقد بلغت غربة الإسلام حداً، يطعن الكفار في الإسلام بين ملأٍ، ويذمون المسلمين، ويجرون أحكام الكفر بلا تحاشٍ، ويمدحون أهله في الأزقة، والأسواق، والمسلمون عاجزون، ممنوعون من إجراء أحكام الإسلام، ومطعون فيهم إتيان أحكام الشرائع عند هؤلاء الكفرة اللئام»[2].

يتبين من خلال هذه النصوص مدى الغربة التي وصل إليها الإسلام في بلاد «الهند» من غلبة الكفر على الإسلام، وسيطرة الشر على الخير إبان غلبة «الأكبرية»، ومما زاد الطين بلةً، والوضع سوءاً، أن تطاولت أعناق «الرافضة»، وصارت لهم صولة وجولة في تصريف شؤون البلاد، فكانت كفتهم هي الراجحة، و«أهل السنة» مغلوبون[3].

وبلغ الأمر إلى هذا الحد أنه لما مات الملك «أكبر» عام (١٠١٤هـ)، وخلّف من بعده ولده «سليم» وتلقب بـ «جهانگير»، فاقتفى أثر أبيه، وحذا حذوه في سياسته، وعين كبير دعاة الروافض «نور الله الشستري»[4] رئيساً للقضاة، ويدل ما آل إليه الأمر في عصر الملك «أكبر» وبداية عهد ولده «جهانگير» من «المذهب الأكبري» ما كتبه الإمام ولي الله الدهلوي[5] حيث

---

(١) المنتخبات من مكتوبات الإمام السرهندي (١٤)، طبعة (١٣٩٨هـ)، مكتبة أيشيق، استانبول، تركية.

(٢) نفس المصدر (ص٢٥).

(٣) انظر: أئمه تلبيس (٢/ ٨٧).

(٤) هو: السيد نور الله بن شريف بن نور الله الحسيني الشستري، المعروف عند الشيعة بالشهيد الثالث (٩٥٦هـ - ١٠١٩هـ).
ستر د له ترجمة مفصلة في الفصل السابع من هذا البحث إن شاء الله - تعالى -.

(٥) هو: الشيخ الإمام أحمد بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري، المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (١١١٤هـ - ١١٧٦هـ).
ولد في «دهلي» في أيام الملك الصالح «عالمگير»، أخذ العلم عن والده «الشيخ =

قال: «... وتولى السلطنة بعده (أي همايون) ولده «أكبر» فتزندق، وارتفعت راية الجهل، والضلال، وثاب من كل أوب أهل الملل المختلفة، والمذاهب الباطلة، وعظمت الفتنة، وتولى بعده ولده «جهانگير» وكان ماجناً مدمناً للخمر، فرفعت الهنود رؤوسها، ونصبت الروافض رؤوسها»[1].

ثانياً: أثرها في الحياة الاجتماعية:

من الآثار الضارة للمذهب الأكبري: إن الحياة الاجتماعية في هذا العصر قد اصطبغت بالصبغة الهندوكية الوثنية أيما اصطباغ، ولم يبق للإسلام فيها عين ولا أثر، حتى أبنية المساجد المبنية في بداية عهده كانت أشبه بمعابد الهنادك منها بالمساجد.

ومن مظاهر الارتداد الاجتماعي أن كلمة «الله أكبر» أصبحت شعاراً للكُتّاب والمصنفين، يبدؤون بها كتاباتهم، يريدون بذلك تأليه الملك «أكبر» ولو من طرف خفي[2].

كما درج مؤلفون آخرون في مقدمة كتاباتهم بعد الحمد لله ـ تعالى ـ والثناء عليه، يذكرون الملك «أكبر» بالتبجيل والتكريم، والألقاب الطويلة، ولم يكونوا يصلون على النبي ﷺ ويسلمون عليه[3].

ومخطوطات هذا العصر الموجودة في الخزانة الملكية وغيرها، من

= عبد الرحيم» وغيره. وفرغ من التحصيل العلمي في الخامسة والعشرين من عمره، ثم اشتغل بالتدريس. زار الحرمين الشريفين، وأقام فيهما عامين يطلب العلم، ثم رجع إلى «الهند» واشتغل بالتدريس والتأليف. وله مصنفات كثيرة من أهمها: «فتح الرحمن في ترجمة القرآن» بالفارسية. «الفوز الكبير» في أصول التفسير، «المصفى شرح الموطأ» «حجة الله البالغة» «إزالة الخفا عن خلافة الخلفاء وغيرها.
توفي في مدينة «دهلي» ودفن هناك.
انظر: نزهة الخواطر (٦/٣٩٨ ـ ٤١٥).

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩١، ٩٢).
(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٨٩).
(٣) انظر: أئمه تلبيس (٢/ ٨٧).

المكتبات، شاهدة على ذلك، وكذلك جميع التوقيعات والإمضاءات مفتتحة بهذا الشعار ـ الله أكبر ـ وخالية من «بسم الله الرَّحمٰن الرحيم»، وكان من عادة الكتاب المسلمين أنهم يبدؤون كتبهم بالثناء على الله ـ تعالى ـ بما هو أهله، والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ، ولكن الكُتّاب المنتمين إلى «المذهب الأكبري» وتلامذتهم ربما يشرعون في كتاباتهم بأسماء آلهة المشركين، لا سيما إذا كانت الكتب مترجمة من السنسكريتية أو الهندية، وذلك تحقيقاً «للوحدة الثقافية»[1] ـ على حد زعمهم.

وهذه «الوحدة الثقافية» و«الصبغة الهندوكية» هي التي كانت ولا تزال بلاء عظيماً على الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، وقد تأصلت جذور الشجرة في المجتمع الإسلامي الهندي؛ وآتت أكلها حينما حمل زعماء الهنادكة في الربع الثاني من القرن الحالي الميلادي لواء القومية الهندوكية الوثنية القديمة، المصبوغة بصبغة الديانة البرهمية؛ وقد تجلت هذه الظاهرة في أجلى مظاهرها حينما قدموا تقريراً بشأن دستور البلاد، وحقوق أهلها في الإصلاحات التي وعدت بتنفيذها الحكومة البريطانية، وذلك عام (١٣٤٧هـ) الموافق (١٩٢٨م).

فكان من رأي زعماء المسلمين، أمثال: «مولانا شوكت علي»[2]

---

(١) ذكر الكاتب الهندوكي «الدكتور تاراچند» وهو يثني على هذه «الوحدة الثقافية» التي تجلت بأجلى مظاهرها في العصر الأكبري، ومؤلفاته فيقول:
«ومما يلفت نظر الباحث، ويأخذ بمجامع قلبه، هو طريق كُتّاب الهندية والفارسية في الثناء على الخالق، فإنهم ما كانوا يحمدون الله، ويرفعون أكف التضرع والابتهال إليه ـ تعالى شأنه ـ حسب معتقدهم، بل حسب ما تقتضيه آداب اللغة التي يكتبون بها، فالمسلمون والهنادك جميعاً إذا كتبوا بالفارسية بدأوا بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» وإذا قدحوا زناد الخاطر بالهندية بدأوا بتوجيه المدح، وكلمات الإطراء إلى آلهة الهنادك مثل: (گنيش) و(سرسوتي)».
انظر: الخطبة الرئيسية للمؤتمر التاريخي المنعقد في ديسمبر سنة (١٩٣٩م)، نقلاً عن كتاب: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩٠، ٩١).

(٢) هو: مولانا شوكت علي (١٨٧٣م ـ ١٩٣٨م).
أحد زعماء المسلمين الكبار في شبه القارة الهندية. كان الرجل الثاني في حركة =

وغيره أن هذا التقرير، لا يفي بمطالب المسلمين، وفيه من الإجحاف بحقوقهم ما لا تحتمل، فانبرى عند ذلك «مولانا أبو الكلام آزاد»[1] ومن رأى برأيه من رجالات المسلمين، أن هذا التقرير وافٍ بمطالب الهند الوطنية، لا فرق فيها بين مسلم وهندوكي، وبدأ يدعو إلى «القومية المشتركة» بين الهندوس والمسلمين وكل من يسكن بلاد «الهند»، بغض النظر عن دينهم، وحجتهم في ذلك أن أهل «الهند» أمة واحدة، لا فرق بين مسلم منهم وهندوكي في اللغة والمعيشة، وأدوات الأكل والشرب، وأن المسلم القاطن في أقصى إقليم «البنغال» أقرب إلى جاره الهندوكي، وأمس به رحماً منه إلى المسلم القاطن في إقليم «البنجاب» أو «أفغانستان». وأن الدين لا أثر له في تكوين القوميات في هذا العصر، وأنه شيء ذاتي بين العبد وربه[2].

= «الخلافة الإسلامية» بعد صنوه الكبير «مولانا محمد علي». توفي في دهلي، ودفن هناك.
انظر: حاشية تذكرة لمولانا أبي الكلام آزاد (٣٤٤).

(١) هو: محيي الدين أحمد بن خير الدين بن محمد هادي، المعروف بـ «مولانا أبو الكلام آزاد» (١٨٨٨م ـ ١٩٥٨م).
ولد في «مكة»، تعلم العربية والقرآن في مدارس «مكة» وكتاتيبها، عاد به والده إلى «الهند» عام (١٨٩٨م)، فتعلم الفارسية والأردية؛ كما درس الفلسفة والتاريخ والفقه الإسلامي.
كان من رواد الصحوة الإسلامية، والحركة الثورية ضد الاستعمار في بلاد «الهند»، عن طريق مجلته «الهلال» ثم «البلاغ». كان صاحب قلم سيال، وخطيباً مفوهاً، قد ألقي في السجن أربع مرات لقيادته الحركة الثورية ضد الاستعمار البريطاني. انضم إلى المؤتمر الهندي بقيادة «مهاتما غاندي»، وانتخب رئيساً له في فترتين. كان من دعاة القومية المشتركة الهندية. تقلد أول وزارة المعارف والتعليم للجمهورية الهندية بعد الاستقلال من بريطانيا (١٩٤٧م).
انظر: تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، لأنور الجندي (٢١ ـ ٢٦)، الطبعة الأولى (١٩٧٠م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
ـ اردو دائرة معارف إسلامية (١/ ٩٩ ـ ١٠٤).

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٧).

وقال ـ أي: مولانا أبو الكلام آزاد ـ في إحدى خطبه الشهيرة: «...أنا أشعر بالفخر والاعتزاز لأني هندي، وعضو في «القومية المشتركة الهندية»، غير قابلة للتقسيم، وأعتبر نفسي عنصراً هاماً في هذه القومية التي لا تعيد مجدها بدونه، وركن فعّال في هذه البنية، ولا أتنازل عن دعواها أبداً».

وختم كلماته قائلاً: «اسمحوا لي أن أذكركم شيئاً، ألا وهو نجاح مساعينا يعتمد على ثلاثة أمور وهي: الوحدة، والانضباط، والاعتماد على قيادة «مهاتما غاندي»، وهي قيادة فريدة، التي تمكنت من بناء الماضي المجيد لحركتنا، وهذه القيادة هي التي نتوقع منها بناء مستقبل مشرق»[1].

وسواء كانت الدعوة إلى «الوحدة الثقافية» أو إلى «القومية الهندية المشتركة» فهي في الحقيقة امتداد لآثار «المذهب الأكبري» الذي عمل على انصهار المسلمين والهندوس في بوتقة واحدة في بلاد «الهند».

ثالثاً: أثرها في الحياة العلمية والسياسية:

وقد تأثر مجال التعليم تأثراً مباشراً بهذا المذهب، إذا أصدر الملك مرسوماً بمنع التعليم الإسلامي، واللغة العربية، وتطهير الفارسية من الكلمات العربية، وبعد صدور هذا المرسوم أصبح من العسير جداً تعليم العلوم الشرعية، واللغة العربية، ووضعت العلوم العقلية، والنجوم، والحكمة، والطب، والرياضة، والشعر، والقصة مكانها، وأوقفت الرواتب والجرايات الشهرية لمدرسي العلوم الشرعية، فكسدت أسواق هذه العلوم، وتوقف تخرج الفقهاء، والقضاة، والأئمة، والخطباء[2].

---

(١) ألقيت هذه الخطبة في اجتماع المؤتمر الهندي الوطني في «رام گڑھ» لما انتخب مولانا آزاد رئيساً للمرة الثانية، وذلك عام (١٩٤٠م).
انظر: خطبات آزاد (٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٠). رتبه: مالك رام، الطبعة الثانية (١٩٨١م)، ساهتيه اكاديمي، نيو دهلي ـ الهند.

(٢) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢١٩).

وكانت هذه أولى ضربة قاصمة لظهر التعليم الإسلامي في بلاد «الهند»، وكانت لها آثار بعيدة المدى في طول البلاد وعرضها، وكان مقدمة لتقسيم التعليم، وشجع الاستعمار فيما بعد هذا الاتجاه، وانقسم التعليم إلى ديني لم يهتم بالعلوم العصرية، وعصري لم يبال بالعلوم الشرعية؛ فكانت النتيجة غير مرضية في حياة المسلمين كما لا يخفى[١].

وهكذا كان أثرها واضحاً في مجال السياسة، إذ خطا العلمانيون في دول شبه القارة الهندية[٢] خطوات الملك «أكبر» في بلاد «الهند»، وجعلوه أنموذجاً في فصل الدين عن الدولة على أساس اعتقاد عظمة الملك «أكبر»، والنزوع إلى براءة ساحته من كل تهمة؛ لأنه هو وحده من بين ملوك المسلمين يتفق مع الاتجاه العلماني الحديث، والتحرر من ربقة الدين، ويجدر لأن يُتخذ زعيماً، أو مثلاً كاملاً للسياسة اللادينية، المجردة من الدين والعقيدة[٣].



(١) انظر: أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية (١١٥، ١٣٢، ١٣٣).

(٢) شبه القارة الهندية تتمثل حالياً في ثلاث دول مستقلة، وهي: الجمهورية الهندية، جمهورية باكستان الإسلامية، جمهورية بنغلاديش الشعبية.

(٣) انظر: الإمام السرهندي (٦٤).

المبحث الرابع

الأكبرية في الميزان

بعد أن فرغت من بيان نشأة «الأكبرية» وبيان عقائدها وأشهر دعاتها، والآثار التي ترتبت عليها؛ أشرع في تقويم هذه العقائد في ضوء الكتاب والسنة، فأقول وبالله التوفيق:

أولاً: وحدة الوجود:

وقد تقدم أن المراد «بوحدة الوجود» هو المذهب القائل بأن الوجود مشتمل على حقيقة وماهية واحدة فقط، وأنه لا اثنينية أو أكثر في الوجود، أي: أن الله هو العالم، والعالم هو الله.

ولهذا المذهب جذور ضاربة في القدم، ولعل من أقدم من قال به حكماء الهنود، أتباع الديانة البرهمية[1]، وملخص مذهبهم أنهم حصروا آلهتهم مع كثرتها وتعددها في ثلاثة آلهة، وهي: «براهما» و«ڤشنو» و«سيڤا»، كما قضوا بأن هذه الآلهة الثلاثة إله واحد في الحقيقة، وهو الإله الأعظم «براهما»، وهذا الإله يسمى «براهما» من حيث هو مُوْجِدٌ، و«ڤشنو» من حيث هو حافظ، و«سيڤا» من حيث هو مهلك، فهي أقانيم ثلاثة لذات واحدة، ويعتقدون أن «براهما» هو الحقيقة الكلية، ونفس العالم، وأن جميع الأشياء الأخرى ليست سوى أعراض ومظاهر لهذه الحقيقة[2].

---

(١) يرجع تاريخ الديانة البرهمية في الهند إلى خمسة عشر قرناً قبل الميلاد.
انظر: أديان الهند الكبرى (٣٩).

(٢) انظر: المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/٥٦٩).

وجاء الرواقيون ـ من فلاسفة اليونان ـ وقالوا أيضاً بوحدة الوجود، إذ ذهبوا إلى أن الله والعالم موجود واحد، وأن العالم لا ينفصل عن الله، وهكذا فلاسفة «الأفلاطونية الجديدة»، قالوا بوحدة الوجود، إذ ذهبوا إلى «أن الله واحد، وأن العالم يفيض عنه كفيضان النور عن الشمس، وأن للموجودات مراتب مختلفة، إلا أنها لا تؤلف مع الله إلا موجوداً واحداً»[1].

وقد تلقى شيخ الصوفية «محيي الدين ابن عربي»[2] هذه النظرية الفلسفية في الوجود عن طريق جماعة من صوفية الأندلس، أمثال: «ابن مسرة القرطبي»[3]، و«ابن المرأة»[4]، و«ابن برجان»[5] وآخرين، وجميع

---

(١) نفس المصدر والصفحة. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مسرّة (٢٦٩هـ ـ ٣١٩هـ).
ولد في قرطبة. اشتغل بالتصوف والعبادة، واتهم بالزندقة بمقالات صدرت عنه. ففر إلى المشرق مدة، وعاد بعدها إلى الأندلس، ونشر فيها أفكاره، والتي من أهمها القول بوحدة الوجود، واجتمع عليه جماعة من أصحابه ينشرون مبادئه. وقد تتبع أصحابه القاضي ابن زَرْب، وأمر بالكشف عنهم، واستتابتهم من زندقتهم، وحرق كتبهم.
انظر: جذوة المقتبس للحميدي (٦٣)، طبعة (١٩٦٦م)، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
ـ بغية الملتمس للضبي (٧٨) طبعة (١٨٨٦م)، طبع في مدينة مجريط بمطبع روخس.
ـ الأعلام (٦/ ٢٢٣).

(٤) هو: إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المالكي، المعروف بابن المرأة (٠٠٠ ـ ٦١١هـ).
برع في علوم عدة، مثل: التفسير، والفقه، والتاريخ، والحديث، والكلام. سكن «مالقة» مدة، ثم انتقل إلى «مرسية» كان ممن يقول بوحدة الوجود، توفي بمرسية.
انظر: الإحاطة لابن الخطيب (١/ ٣٢٥، ٣٢٦) تحقيق: محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة.
ـ الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ٢٧٣، ٢٧٤).

(٥) هو: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمٰن بن أبي الرجال اللخمي الأشبيلي، المعروف بـ«ابن برجان» (٠٠٠ ـ ٥٣٦هـ).
صوفي، متكلم، مفسر، برع في فنون عدة، وسمع الحديث، له عدة مؤلفات، من =

هؤلاء أندلسيون، وعنهم أخذ «ابن عربي» هذه الفلسفة، وقد أخذها عنهم إما عن طريق التلمذ عليهم شخصياً، أو عن مطالعة كتبهم.

وأغلب هؤلاء الصوفية الذين أخذ عنهم «ابن عربي»، اتصلت ثقافتهم الروحية والفلسفية بالتراث الفلسفي اليوناني، الذي ترجم في الشرق، ثم نقل إلى «الأندلس»، ومن ذلك فلسفة «أفلاطون» و«أرسطو»، والأفلاطونية الحديثة، كما اتصلت بمؤلفات فلاسفة الإسلام الشرقيين[1] وبمؤلفات كبار المتكلمين لا سيما «المعتزلة» ومؤلفات الصوفية الشرقيين[2].

وبعد أن تبنى «ابن عربي» قضية «وحدة الوجود» قررها في صراحة وجرأة حيث يقول:

يا خالق الأشياء في نفسه ... أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهي كونه ... فيك فأنت الضيق الواسع[3]

وقد انتقلت هذه الفلسفة إلى بلاد «الهند» عن طريق الطرق الصوفية، وكتب «ابن عربي» خاصة «فصوص الحكم» و«الفتوحات المكية»، وكانت ـ أي بلاد الهند ـ في أوج التطور للفكر الصوفي في القرن العاشر الهجري؛ إذ كانت تزخر بمن يحمل هذه العقيدة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «... ولم تزل هذه البلاد حتى بعد

= أهمها: «تفسير القرآن»، وكتاب «شرح أسماء الله الحسنى»، توفي في مراكش.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٧٢).
ـ فوات الوفيات للكتبي (١/ ٥٦٩ ـ ٥٧٠)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة.

(١) أمثال: الفارابي، وابن سينا، وإخوان الصفا.

(٢) انظر: «أبو القاسم بن قسي» وكتابه «خلع النعلين»، مقال للدكتور أبو العلاء عفيفي في مجلة الآداب، جامعة الإسكندرية مجلد (١١) سنة (١٩٥٧م)، نقلاً عن كتاب «رد الفصوص» للملا علي القاري، (١/ ٢٣٥، ٢٣٦) رسالة علمية، إعداد: عبد الله علي الملا.

(٣) انظر: فصوص الحكم (١/ ٧٩)، تعليق: الدكتور أبو العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

الفتوح الإسلامية ـ باستمرار ومن غير انقطاع ـ حاملة لواء هذه العقيدة، والمتمسكة بها، وطبيعة النسل الآري تتجه دائماً إلى حب «الإطلاق» والتهرب من القيود، والتعينات، بعكس الديانات الناشئة في مواطن الشعوب السامية، ومسقط رأس الأنبياء والمرسلين؛ فكانت سمة هذه البلاد ـ الخاضعة لتأثير السلالة الآرية حكماً وعقليةً وثقافةً ـ التمسك بعقيدة وحدة الوجود، ووحدة الديانات من آلاف السنوات، لذلك كله، كان لعقيدة «وحدة الوجود» في «الهند» من التأثير والقوة والقبول، ما لم يكن لها في بلد آخر»[1].

وبعد هذا العرض أقول: إن الاعتقاد «بوحدة الوجود» باطل شرعاً وعقلاً، وذلك أن النصوص الشرعية قد دلت دلالة قاطعة بما لا يدع مجالاً للشك أو للظن، أن هناك خالقاً ومخلوقاً، وكل منهما مستقل ومبائن عن الآخر في حقيقته، ووجوده، وذاته، وصفاته. والقول «بوحدة الوجود» يلغي دلالة هذه النصوص وينفيها؛ إذ يلزم من القول «بوحدة الوجود»، استواء الخالق والمخلوق، والرب والمربوب؛ وأن مظاهر العالم المتعددة بما فيها القبائح والقاذورات، والأنجاس، والأرجاس، هي عين الرب ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ.

فمن النصوص الدالة على مباينة الخالق ﷻ للمخلوقين قول الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾[2].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾[3].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[4].

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (٢٤٧).
(٢) سورة المائدة: الآية ١٨.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١.
(٤) سورة يونس: الآية ٣.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾[1].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾[2].

فهذه النصوص وأمثالها ـ وهي كثيرة ـ تفيد مباينة الخالق للمخلوق، وتميزه عنه؛ وأن الكون كله خلقه وملكه، ولا شك أن الخالق غير الخلق، والصانع غير الصنعة.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأصل ضلال هؤلاء (أي: أصحاب وحدة الوجود) أنهم لم يعرفوا مباينة الله لمخلوقاته، وعلوه عليها؛ وعلموا أنه موجود، فظنوا أن وجوده لا يخرج عن وجودها، بمنزلة من رأى شعاع الشمس، فظن أنه الشمس نفسها»[3].

وقال في موضع آخر: «والمقصود هنا أن يقال: أما كون وجود الخالق هو وجود المخلوق، فهذا كفر صريح باتفاق أهل الإيمان، وهو من أبطل الباطل في بديهة عقل كل إنسان، وإن كان منتحلوه يزعمون أنه غاية التحقيق والعرفان.

وأما كون المخلوق لا وجود له، إلا من الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ فهذا حق، ثم جميع الكائنات هو خالقها، وربها، ومليكها، لا يكون شيء إلا بقدرته، ومشيئته، وخلقه، هو خالق كل شيء ـ سبحانه وتعالى ـ»[4].

والعقل أيضاً يبطل هذا المذهب؛ لأنه ينكر ثبوت الحقائق، ويعتبرها أموراً وهمية، وذلك للتوصل إلى نفي الكثرة، وإنكار الحقائق قول «الفرقة العنادية» من السوفسطائية، وهي التي تنكر ثبوت أية حقيقة من الحقائق، وهو باطل؛ إذ قد اتفق العقلاء على أن الحقائق ثابتة الوجود، ونفيها يدل

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦١.
(٢) سورة لقمان، الآية ١١.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٢٩٧).
(٤) نفس المصدر (٢/ ٢٦، ٢٧).

على فساد العقل، وأدل دليل على ثبوتها هو نفيها، إذ في نفيها ثبوتها؛ إذ النفي حقيقة من الحقائق.

قال البغدادي: «فرقة زعمت أنه لا حقيقة لشيء، ولا علم بشيء، وهؤلاء معاندون، وينبغي أن يعاملوا بالضرب والتأديب، وأخذ الأموال منهم، فإذا اشتكوا من ألم الضرب، وطالبوا أموالهم، قيل لهم: إن لم يكن لكم، ولأموالكم حقيقة، لِمَ تشتكون من الألم؟ فما هذا الضجر؟ ولم تطلبون ما لا حقيقة له؟ وقيل لهم: هل لنفي الحقائق حقيقة؟ فإن قالوا: نعم، أثبتوا بعض الحقائق، وإن قالوا: لا، قيل لهم: إذا لم يكن لنفي الحقائق حقيقة، ولم يصح نفيها، فقد صح ثبوتها، وقيل لهم، هل تعلمون أنه لا علم؟ فإن قالوا: نعم، فقد أثبتوا علماً، وعالماً، معلوماً، وإن قالوا لا نعلم أنه لا علم، قيل: لم حكمتم بأن لا علم، وأنتم لا تعلمون أنه لا علم»[1].

فإذا أثبتت العقول الحقائق على ما هي عليه في الخارج، ومنعت من إبطالها، كان ذلك وحده كافياً في إثبات التفريق، والتباين بين تلك الحقائق المتعددة؛ ومنها التفريق بين الخالق والمخلوق، والصانع والمصنوع، والرب والعبد، بمعنى أن يكون لكل حقيقة ذات وماهية مستقلة بها، وفي هذا إبطال لمذهب وحدة الوجود، إذ أن قوام هذا المذهب، إبطال وجود الماهيات، والحقائق المتعددة، فإذا ثبتت الحقائق والماهيات المتعددة في هذا العالم، بطل هذا المذهب من أساسه.

ثانياً: وحدة الأديان:

إن فكرة «وحدة الأديان» مبنية على فكرة «وحدة الوجود»، وذلك أنه لما كان الوجود واحداً، وهو وجود الحق ـ جلَّ وعلا ـ وكانت مظاهر العالم تجليات الحق وصوره، فكان ـ وبلا شك ـ في كل صورة من صور العالم،

---

(١) انظر: أصول الدين (٦).

وفي كل مظهر من مظاهره نسبة من الألوهة، فيجوز صرف العبادة إليه[1].

والفكرة في جذورها من تأثيرات الفلسفة الهندية، حيث يقول «شانكارا»[2]: «قد يجوز للفيلسوف أن يعبد الله في أيِّ معبد شاء، ويركع أمام أي إله بغير تفريق، لكنه سيجاوز هذه الصور العامية في العقيدة الدينية، التي تغتفر للعوام، وسيشعر بما في هذا التعدد من وهم خادع، مدركاً ما بين الأشياء كلها من وحدة لا تعرف التعدد»[3].

وتسربت هذه الفلسفة إلى فرق غلاة «الشيعة» ممن حاولوا المزج بين العقائد الإسلامية، وبين أفكار استمدوها من الأديان، والفلسفات الأخرى، فحركة «إخوان الصفا» مثلاً تصرح رسائلها بمبدأ «وحدة الأديان والعقائد»، تقول إحدى رسائلهم: «وبالجملة ينبغي لإخواننا ـ أيدهم الله تعالى ـ ألا يعادوا علماً من العلوم، أو يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛ لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها، ويجمع العلوم جميعها»[4].

ثم سرت هذه الدعوة إلى غلاة الصوفية حيث تولدت نزعة مشتركة نحو محو الحدود التي تفصل بين العقائد والأديان، حتى قال قائلهم ـ وهو الحلاج ـ: «واعلم أن اليهودية، والنصرانية، والإسلام، وغير ذلك من الأديان، هي ألقاب مختلفة، وأسام متغايرة، والمقصود منها لا يتغير، ولا يختلف»[5].

---

(١) انظر: تعليقات الدكتور عفيفي على فصوص الحكم (١/ ٢٨٩).

(٢) فيلسوف هندوسي من القرن الثامن الميلادي، الذي جدد دين البراهمة، ووضع فلسفة الهندوس على أساس وحدة الوجود والأديان.
انظر: أديان الهند الكبرى (٧٢).

(٣) انظر: قصة الحضارة (الهند وجيرانها) ول. ديورانت (٣/ ٢٧٣)، ترجمة: دكتور نجيب محمود، الطبعة الثالثة (١٩٦٨م) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٤) انظر: رسائل إخوان الصفا، الرسالة الخامسة والأربعون (٤/ ٤١، ٤٢)، طبعة (١٣٧٧هـ)، دار صادر بيروت ـ لبنان.

(٥) انظر: أخبار الحلاج لعلي بن أنجب الساعي (ص٧٠)، نشره: ل. ماسينيون، وب. كراوس، طبعة (١٩٣٦م)، مطبعة القلم، شارع جاكوب، باريس.

ويقول ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة   فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت   ركائبه فالحب ديني وإيماني

ويقول أيضاً:

عقد الخلائق في الإله عقائد   وأنا شهدت جميع ما عقدوه[1]

فثبت أن فكرة «وحدة الأديان» نتيجة حتمية لفكرة «وحدة الوجود» وتتمشى معها جنباً إلى جنب، فهي لا تقل خطورة عن سابقتها، فبها تتلاشى العقيدة، وتنهدم الشريعة، فهي فكرة باطلة من أصلها، ومرفوضة من أساسها، وذلك لأن الدين الحق عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الإسلام فقط؛ فمحاولة التوحيد، أو التقريب بين الإسلام وبين الأديان الأخرى، هي محاولة للتوفيق بين الحق والباطل؛ ولن يجتمع الحق والباطل أبداً.

يقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2]، تدل الآية الكريمة أن الدين المشروع عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الإسلام فقط، وأن ما سواه من الأديان غير معتبر، وغير صحيح، وهذا أمر لا شك فيه، ولا غموض، حيث أن ما سوى الإسلام من الأديان من صنع البشر أصلاً، كالوثنية بمختلف أشكالها، أو كاليهودية، والنصرانية بعد تحريفهما.

وأما الدين الذي أرسل الله ﷻ به جميع الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فهو الإسلام الذي هو عبادة الله وحده كما قال ـ تعالى ـ في بيان دعوة الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[3].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[4].

---

(١) انظر: فصوص الحكم (١/ ٢٨٩).
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

وهناك آيات كثيرة تشهد لهذا المعنى.

وفكرة التوحيد بين الأديان من المداهنة، وقال ـ تعالى ـ عن محاولة المشركين مداهنة رسول الله ﷺ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾[1].

قال الفراء: «ودُّوا لو تلين في دينك، فيلينون في دينهم، وقال بعضهم: لو تكفر، فيكفرون؛ أي: فيتبعونك على الكفر»[2].

وعن مجاهد قال: «لو تركن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحق، فيمالئونك»[3].

وقال ـ تعالى ـ في بيان محاولة المشركين فتنة النبي ﷺ ليميل إليهم، ويتنازل عن بعض دعوته: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ۝٧٥﴾[4].

قال الطبري في معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ الآية: لو ركنت إلى هؤلاء المشركين يا محمد شيئاً قليلاً فيما سألوك، إذن لأذقناك ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات»[5].

وإذا كان هذا الوعيد الشديد لرسول الله ﷺ لو فرض أنه لو ركن إلى المشركين، وداهنهم مع أن المقصود في ذلك محاولة هدايتهم، فكيف بمن يركنون إلى أعداء الإسلام كسباً لرضاهم، وتقرباً إليهم؟!

وقد حاول زعماء الكفار التأثير على النبي ﷺ ليتنازل عن دعوة التوحيد، والبراءة من الشرك، فكان مما عرضوا عليه من العروض المغرية في مقابل ذلك أنهم قالوا له: «فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث، تطلب به

---

(١) سورة القلم: الآية ٩.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/١٧٣)، الطبعة الثانية (١٩٨٠م)، عام الكتب، بيروت.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٩/٢١).

(٤) سورة الإسراء: الآيات: ٧٣ ـ ٧٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٥/١٣١).

مالاً، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً؛ وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا، فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد به ملكاً، ملّكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًا تراه قد غلب عليك ـ وكانوا يسمون التابع من الجن رئيًا ـ فربما كان ذلك، بذلنا لك من أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك».

فقال لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً، وأنزل إليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً؛ فبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به، فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ، أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم ـ أو كما قال ﷺ»[1].

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان فيها قبائل قوية من اليهود، وهم «بنو النضير»، و«بنو قينقاع»، و«بنو قريظة»، وقد كان لهم نفوذ في «المدينة»، ومع ذلك فإن النبي ﷺ لم يقم بأية محاولة نحو التوحيد أو التقارب معهم، بل دعاهم إلى الدخول في الإسلام. قال ابن إسحاق: «ودعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب إلى الإسلام، ورغبهم فيه، وحذّرهم عذاب الله ونقمته»[2].

ولما وفد على النبي ﷺ نصارى «نجران» دعاهم إلى الإسلام، ولم تحصل منه أية بادرة نحو التقارب أو التوحيد[3].

وهكذا كتب النبي ﷺ إلى «هرقل» عظيم الروم الذي كان يمثل أعظم دولة نصرانية آنذاك يدعوه إلى الإسلام[4].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ٢٩٥ ـ ٣٠٠)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة الثانية (١٣٧٥هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

(٢) نفس المصدر (١/ ٢٥٢). (٣) نفس المصدر (١/ ٢٧٥).

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب (١/ ٣١، ٣٢، برقم: ٧) المطبوع مع فتح الباري.

فثبت من مواقف النبي ﷺ أن فكرة التوحيد بين الأديان، أو التقريب بينهما فكرة باطلة من أساسها.

قال «الشيخ المقبلي» معقباً على ما ذهب إليه «ابن الفارض» و«ابن عربي» من عدم التفريق بين الأديان، قال: «فعلى هذا ما أنصف الأنبياء، حيث أنكروا على الكفار عبادة غير الله ـ تعالى ـ»[1].

وقد أكمل الله ـ تعالى ـ الدين للناس جميعاً برسالة محمد ﷺ. قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

وختم برسالة محمد ﷺ الرسالات كلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[3]. وجمع في رسالة محمد ﷺ كل ما في الرسالات السابقة من شرع نافع، وخير عام، قال ـ تعالى ـ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[4].

فمن ادعى بعد ذلك أن البشرية بحاجة إلى هدى جديد غير ما جاء به محمد ﷺ فهو ضال، أو صاحب هوى فاسد، يريد هدم الإسلام الذي ارتضاه الله ﷻ ديناً للبشرية.

ثالثاً: تقديم العقل على النقل:

والعقل في اللغة من «عَقَلَ» يأتي بمعنى «الإمساك والاستمساك والمنع»، ومثال ذلك:

١ ـ عقل البعير بالعقال.

---

(١) انظر: العلم الشامخ (٤٦٨)، الطبعة الأولى (١٣٢٨هـ).
(٢) سورة المائدة: الآية ٣.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٠.
(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.

٢ ـ عقل الدواءُ البطن.

٣ ـ عقلت المرأة شعرها.

٤ ـ عقل لسانه؛ كفه، واعتقل لسانه: إذا حبس ومنع الكلام، ومنه قيل للحصن: معقل، وباعتبار عقل البعير عقلتَ المقتولَ: أي: أعطيت ديته، وأصله عقلَ الدَّم من أن يسفك: أي: أن الدية تمنع من سفك دم آخر، ثم سميت الدية بأي شيء «عقلاً» والعقيلة من النساء والدرر هي التي تعقل، أي تحرس، وتصان، وتمنع[1].

وعلى هذا المعنى فالعقل هو الذي يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف العقل: «المقصود هنا أنه اسم «العقل» عند المسلمين وجمهور العقلاء هو صفة، وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل، وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[3]، وقوله: ﴿بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4]، ونحو ذلك بما يدل على أن العقل مصدر عَقَلَ يَعْقِلُ وعَقْلاً، وإذا كان كذلك، فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم؛ بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به، والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[5]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾[6].

والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً، يميز بها الإنسان بين ما ينفعه، وما يضره؛ فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس،

---

(١) انظر: لسان العرب (١١/٤٥٨ ـ ٤٦٣، مادة: عقل).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٢.

(٣) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٨.

(٥) سورة الملك: الآية ١٠.

(٦) سورة الحج: الآية ٤٦.

ولا بين أيام الأسبوع، ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل، أما من فهم الكلام، وميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل.

ثم من الناس من يقول: العقل هو علوم ضرورية؛ ومنهم من يقول: العقل هو العمل بموجب تلك العلوم.

والصحيح أن اسم «العقل» يتناول هذا وهذا، وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الإنسان، التي بها يعلم ويميز، ويقصد المنافع دون المضار، كما قال «أحمد بن حنبل» و«الحارث المحاسبي»[1] وغيرهما: إن العقل غريزة، وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء، كما أن في العين قوة بها يبصر، وفي اللسان قوة بها يذوق، وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء»[2].

وكان الاعتماد على «العقل المجرد» من إحدى الركائز المهمة التي اعتمد عليها «المذهب الأكبري»، ـ كما تقدم ـ.

والعقل ليس عنصراً من عناصر الاستدلال في مسائل الدين، وليس له من السلطة ما يزاحم بها النص في أمور العقيدة؛ بل وظيفة العقل أن يفهم ما جاءت به النصوص الشرعية دون أن يبتكر من عنده شيئاً؛ لأن الدين جاء بقضاياه مبرهنةً مدللةً، وليس على العقل إلا أن ينظر في تلك الأدلة والبراهين[3].

---

(١) هو: أبو عبد الله الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي (٠٠٠ ـ ٢٤٣هـ).
من كبار مشائخ الصوفية، ولد ونشأ بالبصرة، تعلم العلم عن ابن مسروق، وأحمد بن القاسم وغيرهم، من أشهر مؤلفاته: «آداب النفوس» «شرح المعرفة» «البعث والنشور» وغيرها. توفي في بغداد.
انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢١١، ٢١٥).
ـ سير أعلام النبلاء (١٢/ ١١٠ ـ ١١٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٦، ٢٨٧).

(٣) انظر: ابن تيمية السلفي للهراس (٥١)، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

فليس من صلاحيات العقل التشريع، والخوض في أمور الدين والعقيدة، وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: عدم قدرة العقل على تجاوز نطاقه:

إن قوة العقل ودائرة عمله محدودة، فله نطاق لا يتعداه؛ كما أن القوى الحسية في الإنسان، لها دوائر ومجالات لا تتجاوزها؛ فحاسة البصر مثلاً تلتقط المبصرات في إطار قدرتها، وحاسة السمع تستقبل الموجات الصوتية في حدود إمكاناتها؛ فلا البصر يسمع، ولا السمع يبصر، وأحدهما لا يغني عن الآخر، أو تقوم بوظيفتها، كذا الحواس الأخرى، كذلك العقل، فبالرغم من أن مجاله فسيح، ودائرته أوسع من هذه الحواس الظاهرة؛ إلا أنه محدود، لا يتعدى طوره.

يقول العلامة «ابن خلدون» في بيان تحديد وظيفة العقل: «. . . فلعل هناك ضرباً من الإدراك، غير مدركاتنا، لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة، وخلق الله أكبر من خلق الناس، والحصر مجهول؛ والوجود أوسع نطاقاً من ذلك، والله من ورائهم محيط؛ فاتَّهِمْ إدراكك، ومدركاتك في الحصر، واتَّبَعْ ما أمرك الشارعُ به من اعتقادك وعملك؛ فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك، لأنه من طور فوق إدراكك، ونطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل، ومداركه؛ بل العقل ميزانٌ صحيحٌ، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنّه ذرّة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتَفَطّن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا، وقصور فهمه واضمحلال رأيه، فقد تبين لك الحق من ذلك، وإذا تبين ذلك فلعل الأسباب، إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا، خرجت عن أن

تكون مدركة، فيضل العقل في بيداء الأوهام، ويحار، وينقطع»[١].

وقد ردّ «شيخ الإسلام ابن تيمية» على «القانون الكلي»[٢] الذي سلكه الفلاسفة وكثير من المتكلمين في تقديم العقل على النقل بوجوه كثيرة، بلغت إلى أربعة وأربعين وجهاً، وهي موضوع كتاب «درء تعارض العقل والنقل».

ثانياً: عدم قدرة العقل على التجرد، والحياد التام في النظر إلى الأمور:

لأن العقل يستعصي عليه «التجرد الكامل» من الشوائب الخارجية، والحياد التام في الأحكام والنتائج، وليس هناك شيء أندر في الوجود من «العقل الخالص» و«العقل المجرد» فإنه يصعب عليه التحرر، والانطلاق من تأثير العواطف، والرغبات، والميول، والنزعات وتأثير البيئة، والتربية الخاصة، والدراسة الخاصة، والعقائد، والنظريات الخاصة، وتأثير الوهم والخيال، والسهو والنسيان؛ ولأجل ذلك فإنه من المستبعد أن تكون أحكامه صادقة ـ دائماً ـ ونتائجه يقينية[٣].

ثالثاً: تفاوت درجات عقول الناس:

إن عقول الناس ليست على درجة واحدة، بل هي متفاوتة، فقد يكون

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (٤٥٩، ٤٦٠).

(٢) وهذا القانون الكلي كما يلي: «إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية، أو السمع والعقل، أو النقل والعقل، أو الظواهر النقلية، والقواطع العقلية، أو نحو ذلك من العبارات؛ فإما أن يجمع بينهما، وهو محال؛ لأنه جمع بين النقيضين؛ وإما أن يُردّا جميعاً.
وإما أن يقدم السمع، وهو محال؛ لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه، كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل الشيء قدح فيه؛ فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما إن يتأول، وإما أن يفوض. وأما إذا تعارضا تعارض الضدين، امتنع الجمع بينهما، ولم يمتنع ارتفاعهما».
انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٤)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) انظر: الإمام السرهندي (١٧٦).

الشيء حسناً في عقل، وقبيحاً في آخر، ـ كما تقدم ـ تخبط جماعة العقلاء في مجلس الملك «أكبر».

يقول العلامة «شبير أحمد عثماني»[1] في تفاوت عقول الناس والنتائج الوخيمة التي تسبب إذا عمل كل واحد بمقتضى عقله، فيقول:

«تَأَمَّلُوْا وانظروا! كيف يكون الوبال إذا أجيز لكل فرد مؤهل، وغير مؤهل، أن يسير على ما يقتضي عقله؛ كما يدعي المتحررون؟ وكيف تواجه حياة الناس من الصعوبات عندما يحتدم الصراع بين آلاف الآراء والقوانين التي يخترعها كل طائفة استناداً على مقياس فكره، وتقدير فهمه؟»[2].

وليس معنى ذلك أن العقل ليس له مكانة في الإسلام، بل الإسلام جعل للعقل مكانة مرموقة، بعد أن كرّم الله الإنسان به، ورفعه عن مرتبة الحيوان، وأنه دعا إلى إعمال العقل دائماً للتفكر والتدبر لمعرفة عظمة الله ﷻ وقدرته ونعمه على عباده، وللتمييز بين الخير والشر، وقد ألح على العودة إليه في جميع الأمور ليستطيع الإنسان أن يضمن لنفسه حياة طيبة بعيدة عن الشرور والأضرار، ولقد فضل الإسلام أصحاب العقول على من لا عقول لهم، وجعل لهم التقدم والصدارة، وبذلك قد أعطى الإسلام للعقل حقه.

إلا أن بعض المنتسبين إلى الإسلام المتأثرين بالفكر اليوناني نسبوا إلى العقل من القدرة أكثر مما حدده الشرع، أو وصفوه بصفات لم يأت الشرع بها[3]، والله أعلم.

---

(١) هو: الشيخ شبير أحمد بن فضل الرحمٰن (١٨٨٥م ـ ١٩٤٩م)، أحد كبار العلماء في الحديث والفقه والكلام في شبه القارة الهندية، له جهود كبيرة في تكوين دولة باكستان، أهم مؤلفاته «تفسير القرآن الكريم» و«فتح الملهم» في شرح صحيح مسلم، «العقل والنقل»، توفي في «بهاولپور» ودفن في «كراتشي».
انظر: خطبات عثماني للأستاذ محمد أنوار الحسن (٧ ـ ٩)، الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ)، لاهور ـ پاكستان.

(٢) انظر: العقل والنقل (٩٣)، إداره إسلاميات، أنار كلي، لاهور.

(٣) انظر: الإسلام والعقل للدكتور صلاح الدين المنجد (٥٩، ٦٠)، الطبعة الأولى (١٩٧٤م)، دار الكتاب الجديدة، بيروت ـ لبنان.




الفصل السابع

الشيعة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشأة التشيع وأسبابها.

المبحث الثاني: دخول الشيعة إلى شبه القارة الهندية.

المبحث الثاني: فرق الشيعة في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري.

المبحث الرابع: هذه الفرق في الميزان.




المبحث الأول

نشأة التشيع وأسبابها

معنى الشيعة: الشيعة ـ بالكسر ـ لغةً أنصار الرجل وأتباعه. وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة. والجمع: شيع وأشياع، قال ـ تعالى ـ: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾[1][2].

وفي الاصطلاح كما قال الأشعري: «وإنما قيل لهم الشيعة؛ لأنهم شايعوا علياً ـ رضوان الله عليه ـ ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ»[3].

والواقع أن كلمة «الشيعة» أصبحت وصفاً للذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأئمة عن الكبائر والصغائر، والقول بالولاء والبراء إلا حال التقية[4].

بداية ظهور التشيع:

اختلفت الآراء في تحديد زمن بداية التشيع، وتتلخص هذه الآراء فيما يلي:

---

(١) سورة سبأ: الآية ٥٤.

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٦١، مادة: شاع).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥).

(٤) انظر: الملل والنحل (١٤٦، ١٤٧).

أولاً: أن التشيع بدأ في زمن النبي ﷺ، فهو الذي أسس التشيع ونماه. يقول الكاتب الشيعي «محمد الحسين آل كاشف الغطاء»: «إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية، يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والعناية حتى نمت وأزهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاته». ويستدل على ذلك بأحاديث وردت عن النبي ﷺ في مدح «علي» وفضله، ومن ثم أهليته ليكون خليفة من بعده[1].

وهذا رأي الشيعة قديماً وحديثاً، والهدف منه إرجاع أصل التشيع إلى عهد النبي ﷺ ليجعلوا نشأته إسلامية خالصة، وينفوا عن مذهبهم من رده إلى مصادر أجنبية من يهودية ومجوسية. وهي محاولة مكشوفة من علماء الشيعة؛ لأن الفرق الإسلامية نشأت وليدة أحداث تاريخية وسياسية، ومؤثرات أجنبية، وأما في عهد النبي ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[2]، فلم يكن هناك خلاف في عهد رسول الله ﷺ ولا جماعات ولا فرق[3].

ثانياً: كان ظهور التشيع بعد وفاة رسول الله ﷺ وما أعقبها من اختلاف حول الإمامة، وظهور وجهات نظر ثلاث: تبنى إحداها الأنصار الذين رأوا أنهم أولى بالخلافة من غيرهم؛ لأنهم أول من آوى الرسول ﷺ ونصره. وتبنى وجهة النظر الثانية المهاجرون الذين رأوا أنهم أول الناس إسلاماً، وأول من عبد الله، فهم إذاً أولى من غيرهم بالخلافة. وتبنى وجهة النظر الثالثة بنو هاشم، وبعض الصحابة الذين رأوا أن بني هاشم رهط

(١) انظر: أصل الشيعة وأصولها (١٠٩ ـ ١١٤)، الطبعة العاشرة (١٣٧٧هـ)، المطبعة العربية، القاهرة.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

(٣) انظر: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية، للدكتور أحمد محمود صبحي (٣٠، ٣١)، طبعة (١٩٦٩م)، دار المعارف، القاهرة.

النبي ﷺ الأدنون، وأقربهم إليه، ومن ثم لا ينبغي أن تخرج الخلافة منهم، ورشح هؤلاء «علي بن أبي طالب» ﷺ لتولي الخلافة. يقول الأستاذ أحمد أمين: «كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي ﷺ إن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه، وأولى أهل البيت العباس عم النبي ﷺ وعلي ابن عمه، وعلي أولى من العباس»[1].

ويقول أيضاً: «وكان جمع من الصحابة يرى أن علياً أفضل من أبي بكر وعمر وغيرهما، وذكروا أن ممن كان يرى هذا الرأي عماراً، وأبا ذر، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، والعباس وبنيه، وأبي بن كعب، وحذيفة إلى كثير غيرهم - ﷺ أجمعين»[2].

ويذهب - أي أحمد أمين - إلى أن هؤلاء كانوا يكونون حزباً، وهذا الحزب وجد من بعد وفاة الرسول ﷺ ونما بمرور الزمان، وبالمطاعن في «عثمان» ﷺ[3].

وهذا الرأي أيضاً غير صحيح، وذلك أن هؤلاء الصحابة إذا كانوا فضلوا «علياً» ﷺ لتولي الخلافة، فلم يتجاوز هذا التفضيل وجهة نظرهم أنه أكفأ من غيره لتولي أمر المسلمين. وتفضيل «علي» ﷺ وحبه لا يلزم منه بغض غيره من الصحابة، والبراءة منهم، وسبهم - كما يفعل الشيعة -، كما لم يذكر أن أحداً منهم تبنى عقيدةً من العقائد المعروفة لدى «الشيعة». ثم إن هؤلاء الصحابة الذين فضلوا «علياً» لم يبدوا اعتراضاً عندما بويع غيره فضلاً أن يكونوا حزباً معارضاً - على حد زعمهم -[4].

ثالثاً: كانت بداية التشيع في أواخر عهد الخليفة عثمان ﷺ على يد الحركة «السبئية» بقيادة «عبد الله بن سبأ» - المعروف «بابن السوداء» - الذي

---

(١) انظر: فجر الإسلام (٢٦٦)، الطبعة الثامنة (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م)، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.
(٢) نفس المصدر (٢٦٧). (٣) المرجع نفسه (٢٦٨ - ٢٧٧).
(٤) انظر: نظرية الإمامة (٣٤، ٣٥).
- دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٥٣ - ١٥٥).

كان يهودياً قبل أن يتظاهر بالإسلام إلى جانب بعض أحبار اليهود وكهانهم الذين دخلوا في الإسلام، وتقدموا إلى العالم الإسلامي منتهزين إبعاد «علي» ﷺ عن الخلافة بفكرة الإمام المعصوم أو خاتم الأوصياء.

وهذا الرأي هو الصحيح، والدليل على ذلك ما يأتي:

أولاً: أن «ابن سبأ» هو أول من نادى بقداسة «علي» وبفكرة وصايته عن النبي ﷺ.

ثانياً: أنه أول من هاجم الخلفاء الثلاثة الأولين واعتبرهم مغتصبين.

ثالثاً: أنه قال بالرجعة.

وهذه الآراء متضمنة في عقائد معظم فرق «الشيعة» مما يدل بجلاء على أن منشأ التشيع هو الحركة السبئية[(١)].

رابعاً: نشأ التشيع في أعقاب موقعة «صفين» بين «علي» و«معاوية» ﷺ وما أعقب ذلك من «التحكيم»، ومخالفة «الخوارج» «علياً» في هذه القضية قائلين: «إن الحكم إلا لله» فأمام إصرار «الخوارج» على أن تكون الإمامة عامة، ذهب «الشيعة» إلى جعل الإمامة من حق آل البيت وذرية «علي»، وأنها تكون بالنص من النبي ﷺ، فنشأ التشيع كرد فعل للخوارج يتضح فيه مدى المقابلة بين العقيدتين في الإمامة[(٢)].

هذا الرأي أيضاً غير سليم، وإن الناظر إلى أتباع علي ﷺ في هذه الفترة، لا يجد أنه كانت تجمعهم مبادئ مشتركة، أو بواعث موحدة، كما لم تكن تبعيتهم لعلي ﷺ تبعية عمياء، بل كانوا مجتهدين في الدين، رأوا أنه أكفأ الموجودين لتولي الخلافة، وأنه الإمام الذي بويع، ولا يجوز الخروج عليه من غير سبب يدعو لذلك، ولكن لم يروا له الطاعة في كل ما يرى من الأمور، ومن ثم فإن بعضهم قبل التحكيم في موقعة «صفين» رغم كراهية «علي» لذلك.

---

(١) انظر: نظرية الإمامة (٣٥، ٣٦). (٢) نفس المصدر (٤٠ _ ٤٢).

وإلى جانب هؤلاء كان هناك بعض الطامعين، ومروجوا الفتنة، وكثير ممن شاركوا في مقتل الخليفة «عثمان» ﷺ. فهذه الجماعات التي ضمنها معسكر الخليفة علي ﷺ إبان حروبه في «الجمل» و«صفين» لا تكون حزباً منتظماً، يدين بالطاعة المطلقة لعلي ﷺ، ولا تجمعهم عقيدة مشتركة في آل البيت، فإذا ما أطلقت كلمة «شيعة» على هذه الجماعات، فإنها لا تخرج في دلالتها عن معناها اللغوي العام الذي يشير إلى الأتباع والأنصار، كما كان يقال: «شيعة علي» و«شيعة معاوية» ـ أي أنصارهما وأتباعهما ـ، ولا تدل على المعنى الاصطلاحي لهذا اللفظ، والذي اكتسب مدلولاً خاصاً فيما بعد[١].

خامساً: كانت بداية التشيع من حادثة «كربلاء» التي استشهد فيها «الحسين بن علي» ﷺ، فهذه الحادثة أدت إلى إذكاء نار التشيع في نفوس «الشيعة» وتوحيد صفوفهم، وكانوا قبل ذلك متفرقي الكلمة، مشتتي الأهواء، فلما قتل «الحسين» ﷺ امتزج التشيع بدمائهم، وتغلغل في أعماق قلوبهم، وأصبح عقيدة راسخة في نفوسهم[٢].

يقول: «المستشرق شتروطمان»: «وكان مقتل الحسين الذي لقي مصرعه بسيوف جند الدولة أكثر مما كان دم «علي» الذي اغتاله فرد من «الخوارج»، هو بذرة مذهب الشيعة»[٣].

ويقول الدكتور الخربوطلي: «إن حركة الشيعة بدأ ظهورها في العاشر من المحرم، وصبغت مبادئ «الشيعة» بصبغة دينية، فاتجهت «الشيعة» بعد مقتل «الحسين» اتجاهاً دينياً، بل غلب الجانب الديني في التشيع الجانب السياسي»[٤].

---

(١) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٥٨، ١٥٩).
(٢) انظر: نظرية الإمامة (٤٧).
(٣) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية (١٤/ ٥٩، مادة: الشيعة).
(٤) انظر: تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (ص١٢٣)، نقلاً من كتاب دراسة عن الفرق (١٥٩).

لا شك أن فاجعة «كربلاء» ومقتل الحسين ﷺ، لها تأثير عميق في أوساط «الشيعة» ولكن ليست هي بداية التشيع ـ كما يفهم أصحاب هذا الرأي ـ بل بداية الحركة الشيعية كانت هؤلاء الأشخاص الذين اتخذوا حب «علي» ﷺ ستاراً حركوا من ورائه الفتن، وأثاروا من خلفه عقائد باطلة أنكرها «علي» نفسه كتأليهه، والقول برجعته، وما إلى ذلك. ويمثل هؤلاء الأشخاص وما نادوا به من آراء، البذور الأولى للحركة الشيعية في صورها المختلفة. وسرعان ما نمت هذه البذور، وترعرعت، وظهرت في صور مذاهب عديدة(١).

تلك هي الآراء التي قيلت في زمن نشأة التشيع. وأما أسباب نشأته فهي أسباب نشأة الفرق الضالة عموماً، إلا أنه غلب في سبب نشأة التشيع الأثر الأجنبي من يهودية، وديانات الفرس القديمة. والغرض من ذلك هو إبطال الدين الإسلامي، والطعن في القرآن الكريم، والقدح في رسول الله ﷺ.

أما العنصر اليهودي في سبب نشأة التشيع فهو أظهر من الشمس في منتصف النهار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن أصل الرفض إنما أحدثه زنديق، غرضه إبطال دين الإسلام، والقدح في رسول الله ﷺ، كما ذكر العلماء.

وكان «عبد الله بن سبأ» شيخ «الرافضة» لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد الإسلام بمكره وخبثه ـ كما فعل «بولص» بدين النصارى ـ فأظهر النسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة «عثمان» وقتله. ثم لما قدم على «الكوفة» أظهر الغلو في «علي» والنص عليه، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك «علياً»، فطلب قتله، فهرب منه إلى «قرقيسيا»، وخبره معروف، وقد ذكره غير واحد من العلماء».

---

(١) انظر: الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، لإحسان إلهي ظهير (٤٠، ٤١)، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ)، إداره ترجمان السنة، لاهور ـ باكستان.
ـ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٦٠، ١٦١).

وأضاف قائلاً: «ولهذا كانت الزنادقة الذين قصدهم إفساد الإسلام يأمرون بإظهار التشيع، والدخول إلى مقاصدهم من باب «الشيعة». كما ذكر ذلك صاحب «البلاغ الأكبر» و«الناموس الأعظم»[(١)].

وقال الأستاذ أحمد أمين: «والذي يؤخذ من تاريخه ـ أي ابن سبأ ـ أنه وضع تعاليم لهدم الإسلام، وألّف جمعيةً سرية لبث تعاليمه، واتخذ الإسلام ستاراً يستر به نياته»[(٢)].

وأما العنصر الفارسي فقد أشار الإمام «الغزالي» و«ابن حزم» إلى مدى الارتباط بين نشأة التشيع والفرس، وذهبا إلى أن بعض الطوائف الفارسية الحاقدة على الإسلام رأوا أن يكيدوا لهذا الدين من الداخل، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم علي ﷺ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام[(٣)].

ومن ناحية أخرى يعتقد الفرس أنهم أصهار الحسين ﷺ؛ لأنه تزوج «جهانشاه» ـ شهربانو ـ ابنة «يزدجرد» بعد أن وقعت أسيرة في أيدي المسلمين، ولقد أنجبت «جهانشاه» «علياً زين العابدين»، إذاً فهم أخوال «علي»، واتخذوا هذا النسب ذريعة للتشيع لآل البيت ليحيكوا المؤامرات ضد الإسلام وأهله[(٤)].

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية (٨/ ٤٧٩).
(٢) انظر: فجر الإسلام (٢٦٩).
(٣) انظر: فضائح الباطنية (١٨، ١٩).
ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢٧٣).
(٤) انظر: إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة (١٦٤)، الدار المصرية للطباعة والنشر، بيروت.

المبحث الثاني

دخول الشيعة إلى شبه القارة الهندية

بداية انتشار التشيع في البلاد الهندية:

كانت البداية الأولى لانتشار التشيع في القارة الهندية أيام «الخليفة المنصور العباسي»، وذلك أن إقليم «السند» كان لا يزال تحت حكم الخلافة العباسية بعد الأموية، ولما تولى «المنصور» الخلافة، بعث «عمر بن حفص»[1] والياً على هذا الأقليم. وكان هذا الوالي الجديد ـ الذي عرف بحسن تدبيره وحزمه ـ على مذهب التشيع في الخفاء دون الجهر، حتى رحب في «السند» بأحد دعاة الشيعة حين جاء إليها هرباً من وجه العباسيين، وهذا الداعية هو «عبد الله العلوي»[2]. وهذا أول داعية وطئت أقدامه البلاد الهندية، وكان ذلك في منتصف القرن الثاني الهجري، فكان عهده بداية انتشار التشيع في إقليم «السند» من البلاد الهندية[3].

---

(١) هو: عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة العتكي (٠٠٠ ـ ١٥٤هـ).
بعثه «المنصور» والياً على «السند»، ثم عزله وعينه والياً في «إفريقية»، مات في «القيروان».
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٢٩، ٣٠).

(٢) هو: عبد الله بن محمد عبد الله الهاشمي القرشي (٠٠٠ ـ ١٥٦هـ).
ولد ونشأ بالمدينة، قدم «الهند» «أيام المنصور العباسي»، وكان والي «السند» من قبل «المنصور» «عمر بن حفص» قد بايع أباه محمداً ـ النفس الزكية ـ. قتل في أيام «هشام بن عمرو التغلبي».
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٢٦ ـ ٢٨).

(٣) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/ ٧٠).

خاف «عمر بن حفص» من نقمة الخليفة إن هو آوى داعية الشيعة في حمايته، فأنزله مع أتباعه عند أمير هندوكي في أحد البلاد المجاورة، موالياً رعايتهم، والعناية بشؤونهم في الخفاء، ومضت على هذا الحال عشر سنوات، ولما علم الخليفة بالأمر، كتب إلى عامله في «السند» يأمره بغزو بلاد الأمير الهندوكي، ومطاردة الداعية الشيعي، وما إن أحس الخليفة مماطلة «عمر» في تنفيذ ما أمره نقله إلى شمال «إفريقية» وبعث مكانه «هشام بن عمرو»[١]، وحرضه على القضاء على «الشيعة» وأنصارها في «السند»، وفي عهده لقي الداعية «عبد الله بن محمد العلوي» وعدد من أتباعه مصرعهم، وبعث «هشام» برأسه إلى الخليفة في «بغداد»[٢].

ثم نزح إلى «السند» في فترات مختلفة أعداد من «القرامطة» من «البحرين» و«بلاد فارس»، كما قدم في مطلع القرن الرابع الهجري دعاة إسماعيليون من بلاد شتى، واستقروا في «السند»، حتى جاءها داعية من كبار دعاتهم يسمى «جلم بن شيبان» وما إن وصل هذا الداعية حتى التف حوله «القرامطة» الذين كانوا قد نفذوا إليها من «البحرين» و«بلاد فارس»، ووحدوا صفوفهم. وكان إقليم «السند» في ذلك الوقت تسوده الاضطرابات من جراء النزاعات القبلية بين العرب ـ إذ كانت هذه القبائل تطالب بتقسيم هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام: قسم لقريش، وثان لربيعة، وثالث لقيس ـ فاستغل «جلم بن شيبان الإسماعيلي» هذه الأوضاع، وتمكن آخر الأمر من الاستيلاء على مقاليد الحكم فيها. فكانت حكومته هذه أول دولة إسماعيلية تشهدها شبه القارة الهندية[٣].

---

(١) هو: هشام بن عمرو التغلبي (٠٠٠ ـ ١٥٧هـ).
استعمله «المنصور» على «السند»، وفي عهده لقي «عبد الله العلوي» مصرعه. مات «هشام» في «بغداد».
انظر: نزهة الخواطر (١/ ٣٨).

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/ ٧٠، ٧١).

(٣) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٢).
ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (١/ ٧٣، ٧٥، ٧٦).
ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩، ١٠).

تولى حكومة الدولة الإسماعيلية من بعد «جلم» رجل آخر يدعى «حُميد»، وهو الذي وجده «السلطان سبكتگين الغزنوي» في غزواته «بالملتان»، فهزمه وقتل. وتولى بعده الحكم فيها حفيده «أبو الفتح داود القرمطي». ولما حمل «السلطان محمود بن سبكتگين الغزنوي» راية الجهاد لنشر الإسلام، والقضاء على الفرق الضالة، كان «داود القرمطي» يدخل في المعاهدات مع السلطان على دفع مبالغ مالية، ويتحالف في الخفاء مع أمراء هنادك لصد «السلطان محمود» عن الدخول في البلاد الهندية، ويتآمر ضده، وآخر الأمر ضاق «محمود» ذرعاً بمؤامرات «داود القرمطي» فخرج إليه من جديد عام (٤٠١هـ)، فما زال به حتى أوقعه في الأسر، وحبسه في أحد الحصون، ولم يرجع عن «الهند» إلا بعد أن قضى على الدولة الإسماعيلية قضاءً تاماً، وخرب عاصمتهم «المنصورة» وضم هذا الإقليم إلى الدولة الغزنوية، وبهذا انتهت أول دولة قامت للإسماعيلية في البلاد الهندية، وهربت فلول هذه الطائفة إلى بلاد «كجرات» الغربية التي غدت بؤرة للنِّحل الضالة فيما بعد[١].

تبين مما سبق، أن أول فرقة وطئت أقدامهم أرض «الهند» هم الإسماعيليون، وتكونت لهم دولة في إقليم «السند» في القرن الرابع الهجري، وانقرضت في القرن الخامس الهجري على أيدي السلطان «محمود بن سبكتگين الغزنوي»، وهرب الإسماعيليون من «السند» إلى بلاد «كجرات» الساحلية الغربية، وانضموا إلى بني نحلتهم الإسماعيليين الذين وصلوا إليها من «اليمن» و«مصر» وسموا بـ«البهرة»، أو «البوهرة» كما سيأتي بعد قليل[٢].

وإذا لاحظ الباحث طرق دخول طوائف الشيعة إلى البلاد الهندية من بعد القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري يجدها كالآتي:

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/٧٦، ٨٧، ٨٩، ٩٢).

(٢) وذلك في المبحث القادم بإذن الله ـ تعالى ـ.

أولاً: طريق اليمن ومصر:

دخل عن هذا الطريق الشيعة الإسماعيلية ـ الفرع المستعلي وهم «البهرة» ـ إلى البلاد الهندية، حيث كان يصل الدعاة الإسماعيليون من «مصر» و«اليمن» إلى بلاد «كجرات» الساحلية في زي التجار، وازداد نشاط هؤلاء الدعاة لما انقرضت دولتهم في «مصر» ثم في «اليمن». وقد بلغ وصول الإسماعيليين ـ من الفرع المستعلي ـ إلى بلاد «كجرات» ذروته في القرن العاشر الهجري لما انتقلت دعوتهم من اليمن إلى «الهند»[١].

ثانياً: طريق بلاد فارس:

قدمت بقية طوائف الشيعة إلى البلاد الهندية عن طريق بلاد فارس، وهم كالتالي:

١ ـ الإسماعيلية النزارية:

ـ وهم الخُوجات أو الآغاخانيون ـ: بدأ وصول دعاة هذه الطائفة من الشيعة إلى البلاد الهندية بعد منتصف القرن السابع الهجري، وذلك لما قام «هولاكو خان» بنسف قلعة «ألمَوت» والقلاع الإسماعيلية الأخرى في «فارس» عام (٦٥٤هـ)، تشتت الإسماعيليون في البلاد المختلفة، كما توجه عدد كبير منهم إلى البلاد الهندية[٢].

وكان وصول النزاريين ـ من الإسماعيلية ـ إلى البلاد الهندية مستمراً دون انقطاع حتى القرن العاشر الهجري، وفي هذا القرن تولى «الصفويون» مقاليد الحكم في «بلاد فارس»، وكانوا ينتمون إلى «الإمامية الاثنى عشرية»، ويضربون كل فرقة يرون فيها تهديداً لمذهبهم ودولتهم، فاضطر

---

(١) انظر: مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٢٠ ـ ٣٢٢).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية. تاريخها، نظمها، عقائدها، للدكتور محمد كامل حسين (٨٨)، الطبعة الأولى (١٩٥٩م)، مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة.
ـ أعلام الإسماعيلية (٣١١، ٣١٢).

«الإسماعيلية» في «فارس» أن يعيشوا متسترين تحت التقية والكتمان، مما أدى إلى تدفقهم إلى المناطق الهندية التي انتشرت فيها «النزارية»[(١)(٢)].

٢ ـ الإمامية الاثنا عشرية:

بدأ قدوم الدعاة الاثنى عشريين منذ القرن الثامن الهجري من «بلاد فارس» إلى البلاد الهندية[(٣)]. وفي مستهل القرن العاشر الهجري لما انهزم «همايون بن بابر المغولي» أمام «شير شاه السوري الأفغاني» لجأ إلى «إيران» مستنجداً «بالشاه طهماسب الصفوي» ومؤكداً له فتح أبواب البلاد الهندية لدعاة الشيعة الاثنى عشريين، فأمده «الشاه» بالجيش والعتاد، وتمكن «الملك همايون» من استعادة مملكة «الهند» للمرة الثانية، وبدأ بذلك تدفق الدعاة الاثنى عشريين من «إيران» إلى «البلاد الهندية»[(٤)]. وبعد تولي «أكبر بن همايون» زمام الأمور في الدولة المغولية زاد نفوذهم في الدولة عن أي وقت مضى[(٥)].

كما قامت للشيعة الاثنى عشرية دويلات مستقلة في منتصف القرن العاشر الهجرية في غرب البلاد الهندية وجنوبها، والتي كانت تستقطب الدعاة الاثنى عشريين وعلماءهم من «إيران»، مما أدى إلى قدوم كثير منهم إلى هذه البلاد[(٦)].

---

(١) انظر: مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٣١، ٣٣٧).

(٢) ولما تولى إمامة «النزارية» في «فارس» «غريب ميرزا» قام بزيارة خفية للهند في مطلع القرن العاشر الهجري؛ لهدف نقل مركز الإمامة إليها، ولكن موته المفاجئ حال دون ذلك. وكان الأئمة من بعده يتعهدون النزاريين في «الهند» بإرسال دعاة إليهم، حتى ظهور «آغا خان الأول» في الساحة، ودخول «الهند» عام (١٢٥٧هـ)، كما يأتي تفصيل ذلك في المبحث القادم، إن شاء الله ـ تعالى ـ.

(٣) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٧، ٢١٨).

(٤) انظر: تاريخ الصفويين وحضارتهم (١٣٤، ١٣٥).
ـ الإمام السرهندي حياته وأعماله (٣٨، ٣٩).

(٥) تقدم الكلام عليه في المبحث الثاني من الفصل السادس.

(٦) انظر: تاريخ فرشته (٢/ ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ٣١٤، ٣١٥).

٣ ـ النور بخشية:

انتشرت «النور بخشية» في وادي «كشمير» والمناطق المجاورة لها من «البلاد الهندية» على يد داعية يدعى «مير شمس الدين العراقي»، قدم من «خراسان» الإيرانية في نهاية القرن التاسع الهجري[1].

وستأتي التفاصيل عن هذه الفرق في المبحث القادم، بإذن الله ـ تعالى ـ.



(١) انظر: طبقات نورية در أحوال مشائخ نور بخشية (الطبقات النورية في أحوال مشائخ النور بخشية)، لمحمد ملا (ص١٨٨، ١٨٩)، ترجمة: محمد سيد گيلاني، مكتبة قدوسيه، كشميري بازار، لاهور.

المبحث الثالث

فرق الشيعة في شبه القارة الهندية في القرن العاشر الهجري

إن الدارس لتاريخ المذاهب العقدية في شبه القارة الهندية إبان القرن العاشر الهجري، يستطيع أن يجد من بين هذه المذاهب مذهب «الشيعة» الذي انتشر بقوة في هذه الأصقاع من خلال وسائل الاتصال التي تحدثت عنها في كيفية دخول «الشيعة» إلى شبه القارة الهندية. ومن أهم فرق الشيعة في القرن العاشر الهجري في «الهند» الفرق التالية:

أولاً: الإسماعيلية وتتمثل في فرقتين:

أ ـ البهرة المستعلية.

ب ـ النزارية (الآغاخانية).

ثانياً: الإمامية الاثنا عشرية.

ثالثاً: النور بخشية.

وفيما يلي أقدم دراسة موجزة لكل فرقة من تلك الفرق:

أولاً: الإسماعيلية[1]:

ترتبط الفرق الإسماعيلية في البلاد الهندية بفرعيها ـ المستعلية والنزارية ـ بالعبيديين أو الفاطميين بمصر، وبعد «المستنصر بالله الفاطمي» (٤٢٧هـ ـ

---

(١) تسمى أيضاً «بالباطنية».

٤٨٧هـ) انقسمت «الإسماعيلية» إلى فرقتين: المستعلية، والنزارية.

وذلك أن «المستنصر» نص على أن تكون الإمامة من بعده لابنه «نزار»، ولكن وزيره «الأفضل بن بدر الجمالي» انتهز فرصة وفاة «المستنصر» وأعلن إمامة «المستعلي» الابن الأصغر «للمستنصر» وابن أخت الوزير، ويقال: إن «الجمالي» بعد حروب مريرة بينه وبين «نزار» وأتباعه قبض على «نزار» وابنه وقتلهما، ولكن عدداً كبيراً من الدعاة وأتباع المذهب الإسماعيلي - من أشهرهم «الحسن بن الصباح» - رفضوا البيعة «للمستعلي» ونادوا بإمامة «نزار» وأبنائه من بعده. وهكذا أصبح للشيعة الإسماعيلية فرعان: «المستعلي» و«النزاري»[١]. تنتمي «بهرة الهند» إلى الفرع المستعلي، «والآغاخانية» إلى الفرع النزاري من الإسماعيلية.

وقد استمر الإسماعيلية المستعلية في حكم «مصر» إلى أن استطاع القائد السني «صلاح الدين الأيوبي» أن ينهي وجودهم السياسي في مصر عام (٥٦٧هـ)[٢].

وقد واكب ضعف الفاطميين في «مصر» ظهور فرع جديد للشيعة المستعلية في «اليمن» عرفوا باسم «الإسماعيلية الطيبية»[٣]، واستطاعوا إقامة دولة لهم على يد أحد دعاتها يسمى «علي بن محمد الصليحي»[٤]، وعرفت «بالدولة الصليحية». وقد استمرت هذه الدولة

---

(١) انظر: تاريخ الدولة الفاطمية، للدكتور حسن إبراهيم حسن (١٧٢، ١٧٣)، الطبعة الثانية (١٩٥٨م)، مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة.

(٢) نفس المصدر (١٩٦، ٢٠١).

(٣) نسبة إلى «أبي القاسم الطيب بن الآمر» الذي دخل في دور الستر هو والأئمة من أولاده.

(٤) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي (٤٠٣هـ - ٤٥٩هـ).
داعي اليمن بعد «سليمان بن عبد الله الزواجي»، ومؤسس الدولة الصليحية الإسماعيلية في «اليمن»، قتل في «الهجم»، وهو في طريقه إلى «مكة»، قتله «سعيد الأحول».
انظر: أعلام الإسماعيلية (٤٠٢ - ٤٠٧).

ملتزمة بتعاليم الشيعة الإسماعيلية حتى وفاة الملكة «أروى بنت أحمد»[1] عام (٥٣٢هـ).

وبعد وفاة الملكة «أروى» بدأ أمر الدولة الصليحية يضمحل حتى انقرضت عام (٥٦٣هـ)[2]. وقد ظلّت «البهرة» في «الهند» مرتبطة بالدعوة في «اليمن» حتى انتقلت الدعوة من «اليمن» إلى «الهند».

وفيما يلي تفصيل ذلك بإيجاز:

أ ـ البهرة المستعلية:

كلمة البهرة:

كثرت آراء المؤرخين والباحثين في اشتقاق كلمة «البهرة» ومعناها، وتتلخص هذه الآراء فيما يأتي:

أولاً: أن هذه الكلمة هندية الأصل. وقيل: في اشتقاقها احتمالات كثيرة أشهرها كالآتي:

١ ـ أن «بُوهَرة» أو «بُهرة» بمعنى التجار على اللغة الكجراتية.

٢ ـ أنها مشتقة من «بوه راه» أي: الطريق السوي.

٣ ـ أنها جاءت من «بَهُو رَاه» أي: الطرق الكثيرة.

٤ ـ أنها جاءت من «بَهْرِ» بمعنى صفوف الإبل.

٥ ـ أنها جاءت من «بَهْراج»، بمعنى البصير بعواقب الأمور.

---

(١) هي: أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي، المعروفة بالسيدة الحرة الملكة (٤٤٠هـ ـ ٥٣٢هـ). داعية الإسماعيلية بعد «علي بن محمد الصليحي» تزوجت «أحمد بن علي الصليحي». كانت تدير شؤون «الدولة الصليحية» حتى وفاتها. لعبت دوراً فعالاً في نشر الإسماعيلية في «اليمن» و«الهند» و«عمان».
انظر: أعلام الإسماعيلية (١٤٣ ـ ١٥٣).

(٢) انظر: تاريخ اليمن، لنجم الدين عمارة اليمني (٢٣٨، ٢٣٩)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ)، مطبعة السعادة.

٦ ـ أنها جاءت من كلمة «وَوَهْرَا وِيَهْ وَرُو» على اللغة السنسكريتية، بمعنى التعامل، ثم تطورت إلى «وِيهَ وَهَارِي»، وبدأ الناس ينطقونها «بِيُو پاري» بمعنى التاجر؛ لأن مخرج «الواو» و«الباء» متقارب في اللغات الهندية.

وفي هذه الحالات ترجع مادة هذه الكلمة إلى أصول هندية.

ثانياً: يحتمل أن ترجع مادة هذه الكلمة إلى أصول عربية، يقال: إن «البهرة» مأخوذة من كلمة «بهراء» وهي اسم قبيلة كانت تسكن بنواحي «المدينة» و«اليمامة».

قال ابن منظور: «بهراء: حي من اليمن. قال كراع: بهراء ـ ممدودة ـ قبيلة»[1].

قال الجوهري: «بهراء قبيلة من قضاعة»[2].

وتزعم عائلات كثيرة من «البهرة» المقيمين حالياً في ولاية «كجرات» أنهم قدموا من «الطائف» و«المدينة المنورة».

ويحتمل أيضاً أنها مشتقة من «البياسرة»، و«البياسرة» كما قال ابن منظور: «قوم بالسند. وقيل: جيل من السند يؤاجرون أنفسهم من أهل السفن لحرب عدوهم، ورجل بيسري»[3].

فمن المحتمل أن تجار العرب كانوا يطلقون هذه الكلمة على العمال الذين يرافقونهم في سفنهم، ثم شاعت هذه الكلمة لكل من يصل من العرب إلى البلاد الهندية قاصدين للتجارة، ويقيمون في المناطق الساحلية، ثم بدأ إطلاقها على أولادهم جيلاً بعد جيل، ثم تطورت الكلمة في النطق والكتابة، وأصبحت «البُوهَرَة» أو «البُهْرَة»[4].

---

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ٨٥، مادة: بهر).
(٢) انظر: الصحاح (٢/ ٥٩٨، مادة: بهر)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م)، دار العلم للملايين، بيروت.
(٣) انظر: لسان العرب (٤/ ٥٩، مادة: بسر).
(٤) انظر آراء الباحثين في مادة البهرة في: =

يؤخذ مما تقدم أن استخدام هذه الكلمة اشتهر في معنى «التاجر» سواء أكانت هندية الأصل أم عربية، وسواء أكان التجار من العرب أم من «الهند»، كما يفهم أن هذه الكلمة وثيقة الصلة بإسلام القوم، إذ كانت بداية إطلاق هذه الكلمة على المسلمين فقط، سواء أقدموا من قبائل العرب، أم أسلموا من السكان المحليين.

نشأة البهرة الإسماعيلية وتاريخها:

تعددت الروايات عن نشأة طائفة البهرة الإسماعيلية في البلاد الهندية، وأشهرها كما يلي:

الأولى: تذكر كتب «البهرة» رواية طويلة عن وصول الدعاة الإسماعيليين إلى البلاد الهندية، وملخصها: أن «الإمام المستنصر بالله» الفاطمي بعث أحد أتباعه يدعى «مولائي أحمد» إلى «الهند» لينشر الدعوة هناك، ونزل في «كهنبايت» ـ من بلاد گجرات ـ وبدأ يتجول في زي الهندوس، ورأى يوماً أن نفراً من الفتيان يلعبون في أحد الميادين، فكان يذهب كل يوم هناك وينظر إليهم، ويلاحظهم حتى أقام علاقة صداقة مع اثنين منهم، وهما: «رام جي» و«روپ چند»، ودعاهما إلى الذهاب معه إلى مصر، فرضيا بذلك. فلما مثل ـ أي «مولائي أحمد» ـ أمام المستنصر اعتذر قائلاً: بأنه لم يتمكن من أن يفعل شيئاً لعدم معرفة لسانهم، وقدّم له هذين الفتيين، وطلب منه إرسالهما إلى «الهند» بعد تعليمهما مبادئ الدعوة

= ـ سلك الجواهر في أحوال البواهر، لمحمد نجم الغني خان (٤١)، طبعة (١٩١٤م)، مطبعة العلوم وأخبار نير أعظم، مراد آباد ـ الهند.
ـ عقد الجواهر في أحوال البواهر، للبروفيسور أبو ظفر الندوي (١٠٤، ١٠٥) طبعة (١٩٣٦م)، كراتشي ـ باكستان.
ـ مذاهب الإسلام (٢٧٠).
ـ نزهة الخواطر (٤/ ٢٩٩، ٣٠٠).
ـ أبجد العلوم (٣/ ٢٢٣).
ـ تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (١٦ ـ ١٩).

الإسماعيلية، فسُرّ الإمام بذلك، وسمى الأول «عبد الله» والثاني «نور الدين» وأحسن تربيتهما، فلما أكملا تحصيلهما العلمي، وبرعا في علم البحث والمناظرة، والتأويل والحقائق، بعثهما «الإمام المستنصر» إلى الداعي «مولانا لمك»[1] ـ داعي اليمن ـ يرافقهما «مولائي أحمد»، وبعد أن تلقوا منه التوجيهات اللازمة توجهوا جميعاً إلى «الهند» ونزلوا في «كهنبايت» ـ من بلاد گجرات ـ واختفوا في مزرعة بعيدة عن المدينة، وهناك استمالوا صاحب المزرعة الهندوسي وزوجه إلى الدعوة إذ كان «عبد الله» و«نور الدين» يعرفان اللغة الگجراتية فقبلا الدعوة، وأسلما على أيديهم بعد أن شاهدا خارق نبع الماء من بئر المزرعة التي نضب منذ فترة؛ ولما أيقنوا من إذعانهما وإخلاصهما للدعوة كشفوا عن حقيقتهم وسألوهما عن كيفية نشر الدعوة في البلد كله، فدلاهم على «برهمي» يعتقد فيه وزير الملك «بهار مل» فإذا أسلم البرهمي، فسوف يسلم الوزير، وبالتالي الملك وبقية الناس.

فتوجه «مولائي عبد الله» إلى «البرهمي» فحاوره وناظره حتى أقنعه بقبول الدعوة، وعلمه مباديءها، ولما رآه مخلصاً يوثق به بدأ يشجعه لاستمالة الوزير إلى دينه، فكلما يأتي إليه الوزير يزوره يذكر له فضائل الإسلام، ويبين عيوب عبادة الأصنام، فقال له الوزير: إذا كنت قد غَيَّرْت دينك فافصح عنه، وأنا أتبعك فيه، فكشف له البرهمي عن حاله، وأخذه إلى «مولائي عبد الله» فأسلم على يديه، وبدأ يأخذ عنه آداب الإسلام، وعلوم أئمة آل محمد ﷺ(؟) حتى رآه يوماً أحدُ خدمه وهو يصلي، فأبلغ الملك بذلك ـ وكان شديداً على المسلمين ـ فقال الملك: إذا رأيت بعيني وهو يصلي أنزل به عقاباً شديداً، وبدأ الخادم يراقبه عن كثب، فلما رآه

(١) هو: لمك بن مالك الحمادي الهمداني (... ـ ٥١٠هـ).
داعي الإسماعيلية في «اليمن» وقاضيهم. حضر في «القاهرة» وقابل «المستنصر» ومكث هناك خمس سنوات يطلب العلم من «المؤيد في الدين الشيرازي» ولقبه المستنصر بـ (داعي قلم). توفي في «اليمن».
انظر: أعلام الإسماعيلية (٤٣٩ ـ ٤٤١).

يصلي أبلغ الملك فوراً، فوصل على وجه السرعة، ورآه يركع ويسجد، ولما عرف الوزير أن الملك قد حضر في بيته، توجه إليه وأدى مراسم التحية فسأله الملك عما يفعل؟ فأجاب: أنه رأى ثعباناً اختفى تحت الصندوق، فكان يبحث عنه واقفاً، ولما لم يجده انحنى ثم وضع رأسه على الأرض باحثاً عن ذلك الثعبان، فأمر الملك رجاله نقل الصندوق والبحث عن الثعبان، فرأى ثعباناً كبيراً يخرج من تحت الصندوق، فصدق الوزير، ورجع من حيث أتى.

بعد هذا الحادث بدأ الداعي «مولائي عبد الله» يلح على «البرهمي» لاستمالة الملك «سدهراج سنگهه» إلى الدعوة، وكان ـ أي الملك ـ يأتي مرة كل سنة إلى معبد البرهمي، يقدم القرابين للصنم الكبير، ثم يتبرك «بالفيل المعلق» ـ الذي ظل معلقاً على الهواء في حجرة من المعبد ـ ويتحف البرهمي بالهدايا.

فلما وصل الملك ـ كعادته ـ طلب «مولائي عبد الله» من «البرهمي» أن يخبر الملك بأنه رأى في المنام أن الفيل المعلق يقول له: أنه سئم من طول الوقوف في الهواء ويرغب الآن في وضع إحدى أرجله على الأرض، وذهب «مولائي عبد الله» إلى الفيل في الليل، ولاحظ أنه مصنوع من الحديد، ونصبت إزاء كل رجل قطعة كبيرة من المغناطيس في السطح وهي تجذب الفيل إليها، فظل معلقاً على الهواء، فاقتلع قطعة مغناطيس، ونزلت إحدى أرجل الفيل على الأرض، وكرر هذا العمل ثلاث ليال متوالية، فنزل الفيل من الهواء ووقف على الأرض.

ولما بلغ الملك هذا الخبر تحير كثيراً، وركبه هم شديد، واشتهر الأمر بين الناس، وعلم الملك أن البرهمي قد غيّر دينه على يد أحد العرب، فبعث رجاله لإلقاء القبض عليهما، وعندما رأى «مولائي عبد الله» عساكر الملك ظهر على مدرج المعبد، وقرأ بعض الآيات والأدعية فتوقف العساكر عن السير، كلما يحاولون التقدم إلى الأمام يرجعون متقهقرين إلى الوراء، وحينما سمع الملك ذلك تحرك بنفسه بجيش كثيف، وعند وصولهم

على مقربة من المعبد، ساخت أقدامهم في الأرض، واشتعلت النيران فيها، فاستأمن الملك من «مولائي عبد الله» وتعهد أن يدخل في دينه، فأشفق عليهم وأنقذهم مما هم فيه، فاقترب منه الملك وسأله عن حاله، فقال له: أيها الملك، إذا كان الصنم الكبير ـ الذي تعبده ـ يمتثل أمري فهل تدخل في ديني؟ قال: نعم. فقال للصنم: أيها الملعون قم، وخذ هذا الدلو، واملأه ماء من الغدير، فذهب الصنم يهرول، وملأ في الدلو ماء الغدير كله حتى ترك الأسماك تضطرب، فأمر ـ أي مولائي عبد الله ـ لإعادة الماء إلى الغدير، ففعل ذلك، ولما رأى الملك هذه الخارقة، أسلم هو ومن معه جميعاً، ووصل وزن زنانير «البراهمة» الذين أسلموا في ذلك اليوم إلى أكثر من منٍّ واحد؛ ثم بدأ هؤلاء المسلمون الجدد عمل «بيوهار» أو بيوپار» أي التجارة مع العرب ومن هنا أطلق عليهم ـ أي العرب ـ كلمة «البهرة» أو «البوهرة»[1].

الثانية: خلاصة ما جاء في هذه الرواية أن داعياً إسماعيلياً يدعى «يعقوب» وصل إلى «الهند» في عهد «الإمام المستنصر» عام (٥٣٣هـ). ولما وصل إلى مدينة «كهنبايت» آوى إلى بيت بستاني، وأقنعه بقبول الدعوة، وكان أول شخص اعتنق مبادئ الإسماعيلية من «الهند» وبعد مضي فترة أسلم «البرهمي» الذي كان يعتقد فيه الملك «سدهـ راج سنگهـ» ووزيراه «بهار مل» و«تارمل» فأسلموا جميعاً وعم الإسلام أرجاء هذه البلاد إلى آخر القصة كما وردت في الرواية الأولى[2].

الثالثة: ذكر «القاضي نور الله الشستري» في كتابه «مجالس المؤمنين» أن داعياً إسماعيلياً يدعى «ملا علي» وصل إلى أرض «كهنبايت» في القرن السابع الهجري، ونتيجة جهوده انتشرت الإسماعيلية في هذه البلاد، والذين

---

(١) انظر: مجالس سيفيه، المجلس التاسع لعبد علي سيف الدين، نقلاً عن عقد الجواهر في أحوال البواهر (٦٣ ـ ٧٧).
أيضاً: سلك الجواهر في أحوال البواهر (٤٣ ـ ٤٩).

(٢) انظر: عقد الجواهر (٨١).

سموا «بالبهرة»، وكانوا قبل ذلك من «الهندوس»[1].

الرابعة: تقول هذه الرواية أن القائد «صلاح الدين الأيوبي» لما قضى على وجود الفاطميين في مصر عام (٥٦٧هـ) هاجر عدد كبير منهم إلى «اليمن» ومن هناك توجهوا إلى «الهند».

وبعد استيلاء «الزيود» على «اليمن» عام (٩٤٦هـ) لم يبق في أيدي «الإسماعيليين» إلا تلال «حراز» وجبالها، غادر معظمهم بلاد «اليمن» ووصلوا إلى بني نحلتهم في إقليم «گجرات» من البلاد الهندية، حيث الملجأ الآمن، والمرتع الخصب لنشر عقائدهم، كما انتقلت الدعوة من «اليمن» إلى «الهند» في هذا القرن ـ أي العاشر ـ الهجري أيضاً[2].

الخامسة: يرى «الأستاذ محمد سعيد مرزا» أن التجارة كانت قائمة بين بلاد «اليمن» و«الهند» منذ القديم، ولما استولى الفاطميون على «مصر» وتكونت لهم دولة موالية في «اليمن» والتي سميت «بالدولة الصليحية» وصار لها دعاة وأتباع، كان هؤلاء الدعاة يصلون إلى السواحل الهندية من بلاد «گجرات» في زي التجار، وكان هدفهم الأساسي هو نشر العقائد الإسماعيلية بالإضافة إلى ممارسة مهنتهم التجارية، وازداد نشاط هؤلاء الدعاة لما انقرضت دولتهم من «مصر» ثم من «اليمن»[3].

إذا نظر الباحث في هذه الروايات والحكايات نظرة فحص وتمحيص يجد أن الرواية الأولى من وضع «البهرة» أنفسهم لإضفاء المجد والكرامة على «الدعوة الإسماعيلية» ودعاتها، ولا تثبت صحتها أمام الحقائق التاريخية، إذ أنها تدل على أن أسلاف «البهرة» كانوا كلهم من الهندوس، فأسلموا على الأصول الإسماعيلية، وليس الأمر كذلك؛ لأن «المستنصر بالله» توفي عام (٤٨٧هـ) أي في أواخر القرن الخامس الهجري، وقد وصل الإسلام إلى هذه البلاد الساحلية من «الهند» قبل ذلك بكثير. وقد قام

---

(١) نقلاً من عقد الجواهر (١٠٣). (٢) انظر: عقد الجواهر (١١٢).

(٣) انظر: مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٢٠).

«هشام بن عمرو التغلبي» عامل «الخليفة المنصور العباسي» في إقليم «السند» بغزو إقليم «گجرات» في القرن الثاني الهجري، واستولى على «بهروج» ميناء بحر العرب، ووجد بها جالية إسلامية كبيرة[1].

ثم إن من سمي «بالبهرة» ليس كلهم من الشيعة الإسماعيلية، بل فيهم عدد غير قليل من السنة[2].

وأما الرواية الثانية فهي شبيهة بالرواية الأولى، إلا أن وجوه الأخطاء فيها واضحة؛ لأن «المستنصر الفاطمي» توفي عام (٤٨٧هـ) فلم يكن موجوداً في عام (٥٣٣هـ) حيث وصل داعي «الإسماعيلية» إلى «الهند»، ثم إن القول: إن البستاني المذكور كان أول من اعتنق الإسلام على مذهب الإسماعيلية من «الهند» عام (٥٣٣هـ)، فذلك غير صحيح؛ لأن الإسلام قد دخل «الهند» قبل ظهور الإسماعيلية ـ كما قدمت ـ، كما أن «القرامطة الإسماعيلية» كانوا موجودين على أرض «الهند» من القرن الرابع الهجري، وأسسوا أول دولة لهم في «السند»، وقد تمكن «السلطان محمود بن سبكتگين الغزنوي» في هجماته على «الهند» من القضاء على هذه الدولة، ونَسْف عاصمتها «المنصورة»[3].

وأما الرواية الثالثة فهي مثل الأولى والثانية، لا يخفى عدم صحتها؛ لأن الإسماعيليين وطئت أقدامهم هذه البلاد قبل القرن السابع بكثير ـ كما تقدم ـ كما يلاحظ الخلط في أسماء الدعاة.

وأما الرواية الرابعة والخامسة فلعلهما أقرب إلى الصواب، حيث أن «البهرة» لم يكونوا جميعهم من المسلمين الجدد الذين أسلموا من الهندوس، كما أنهم ليسوا كلهم من العرب، بل بعضهم أسلم قديماً ثم اعتنق الإسماعيلية، والبعض الآخر أسلم من الهندوس على الأصول الإسماعيلية

---

(١) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/ ٧٢).
(٢) انظر: سلك الجواهر (٥١، ٥٢).
(٣) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (١/ ٩٢).

نتيجة نشاط الدعاة الإسماعيليين، ويوجد فيهم عدد قليل من العرب الذين وصلوا من بلاد «مصر» و«اليمن»، كما انضم إليهم «القرامطة» الذين طردهم «السلطان محمود الغزنوي» من مراكزهم في «ملتان» و«السند»، وكلهم سموا «بالبهرة» سواء أكانوا يتاجرون أم لا؟ وأصبح هذا اللقب علماً مميزاً على الفرع المستعلي من الإسماعيلية[١].

ومما يجدر بالذكر هنا أن جميع طائفة «البهرة» لم يعتنقوا عقائد الإسماعيلية، بل فيهم من هم من «أهل السنة» من القديم، كما أن بعض الدعاة من البهرة الإسماعيلية هداهم الله إلى السنة فقام بدعوة «البهرة» إلى «أهل السنة»، ومنهم «جعفر بن أبي جعفر الگجراتي»[٢]. وقد برز من «البهرة السنة» علماء كبار، منهم المحدث الشهير في القرن العاشر الهجري «الشيخ محمد بن طاهر الفتني[٣]»[٤].

انتقال الدعوة من اليمن إلى الهند:

ومع أن إمامة الدعوة الإسماعيلية كانت مستقرة في «مصر» أيام الدولة الفاطمية، إلا أن الدعوة في «الهند» كانت مرتبطة «باليمن» أكثر من «مصر»، خاصة بعد انفصال «الدولة الصليحية» باليمن عن الشيعة الفاطميين في «مصر»، وأصبحت «الدولة الصليحية» هي التي تحمي الدعوة الإسماعيلية المستعلية وتنشرها. ولما توفي الداعي «علي بن محمد الصليحي» عُيِّن مكانه «لمك» داعي قلم، ثم عين بعده ابنه «يحيى بن لمك»[٥]، وهكذا تسلسلت

---

(١) انظر: عقد الجواهر (١١٤).
(٢) انظر قصته في: مذاهب الإسلام (٣١٦، ٣١٧).
(٣) سيأتي التفصيل عنه في الفصل الثامن إن شاء الله ـ تعالى ـ.
(٤) انظر: مذاهب الإسلام (٣١٥ ـ ٣١٧).
ـ نزهة الخواطر (٤/٢٩٩، ٣٠٠).
(٥) هو: يحيى بن لمك الحمادي الهمداني (٠٠٠ ـ ٥٨٠هـ).
تولى رئاسة الدعوة الإسماعيلية في اليمن بعد أبيه «لمك الحمادي»، لعب دوراً نشطاً في نشر الإسماعيلية في «اليمن» و«الهند».
انظر: أعلام الإسماعيلية (٦٠٥، ٦٠٦).

الدعوة في «اليمن»، حتى جاء عهد «الداعي إدريس بن حسن» آخر داع في «اليمن» وفي عهده اختلت أمور الدعوة، وضعف شأن «الإسماعيلية» في «اليمن»، وتمكن «الزيود» من الاستيلاء على أماكنهم، ولم يبق عندهم إلا «حراز» وجبالها، وذلك عام (٩٤٦هـ). ومن هنا شعروا بالضرورة الملحة لنقل مركز الدعوة إلى مكان آمن، واختاروا لذلك إقليم «گجرات» من البلاد الهندية حيث مركز بني نحلتهم، واستُدعي لهذا الغرض أربعة نفر من «الهند»، وهم: «يوسف بن سليمان» و«جلال الدين» و«داود بن قطب شاه» و«داود بن عجب شاه»، وبعد تعليمهم أصول الإسماعيلية وتربيتهم لحمل أعباء الدعوة نص الداعي «إبراهيم بن حسن» على «يوسف بن سليمان» لحمل واجبات الدعوة من بعده، وأمره بالتوجه إلى «الهند»، وبهذا انتقلت الدعوة من «اليمن» إلى «الهند»، وعَهِد «يوسف بن سليمان» من بعده «لجلال الدين»، وهو «لداود بن عجب شاه» وهو «لداود بن قطب شاه»، وهكذا تسلسلت الدعوة حتى أيامنا هذه(١).

فرق البهرة الإسماعيلية:

لم يقع خلاف بين «البهرة الإسماعيلية» في مسألتي الإمامة والعقيدة، ولكنهم اختلفوا في الدعاة وطاعتهم، فقد افترقوا على اختلافهم في الدعاة إلى الفرق التالية:

الأولى ـ داودية:

نسبة إلى الداعي «داود بن قطب شاه» رابع الدعاة الأربعة الذين استدعوا إلى «اليمن» لنقل الدعوة إلى «الهند»، وذلك أن الداعي «داود بن عجب شاه» عينه داعياً قبل وفاته، فتسلم مهام الدعوة بعده، وأطاعه معظم البهرة في «الهند»، ولهذا سموا «بالداودية»، وهم السواد الأعظم في هذه الطائفة، ومركزهم مدينة «سورت» في إقليم «گجرات» حيث مقر الداعي

---

(١) انظر: سلك الجواهر في أحوال البواهر (٦٠، ٦١).
ـ مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٢١، ٣٢٢).

الدائم، ويوجد عدد كبير منهم في مدينة «بمبئي» الهندية، وفي مدينة «كراتشي» الباكستانية، كما يوجد أعداد منهم في شرق إفريقيا، خاصة في «تنزانيا» و«مدغشقر» و«كينيا»[1].

الثانية ـ السليمانية:

نسبة إلى «سليمان بن يوسف» ابن أخ زوجة الداعي المتوفى «داود بن عجب شاه»، وذلك أن «سليمان» هذا كان عاملاً في «اليمن» عن طريق الداعي «داود بن عجب شاه»، فلما توفي، وتولى منصب الدعوة «داود بن قطب شاه» رفض ذلك «سليمان» وادعى أنه هو الداعي بعد «داود بن عجب شاه»، وأبرز وثيقة مكتوبة في هذا الشأن مختومة بختم الداعي «داود بن عجب شاه» فأطاعه أكثر من في «اليمن» من هذه الطائفة، ثم سافر «سليمان» إلى «الهند»، وادعى أنه هو الداعي، وليس «داود بن قطب شاه»، فأطاعه البعض ورفضه آخرون، وجرت بين الداعيين أحداث معاداة وتناحر يطول ذكرها.

يوجد أتباع «السليمانية» في مدينة «بمبئي» و «وبروده» و«حيدر آباد» و«الدكن» الهندية، ويوجد كثير منهم في «اليمن» في منطقة «حراز» والجبال المحيطة بها، ويعرفون «بالمكارمة»[2].

الثالثة ـ العلوية:

نسبة إلى «علي بن إبراهيم بن الشيخ آدم صفي الدين» وهي فرقة منشقة من «الداودية» الرئيسية، وذلك أن «داود بن قطب شاه» المذكور، عهد بمنصب الداعي من بعده إلى «الشيخ آدم صفي الدين» وهو إلى «عبد الطيب زكي الدين» فخرج عليه حفيد «آدم صفي الدين» «علي بن

---

(١) انظر: مذهب الإسلام (٣١٢).
ـ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٢٩٨).
(٢) انظر: سلك الجواهر (٩٤، ٩٥).
ـ مذاهب الإسلام (٣١٣، ٣١٤).

إبراهيم» - كما عمل «سليمان» مع «داود بن قطب شاه» من قبل - وادعى - أي علي - أنه هو الداعي فاتبعه جماعة فاستقل بهم وانشق من «الداودية»[١].

الرابعة ـ نگوشية:

نسبة إلى كلمة «نه» بمعنى «لا» و«گوشت» بمعنى «اللحم»، أي: «لا للحم»، وهذه الفرقة هي الأخرى المنشقة من «الداودية» أيضاً، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وقالوا: إن صلاحية شريعة محمد ﷺ قد انتهت بانتهاء ألف وثلاثمائة سنة من مجيئها فلا يجوز أكل اللحوم[٢][٣].

الخامسة ـ ناگپورية:

نسبة إلى بلدة «ناگپور» المجاورة لمدينة «بمبئي»، وَانْشَقَّتْ هذه الفرقة أيضاً من «الداودية»، وكان سبب ذلك أن أحد رؤوس «الداودية» من «گجرات» يدعى «ملا عبد الحسين» وصل إلى مدينة «بمبئي» وادعى أنه «حجة» من الإمام المستور، وذلك عام (١٣١٤هـ)، فاتبعه عدد كبير من «الداودية»، منهم خمسة عشر من كبار علمائهم، وجرت بين الفرقتين مناظرات وخصومات، واتخذ «ملا عبد الحسين» من «ناگپور» مقراً له، واستقل بأتباعه.

يوجد أتباع هذه الفرقة في «بمبئي»، و«ناگپور» و«أجيّن» وغيرها من المدن الهندية، توفي «ملا عبد الحسين» عام (١٣٢٠هـ)، وعهد بالدعوة بعده إلى أحد أتباعه يسمى «حافظ غلام حسين»[٤].

هذه أشهر الفرق التي انقسمت إليها طائفة البهرة الإسماعيلية الطيبية، بالإضافة إلى تلك الفرق يوجد هناك فرق أخرى صغيرة، أمثال: «فرقة هجومية» و«فرقة هبتية» وغيرهما[٥].

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام (٣١٤).

(٢) يلاحظ هنا كيف أن الفرق الضالة تفترق فيما بينها بناءً على أهوائها، كما يشم منه رائحة «العقيدة الألفية» التي تقدم ذكرها.

(٣) انظر: مذاهب الإسلام (٣١٤).

(٤) انظر: مذاهب الإسلام (٣١٤، ٣١٥).

(٥) انظر تفاصيل عن هذه الفرق في: همارے إسماعيلي مذهب كي حقيقت اور اس كا =

عقائدهم:

عقائد «البهرة» هي عقائد الإسماعيلية بشكل عام، وفيما يلي أعرض السمات البارزة للبهرة في العقيدة والشريعة والسلوك الاجتماعي.

الإمامة:

تدين «البهرة» بفرقها المتعددة بإمامة «المستعلي» بعد «المستنصر بالله» الذي توفي عام (٤٩٥هـ)، ثم «الآمر بأحكام الله» الذي اغتاله النزاريون عام (٥٢٤هـ)، ثم «أبو القاسم الطيب» الذي دخل دور الستر عن الأعين في مهده، وتجري الإمامة من بعده في أعقابه، ولا يخلو زمان من إمام مستور[١].

مكانة الداعي:

يعتبر الداعي عند «البهرة» بمثابة همزة الوصل بين الإمام المستور وبين أتباعه، ولهذا يتفانون في خدمته وإرضائه. والداعي المطلق هو الحاكم الفعلي لجميع أفراد «البهرة الإسماعيلية»، له الأمر والنهي مطلقاً، فلا يصح من بهري أن يؤم المصلين إلا بإذنه، ولا يحق له أن يعمل عملاً خيِّراً من بناء مستشفى، أو مدرسة إلا بأمره. ولا ينعقد نكاح «البهرة» إلا إذا عقده الداعي، أو من أذن له من عماله.

يعتقد «البهرة» أن الداعي بمتابعته للإمام المستور يصل إلى مرتبته، فمن أخلص في تصوره وخدمته يتشرف بزيارة الإمام[٢].

كما يعتقدون أن «الدعوة الإسماعيلية» حبل أحد طرفيه بيد الله ـ تعالى

= نظام (حقيقة مذهبنا الإسماعيلي ونظامه)، للدكتور زاهد علي البهري (٢٩٢ ـ ٢٩٥)، مكتبة بينات، علامة بنّوري ٹاون، كراتشي.

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب (٤٠٥)، الطبعة الثانية (١٩٦٥م)، دار الأندلس، بيروت.

(٢) انظر: عقد الجواهر (١٢٤).

ـ سلك الجواهر (٦٤).

ـ والثاني بيد الداعي. يقول: «ملا طاهر سيف الدين» ـ أحد الدعاة ـ في كتابه: «ضوء نور الحق المبين» وهو يتحدث عن مكانة الداعي فيقول: «. . . لأنه حبل الله الذي طرف منه بيد الله، وطرف منه بيد العباد. وأنه لا نجاة لأحد دون معرفة عاليهم ودانيهم في المعاد. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[1] وإذا عرفتم هذا بالوجيز من المقالة؛ لأن الرسالة لا تحمل الإطالة، فنقول إن الحبل الذي ندبكم الله إلى الاعتصام به أحد طرفيه بأيديكم هو أخوكم، وأقل عبيد إمامكم، الذي يدعوكم إليه، ويهديكم. والطرف الآخر الذي بيد الله هو منتهى حدود عالم النفس، وهو رسول ربكم المؤيد بروح القدس الحال من عالم الدين محل الشمس. وإن إمام زمانكم محله من الدين محل الرسول، فهو في وقته منتهى حدود عالم الطبيعة، ومطرح أشعة عالم العقول. فمن زعم أن معرفته لنبيه، أو وصي نبيه، أو إمام زمانه تكفيه دون معرفة داعي أوانه، ضل عن قصد السبيل، وباء من عذاب الوبيل وكانت شهادة (هكذا) لله غير مقبولة؛ لأن أسبابه بجميع الحدود غير موصولة»[2].

يبدو واضحاً من هذا الكلام أن من لم يعرف داعي وقته فشهادته بالتوحيد مردودة عليه، ولو عرف النبي ووصيه وإمام زمانه ـ على حد زعمه ـ، كما يتضح مدى تأثرهم في فكرهم العقدي بالفكر اليوناني القديم، وآراء فلاسفته.

الإخفاء والكتمان:

وإن كان الكتمان أو الإخفاء صفةً ملازمة للدعوة الإسماعيلية في العصور الغابرة خوفاً من مخالفيها، إلا أنه ظهرت معلومات كثيرة في الآونة الأخيرة، خاصة عن الفرع النزاري منها، وذلك في كتابات المستشرقين والباحثين[3]، بينما «بهرة الهند» يسلكون حتى الآن مسلك من يقول:

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣. (٢) نقلاً عن مذاهب الإسلام (٣٢٩).

(٣) أمثال أبحاث المستشرق الروسي البروفيسور «إيڤانوف» عضو جمعية الدراسات =

«المذهب كالذهب يجب إخفاؤه»، فلا يتباحثون مع غيرهم في الأمور الدينية، ولا يسمحون للاطلاع على كتبهم وتراثهم، وأمور الدعوة عندهم كلها ستر وأسرار لا يكشفون لأحد حتى الطالب الإسماعيلي من «البهرة» لن يتلقى علم التأويل إلا بعد عهود ومواثيق. أما علم الحقيقة فلا يصل إليه إلا الشاذ والنادر منهم، لذا لا يسهل النفوذ إليهم، والوصول إلى ما عندهم[1].

صحيفة الموتى:

إذا مات أحد البهرة الإسماعيلي توضع في يده صحيفة بعد غسله وتكفينه. وهذه الصحيفة هي الشهادة من داعي الوقت على أن الميت كان على عقيدة «الإسماعيلية الطيبية»، يقوم عامل الداعي أو مأذونه بوضع هذه الصحيفة على يد الميت نيابة عنه. ولما كانت هذه الصحيفة تساعد في كشف عن جوانب عديدة عن عقيدتهم، كما تبين ترتيب أئمتهم وترتيب المسؤولين الآخرين عن الدعوة استحسنت أن أسوق عبارتها هنا وهي كالآتي:

«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم من الشيطان الرجيم. اللّهم هذا عبدك الضعيف الفقير المحتاج إلى رحمتك، جاءته أوقات التي ختمتها عليه، اللهم فتلقه بالروح والريحان، والتجاوز عن سيئاته بالإحسان إليه، وارفع روحه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً. اللهم ارحم جسمه اللابث في التراب، وأسر إليه من سواري لطفك ما يكون ضميناً له بالتخلص من العذاب، وقاضياً بكريم الرجعي وحسن المآب، بحق ملائكتك

= الإسلامية في «بومباي»، والمستشرق الفرنسي «ماسينيون»، والمستشرق الألماني «الدكتور شترو طمان» عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ، و«مسيو هنري كوريان» أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة طهران، والمستشرق الإنكليزي «برنارد لويس»، والباحث الإسماعيلي «عارف تامر»، و«مصطفى غالب» وغيرهم.
انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٢).

(١) انظر: سلك الجواهر (٦٥، ٦٦).

المقربين وحججك الروحانيين، وملائكتك النورانيين، وأنبيائك المرسلين الخيرة والصفوة من خلقك أجمعين. وبحق نبيك المصطفى، وأمينك المجتبى محمد خير من مشى على الغبراء، وأظلته الخضراء. وبحق وصيه علي بن أبي طالب أبي الأئمة النجباء، والحامل عن نبيك ثقل الأعباء. وبحق مولاتنا فاطمة الزهراء الإنسية الحوراء. وبحق الأئمة من نسلها، والصفوة من نجلها الحسن والحسين سبطي نبيك. وبعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وإسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل، وعبد الله المستور، وأحمد المستور، والحسين المستور، ومولانا المهدي، ومولانا القائم، ومولانا المنصور، ومولانا المعز، ومولانا العزيز، ومولانا الحاكم، ومولانا الظاهر، ومولانا المستنصر، ومولانا المستعلي، ومولانا الآمر، ومولانا الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين. وبحق أبوابهم وحججهم ودعاتهم. وبحق قائم آخر الزمان وحجته، وأئمة دوره صلوات الله عليهم أجمعين. وبحق داعي الوقت والأوان سيدنا ومولانا. . . ومأذونه سيدي. . . ومكاسره سيدي. . . . وحدوده الفضلاء الذين يقضون بالحق وبه يعدلون. حسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[١].

ولا يخفى أن هذه الصحيفة تقدم لنا صورة أخرى من صكوك الغفران التي مارسته الكنيسة في العصور الوسطى.

ميثاق:

يقيم «البهرة» أفراح العيد كل عام يوم (١٨) من شهر ذي الحجة بمناسبة إحياء ذكريات «غدير خم» فيصومون هذا اليوم، ويغتسلون، ويصلون ركعتين عند الغروب، ويأتي عامل الداعي لأخذ العهد والميثاق من كل بهري للاستمرار على عقائد المذهب، واجتناب مخالفتها، ثم يقوم كل فرد

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام (٣٠٣، ٣٠٤).
ـ سلك الجواهر (٨٨، ٨٩).

منهم بتقديم ما يستطيع من النذور والصدقات إليه - أي إلى العامل - فكل ما يتجمع عنده من الأموال يترك منها الربع لنفسه، وترجع ثلاثة أرباعها لصندوق الداعي[1].

الصلاة:

يصلي «البهرة» الصلوات الخمس في ثلاث مرات: الأولى: صلاة الفجر في وقتها، والثانية: صلاة الظهر عند الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف النهار، ثم يصلون العصر الساعة الواحدة. والثالثة: صلاة المغرب بعد غروب الشمس. ثم يصلون العشاء بعد ذلك مباشرةً.

و«البهرة» لا يصلون الجمعة، ولا يخطبون، بل يصلون الظهر بدلاً من الجمعة، كما يؤدون صلواتهم في مساجدهم الخاصة التي يسمونها «جماعت خانه»، ولا يصلون في مساجد المسلمين، كما لا يسمحون لغيرهم أن يصلوا في مساجدهم.

لا يحق لأحد أن يؤم «البهرة» في صلواتهم إلا عامل الداعي أو مأذونه، وإذا صلى بهم أحد بدون إذن «الداعي» تجب إعادة صلاة الجميع[2].

«فهم يصلون كما يصلي المسلمون، ولكنهم يقولون: إن صلاتهم تلك للإمام الإسماعيلي المستور من نسل «الطيب بن الآمر»، وهم يذهبون إلى مكة للحج كبقية المسلمين، ولكنهم يقولون: إن الكعبة هي رمز للإمام»[3].

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على اعتناقهم الأفكار «الباطنية»، وقطعهم أشواطاً طويلة في عقائدها.

الصوم والحج:

يعتمد الصوم والحج عند «البهرة» على تقويمهم الخاص، وعمدة هذا

---

(١) انظر: سلك الجواهر (٧٩، ٨٠). (٢) نفس المصدر (٧٧، ٧٨).

(٣) انظر: إسلام بلا مذاهب، للدكتور مصطفى الشكعة (٢٤٠)، الطبعة الخامسة (١٩٧٧م)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

التقويم إتمام شهر محرم بثلاثين يوماً، ونقصان صفر، وإكمال الربيع الأول، ونقصان الثاني، وإتمام جمادى الأولى، ونقصان الآخرة، وإتمام رجب، ونقصان شعبان، وإتمام رمضان، ونقصان شوال، وإتمام ذي القعدة، ونقصان ذي الحجة، وينسبون هذا التقويم إلى «الإمام جعفر الصادق».

وينبني على هذا التقويم تقديم يوم أو يومين عن عامة المسلمين في صيام رمضان، وعيد الفطر، والوقوف بعرفة. ينقل «الشيخ محمد نجم الغني» عن أحد «البهرة» طريقة أداء مناسك الحج فيقول: «قال لي أحد «البهرة»: إنا وصلنا «عرفات» قبل الناس كما وصل إليها إسماعيلية «اليمن»... وقد قمنا بأداء مناسك الحج قبل الناس بيومين، وحين وقفنا في «عرفات» تحت قيادة عالم يمني، أحاط بنا جمع من «أهل السنة»، وسألونا عما نعمل هنا قبل الوقفة، فأجبناهم بقراءة بعض الأدعية، فانصرفوا بعد سماع هذا الجواب الساذج، ثم انصرفنا إلى «مزدلفة» وبتنا فيها ليلتها جوار طريق الطائف الذي يسلكه الحجاج القادمون من «الطائف»، وكلما سألنا القادمون إلى «عرفة» عن سبب انصرافنا عنها أجبناهم بأننا قادمون من «الطائف»، سننزل «مكة» ثم نقدم منها إلى «عرفة»، وهكذا قضينا تلك الليلة، ثم عدنا إلى «عرفة» وأصبحنا شركاء لجميع الحجاج كالعادة»[1].

السلوك الاجتماعي عند البهرة الإسماعيلية:

يلتزم «البهرة» بالصلاة والصوم والحج حسب معتقدهم، ويتفانون في الولاء والطاعة لداعيهم. وهم يتركون اللحى، ويحلقون الرؤوس، لا يشربون السجاير ولا الشيشة. يلتزمون بزي خاص للرجال والنساء، ونساؤهم لا يلتزمن بالحجاب الشرعي، بل يتجولن في الأسواق متبرجات. و«البهرة» كاليهود لا يسمحون لأحدٍ باعتناق مذهبهم ما لم يولد من أصل بهري، وأينما حلوا أقاموا في حي واحد، ولا يسمحون لغيرهم بالسكن معهم.

---

(١) انظر: سلك الجواهر (٨٢، ٨٣).
ـ مذاهب الإسلام (٢٩٨، ٢٩٩).

تكون مساجدهم (جماعت خانه) ومقابرهم خاصة بهم، لا يصلون في مساجد عموم المسلمين، ولا يدفنون موتاهم في مقابر غيرهم. ومن عادة «البهرة» عند الفراغ من دفن الميت أنهم ينثرون الزهور على قبره ثم يُقَبِّلون وسط القبر ويسمونه «الزيارة»، ثم يعانقون أهل الميت بدون أن ينطقوا كلمة في العزاء.

لا يشارك «البهرة» غيرهم في مناسبات الأفراح والأحزان، وأواصر النكاح تدور بينهم كالحلقة المفرغة، لا يتزوجون مع غيرهم، وفي أفراح الزواج لا يقيمون حفلات الرقص والغناء، بل يضربون الدفوف، ويستعملون الألعاب النارية.

ومن السلوك الذي درج عليه بهرة اليوم هو إباحة التعامل بالربا، فهم يتعاملون بالربا علانيةً أخذاً وعطاءً، ومن الصعب تعيين الداعي الذي أباح لهم هذا التعامل، غير أنه لم يبرز على الساحة علناً كظاهرة تعامل إلا في عهد الإنجليز.

يتعصب «البهرة» كثيراً في التزام عقيدتهم وشعائرهم المذهبية، مع ذلك تأثروا في سلوكياتهم بتقاليد الهندوس، فهم يقيمون حفلات الأفراح في مناسبة «ديوالي» ـ أحد أعياد الهندوس ـ يزينون فيهم بيوتهم ومحلاتهم التجارية، ويعتبرون هذا اليوم بداية للسنة المالية الجديدة حيث يقفلون فيه دفاتر الحسابات القديمة، ويفتحون دفاتر جديدة، ويمر عليهم عامل الداعي، أو مأذونه، ويكتب عليها ـ أي الدفاتر ـ كلمة «بسم الله» تيمناً ثم يقبض العطايا والهدايا[١].

أشهر دعاة البهرة الإسماعيلية في القرن العاشر الهجري:

تقدمت الإشارة إلى أن الدعوة الإسماعيلية المستعلية انتقلت في القرن العاشر الهجري من «اليمن» إلى «الهند»، والذين استُدعُوا من «الهند» لهذا

---

(١) انظر: سلك الجواهر (٦٦، ٦٧).

ـ مذاهب الإسلام (٢٩٢، ٢٩٣).

الغرض هم الذين تولوا رئاسة الدعوة في هذا القرن، حيث ساروا إلى «اليمن» وأخذوا علم التنزيل والتأويل (؟) عن الداعي «عماد الدين إدريس بن الحسن» ثم رجعوا إلى «الهند».

أولهم: «يوسف بن سليمان السدهپوري الگجراتي»[1] (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، نص له بالدعوة «عماد الدين إدريس بن الحسن» من بعده.

والثاني: «جلال الدين بن الحسن الگجراتي»[2] (٠٠٠ ـ ٠٠٠) عينه «يوسف بن سليمان» داعياً من بعده.

وثالثهم: «داود بن عجب شاه الگجراتي»[3] (٠٠٠ ـ ٩٩٧هـ)، تولى رئاسة الدعوة بعد «جلال الدين».

ورابع أربعتهم: «داود بن قطب شاه»[4] (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، عهد إليه منصب الدعوة «ابن عجب شاه»، وفي عهده انقسمت البهرة الإسماعيلية إلى فرقتين: «داودية» و«سليمانية»، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ب ـ النزارية (الآغاخانية):

تاريخها ونشأتها:

أما «الإسماعيلية النزارية»، فقد كانت أكبر شأناً وأجل خطراً من «المستعلية البهرة». وقد تكونت هذه «الفرقة النزارية» على يد «الحسن بن الصباح» الذي ذهب إلى «مصر» في عهد «المستنصر الفاطمي»، وعلم منه أمره باستخلاف ابنه «نزار» ثم عاد إلى «فارس» كداعية إسماعيلي[5]. ولما علم بما أحدثه الوزير «الأفضل بن بدر الجمالي» وتحويله الإمامة إلى

---

(١) انظر: ترجمته في نزهة الخواطر (٤/ ٣٩٥، ٣٩٦).
(٢) نفس المصدر (٤/ ٦٩، ٧٠). (٣) نفس المصدر (٤/ ١٠٧، ١٠٨).
(٤) نفس المصدر (٤/ ١٤٦).
(٥) انظر: طائفة الإسماعيلية (٦٢، ٦٣).
ـ إسلام بلا مذاهب (٢٣٦).

«المستعلي» بدلاً من «نزار»، انتصر «الحسن بن الصباح» «لنزار» وصار يدعو له ولأبنائه، وجعل نفسه نائباً للإمام المستور من ولد «نزار». ورغم أن «نزاراً» وابنه قد قُتلا على يد الوزير «الأفضل» ـ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ـ غير أن «النزارية» تزعم بأن الإمام «نزار» قد تمكن من مغادرة «الإسكندرية» سراً أثناء الحصار، واتجه إلى بلاد «فارس» متخفياً في زي التجار، واستقر به المقام في جبال «الطالقان» حيث قلعة «ألموت»، وعمل مع الداعي «الحسن بن الصباح» على تأسيس الدولة النزارية، وبعد أن تم له ذلك، أصابه مرض شديد، استدعى على أثره دعاته ونص على إمامة ابنه «علي» وذلك سنة (٤٩٠هـ)، وتوفي في اليوم الثاني، ودفن في قلعة «ألَموت». ومن هنا انتشرت الدعوة «النزارية» في البلاد المختلفة، ومنها البلاد الهندية[(١)(٢)].

وإذا نظر الباحث إلى طائفة «النزارية» في البلاد الهندية في القرن العاشر الهجري، يجدهم خليطاً من السكان المحليين الذين اعتنقوا «الإسماعيلية»، ومن النازحين من البلاد الفارسية التي كانت تحت هيمنة «الإسماعيلية»، وذلك أن «هولاكو خان» لما نسف قلعة «ألموت» والقلاع الإسماعيلية الأخرى في «فارس» عام (٦٥٤هـ) تبعثر الإسماعيليون في البلاد المختلفة، وتوجه قسم منهم إلى البلاد الهندية، وكان إمام «النزارية» في

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٢٥٥).

(٢) ذكر «عبد الرحمٰن بدوي» أن هذه الرواية التي تسوقها «النزارية» ليس لها سند تاريخي، ولم يذكرها أي مؤرخ، وقصد من اختراعها الربط بين «نزار» وإسماعيلية «إيران» في «ألموت» وسائر القلاع الإسماعيلية.
انظر: مذاهب الإسلاميين (٢/ ٣٥٥، ٣٥٦)، نقلاً عن كتاب: دراسة عن الفرق (٣٠١ هامش رقم ٢).
وذكر الدكتور محمد كامل حسين: «أن «الحسن بن الصباح» أرسل بعض الفدائيين إلى «مصر» لإحضار «نزار» أو أحد أبنائه إلى «ألَمَوت»، ولكن الوزير في «مصر» قتل «نزاراً» وابنه، واستطاع الفدائيون أن يستصحبوا ابناً آخر «لنزار» إلى «ألَموت»، وهناك أخفاه «الحسن بن الصباح» حتى تأتي فرصة مناسبة يظهره فيها».
انظر: طائفة الإسماعيلية (٧١).

ذلك الوقت «شمس الدين خور شاه»[1] يتعهدهم بإرسال الدعاة، وتزويدهم بالإرشادات والتعليمات اللازمة[2].

كانت «النزارية» منذ أن حلت بهم الكارثة على يد «هولاكو خان» ـ مما أدى إلى تشتتهم في البلاد ـ تبحث عن أرض بكر تفرخ فيها، وتكون في مأمن من «هولاكو» وأمثاله في المستقبل، ولِمَا أن البلاد الهندية أرض الملل والنحل منذ القديم فإنهم قد اختاروها لهذا الغرض، ولَمَّا تولى «إسلام شاه»[3] إمامة الطائفة عُني بالدعوة في «الهند» عناية خاصة، وركَّز على الدعوة في منطقة «ملتان» وإقليم «السند» ـ لأنهما قد شهدتا ظهور «القرامطة» من قبل ـ وإقليم «البنجاب» و«وادي كشمير» و«المناطق الساحلية الغربية»؛ لكونها بلاد نائية عن أنظار الحكومة المركزية في «دهلي»، وبعث دعاةً مشهورين إلى «الهند»، وفي مقدمتهم «پير[4] صدر الدين» و«پير شمس الدين تبريزي» و«پير حسن كبير الدين».

وقد لعب أول الذكر دوراً نشطاً في نشر «الدعوة النزارية» في ربوع

(١) هو: شمس الدين بن ركن الدين خور شاه (٦٤٦هـ ـ ٧١٠هـ).
تولى إمامة النزارية بعد مقتل أبيه في أيدي المغول عام (٦٥٤هـ).
انظر ترجمته في: أعلام الإسماعيلية (٣١١، ٣١٢).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية (٨٨).
ـ أعلام الإسماعيلية (٣١٢).

(٣) هو: أحمد بن قاسم شمس الدين محمد، المعروف بإسلام شاه (٠٠٠ ـ ٨٢٧هـ).
تولى الإمامة بعد أبيه عام (٧٧١هـ).
انظر ترجمته في: أعلام الإسماعيلية (١١٦، ١١٧).

(٤) پير وحجة اسمان لمنصب واحد عند الإسماعيلية.
انظر: مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٤١).
هنا يلاحظ ذكاء الدعاة الإسماعيليين في اختيار الألقاب المناسبة لجذب العوام إلى دعوتهم؛ إذ كان لفظ «پير» يطلق في البلاد الهندية ـ وحتى الآن على المشائخ الصوفية، وقد شهد القرنان التاسع والعاشر الهجريين انتشاراً ملحوظاً للطرق الصوفية في البلاد الهندية، فكان الدعاة الإسماعيليون ينشرون عقائدهم تحت ستار المصطلحات الصوفية.

البلاد الهندية، ونجح في مهمته نجاحاً باهراً. وكان قد تعلم اللغة الهندية، وسمى نفسه باسم هندي، وصنف كتاباً سماه «دسا أوتار» أي الرسل أو النواب العشرة، وذكر فيه أن علياً ﷺ كان مظهراً من مظاهر الألوهية، وهو العاشر من تلك المظاهر. كما صنف كتاباً آخر سماه: «كنان»، واتبعه خلق كثير من كفار «الهند»، وسمى «پير صدر الدين» هؤلاء الناس الذين اتبعوه على الطريقة الإسماعيلية النزارية بـ «الخَوَاجَهْ»[1] ـ أي الرجل الشريف أو المكرم أو التاجر ـ ثم خففت هذه الكلمة فأصبحت تُنطق بـ «الخُوْجَهْ»، وهذا الداعي اتخذ مدينة «كوتري» بالسند مركزاً لدعوته «النزارية»، ومات في بلدة «أج» البنجابية عام (٨١٩هـ)، ودفن بها. كما عمل إلى جانبه الدعاة الآخرون لنشر «النزارية» في البلاد الهندية، وكان ذلك في الربع الأخير من القرن الثامن، والنصف الأول من القرن التاسع الهجريين[2].

---

(١) يجدر بالذكر هنا أنه وقع الخلاف بين جماعات «الخوجات» في اعتراف إمامة «آغا خان» للنزارية، فالسواد الأعظم من هذه الطوائف يعترف بإمامته، ويدفع له الخمس والزكاة. وهناك جماعات أخرى تسمى «بالخوجه» وتنسب نفسها إلى النزارية، لا تعترف بزعامة «آغا خان» كإمام للنزارية، منهم: «جماعة نورست» نسبة إلى الداعي «نور الدين» الذي وصل إلى «الهند» من «ألموت» في القرن السادس الهجري، وسمى نفسه بـ «نورست ساگر». يوجد أتباعه في إقليم «گجرات» ومنطقة «تهيا وار» الهنديتين.
ومنها جماعة «ست پنتهي» ـ أي طريق الخلاصة ـ وتنسب هذه الطائفة إلى الداعي «إمام الدين الحسيني الإسماعيلي» الذي قدم إلى إقليم «گجرات» وتعلم «السنسكريتية» وصاحب رجال الدين الهندوس، ودعا كفار «الهند» إلى مذهبه سراً وأجاز لهم أن يعيشوا على تقاليدهم الجاهلية، ويتبعوا مذهبه، وألّف كتاباً أسماه «ست ديني» باللغة الگجراتية.
ومنها: «جماعة خوجه الاثنا عشرية» الموجودة في مدينة «بمبئي». فهذه الطوائف من «الخوجات» ـ وهم من الإسماعيلية النزارية ـ لا تعترف بإمامة «آغا خان».
انظر: مذهب إسلام أورباطني تعليم (٣٣٢ ـ ٣٣٣).
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٣).
ـ مذاهب الإسلام (٣٤١).

(٢) انظر: مذهب إسلام أور باطني تعليم (٣٣٢).
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٣).

وما إن أَطَلّ القرن العاشر الهجري على بلاد فارس، وقد وصلت فيها الدولة الصفوية أوج مجدها، وكان «الصفويون» ينتمون إلى «الإمامية الاثني عشرية»، ويضربون كل حركة يرون فيها تهديداً لدولتهم، فاضطر «الإسماعيلية» في «فارس» أن يعيشوا متسترين تحت التقية والكتمان، مما أدى إلى تدفقهم إلى المناطق «الهندية» التي انتشرت فيها «النزارية». وكان من عادتهم أن يتنقلوا في البلاد في زي الدراوشة والمشائخ الصوفية ومع القوافل التجارية، وينشرون عقائدهم حتى صار لهم مراكز مهمة في إقليم «السند» وجنوب «البنجاب»، وفي إقليم «گجرات» و«بمبئي»[١].

ولما تولى إمامة النزارية «غريب ميرزا»[٢] قام بزيارة عمل «للهند» متخفياً في زي الدراويش، وذلك لنقل مركز إمامته إليها، واستقر مدة عام تقريباً في «السند» و«البنجاب» يجري المباحثات والترتيبات اللازمة لنقل مقر إمامته إلى «الهند»، وبعد أن أعد العدة عاد إلى «فارس» فأصابه مرض شديد توفي على أثره[٣].

وبعد وفاة هذا الإمام يكتنف تاريخ «الفرقة النزارية» في البلاد الهندية كثير من الغموض والخفاء ـ كما كان الحال في فارس أيضاً ـ إذ لم تكن لهم دولة تجمعهم، ولا قوة تحميهم، فكانوا منتشرين في أماكن وجودهم يعملون تحت ستار التقية والكتمان أحياناً، وتحت شعار المتصوفة حيناً، وكل ما تشير إليه المصادر «النزارية» أن الإمام في «فارس» كان يتعهدهم بإرسال دعاة إليهم من وقت إلى آخر[٤]، ولكن لا يوجد لهؤلاء الدعاة أي ذكر في تاريخ هذه الفرقة حتى ظهور «آغا خان الأول» في الساحة، ودخوله «الهند» عام (١٢٥٧هـ)، وذلك أن الإسماعيليين بعد أن فقدوا السيطرة على

---

(١) انظر: مذهب إسلام أور باطني تعليم (٣٣١، ٣٣٧).

(٢) هو: العباس بن عبد السلام شاه، المعروف بغريب ميرزا (٨١٥هـ ـ ٩٠٢هـ).
تولى إمامة النزارية عام (٨٩٩هـ) بعد أبيه.
انظر ترجمته في: أعلام الإسماعيلية (٣٣٢، ٣٣٣).

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) انظر: أعلام الإسماعيلية (٢٢٠، ٢٨٧، ٤١٣).

قلعة «ألموت» وغيرها من القلاع في شمال «إيران» نزحوا إلى غربها، ولا سيما في مقاطعة «كرمان»، ولما اغتيل إمامهم «شاه خليل الله علي»[1] ـ والد آغا خان الأول ـ عام (١٢٣٣هـ) ثارت «الإسماعيلية» في البلاد، وعاثوا في مقاطعة «يزد» المجاورة فساداً، كما أعلن «حسن علي شاه» ـ آغا خان الأول ـ الثورة في «كرمان» ضد شاه «إيران»، وبعد فشل الثورة تمكنت السلطات في «إيران» اعتقال «آغا خان»، ووضعه في السجن، ثم أطلق سراحه بتدخل من الإنجليز[2].

عاد «آغا خان» إلى «كرمان» وجمع رجاله وعتاده وتوجه إلى «أفغانستان» ليساعد الإنجليز في القضاء على الثورة في «قندهار» وبعد تمكين الاحتلال في «قندهار»، وُجِّه «آغا خان» إلى إخضاع «السند» عن طريق أتباعه، وكان النزاع على أشده بين الإنجليز وأهل «السند» حول تسلم مدينة «كراتشي» ـ ميناء السند ـ، شارك «آغا خان» في الحرب في صفوف الإنجليز»[3].

وقد كافأه الإنجليز مقابل هذه الخدمات مادياً ومعنوياً، حيث وفّر له المال والقصور في مدينة «بمبئي» لتكون مقره، وسهّل له سبل الاتصال والالتقاء مع «الإسماعيلية النزارية» في البلاد الهندية مهما بعدت مناطقهم، وأماكن وجودهم، كما دعم إمامته لما انحرف عدد من طوائف «الخوجة» عن زعامته، وحاولت الانفكاك من الالتزامات المالية «لآغا خان» شاكين في إمامته ونسبه، وكانت قد أحيلت إلى محكمة «بمبئي» الإنجليزية كثير من القضايا، دعم فيها الإنجليز طرف «آغا خان» في كل قضية وغرّم خصومه بدفع تكاليف القضية كلها[4].

---

(١) هو: خليل الله علي شاه الثاني، والد آغا خان الأول (١١٥٣هـ ـ ١٢٣٣هـ).
وهو آخر أئمة الإسماعيلية النزارية الذين قطنوا «إيران».
انظر: أعلام الإسماعيلية (٢٨٧، ٢٨٨).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية (١١٢).

(٣) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٣).

(٤) نقل الدكتور خادم حسين إلهي بخش صور بعض هذه القضايا في كتابه القيم: «أثر =

يقول أحد الإسماعيليين في هذا الشأن: «... اعترفت المحكمة المذكورة في هذا الصدد بقرارها التاريخي العظيم الذي سردت فيه تاريخ حياة أسرة «آغا خان» منذ عهد «علي بن أبي طالب ﷺ حتى وصول «آغا خان» إلى «الهند». أقول: اعترفت بزعامة «آغا خان» الروحية للإسماعيلية، واعتبر أتباعه الذين كانوا يسمون (الخواجات) من «الإسماعلية النزارية»، ومنحتهم المحكمة الحرية التامة في مزاولة نشاطهم الديني كبقية الطوائف والفرق في بلاد «الهند»؛ وقد أقر مجلس اللوردات البريطاني هذا القرار، ومنح «آغا خان» لقب «صاحب السمو الملكي»، وأرفع وسام في المملكة البريطانية للسلام»[١].

وهكذا عمل الإنجليز لتثبيت إمامة «آغا خان» الأول، واستمرت الإمامه في أعقابه حتى هذه اللحظة[٢]. ومن الامتيازات التي منحتها الحكومة البريطانية «لآغا خان» أن يطلق له إحدى عشر مدفعاً عند مقدمه إلى الحفلات الرسمية التي تقيمها الحكومة[٣].

ويتمركز «النزارية» حالياً في «بمبئي» و«گجرات» و«كچه» و«كاتهياوار» و«كلكته» و«كشمير» في «الهند». وفي «كراتشي» و«لاهور» و«ملتان» و«گلگت» و«چترال» و«هونزا» وغيرها من المناطق في «باكستان».

كما يوجد لهم بعض المراكز في «داكا» و«شيتاغونغ» من بنغلاديش.

عقائد الخوجه:

عقائد طائفة الخوجه (الإسماعيلية النزارية) في البلاد الهندية هي عقائد

= الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية».
انظر: (ص٣١٤، ٣١٥، ٣١٦).

(١) انظر: أعلام الإسماعيلية (٢١٨، ٢١٩).

(٢) ويتولى الإمامة حالياً «كريم بن علي بن محمد شاه الحسيني» آغا خان الرابع (١٩٣٦م ـ ٠٠٠). تولى إمامة الطائفة بعد وفاة جده «محمد شاه الحسيني» آغا خان الثالث (١٩٥٧م).
انظر: أعلام الإسماعيلية (٤٣٤ ـ ٤٣٦).

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٨٠).

الفرقة الإسماعيلية الباطنية، فهي الوارثة لعقائد أصحاب قلعة «ألموت». والمعروف أنهم ـ أي أصحاب ألموت ـ منذ عهد «الحسن بن محمد الثاني»[1] الذي خطب أصحابه بعيد القيام، نسخ فيها الشريعة الإسلامية، وأعلن قيامة الموتى، ونهاية الدنيا، وأن الذين استجابوا لدعوته قد بعثوا الآن للحياة الباقية، ومن لم يستجيبوا له قضى عليهم بالفناء، وذلك عام (٥٥٩هـ)[2].

واتفق الإسماعيليون على تسمية هذا اليوم «بعيد القيام»، فمنذ عيد القيام أعفي «الإسماعيلية النزارية» من التكاليف الشرعية، فلم يعودوا في حاجة إلى الصلاة والصوم والحج... لذا نجد فرع «النزارية» ـ الخوجه ـ في البلاد الهندية لا يلتزمون بالأعمال الشرعية الظاهرية، ويدَّعُون أن معرفة الإمام ومحبته والولاء له كافية لنجاة الإنسان في الآخرة، ولذا أحلّوا (جماعت خانه) مقام المسجد، وعوضوا الصلاة والصوم... بتقديم هدايا عينية، أو مالية إلى الإمام[3].

هذا، وقد مزج الدعاة «النزارية» في البلاد الهندية مبادئ الدعوة الإسماعيلية بالمعتقدات الهندوسية والتقاليد الوثنية، وفيما يلي أعرض لأهم السمات البارزة لهذه العقائد.

التوحيد والرسالة:

يعتقد «الخوجه» في البلاد الهندية أن النبي محمداً ﷺ كان «براهما» في الدور الأول، وآدم عليه السلام «سيفا»، كما كان علي رضي الله عنه الإله «وشنو».

---

(١) هو: حسن بن محمد بن كيا بزرگ (٥٣٩هـ ـ ٥٦١هـ).
تولى الإمامة بعد أبيه عام (٥٥٧هـ)، وادعى أنه من نسل «نزار بن المستنصر الفاطمي».
انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٤٥٦).

(٢) انظر: دولة الإسماعيلية في إيران، للدكتور محمد السعيد جمال الدين (٢١٤، ٢١٥)، طبعة (١٩٧٥م) مؤسسة سجل العرب.
ـ طائفة الإسماعيلية (٨٠ ـ ٨٢).

(٣) انظر: همارے إسماعيلي مذهب اور اس كا نظام (١٣٣).

وحسب الأساطير الهندوسية أن الإله «وشنو» سيظهر في الزمن المستقبل في مظهر «أوتَار» أي رسول. ولما وصل «پير صدر الدين» إلى البلاد الهندية وتعرف على هذه العقيدة الهندوسية مزجها بالمبادئ الإسماعيلية وقال: إن علياً رضي الله عنه كان «وشنو» في الدور الأول هو الذي ظهر في مظهر «أوتار» أي رسول، وهو ـ أي پير صدر الدين ـ نائب عنه، وصنَّف في ذلك كتاباً سماه «دَسَا أوتَار» ـ أي الرسل العشرة ـ[1].

ويعتقد «الخوجه» ـ وهم الآغا خانية المعاصرة ـ أن مكانة «علي» رضي الله عنه أعلى وأرفع من مكانة النبي ﷺ؛ لأن علياً كان هو الإله، وكان محمد ﷺ رسوله، ولذا نجدهم يرددون كلمة التوحيد هكذا: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وأشهد أن علي الله»[2].

ويشرحون ذلك بقولهم: «أشهد أنه لا معبود بحق سوى الله، وأشهد أن محمداً رسوله، وأشهد أن رئيس المتدينين علياً حل فيه نور الإله، أي أن علياً من الله عز وجل»[3].

ويعتقد «الخوجه» أن جميع أئمة «النزارية» هم «أوتار» علي رضي الله عنه، فلهم تلك المكانة من الألوهية التي كان يتمتع بها علي رضي الله عنه[4] فهم ينسبون إلى «آغا خان» ـ الذي يسمون بـ «حاضر إمام» ـ هذه المكانة من الألوهية وهو يرضى بها.

ذكر «الدكتور محمد كامل حسين» في ذكرياته مع آغا خان الثالث «محمد الحسيني شاه»: «إني كنت أناقشه في بعض المسائل الفلسفية الخاصة بتطور عقيدة الإسماعيلية، وطالت المناقشة، وتفرعت من موضوع إلى موضوع مما جعلني أعجب به أشد الإعجاب بعقليته وثقافته وسعة اطلاعه،

---

(١) انظر: مذهب إسلام أور باطني تعليم (٣٣٩).

(٢) انظر: حقيقت إسماعيلية، لأكبر علي مهر علي (١٤٢) إداره مطبوعة تكبير.

(٣) انظر: إسماعيلي تعليمات (ص١)، الكتاب الأول للمدارس الإسماعيلية في باكستان، نقلاً عن أثر الفكر الغربي (٣١٨).

(٤) نظر: مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٤٠).

وإحاطته بكل ما يتعلق بالإسماعيلية إحاطة تامة، فاستأذنته في توجيه سؤال ربما أُغْضِبُهُ، فلما وعدني بعدم الغضب قُلتُ له:

ـ لقد أدْهَشْتَني بثقافتك وعقليتك، فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إله؟.

ـ فضحك طويلاً، وعلت قهقهاته، ودمعت عيناه من كثرة الضحك ثم قال:

ـ هل تريد الإجابة عن هذا السؤال، إن القوم في «الهند» يعبدون البقرة، ألست خيراً من البقرة»[1].

ويؤكد هذا «الآغا خان» ادعاء ألوهيته في خطابه لزوجته الفرنسية، فمما قال لها غداة يوم زواجهما: «أنت لا تجهلين، ولا ريب بأني أمير شرقي كبير، وأعتقد بأنك تجهلين بأن آلافاً وآلافاً من البشر يعتقدون بأن الإله متجسم فيّ تقريباً. نعم، إن هذا لا أهمية له هنا، وأما في «الهند» و«سوريا» و«إيران» و«الباكستان» و«بورما» و«سيلان» له أهمية كبرى...».

ومما جاء فيه أيضاً: «... إن علياً كان يعلم معنى وحيه السامي الخفي، ومع هذا فقد قتله أولئك المجانين، ولكن الوحي الذي جاء به لم يتوقف بل سار في الخفاء حتى وصل إليّ...»[2].

هكذا «آغا خان» زعيم طائفة الخوجه ـ الإسماعيلية النزارية ـ الذي يزعم أن في عروقه يجري دم الرسول ﷺ يضفي على نفسه صفة الألوهية التي هي من أخص خصائص الرب ـ سبحانه وتعالى ـ، كما لم يبرح حتى ادعى نزول الوحي عليه.

التناسخ والإيمان باليوم الآخر:

يؤمن «الخوجه» بالتناسخ، وفي نفس الوقت يؤمنون بوجود الجنة والنار، ويعتقدون أن من كان سلوكه قويماً يكون مصيره إلى الجنة بدون

---

(١) انظر: طائفة الإسماعيلية (١٢٦، ١٢٧).

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسماعيلية (٣٧٢، ٣٧٣).

حساب، ومن كان سلوكه عكس ذلك يكون مصيره إلى النار بدون حساب أيضاً. ومن كان بين ذلك يبعث إلى الدنيا مرةً ثانيةً حتى يكون مؤهلاً للجنة بالأعمال الصالحة، أو يكون مستحقاً للنار بالأعمال السيئة[1].

موقفهم من القرآن الكريم:

يعتقد «الخوجه» أن القرآن الكريم آخر «الويدا»[2] الموثوق به والمعتمد عليه. ولكن المصحف الموجود لدى الأمة الإسلامية، لا يوثق به، ولا يعتمد عليه[3]. وقد أصدر «آغا خان الثالث» فرماناً في يوم (٣٠) من شهر يوليو لعام (١٨٩٩م) في «زنجبار» قال فيه: «إن الخليفة عثمان قام بحذف أجزاء من القرآن الكريم، وإن بدأت أنسخ القرآن يستغرق ذلك ست سنوات. وأبعث لكم هذه النسخة، فترون فيها ماذا حذف ـ أي عثمان ـ وماذا غيّر وبدّل»؟[4].

الصلاة:

«الخوجه» لا يصلون، بل يجتمعون للدعاء في «جماعت خانه» ثلاث مرات في اليوم، وفي كل دعاء يتكرر اسم «الإمام الحاضر» سبع عشرة مرة، وكلما يذكر اسمه يقعون له ساجدين، وبعد قراءة الدعاء يرتلون «كنان»[5]. وأضاف الإمام الحاضر ـ كريم خان الحسيني ـ قراءة «سورة الفاتحة» و«الإخلاص» بعد الدعاء[6].

---

(١) انظر: مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٤٠).
(٢) «الويدا» كتاب الهندوس المقدس، لا يعرف له واضع معين. وله قيمة كبرى في الديانة الهندوسية. و«الويدا» عبارة عن أربع كتب دينية، وهي:
١ ـ الريج ويدا، ٢ ـ ياجور ويدا، ٣ ـ ساما ويدا، ٤ ـ آثار ويدا.
انظر: أديان الهند الكبرى (٤٥ ـ ٤٧).
(٣) انظر: مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٤٠).
(٤) انظر: حقيقت إسماعيلية (١١٠).
(٥) وهو أحد كتابي پير صدر الدين المقدسين لدى طائفة الخوجه.
(٦) انظر: حقيقت إسماعيلية (١٣٧).
ـ مذاهب الإسلام (٣٤٨).

الكتب المقدسة:

يُعَدُّ كتاب «دسا أوتار» وكتاب «كنان» كتابين مقدسين لدى طائفة «الخوجه» يعملون بما جاء فيهما، ويرتلونهما بعد الدعاء وفي المناسبات الأخرى، وعند رأس المحتضر، وهما من تأليف: «پير صدر الدين»، وباللغة الگجراتية الهندية»[(١)].

علي جي كا مَنْدِر:

عمل الداعي «پير صدر الدين» بناء معابد خاصة لطائفة «الخوجه» سماها «علي جي كا مندر» ـ أي معبد السيد علي ـ ووضعت فيها تماثيل لعلي ـ أعاذنا الله منه ـ وذلك حفاظاً على تقاليد الهندوس الوثنية، وكان «الخوجه» يجتمعون فيها، ويرددون الأناشيد في مدح علي ﷺ[(٢)].

البطاقة السرية:

توجد في معابد «الخوجه» ـ جماعت خانه ـ بطاقة سرية مكتوبة عليها أسماء خمسة: محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ـ ﷺ أجمعين ـ، يضع «الخوجه» هذه البطاقة على رؤوسهم، ويتبركون بها[(٣)].

ليلة الغفران:

تعتبر ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان ليلة الغفران لطائفة «الخوجه». وفي هذه الليلة يتحسرون على ما صدر منهم من ذنوب وأخطاء، فتغفر لهم، وبعد انصراف آغا خان من «جماعت خانه» ـ إن كان

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام (٣٣٤).
ـ مذهب إسلام اور باطني تعليم (٣٣٩).

(٢) انظر: مذاهب الإسلام (٣٤٩).
بنيت هذه المعابد في إقليم «گجرات» و«السند» وجنوب «البنجاب» في القرن التاسع الهجري. وأما في الوقت الحاضر يسمى معابد «الخوجه» ـ الإسماعيلية النزارية ـ «جماعت خانه» ـ كما هو الحال عند البهرة أيضاً ـ وتوضع فيها صور كبيرة لـ «كريم خان الحسيني» حاضر إمام.

(٣) انظر: مذاهب الإسلام (٣٤٨).

قد حضر بهذه المناسبة - يرتلون كتاب «دسا أوتار»[1].

آب شفا (ماء الشفا):

وهو عبارة عن ماء مزج بتربة «كربلا» يحصل عليها «الخوجه» في مقابل مبلغ كبير من المال الذي يقدم إلى «الإمام الحاضر»، ويعتقدون أن شرب هذا الماء يطهرهم من الذنوب والآثام[2].

طريقة التحية:

يتبادل «الخوجه» التحية بينهم بقولهم: «يا علي مدد»، ويردون عليها بقولهم: «مولى علي مدد»[3][4].

أشهر الدعاة في القرن العاشر الهجري:

لم أجد في الطائفة النزارية دعاة مشهورين في القرن العاشر الهجري في البلاد الهندية، كما وجد في القرن الثامن والتاسع الهجريين، أمثال: «پير صدر الدين» وغيره. وكان «الإمام غريب ميرزا» قد عزم على نقل مركز الإمامة من «فارس» إلى «الهند»، وقام بزيارة خفية في مناطق نفوذ «النزارية» لهذا الغرض، وذلك في مطلع القرن العاشر الهجري ولكنه لم يتم بسبب موته المفاجئ[5]. والذين تولوا الإمامة من بعده فضلوا القيام في «إيران» حتى جاء عهد «آغا خان الأول» الذي انتقل إلى «الهند». كما تقدم.

الفروق البارزة بين البهرة والخوجه:

بعد دراسة طائفتي «الإسماعيلية» في البلاد الهندية يمكن تلخيص الفوارق البارزة بين الطائفتين في النقاط الآتية:

---

(١) انظر: مذاهب الإسلام (٣٤٨، ٣٤٩). (٢) انظر: حقيقت إسماعيلية (١٤٢).

(٣) نفس المرجع (١٤٢).

(٤) وفي الآونة الأخيرة قد أصبحت عبارة «يا علي مدد» شعاراً لطوائف الشيعة في باكستان، ومن يتجول في مدينة كراتشي» و«لاهور» و«ملتان» و«إسلام آباد» يلاحظ هذا الشعار في واجهات السيارات، والمحلات التجارية، والعمائر السكنية حتى الدوائر الحكومية التي توجد فيها أتباع هذه الطوائف.

(٥) انظر: أعلام الإسماعيلية (٣٣٢، ٣٣٣).

الأولى: في الإمامة:

يسوق «البهرة» الإمامة بعد «المستنصر بالله الفاطمي» إلى ابنه «المستعلي» (ت٤٩٥)، ثم في أعقابه؛ ومن هنا سموا «المستعلية». بينما «الخوجه» يسوقونها بعد المستنصر بالله» إلى ابنه «نزار» وفي أعقابه فسموا «بالنزارية».

الثانية: في الستر والظهور:

يعتقد «البهرة» أن الإمامة انتقلت بعد «المستعلي» إلى ابنه «الآمر بأحكام الله» ثم إلى ابنه «أبي القاسم الطيب» الذي دخل دور الستر، ولا يخلو زمان من إمام مستور من أعقاب «الطيب» هذا؛ ولهذا سموا «بالطيبية» أيضاً، بينما يعتقد «الخوجه» أن الإمامة استمرت في أعقاب «نزار» في الظهور حتى وصلت إلى «آغا خان» الحالي، ولذا يسمونه «حاضر إمام». وأما «البهرة» فيسمون زعيمهم «داعي».

الثالثة: في الالتزام والانحلال:

يلتزم «البهرة» بفرائض الإسلام ـ حسب معتقدهم ـ من صلاة وصيام وحج، بينما «الخوجه» لا يلتزمون بفرائض الدين، كما يلاحظ أن الثانية أشد تأثراً بالمعتقدات الوثنية، والتقاليد الجاهلية.

الرابعة: في الانغلاق والانفتاح:

إن «البهرة» أمة محصورة، ومنغلقة على نفسها، لا يسمح لغير «البهرة» باعتناق مذهبهم ما لم يولد من أصل «بهري»، كما أنهم يتميزون عن غيرهم بزيهم الخاص، وسلوكهم الخاص ـ كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ـ، وأما «الخوجه» فتحاول فرض سيطرتهم لتحويل المسلمين إلى «الإسماعيلية النزارية»، وتبعية «آغا خان» عن طريق القروض المالية لتطوير القرى وتنميتها، ولهم في ذلك مشاريع أشهرها «مؤسسة آغا خان لمنطقة چترال الباكستانية»، حيث أكبر تجمع للخوجه[١]، كما أنهم ـ أي الخوجه ـ

---

(١) انظر: أثر الفكر الغربي (٣٢٢، ٣٢٣).

يسلكون مسلك من يقول: «در بالليالي كما تدور» ففي كل بلد ينزلون يندمجون مع أهله، وهذا «آغا خان الثالث» يوصي أتباعه في «بورما» أن يندمجوا إلى أقصى حد ممكن بالحياة الاجتماعية والسياسية في «بورما» وأن يتخلوا عن أسمائهم الهندية الإسلامية، وعن عاداتهم وتقاليدهم، وأن يتخذوا بصورة دائمة أسماء أولئك القوم وعاداتهم وتقاليدهم الذين يعيشون بينهم[١].

ثانياً: الإمامية الاثنا عشرية[٢]:

تُعَدّ الاثنا عشرية إحدى فرق الشيعة الإمامية التي لها وجود معاصر حتى يومنا هذا. وهؤلاء يحصرون الأئمة في اثنى عشر إماماً من آل البيت، وهم على الترتيب كالآتي:

١ - علي بن أبي طالب (٠٠٠ - ٤٠هـ).

٢ - الحسن بن علي (٣هـ - ٥٠هـ).

٣ - الحسين بن علي (٤هـ - ٦١هـ).

٤ - علي زين العابدين بن الحسين (٣٨هـ - ٩٥هـ).

٥ - محمد الباقر بن علي (٥٧هـ - ١١٤هـ).

٦ - جعفر الصادق بن محمد (٨٣هـ - ١٤٨هـ).

٧ - موسى الكاظم بن جعفر (١٢٨هـ - ١٨٣هـ).

٨ - علي الرضا بن موسى (١٤٨هـ - ٢٠٣هـ).

٩ - محمد الجواد بن علي (١٩٥هـ - ٢٢٠هـ).

١٠ - علي الهادي بن محمد (٢١٢هـ - ٢٥٤هـ).

---

(١) انظر: الإسماعيلية المعاصرة، لمحمد أحمد الجوير (١٤٣)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

(٢) وتعرف أيضاً باسم «الرافضة» و«الجعفرية» نسبة إلى الإمام جعفر الصادق.

١١ ـ الحسن العسكري بن علي (٢٣٢هـ ـ ٢٦٠هـ).

١٢ ـ محمد المهدي بن الحسن (٢٥٦هـ ـ ٠٠٠).

وبهذا يتم لهم اثنا عشر إماماً، ولهذا سموا «بالاثني عشرية»، فهم يشاركون «الإسماعيلية» في الستة الأول، ويخالفونها في السابع، فيقولون: إن الإمامة انتقلت بعد «جعفر الصادق» إلى ولده «موسى الكاظم»، ويقررون أن «إسماعيل» قد مات في حياة أبيه، فانتقلت الإمامة بعده إلى أخيه «موسى». أو أن «إسماعيل» لم يمت ـ كما يزعم الإسماعيلية ـ ولكن صرفت عنه الإمامة لاتصافه بما ينافيها من السلوك إلى آخر المجادلات التي اشتهرت بين الفريقين.

ويعتقد «الاثنا عشرية» بأن الإمام الثاني عشر دخل سرداباً في دار أبيه «بسامرا» وأمه تنظر إليه، واختفى، وأنه يخرج في آخر الزمان، فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً[١].

نشأتها في البلاد الهندية:

أول من وطئت قدماه أرض «الهند» من «الفرقة الاثنى عشرية» هو «الشيخ علي الحيدري القزويني»[٢] الذي وصل إلى «كهنبايت» ـ من بلاد گجرات ـ في القرن الثامن الهجري، أسلم على يديه كثير من الهندوس على أصول الاثنى عشرية، كما تشيع عدد كبير من المسلمين[٣].

وكان وصول الدعاة الاثني عشريين من «إيران» مستمراً من وقت إلى

---

(١) انظر: الملل والنحل (١٦٩، ١٧٣).
ـ دراسة عن الفرق (١٧٩، ١٨٠ ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧).

(٢) هو: علي الحيدري الهمداني القزويني (٠٠٠ ـ ٠٠٠).
أحد القادمين من «إيران» إلى «الهند»، دخل «گجرات» ولازم أحد أحبار الهنود، وأخذ عنه علوم «الهند»، لعب دوراً في نشر الاثنى عشرية في ربوع الهند.
انظر: نزهة الخواطر (٢/٨٣، ٨٤).

(٣) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٧، ٢١٨).

آخر إلى البلاد الهندية حتى تولى مملكة «الهند» «همايون بن بابر المغولي»[1] بعد وفاة أبيه في مطلع القرن العاشر الهجري، وفي أيامه قويت شوكة «شير شاه السوري الأفغاني»[2] واستولى على إقليمي «بِهَار» و«البنغال»، ولم يتمكن «الملك همايون» من الصمود أمام هجماته بعد أن انهزم في معركة «قَنّوج» فغادر «دهلي» متوجهاً إلى «إيران» واستنجد «بالشاه طهماسب الصفوي»[3] هنا وجد الشاه ـ الذي يعتبر نفسه داعي الاثنى عشرية والمدافع عن حوزتها ـ فرصة ثمينة لرفع راية عقيدتها في بلاد «الهند» و«الأفغان»[4]، فعرض على «الملك همايون» اعتناق هذا المذهب مقابل مساعدته لاسترداد مملكة «الهند» و«الأفغان» إلى الحكم المغولي من جديد، وهنا يختلف المؤرخون فيما إذا كان هذا الملك قد استجاب لطلب الشاه «طهماسب» أو لم يستجب[5].

ولكن الأمر الذي لا شك فيه هو أن «الملك همايون» أكد «للشاه طهماسب» فتح «أبواب البلاد الهندية لدعاة «الشيعة» الإيرانيين، ونشر التشيع بين سكانها السنيين بدون عائق، فأمده الشاه بأموال وجنود كان من بينهم ابنه «محمد ميرزا بن الشاه طهماسب» وأمراء «قزلباش»، واستطاع «همايون» استعادة مملكته للمرة الثانية بمساعدة الجيش الإيراني، وبهذا فتحت أبواب «الهند» أمام الوافدين من «إيران»، وسمح «الملك همايون» لعلماء الشيعة الاثنى عشرية القادمين من «إيران» بنشر التشيع بين السنيين الهنود[6].

وما إن تولى «الملك أكبر بن همايون» عرش مملكة «الهند» عام

---

(١) تقدمت ترجمته. (٢) تقدمت ترجمته.

(٣) تقدمت ترجمته.

(٤) إذ كانت بلاد الأفغان تتبع للحكم المغولي في «دهلي» آنذاك.

(٥) قد سبقت الإشارة إلى هذا الموضوع.

(ص٤٥٣).

(٦) انظر: نزهة الخواطر (٤/٣٧٩ ـ ٣٩٢).

ـ تاريخ الصفويين وحضارتهم (١٣٤، ١٣٥).

الإمام السرهندي حياته وأعماله (٣٨، ٣٩).

(٩٦٣هـ)، وبدأ ينحرف عن جادة الصواب، ويرحب بكل شاردة وواردة، زاد «الشيعة» نفوذهم في البلاط الملكي، فكان «الملك أكبر» يحتفي بعلماء الشيعة القادمين من «إيران» ويجعلهم من خواصه وحاشيته، ويقلدهم المناصب العليا. وكان هؤلاء الشيعة أبرز من يشاركون في المباحثات الدينية في «عبادت خانه» أمام «الملك أكبر» ويطعنون على الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ ويسبون جميع الصحابة والتابعين، والسلف الصالحين، ويحكمون عليهم بالكفر والفسق، وتمكنوا من إفهام الملك أن الفرق كلها باطلة ما عدا «الشيعة» مما صعّد من نفوذهم في البلاد[١].

وقد تزامن انتشار التشيع الاثنى عشري في البلاد الخاضعة للدولة المغولية انتشاره في الأقاليم المستقلة الغربية والجنوبية البعيدة عن الحكومة المركزية في «دهلي»، فقد شهدت منطقة «بيجاپور» ـ من بلاد الدكن ـ انتشاراً ملحوظاً للتشيع الاثنى عشرية، إذ تشيع «يوسف عادل شاه»[٢] ـ حاكم هذه المنطقة ـ وخطب للأئمة الاثنى عشر، وبذل قصارى جهده لنشر مبادئ هذا المذهب في ربوع «الهند»[٣].

كما اعتنق «برهان نظام شاه»[٤] حاكم ولاية «أحمد نگر» ـ من بلاد الدكن الجنوبية ـ تحت تأثير «الشيخ طاهر بن رضي القزويني»[٥] وغلا «برهان نظام شاه» في مذهبه الجديد، حتى أمر الناس بسبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ علناً وجهراً في المساجد، والشوارع، والأسواق. وعين رواتب مغرية لمن يقوم بهذه الخدمة، وقام بقتل كثير من «أهل السنة والجماعة»، كما أسر كثيراً منهم[٦]

---

(١) كما كان من «الشيخ يزدي» وغيره في البلاط الملكي الأكبري، وقد سبق الكلام عليه في المبحث الأول من الفصل السادس.
(٢) ستأتي ترجمته في أشهر الدعاة.
(٣) انظر: تاريخ فرشته (٢/١٠٤).
ـ نزهة الخواطر (٤/٣٩٨).
(٤) ستأتي ترجمته في أشهر الدعاة. (٥) ستأتي ترجمته في أشهر الدعاة.
(٦) انظر: نزهة الخواطر (٤/٥٣، ٥٤).
ـ الإمام السرهندي (٣٨).

وهكذا تشيع «السلطان قلي مير علي الهمداني»[1] حاكم منطقة «تلنكانه» ـ من بلاد الدكن الجنوبية ـ بعد أن استقل بهذه المنطقة عام (٩٥٠هـ)، وقد وصل إليه الداعي «طاهر بن رضي القزويني» من منطقة «أحمد نگر» لتهنئته على تولية السلطان في هذه المنطقة، وقد تشيع هو الآخر تحت تأثيره، كما كان من «عادل شاه» ـ حاكم أحمد نگر ـ وأمر بالخطبة للأئمة الاثنى عشر، وحذف أسماء الخلفاء الثلاثة ﷺ، كما أمر الخطباء أن يذكروا اسم شاه «إيران» «إسماعيل الصفوي» قبل اسمه، وأن يدعوا له. وكان «الشيعة» في هذه المنطقة أيضاً يقومون بسبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ جهراً وعلناً في الأماكن العامة، كما كان الحال في منطقة «أحمد نگر» المجاورة[2].

وهكذا قامت للشيعة الاثنى عشرية دويلات مستقلة في غرب البلاد الهندية وجنوبها في القرن العاشر الهجري، ولعبت هذه الدويلات دوراً مهماً في نشر العقائد الاثنى عشرية في البلاد التابعة لها، كما كان لعلماء «الشيعة» دور بارز في البلاط المغولي في «دهلي»، خاصة في عهد «الملك أكبر» وخلفه «الملك جهانگير»، وفي عهد الأخير زادت شوكة الاثنى عشرية في الدولة المغولية لمكانة زوجة «الملك جهانگير» «نور جهان» التي كانت شيعية، حتى أن كبير دعاة الشيعية «نور الله الشوشتري»[3] عين رئيساً للقضاة[4]، إلى أن تولى زمام السلطة في الدولة المغولية «الملك الصالح عالمگير»[5] الذي ندب نفسه لمحاربة جميع البدع والمنكرات، فقضى على

---

(١) كان من الأتراك، وقائد قوات «السلطان محمود شاه البهمني» في منطقة «تلنگانه»، فاستقل بها عام (٩٥٠هـ)، وأعلن عن قبوله للمذهب الشيعي الاثنى عشري.
انظر: تاريخ فرشته (٢/ ٤٥٧، ٤٥٨).

(٢) انظر: تاريخ فرشته (٢/ ٤٥٨، ٤٥٩).
ـ الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٨).

(٣) ستأتي ترجمته في أشهر الدعاة.

(٤) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩١).

(٥) هو: أبو المظفر محيي الدين محمد أونگـزيب عالمگير بن شاهجهان المغولي =

البقية الباقية من بدع «المذهب الأكبري»[1]، كما أخذ على عاتقه محاربة الدويلات الشيعية التي استقلت، فتوجه بنفسه بجيش كثيف إلى «بيجاپور» وقضى على هذه الدويلة، وأعادها إلى الحكومة المركزية، وذلك عام (١٠٩٧هـ)، وهكذا أعاد «كولكنده» ـ تلنگانه ـ و«أحمد نگر» من بلاد الدكن، واستغرقت هذه الحروب قرابة ستة عشر عاماً، حتى وضعت أوزارها في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، وبهذا صارت شبه القارة الهندية كلها في حوزة «الملك عالمگير» ما عدا أماكن قليلة عند الساحل الشرقي والغربي كانت بأيدي المستعمرين الأوربيين[2].

وكان الاثنا عشرية منذ ذلك الوقت متفرقين في بلاد «الهند»، لم تكن لهم جامعة تجمعهم، ولا دولة تدعو إلى مذهبهم حتى نهض «الشيخ محمد علي الشيعي» أيام «آصف الدولة» ـ أمير بلاد أودهـ ـ وحرض على أن يجمعهم في الصلوات، وألف في ذلك رسالة، فرضي «آصف الدولة» بذلك، وأمر «السيد دلدار»[3] ـ مجتهد الشيعة بالإمامة في الصلوات وكان ذلك في شهر رجب عام (١٢٠٠هـ)[4].

وقد بذل «الشيخ دلدار» المذكور أقصى جهده لإحقاق المذهب الاثنى عشري، وإبطال «أهل السنة والجماعة»، وألّف في ذلك كتباً كثيرة،

= (١٠٢٨هـ ـ ١١١٨هـ). ملك صالح، تولى على السلطة عام (١٠٦٨هـ)، بعد أن غلب على إخوته في معركة التولي على السلطة، قضى حياته في خدمة الإسلام، ومصلحة الرعية.
انظر: نزهة الخواطر (٦/ ١٢٢ ـ ١٣٥).

(١) انظر: إصلاحاته في هذا الصدد في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٢٢ ـ ١٢٨).

(٢) انظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم (٢/ ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٤١).

(٣) هو: دلدار علي بن محمد معين عبد الهادي الشيعي (١١١٦هـ ـ ١٢٣٥هـ).
أول من ادعى الاجتهاد من علماء الشيعة في البلاد الهندية.
انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٧/ ١٦٦ ـ ١٦٨).

(٤) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٨، ٢١٩).
ـ رود كوثر (٦٣٢، ٦٣٣).

أشهرها «عماد الإسلام» في مجلدات كبار، كما كان «آصف الدولة» وأخلافه يبذلون العطايا، وإقطاع الأراضي على المتشيعين، فتشيع كثير من الناس طوعاً أو كرهاً. وكانت فتنة عظيمة بين الناس، فنهض «الشيخ عبد العزيز المحدث الدهلوي»[1] لصد هذا السيل الجارف، وألّف كتابه الشهير «تحفة اثنا عشرية»[2] الذي هزّ إيوان المذهب الاثنى عشري في البلاد الهندية، وتصدى علماء الشيعة للرد على هذا الكتاب، وألفوا في ذلك كتباً كثيرة[3].

وهكذا ازداد نشاط الاثنى عشري في كثير من البلاد الهندية أيام انحطاط الدولة المغولية، وبعد انتقال السلطة إلى الأيدي الإنجليزية عام (١٢٧٥هـ) عمل المستعمر ـ كعادته ـ لإضرام النزاع بين «أهل السنة» و«الاثنى العشرية» حيث اعتبر مدينة «لكهنئو» مدينة شيعية بحتة لا مكان فيها لأهل السنة، يتعرض فيها أصحاب رسول الله ﷺ للسب والشتم علناً، ويحرم على «أهل السنة» تعظيم الصحابة ﭫ، وكم من دماء سنية أريقت دفاعاً عن عقيدة «أهل السنة»، وما زالوا يكتوون بنار فتنة الاثنى عشرية في هذه البلاد حتى أيامنا هذه، وخاصة في المناسبة المحرمية عند إخراج «المحمل العزائي» يوم عاشوراء[4].

---

(١) هو: عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (١١٥٩هـ ـ ١٢٣٩هـ).
أحد كبار العلماء في تاريخ الهند: أخذ العلم عن والده وكبار علماء عصره. له مؤلفات كثيرة، منها: «تفسير القرآن الكريم المسمى «بفتح العزيز»، و«تحفه اثنا عشرية» و«بستان المحدثين» و«العجالة النافعة» وغيرها. توفي في «دهلي» بعد مرض طويل.
انظر: نزهة الخواطر (٧/ ٢٦٧ ـ ٢٧٤).

(٢) وهو كتاب ضخم باللغة الفارسية، في الرد على الشيعة الإمامية، وترجم إلى لغات أخرى هندية. يوجد له مختصر باللغة العربية، اختصره «السيد محمود شكري الآلوسي» وطبعته المطبعة السلفية في القاهرة، عام (١٣٧٣هـ)، بتحقيق من «محب الدين الخطيب»، كما أعادت الطبع مكتبة أيشيق في إستانبول بتركيا، عام (١٣٩٩هـ).

(٣) انظر: الثقافة الإسلامية في الهند (٢١٩، ٢٢٠).

(٤) انظر: أثر الفكر الغربي (٢٩٦، ٢٩٧).

أماكن وجودهم:

يتمركز الاثنا عشريون حالياً في مدينة لكهنئو، ومرشد آباد، وعظيم آباد، وأودهـ، وبيجا پور، وگولكنده، وتلنگانه وغيرها من البلاد في «الهند»، وفي مدينة «لاهور»، و«ملتان»، و«كراتشي»، و«إسلام آباد» في باكستان، كما يوجد عدد ضئيل منهم في مدينة «داكا» في «بنغلاديش»[1].

عقائدهم:

عقائد الإمامية الاثنى عشرية في البلاد الهندية هي عقائدهم في البلاد الأخرى من الاعتقاد في الإمامة، وخصائص الإمام، ووقوع التحريف في القرآن الكريم، وعدم الاعتماد على السنة النبوية المطهرة، والطعن على جميع الصحابة ولعنهم إلا النادر منهم، والتقية والرجعة، والمهدي المنتظر، وما إلى ذلك[2].

وفيما يلي بعض السمات البارزة التي اتسمت بها «عقائد الاثنى عشرية» في البلاد الهندية.

الأولى: عقيدة الولاء والبراء:

أهم عقيدة برزت في أوساط الشيعة الاثنى عشرية في البلاد الهندية هي عقيدة الولاء لأئمتهم الاثنى عشرية، والبراء من الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ ووصفهم بأقبح الصفات؛ لأنهم ـ كما يزعمون ـ اغتصبوا الخلافة من علي ﷺ الذي هو أحق منهم بها، وهم ينالون كذلك من كثير من الصحابة، وأم المؤمنين عائشة ـ ﷺ أجمعين ـ.

ويجد الباحث في تاريخ المذهب الاثنى عشري في البلاد الهندية أنهم كلما وجدوا نفوذاً في مكان، أو استولوا على بلاد، فأول شيء قاموا به هو حذف أسماء الخلفاء الراشدين الثلاثة من الخطبة في الجمع والأعياد،

---

(١) انظر: رود كوثر (٦١٦ ـ ٦١٨).

(٢) انظر عقائد الاثنى عشرية في: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٨٢ ـ ٢٤٤).

وإحلال أسماء أئمة الاثنى عشر محلهم، وأقدم بعضهم على خطوة أخرى حيث وظَّف أناساً على حساب الدولة لسب الصحابة وللطعن واللعن عليهم - ﷺ أجمعين - وأما دعاة الاثنى عشرية وعلماؤهم فكان سب الصحابة شعارهم.

كما حصل ذلك في «بلاط الملك أكبر» من علماء «الشيعة» القادمين من «إيران» من لعن وطعن على الخلفاء الراشدين، ولكثير من أصحاب رسول الله ﷺ(١).

وكما كان من «برهان نظام شاه» - حاكم أحمد نگر - ومن «يوسف عادل شاه» - حاكم بيجا پور - ومن «السلطان قلي مير علي الهمداني» - حاكم تلنگانه - ومن حكام «الشيعة» وعلمائهم في مدينة «لكهنئو»(٢). وما زال الاثنا عشريون ينالون من أصحاب رسول الله ﷺ في مناطق نفوذهم في «الهند» و«باكستان» حتى هذه الأيام(٣).

الثانية: الحُسَينيّات:

جمع «الحُسَينِيّة» نسبة إلى «الحسين بن علي» رضي الله عنهما. ويسميها الشيعة «إمام بارَه» - أي بيت الإمام - ويقصدون بالإمام الحسين رضي الله عنه.

وقد دأب الشيعة في البلاد الهندية على اتخاذ الأضرحة من الثياب والقضبان كل سنة في شهر محرم، ويعملون التماثيل من القرطاس والخشب والقماش، كما يصنعون تمثالاً يسمونه «بالبراق»، ويضعون هذه الأشياء في بيت يبنونه لذلك، ويسمونه «إمام بارَه» - أي بيت الإمام -، وهو المعروف «بالحسينية».

---

(١) سبقت الإشارة إلى هذا الموضوع في المبحث الأول من الفصل السادس.

(٢) سبق الحديث عنهم قبل قليل.

(٣) توجد في «باكستان» حالياً منظمتان للشيعة الاثنى عشرية: إحداهما: باسم «سپاه محمد» - أي جند محمد -، والثانية: باسم «تحريك جعفري» - أي الحركة الجعفرية - تهتم هاتان المنظمتان بإثارة الشغب، وإشاعة القلاقل في البلاد عن طريق اللعن والطعن على الصحابة، ونشر العنف. وقد ذهب كثير من علماء السنة ضحايا عنف هاتين المنظمتين، خاصة في مدينة «كراتشي» و«ملتان» و«لاهور».

وفي شهر محرم يجتمعون في هذا البيت للاحتفال، فيزينون البيت أحسن زينة، ويوقدون فيه الشموع، فيذكرون قصة «كربلاء» نظماً ونثراً ويبكون ويلطمون وجوههم، ويقدّون جيوبهم، ثم يطوفون بالأسواق والشوارع بالطبول والأعلام، وينشدون المراثي، فيبكون ساعةً ثم ينادون بأعلى صوتهم «حسين» «حسين»، ويضربون أيديهم على صدورهم بشدة وقوة وغير ذلك من الخرافات التي يطول ذكرها[1].

من هذه الحسينيات المشهورة في البلاد الهندية «الحسينية الكبيرة» التي بناها «آصف الدولة» ـ أمير بلاد أودهـ ـ في مدينة «لكهنئو» عام (١٢٠٧هـ)، وأنفق في بنائها أموالاً طائلة، وهي عبارة عن ثلاث عمائر ضخمة تحتوي على أضرحة وتماثيل وأشياء أخرى.

ومنها حسينية «حسين آباد» بناها «محمد علي شاه» ـ أمير بلاد أودهـ ـ عام (١٢٥٨) في مدينة «لكهنئو» أيضاً.

ومنها حسينية «نجف» بناها «غازي الدين حيدر» عام (١٢٤٣هـ)، وسماها باسم «النجف».

ثم انتشرت هذه الحسينيات في كبرى المدن في البلاد الهندية التي يوجد فيها الاثنا عشريون[2].

أشهر الدعاة:

برز دعاة كثيرون في البلاد الهندية في القرن العاشر الهجري من العلماء والحكام الذين أدوا دوراً مهماً في نشر عقائد المذهب الاثنى عشري في ربوع هذه البلاد، وأشهرهم:

١ ـ يوسف عادل شاه:

هو يوسف عادل شاه البيجا بوري (٠٠٠ ـ ٩١٦هـ). يقال: إنه ينحدر

---

(١) انظر: الهند في العهد الإسلامي، للشيخ عبد الحي الحسني (٤٦٤)، تحقيق: الدكتور عبد العلي الحسني، طبعة (١٣٩٢هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن ـ الهند.

(٢) نفس المصدر (٤٦٥، ٤٦٦).

من العائلة العثمانية، وكان من أبناء «مراد بن بايزيد اليلدرم» (ت٨٥٤هـ)، خرج من «تركيا» بعد وفاة أبيه خوفاً من القتل، ثم دخل «الهند» واستقر في «أحمد آباد» ـ من بلاد گجرات ـ وخدم سلطانها حتى أصبح والياً على منطقة «بيجا پور» واستقل بها عام (٨٩٥هـ)، ثم توسع ملكه إلى البلاد المجاورة، ولقب نفسه بـ (عادل شاه)[1].

وفي عام (٩٠٨هـ) عقد مجلساً دعا إليه كبار علماء «الشيعة» آنذاك، وقال لهم: إنه كان في بداية حياته لما كان طريداً عن البلاد، يتجول في الأسواق، رأى في المنام أن «الخضر» جاءه وبشّره بأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سيرفع عنه هذا الذل، ويمكنه من الجلوس على عرش السلطنة، وأوصاه أن لا ينسى الله تعالى حين يمسك زمام الأمور بيده، ويظل محباً لأئمة آل البيت، ويبذل قصارى جهده لنشر مذهب الشيعة في الدنيا كلها[2].

وأخذ «يوسف عادل شاه» على عاتقه نشر عقائد المذهب الاثنى عشري، ففي شهر ذي الحجة من العام (٩٠٨هـ) أصدر أمراً لإضافة كلمة «علياً ولي الله» في الأذان، كما أمر حذف أسماء الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ من الخطبة، وأن يخطب للأئمة الاثنى عشر[3].

وقد استخدم «يوسف عادل شاه» قوته وسلطته في نشر الفرقة الاثنى عشرية، فاعتنق كثير من الأمراء، وقادة الجيوش مبادئ هذه الفرقة، كما عزل آخرين من مناصبهم ممن رفضوا هذا الاتجاه للحاكم.

ثم أقدم «يوسف» على خطوة أخرى بأن بعث بعض كبار أمرائه إلى «الشاه إسماعيل الصفوي» ـ شاه إيران ـ بهدايا ثمينة، وتحف غالية، وقدم ولاءه للشاه على إعلان المذهب الاثنى عشري في «إيران»، كما بشره بأن منطقة «بيجا پور» أصبحت منطقة اثنى عشرية، يخطب فيها للأئمة الاثنى عشر[4].

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٤/٣٩٧).
(٢) انظر: تاريخ فرشته (٢/١٠٤).
(٣) نفس المصدر (٢/١٠٥).
(٤) المصدر نفسه (٢/١٠٦، ١١٠).

٢ ـ الشيخ طاهر بن رضي:

هو طاهر بن رضي الدين بن مؤمن شاه الهمداني القزويني (٠٠٠ - ٩٥٦هـ).

قدم «الهند» من «إيران» وسكن «أحمد نگر» عام (٩٢٨هـ). وكان يلقي الدروس في مختلف العلوم والفنون، ويشتغل بالدعوة إلى التشيع الاثنى عشري. ولما مرض «عبد القادر بن برهان نظام شاه» ـ حاكم أحمد نگر ـ وعجز الأطباء عن علاجه، قلق السلطان من أجل ذلك، فقام «طاهر رضي الدين» وبشره بالشفاء العاجل إن هو قبل المذهب الاثنى عشري، وأخذ على ذلك العهد والميثاق، فلما شفي الولد، اعتنق «برهان شاه» المذهب الاثنى عشري فلقّنه «الشيخ طاهر رضي الدين» أصول المذهب، وطريقة الولاء والبراء، كما أمره أن يخطب للأئمة الاثنى عشر على المنابر في الجمع والأعياد، وبنشر مذهب الإمامية في البلاد. وتشيع مع «برهان شاه» أهل بيته، وخدمه، وعساكره[1].

وله مصنفات كثيرة، منها: «شرح الجفرية في فقه الإمامية» و«حاشية على تفسير البيضاوي» و«حاشية على الإشارات» و«المحاكمات» و«المجسطي» و«الشفاء» وغيرها[2].

٣ ـ برهان نظام شاه:

هو برهان بن أحمد بن الحسن الأحمد نگري (٠٠٠ ـ ٩٦١هـ). قام بالملك بعد وفاة والده عام (٩١٤هـ)، تشيع على يد «طاهر بن رضي الدين القزويني»، وتلقن منه طريقة الولاء والبراء، وأصول المذهب، وأمر بالخطبة باسم الأئمة الاثنى عشرية في الجمع والأعياد، وحذف أسماء الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم[3].

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٦٣ ـ ١٦٥).

(٢) نفس المصدر (٤/ ١٦٥).

(٣) انظر: تاريخ فرشته (٢/ ٣١٢، ٣١٣).

وقد بالغ «برهان شاه» في الدعوة إلى المذهب الاثنى عشري، ويعينه في ذلك «الشيخ طاهر بن رضي القزويني» و«الشيخ أحمد النجفي»، وقد استُدعي آخر الذكر من «إيران» لمناظرة علماء «أهل السنة» وإفحامهم، وكان من نتيجة ذلك أن تشيع عدد كبير من الأمراء والعساكر وعامة المسلمين، ولما رفض علماء «أهل السنة» التشيع أمر بقمعهم بدون رأفة، فقتل عدد كبير من «أهل السنة»، كما أُسر كثير منهم[(١)].

وقد أصدر «الملك برهان شاه» أوامره لمصادرة جميع أوقاف أهل السنة، وتحويلها لنشر المذهب الاثنى عشري. وفتح مطعماً عاماً باسم الإمام الثاني عشر لإطعام جميع الناس الذين قبلوا المذهب الاثنى عشري، ووقف لمصاريف هذا المطبخ مدناً بأكملها[(٢)]. ثم أقدم على خطوة أخرى ـ وهي أخطرها ـ أن أمر الشيعة أن يسبوا الخلفاء الراشدين الثلاثة ﷺ، ورتّب للسابين مكافآت ضخمة من خزانة الدولة[(٣)].

ولما علم «شاه إسماعيل الصفوي» ـ شاه إيران ـ جهود «الملك برهان شاه» في نشر المذهب الاثنى عشري بعث إليه نديمه الخاص «آقا سليمان طهراني» لتهنئته على قبول هذا المذهب مع هدايا غالية من الجواهر الكريمة[(٤)].

توفي «برهان شاه» في «أحمد نگر» عام (٩٦١هـ)، بعد أن قضى سبعة وخمسين عاماً في مؤازرة المذهب الاثنى عشري، بكل ما يملك من قوة[(٥)].

٤ ـ قاضي نور الله شوشتري:

هو نور الله بن شريف نور الله الحسيني المرعشي الشوشتري (٩٥٦هـ ـ ١٠١٩هـ).

ولد في مدينة «شوشتر» الإيرانية، طلب العلم في «المشهد»، ثم قدم

---

(١) انظر: تاريخ فرشته (٢/٣١٤، ٣١٥). (٢) المصدر نفسه (٢/٣١٥).
(٣) انظر: نزهة الخواطر (٤/٥٤). (٤) انظر: تاريخ فرشته (٢/٣١٨).
(٥) نفس المصدر (٢/٣٢٥).

«الهند»، ولاه «الملك أكبر» القضاء في «لاهور»، وفي أيام «الملك جهانگير» أصبح رئيساً للقضاة. كان من كبار علماء الإمامية ودعاتهم، ويخفي مذهبه عن «أهل السنة» تقية، ويقضي على مذهبه الإمامي. وإذا اعترض عليه أحد يرد عليه بأنه يقضي على المذاهب الأربعة إذا ظهر له الدليل. وهكذا كان يحتال ويقضي بأحكام المذهب الإمامي[1].

كان «القاضي نور الله» يؤلف الكتب في التشيع، ويشنع فيها على «أهل السنة» تشنيعاً بالغاً، وكان يخفى مصنفاته عن غير «الشيعة»، ويبالغ في الإخفاء حتى وصل كتابه «مجالس المؤمنين» إلى بعض العلماء، فعرضه على «الملك جهانگير»، ولما ثبت لدى الملك أنه رافضي إمامي أمر أن يضرب بالدرة، فهلك من ساعته، ولقبه الشيعة بالشهيد الثالث[2].

وله مصنفات كثيرة، أشهرها: «مصائب النواصب» و«مجالس المؤمنين» و«الصوارم المهرقة في رد الصواعق المحرقة» و«إحقاق الحق وإزهاق الباطل»[3] وغيرها.

من الفروق البارزة بين الإسماعيلية والاثنى عشرية:

فيما يلي بعض الفروق البارزة بين فرقتي الإسماعيلية والاثنى عشرية:

١ ـ يعتقد «الإسماعيلية» أن الإمامة انتقلت بعد «جعفر الصادق» إلى ابنه الأكبر «إسماعيل»؛ ولهذا سموا «بالإسماعيلية»، بينما يعتقد «الاثنا عشرية» أن الإمام بعد «جعفر الصادق» ابنه «موسى الكاظم»، وهو الإمام السابع عندهم، ويسوقون الإمامة فيمن بعده حتى الإمام الثاني عشر، ولهذا سموا بالاثنى عشرية.

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٤٢٥).
ـ رود كوثر (٤٠٠).

(٢) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (٢٢/ ٤٩٠).
ـ نزهة الخواطر (٥/ ٤٢٦).

(٣) انظر: تذكرة علمائ‌هند (٥٣٢).
ـ نزهة الخواطر (٥/ ٤٢٧).

٢ ـ يعتقد «الاثنا عشرية» أن الإمامة قد انتهت بالإمام الثاني عشر، وهو «محمد بن الحسن العسكري» ويلقبونه بالحجة القائم المنتظر. ويعتقد «الإسماعيلية» أن الإمامة تستمر إلى يوم القيامة؛ «لأن الكون لا يستطيع البقاء لحظة دون إمام، فلو فقد ساعة واحدة، لماد الكون، وتبدد. والإمام بما أوتيه من معرفة خارقة للعادة يعرف أي أبناءه قد نالها بالنص»[(1)].

٣ ـ خاضت «الإسماعيلية» الفلسفة كاملة حتى أصبحت من صميم عقائدها، داخلة في الدور الباطني المخيف. وأما «الاثنا عشرية» لم تخض في الفلسفة «كالإسماعيلية»[(2)].

٤ ـ يعرف «الإسماعيلية» «بالباطنية» أيضاً، ويعرف «الاثنا عشرية» «بالرافضة» و«المذهب الجعفري»[(3)].

٥ ـ ومن الفروق بين «الإسماعيلية» و«الاثنى عشرية» ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: «... والإمامية الاثنا عشرية خير منهم ـ أي: من الإسماعيلية ـ بكثير، فإن الإمامية مع فرط جهلهم وضلالهم فيهم خلق مسلمون باطناً وظاهراً، ليسوا زنادقة منافقين، لكنهم جهلوا وضلوا واتبعوا أهواءهم. وأما أولئك فأئمتهم الكبار العارفون بحقيقة دعوتهم الباطنية زنادقة منافقون، وأما عوامهم الذين لم يعرفوا باطن أمرهم فقد يكونوا مسلمين»[(4)].

ثالثاً: النور بخشية:

تاريخها ونشأتها:

تعد «النور بخشية» إحدى فرق الشيعة[(5)] التي انتشرت في إقليم

---

(١) انظر: الحركات الباطنية في الإسلام، لمصطفى غالب (١٠٠)، دار الكتاب العربي.
(٢) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٢٧٢).
(٣) انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (١٨٠، ١٨١).
(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٥٢، ٤٥٣).
(٥) من الصعب تحديد الفرقة الأم التي تنتمي إليها «النور بخشية؛ إذ كان مؤسس المذهب «السيد محمد نور بخش» يؤكد أن الله ـ تعالى ـ أمره برفع الخلاف من بين هذه الأمة في الأصول والفروع.

«كشمير» والبلاد المجاورة لها في القرن العاشر الهجري.

تنسب هذه الفرقة إلى المدعو «السيد محمد بن محمد بن عبد الله، المعروف بـ «نور بخش». ولد أبوه في «القطيف»[1] وجده في «الحسا»[2] ومن هنا يكنى نفسه «الحسوي». هاجر أبوه إلى مدينة «قائن» من منطقة «كوهستان» ـ الإيرانية ـ، وهناك ولد «محمد نوربخش» عام (٧٩٥هـ). ويلتقي نسبه «بالإمام موسى الكاظم» في الجد السابع عشر، ولهذا كان يلقب نفسه بـ «الموسوي»[3].

= ويزعم مؤرخ «الآغاخانية» «محمد علي جنارا» أن «محمد نور بخش» هو أحد دعاة الإسماعيلية، اشترك معه «كمال الدين الثاني» في وضع الأسس المذهبية النور بخشية، ومن هنا ينتسب هؤلاء إلى الإسماعيلية.

ويرى الأستاذ «محمد سعيد مرزا» أن «الفرقة النوربخشية» تعد من تلك النماذج التي ظهرت فيها «الفرقة الإسماعيلية الباطنية» في مظهر التصوف، لهدف تقريب عامة الناس إلى العقائد الإسماعيلية. وقد قدِم كثير من الدعاة الإسماعيليين من «إيران» إلى «الهند» في زي المتصوفة، وخلطوا عقائدهم بتعاليم الصوفية، ومن هنا وقع الخلط في «الفرقة النوربخشية»، هل هي فرقة شيعية أم طريقة صوفية.

قال الأستاذ إحسان إلهي ظهير: «القيني كثير من علماء الشيعة في «باكستان» فسألتهم عن «النوربخشية» فالأكثر قالوا بأنهم ليسوا من الاثنى عشرية، ولكنهم يدعون التشيع الاثنى عشري لجلب الأموال وحصول المنافع من شيعة الخليج والدول العربية الاثنى عشريين، وشيعة «إيران» أيضاً، ولقد رضي علماء الشيعة الإيرانيون بادعائهم هذا لاستكثار عدد الشيعة، وإلا فهم ليسوا من الإمامية الاثنى عشرية.

وقال البعض: إنهم من الشيعة الاثنى عشرية، ولكنهم من الفرقة التي ابتعدت عن الاثنى عشرية الخلص بنزعاتها الصوفية، وبأفكارها المناوئة المختلفة للتشيع الاثنى عشري».

انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٤٢).

ـ مذهب اسلام اور باطني تعليم (٣٢٨).

ـ نور مبين حبل الله المتين (٥١٥)، نقلاً من أثر الفكر الغربي (٤٠).

ـ الشيعة والتشيع (٣١٩، هامش رقم: ١).

(١)(٢) القطيف والأحساء منطقتان في شبه الجزيرة العربية، وهما الآن في المنطقة الشرقية للمملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: طبقات نورية در أحوال مشائخ نور بخشية (ص١٢١، ١٢٢).

كان «محمد نور بخش» يتمتع بالحافظة القوية، والذكاء الخارق حيث استظهر القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره، وبايع على يد «الشيخ إسحاق الختلاني» الذي كان مريداً «للسيد علي الهمداني» وفي فترة وجيزة قطع جميع مراحل السلوك الباطني والتزكية الروحية، وبناءً على رؤيا رآها «السيد إسحاق الختلاني» منح تلميذه لقب «نور بخش» ـ أي: واهب النور ـ فاشتهر بهذا اللقب، كما أنعم عليه بخرقة «علي الهمداني» ـ شيخ إسحاق الختلاني ـ وأجازه في أخذ البيعة من الناس، وأمر أتباعه ومريديه أن يجددوا البيعة على يد تلميذه «محمد نور بخش» ومَدَّ هو يده قبل الجميع، وبايع تلميذه ثم بايعه الآخرون.

ومن هنا بدأ دور جديد في حياة «محمد نور بخش» حيث ادعى أنه «المهدي»؛ لكونه ينحدر من سلالة «الإمام موسى الكاظم» كما لقب نفسه بأنه «إمام» و«خليفة لجميع المسلمين»[1][2]. وزعم أنه جامع الكمالات الإنسانية، ويحوز كافة العلوم الدينية والدنيوية، وأنه يستطيع أن يعلم «أفلاطون» الرياضيات، ودعا أهل زمانه إلى أن يعتدوا بمثل هذا المعاصر، وأن يُبدوا نشاطاً في سبيل نصرته[3].

وأحسّ «السلطان شاه رخ بن تيمور»[4] خطراً من نفوذه المتزايد حيث

---

(١) انظر: مقال: فرقة نور بخشي (الفرقة النور بخشية) بقلم: مولوي محمد شفيع لاهوري، في أورينتل كالج ميگزين (مجلة الكلية الشرقية) (ص٤، ٥)، عدد فبراير ومايو لعام (١٩٢٥م)، لاهور.

(٢) يبدو هنا واضحاً تناقضه مع عقيدة الإمامية الاثنى عشرية، لأن المهدي عندهم «محمد بن الحسن العسكري» الذي اختفى في سرداب «سامرا»، ويظهر في آخر الزمان، وهو المهدي المنتظر وصاحب الزمان ـ على حد زعمهم ـ.

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن «نور بخش» كان يرى أن المهدي سيظهر من سلالة «الإمام موسى الكاظم» وهو ينسب نفسه إلى هذه السلالة، ولا يرى أنه «محمد بن الحسن العسكري» بالتعيين.

(٣) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (٢٢/ ٤٩١).

(٤) كان «شاه رخ» حاكماً على «إيران» و«أفغانستان» و«الهند» و«العراق» من عام (٨٥٠هـ) حتى عام (٨٧٠هـ).

انظر: مقال: فرقة نور بخشي في اورينتل كالج ميگزين (ص٥).

أعلن نفسه «إماماً» و«خليفةً لجميع المسلمين»، وتحصن في قلعة «كوه هرتي» في منطقة «ختلان» يأخذ البيعة من الناس، ويدعو إلى نفسه، فأمر بإلقاء القبض عليه، فقبض عليه «با يزيد» ـ حاكم ختلان ـ وبعث به إلى «هرات» حيث مقر «السلطان شاه رخ»، ومن هناك وُجِّه إلى «شيراز» حيث أطلق سراحه حاكمها «إبراهيم سلطان»[1] فتوجه «محمد نور بخش» إلى «شوشتر» و«البصرة» و«بغداد».

وبعد رحلات قام بها إلى المشاهد الشيعية وصل إلى «كردستان»، وهناك أقبل عليه الناس وبايعوه، ونودي به خليفةً من جديد، وضربت باسمه النقود، وألقيت باسمه الخطب، فأمر «السلطان شاه رخ» بإلقاء القبض عليه للمرة الثانية، وأحضر إلى «آذربيجان» مقيداً بالسلاسل، ولكنه تمكن من الهروب، ووصل إلى منطقة «خلخال» بعد أن عبر الجبال الثلجية في ثلاث ليال متوالية، وعانى الكثير، ولكن حاكم «خلخال» كان له بالمرصاد حيث قبض عليه، وأعاده إلى «السلطان شاه رخ» في «آذربيجان»، فحبسه السلطان في جب مظلم، وبعد ثلاثة وخمسين يوماً بعث به إلى «هرات» حيث أجبر على اعتلاء المنبر يوم الجمعة وإعلان تخليه عن دعوى الخلافة، ثم أطلق سراحه حسب الشروط الآتية:

١ ـ ألا يجتمع إليه الناس.

٢ ـ أن يتخلى عن العمامة السوداء.

٣ ـ ألا يتحدث عن مذهبه في حلقات الدرس.

٤ ـ أن تقتصر دروسه على العلوم المتداولة[2].

إلا أنه رغم الالتزامات التي التزم بها تجاه السلطان فإن الناس لم يتركوه، بل اشتد إقبالهم عليه من كل حدب وصوب، وتجمع لديه في فترة

---

(١) انظر: طبقات نورية در أحوال مشائخ نوربخشية (١٢٥، ١٢٦).

(٢) نفس المصدر (١٢٦ ـ ١٢٨).

قصيرة من مؤيديه ما قُدّر بمائة ألف رجل، فشعر السلطان بالخطر الحقيقي القادم من قبل «نور بخش»، فأصدر أوامره بالقبض عليه للمرة الثالثة، حيث بعث به مقيداً بالسلاسل إلى «تبريز»، ومنها إلى «شروان»، ومنها إلى «جيلان» ثم أطلق سراحه بعد وفاة «السلطان شاه رخ» عام (٨٥٠هـ)، فأقام في قرية تسمى «سُلْقَنْ» في جوار «الري»[١]، ومات هناك عام (٨٦٩هـ)[٢].

مؤلفاته:

ترك «محمد نور بخش» العديد من المؤلفات في الأصول والفروع والشعر فُقِد أكثرها، وأشهر ما بقي من مؤلفاته ما يلي:

١ ـ الفقه الأحوط:

وهو في الأصول والفروع، قال فيه مؤلفه: «إن الله أمرني أن أرفع الاختلاف من بين هذه الأمة في فروع سنن الشريعة المحمدية، كما كانت في زمانه من غير زيادة ولا نقصان. وثانياً: في الأصول من بين الأمم، وكافة أهل العالم باليقين»[٣].

٢ ـ الاعتقادية: وهي رسالة صغيرة في المسائل الاعتقادية[٤].

٣ ـ سلسلة الذهب أو أخبار الأولياء[٥].

٤ ـ نجم الهدى.

٥ ـ إنسان نامه.

٦ ـ صحيفه أولياء.

---

(١) الري مدينة قريبة من «طهران»، انتسب إليها كثير من العلماء، والنسبة إليها (الرازي) على غير قياس.

(٢) انظر: طبقات نورية در أحوال مشائخ نور بخشية (١٢٨، ١٣٢، ١٣٥).

(٣) هذا الكتاب باللغة العربية، وطبع في مطبعة إعجاز حيدري، مَتهرا ـ الهند عام (١٣٣٣هـ)، بعنوان: «سراج الإسلام» مع الترجمة الفارسية.

(٤) أصل هذه الرسالة باللغة العربية، وطبعت ترجمتها بالفارسية في لاهور عام (١٣٤٢هـ).

(٥) مطبوع في مطبعة أحمدي في دهلي عام (١٣٧٠هـ).

٧ ـ مجموعه غزليات.

٨ ـ رساله أخلاقية وغيرها[١].

النور بخشية في بلاد الهند:

انتشرت «النور بخشية» في حياة مؤسسها في بلاد كثيرة، خاصة في منطقة «هرات» و«بدخشان» من «أفغانستان»، وفي منطقة «ختلان» من «إيران» و«كردستان» من العراق. وأول من قدم بهذه الفرقة إلى البلاد الهندية «مير شمس الدين محمد العراقي» من «خراسان»، وكان سبب ذلك أن العراقي المذكور كان مريداً «لشاه قاسم فيض بخش ابن السيد نور بخش» ورافقه إلى «خراسان» لعلاج حاكمها «حسين مرزا»، وهناك بعثه «شاه قاسم» إلى إقليم «كشمير» سفيراً من حاكم «خراسان» لإحضار بعض الأدوية والعقاقير، ونشر مبادئ الفرقة «النور بخشية»، فتوجه «العراقي» ودخل «قندهار»، ثم وصل إلى «ملتان»، حتى قدم «كشمير» عام (٨٨٨هـ)، واستقبله حاكمها «السلطان حسن شاه» بحفاوة وتكريم لكونه مبعوثاً من حاكم «خراسان»، واشتغل «مير العراقي» بدعوة الناس إلى عقائد «النور بخشية»، وكان فصيحاً بليغاً يأخذ بألباب الناس، ويسحرهم بقوة بيانه، ويعيش حياة الزهد والتقوى، فأقبل عليه الناس، وبدأوا يبايعونه.

وكان يعمل بالتقية والحيلة، حيث كان يذهب إلى مشائخ «كشمير» وعلمائها، ويظهر لهم المودة والولاء، ويدعو أتباعهم إلى مذهبه في الخفاء حتى نجح في جذب كثير من الناس إلى مذهبه، وبعد أن قضى ثماني سنوات في «كشمير» استدعاه «السلطان حسين» إلى «خراسان»، فغادر «كشمير» متوجهاً إلى «خراسان» عام (٨٩٦هـ)، وقد بلغت تصرفات «العراقي» وآراؤه الباطنية إلى «السلطان حسين» فعزله عن منصبه، فترك

---

(١) انظر: مقال: فرقة نور بخشي في اورينتل كالج ميگزين (ص٦٤ ـ ٦٦).
ـ طبقات نورية (١٣٧).
ـ نزهة الخواطر (٤/ ١٤٢).

«العراقي» الذهاب إلى «خراسان» وتوجه إلى «العراق» حيث مقر شيخه «شاه قاسم بن محمد نور بخش»[1].

أقام «العراقي» مع شيخه بضع سنوات، ثم قرر العودة إلى «كشمير» للمرة الثانية لمواصلة «الدعوة النور بخشية»، فغادر «العراق» متوجهاً إلى «كشمير» ووصلها في شهر محرم لعام (٩٠٢هـ)، وهذه المرة وجد الأرض خصبة، والظروف مواتية، حيث كانت تسود إقليم «كشمير» اضطرابات سياسية لضعف حاكمها «فتح شاه»، وتسلل رجال القبائل إلى المناصب العليا، وهَبَّ زعماء قبيلة «چك» التي تنتمي إلى «الفرقة النور بخشية» وصاروا وزراء وأمراء في حكومة «فتح شاه»، واستفاد «شمس الدين العراقي» من هذه الأوضاع أيما استفادة، حيث أعلن أنه خليفة «السيد محمد نور بخش»، وأوصى أتباعه ببناء زوايا، فبنى له «موسى رينه» ـ أحد الأمراء ـ زاوية كبيرة، وكثّف العراقي جهوده في نشر آرائه، والرد على المخالفين، والسلطة الحاكمة تساعده، وتقف بجانبه. وبالغ «العراقي» في الدعوة، وقتل كثيراً من «أهل السنة»، وأخرج بعضهم إلى بلاد أخرى، فتشيع خلق كثير حتى قيل: إن أربعة وثلاثين ألفاً من الهندوس تشيعوا فضلاً عن المسلمين.

ووصل دعاة «النور بخشية» إلى منطقة «لَدَّاخ»[2] و«بَلْتِسْتَان»[3] وغيرهما من البلاد المجاورة لإقليم «كشمير»، ونشروا عقائد «النور بخشية» على نطاق واسع[4].

وبعد عمل دؤوب وكفاح مستمر دام ثمانية وثلاثين عاماً، توفي «مير شمس الدين العراقي» في «كشمير» عام (٩٣٢هـ). وأصبح قبره مزاراً لدى أتباع هذه الطائفة[5].

---

(١) انظر: طبقات نورية (١٨٨، ١٨٩، ١٩٩).
ـ مقال: فرقة نور بخشي، في اورينتل كالج ميگزين (ص١٣).
(٢)(٣) تقع هاتان المنطقتان حالياً في باكستان، وهما تابعتان لـ «كشمير الحرة» في الإدارة.
(٤) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٤١).
ـ مقال: فرقة نور بخشي، في اورينتل كالج ميگزين (ص١٤، ١٥).
(٥) انظر: طبقات نورية (٢٣٤).

كان النور بخشيون في أوج مجدهم في «كشمير» وضواحيها، إذ تمكن «ميرزا حيدر» من الاستيلاء عليها عام (٩٥٠هـ)، وكان من «أهل السنة»، فأحضر نسخةً من كتاب «الفقه الأحوط» «للسيد محمد نور بخش» - والذي يعتبر كتاباً مقدساً لدى أتباع هذه الطائفة -، وبعثه إلى كبار علماء «الهند» يستفتيهم حول الآراء والمضامين التي وردت في هذا الكتاب، فأفتى العلماء جميعاً أن هذا الكتاب يضر بعقائد المسلمين، ومؤلفه ملحد وزنديق، خارج عن دائرة الإسلام، ويجب على كل مسلم قادر أن يتلف نسخ هذا الكتاب، وينصح أتباع هذه الفرقة أن يتوبوا من العقائد الباطلة، فإذا تابوا يُخَلّى سبيلهم، وإلا يقتلون.

ولما وصلت هذه الفتوى إلى «ميرزا حيدر» المذكور عرض التوبة والإنابة على «النور بخشيين» فقبل بعضهم وتابوا، ورفض البعض فقتلهم، وأخفى الآخرون عقائدهم تقية، وأعلنوا أنهم من المتصوفة والدراوشة، ولا علاقة لهم بالفرقة المذكورة. وظل الأمر هكذا حتى تآمر عليه رجال قبيلة «چك» فقتلوه عام (٩٥٧هـ)، واستولوا على السلطة، وبهذا عاد «للنور بخشية» دور جديد وصلوا فيه إلى غاية مجدهم، واستمر وجود النور بخشيين في «كشمير» و«لدّاخ» و«بلتستان» والمناطق المجاورة لها عبر العصور حتى أيامنا هذه[1].

عقائدها:

لقد أصاب عقائد «الفرقة النور بخشية» كثير من الاضطراب حسب الظروف التي مرت بها الفرقة، ومن هنا ذكر بعض الباحثين[2] أن عقائد «النور بخشية» مرت بأدوار ثلاثة:

---

(١) انظر: تاريخ فرشته (٢/ ٩٣٣ - ٩٣٥).
- مقال: فرقة نور بخشي، في اورينٹل كالج ميگزين (ص١٤).

(٢) وهو: مولوي محمد شفيع لاهوري، كاتب مقال: فرقة نور بخشي، في اورينٹل كالج ميگزين (ص٤٩).

الدور الأول: في حياة مؤسس الفرقة «السيد محمد نور بخش».

الدور الثاني: في عهد الدولة الصفوية الإيرانية التي كانت متسامحة مع هذه الفرقة.

الدور الثالث: في «كشمير» حيث كان نماء هذه الفرقة وازدهارها.

فكان مؤسس الفرقة «السيد محمد نور بخش» قد ادعى في حياته أنه المهدي، وصاحب الزمان، وخاتم الولاية، وكان يعبر عن نفسه بأنه «مظهر موعود» و«مظهر جامع» ويقول لأهل زمانه: أن يفتخروا بمعاصرة «إمام الأولياء». ويلقي نداءً إلى الملوك والسلاطين لكي يسابقوا الآخرين في نصرته. ويقول لأهل العلم أن ينبذوا التقليد، ويأخذوا علمهم من هذا المعين الصافي، كما يطلب من أهل المعرفة أن يحصلوا على الحق اليقين من ذاته. . . وهكذا، وينهي كلامه مطالباً الجميع أن يبايعوا على يديه حتى لا يموتوا ميتة جاهلية، فهو يعتبر نفسه جامع الكمالات الإنسانية، وحاوي العلوم والفنون الدينية والدنيوية، لا يوجد نظيره في الدنيا، ولا يظهر مثله إلا بعد قرون[١].

إذا نظر الباحث إلى عقائده ودعوته يجد أنه ينطلق من عقائد الشيعة، وفي الوقت ذاته يؤكد على أهميته الشخصية؛ لأنه كان يعارض حاكماً قوياً في ذلك الزمان، وهو «السلطان شاه رخ بن تيمور»، وجاء في إحدى الروايات أن «السيد نور بخش» بعد أن أعلن مهديته وخلافته لجميع المسلمين، أعلن الخروج على السلطان في قلعة «كوه هرتي» في منطقة «ختلان»[٢]. فكان يحاول دائماً جذب الجماهير إليه، ويظهر من نفسه أنه وحيد عصره، وفريد دهره، يضن الزمان بمثله. وبعد وفاته، ووفاة «السلطان شاه رخ» وانتقال السلطة في «إيران» إلى الأسرة الصفوية التي تعاطفت مع «الفرقة النور بخشية»[٣] تغير كثير من مفاهيم هذه الفرقة، حيث لا تصادم

---

(١) انظر تفاصيل كلامه في مقال: فرقة نور بخشي، في اورينتل كالج ميگزين (ص٤٩ ـ ٥٢).
(٢) انظر: مقال: فرقة نور بخشي، في اورينتل كالج ميگزين (ص٥).
(٣) ربما كان هذا التعاطف لأسباب عقدية أو سياسية ـ والله أعلم ـ.

مع السلطة الحاكمة، ولا سعي للاستيلاء على الحكم، فتوجه أتباعه إلى ممارسة الرياضات، والجلوس في الخلوات، وعمل الأربعينيات وغيرها من الأعمال التي اشتهرت في الأوساط الصوفية. ولما قدم «مير شمس الدين محمد العراقي» «بالدعوة النور بخشية» إلى إقليم «كشمير» خلط بين الاثنين، المعتقد الشيعي، والعمل الصوفي، وهكذا مرت عقائد «النور بخشية» في ثلاثة أدوار[1].

فيما يلي أقدم أهم عقائدها وأعمالها التي استقرت في المرحلة الأخيرة في «كشمير»:

١ ـ المهدية:

كان «السيد محمد نور بخش» يدعي المهدية في حياته، فأتباعه يعتقدون أنه هو المهدي الموعود[2].

٢ ـ السجدة:

يسجد أتباع هذه الفرقة بعضهم لبعض ويقولون: نحن أهل الطريقة، وليس هناك أية علاقة بين الطريقة والشريعة[3].

٣ ـ مقصود الكون:

يزعم «محمد نور بخش» أن مقصود خلق الكون، وعلة وجوده هو ظهور «الإنسان الكامل» في هذا الكون[4][5].

٤ ـ مسألة البروز:

يزعم «محمد نور بخش» أن شخصاً ما يأتي في «بروز» ـ أي ظهور ـ

---

(١) المصدر السابق (ص٤٩، ٥٠).   (٢) انظر: نزهة الخواطر (٤/١٤٣).

(٣) انظر: تاريخ فرشته (٢/ ٩٣٤، ٩٣٥).

(٤) يبدو واضحاً غرض «نور بخش» من هذه الدعوة، وهو التأكيد على أن ذاته «إنسان كامل».

(٥) انظر: مقال: فرقة نور بخشي، في اورينٹل كالج ميگزين (ص٥٣).

شخص آخر في الدنيا. ويزعم أنه اجتمع فيه روح النبي والولي، وهو كان يوسف وموسى وعيسى عليهم السلام وعلياً رضي الله عنه، وتنور بأنوار هؤلاء، وظهر في صورة «نور بخش زمان» ـ أي: واهب النور لأهل زمانه[1].

ولا يخفى أن هذه هي عقيدة التناسخ بعينها.

٥ ـ مسألة النور:

كان «محمد نور بخش» يتحدث دائماً عن لقبه «نور بخش» ـ أي واهب النور ـ، فيقول: إنه نور من الله ـ تعالى ـ، فكما أن الشمس تنور الدنيا بنورها، وهكذا هو يُنَوّر قلوب العارفين، بل وينور الدنيا أيضاً. وهذا نور الولاية فاز به عن طريق علي رضي الله عنه بصفته مظهراً موعوداً[2].

٦ ـ حب علي رضي الله عنه:

كان «محمد نور بخش» يمدح «علياً» رضي الله عنه لكونه شجاعاً، ومنبعاً لنور الولاية. ويذكر في كتابه «الفقه الأحوط» أن من شروط الإمامة يجب أن يكون الإمام من نسل علي وفاطمة رضي الله عنهما، وهذا يكفي للجهاد الأصغر، ولكن يجب من أجل الجهاد الأكبر أن يكون ولياً كاملاً الذي قطع جميع مقامات هذه المرتبة. كما يحث أتباعه أن يكونوا زاهدين في الدنيا مثل علي رضي الله عنه ويردد هذا البيت:

طَلِّق الدنيا ثلاثاً يا فقير ... اتباعاً اقتداء بالأمير[3]

٧ ـ سب الصحابة:

يسب النور بخشيون الخلفاء الثلاثة الراشدين وعائشة الصديقة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ[4].

---

(١) نفس المصدر (ص٥٤). (٢) المصدر نفسه (ص٥٥).

(٣) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (٢٢/ ٤٩٢).

ـ فرقة نور بخشي (ص٥٦).

(٤) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ١٤٣).

٨ ـ وحدة الوجود:

من العقائد التي دعا إليها «السيد محمد نور بخش» عقيدة وحدة الوجود، وكان يردد في قصائده قولته المشهورة: «لقد محونا كلمة غير من لوح الوجود، ورأينا أن العالم كله صفاته وعين ذاته»[(١)].

٩ ـ إطاعة الشيخ:

ألزم «السيد محمد نور بخش» أتباعه بإطاعة «الشيخ»؛ ولهذا نرى النور بخشيين يطيعون مشائخهم طاعة عمياء، لا يحيدون عنها قيد أنملة[(٢)].

١٠ ـ الجلوس في الخلوة وعمل الرياضة الأربعينية:

من أهم أعمال «النور بخشية» الجلوس في الخلوة، وعمل الرياضة الأربعينية. وقد دعا «مير شمس الدين العراقي» أتباعه في «كشمير» لبناء زوايا للقيام بالرياضة الأربعينية، ويستمر العمل بهذه الرياضة حتى أيامنا هذه[(٣)].

١١ ـ أجاز النور بخشيون نكاح المتعة.

١٢ ـ يرددون دائماً كلمة «يا علي مدد».

١٣ ـ يضيفون في الأذان كلمة «حي على خير العمل» و«محمد وعلي خير البشر».

١٤ ـ يقيم النور بخشيون حفل مأتم في تاريخ وفاة كل إمام من أئمتهم، ويكتفون غالباً في هذه الحفلات على شرب الشاي، وقراءة المراثي بالصوت الجماعي.

١٥ ـ يقرأون دعاءً خاصاً لهم في الصباح يسمونه بـ «أوراد فتحية»[(٤)].

---

(١) انظر: اردو دائره معارف إسلامية (٢٢/ ٤٩٢).
(٢) انظر: مقال: فرقة نور بخشي (ص٥٣).
(٣) نفس المصدر (ص٥٥).
(٤) انظر: مقال: فرقة نور بخشي (٦١ ـ ٦٣).

١٦ - يعتبر النوربخشيون أن الزاوية الكبيرة التي بنيت في عهد «مير شمس الدين العراقي» في «كشمير» مكانتها أعلى من مكانة الكعبة المشرفة، وأن طوافاً واحداً لهذه الزاوية يساوي سبع مرات من الطواف بالكعبة المشرفة، ولهذا يطوف النور بخشيون حولها ليل نهار[١].

أشهر الدعاة:

لم تنتشر «النور بخشية» في «كشمير» في حياة مؤسسها «السيد محمد نور بخش»، وانتشرت على يد الداعية «مير شمس الدين العراقي» تلميذ «قاسم شاه بن نور بخش». وساعده دعاة محليون من «كشمير» أمثال: «بابا علي النجار» و«موسى رينه» و«كاجي چك» و«غازي چك»، وكانوا من الأمراء والوجهاء في كشمير[٢].

وتولى قيادة الفرقة بعد وفاة العراقي ولده «دانيال بن مير شمس محمد العراقي» (٩٠٠هـ - ٩٥٧هـ). قدم «دانيال» إلى «كشمير» مع والده عام (٩٠٢هـ)، وعمره آنذاك سنتان. تعلم أصول «النور بخشية»، وطريقة الرياضة الأربعينية على يد والده، وتولى قيادة الفرقة بعد وفاة والده عام (٩٣٢هـ)، وكان في الثانية والثلاثين من عمره.

ولما تولى «مرزا حيدر» السلطة في «كشمير» وطلب التوبة من «النور بخشيين» - بعد أن استفتى علماء «الهند» في عقائدهم وأعمالهم - هرب «دانيال» إلى إقليم «التُبْت»، ولكن رجال «ميرزا حيدر» قبضوا عليه في الطريق، وأحضروه إلى «كشمير» فقتل هناك عام (٩٥٧هـ)[٣].

---

(١) انظر: طبقات نوريه (٣٣٦).

(٢) لم أجد لهم ترجمة مفصلة، وردت أسماؤهم في طبقات نورية (ص١٩١، ٢٠٧). - ونزهة الخواطر (٤/ ١٤١).

(٣) انظر: ترجمته في طبقات نورية (٢٣٥ - ٢٣٨).

المبحث الرابع

هذه الفرق في الميزان

عرضت في المباحث السابقة الفرق الشيعية في البلاد الهندية من حيث تاريخها ونشأتها وعقائدها، وأتناول في هذا المبحث بيان الحكم الشرعي في هذه العقائد، وما تدعو إليه على ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، وفهم السلف الصالح لهما. فأقول وبالله التوفيق:

إذا نظر الباحث إلى عقائد الروافض ـ وهم الإمامية الاثنا عشرية ومن على شاكلتهم ـ يجد أنهم شككوا في المصادر الأصيلة للإسلام، فشككوا في القرآن الكريم، وأنكروا كثيراً من الأحاديث الثابتة الصحيحة، وطعنوا في الصحابة ﷺ ونسبوا إليهم تعمد الكذب، وتحريف كتاب الله ﷻ.

أما تشكيكهم في القرآن الكريم، فقد زعموا أن كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ حرفوا القرآن، وأسقطوا كثيراً من الآيات التي نزلت في فضائل أهل البيت، والأمر باتباعهم، والنهي عن مخالفتهم، وإيجاب محبتهم، وأسماء أعدائهم، والطعن فيهم، ولعنهم، وما إلى ذلك[1].

ويعتقدون أن أكثر من ثلثي القرآن الكريم قد فقد، وأن عندهم مصحف فاطمة ﷺ الذي يعادل ثلاث مرات من القرآن الموجود في أيدينا، وليس فيه من القرآن حرف واحد[2]. وهكذا أنكر «الرافضة» كثيراً من آيات

---

(١) انظر: مختصر التحفة الاثنى عشرية للآلوسي (٣٠، ٣١)، طبعة (١٣٧٣هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة.

(٢) انظر: الخطوط العريضة، لمحب الدين الخطيب (١٠ ـ ١٤). =

القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[1] ومحفوظ بحفظ الله ـ تعالى ـ من الزيادة والنقصان، والتغيير والتبديل والتحريف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[2].

وبهذا تبين أن موقف «الرافضة» من القرآن الكريم قائم على الشك والتحريف والتشويه، والاتهام بالزيادة والنقصان. وموقف جمهور الأمة على العكس من ذلك، فهو قائم على الرضا والقبول، والإجلال والتعظيم، والتصديق بالتمام والكمال، والتنزه عن الزيادة والنقصان. والاعتقاد بكفر من قال غير ذلك كفراً بواحاً[3].

وقد رد علماء «أهل السنة» على مزاعم «الرافضة» بأدلة دامغة، وحجج قاطعة، فقال القاضي أبو يعلى:

«والقرآن ما غُيّر، ولا بُدِّل، ولا نقص منه، ولا زيد فيه. والدلالة عليه أن القرآن جمع بمحضر من الصحابة ﷺ وأجمعوا عليه، ولم ينكر منكر، ولا رد أحد من الصحابة ذلك، ولا طعن فيه.

ولو كان مغيراً مبدلاً لوجب أن ينقل عن أحدٍ من الصحابة أنه طعن فيه؛ لأن مثل هذا لا يجوز أن ينكتم في مستقر العادة. ولو جَوَّزنا ذلك لوجب أن يجوز أن الله ﷻ قد أوجب أكثر من خمس صلوات، وأوجب صوم أكثر من شهر رمضان، ولما بطل ذلك وجب القطع على أن القرآن ما غُيِّر وما بُدّل».

«ولأنه لو كان مغيراً مبدلاً لوجب على علي ﷺ أن يبينه، ويصلحه، ويبين للناس بياناً عاماً ما كان مغيراً، فلما لم يفعل ذلك، بل كان يقرؤه ويستعمله دل على أنه غير مُبَدّل ولا مغير»[4].

= ـ الشيعة والقرآن، لإحسان إلهي ظهير (٣٢)، إدارة ترجمان السنة، ٤٧٥ شادمان لاهور.

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢.　　(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

(٣) انظر: عقائد الشيعة في الميزان، للدكتور محمد كامل هاشمي (٨٥).

(٤) انظر: المعتمد في أصول الدين (٢٥٨).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية الحكم الشرعي فيمن زعم زيادة القرآن أو نقصانه حيث قال: «... وكذلك من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكُتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك... وهؤلاء لا خلاف في كفرهم»[1].

وأما إنكارهم ـ أي الرافضة ـ للسنة النبوية المطهرة، فذلك لاعتقادهم أنها منقولة عن طريق أصحاب النبي ﷺ، وأن أصحابه كلهم ارتدوا إلا خمسة أو ثلاثة، فهم كفرة وزنادقة كذبة وفجرة، فلا يطمئن إليهم ولا إلى مروياتهم.

فكل حديث أو خبر نقل عن أحد الصحابة، أو ورد في سنده أحد منهم، أو من ينهج منهج «أهل السنة» فهو ساقط الاعتبار، لا يُعتَدُّ به[2].

وهذه قاعدة محكمة عندهم في مصطلح الحديث، يقول «محمد الحسين آل كاشف الغطاء»:

«إنهم لا يعتبرون من السنة (أعني الأحاديث النبوية) إلا ما صح لهم من طريق أهل البيت عن جدهم، يعني ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله ـ سلام الله عليهم جميعاً ـ، أما ما يرويه مثل أبو هريرة، وسمرة بن جندب، ومروان بن الحكم، وعمران بن حطان الخارجي، وعمرو بن العاص ونظائرهم، فليس لهم عند الإمامية من الاعتبار مقدار جناح بعوضة، وأمرهم أشهر من أن يذكر»[3].

فاتهم «الرافضة» أصحاب رسول الله ﷺ بالوضع والتزوير والكذب، ومن ثم لم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت، أو من نسبوهم إلى التشيع، كسلمان الفارسي، والمقداد، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري رضي الله عنهم[4].

---

(١) انظر: الصارم المسلول (٣/١١٠٨، ١١٠٩).

(٢) انظر: عقائد الشيعة في الميزان (٥٩).

(٣) انظر: أصل الشيعة وأصولها (٩٣، ٩٤)، الطبعة الثانية (١٣٦٣هـ).

(٤) انظر: دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين (٢٤٠).

هكذا أنكر الروافض أكثر الأحاديث من السنة التي تعد هي الأصل الثاني من أصول الدين الحنيف، والمصدر الثاني من مصادر التشريع. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1].

والسنة النبوية الشريفة بيان للقرآن، وتوضيح له، وتفسير لمعانيه قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. والرسول ﷺ هو الناطق بالوحي كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[3]، ولذلك جُعلت طاعته طاعةً لله ومعصيته معصيةً لله، فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾[4]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. وعلى ذلك انعقد الإجماع على تكفير من أنكر شيئاً من السنة الثابتة، وقد قال الإمام ابن حزم:

«لو أن امرأً قال: لا نأخذ إلا بما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة».

وقال: «إنما احتججنا في تكفيرنا من استحل خلاف ما صَحّ عنده عن رسول الله ﷺ بقول الله ـ تعالى ـ مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾[5][6].

ومن منطلق إنكار «الرافضة» الكثير مما جاء في السنة المطهرة يرفضون كتب الحديث المعتمدة مثل: صحيح البخاري، ومسلم وبقية الكتب الستة الأخرى، لا يعتمدون على شيء منها، فهم لا يؤمنون إلا بنصوص أتت من طرق معتبرة لديهم عن محدثيهم ورواتهم من «الشيعة»، وفي مقدمة هذه

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.
(٢) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٣) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.
(٤) سورة النساء: الآية ٨٠.
(٥) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٦) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، نقلاً عن عقائد الشيعة في الميزان (٥٩).

النصوص ما نقله «أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ) في كتابه «الكافي»[(١)] ويُعتبر هذا الكتاب من أقدم كتب الشيعة وأوثقها عندهم. وقد اتفق جمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب، والثقة بخبره، والاكتفاء بأحكامه، وعلى أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم. وهو بمثابة صحيح البخاري عند أهل السنة. وأيضاً كتاب «من لا يحضره الفقيه» «لمحمد بن بابويه الصدوق الرازي» (ت٣٨١هـ). و«تهذيب الأحكام» و«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» «لمحمد بن الحسن الطوسي» (ت٤٦٠هـ).

وقد روت هذه الكتب من الكذب على الله، ورسله، وتكفير الصحابة والحط منهم، والازدراء بهم، ما يندى له الجبين، ولا يمكن أن يصدق من كان عنده مسكة من عقل حديثاً واحداً من رواياتهم[(٢)].

أما طعنهم في الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فهو أدهى وأمر، إذ أجمع الشيعة الإمامية قديماً وحديثاً[(٣)] على تكفير جمهور

---

(١) يقع «الكافي» في ثمانية أجزاء تضم الأصول، والفروع، والروضة، فالأصول هي التي تتصل بالعقائد وتقع في الجزئين: الأول والثاني. والفروع في الفقه يقع في خمسة أجزاء. أما الجزء الأخير، وهو الروضة. وذلك أنه لما أكمل «الكليني» كتابه هذا، وتم رد مواده إلى فصولها، بقيت زيادات كثيرة من خطب أهل البيت، ورسائل الأئمة، وآداب الصالحين، وطرائف الحكم، وألوان العلم مما لا ينبغي تركه، فألف هذا الجزء، وسماه «الروضة»؛ لأن الروضة منبت أنواع الثمر، ومعدن ألوان الزهر».
انظر: دراسة عن الفرق (ص٢٤١، هامش رقم: ٢).

(٢) انظر: دراسة عن الفرق (٢٤١، ٢٤٢).
ـ عقائد الشيعة في الميزان (٦٤، ٦٥).

(٣) نشرت وزارة الإرشاد الإسلامي بجمهورية إيران الإسلامية كتيباً بقلم «علي شريعتي» يصنف فيه جيل الصحابة الكرام ﷺ إلى ثلاث مجموعات:
١ ـ المجموعة التي رضي عنهم علماء الشيعة، ولا يكاد يتجاوز عددهم أصابع اليدين.
٢ ـ المجموعة التي وصفها المؤلف بأنها: «أسوأ العناصر وانتحرت تحت أقدام الطغاة» ومن بينهم «عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي روى قرابة الأربعة آلاف حديث، وكان له دور كبير في الحفاظ على السنة ونشر الإسلام. =

الصحابة، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون الثلاثة وأم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ بأنهم كفروا ونافقوا وارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ إذا لم يبايعوا علياً رضي الله عنه[1].

وتترتب على هذا الاعتقاد الفاسد نتائج خطيرة في الدين؛ إذ يلزم منه نزع الثقة في كل ما نقله الصحابة رضي الله عنهم من هذا الدين، ويعني ذلك القضاء على هذا الدين ـ الذي أراده الله عز وجل أن يكون ديناً أبدياً إلى قيام الساعة ـ في مهده، وذلك لعدم توافر النقل المأمون حسب زعم ذلك الاعتقاد الفاسد.

والذي عليه اعتقاد الأمة الإسلامية أن الله اصطفى لهذه الأمة

= ٣ ـ المجموعة التي وصفها المؤلف بأنها: «التي باعت شرفها، وجمعت نقودها ببيع كل حديث بدينار».
ومن بين هذه المجموعة أورد ـ علي شريعتي ـ أسماء «أبي هريرة» و«أبي الدرداء» و«أبي موسى الأشعري» رضي الله عنهم الذين قاموا بدور عظيم في الحفاظ على سنة رسول الله ﷺ ونشر الإسلام.
ويقول داعية «الرافضة» المذكور في كتاب له آخر بعنوان: «فاطمة هي فاطمة»، يقول فيه: «عبد الرحمن بن عوف عابد المال، وعثمان الأرستقراطي، خالد بن الوليد عديم المبالاة، وسعد بن أبي وقاص عديم التقوى» رضي الله عنهم أجمعين.
انظر: حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وجمهور علماء المسلمين لسعيد إسماعيل (ص٢٢)، الطبعة الخامسة (١٤١٢هـ)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
ويمنع في «جمهورية إيران» منعاً باتاً في مساجد أهل السنة، إلقاء أي درس في فضائل أحد الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ. وقد قام «الشيخ دوست محمد» بتأليف كتيب صغير في مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رداً على شبهات الشيعة، والتي ينشرونها بين الحين والآخر في كتبهم ووسائل إعلامهم، وبمجرد أن علمت السلطات بطبع هذا الكتاب قبضوا عليه، وحكموا عليه بالسجن لمدة أربع سنوات مع النفي إلى مدينة «إصفهان»، وذلك بعد شهور من التعذيب والاضطهاد.
انظر: مقال: موقف حكومة إيران من أهل السنة، الحلقة الثانية، بقلم: أبو سليمان عبد المنعم البلوشي في مجلة «الطالب» عدد (٢٠، ٢١)، لسنة (١٤١٨هـ)، الصادرة من بشاور ـ باكستان.

(١) انظر: دراسة عن الفرق (٢٣٥ ـ ٢٣٩).
ـ عقائد الشيعة في الميزان (٧٠ ـ ٨٠).

خير الرسل، وأنزل عليه خير الكتب، وجعل هذه الأمة خير الأمم، وذلك يؤكد أن الله ﷻ اختار لحمل هذا الدين وصحبة رسوله ﷺ خير البشر بعد الأنبياء والرسل. واختار الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الفئة الخيرة، والنخبة الصادقة لتكون بداية لانطلاق هذا الدين، ونشره في أقطار الأرض، وحفظ كتابه وسنة رسوله ﷺ. وأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ عن فضلهم، وأثنى عليهم في عشرات الآيات. وهكذا ورد كثير من الأحاديث الشريفة التي لا يخلو منها كتاب من كتب السنة، تؤكد على فضل هؤلاء الأصحاب، وتبين مكانتهم، ومحبة الله لهم، وتنهى عن سبهم، والبغض لهم.

وأما الحكم فيمن سب الصحابة ﷺ فقد فصل فيه شيخ الإسلام ابن تيمية القول، حيث قال:

«. . . وأما من سبهم سباً، لا يقدح في عدالتهم، ولا في دينهم ـ مثل وصف بعضهم بالبخل، أو الجبن، أو قلة العلم، أو عدم الزهد، ونحو ذلك ـ فهذا هو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء.

وأما من لعن وقبّح مطلقاً، فهذا محل الخلاف فيهم لتردد الأمر بين لعن الغيظ ولعن الاعتقاد.

وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً، لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، فإنه مكذِّبٌ لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم، والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا، فإن كفره متعين، فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفارٌ أو فساق، وأن هذه الأمة التي هي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، وخيرها هو القرن الأول، كان عامتهم كفاراً أو فساقاً، ومضمونها أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

هـذه الأمـة هـم شـرارهـا، وكـفـر هـذا مـمـا يـعـلـم بـالاضـطـرار مـن ديـن الإسلام. . .»[1][2].

تَبَيّن مما سبق خطورة عقائد «الروافض» على الإسلام والمسلمين، وأخطر منها عقائد الباطنية الإسماعيلية ـ من بهرة وآغا خانية ـ فإنهم يؤولون النصوص الظاهرة، ويثبتون لها معان باطنة، ويلجأون إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص الشرعية، ويخرجونها عن معانيها الظاهرة، مستهدفين بذلك هدم الدين، وإبطال شعائره، وأحكامه العملية. يقول الغزالي في ذلك:

«وأما الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة. وأن من تقاعد عن الغوص في الخفايا والأسرار، والبواطن والأغوار، وقنع بظاهرها مسارعاً إلى الاغترار، كان تحت الأواصر والأغلال، معنًى بالأوزار والأثقال. وأرادوا بالأغلال التكاليف الشرعية، فإن من ارتقى إلى علم الباطن، انحط عنه التكليف، واستراح من أعبائه. . .».

وأضاف قائلاً: «. . . وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر، قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ من قواعد الدين، إذ سقطت الثقة بموجب الألفاظ الصريحة، فلا يبقى للشرع عصام يُرجَعُ إليه، ويُعَوّلُ عليه»[3].

وقد أدرك علماء الأمة من القديم خطورة هذه الفرقة وما تحمله من

(١) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ (٣/ ١١١٠، ١١١١).

(٢) اكتفيت بالرد على أهم عقائد الإمامية الاثنى عشرية في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ والصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) انظر: فضائح الباطنية (١١، ١٢)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

عقائد باطلة، وأعمال فاسدة لا تمت إلى الإسلام بصلة، فنبّه المسلمين على ذلك، فهذا «البغدادي» يقول عنهم:

«اعلموا ـ أسعدكم الله ـ أن ضرر «الباطنية» على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم، بل أعظم من مضرة الدهرية، وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظم من ضرر الدجال الذي يظهر في آخر الزمان؛ لأن الذين ضلوا عن الدين بدعوة «الباطنية» من وقت ظهور دعوتهم إلى يومنا[1] أكثر من الذين يُضَلّون بالدجال في وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها على أربعين يوماً، وفضائح «الباطنية» أكثر من عدد الرمل والقطر»[2].

وقال أيضاً ـ أي البغدادي ـ: «وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين «الباطنية» كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أسساً من قَبِلَها منهم صار في الباطن إلى أديان المجوس. وتأولوا آيات القرآن، وسنن النبي ﷺ على موافقة أسسهم»[3].

وقال الغزالي: «أما الجملة: فهو أنه مذهب ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض»[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«وهؤلاء بنو «عبيد القداح» ما زالت علماء الأمة المأمونون علماً وديناً، يقدحون في نسبهم ودينهم، لا يذمونهم بالرفض والتشيع؛ فإن لهم في هذا شركاء كثيرين، بل يجعلونهم من «القرامطة الباطنية» الذين منهم

---

(١) أي زمن المؤلف، وهو القرن الخامس الهجري، إذ توفي البغدادي عام (٤٢٩هـ)، فما بالنا إذا قيس بمن ضلوا إلى القرن الخامس عشر الهجري.

(٢) انظر: الفرق بين الفرق (٢٨٢).

(٣) نفس المصدر (٢٨٤، ٢٨٥).

(٤) انظر: فضائح الباطنية (٣٧).

«الإسماعيلية» و«النصيرية»[١] ومن جنسهم «الخرمية المحمرة»[٢]، وأمثالهم من الكفار والمنافقين، الذين كانوا يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، ولا ريب أن اتباع هؤلاء باطل...»[٣].

قال عنهم «يحيى بن حمزة العلوي»:

«واعلم أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن التصديق، عمدوا بلطف الاحتيال، ودقة الاستدراج، فصرفوا ظواهر الشرع ونصوصه إلى هذيانات لفّقوها، وتهويسات جمعوها وزوّروها، ليستفيدوا بذلك إبطال معاني الشرع، وهدم أساسه، وأوقعوا في نفوسهم أنهم لو صرحوا بالنفي المحض، والتكذيب الصرف، لم يثقوا بانقياد الخلق لضلالاتهم، ولا بإصغاء سمع أحد إلى جهالاتهم فقالوا: كل ما ورد من التكاليف، والحشر، والنشر، وضمائر النصوص والظواهر، وجميع المعجزات، فهي بأجمعها أمثلة ورسوم إلى بواطن مكذوبة، وأمور محرفة موهومة»[٤].

فعقائد القوم بهذا المنهج التأويلي جاءت لهدم الإسلام، كما يقول الدكتور الخطيب: «إن العقائد الباطنية بمنهجها التأويلي تمثل تجاوزاً خطيراً لكل العقائد والمفاهيم التي جاء الإسلام من أجلها، بل إنها في سعيها لنسف الظاهر، وكشف الباطن، تحاول أن تنسف الإسلام كدين، وأن ترسي بدلاً منه المفاهيم الإلحادية الباطنية المشتملة على الإباحية المطلقة. ورحم الله الغزالي عندما قال:

---

(١) النصيرية إحدى فرق الباطنية الغلاة المنشقة عن فرقة الإمامية الاثنى عشرية، وتبنت آراء منحرفة وعقائد باطلة انتهت بهم إلى الخروج من الإسلام.
انظر: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (٣١١، ٣١٢).
ـ فرق معاصرة (١/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٢) تقدم تعريف الخرمية في (ص٢٠٩).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٣١).

(٤) انظر: الإفحام لأفئدة الباطنية الطُغام (٧١)، تحقيق: فيصل بدير عون، منشأة المعارف بالإسكندرية.

«إن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة، ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوة، فإن مساقها ينقاد إلى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين»[1][2].

هذا، وقد صدرت فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية حيال كل من «البهرة»[3] و«الآغا خانية»[4] و«الإمامية الاثنى عشرية»[5] تبين الحكم الشرعي فيها، وذلك بعد دراسة عقائد كل فرقة، وممارساتها ودعاويها في ضوء الكتاب والسنة. وقد جاء الحكم بفساد معتقداتها، وبطلان ما تدعو إليه، وتكفير من يحمل مثل هذه المعتقدات.

---

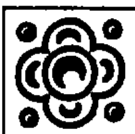
(١) انظر: فضائح الباطنية (١٨).

(٢) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها (١٣٤)، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ) مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن.

(٣) كانت هذه الفتوى عبارة عن أجوبة لستة أسئلة وجهت إلى اللجنة، وهي ما يتعلق بوجوب السجدة لكبير علماء البهرة كلما يزوره أتباعه، وتقبيل النساء يده ورجله، وأنه المالك الكلي للروح والإيمان نيابة عن أتباعه، وادعاؤه أنه المالك الكلي لجميع أملاك الوقف، وأنه هو الله في الأرض، وله القدرة الكاملة على جميع أتباعه، ويحق له إعلان البراءة والمقاطعة الاجتماعية ضد من يعترض على أعماله، وما إلى ذلك.
انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٧، فتوى رقم: ٢٢٨٩)، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبد الرزاق الدويش، طبعة (١٤١١هـ) الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

(٤) جاءت هذه الفتوى رداً على أسئلة أحد السائلين في حق فرقة الإسماعيلية ـ الآغاخانية ـ التي يسكن أفرادها في البلاد الشمالية من باكستان. وهي ما يتعلق بعقيدتهم في كلمة التوحيد، والإمام، والشريعة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج وغير ذلك.
انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٨٠، ٢٨١، فتوى رقم: ٥٥٠٨).

(٥) كانت هذه الفتوى رداً على عدة أسئلة حول عقائد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية. وهي ما يتعلق بدعوتهم لعلي والحسن والحسين ﷺ وسائر ساداتهم في الشدة والرخاء وعقيدتهم بصفة عامة، وهل الشيعة كفار كلهم أم أئمتهم، وهل تجوز مناكحتهم ومخالطتهم، وما حقيقة الشيعة الإيرانية إلى غير ذلك.
انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٧٠، فتوى رقم: ١٦٦١).




الفصل الثامن

جهود علماء وحكام الهند
في القرن العاشر الهجري لمقاومة هذه الفرق

وفيه مبحثان

المبحث الأول: جهود العلماء والمصلحين.

المبحث الثاني: جهود الحكام.




المبحث الأول

جهود العلماء والمصلحين

إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قضى بحفظ دينه وكتابه وسنة نبيه ﷺ حيث قال ـ عز من قائل ـ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[١]. وكان من رحمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ بهذه الأمة أن يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حيث قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها أمر دينها»[٢].

فقد تأتي على الناس عصور يكثر فيها الزيغ، وتشيع الزندقة، وتنتشر البدعة، وتضمحل السنة، وتشوش العقيدة الصحيحة، وعندئذ يقيض الله لهذه الأمة المباركة من يحفظ لها أمر دينها، وينسف الأهواء، ويكشف عوار أهلها، ويمحو البدعة، ويحيي السنة، وبيده يزهق الباطل، ويعلو الحق، ويعود للدين مجده ومكانته.

تحدثت في الفصول السابقة عن نشأة الأهواء والبدع، وأصحابها ودعاتها، والآثار السيئة التي ترتبت عليها. وأتناول في هذا الفصل الحديث عن أشهر العلماء المصلحين الذين بذلوا جهوداً طيبة لإصلاح ما أفسد

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه رواه أبو داود في سننه في كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة (٤/ ٤٨٠، برقم: ٤٢٩١).
والحاكم في المستدرك، وسكت عنه (٤/ ٥٢٢).
وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ١٥٠، برقم: ٥٩٩).

أصحاب البدع والأهواء، ورتبتهم حسب الترتيب الزمني، كما يلي:

أولاً: الشيخ علي المتقي:

اسمه ونسبه:

هو علي بن حسام الدين بن عبد الملك بن قاضيخان المتقي البرهانبوري[1].

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

وُلد الشيخ المتقي في مدينة «برهانبور»[2] عام (٨٨٥هـ)، ونشأ هناك. كانت بداية تعليمه في البيت عند أبيه، ولما أقبل إلى طور شبابه ترك التعلم، واختار العمل الوظيفي عند أحد الأمراء في بلده، وجمع قدراً من المال، ثم ترك الوظيفة، وأقبل على طلب العلم وسافر إلى منطقة «ملتان»[3] ثم «أحمد آباد»[4] ودرس العلم على علماء تلك البلاد[5].

---

(١) مصادر ترجمته: أخبار الأخيار للشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي، ترجمه: مولانا سبحان محمود وغيره. (٥٢٣ ـ ٥٤٣)، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ)، أدبي دنيا، مٹيا محل، دهلي ـ الهند.
ـ نزهة الخواطر (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٤٤).
ـ سبحة المرجان في آثار هندوستان للبلگرامي (٤٣).
ـ رود كوثر (٣٥٣، ٣٥٤).
ـ علماء هند كَا شاندار ماضي (١/ ٣٣٥ ـ ٣٤٠).
ـ تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٧٧ ـ ٨٠).
ـ أبجد العلوم (٣/ ٢٢١، ٢٢٢).
ـ تذكرة علمائے هند (٣٤٨).
ـ اردو دائرہٴ معارف إسلامية (١٨/ ٥٠٤ ـ ٥٠٦).

(٢) إحدى مدن إقليم «گجرات» الهندية. وتقع حالياً في ولاية مدهيه پرديس (الولاية الوسطى) الهندية.

(٣) تقع حالياً في باكستان.

(٤) اسم منطقة تابعة لإقليم «گجرات». وهي عاصمة الولاية.

(٥) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٢٣٤).
ـ رود كوثر (٣٥٣).

وفي عام (٩٣٥هـ) غادر «الهند» متوجهاً إلى بلاد الحرمين الشريفين، فأقام بمكة سنوات يطلب فيها العلم، وتتلمذ على الشيخ «أبي الحسن البكري» و«الشيخ محمد السخاوي» و«الشيخ ابن حجر الهيتمي» وغيرهم، ثم عكف على التدريس والتأليف[١].

عاد إلى «الهند» عام (٩٥٣هـ) بإلحاح من الوزير «آصف خان» وزير «السلطان محمود الثاني» سلطان «گجرات» ولكنه سرعان ما رجع إلى بلاد الحرمين بعد قضاء حاجاته هناك، وقضى بقية حياته في الإفادة والتأليف[٢].

مؤلفاته:

ألف «الشيخ المتقي» أكثر من مائة كتاب بين صغار وكبار بالعربية والفارسية، ومن أشهر مؤلفاته كالآتي:

١ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال[٣].

٢ ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان[٤].

٣ ـ الرد على من حكم وقضى أن المهدي جاء ومضى[٥].

٤ ـ شؤون المنزّلات.

٥ ـ جوامع الكلم في المواعظ والحكم.

٦ ـ هداية ربي عند فقد المربي.

٧ ـ شمائل النبي ﷺ.

---

(١) انظر: تذكرة الشيخ محمد الفتني (٨٠).

(٢) انظر: أخبار الأخيار (٥٣٧، ٥٣٨).

(٣) رتب فيه كتاب «جمع الجوامع» للسيوطي على أبواب الفقه، وهو مطبوع ومتداول.

(٤) ألف هذا الكتاب في الرد على «الفرقة المهدوية»، وهو ما زال مخطوطاً في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٨٧٣) عقائد.

(٥) وهو أيضاً في الرد على «الفرقة المهدوية»، ويوجد نسخته الخطية في مكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم (٥/٥٩) مجاميع.

٨ ـ المواهب العلية في جمع الحكم القرآنية والحديثية.

٩ ـ الفصول شرح جامع الأصول.

١٠ ـ منهج العمال في سنن الأقوال[١].

١١ ـ مختصر النهاية[٢].

١٢ ـ نعم المعيار والمقياس لمعرفة مراتب الناس، وغيرها[٣].

وفاته:

توفي «الشيخ علي المتقي» في المدينة المنورة عام (٩٧٥هـ)، وله تسعون سنة، ودفن هناك[٤].

جهوده الإصلاحية:

ينتمي «الشيخ المتقي» إلى إقليم «گجرات» الساحلية، حيث ولد في مدينة «برهانبور» ـ إحدى مدن هذا الإقليم ـ وكان إقليم «گجرات» معقلاً رئيسياً «للفرقة المهدوية» إبان عروجها وتطورها، فعايش «الشيخ المتقي» هذه الحركة ودعاتها عن كثب. وكان في حيرة وتردد إزاء هذه الحركة[٥]، نظراً لما تميزت به شخصية مؤسسها من قدرة علمية وثقافية واسعة، ولما امتاز به دعاتها من تفوق وبراعة وإخلاص لدعوتها وقدرتهم على جذب الكثيرين إلى مذهبهم.

وللتحقق من صحة ما تدعو إليه هذه الفرقة ومدى اتساقه مع العقيدة الإسلامية الصحيحة، سافر «الشيخ المتقي» إلى بلاد «الهند»، وباحث

---

(١) وهو ترتيب الجامع الصغير للسيوطي.

(٢) وهو اختصار كتاب «النهاية في غريب الحديث والأثر»، لابن الأثير الجزري.

(٣) انظر: نزهة الخواطر (٤/٢٤٣، ٢٤٤).
ـ اردو دائره معارف إسلامية (١٨/٥٠٥).

(٤) انظر: أخبار الأخيار (٥٣٨).

(٥) ذكر بعض الباحثين أنه كان قد مال إلى هذه الفرقة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في (ص٢٩١).

علماءها، ولكنه لم يجد عندهم ما يروي الغليل ويشفي العليل، حتى وفّقه الله ـ تبارك وتعالى ـ للسفر إلى بلاد الحرمين الشريفين، فدرس على علمائها وعرض عليهم مسألة ظهور المهدي حتى تحقق له الأمر، وانقشعت سحابة الشك التي غشيته في بداية الأمر.

يقول الشيخ المتقي في هذا الصدد:

«فإني كنت في بداية أمري طالباً لتحقيق اعتقاد هؤلاء الطائفة، وصحبت هذه الطائفة مدةً مديدة، فما تحقق لي في هذا الأمر شيء حتى سافرت في بلاد «الهند» وراجعت علماءها في هذا الأمر، حتى قدر الله ـ تعالى ـ لي الرواح إلى الحرمين الشريفين، واشتغلت مدة عشر سنين بعلم الحديث، والاستفسار عن العلماء المحققين في هذا الأمر، فأطلعني الله ـ تعالى ـ على تحقيق بطلان اعتقاد هذه الطائفة، وله الحمد والمنة، وهو أعلم بالمهتدين»[1].

وبعد أن استقر رأيه في أمر هذه الفرقة شمر عن ساق الجد للرد عليها، وأعلن على الناس أنها تخالف الكتاب والسنة، وتقتل العلماء، فهي فرقة باطلة يجب الرد عليها. يقول الشيخ المتقي في هذا الشأن:

«كفى دليلاً على بطلان اعتقاد هذه الطائفة قتلهم العلماء، وإن خصلتهم هذه تدل على عدم الدليل على اعتقادهم، وعجزهم عن إثبات معتقدهم. فهذه الخصلة وحدها تكفي على البطلان، فكيف إذا ورد الكتاب والسنة على بطلان اعتقادهم، ونفي مرادهم، نسأل الله العصمة عن الزيغ والضلال، والحور بعد الكور...»[2].

وألف في ذلك كتابه المشهور: «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» وكتابه: «الرد على من حكم وقضى أن المهدي جاء ومضى». وبجهوده صدرت فتاوى علماء «مكة المكرمة» من المذاهب الأربعة حول

(١) انظر: البرهان في علامات مهدي آخر الزمان (ل٢/أ).
(٢) نفس المصدر والصفحة.

هذه الفرقة، وقد ضمن «الشيخ المتقي» هذه الفتاوى كتابه «البرهان»[1].

ولما وصلت هذه الفتاوى وكتب «الشيخ المتقي» إلى إقليم «گجرات» وغيره عن مناطق «الهند»، تنبه المسلمون إلى خطورة هذه الفرقة، وفساد عقيدتها، فبدأوا ينفرون عنها، ويسدون الطريق في وجهها، مما أدى إلى إيقاف انتشارها، والحد من نفوذها.

ومن ثمرات هذه الجهود المباركة أيضاً أن اضطر المهدويون إلى مغادرة إقليم «گجرات» ونقل مراكزهم منها إلى إقليم «الدكن» و«حيدرآباد» جنوب البلاد الهندية، وذلك بعد أن أنزل حكام «گجرات» ضربات قاصمة على الدعاة المهدويين عملاً بالفتاوى المذكورة، وتوجيهات «الشيخ المتقي».

وحمل بعده لواء هذه الجهود تلميذه المؤهل «الشيخ محمد طاهر الفتني» ولم يزل يسعى للقضاء على هذه الفرقة وغيرها من الفرق الضالة حتى لقي حتفه في سبيل ذلك، كما سيأتي قريباً بإذن الله ـ تعالى ـ[2].

ثانياً: الشيخ محمد طاهر الفتني:

اسمه ونسبه:

هو محمد بن طاهر بن علي بن إلياس الفتني[3].

---

(١) سبق نص هذه الفتاوى في المبحث الرابع من الفصل الثالث.
(٢) انظر: رود كوثر (٣٥٤).
(٣) مصادر ترجمته: أخبار الأخيار (٥٦٠).
ـ رسالة مناقب للشيخ القاضي عبد الوهاب، المطبوع في ذيل تذكرة الشيخ محمد الفتني، ترجمه: البروفيسور أبو ظفر الندوي.
ـ نزهة الخواطر (٤/٢٩٨ ـ ٣٠١).
ـ سبحة المرجان (٤٣ ـ ٤٥).
ـ رود كوثر (٣٩٢، ٣٩٣).
ـ علماء هند كا شاندار ماضي (٣٤٣، ٣٤٤).
ـ تذكرة الشيخ محمد بن طاهر الفتني.
ـ أبجد العلوم (٣/٢٢٢، ٢٢٣). =

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد في «الفتن»[1] عام (٩١٤هـ)، وكان من قوم «البهرة»[2]. يقول «الشيخ الفتني» في مقدمة كتابه «قانون الموضوعات»: «... أما بعد: فيقول أفقر عباد الله الغني محمد طاهر بن علي الهندي الفتني صنفاً ونسباً، والبهرة ـ أي التاجر ـ شعباً، والحنفي مذهباً»[3].

بدأ طلب العلم منذ صغره، وقد حفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، وأتم دراسة العلوم المتداولة في زمنه وهو في الخامسة عشرة من عمره[4]. وفي عام (٩٤٤هـ) خرج قاصداً إلى بلاد الحرمين الشريفين لطلب العلم، وتتلمذ هناك على «الشيخ عبد الله الزبيدي» و«السيد عبيد الله العدني»، و«الشيخ عبد الله الحضرمي» و«الشيخ جار الله المكي» و«الشيخ ابن حجر الهيتمي» و«الشيخ علي المتقي الهندي» وغيرهم[5].

مكث «الشيخ الفتني» في بلاد الحرمين الشريفين سنوات عديدة يتزود بالعلم، ويستفيد من علمائها خاصة «الشيخ علي المتقي»، ثم كرّ راجعاً إلى الهند عام (٩٥٠هـ)، وقد عقد العزم على تبليغ دعوة الإسلام إلى الآخرين، وإصلاح عقائد الفرق الباطلة من «البهرة» و«المهدوية»، فاختار طريق الوعظ والإرشاد لعامة الناس، وإلقاء الدروس على طلبة العلم في مختلف العلوم والفنون، وأسس مدرسة لذلك، ويقضي بقية وقته في التأليف والتصنيف[6].

= ـ تذكرة علمائے هند (٤٤٠ ـ ٤٤٢).
ـ اردو دائره معارف إسلامية (١٩/ ٤٣٩، ٤٤١).
ـ الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٢).

(١) إحدى مناطق إقليم گجرات.

(٢) تقدم تحقيق كلمة «البهرة» في المبحث الثالث من الفصل السابع، وغلب اسم «البهرة» على الفرع المستعلي من الشيعة الإسماعيلية، وفيهم قليل من أهل السنة، منهم «الشيخ محمد طاهر الفتني».

(٣) انظر: قانون الموضوعات (ص: ٢٣٠)، المطبوع في ذيل تذكرة الموضوعات، طبعة (١٣٤٢هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة.

(٤) انظر: تذكرة علمائے هند (٤٤٠).

(٥) انظر: نزهة الخواطر (٤/ ٢٩٩).

(٦) انظر: تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٦٨).

مؤلفاته:

ألّف «الشيخ الفتني» كتباً كثيرة فُقد أكثرها، وأشهر مؤلفاته كالآتي:

١ ـ مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار[١].

٢ ـ تذكرة الموضوعات[٢].

٣ ـ قانون الموضوعات[٣].

٤ ـ المغني[٤].

٥ ـ كفاية المفرطين[٥].

٦ ـ مقاصد جامع الأصول[٦].

٧ ـ حاشية مقاصد الأصول.

٨ ـ حاشية صحيح البخاري.

٩ ـ حاشية صحيح مسلم.

١٠ ـ حاشية مشكاة المصابيح.

١١ ـ چهل حديث (أربعون حديثاً).

١٢ ـ عدة المتعبدين.

---

(١) ألف هذا الكتاب في شرح غريب الحديث على غرار «النهاية» لابن الأثير الجزري. وهو مطبوع ومتداول. كان آخر طبعه عام (١٤١٥هـ) في أربع مجلدات ضخمة، بتحقيق: الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، نشرته مكتبة دار الإيمان في المدينة المنورة.

(٢) وهو في الأحاديث الموضوعة. طبع في القاهرة عام (١٣٤٢هـ)، نشرته إدارة الطباعة المنيرية.

(٣) وهو في بيان الوضاعين والضعفاء والمتروكين، طبع في ذيل تذكرة الموضوعات.

(٤) وهو في أسماء الرجال، طبع مع تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني، نشرته مطبعة المجتبائي في «دهلي» عام (١٣٢٠هـ).

(٥) ألف هذا الكتاب في شرح «الشافية» في فن الصرف، يوجد منه نسخة خطية في مكتبة «أحمد آباد» «بالگجرات».

(٦) وهو كتاب حديثي.

١٣ ـ منهاج السالكين، وغيرها[1].

وفاته:

وقد لقي «الشيخ محمد طاهر» مصرعه على أيدي المهدويين الذين قتلوه غيلة تحت جنح الظلام وهو في طريقه إلى «الملك أكبر»، وذلك عام (٩٨٦هـ)، كما سيأتي تفصيل ذلك بعد قليل بإذن الله ـ تعالى ـ.

حركته الإصلاحية:

بعد عودة «الشيخ الفتني» من الأراضي المقدسة وقف حياته على خدمة الإسلام، فكان يدرس العلوم المختلفة لطلبة العلوم، ويلقي المواعظ والنصائح لإصلاح عقائد الفرق الباطلة، وعامة الناس، ويقضي بقية وقته في التأليف والتصنيف.

وقد برزت حركته الإصلاحية في مجالين:

الأول: محاولة إصلاح «البهرة» من الشيعة والسنة.

الثاني: محاربة «الفرقة المهدوية» التي أسسها «السيد محمد الجونبوري المتمهدي».

أما المجال الأول، فكان قومه من «البهرة» وأغلبيتهم من الشيعة الإسماعيلية، وقلة منهم من أهل السنة، وأكثرهم ـ أي «البهرة» أسلموا من الهندوس؛ فرأى فيهم «الشيخ الفتني» عادات وتقاليد ورثوها من الوثنية الهندوسية، كما رأى عقائد باطلة وخرافات الشيعة الإسماعيلية، فأول من بدأ به الشيخ أهل بيته، وأقاربه، ومن هو على مذهبه من البهرة السنة، فدعاهم إلى ترك التقاليد والعادات التي ورثوها من الهندوسية، ونبذ البدع والخرافات التي تأثروا بها من الإسماعيلية؛ كما حاول إصلاح البهرة الإسماعيلية وإعادتهم إلى السنة، وبين لهم حقائق الدين الإسلامي وتعليماته، وكان ذلك

(١) انظر: رسالة مناقب (٨٩، ٩٠).
ـ تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٨١ ـ ٨٤).

عن طريق الوعظ والإرشاد والنصائح الدينية التي كان يلقيها عليهم بصفة مستمرة[1].

وأما بالنسبة للمجال الثاني فقد تقدم قبل قليل أن «الشيخ المتقي» لم يأل جهداً، ولم يدخر وسعاً للقضاء على «الفرقة المهدوية»، وبفضل جهوده اضطر الدعاة المهدويون لمغادرة إقليم «گجرات» إلى إقليم «الدكن» و«حيدرآباد»، واختفت البقية الباقية منهم، وبدأوا يعيشون مسالمين بدون إثارة شغب أو إشاعة قلق كسابق عادتهم، ولما لقي «السلطان محمود الثاني»[2] ـ سلطان گجرات القوي ـ حتفه إثر مكيدة مدبرة، وذلك عام (٩٦١هـ)، اعتبر المهدويون مقتله كرامة للدعاة المهدويين الذين اضطروا للهروب إلى إقليم «الدكن»، وبعد مقتله ـ أي السلطان محمود الثاني ـ تفككت عرى دولته، واستقل الأمراء بمناطقهم، وبدأوا يتقاتلون فيما بينهم، فاهتبل المهدويون هذه الحروب الأهلية، واستفادوا منها أيما استفادة، حيث خرجوا من مخابئهم وسراديبهم، وظهر داعيتهم «مولانا عبد الرشيد الگجراتي» فنظم صفوفهم من جديد، كما رجع الدعاة من إقليم «الدكن» الذين هربوا من قبل، وتمكن هؤلاء من التأثير على حاكم منطقة «الفتن» «شير خان الفولادي»، فاعتنق هو وعائلته مبادئ «المهدوية»، وبهذا قامت حكومة المهدويين في هذه المنطقة من إقليم «الگجرات»، فعادوا إلى سابق دينهم وديدنهم، وبدأوا يقتلون مخالفيهم من المسلمين بعد تكفيرهم، والسلطة الحاكمة تحميهم وتساعدهم[3].

رأى «الشيخ الفتني» أن الأحوال قد ساءت، وأن الأمور قد تغيرت،

---

(١) انظر: تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٦٨).

(٢) وهو محمود بن عبد اللطيف بن المظفر الگجراتي، المعروف بالسلطان الشهيد (... ـ ٩٦١هـ).
كان من الحكام الذين نكلوا بالمهدويين عملاً بفتاوى فقهاء مكة وتوجيهات الشيخ علي المتقي.
انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٤/٣٣٧ ـ ٣٤١).

(٣) انظر: تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٦٦ ـ ٦٨).

وقد ظهر الباطل، واختفى صوت الحق، وسكت العلماء خوفاً من انتقام المهدويين، فعزم العقد، وصمم الإرادة لمواجهة هذا الموقف، وبدأ يلقي سلسلة من المحاضرات على شكل مواعظ دينية يرد فيها على العقائد المهدوية بالنقل والعقل، ويُفَنِّد مزاعم «السيد محمد الجونبوري المتمهدي» ويثبت للمسلمين أن «المهدوية» فرقة ضالة، وفي نفس الوقت لم ينس «الشيخ الفتني» حكام هذه المنطقة، الذين ينشرون المهدوية بالقوة، ويضربون مخالفيها بيد من حديد، فكتب رسالة صغيرة سماها «نصيحة الولاة» أوصى فيها الولاة والحكام بتقوى الله ﷻ في رعاياهم، وحث على العدل بينهم، كما حذّر من الظلم وعواقبه الوخيمة، فكان من نتيجة ذلك أن هدأت نشاطات المهدويين حيناً من الزمن، ولكنهم سرعان ما عادوا إلى سابق عهدهم، وأخذوا يدعون الناس إلى العقائد المهدوية من جديد، ومن يخالفهم يهدرون دمه بعد تكفيره، فكثرت الفتن والقلاقل في البلد، فزاد الشيخ نشاطه ضد «المهدوية» وكرس جهوده في الرد عليهم، وحماية المسلمين من شرورهم[1].

محاولة اغتيال الشيخ:

لما رأى حاكم «الفتن» شير خان الفولادي أن الشيخ الفتني أطلق لسانه ضد «المهدوية» حيث لم يزل يرد عليهم، ويبين للمسلمين فساد عقيدتهم، قرَّر اغتياله، وشَكَّل عصابة سرية تتردد على مدرسته في زي طلاب العلم، وهم يتحينون الفرصة لاغتياله، وفي أحد الأيام كان الشيخ يستريح في حجرته، ولم يكن معه أحد، وذلك في الدور العلوي من مدرسته، وصل رجال العصابة هناك، وضرب أحدهم بسيفه على كتف الشيخ، ثم نزلوا من السلم وبدأوا في الهروب، وانزلقت رجل أحدهم عند النزول، ووقع على الأرض، ولما رآه أحد تلاميذ «الشيخ الفتني» يدعى «خير الدين» عرف الموقف، فقبض عليه ثم قتله بسيفه، وهرب إلى «أحمد آباد»[2]، ولكن

---

(١) انظر: تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٦٩).

(٢) إحدى مناطق إقليم «گجرات»، تمثل عاصمة لهذا الإقليم.

رجال «شير خان الفولادي» ألقوا القبض عليه وقتلوه. وقد أسفر هذا الهجوم على الشيخ عن جرح بالغ في كتفه، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ سلّم الشيخ وحفظه، وقد برأ من الجرح بعد خمسة وعشرين يوماً من العلاج[١].

وبعد هذه الحادثة الفاجعة توجه «الشيخ الفتني» إلى منطقة «أحمد آباد» ـ العاصمة الإقليمية لگجرات ـ عسى أن يجد من حكامها ما يعينه على تحقيق هدفه، وعرض عليهم مسألة المهدويين وتنكيلهم بالمسلمين في منطقة «الفتن»، ولكنهم خيبوا آماله، إذ اعتذروا قائلين إن منطقة «الفتن» انفصلت عن الحكومة المركزية ـ في أحمد آباد ـ فلا يطيع حاكمها لأوامرهم، كما أنهم شغلوا بالحروب الداخلية مع أمراء المناطق، فالوقت غير مناسب للقيام بأي إجراء ضد حكام هذه المنطقة، فرجع الشيخ بدون أن يحقق أية نتيجة من وراء هذه المحاولة[٢].

الكشف عن رأسه:

لما وصل «الشيخ الفتني» إلى بلده «الفتن» راجعاً من «أحمد آباد» رأى أن الشر قد بلغ الزبى وتعدّى، وقد بلغت غطرسة المهدويين إلى النهاية، فنزع عمامته، وكشف عن رأسه، وقال: لا ينبغي لعالم أن يربط عمامته وهو لا يطاع في قومه بصفته وارثاً للنبي ﷺ، وتعهد ألا يضع عمامته على رأسه حتى يزهق هذا الباطل، وينتصر الحق، وبدأ يقرأ دعاءً لدفع هذه البلية عن المسلمين، وفي هذه الأيام كان أحد أمراء «الملك جلال الدين محمد أكبر» قد ذهب إلى بلاد الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، وهناك وقع نظره على كتاب «كفاية المفرطين» «للشيخ محمد طاهر الفتني»، فأعجب به، وقرّر أن يقابل الشيخ عند عودته من الحج، فعرّج على «الفتن» وهو عائد من الأراضي المقدسة، وكان «الشيخ الفتني» لا يجد فرصة لمحاربة المهدويين إلا انتهزها فعرض على هذا الأمير موضوع المهدويين، وإفسادهم

---

(١) انظر: تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٧٠).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

في الأرض، وقتل المسلمين بلا هوادة. وكتب خطاباً إلى «الملك جلال الدين محمد أكبر»[1] وآخر إلى «الشيخ عبد النبي» ـ صدر الصدور ـ، وكان «الملك أكبر» يرغب مهاجمة إقليم «گجرات» وضمها إلى مملكته، إذ كانت من أملاك الدولة المغولية سابقاً، إلا أنها استقلت أيام هروب «الملك همايون بن بابر» أمام «شير شاه السوري»، ثم لما عاد «الملك همايون» من «إيران» بعد أن أعد العدة هناك، واستعاد «الهند» من أيدي السوريين، وأسس الدولة المغولية من جديد، لم يجد فرصة كافية لاستعادة هذه الأقاليم النائية من «دهلي»؛ إذ فاجأه الموت إثر سقوطه من مدرجة مكتبته.

ولما تولى «الملك أكبر» السلطة كان يرغب أن يسير إلى هذا الإقليم ويضمه إلى مملكته، إلا أن صدر صدوره «الشيخ عبد النبي» كان يمنعه عن ذلك خشية أن يصيب المسلمين هناك، وهذه المرة لما وصله خطاب «الشيخ الفتني» قرر العزم للسير إلى هذا الإقليم، وأعد العدة لذلك، فلما وصل إلى «گجرات» أول ما بدأ به هو منطقة «الفتن»، وبعد استعادتها قابل «الشيخ محمد طاهر الفتني» وربط العمامة على رأسه بيده، وقال له: «إن ما عَاهَدْتَ الله عليه من نصر الدين وحمايته، واستئصال هذه الفرقة الناشزة، عليّ تنجيزه والقيام به». ثم توجه إلى «أحمد آباد» ـ العاصمة الإقليمية لگجرات ـ وفتحها وأخضع «الگجرات» كلها، وولى عليها أخاه من الرضاعة «مرزا عزيز الدين كوكه» الملقب بـ «خان أعظم» ـ وكان متديناً من أهل السنة ـ شدّ أزر «الشيخ الفتني» وساعده في عمله حتى كسر شوكة المهدويين، وتفرغ الشيخ للتدريس والإفادة والتأليف والتصنيف[2].

---

(١) كان الملك أكبر لم تنحرف عقيدته في ذلك الوقت، وكانت بداية انحرافه المنظم عام (٩٨٧هـ)، لما صدر مرسوم العصمة. وقد تقدم الكلام عليه في المبحث الأول من الفصل السادس.

(٢) انظر: نزهة الخواطر (٤/٣٠١).
ـ تذكرة الشيخ محمد الفتني (٧١ ـ ٧٣).
ـ الإمام السرهندي (٤٩، ٥٠).

وبعد مضي فترة من الزمن أقال «الملك أكبر» «مرزا عزيز الدين» عن منصبه، وعين مكانه «عبد الرحيم بن بيرم خان» ـ الملقب بـ «خان خانان» ـ وكان من الشيعة، فاعتضد به «المهدوية» و«البهرة الإسماعيلية»، وخرجوا من الزوايا، وعادوا إلى سابق عهدهم من إثارة الشغب، وإشاعة القلاقل في البلد، وقد بلغ «الشيخ الفتني» أن «الملك أكبر» قد انحرف عن شريعة الإسلام بتأثير من «ملا مبارك الناكوري» وابنيه «فيضي» و«أبي الفضل»[1] فنزع الشيخ عمامته مرة أخرى، وقرر السير إلى «آغرا» ـ مقر إقامة الملك أكبر ـ وذلك بهدف إصلاح الملك، وإعادته إلى الدين الحنيف، وطلب العون لكسر شوكة المهدويين، فخرج من «گجرات» قاصداً إلى «آغرا» ووصل إلى منطقة «مالوه» المجاورة، وأقام هناك عند أحد تلاميذه يدعى «الحاج محمد» وبعد ثلاثة أيام رحل من هناك، ووصل إلى مدينة «أجِّين».

ولما عرف المهدويون أن «الشيخ الفتني» توجه إلى «الملك أكبر» يستنجد به ضدهم، بعثوا عصابة سرية تتعقبه، وتقوم باغتياله عندما تجد الفرصة، فلحقت به العصابة وهو في مدينة «أُجِّيْن» وأخذت تتحين الفرصة لقتله، وفي إحدى الليالي كان «الشيخ الفتني» يتهجد في المسجد، ولم يكن معه أحد، فهاجمته العصابة، وأردته قتيلاً، وكان ذلك في شهر شوال عام (٩٨٦هـ)[2].

---

(١) سبقت تراجمهم في المبحث الثاني من الفصل السادس.

(٢) يتفق جميع الباحثين على أن عصابة المهدويين التي خرجت من إقليم «گجرات» هي التي دبّرت هذا الاغتيال ونفذته.

وذكر «البروفيسور أبو ظفر الندوي» رواية أخرى في مقتل الشيخ خلاصتها: أن لحاشية «الملك أكبر» أيضاً ضلعاً في هذا الحادث الأليم؛ إذ كان «ملا مبارك الناكوري» وابناه «فيضي» و«أبو الفضل» هم الذين خرّفوا «الملك أكبر» عن شريعة الإسلام، فكانوا دائماً حريصين على ألا يجد عالم من علماء الحق طريقاً إلى بلاط الملك حتى لا يعيده ثانية إلى الدين الحنيف، وكان «الشيخ الفتني» قد عرف بعلمه وزهده وتقواه في البلاد الهندية قاطبة، وكان «الملك أكبر» سيّر الجيوش لفتح «گجرات» بإشارته وعمم على رأسه بيده، فوصول مثل هذا العالم إلى حضرة الملك، ومخاطبته له من شأنه أن يعيده إلى رشده، ويهدم بنيان «الدين الإلهي» الذي نسجه هؤلاء الثلاثة، فقرروا إرسال =

آثار دعوته:

كان من آثار جهوده المباركة أن كسرت شوكة المهدويين ولو حيناً من الزمن، وكان المسلمون في أمن وعافية من شرورهم، كما أثمرت جهوده في تعريف حقيقة هذه الفرقة وخطورتها وفساد عقيدتها، مما حد من انتشارها ونفوذها.

ومن ناحية أخرى آتت جهود «الشيخ الفتني» أكلها في تصحيح عقيدة قومه «البهرة»، وبعضهم كانوا من الشيعة الإسماعيلية، ورجعوا إلى السنة، وبقيت فيهم رواسب من عقائد وتقاليد وعادات الوثنية الهندوسية، ثم الشيعة الإسماعيلية، فقام الشيخ بإصلاح هذه العقائد والتقاليد ونور بصيرتهم بنور الكتاب والسنة.

ثالثاً: الإمام السرهندي:

اسمه ونسبه:

هو أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين الفاروقي السرهندي، المعروف بـ: مجدد الألف الثاني والإمام السرهندي[1].

= بعض رجالهم لقتل «الشيخ الفتني» في الطريق.

واستشهد «البروفيسور أبو ظفر الندوي» على ذلك بأن الركن الأول من هذا الثالوث «ملا مبارك» كان من المهدويين، وكان مقيماً في «أحمد آباد» ـ عاصمة إقليم گجرات، والمقر الرئيسي للمهدوية ـ قبل أن يصبح من وزراء الملك وندمائه، فتعاطف مع المهدويين في تنفيذ المؤامرة، فالتقوا جميعاً في مدينة «أُجَين» ونفذوا الجريمة.

وهذا الرأي الذي ذكره «أبو ظفر الندوي» لا يستبعده العقل، إذ أن هذا الخطب الفاجع الذي هز المجتمع الإسلامي في «الهند»، لم يحرك ساكناً في بلاط «الملك أكبر»، وكل ما ذكره الباحثون أن الملك لما بلغه خبر مصرعه أمر بنقل جثمانه إلى منطقة «الفتن» ودفنه في مقابر أسلافه فحسب، ولم يعرب عن حزنه وأسفه إزاء هذا الحادث الأليم، كما لم يصدر أمراً بإلقاء القبض على المجرمين ومعاقبتهم.

انظر: تذكرة الشيخ محمد طاهر الفتني (٧٤ ـ ٧٦).

ـ أبجد العلوم (٣/ ٢٢٢).

ـ اردو دائره معارف إسلامية (١٩/ ٤٤٠).

ـ علمائے هند كا شاندار ماضي (١/ ٣٤٤).

(١) مصادر ترجمته: تُزْكِ جهانگيري (٢٧٢، ٢٧٣). =

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد في «سرهند»[1] سنة (٩٧١هـ). ونشأ في بيئة دينية صالحة. بدأ يطلب العلم منذ وقت مبكر من حياته، فحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وقرأ على والده علوماً أخرى، ثم خرج إلى البلاد الهندية يطلب العلم على علمائها. أتم دراسة العلوم المتداولة في ذلك الزمن وهو في السابعة عشرة من عمره[2].

بعد إتمام دراسته رجع إلى وطنه «سرهند»، وجلس للإفادة والتدريس والتأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون، كما وضع خطة مدروسة لإصلاح ما أفسده «المذهب الأكبري»، وذلك على ضوء ما شاهده بأم عينيه، وأدركه بثاقب بصيرته[3].

سجنه:

حبسه «الملك جهانگير بن أكبر» في سجن «گواليار»[4] وضبط على بيته، وبئره، وبستانه، وكتبه، ونقل أهله إلى مكان آخر، وذلك عام (١٠٢٨هـ).

وقد ذكر المؤرخون والباحثون أسباباً كثيرة لسجنه أشهرها سببان:

= - نزهة الخواطر (٥/ ٤١ - ٥٣).
- أبجد العلوم (٣/ ٢٢٥ - ٢٢٧).
- سبحة المرجان (٤٧).
- تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (٩٧ - ١١٧).
- الإمام السرهندي حياته وأعماله.
- علمائے هند كا شاندار ماضي (١/ ١١٣ - ٢١٤).
- تذكرة علمائے هند (٨٨ - ٩١).
- رود كوثر (٢٢٣ - ٣٣٩).
- تذكرة مجدد ألف ثاني، للشيخ محمد منظور نعماني، الطبعة الخامسة (١٩٩٢م)، الفرقان بكڈپو، لكهنئو - الهند.

(١) اسم مدينة تقع في البنجاب الهندية. (٢) انظر: أبجد العلوم (٣/ ٢٢٥، ٢٢٦).
(٣) انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٤٢، ٤٣). (٤) اسم بلدة قريبة من دهلي.

الأول: وشاية الروافض إلى الملك:

يقول الشيخ مسعود عالم الندوي: «بدأت تظهر دعوته في السنين الأولى من حكومة «جهانگير» فما اضطهدته بادئ ذي بدء، ولكنه لما ألّف كتابه «الرد على الروافض» وانتقد أعمالهم، وعقائدهم، كاد له بعض أفراد الشيعة، وأضمروا له في قلوبهم العداوة، يتحينون الفرص لاضطهاده، فوشوا به إلى الملك حتى أرسل إليه الملك وأمر بإحضاره»[1].

الثاني: عدم سجوده للملك:

وذلك لما حضر «الإمام السرهندي» إلى «الملك جهانگير» ودخل عليه في البلاط حياه بتحية الإسلام، ولم يسجد له بالتحية المعتادة للملوك، فسأله «الملك جهانگير» عن السبب فقال: إنني لم أزل متقيداً بالآداب والأحكام التي دعا إليها الله ورسوله ﷺ ولا أعرف غير هذه الآداب، فغضب السلطان، وقال: اسجد لي، فقال: ما سجدت لغير الله قط، ولن أسجد لغيره أبداً، فتغيظ السلطان، وزاد غضبه، وأمر بحبسه في قلعة «گواليار»[2].

إسلام السجناء على يديه:

لم يكن السجن يمنع الشيخ عن القيام بواجب الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ، فتجددت سنة يوسف عليه السلام وجعل «الشيخ السرهندي» يدعو من في السجن من عباد الله ـ تعالى ـ إلى الحق، ويرشدهم إلى طاعة الله ورسوله حتى وجدت دعوته آذاناً صاغية، وقلوباً واعية، فأسلم عدد كبير من غير المسلمين، كما تاب مئات من السجناء المسلمين على يديه.

يقول «سير توماس و. أرنولد»: «وفي عهد الامبراطور جهانجير (١٦٠٥م ـ ١٦٢٨م) كان هناك عالم سني من علماء التوحيد يدعى «الشيخ

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠١).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (١٤٥).

أحمد مجدد» قد تميز بقدرته على مجادلة الشيعة في عقائدهم بنوع خاص. ولما كان هؤلاء مقربين إلى البلاط في ذلك الحين، نجحوا في إيداعه السجن بتهمة تافهة. وفي خلال السنتين اللتين قضاهما في الحبس، أدخل في الإسلام عدة مئات من عبدة الأوثان الذين كانوا يرافقونه في السجن نفسه»[1].

إطلاق سراحه:

لما رأى القائمون على السجن هذا الانقلاب في سجنهم، حيث تحول الوثنيون إلى مسلمين، وأصبح العصاة من المسلمين أتقياء وبررة، كتبوا ذلك إلى الملك، وأخبروه به، فتأثر الملك بذلك، وعفا عنه، ودعاه إلى مقر حكمه، واعتذر إليه عما صدر من قبل، فانتهز «الإمام السرهندي» هذه الفرصة، وطلب من الملك أن يصدر أمره بما يلي:

١ ـ تحريم السجدة للملك.

٢ ـ الإذن بذبح البقرة وأكل لحمها.

٣ ـ تعيين القضاة والمحتسبين في كل بلدة.

٤ ـ إعادة بناء المساجد المنهدمة.

٥ ـ إلغاء القوانين غير الشرعية[2].

هل نَفّذ الملك جميع ما طلبه «الشيخ السرهندي»؟ فيه خلاف بين المؤرخين والباحثين، يقول الشيخ مسعود عالم الندوي:

«والذي نجزم به في هذا الشأن، كما يرشدنا التاريخ المعاصر أن «الملك جهانگير» قد تغير قليلاً في أواخر عهده بالملك مما كان عليه من اقتفاء أثر أبيه، واتباع خطته، تأثراً بدعوة المجدد ومواعظه، وتأسياً بسيرته»[3].

---

(١) انظر: الدعوة إلى الإسلام (٤٥٣)، ترجمة: الدكتور حسن إبراهيم حسن وغيره، الطبعة الثالثة (١٩٧٠م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

(٢) انظر: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند (١١٩، ١٢٠).

(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠٢، ١٠٣).

مؤلفاته:

ألّف «الإمام السرهندي» مؤلفات ورسائل بالعربية والفارسية وأشهر تلك المؤلفات كالآتي:

١ ـ إثبات النبوة.

٢ ـ رد روافض[١].

٣ ـ الرسالة التهليلية[٢].

٤ ـ رسالة المبدأ والمعاد[٣].

٥ ـ إثبات الواجب.

٦ ـ معارف لدنية[٤].

٧ ـ مكتوبات إمام رباني[٥][٦].

وفاته:

كان «الإمام السرهندي» مقيماً في مدينة «أجمير»، فلما شعر بالضعف، وأحس بدنو الأجل عاد إلى موطنه الأصلي في مدينة «سرهند»، وتوفي هناك عام (١٠٣٤هـ)، وله ثلاث وستون سنة[٧].

---

(١) ألّف هذا الكتاب في رده على علماء الشيعة من «المشهد» الذين ألّفوا كتاباً في الرد على علماء بلاد ما وراء النهر، كفروا فيه الخلفاء الثلاثة ﷺ وطعنوا في عائشة ﷺ، فألف الإمام السرهندي هذه الرسالة بالفارسية، وكان سبب سجنه ـ كما جاء في إحدى الروايات ـ، وقد طبعت هذه الرسالة مرات عديدة، كما ترجمت إلى لغات أخرى.

(٢) وهي باللغة العربية، شرح فيها معنى الكلمة الطيبة، وهي مطبوعة مع الترجمة الأردية.

(٣) بالفارسية ومطبوعة. (٤) بالفارسية ومطبوعة.

(٥) وهي عبارة عن مجموعة رسائل كتبها الشيخ السرهندي في مختلف الموضوعات ومجموعها (٥٣٦) رسالة، طبعت في ثلاثة أجزاء. وقد ترجم السيد مراد المكي جزءاً من هذه المجموعة إلى العربية، ونشرت في استانبول بعنوان: «المنتخبات من المكتوبات».

(٦) انظر: هدية العارفين للبغدادي (١/١٥٦)، طبعة (١٩٥١م)، مكتبة المثنى، بغداد.
ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة (١/٢٥٩)، مكتبة المثنى، بيروت.
ـ الأعلام للزركلي (١/١٤٢).

(٧) انظر: الإمام السرهندي (١٥٤).

حركته الإصلاحية:

نشأ «الإمام السرهندي» في النصف الثاني من عهد «الملك أكبر»، وظهرت دعوته في عصر «الملك جهانگير» لما بلغ أشده وتكاملت معارفه، وشاهد بأم عينيه ما آلت إليه حال المسلمين في هذه البلاد، فندب نفسه للرد على «المذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي»، وأمعن النظر في دوافع هذا المذهب وشرائحه وعقائده، فأتى بنيانه من القواعد.

وقد برزت جهوده الإصلاحية في المجالات الآتية:

أولاً: دفع اعتداء علماء السوء على الدين.

ثانياً: محاربة انحرافات الصوفية.

ثالثاً: الرد على العقيدة الألفية.

رابعاً: محاربة مظاهر الشرك والوثنية.

خامساً: الرد على وحدة الأديان.

سادساً: الرد على تقديم العقل على النقل.

سابعاً: محاربة الشيعة.

وفيما يلي شرح ذلك بإيجاز:

أولاً: دفع اعتداء علماء السوء على الدين:

لاحظ «الإمام السرهندي» أن كثيراً من علماء السوء في عصره قد اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وجعلوا المناصب الدينية مطية لأهوائهم، وقضاء شهواتهم، هم الذين يحملون النصيب الأوفى لأوزار انحراف «الملك أكبر»، حيث أدى سلوكهم وتصرفاتهم في البلاط الملكي إلى إساءة الظن بالدين الإسلامي من الملك، وجعله ينحرف عنه إلى الأديان والملل الأخرى، فسعى «الشيخ السرهندي» في دفع اعتدائهم على الدين بثلاث طرق:

الطريق الأول:

أنه كشف عن عوراتهم، وانتقد أعمالهم، وأظهر للملأ ضررهم على الدين بكتمانهم للحق، واستبدالهم الحياة الدنيا بالآخرة، واشترائهم بآيات الله ثمناً قليلاً.

يقول في إحدى رسائله الطويلة:

«. . . فالعلماء الذين هم مبتلون بهذا البلاء، ومأسورون في أسر محبة الدنيا، فهم من علماء الدنيا، وهم علماء السوء، وشرار الناس، ولصوص الدين. والحال أنهم يعتقدون أنفسهم مقتدىً بهم في الدين، وأفضل الخلائق أجمعين. ويحسبون أنهم على شيء، ألا إنهم هم الكاذبون، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون. رأى واحد من الأكابر الشيطان قاعداً فارغ البال عن الإغواء والإضلال، فسأله عن سر قعوده بفراغ البال، فقال اللعين: إن علماء السوء في هذا الوقت قد أمدوني في أمري مدداً عظيماً، وتكفلوا لي بالإضلال حتى جعلوني فارغ البال. والحق أن كل ضعف ووهن وقع في أمور الشريعة في هذا الزمان، وكل فتور ظهر في ترويج الملة، وتقوية الدين، إنما هو من شؤم علماء السوء وفساد نياتهم. . .»[1].

ويقول في رسالة أخرى إلى أحد أمراء الدولة:

«. . . قد بلغنا أن الملك[2] في حاجة إلى عدد من العلماء، لما يحس من نفسه من ميل إلى الإسلام، فالحمد لله على ذلك أولاً وآخراً، وغير خافٍ عليكم أن كل ما ظهر من الفساد في القرن الماضي، إنما ظهر بسوء أعمال العلماء وقبح سيرتهم. فإياك والتهاون في هذا الشأن، وعليك بالصالحين منهم المتشبثين بأذيال الدين. وأما علماء السوء فهم لصوص

---

(١) انظر: المنتخبات من المكتوبات (٤، ٥).

(٢) المقصود به «الملك جهانگير بن أكبر» الذي مال إلى الإسلام متأثراً بدعوة الشيخ السرهندي.

الدين، لا يبتغون إلا التقرب إلى الملك، والكرامة في أعين الناس، والكبرياء في أرض الله، أعاذنا الله وإياكم من فتنتهم»[1].

الطريق الثاني:

رأى «الشيخ السرهندي» أن علماء السوء على ما بهم من الجهل والانغماس في الشهوات، قد ادعى نفر منهم الاجتهاد، وتذرعوا بذلك في إنجاح دعوتهم الباطلة، وتحقيق آمالهم المشؤومة في انتكاس راية الإسلام، وعموم الفوضى الدينية، والفساد في الأرض.

فاعتزم معالجة هذا الداء بالدعوة إلى كتاب الله العزيز، وسنة نبيه المطهرة ـ عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ـ، وفهم السلف الصالح لهما، ومن ثم كان يتكلم في رسائله ومكتوباته في شأن تصحيح العقيدة، ويهيب بالناس إلى الأخذ بما كان عليه السلف الصالحون، والأئمة المجتهدون.

فمما كتبه وبعث به إلى مختلف الأقطار في هذا الشأن ما جاء في إحدى رسائله:

«علينا جميعاً أن نصحح عقائدنا حسب ما أخذه العلماء الربانيون من الكتاب والسنة وفهموه. فإنه لا عبرة بما نستنبطه نحن من العقائد والأحكام إن عارضت ما فهمه أولئك العلماء الفطاحل، وتمسكوا به. فإنه لا تجد مبتدعاً، ولا ضالاً، إلا ويدعي الأخذ من الكتاب والسنة، واستنباط عقائده الباطلة منهما. والحال أنه لا يغني من الحق شيئاً»[2].

الطريق الثالث: التنديد بالبدعة الحسنة:

أدرك «الإمام السرهندي» ببصيرته، وثقوب ذهنه أن كل ما يأتي به علماء السوء من المنكرات، وقبائح الأعمال، إنما يأتونه تحت ستار «البدعة الحسنة» حتى اتخذوها جُنَّةً من كل ما يقترفون من المحدثات والكبائر،

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠٧).

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠٧، ١٠٨).

فأعلن الحرب بلا هوادة على هذا المنكر، وبذل كل ما أوتي من قوة في الفكر، وحكمة في الدعوة، وبلاغة في البيان لدرء هذه الفتنة، والكشف عن عوراتها. ولهذا أرى مكاتباته مكتظة بانتقاد البدعة الحسنة، والرد عليها، يقول في إحدى رسائله:

«... النصيحة هي الدين، ومتابعة سيد المرسلين ـ عليه وعليهم الصلاة والتسليم ـ وإتيان السنة السنية، والاجتناب عن البدعة الغير المرضية، وإن كانت البدعة ترى مثل فلق الصبح لكنها لا نور لها في الحقيقة، ولا ضياء، ولا لعليل منها شفاء، ولا للداء منها دواء. كيف والبدعة إما رافعة للسنة، أو ساكتة عنها، والساكتة لا بد وأن تكون زائدة على السنة، فتكون ناسخة لها في الحقيقة أيضاً؛ لأن الزيادة على النص نسخ له، فالبدعة كيف كانت تكون رافعة للسنة نقيضة لها، فلا خير فيها ولا حسن؛ فيا ليت شعري من أين حكموا بحسن البدعة المحدثة في الدين الكامل، والإسلام المرضي بعد إتمام النعمة. أو لم يعلموا أن الإحداث بعد الإكمال، والإتمام، وحصول الرضا بمعزل عن الحسن، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولو علموا أن الحكم بحسن المحدث في الدين الكامل، مستلزم لعدم كماله، ومنبئ عن عدم تمام النعمة لما اجترأوا عليه...»[1].

ومما جاء أيضاً في رسالة طويلة: «... قال بعض الناس: إن البدعة على نوعين: حسنة وسيئة. فالحسنة هي كل عمل صالح حدث بعد زمن نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وزمن خلفائه الراشدين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ولم يكن رافعاً للسنة، والسيئة ما تكون رافعة للسنة. وهذا الفقير ـ يقصد الشيخ السرهندي نفسه ـ لا يشاهد في شيء من البدعة شيئاً من الحسن والنورانية، ولا يُحِسّ فيها شيئاً سوى الظلمة والكدورة. ومن رأى اليوم فرضاً طراوةً ونضارةً في الأمر المبتدع بسبب ضعف البصيرة، ولكن سيعلم غداً بعد حصول الحدة في بصره أن ليس له شيء من نتيجة غير الندامة والخسارة...»[2].

---

(١) انظر: المنتخبات من المكتوبات (١١٨، ١١٩).

(٢) نفس المصدر (٤٩ ـ ٥١).

هكذا فضح «الشيخ السرهندي» علماء السوء في عصره، وكشف عن حقيقتهم، وبين للناس أساليبهم الملتوية التي يسلكونها لتحقيق أهوائهم وأغراضهم.

ثانياً: محاربة انحرافات الصوفية[1]:

من الروافد التي استقى منها «المذهب الأكبري» مبادئه الفكر الصوفي، خاصة عقيدة «وحدة الوجود» وهي أولى أركان «المذهب الأكبري». وقد شمل رد «الشيخ السرهندي» على الصوفية عقائد وأعمال كثيرة، من أهمها ما يأتي:

---

(١) كثر الجدل حول صوفية «الإمام السرهندي»، ومما لا شك فيه أنه كان في بداية حياته قد بايع على الطريقة النقشبندية وغيرها من الطرق الصوفية، ومارس فنون الرياضة، والأشغال الشاقة التي يمارسها الصوفية للتزكية بزعمهم. ولما وضع يده في الإصلاح والتجديد، رد على الصوفية ومعتقداتهم الباطلة، فمن هنا تضاربت آراء الباحثين حول صوفية الرجل. فمن قائل: أنه عمل لإرجاع التصوف الحلولي إلى ديانة التوحيد بإنشاء الطريقة الحديثة، وإنماء القديمة الوثيقة الصلة بالإسلام، تلبية للاعتقاد آنذاك أن إسلام المرء لا يقبل عند الله ما لم يكن على صلة بطريقة من طرق الصوفية. ومن قائل: إن «الإمام السرهندي» من الصوفية غير المنحرفة، وعلى أية حال إنه لم يتخل عن التصوف بالكلية، بل رد على الصوفية وعقائدهم من داخل التصوف، وحاربهم بسلاحهم.

ومما يحسن ذكره هنا كلام الباحث الهندي «الشيخ مسعود عالم الندوي» حيث قال: «أول من رد على «ابن عربي» وكشف عن عوراته «الإمام ابن تيمية الحراني» (ت٧٢٨هـ) مستدلاً بالكتاب والسنة، لكن الذين أصيبوا بداء التصوف، لا يقيمون للكتاب والسنة وزناً إذا وجدوا نصاً لأحد مشائخهم يعارض نصوص الله ورسوله، ومن ثم ما نفعت مؤلفات «ابن تيمية» المتصوفة وأتباعهم إلا قليلاً. أما السيد المجدد فما كان في وسعهم أن يقولوا فيه كما قالوا في «ابن تيمية» وغيره من أنهم لا يعرفون الطريقة، وما ذاقوا حلاوة السلوك، وأنى لهم أن يتفوهوا بذلك، وقد رد على إمامهم «ابن عربي» من طريق تجارب الطريقة والسلوك نفسها، فكأني به قد غزاهم في عقر دارهم وبسلاحهم، فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء».

انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (ص١١٣، هامش رقم: ٢).

- أثر الفكر الغربي (٥٣، ٥٤).

- الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية (١١٧، ١١٨)، رسالة دكتوراه، إعداد: عبد الوهاب خليل الرحمن، رقمها في المركز (٩١٧)، عقيدة.

١ ـ نقض عقيدة وحدة الوجود:

رأى «الإمام السرهندي» أن أكبر ما زلت فيه أقدام الصوفية هو القول «بوحدة الوجود» التي تجر إلى القول بالحلول والاتحاد، فما كان منه إلا أن صرف معظم همه في نقض هذه العقيدة الباطلة، وإماطة اللثام عن سواءتها.

فمما جاء في إحدى مكتوباته في هذا الشأن:

«القول بأن الممكن عين ذات الواجب ـ تعالى شأنه ـ وصفات الممكن وأفعاله عن صفاته وأفعاله ـ جل قدره ـ سوء أدب وإلحاد في أسمائه ـ تعالى ـ وصفاته»[١].

وكذلك ورد في مكتوب له آخر: «إياك وأن تنخدع بترهات الصوفية، وتزعم أن غير الحق، والحق ـ جل وعز شأنه ـ كلاهما واحد لا فرق بينهما»[٢].

وكان «الإمام السرهندي» يردد في كتاباته: «... نحن في حاجة إلى كلام محمد العربي ـ عليه وعلى آله الصلاة والسلام ـ لا كلام «محيي الدين ابن عربي»، ولا «صدر الدين القونوي»[٣] ولا «الشيخ عبد الرزاق الكاشي»، نحن نريد النص[٤]، لا الفص[٥]، وقد أغنتنا الفتوحات المدنية عن الفتوحات المكية»[٦].

وهكذا كان رد «الشيخ السرهندي» صريحاً وواضحاً على عقيدة «وحدة الوجود» والقائلين بها من المتصوفة.

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١١٤).

(٢) نفس المصدر.

(٣) هو: صدر الدين محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف القونوي الرومي (... ـ ٦٧٣هـ). صوفي مشهور، من كبار تلاميذ «ابن عربي». تزوج «ابن عربي» أمه ورباه. من مؤلفاته: «النصوص في تحقيق الطور المخصوص»، «اللمعة النورانية في مشكلات الشجرة النعمانية» و«إعجاز البيان» وغيرها. توفي في «قونية».
انظر: الأعلام (٦/ ٣٠).

(٤) المراد بالنص، النص الشرعي من الكتاب والسنة.

(٥) المقصود بالفص، كتاب ابن عربي فصوص الحكم.

(٦) انظر: الإمام السرهندي (٢٢٤).

٢ ـ رده على الكشف والإلهام والمجاهدات الصوفية:

ومن ضلالات المتصوفة وأتباعهم أنهم يعتمدون على المكاشفات، ويعملون حسب مقتضاها، وإن خالفت نصوص الكتاب والسنة بحجة أن هذه أسرار الطريقة، لا يدركها إلا المشائخ الصوفية؛ فرد «الشيخ أحمد السرهندي» عليهم رداً عنيفاً، وبين لهم بكل قوة أن الكتاب والسنة هما أساس الدين، وإليهما المرجع في المسائل الشرعية.

فمما كتب في هذه المسألة:

«إنما المعتبر في إثبات الأحكام الشرعية الكتاب، والسنة، والقياس، والإجماع أيضاً مما تثبت به الأحكام. وليس هناك حجة أخرى غير هذه الأربعة في إثبات الأحكام الشرعية. أما إلهام الأولياء فلا يحل حراماً، ولا يحرم حلالاً. وكذلك كشوف الصوفية لا عمل لها في وجوب شيء من الأحكام أو جعلها سنة...»[(١)].

ويقول في رسالة أخرى:

«ينبغي أن نعلم أن الخطأ في الكشف لا ينشأ ـ دائماً ـ بإلهام الشيطان ووسوسته، بل كثيراً ما ترسب أحكام وحوادث لا نصيب لها من الصحة والواقعية في المتخيلة، حيث لا دخل للشيطان، ثم تتمثل هذه الأخيلة والتصورات في الخارج، ومن هذا يقع لبعض الناس في المنام من رؤية الرسول ﷺ وتلقي أحكام عنه، تخالف أحكام الشريعة الثابتة بالنص، وتعارض الأحاديث الصحيحة، فلا يتصور هنا إلقاء الشيطان ووسوسته؛ لأن الشيطان لا يتمثل بصورة الرسول ﷺ، إذن فهي القوة المتخيلة التي تتخيل وتتصور غير الواقع واقعاً»[(٢)].

كما تناول «الشيخ السرهندي» موضوع الرياضات والمجاهدات الصوفية

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١١٥، ١١٦).

(٢) انظر: الإمام السرهندي (١٩٦).

التي اختارتها لتزكية النفوس وتصفيتها حسب زعمهم فقال: «أما الرياضات والمجاهدات التي اختارتها المتصوفة، متنكبة السنة، فلا عبرة بها؛ لأن البراهمة واليوگية[1] والفلاسفة من الهنادك أيضاً مشاركون لهم في هذه الصناعة، لكنها لا تزيدهم إلا ضلالاً وخسراناً»[2].

وكذلك تطرق إلى منكرات الصوفية من السماع والرقص التي اتخذوها ديناً لهم، فانتقدها انتقاداً صريحاً حيث قال:

«ومما لا ريب فيه أن السماع والرقص من باب اللهو واللعب والآيات والأحاديث، وأقوال الفقهاء متضافرة في تحريم الغناء بحيث لا يأتي عليها الإحصاء. وما أفتى مفتٍ في عصر من العصور بإباحة الرقص والغناء والمزامير. . .»[3].

ثالثاً: الرد على العقيدة الألفية:

من الأسس التي قام عليها «المذهب الأكبري» «العقيدة الألفية»، والتي تعني أن الدين الإسلامي ستنتهي صلاحيته بانتهاء ألف سنة من ظهوره، والتي تبنتها «الفرقة النقطوية» واستقى منها «المذهب الأكبري». وقد رد «الإمام السرهندي» على هذا الهراء، وأثبت أن شريعة الإسلام خاتمة الشرائع؛ ولا شريعة بعدها، والنبوة المحمدية هي النبوة الخاتمة؛ ولا نبوة بعدها، ومن هنا أطلق عليه علماء «الهند» في ذلك الوقت لقب «مجدد الألف الثاني» تكريماً لجهوده، وتقديراً لمساعيه الحميدة في رد هذه الفتنة الكبرى[4].

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي:

---

(١) وهم فقراء الهندوس الذين يعذبون الأجساد لتزكية النفوس، ولهم رياضات شاقة في ذلك.

(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١١٦).

(٣) نفس المصدر (١١٦، ١١٧).

(٤) انظر: دين إلهي اور اس كا پس منظر (٢٣٨، ٢٤٩).
- اردو دائره معارف إسلامية (٢/١٢٩).

«لقد كانت هذه الخطوة التجديدية سداً منيعاً في وجه تلك الفتن التي كانت تموج في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وتقف فاغرة أفواهها لتبتلع شجرة الإسلام الطيبة، ونظامه العقائدي، والفكري، والروحي بأسره. تندرج تحتها تلك «الحركة النقطوية» وأتباعها الذين رفعوا علم الثورة والخروج على النبوة المحمدية، وخلودها، وبقائها، بطريقة علنية سافرة، ونادوا بأن عهد النبوة المحمدية الممتد على ألف عام قد انقضى، وسيبدأ عهد القيادة الدينية الجديدة، وصياغة الحياة الجديدة، والتقنين الجديد، الذي يعتمد على العقل والفلسفة وحدهما، ويقود حركتها «محمود البسيخاني» وأتباعه، وأنصاره، ويكون مركزها «الهند» و«إيران».

ومن هذه الفتن المدلهمة «دين أكبر الجديد» و«قانونه الجديد»، وكان كل منهما يدعى أنه يحل في «الهند» محل النبوة المحمدية، والشريعة الإسلامية، ويؤدي دورهما، ومنها تلك البدع والمحدثات في الدين التي سيطرت على الحياة الدينية، وجميع الأعمال والعبادات، واندست في الاجتماع والمدنية، وكانت شريعة إزاء شريعة يدون لها فقه مستقل، وكان تحدياً صارخاً في حقيقتها لختم الرسالة المحمدية، وتدعي التبوأ على مذهب التشريع والتقنين»[1].

وقد أدرك «الإمام السرهندي» خطورة هذا الموقف فعمل جاهداً لإعادة الثقة، والإيمان في قلوب الأمة الإسلامية بخلود الرسالة المحمدية، وحاجة الناس إليها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وترسيخ جذور هذه العقيدة في قلوب المسلمين. وقد أشار ـ أي «الإمام السرهندي» ـ إلى هذا الوضع الخطير في كثير من رسائله، ومكتوباته كما يقول في إحدى رسائله:

«وبعد ألف عام تسلطت ظلمات الكفر والبدع، وانطمس نور الإسلام والسنة».

ويقول في موضع آخر: «في هذا العصر إذا نظرت إلى الدنيا أراها

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (١٦٩، ١٧٠).

كظلمات البحار من جراء البدع والمحدثات»[1].

رابعاً: محاربة مظاهر الشرك والوثنية:

انتشرت مظاهر الشرك والوثنية في عصر «الشيخ أحمد السرهندي» انتشاراً واسعاً نتيجة «المذهب الأكبري» إذ اختار «الملك أكبر» مؤسس هذا المذهب كثيراً من العادات والتقاليد الوثنية الهندوسية، فبذل «الشيخ السرهندي» قصارى جهده للقضاء على هذه التقاليد. وقد شملت جهوده مجالات كثيرة في هذا الميدان، أهمها كالآتي:

١ ـ النهي عن سجدة التحية:

وردت رسائل كثيرة من «الإمام السرهندي» في النهي عن سجدة التحية، يقول في إحداها:

«إنه لا يليق بالسلاطين العظام إلا التواضع أمام ربهم ﷻ والنظر إلى عجزهم وضعفهم، وأن لا يسمحوا ـ أبداً ـ بهذا الذل، وغاية الخضوع إلا لله ـ تعالى ـ وقد سخر الله لهم البلاد، وأحوج إليهم العباد، فعليهم أن يشكروا هذه النعمة الجسيمة، ويخصوا هذا النوع من الخضوع والذل والاستكانة لحضرة ذي الجلال والجبروت، ولا يجوز الإشراك في ذلك. وإن كانت طائفة من الفقهاء رأت جواز ذلك، ولكن ينبغي لهؤلاء السلاطين بتحليهم بالتواضع والأدب أن لا يبيحوا ذلك لأحد...»[2].

٢ ـ النهي عن تعظيم أعياد المشركين:

ومما جاء في رسالة مسهبة للشيخ السرهندي: «... كذلك فإن تعظيم أعياد الهنادك، والاحتفال بالأيام التي يقوم فيها الهنادك بتقاليدهم وطقوسهم، يستلزم الشرك، ويستوجب الكفر، وإن الجهلة من المسلمين في أيام

---

(١) جمع الشيخ محمد منظور نعماني في كتابه القيم «تذكره مجدد ألف ثاني» كثيراً من مقتطفات رسائل الإمام السرهندي في هذا الموضوع. انظر: (ص١٣٧ ـ ١٤٢).
(٢) انظر: الإمام السرهندي (٢٢٨، ٢٢٩).

«دِيْوَالِي» ـ وهو عيد من أعياد الهنادك ـ يوقدون فيه المصابيح، ويقامرون، ويتبادلون الهدايا والتهاني، لا سيما نساؤهم يقلدن الهنادك في عاداتهم وطقوسهم، ويحتفلن بعيدهم، ويتهادين فيما بينهن، فيبعثن بالتحف والهدايا إلى أخواتهن وبناتهن مثل ما يفعل المشركون والمشركات، ويلونَّ أوانيهن بنفس الألوان التي تلون بها الكافرات، ويملأنها «بالفيرني»[1] ثم يبعثنها كهدايا، ويحتفلن بهذه الأيام وهذا العيد احتفالاً كبيراً، وكل ذلك شرك، وكفر بدين الإسلام وجحود به»[2].

٣ ـ النهي عن الاستعانة بغير الله:

يقول «الشيخ السرهندي» في إحدى مكتوباته: «إن الاستعانة بالطواغيت والأصنام في دفع الأمراض، وشفاء الأسقام التي راجت في المسلمين، وعمت في دهمائهم، عين الشرك والضلال، وأن طلب قضاء الحاجات من الأحجار المنحوتة جحود صريح بالله ـ تعالى ـ وعين الكفر»[3].

وهكذا «الشيخ السرهندي» يحاول جهده لإصلاح العقائد الفاسدة، والرد على الشرك والبدعة. وكان يتخوف أن تذوب الأقلية المسلمة في أرض «الهند» في الأكثرية الهندوسية.

خامساً: الرد على وحدة الأديان:

من المبادئ الأصولية التي انبنى عليها «المذهب الأكبري» محاولة «وحدة الأديان» تحت شعار «صلح كل» ـ أي المصالحة مع الجميع ـ، فوجه «الشيخ السرهندي» جهوده إلى هذا الجانب أيضاً. وحاول لاستعادة مسلمي البلاد الهندية إلى راية الإسلام، وحفظها من الارتماء في حضن «البرهمية» وفلسفة «وحدة الأديان». وبين للناس أن شريعة الإسلام هي جامع الشرائع السماوية، والنبوة المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم ـ هي جامع النبوات السابقة. فمن عمل بشريعة الإسلام فكأنما عمل بالشرائع

---

(١) الفيرني: مثل «الشيريني» عبارة عن طبيخ الرز والحليب والسكر، ويشبه المهلبية.

(٢) انظر: الإمام السرهندي (٢٢٧). (٣) نفس المصدر (٢٢٦).

السماوية كلها، ومن آمن بالنبوة المحمدية، فكأنما آمن بالنبوات السابقة كلها. وقد أشار إلى هذا الموضوع في رسائله ومكتوباته، فمما كتب في إحدى رسائله:

«... وقد تقرر أن محمداً رسول الله ﷺ جامع لجميع الكمالات الأسمائية والصفاتية، ومظهر جميع الأنبياء على سبيل الاعتدال. والكتاب الذي أنزله عليه خلاصة جميع الكتب السماوية المنزلة على سائر الأنبياء - على نبينا وعليهم الصلوات والتسليمات -، وأيضاً أن الشريعة التي أعطيها زبدة الشرائع المتقدمة، والأعمال بمقتضى هذه الشريعة الحقة منتخبة من أعمال الشرائع، بل من أعمال الملائكة أيضاً - صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين - فإن بعض الملائكة مأمورون بالركوع، وبعضهم بالسجود، وبعضهم بالقيام. وكذلك الأمم السابقة كان بعضهم مأمورين بصلاة الصبح، وبعضهم بصلاة أخرى. وورد الأمر في هذه الشريعة بإتيان الأعمال المنتخبة من خلاصة أعمال الأمم السابقة، والملائكة المقربين وزبدتها، فالتصديق بهذه الشريعة، تصديق بجميع الشرائع، والعمل بمقتضاها عمل بمقتضيات تلك الشرائع، فلا جرم يكون مصدقو هذه الشريعة خير الأمم، وكذلك تكذيب هذه الشريعة تكذيب لجميع الشرائع، وترك العمل بموجبها، ترك العمل بموجب سائر الشرائع، وكذلك إنكار نبينا ﷺ إنكار لجميع الكمالات الأسمائية والصفاتية. وتصديقه تصديق بجميع ذلك. فلا جرم يكون منكره ﷺ ومكذب شريعته شر الأمم...»[(١)].

سادساً: الرد على تقديم العقل على النقل:

كانت إحدى ركائز «المذهب الأكبري» تقديم العقل على النقل؛ إذ كان في بلاطه جمع من الحكماء والعقلاء(؟)، وفي مقدمتهم «الملا مبارك الناكوري» وابناه «فيضي» و«أبو الفضل» الذين كانوا ينظرون إلى المسائل المطروحة على ضوء العقل، ثم يصدرون آراءهم في ذلك.

---

(١) انظر: المنتخبات من المكتوبات (٣٤، ٣٥).

وقد رد «الإمام السرهندي» على هذه الركيزة بقوة، حيث لم يدع مجالاً للشك لأي مرتاب أن العقل قاصر في إدراك الأمور الغيبية، وعاجز عن معرفة العلوم التي هي وراء طور العقل. وقد كتب في ذلك رسائل كثيرة، وفيما يلي بعض المقتطفات من رسائله، فمما كتب في إحدى رسائله المسهبة:

«إذا كان العقل يكفي للمعرفة الإلهية لما كان فلاسفة «اليونان» - الذين جعلوا العقل إمامهم وقائدهم - حيارى تائهين في بيداء الضلال، ولكانوا أعلم بالله، وأعرف به من غيرهم، والحال أنهم أجهل الناس لذات الله ﷻ وصفاته وأسمائه، إذ أنهم ظنوا الله - تعالى شأنه - وجوداً يتسم بالتعطل والبطالة، ولا يعتقدون أنه خلق شيئاً سوى شيء واحد هو «العقل الفعال»، وقد كان صدوره من الله - تعالى - اضطراراً لا من قدرة واختيار. إنهم هم الذين اخترعوا - بعقولهم - «العقل الفعال» فينسبون الحوادث إليه، بدلاً من أن ينسبوها إلى خالق الأرض والسمٰوات...»[1].

كان «الإمام السرهندي» يردد دائماً أن العقل عاجز عن إدراك الحقائق الدينية، وأن طور النبوة وراء طور العقل، فيقول في إحدى رسائله:

«إن طور النبوة وراء طور العقل والتفكير، فالحقائق التي يعجز العقل عن إدراكها، تأتي النبوة لتثبتها وتحققها، ولو كان العقل كافياً وحده، لما بعث الأنبياء - صلوات الله تعالى وتسليماته عليهم أجمعين - ولما ربط عذاب الآخرة ببعثتهم ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2].

والعقل حجة، ولكنه ليس بحجة بالغة، وليس في حجيته بكامل، وقد تحققت الحجة البالغة ببعثة الأنبياء والرسل - عليهم الصلوات والتسليم - فقطعت ألسنة المكلفين، وقضت على معاذيرهم، يقول الله - تعالى -: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: الإمام السرهندي (١٨٤، ١٨٥).

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.

عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾[1]. ولما ثبت عجز العقل وقصوره في بعض القضايا، فليس من المستحسن أن توزن جميع الأحكام الشرعية في ميزان العقل، وأن محاولة التطبيق بين العقل وبين الأحكام الشرعية ـ بصفة دائمة ـ والتزام ذلك، والتقيد به، حكم بكفاية العقل وغناه، وإنكار للنبوة ـ أعاذنا الله ـ تعالى ـ منه»[2].

وهكذا يتحدث «الإمام السرهندي» عن الحاجة إلى بعثة الأنبياء والرسل، والضرورة إليها للهداية، وعدم كفاية العقل وحده لذلك مهما كان يملك من سمو الفكر، وبعد الغور، فيقول في إحدى رسائله:

إن بعثة الأنبياء والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ رحمة لأهل الأرض قاطبة، فلولا وجود هؤلاء ووساطتهم، لما وجد من يهدينا إلى معرفة ذات الله ـ تعالى ـ وهو واجب الوجود، إن عقولنا المحدودة القاصرة من غير استعانة بضوء دعوة هؤلاء الأنبياء والرسل عاجزة عن الوصول إلى هذا المطلب العظيم، وإن مداركنا الناقصة من غير تقليدهم واتباعهم كليلة خائرة.

نعم العقل حجة، ولكن حجيته غير كاملة، لا تبلغ درجة التأثير والتكميل، وإن الحجة البالغة هي بعثة الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلوات والتسليم ـ التي يرتبط بها العذاب والثواب الخالدان الدائمان»[3].

وهكذا يستمر «الشيخ السرهندي» في الشرح والبيان أنه لا طريق إلى معرفة الله ـ تعالى ـ إلا الأنبياء، وعقول الناس قاصرة عن معرفة ذلك. ويؤكد دائماً أن إخضاع أخبار الأنبياء للعقول إنكار للنبوة، ولا يعني ذلك أن طريق النبوة يعارض طريق العقل، بل العقل يعجز عن إدراك حقيقتها ويحار فيها[4].

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٢) انظر: الإمام السرهندي (١٨٧).
(٣) نفس المصدر (٢٠٠).
(٤) انظر: نصوص رسائل الإمام السرهندي في هذا الشأن في كتاب الإمام السرهندي (٢٠٢، ٢٠٣).

وهكذا فضح «الإمام السرهندي» العقلانيين في عصره الذين جعلوا الشريعة الإسلامية ألعوبة في أيديهم، فأعاد للدين مكانته في قلوب المسلمين.

سابعاً: محاربة الشيعة:

من المجالات التي برزت فيها جهود «الإمام السرهندي» الإصلاحية محاربة «الشيعة الإمامية الاثنى عشرية»، إذ بدأ تدفقهم على «الهند» منذ عودة «الملك همايون بن بابر» من المنفى في «إيران»، واستعادة مملكة «الهند» للمرة الثانية بمساعدة القوة الإيرانية، وبهذا فتح باب «الهند» على مصراعيه أمام مهاجري الشيعة إلى بلاد القارة الهندية، وبلغ هذا التدفق قمته في عصر «الملك أكبر بن همايون». وفاز علماء الشيعة في عصره وعصر خلفه «الملك جهانگير بن أكبر» بمناصب عالية في الدولة. وكانوا يحاولون جهداً لنشر عقائد الاثنى عشرية في «الهند»، وتفضيلها على عقائد أهل السنة، فلم يغفل «الإمام السرهندي» عن هذه الثغرة المهمة، وكان يحاربهم بطرق ثلاثة:

الطريق الأول: كان يشترك في المناظرات الشفهية التي تعقد بين علماء الشيعة والسنة، ويفحمهم بالأدلة القطعية من النقل والعقل، مما يحد من غطرستهم وتطاول أعناقهم.

الطريق الثاني: دحض مفتريات الشيعة بتأليف كتابه الشهير «رد روافض» الذي زلزل إيوان الشيعة الاثنى عشرية في «الهند»، مما جعلهم يكيدون له في بلاط «الملك جهانگير» حتى تمكنوا من زَجّه في السجن، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

الطريق الثالث: كتابة الرسائل والمكتوبات إلى أتباعه في أرجاء «الهند»[1]. وكانت هذه الرسائل تنتشر في الآفاق انتشار البرق، فمما كتب في إحدى رسائله في هذا الصدد:

---

(١) انظر: تفاصيل هذه الطرق في تذكرة مجدد ألف ثاني (١٨٠ ـ ١٨٥).

«. . . وأيقنوا أن فساد صحبة المبتدع أزيد من فساد صحبة الكافر، وأخبث جميع المبتدعين وأخسهم طائفة يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، وقد قال ـ تعالى ـ في القرآن المجيد لهؤلاء الطائفة كفاراً حيث قال ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[1]. والمبلغون للقرآن والشريعة هم الأصحاب، فإن كان الأصحاب مطعوناً فيهم، يلزم الطعن في القرآن والشريعة. والقرآن جمعه عثمان بن عفان ـ عليه الرضوان ـ فإن كان عثمان مطعوناً فيه، كان القرآن مطعوناً فيه ـ أعاذنا الله ـ سبحانه وتعالى ـ مما يعتقده الزنادقة. . .»[2].

وهناك رسائل أخرى كتبها «الشيخ السرهندي» في الرد على الشيعة الاثنى عشرية، وبعث بها إلى أطراف «الهند» ونواحيها.

آثار دعوته:

أثمرت جهود «الإمام السرهندي» المضنية وآتت أكلها في حين حياته، حيث بايعه خلق كثير ـ لا يأتي عليهم الإحصاء ـ على متابعة السنة، واجتناب البدعة، وطفق الأعيان والأمراء يرجعون إلى الإسلام، ويثوبون إلى رشدهم حتى خفّ تيار الإلحاد الجارف الذي كاد يذهب بالبقية الباقية من شعائر الدين الحنيف[3].

وقد تأثر الملك «جهانگير بن أكبر» بدعوة «الإمام السرهندي» في أواخر أيامه، وبدأ يخلع ما ورث عن أبيه «الملك أكبر» من اتباع مذهبه الأكبري، فكان يشجع من أراد من الهنادك الوثنيين أن يدين بدين الإسلام، ويشهد شهادة الحق، كما منع بيع الخمر وغيرها من المسكرات، ومنع المقامرة في الأندية والمجتمعات العامة[4].

حصلت بجهود «الإمام السرهندي» نهضة إسلامية جديدة، وانتعشت

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٩. (٢) انظر: المنتخبات من المكتوبات (١٩).
(٣) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠١).
(٤) نفس المصدر (١٠٣، ١٠٤).

زمن «الملك شاهجهان بن جهانگير» الذي كان قد بايع «الإمام السرهندي» على اجتناب المعاصي، واطراح المآثم، وهو بعد ولي للعهد، ولما تولى السلطة بعد وفاة أبيه أصلح كثيراً من المفاسد التي تسربت إلى داخل المملكة، وجعل شعار الدولة: «الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب» بدلاً من شعار «الله أكبر» ـ الذي كان يشير إلى تأليه «الملك أكبر» ولو بطرف خفي ـ وحصل للمسلمين في عصره حرية في أداء واجباتهم، والدعوة إلى دينهم[1].

وأثمرت جهود «الإمام السرهندي» أيضاً في اضمحلال نفوذ الملاحدة من الروافض وغيرهم في البلاط الملكي، ورجوع الصوفية إلى دراسة الحديث الشريف حتى نشأت بعد ذلك ـ ولو كانت قليلة ـ من الصوفية المحدثين[2].

رابعاً: الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي:

اسمه ونسبه:

هو أبو المجد عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدهلوي. جاء جده الأعلى من «بخارى» واستوطن في «دهلي» بالهند[3].

---

(١) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١٠٣، ١٠٤، ١٢٠).

(٢) المصدر نفسه (١١٧).

(٣) مصادر ترجمته: أخبار الأخيار (٦٠٧ ـ ٦٢٥).
ـ نزهة الخواطر (٥/٢٠١ ـ ٢١٠).
ـ أبجد العلوم (٣/٢٢٨، ٢٢٩).
ـ رود كوثر (٣٤٣ ـ ٣٨٩).
ـ تذكرة علمائ هند (٢٧٦ ـ ٢٧٨).
ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١١٧ ـ ١١٩).
ـ حيات شيخ عبد الحق محدث دهلوي (حياة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي)، للبروفيسور خليق أحمد نظامي، مكتبة رحمانيه، اردو بازار، لاهور ـ باكستان.
ـ سبحة المرجان (٥٢، ٥٣).
ـ اردو دائره معارف إسلامية (١٢/٨٣١).
ـ مجلة «معارف» الشهرية العلمية، عدد أغسطس لعام (١٩٨٨م)، يصدرها مجلس دار المصنفين، أعظم كڑه ـ الهند.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد «الشيخ عبد الحق» في «دهلي» عام (٩٥٨هـ). ونشأ في بيت علم، وبيئة دينية صالحة، إذ كان أبوه من المشائخ المعدودين في ذلك الوقت. ظهرت على «الشيخ عبد الحق» علامات النجابة منذ طفولته إذ لم يكن يميل إلى اللعب مثل الأطفال الآخرين، بل كان يلازم والده، يتعلم منه القراءة والكتابة، وقد حفظ القرآن الكريم وهو صغير، ثم درس على علماء «دهلي» والبلاد الهندية الأخرى. وأتم دراسة العلوم المتداولة في ذلك العصر قبل الثانية والعشرين من عمره[(١)].

أقام «الشيخ عبد الحق الدهلوي» بعد تحصيله العلمي في مدينة «فتح پور سيكري» مقر إقامة الملك أكبر، وبدأ يشتغل في الإفادة والتدريس، والتأليف، والتصنيف، وهناك اشتهر أمره، وذاع صيته، وكان يحضر في مجالسه كبار علماء زمانه، أمثال: «ملا عبد القادر البدايوني»، و«أبو الفيض فيضي»، و«أبو الفضل» وغيرهم. وقد حاول «الملك أكبر» أن يجذب «الشيخ الدهلوي» إلى بلاطه ليساعده في نشر مذهبه، ويساير في اتجاهاته، ولكن الله سبحانه وتعالى ـ حفظه من الانزلاق في هذه المتاهات[(٢)].

سفره إلى الأراضي المقدسة:

كان «الشيخ الدهلوي» منذ صغره شغوفاً بدراسة الحديث وعلومه، وخرج عام (٩٩٥هـ) متوجهاً إلى بلاد الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، وطلب علم الحديث. وقد مكث الشيخ عدة سنوات في البلاد المقدسة يدرس الكتب الستة على علمائها خاصة على «الشيخ عبد الوهاب المتقي» تلميذ «الشيخ علي المتقي» و«القاضي علي بن جار الله القرشي» و«الشيخ أحمد بن محمد المدني» وغيرهم، ثم كر راجعاً إلى «الهند»، وأقام في

(١) انظر: أخبار الأخيار (٦٠٧، ٦٠٨).
ـ تذكرة علمائےهند (٢٧٧).
(٢) انظر: رود كوثر (٣٤٨، ٣٤٩).

«دهلي»، ووقف حياته على نشر علم الحديث عن طريق التدريس والتصنيف[١].

مؤلفاته:

وصل عدد مؤلفاته قرابة مائة كتاب، وأشهرها كالآتي:

١ ـ أخبار الأخيار[٢].

٢ ـ آداب الصالحين[٣].

٣ ـ مدارج النبوة[٤].

٤ ـ جذب القلوب في ديار المحبوب[٥].

٥ ـ زاد المتقين إلى طريق اليقين[٦].

٦ ـ رسالة نورانية سلطانية[٧].

٧ ـ اللمعات في شرح المشكاة[٨].

٨ ـ أشعة اللمعات في شرح المشكاة[٩].

٩ ـ شرح سفر السعادة.

١٠ ـ أسماء رجال البخاري.

١١ ـ زبدة الآثار.

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٢٠٢، ٢٠٣).
(٢) وهو باللغة الفارسية ومطبوع، وقد ترجم إلى الأردية.
(٣) باللغة الفارسية.
(٤) باللغة الفارسية، وترجم إلى الأردية، وطبع مراراً.
(٥) وهو في تاريخ المدينة المنورة، وترجم إلى الأردية.
(٦) باللغة الفارسية ومطبوع.
(٧) كتبها «للملك جهانگير بن أكبر» ورتب فيه آداب وقواعد السلطنة.
(٨) وهو شرح لمشكاة المصابيح باللغة العربية.
(٩) وهو شرح لمشكاة المصابيح باللغة الفارسية، كلاهما مطبوع.

١٢ ـ جامع البركات.

١٣ ـ مرج البحرين.

١٤ ـ فتح المنان.

١٥ ـ ما ثبت بالسنة.

١٦ ـ حلية سيد المرسلين.

١٧ ـ تكميل الإيمان وتقوية الإيقان.

١٨ ـ مطلع الأنوار البهية.

١٩ ـ شرح الصدور بتفسير آية النور.

٢٠ ـ فهرس التواليف وغيرها[١].

وفاته:

توفي «الشيخ عبد الحق» في «دهلي» عام (١٠٥٢هـ)، وله أربع وتسعون سنة، ودفن هناك[٢].

حركته الإصلاحية:

كان «الشيخ عبد الحق الدهلوي» معاصراً للإمام السرهندي، وشريكاً له في محاربة «المذهب الأكبري» إلا أن منهجه في الإصلاح يختلف عن منهج «الإمام السرهندي» «فالسرهندي» نذر نفسه للرد على ضلالات «المذهب الأكبري»، ومنكرات «الشيعة». وغيرته الدينية كانت تحمله على الرد السريع والصريح في كل ما يراه مخالفاً للدين الإسلامي، وكان سباقاً بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما نتج عنه دخوله السجن ـ كما تقدم ـ.

---

(١) انظر: نزهة الخواطر (٥/ ٢٠٤ ـ ٢١٠).
ـ اردو دائرهٔ معارف إسلامية (١٢/ ٨٢٩، ٨٣٠).

(٢) انظر: تذكرة علمائے هند (٢٧٧).

أما «الشيخ عبد الحق الدهلوي» فكانت مواقفه تتسم بالهدوء والرزانة، وفي رأيه أن سبب ابتعاد المسلمين عن الإسلام الصحيح، ووقوعهم في شَرَك الفرق الضالة هو عدم معرفتهم بالسنة النبوية الشريفة ـ على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم ـ، فأخذ على عاتقه نشر السنة المطهرة في ربوع الهند[1].

شاهد «الشيخ عبد الحق الدهلوي» ما وصلت إليه أحوال المسلمين من جراء «المذهب الأكبري» وغيره من الحركات الضالة التي انتشرت في البلاد الهندية في القرن العاشر الهجري، فكان ينشر آراءه من خلال مؤلفاته حيال عقائد ومبادئ هذه الحركات. وقد برزت جهوده في مجالين:

الأول: في الرد على عقائد المهدوية.

الثاني: في الرد على عقائد المذهب الأكبري.

أما بالنسبة للمجال الأول، فقد تعرف «الشيخ الدهلوي» على عقائد «المهدوية» أثناء إقامته في «أحمد آباد» ـ عاصمة إقليم گجرات ـ حيث مقر المهدويين، وهو في طريقه إلى الأراضي المقدسة، فكان ينبه المسلمين إلى خطورة هذه الفرقة من خلال مؤلفاته. وقد سبق أن «السيد محمد الجونبوري» ـ مؤسس الفرقة المهدوية ـ كان أول من فتح باب تقسيم النبوة إلى مطلقة وتابعة في البلاد الهندية[2]. وزعم أنه «نبي متبع» لرسالة نبينا محمد ﷺ فنبه الشيخ الدهلوي إلى هذه العقيدة «للجونبوري» وقال:

«إن «السيد محمد الجونبوري» كان يعتقد أن كل كمال كان يتصف به الرسول ﷺ أو بلغ إليه، كان له أيضاً هذا الكمال نفسه، لكن الفرق بينهما أن الرسول ﷺ كان له هذا الكمال بالأصالة، وللجونبوري بالتبع»[3].

---

(١) انظر: حيات شيخ عبد الحق محدث دهلوي (٢٨٧).

(٢) تقدم الحديث عنه مفصلاً في المبحث الثاني من الفصل الثالث.

(٣) انظر: حيات شيخ عبد الحق محدث دهلوي (٢٦٢).

وقد رد «الشيخ الدهلوي» على هذه العقيدة في مؤلفاته، وبين مكانة النبي ﷺ وخصوصياته[١].

وأما المجال الثاني: وهو محاربة «المذهب الأكبري»، فإن الشيخ قد عايش «المذهب الأكبري» ودعاته، وعرف دواعيه ومبادئه، فرد عليه بمنهجه الخاص الذي رسمه لنفسه، وهو يتمثل في الطرق الآتية:

١ ـ عرف الشيخ أنه لا بد من إقامة سد منيع، وجدار صلب دون انتشار بدع «المذهب الأكبري»، وضلالته، وهذا السد في اعتقاده هو حديث الرسول ﷺ فأخذ على عاتقه نشر علم الحديث في ربوع «الهند»[٢].

٢ ـ ألّف لدرء مفاسد «المذهب الأكبري» كتابه الشهير «مدارج النبوة»، وكان القصد من تأليفه هو بيان مكانة الرسول ﷺ وحقوقه وخصائصه[٣].

٣ ـ لاحظ «الشيخ الدهلوي» أن «النظرية الألفية» تسري في عقول الناس سريان النار في الهشيم، فرد عليها بقوة، وأثبت أنها نظرية ضالة وفاسدة، وأن شريعة الإسلام شريعة خالدة وشاملة، وصالحة لكل الأزمنة، ولكل الناس، ولكل البلاد.

يقول «الشيخ عبد الحق» في ذلك:

«إن من خصائص خير الأمم، أن شريعتها أكمل الشرائع المتقدمة، وهذا أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان. وأن الرسول ﷺ بُعِث ليتمم مكارم الأخلاق، ومحامد الأفعال، فلا جرم أن تكون شريعته من أكمل الشرائع وأتمها»[٤].

وبين «الشيخ الدهلوي» أيضاً ـ بعد أن عقد مقارنةً بين الشريعة الإسلامية والشرائع السابقة ـ أن الشريعة الإسلامية موافقة للفطرة الإنسانية،

---

(١) انظر: حيات شيخ عبد الحق محدث دهلوي.
(٢) نفس المصدر (٢٨٧). (٣) نفس المصدر والصفحة.
(٤) انظر: مدارج النبوت (١/ ٢٧٥)، ترجمة وترتيب: مفتي غلام معين الدين، مدينة پبلشنگ كمپني، بندر روڈ، كراچي ـ پاكستان.

فهي تتسم بالوسطية والاعتدال والجامعية، وهذا أكبر دليل على خلودها وأبديتها[1].

٤ ـ أدرك «الشيخ الدهلوي» أن من منكرات «المذهب الأكبري» دعوة الناس إلى الإيمان بوحدانية الله ـ تعالى ـ فقط، وأما الإيمان بالرسالة المحمدية ـ على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم ـ فلا يرونها من ضرورات الإسلام، ومن هنا أعلن «الملك أكبر» أن كلمة الدخول في «المذهب الأكبري» تكون هكذا: «لا إله إلا الله أكبر خليفة الله». وذلك في إطار خطة وحدة الأديان[2]. فرد «الشيخ الدهلوي» على هذه المغالطة وقال:

«الإيمان بالنبي محمد ﷺ واجب ومتعين، ولا يصح الإسلام ولا يتم، ولا يقبل ذلك عند الله ـ تعالى ـ إلا بعد الإيمان بمحمد ﷺ والشهادة برسالته»[3].

٥ ـ كان «الملك أكبر» قد اختار كثيراً من رسوم الوثنية، وتقاليد الجاهلية، منها: «شد الزُنَّار»[4] و«تقديس الأصنام» وغير ذلك، فرد الشيخ على هذه العقائد الجاهلية والشركية وقال:

«... بعد التصديق والإقرار بالإيمان من عمل عملاً حكم عليه الشارع بأنه من علامات الكفر وأماراته مثل السجدة للصنم، وشد الزُنَّار، وأمثال ذلك، يصير كافراً حسب حكم الشرع»[5].

٦ ـ كان من الطرق التي اتبعها «الشيخ عبد الحق» أيضاً في الرد على «المذهب الأكبري» وإحياء السنة، وإماتة البدعة، الاتصال بكبار أمراء

---

(١) انظر: مدارج النبوت (١/٢٧٦).
(٢) تقدم الحديث عنه مفصلاً في المبحث الثاني من الفصل السادس.
(٣) انظر: مدارج النبوت (١/٥٠٣).
(٤) الزنار: عبارة عن فتيلة مصنوعة من الخيط الأبيض، يضعها البرهمي في وسط جسمه، وهي من شعار البراهمة ـ أي رجال الدين الهندوسي ـ ولها قداستها عندهم.
(٥) انظر: أشعة اللمعات (١/٣٧)، طبعة (١٩٧٦م)، مكتبة نورية رضوية، وكتوريه ماركيث، سكهر ـ پاكستان.

الدولة، وإرسال الرسائل بأسمائهم، كما كان معمولاً به عند «الإمام السرهندي» أيضاً[1].

وقد آتت جهود «الشيخ عبد الحق» ثمارها ولو بعد حين، خاصة في مجال نشر علم الحديث في ربوع الهند، والذي يكفل للمسلم معرفة بالإسلام الصحيح.

يقول الشيخ مسعود عالم الندوي:

«وأما الشيخ عبد الحق فهو أول رجل سعى سعيه في نشر علوم السنة، وبذل الجهد المستطاع في بث معارفها. وكان سعيه مشكوراً بفضل الله وتوفيق من عنده، فله منة في أعناقنا، ويد على مسلمي الهند لا تنكر، ولا تنسى، لأن ذيوع علم الحديث، وانتشار السنة الصحيحة مما يقرب الناس بنفسه إلى الدين الصحيح، ويدني الطالب عن عيونه الثرثارة...»[2].

كما بذل «الشيخ عبد الحق» جهداً في الرد على انحرافات الحركات الضالة من خلال مؤلفاته، وكان عمله مكملاً للجهود التي بذلها الإمام السرهندي.

بالإضافة إلى هؤلاء العلماء المصلحين، كان هناك علماء آخرون في القرن العاشر الهجري عملوا إلى جانبهم لرفع راية الإسلام، والرد على الفرق الضالة، ومنهم: «ملا عبد الحكيم سيالكوثي»[3] و«الشيخ أحمد سون»[4] و«أخوند بابا درويزه البشاوري»[5] و«الشيخ أبو المكارم إبراهيم بن داود المحدث الأكبرآبادي»[6]، وغيرهم. جزاهم الله عن الإسلام عامة، وعن مسلمي «الهند» خاصة خير الجزاء.

---

(١) انظر: حياة شيخ عبد الحق محدث دهلوي (٢٩٢).
(٢) انظر: تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند (١١٨).
(٣) انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٥/ ٢١٠، ٢١١).
ـ رود كوثر (٣٩٠، ٣٩١).
(٤) انظر ترجمته في: رود كوثر (٤٠٦، ٤٠٧).
(٥) وهو الذي ندب نفسه للرد على الفرقة الروشنية.
انظر ترجمته في: رود كوثر (٤١٤ ـ ٤١٨).
(٦) انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٥/ ٤، ٥).

المبحث الثاني

جهود الحكام

لم يظهر في القرن العاشر الهجري في الحكومة المركزية للبلاد الهندية حاكم حاول إصلاح ما أفسد دعاة الحركات الضالة إلا ما أثر عن «سليم شاه السوري»[1]؛ إذ شغل معظم النصف الثاني من هذا القرن حكم «الملك أكبر المغولي»[2] وهو الذي أسس «المذهب الأكبري» أو «الدين الإلهي».

وقد وجد حكام في بعض الأقاليم الذين ساهموا في مقاومة الفرق الضالة، ويذكر في هذا الباب سلاطين إقليم «گجرات» في مقاومة «الفرقة المهدوية» أمثال: «السلطان مظفر»[3] و«السلطان محمود بيكره»[4] و«السلطان محمود بن لطيف»[5]

---

(١) هو: سليم شاه بن شير شاه السوري (... ـ ٩٦٠هـ).
تولى الحكم في البلاد الهندية بعد أبيه، وذلك في الفترة التي غربت فيها شمس الدولة المغولية عن الهند، ولجأ ملكها «همايون» إلى «إيران». وقد برزت جهود «سليم شاه» في محاربة «الفرقة المهدوية»؛ إذ كان مقتل الداعية «علاء بن الحسن البيانوي» المهدوي في عهده، كما ضرب «عبد الله النيازي المهدوي» بين يديه.
انظر: ترجمته في: نزهة الخواطر (٤/١٢٧، ١٢٨).

(٢) وقد امتد حكمه زهاء واحد وخمسين عاماً ابتداء من سنة (٩٦٣هـ) إلى سنة (١٠١٤هـ).

(٣) هو الذي قتل الدعاة المهدويين عملاً بفتاوى فقهاء «مكة» إزاء هذه الفرقة بعد أن دعاهم إلى التوبة والإنابة، ولم أجد له ترجمة.

(٤) وفي عهده لقى «السيد محمود ابن المتمهدي الجونبوري» مصرعه. كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

(٥) كان نكّل بالمهدويين بإشارات الشيخ المتقي الهندي.
انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٤/ ٣٣٧ ـ ٣٤١).

كما يذكر دور «عزيز الدين كوكه»[1].

ويذكر أيضاً جهود الحاكم الصالح «مير نصير خان»[2] في كسر شوكة «الفرقة الذكرية».

---

(١) كان حاكماً على إقليم «گجرات» إبان فتحها من «الملك أكبر». وقد شد أزر «الشيخ محمد طاهر الفتني»، وساعده في كسر شوكة المهدويين. كما تقدم الكلام عليه.
انظر ترجمته في: نزهة الخواطر (٥/ ٢٧٢ ـ ٢٧٤).

(٢) هو: مير أحمد نصير خان نوري (١١٦٤هـ ـ ١٢٠٩هـ).
حاكم قلات ـ إحدى المناطق في إقليم «بلوشستان» ـ الذي رفع راية الجهاد ضد الدولة الذكرية في «بلوشستان» وقتل حاكمها «ملك دينار بن ملا مراد» وأخضع إقليم «بلوشستان» كلها لحكمه، ونفّذ فيها أحكام الشريعة الإسلامية، وعلى يديه زالت دولة الذكريين من هذا الإقليم بدون رجعة.
ولو كان ظهور هذا المصلح متأخراً عن القرن العاشر الهجري إلا أن الحديث عن «الفرقة الذكرية» لا يكتمل بدون إشادة بمواقفه ومساعيه الجليلة التي بذلها في محاربة هذه الفرقة، مما جعلني أنوه بجهوده هنا، كما أشرت ذلك عند الحديث عن تاريخ «الفرقة الذكرية» ونشأتها.
انظر تفاصيل جهود مير نصير خان في مقال: «بلوچستان مين اشاعت اسلام (انتشار الإسلام في بلوشستان)»، بقلم الدكتور إنعام الحق كوثر، في مجلة «فكر ونظر» الشهرية، عدد ربيع الأول لعام (١٤٠٠هـ)، الصادرة من إداره تحقيقات إسلامي، إسلام آباد ـ پاكستان.

الخاتمة

وفي الختام أود أن أدون أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:

أولاً: لقد كان انتشار الإسلام في معظم ربوع «الهند» عن طريق الدعوة والإرشاد دون الحرب والقتال. وهذا أبلغ رد على أولئك الذين يفترون على الإسلام، مرددين أنه لولا الحرب والقتال ما علت للإسلام راية، ولا انتشرت له دعوة.

ثانياً: كانت العقيدة الإسلامية صافية نقية تستمد أصولها من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله ﷺ وعلى منهج السلف الصالح ﷺ منذ دخول الإسلام في شبه القارة الهندية حتى القرن الرابع الهجري.

ثالثاً: كانت بلاد الأفغان (أفغانستان الحالية) خاضعةً للحكم الإسلامي في بلاد «الهند»، وكانت جزءاً منها.

رابعاً: يمثل القرن العاشر الهجري أحلك الفترات وأظلمها في حياة «الهند» المسلمة، لا سيما الحقبة التي ملك فيها الملك «أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر» (٩٦٣هـ ـ ١٠١٤هـ) حيث كانت فتنة مذهبه الذي عرف «بالمذهب الأكبري».

خامساً: اضطلعت «العقيدة الألفية» بأخبث دور قامت به في العمل على نشأة وتعدد الفرق الضالة المنتسبة للإسلام في القرن العاشر الهجري.

سادساً: أثبتت الدراسة أن عقيدة «وحدة الوجود» التي يعتقد الكثيرون أنها عقيدة خاصة بالصوفية هي في الواقع عقيدة مشتركة لدى كثير من الفرق الضالة المنتسبة للإسلام.

سابعاً: عقيدة «وحدة الأديان» التي ينادي بها أصحاب بعض المذاهب الضالة للطعن في الإسلام والقضاء عليه هي في الحقيقة عقيدة تنبثق من عقيدة «وحدة الوجود»، وتقوم عليها.

ثامناً: تَشَدَّقت كثير من الفرق الضالة بحب آل البيت لتتخذ منه ستاراً تنشر من خلاله ضلالاتها. وعقيدة المهدية (أو المهدي المنتظر) تمثل قاسماً مشتركاً بين كل هذه المذاهب.

تاسعاً: الدور الذي قام به التشيع والتصوف كان سبباً رئيساً في صياغة أفكار ومبادئ الكثير من الفرق الضالة والمنحرفة، لا سيما في بلاد «الهند» إبان القرن العاشر الهجري، وما قبله وما بعده.

عاشراً: عقيدة (خاتم الأولياء) و(الإنسان الكامل) كانت وراء كثير من الضلالات التي انتشرت بين عامة المسلمين في هذه القارة الواسعة.

حادي عشر: بعض الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام، والتي شهدها القرن العاشر الهجري مثل: «الروشنية» و«ستيه پير» (الشيخية الصادقة) وإن اندثرت معالمها كفرق مستقلة إلا أن آثارها ومبادءها ما زالت تعيش في عقول كثير من أصحاب الضلالات والأوهام يبثونها بين الناس.

ثاني عشر: هناك فرق عاشت في القرن العاشر الهجري، ولا يزال وجودها متصلاً وأتباعها يتكاثرون حتى عصرنا هذا، مثل: فرقة «الذكرية» وفرقة «المهدوية» وغيرهما. وهذا يلقي عبئاً على علماء «أهل السنة» لضرورة التصدي لهذه الفرق ودعاتها.

ثالث عشر: إن فرقة «الآغاخانية النزارية» (الخوجات) تعد اليوم من أخطر أنواع الفرق الضالة المنتسبة للإسلام، والتي يتسع نفوذها نظراً لنشاط دعاتها وكثرة أموالها ومراكزها ومساجدها المتناثرة في كثير من بلاد العالم، مما يستوجب على علماء المسلمين الغيورين أن يتنبهوا لها، وأن يحاصروا مباداءها وأفكارها التي امتدت إلى كثير من البلاد.

رابع عشر: إن بعض الفرق التي عاشت في «الهند» إبان القرن العاشر

الهجري، ولاقت أفكارها ومبادؤها ذيوعاً ورواجاً بين الهنود المسلمين كانت وافدة من الخارج، مثل: فرقة «النقطوية» وفرق «الشيعة».

خامس عشر: لم تتصد أية حكومة مركزية من الحكومات التي حكمت بلاد «الهند» في القرن العاشر الهجري لدحض أباطيل هذه الفرق، ولمصادرة أفكارها ومبادئها، بل بعض هذه الحكومات كانت عوناً لهؤلاء المضللين على إفساد عقيدة عوام المسلمين في هذه البلاد.

سادس عشر: تحمل عبء الدفاع عن العقيدة الإسلامية الصحيحة في هذه البلاد بعض العلماء الغيورين المصلحين، ويأتي في مقدمتهم «الشيخ محمد طاهر الفتني» (ت٩٨٦هـ) و«الإمام السرهندي» (ت١٠٣٤هـ) و«الشيخ عبد الحق الدهلوي» (ت١٠٥٢هـ). فجزاهم الله عما قدموه، وما بذلوه من جهد خير الجزاء.

إن على المؤسسات الإسلامية العالمية التي تعنى بالدفاع عن العقيدة الإسلامية دوراً كبيراً في تجلية العقيدة الصحيحة، ومحاربة البدع والأفكار التي توارثها الناس عن هذه الفرق الضالة في هذه البلاد الشاسعة، وعلى رأس هذه المؤسسات: رابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والمؤتمر الإسلامي، والأزهر الشريف، الجامعات الإسلامية التي يجب أن تولي هذه المهمة عنايتها الفائقة.

هذا، وإني أوقن أن ما سطرته في هذا البحث إن يكن صواباً فمن الله ـ تعالى ـ وبنعمته، وإن يكن غير ذلك فمني أو من الشيطان. وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

تحتوي على الآتي:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام.

رابعاً: فهرس الفرق.

خامساً: فهرس البلدان والمواضع.

سادساً: فهرس المصادر والمراجع.

سابعاً: فهرس محتويات الرسالة.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

أول الحديث	الصفحة

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة

فهرس الفرق

فهرس البلدان والمواضع

اسم البلد أو الموضع	الصفحة

اسم البلد أو الموضع	الصفحة

فهرس أسماء المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ أئمهء تلبيس: (أئمة تلبيس) لأبي القاسم رفيق دلاوري، طبعة (١٩٨٧م). مكتبه تعمير إنسانيت، اردو بازار، لاهور، پاكستان.

٣ ـ آب كوثر (ماء كوثر): للشيخ محمد إكرام، طبعة (١٩٩٦م). إداره ثقافت إسلاميه، كلب روڈ، لاهور، پاكستان.

٤ ـ أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم: لصديق حسن خان القنوجي (٠٠٠ ـ ١٣٠٧هـ). دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٥ ـ ابن تيمية السلفي. نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات ـ للأستاذ د. محمد خليل هراس، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٦ ـ الإتقان في علوم القرآن. لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ). تعليق: الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). دار ابن كثير، دمشق.

٧ ـ أثر الفكر الغربي في انحراف المجتمع المسلم بشبه القارة الهندية. للدكتور خادم حسين إلهي بخش، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ). دار حراء، مكة المكرمة.

٨ ـ الإحاطه في أخبار غرناطة: لسان الدين الخطيب (٧١٣ ـ ٧٧٦هـ). تحقيق: محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م). مكتبة الخانجي، القاهرة.

٩ ـ الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر. للشيخ حمود بن عبد الله التويجري (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

١٠ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: لمحمد بن أحمد المقدسي، المعروف بالبشاري (٠٠٠ ـ ٣٨٠هـ)، طبعة (١٩٠٦م)، مطبعة بريل، ليدن.

١١ ـ أحوال النفس ـ رسالة في النفس وبقائها ومعادها: للرئيس ابن سينا (٠٠٠ ـ ٠٠٠). وتحقيق: الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، الطبعة الأولى (١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م). دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٢ ـ أخبار الأخيار: للشيخ عبد الحق الدهلوي: (ت:١٠٥٢هـ). ترجمة: مولانا سبحان محمود وغيره، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ). أدبي دنيا، مٹيا محل، دهلي ـ الهند.
١٣ ـ أخبار الحلاج: لعلي بن أنجب الساعي (٠٠٠ ـ ٠٠٠). نشره: ل. ماسينيون وب. كراس، طبعة (١٩٣٦م). مطبعة القلم، شارع جاكوب، باريس.
١٤ ـ أديان الهند الكبرى: للدكتور أحمد شلبي، الطبعة التاسعة (١٩٩٣م). ملتزم الطبع والنشر: مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي باشا، القاهرة.
١٥ ـ الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة: للشيخ صديق حسن خان القنوجي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، طبعة (١٩٧٧م). مطبعة الشركة التونسية للصحافة والتنمية، تونس.
١٦ ـ اردو دائرة معارف إسلاميه: دانش گاه پنجاب، لاهور.
١٧ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). المكتب الإسلامي، بيروت.
١٨ ـ الإسراء والمعراج: لمحمد بن محمد أبو شهبة، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ). مكتبة السنة، عابدين، القاهرة.
١٩ ـ الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: لنور علي بن محمد بن سلطان، المشهور بالملا علي القاري (٠٠٠ ـ ١٠١٤هـ). تحقيق: محمد الصباغ، طبعة (١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م). دار الأمانة، بيروت ـ لبنان.
٢٠ ـ إسلام بلا مذاهب: للدكتور مصطفى الشكعة، الطبعة الخامسة (١٩٧٧م). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

نسخة أخرى:

ـ إسلام بلا مذاهب: الدكتور مصطفى الشكعة. الدار المصرية للطباعة والنشر. بيروت.
٢١ ـ الإسلام في مواجهة الباطنية: لأبي الهيثم، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). دار الصحوة للنشر، القاهرة.
٢٢ ـ الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي: للدكتور صلاح الدين المنجد، الطبعة الأولى (١٩٧٤م). دار الكتاب الجديد، بيروت ـ لبنان.
٢٣ ـ الإسماعيلية المعاصرة: لمحمد أحمد الجوير، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).
٢٤ ـ الأشباه والنظائر: لزين الدين بن إبراهيم المعروف بابن نجيم الحنفي (٠٠٠ ـ ٩٧٠هـ). تحقيق وتقديم: محمد مطيع الحافظ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) دار الفكر، دمشق ـ سوريا.

٢٥ ـ أشعة اللمعات: للشيخ عبد الحق الدهلوي (٠٠٠ ـ ١٠٥٢هـ)، طبعة (١٩٧٦م). مكتبة نورية رضوية، وكٹوريه ماركيٹ، سكهر ـ پاكستان.
٢٦ ـ أصل الشيعة وأصولها: لمحمد الحسين آل كاشف الغطاء، الطبعة العاشرة (١٣٧٧هـ ـ ١٩٨٨م)، الطبعة العربية، القاهرة.
٢٧ ـ أصول الحديث علومه ومصطلحه: للدكتور محمد عجاج الخطيب، الطبعة الرابعة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م). دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
٢٨ ـ أصول الدعوة: للدكتور عبد الكريم زيدان، طبعة (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م). مكتبة المنار الإسلامية.
٢٩ ـ أصول الدين: لأبي منصور عبد القاهر البغدادي (٠٠٠ ـ ٤٢٩هـ)، الطبعة الأولى (١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م). إستانبول، مطبعة الدولة، تركيا.
٣٠ ـ الاعتصام: لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، الطبعة الأولى (١٣٣١هـ ـ ١٩١٣م). مطبعة المنار، مصر.
٣١ ـ الأعلام: لخير الدين الزركلي، الطبعة الخامسة (١٩٨٠م). دار العلم للملايين.
٣٢ ـ أعلام الإسماعيلية: لمصطفى غالب، طبعة (١٩٦٤م). دار اليقظة العربية، بيروت.
٣٣ ـ أعلام النبوة: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (٠٠٠ ـ ٤٥٠هـ). تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى (٠٠٠). دار مكتبة الهلال، بيروت.
٣٤ ـ الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام: ليحيى بن حمزة العلوي (٦٦٩هـ ـ ٧٤٥هـ). تحقيق: فيصل بدير عون. منشأة المعارف بالإسكندرية.
٣٥ ـ الإمام السرهندي حياته وأعماله: لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). دار القلم، الكويت.
٣٦ ـ البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٠٠٠ ـ ٧٧٤هـ). تحقيق: محمد عبد العزيز النجار. مطبعة الفجالة، شارع القويس، القاهرة.
٣٧ ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: لعلي المتقي الهندي (٠٠٠ ـ ٩٧٥هـ). مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف، رقم (٨٧٣).
٣٨ ـ بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس: لأحمد بن يحيى الضبي (٠٠٠ ـ ٥٩٩هـ)، طبعة (١٨٨٦م). بمطبع روخس، مدينة مجريط.
٣٩ ـ بلوچستان قديم اور جديد تاريخ كي روشني مين (بلوشستان القديمة والجديدة في ضوء التاريخ): مير گل خان نصير. نساء تريدرز، جناح ماركيٹ، وكوئٹة، پاكستان.
٤٠ ـ بنغلا شاهتّر ايتي برتّه (التاريخ التفصيلي للأدب البنغالي): وشيت كمار بندهو پاداي. ماڈرن بُك ايجنسي لمٹيڈ، كلكتا ـ الهند.

٤١ ـ بنغلا شاهتّر ايتيهاش (تاريخ الأدب البنغالي): سري كمار شين، الطبعة الثالثة (١٩٧٥م). آنند پليشرز لميٹڈ، كلكتا ـ الهند.

٤٢ ـ بنغلا شاهتير روپ ـ ريقا (دراسة الأدب البنغالي). غوبال حالدار. أي. مكرجي اينڈ لمٹيڈ، كلكتا ـ الهند.

٤٣ ـ بنغلا شاهتّير كتها (حديث الأب البنغالي): للدكتور محمد شهيد الله رنيسانس پرنترز.

٤٤ ـ بنغالي وبنغلا شاهتّه (البنغالي وأدبه): أحمد شريف. بنغلا اكاديمي، داكا.

٤٥ ـ پاكستان مين فارسي أدب (الأدب الفارسي في باكستان): للدكتور ظهور الدين أحمد. يونيورنسٹي بُك ايجنسي، أنار كلي، لأهور.

٤٦ ـ پراسين بنغلا شاهتّير ايتيهاش (تاريخ الأدب البنغالي القديم): للدكتور تموناش چندر گپت، طبعة (١٩٥١م). جامعة كلكتا ـ الهند.

٤٧ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: للدكتور حسن إبراهيم حسن، الطبعة السابعة (١٩٦٥م). مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

٤٨ ـ تاريخ الإسلام في الهند: لعبد المنعم النمر، الطبعة الأولى (١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م). دار العهد الجديد للطباعة.

٤٩ ـ تاريخ بغداد. لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب (٠٠٠ ـ ٤٦٣هـ). دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

٥٠ ـ تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند: لمسعود عالم الندوي. نشر وتوزيع: دار العربية.

٥١ ـ تاريخ الدعوة الإسماعيلية: لمصطفى غالب، الطبعة الثانية (١٩٦٥م). دار الأندلس، بيروت.

٥٢ ـ تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند: للدكتور جمال الدين الشيال، طبعة (١٩٦٨م). منشأة المعارف بالإسكندرية.

٥٣ ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية: للأستاذ محمد فريد بك المحامي، طبعة (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م). دار الجيل، بيروت.

٥٤ ـ تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب: للدكتور حسن إبراهيم حسن، الطبعة الثانية (١٩٥٨م). مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

٥٥ ـ تاريخ سندهـ غلام رسول مهر. سندهي ادبي بورڈ، بندر روڈ، كراچي ـ باكستان.

٥٦ ـ تاريخ شيراز هند جونپور. سيد إقبال أحمد. نشره: إداره شيراز هند پبلشنگ هاوس، جونپور ـ الهند.

٥٧ ـ تاريخ الصفويين وحاضرتهم: للدكتور بديع جمعة والدكتور أحمد الخولي، الطبعة الأولى (١٩٧٦م). دار الرائد العربي.

٥٨ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ ـ ٣١٠هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة (١٩٦٢م). دار المعارف، مصر.

٥٩ ـ تاريخ فرشته: لمحمد قاسم فرشته. ترجمة: عبد الحي خواجه أيم. لَه شيخ غلام علي اينڈ سنز، أنار كلي، لاهور ـ پاكستان.

٦٠ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية: للشيخ محمد أبو زهرة. ملتزم الطبع والنشر: دار الفكر العربي.

٦١ ـ تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم: للدكتور أحمد محمود الساداتي. مكتبة الآداب ومطبعتها بالجاميز.

٦٢ ـ تاريخ اليمن (المسمى: المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها): لنجم الدين عمارة بن علي اليمني (٠٠٠ ـ ٥٦٩هـ). تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م). مطبعة السعادة.

٦٣ ـ تاريخي مقالات (المقالات التاريخية): للأستاذ محمد أسلم. ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.

٦٤ ـ تاريخ مقالات (المقالات التاريخية): للبروفيسور خليق أحمد نظامي. ندوة المصنفين، اردو بازار، دهلي. الهند.

٦٥ ـ تاريخي وأدبي مطالع (المطالعات التاريخية والأدبية): للأستاذ نذير أحمد، طبعة (١٩٦١م). جامعة عليگڑه الإسلامية، الهند.

٦٦ ـ التدمرية. لشيخ الإسم أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ). تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٦٧ ـ تذكرة: لمولانا أبي الكلام آزاد. رتبه: مالك رام، الطبعة الثانية (١٩٨١م). ساهتيه أكاڈيمي، نئي دهلي.

٦٨ ـ تذكرة الأبرار والأشرار. أخوند درويزه ننگرهاري. مكتبة الإسلامية، محلة جنگي، پشاور ـ باكستان.

٦٩ ـ تذكره صوفيائے سرحد (تذكره صوفية سرحد). إعجاز الحق قدوسي. مركزي اردو بورڈ، لاهور ـ پاكستان.

٧٠ ـ تذكرة العلامة الشيخ محمد بن طاهر الفتني: للبروفيسور أبو ظفر الندوي، الطبعة الأولى (١٩٥٤م). ندوة المصنفين، اردو بازار، دهلي ـ الهند.

٧١ ـ تذكره علمائے هند (تذكره علماء الهند). لمولوي رحمان علي. ترجمة: محمد أيوب قادري. پاكستان هسٹاريكل سوسائٹي، كراچي.

٧٢ ـ التذكرة في أحوال الموتى والآخرة: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (٠٠٠ ـ ٦٧١هـ)، الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). دار الريان للتراث، القاهرة.
٧٣ ـ تذكره مجدد ألف ثاني: لمولانا محمد منظور نعماني، الطبعة الخامسة (١٩٩٢م). الفرقان بكڈپو، لكهنئو ـ الهند.
٧٤ ـ تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي: أنور الجندي، الطبعة الأولى (١٩٧٠م). مكتبة الأنجلو المصرية، شارع محمد فريد، القاهرة.
٧٥ ـ التعريفات: للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (٧٤٠ ـ ٨١٦هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٦ ـ تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٠٠٠ ـ ٧٧٤هـ). تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا وغيره. دار الشعب، شارع قصر العيسى، القاهرة..
٧٧ ـ تفسير المنار: للسيد محمد رشيد رضا. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٧٨ ـ التفسير والمفسرون: لمحمد حسين الذهبي، الطبعة الأولى (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م). دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية، القاهرة.
٧٩ ـ تناسخ الأرواح أصوله وآثاره وحكم الإسلام فيه: للدكتور محمد أحمد الخطيب، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م). مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن.
٨٠ ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير. لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٠٠٠ ـ ٥٧١هـ). تهذيب: عبد القادر بدران. دار المسيرة، بيروت ـ لبنان.
٨١ ـ تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٢٨٢هـ ـ ٣٧٠هـ). تحقيق: الدكتور عبد السلام سرحان. الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٨٢ ـ الثقافة الإسلامية في الهند (معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف): لعبد الحي الحسني، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
٨٣ ـ ثناء مهدي: لمحمد أيوب شاه زاده البلوشي. نشره: ذكري مهدي استوڈنس اگنائزيش.
٨٤ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول. لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ). تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
٨٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٠٠٠ ـ ٣١٠هـ)، الطبعة الثالثة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٨٦ ـ جامع الترمذي: لأبي عيسى محمد بن سورة (٢٠٩هـ ـ ٢٩٧هـ)، الطبعة الثالثة (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٨٧ ـ جامع العلوم والحكم: لزين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب (٧٣٦هـ ـ ٧٩٥هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م) مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان.
٨٨ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (٠٠٠ ـ ٤٨٨هـ)، طبعة (١٩٦٦م). الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٨٩ ـ حاضر العالم الإسلامي: لوثروب ستودارد. نقله إلى العربية: الأستاذ عجاج نويهض، الطبعة الرابعة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٣م). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٩٠ ـ الحركات الباطنية في الإسلام: لمصطفى غالب. دار الكتاب العربي.
٩١ ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها. للدكتور أحمد محمد الخطيب، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن.
٩٢ ـ حقيقت إسماعيلية: أكبر علي مهر علي. إداره مطبوعات تكبير.
٩٣ ـ حقيقة الخلاف بين علماء الشيعة وجمهور علماء المسلمين. لسعيد إسماعيل، الطبعة الخامسة (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م). الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.
٩٤ ـ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية. للدكتور عبد الفتاح بركة. من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.
٩٥ ـ حيات پاك (السيرة الطاهرة): للسيد محمود يد اللهي. طبع بمطبعة إعجاز، حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند.
٩٦ ـ حيات شيخ عبد الحق محدث دهلوي (حياة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي). للبروفيسور خليق أحمد نظامي. مكتبه رحمانيه، اردو بازار، لاهور ـ پاكستان
٩٧ ـ ختم الهدى سبل السواء: للسيد شاه محمد، طبعة (١٢٩١هـ). طبع في مطبعة الفردوسي، بنگلور ـ الهند.
٩٨ ـ خطبات آزاد (خطب مولانا أبي الكلام آزاد). رتبه: مالك رام، الطبعة الثانية (١٩٨١م). ساهتيه اكاديمي، نيو دهلي ـ الهند.
٩٩ ـ خطبات عثماني: للأستاذ محمد أنوار الحسن شيركوثي، الطبعة الأولى (١٣٩٣م). نذر سنز، اردو بازار، وهور ـ پاكستان.
١٠٠ ـ الخطط المقريزية. لتقي الدين أحمد بن علي المقريزي (٠٠٠ ـ ٠٠٠). طبع بمطبعة الساحل الجنوبي، منشورات دار إحياء العلوم، السياح ـ لبنان.

١٠١ ـ الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية. للسيد محب الدين الخطيب.
١٠٢ـ خير البيان: لبايزيد الأنصاري (٠٠٠ ـ ٩٨٠هـ). تحقيق: حافظ محمد عبد القدوس القاسمي، الطبعة الثانية (١٩٨٨م). بشتو أكيڈمي، پشاور يونيورسٹي، باكستان.
١٠٣ ـ دائرة المعارف: لبطرس البستاني. دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
١٠٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية: وضعها: أئمة المستشرقين في العالم. ترجمة: إبراهيم زكي خورشيد وغيره. كتاب الشعب، شارع قصر العيسى، القاهرة.
١٠٥ ـ دبستان مذاهب: موبد كيخسرو، طبعة (١٣٦٢هـ). كتابخانه طهوري، طهران ـ إيران.
١٠٦ ـ دراسات في علوم القرآن: للدكتور أمير عبد العزيز، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). دار الفرقان، عمان ـ الأردن.
١٠٧ ـ دراسات في الفلسفة الإسلامية: للدكتور محمود قاسم، الطبعة الخامسة (١٩٧٣م). دار المعارف، القاهرة.
١٠٨ ـ درء تعارض العقل والنقل: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ). تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
١٠٩ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور: لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٠٠٠ ـ ٩١١هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). دار الفكر للطباعة والنشر.
١١٠ ـ الدرة فيما يجب اعتقاده: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ). تحقيق: الدكتور حمد بن ناصر الحمد، والدكتور سعيد موسى القزقي، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م). مطبعة المدني، شارع العباسية، القاهرة.
١١١ ـ الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية): سيرتوماس وأرنولد. ترجمة: الدكتور حسن إبراهيم حسن وغيره، الطبعة الثالثة (١٩٧٠م). مكتبة النهضة المصرية، شاعر عدلي باشا، القاهرة.
١١٢ ـ الدعوة السلفية في شبه القارة الهندية: رسالة علمية للطالب: عبد الوهاب خليل الرحمن. رقمها في المركز (٩١٧) عقيدة.
١١٣ ـ دولة الإسماعيلية في إيران: للدكتور محمد السعيد جمال الدين، طبعة (١٩٧٥م). مؤسسة سجل العرب.
١١٤ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لابن فرحون المالكي (٠٠٠ ـ ٧٩٩هـ). تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور. دار التراث للطبع والنشر، شارع الجمهورية، القاهرة.

١١٥ ـ دين إلهي اور اس كاپس منظر (الدين الإلهي وخلفيته): لمحمد أسلم؛ الطبعة الثانية (١٩٧٠م). ندوة المصنفين، سمن آباد، لاهور.
١١٦ ـ ذكر إلهي. لمحمد إسحاق درّازئي، طبعة (١٩٦٥م)، كراتشي ـ باكستان.
١١٧ ـ ذكر توحيد. لمحمد أيوب شاه زاده البلوشي. نشره: ذكري مهدوي اسٹودنٹس ارگنائزيشن.
١١٨ ـ ذكر وحدت: لعيسى نوري. نشره: نور محمد غلام حسين، الطبعة الثانية (١٩٧٧م) كراچي ـ پاكستان.
١١٩ ـ ذكري تحريك تاريخ كي روشني مين (الحركة الذكرية في ضوء التاريخ): للسيد عيسى نوري، طبعة (١٤٩٤هـ). تحصيل پسني، كلك، مكران.
١٢٠ ـ ذكري عقائد آپ كي عدالت مين (العقائد الذكرية وأنت الحكم): لمحمد سليم البلوشي. نشره: مجلس تحفظ ختم نبوت، بلوچستان ـ پاكستان.
١٢١ ـ ذكري فوقه پرايك نظر (نظرة عابرة على الفرقة الذكرية): للشيخ محمد حيات. صديقي ٹرسٹ، نسيم پلازا، كراچي ـ پاكستان.
١٢٢ ـ ذكري كون هين؟ (من هم ذكريون؟): لمحمد إسحاق درازئي. نشره: مير عبد الرحمن البلوشي، كراچي ـ پاكستان.
١٢٣ ـ ذكري مذهب إسلام كي آئين مين (الفرقة الذكرية في مرآة الإسلام): لعبد الغني البلوشي، طبعة (١٩٧٩م). كراچي ـ پاكستان.
١٢٤ ـ ذكري مذهب اور إسلام (الفرقة الذكرية والإسلام): لمولانا عبد المجيد قصرقندي. نشره: مجلس تحفظ ختم نبوت. شارع لياقت علي، كوئٹه، بلوچستان ـ پاكستان.
١٢٥ ـ ذكري مذهب كاتفصيلي جائزه (الدراسة التفصيلية للفرقة الذكرية): للدكتور ضياء الحق الصديقي. صديقي ٹرسٹ، نسيم پلازا، كراچي ـ پاكستان.
١٢٦ ـ رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي المعروف بابن بطوطة (٧٠٣هـ ـ ٧٧٩هـ). تحقيق: الشيخ محمد عبد المنعم وغيره، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). دار إحياء العلوم، بيروت ـ لبنان.
١٢٧ ـ رد الفصوص المسمى بـ مرتبة الوجود ومنزلة الشهود. لملا علي القاري. رسالة علمية للطالب عبد الله علي الملا. رقمها في المركز (١١٢٤) عقيدة.
١٢٨ ـ رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، طبعة (١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م). دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت، لبنان.
١٢٩ ـ رود كوثر (نهر كوثر) للشيخ محمد إكرام. الطبعة السابعة (١٩٧٩). إدارة ثقافت إسلاميه، كلب روڈ، لاهور.
١٣٠ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة. لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م). دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

١٣١ ـ زاد المسير في علم التفسير: لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي البغدادي (٠٠٠ ـ ٥٩٧هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م). دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
١٣٢ ـ سبحة المرجان في آثار هندوستان. لغلام علي آزاد البلگرامي، طبعة (١٣٠٣هـ).
١٣٣ ـ سلاطين دهلي كے مذهبي رجحانات (الميول الدينية لدى سلاطين دهلي). بروفيسور خليق أحمد نظامي. ندوة المصنفين، اردو بازار، دهلي.
١٣٤ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م). مكتبة المعارف، الرياض.
١٣٥ ـ سلطان عملي بنغلا شاهتّه (الأدب البنغالي في عهد السلطان): لوكيل أحمد، بنغلا بازار، داكا ـ بنغلاديش.
١٣٦ ـ سلك الجواهر في أحوال البواهر: لمحمد نجم الغني خان، طبعة (١٩١٤م). مطبعة العلوم وأخبار نير أعظم، مراد آباد ـ الهند.
١٣٧ ـ سنن ابن ماجه: لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ ـ ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٣٨ ـ سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، الطبعة الأولى (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م). دار الحديث، حمص ـ سوريا.
١٣٩ ـ السنة: لأبي أحمد بن محمد الخلال (٠٠٠ ـ ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور عطية الزهراني، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م). دار الراية، الرياض.
١٤٠ ـ سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٠٠٠ ـ ٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وغيره. الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٤١ ـ سيرة ابن هشام، تحقيق: جماعة من العلماء. الطبعة الثانية (١٣٧٥هـ). شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
١٤٢ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد (٠٠٠ ـ ١٠٨٩هـ). منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.
١٤٣ ـ شرح السنة: لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (٤٣٦ ـ ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وغيره. الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).
١٤٤ ـ شرح العقيدة الإصفهانية: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ). تقويم: حسنين محمد مخلوف. دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية.
١٤٥ ـ شرح العقيدة الطحاوية. لعلي بن علي بن أبي العز الدمشقي (٠٠٠ ـ ٧٩٢هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وغيره، الطبعة الخامسة (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م). مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤٦ ـ الشعوبية وأثرها الاجتماعي والسياسي في الحياة الإسلامية في العصر العباسي. للدكتورة زاهية قدورة. الطبعة الأولى (١٩٧٢م). دار الكتاب اللبناني، بيروت.
١٤٧ ـ الشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة: للدكتور محمد أحمد الخطيب، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م). مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن.
١٤٨ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (٤٩٦ ـ ٥٤٤هـ)، الطبعة الأخيرة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م). دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
١٤٩ ـ الشيعة نشأتها وتطورها حتى أواسط القرن الثالث الهجري: للدكتور محمد أرشيد العقيلي، الطبعة الأولى (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م). عمان.
١٥٠ ـ الشيعة والتشيع فرق وتاريخ: إحسان إلهي ظهير، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م)، إدارة ترجمان السنة، لاهور ـ پاكستان.
١٥١ ـ الشيعة والقرآن: إحسان إلهي ظهير. إدارة ترجمان السنة، لاهور ـ پاكستان.
١٥٢ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م). رمادي للنشر، الدمام.
١٥٣ ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الثانية (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م). دار العلم للملايين، بيروت.
١٥٤ ـ صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦هـ ـ ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م). دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي.
١٥٥ ـ الصلة بين التصوف والتشيع: للدكتور كامل مصطفى الشيبي، الطبعة الثانية (١٩٦٩م). دار المعارف، مصر.
١٥٦ ـ ضحى الإسلام: لأحمد أمين، الطبعة السادسة (١٩٦١م)، مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.
١٥٧ ـ الضعفاء الكبير: لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (٠٠٠ ـ ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
١٥٨ ـ طائفة الإسماعيلية: تاريخها، نظمها، عقائدها: للدكتور محمد كامل حسين، الطبعة الأولى (١٩٥٩م). مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.
١٥٩ ـ الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد (٠٠٠ ـ ٢٣٠هـ). دار صادر، بيروت.

١٦٠ ـ طبقات نوريه در أحوال مشائخ نور بخشيه (الطبقات النورية في أحوال مشائخ النور بخشية): لمحمد بن ملا محمد. ترجمة: محمد سليمان گيلاني. مكتبه قدوسيه، كشميري بازار، لاهور.
١٦١ـ كتاب الطواسين: لأبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج (٠٠٠ ـ ٠٠٠). نشره: لويس ماسينيون، طبعة (١٩١٣هـ). باريس.
١٦٢ ـ عربي أدبيات مين پاك وهند كا حصه (مساهمة باكستان والهند في خدمة الأدب العربي): للدكتور زبيد أحمد، الطبعة الثالثة (١٩٩١م). إداره ثقافت إسلامية، كلب روڈ، لاهور.
١٦٣ ـ عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم: للدكتور محمد أبي النور الحديدي، مطبعة الأمانة. شارع جزيرة بدران، شبرا ـ مصر.
١٦٤ ـ عقائد الشيعة في الميزان: للدكتور محمد كامل هاشمي.
١٦٥ ـ العقد الثمين في فتوح الهند ومن ورد فيها من الصحابة والتابعين: للقاضي أطهر المباركفوري. نشره: أبناء مولوي غلام رسول السوري، طبعة (١٣٨٨هـ). بمبئي ـ الهند.
١٦٦ ـ عقد الجواهر في أحوال البواهر: للبروفيسور أبو ظفر الندوي، طبعة (١٩٣٦م)، كراچي ـ پاكستان.
١٦٧ ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر: ليوسف بن يحيى بن علي المقدسي السلمي (٠٠٠ ـ ٦٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو. الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ). مكتبة عالم الفكر.
١٦٨ ـ العقل والنقل: شبير أحمد عثماني. إداره إسلاميات، أنار كلي، لاهور.
١٦٩ ـ عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية: رسالة علمية للباحث أحمد سعد حمدان الغامدي. رقمها في المركز (١٢٧) عقيدة.
١٧٠ ـ العقيدة والشرعية في الإسلام: للدكتور جولد تسيهر. ترجمة: الدكتور محمد يوسف موسى وغيره، الطبعة الثانية (٠٠٠) دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.
١٧١ ـ العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية: لمحمد يوسف النجرامي، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ). دار الفكر.
١٧٢ ـ علماء هند كاشاندار ماضي (الماضي المجيد لعلماء الهند). للسيد محمد ميان، طبعة (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م). المكتبة المحمودية، لاهور.
١٧٣ ـ العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ: للشيخ محمد المقبلي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، الطبعة الأولى (١٣٢٨هـ).
١٧٤ ـ الفئة الذكرية وفتنتها في مكران: للشيخ عبد الغفار الضامراني. نشره: جمعية أنصار السنة المحمدية. تربت، مكران، بلوچستان ـ پاكستان.

١٧٥ ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: جمع وترتيب: الشيخ أحمد عبد الرزاق الدويش، طبعة (١٤١١هـ). الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
١٧٦ ـ الفتوحات المكية: للشيخ محيي الدين بن عربي (٠٠٠ ـ ٦٣٨هـ). دار صادر، بيروت.
١٧٧ ـ فجر الإسلام: لأحمد أمين، الطبعة الثامنة (١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م). مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.
١٧٨ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ). نشره: قصي محب الدين الخطيب، طبعة (١٣٨٧هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة.
١٧٩ ـ الفرق بين الفرق: لعبد القاهر بن طاهر البغدادي: (٠٠٠ ـ ٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد المحيد، طبعة (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م). المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان.
١٨٠ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل. لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم (٠٠٠ ـ ٤٥٦هـ)، تحقيق؛ الدكتور محمد إبراهيم نصير وغيره. الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). شركة عكاظ، جدة، المملكة العربية السعودية.
١٨١ ـ فصوص الحكم: للشيخ محيي الدين بن عربي (٠٠٠ ـ ٦٣٨هـ)، تعليق: الدكتور أبو العلاء عفيفي. دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
١٨٢ ـ فضائح الباطنية: لأبي حامد الغزالي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، تحقيق: عبد الرحمن بدوي. مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.
١٨٣ ـ فضائل الصحابة: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤هـ ـ ٢٣١هـ)، تحقيق: الدكتور وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
١٨٤ ـ الفقيه والمتفقه: لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٣٩٢هـ ـ ٤٦٣هـ). تحقيق وتعليق: الشيخ إسماعيل الأنصاري. دار إحياء السنة النبوية.
١٨٥ ـ الفكر الفلسفي الهندي: للدكتور سرفيالي رادها كرشنا. ترجمة: ندرة اليازجي، طبعة (١٩٦٧م). دار اليقظة العربية.
١٨٦ ـ فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي (٠٠٠ ـ ٧٦٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصرية، شارع عدلي باشا، القاهرة.

نسخة أخرى:

ـ فوات الوفيات: لمحمد بن شاكر الكتبي (٠٠٠ ـ ٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس. دار صادر، بيروت.

١٨٧ ـ القادياني والقاديانية: لأبي الحسن علي الندوي، الطبعة الثانية (١٣٨٢هـ)، مطبعة ندوة العلماء، لكهنئو.

١٨٨ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ)، طبعة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م). الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية.

١٨٩ ـ القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: لخادم حسين إلهي بخش، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م). مكتبة الصديق، الطائف.

١٩٠ ـ قصة الحضارة: ول. ديو رانت (الهند وجيرانها)، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمود، الطبعة الثالثة (١٩٦٨م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٩١ ـ القول المختصر في علامات المهدي المنتظر: لأبي العباس أحمد بن محمد بن حجر المكي الهيتمي (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عاشور. مكتبة السيد أحمد شهيد، لأهور ـ پاكستان.

١٩٢ ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، المطبوع في نهاية الجزء الرابع لتفسير الكشاف، الطبعة الأولى (١٣٤٥هـ). المكتبة التجارية الكبرى، شارع محمد علي.

١٩٣ ـ الكامل في التاريخ: لأبي الحسن علي بن أبو الكرم المعروف بابن الأثير (٠٠٠ ـ ٦٣٠هـ)، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م). دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.

١٩٤ ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني (٠٠٠ ـ ١١٦٢هـ)، طبعة (١٣٥١هـ). مكتبة القدسي، القاهرة.

١٩٥ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. لعلي المتقي الهندي (٠٠٠ ـ ٩٧٥هـ)، الطبعة الأولى (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م). مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

١٩٦ ـ لسان العرب: لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، طبعة (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م). دار صادر، بيروت.

١٩٧ ـ لسان الميزان. لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٠٠٠ ـ ٨٥٢هـ)، الطبعة الثانية (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م). مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان.

١٩٨ ـ لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان. لصديق حسن خان القنوجي (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، طبعة (١٢٩٦هـ)، مطبعة الجوائب الكائنة أمام الباب العالي.

١٩٩ ـ لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير: لمحمد الصباغ، طبعة (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م). المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٠٠ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: للشيخ محمد بن أحمد السفاريني، مطبعة المدني، شارع العباسية، القاهرة.
٢٠١ ـ مآثر الأمراء: لشاه نواز خان، ترجمة: محمد أيوب قادري. مركزي اردو بورڈ، لاهور.
٢٠٢ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الثالثة عشر (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). دار القلم، الكويت.
٢٠٣ ـ ما هي الذكرية: للشيخ احتشام الحق آسيا آبادي، تعريب: الأستاذ سعيد أشرف الندوي. نشره: جمعية أنصار السنة المحمدية. مكران، بلوچستان ـ پاكستان.
٢٠٤ ـ المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (٠٠٠ ـ ٦٠٦هـ)، طبعة (١٩٦٦م). مكتبة الأسدي. طهران.
٢٠٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لنور الدين الهيثمي (٠٠٠ ـ ٨٠٧هـ)، الطبعة الثالثة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م). دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان.
٢٠٦ ـ مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ). جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. مكتبة النهضة الحديثة، طبعة (١٤٠٤هـ) القاهرة.
٢٠٧ ـ مختصر التحفة الاثني عشرية: للشاه عبد العزيز الدهلوي (٠٠٠ ـ ٠٠٠). ترجمة: الشيخ غلام محمد الأسلمي. اختصار: السيد محمود شكري الآلوسي. تحقيق: محب الدين الخطيب، طبعة (١٣٧٣هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة.
٢٠٨ ـ مختصر الطحاوي: لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلام الطحاوي. (٠٠٠ ـ ٣٢١هـ). تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني. دار إحياء العلوم، بيروت.
٢٠٩ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لمحمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (٦٩١هـ ـ ٧٥١هـ)، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٢١٠ ـ مدارج النبوت: للشيخ عبد الحق الدهلوي (٠٠٠ ـ ١٠٥٢هـ). ترجمة: مفتي غلام معين الدين نعيمي. مدينة پبلشنگ كمپني، بندر روڈ، كراچي.
٢١١ ـ مذاهب الإسلام: لمحمد نجم الغني. رضا پبلي كيشنز، مين بازار، لاهور.
٢١٢ ـ مذهب إسلام اور باطني تعليم. (الدين الإسلامي والتعليم الباطني). لمحمد سعيد مرزا. اردو بازار، لاهور.

٢١٣ ـ المستدرك عفى الصحيحين: لأبي عبد الله النيسابوري (٠٠٠ ـ ٠٠٠). مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
٢١٤ ـ مسلمانون كا عروج وزوال (رقي المسلمين وانهيارهم): لسعيد أحمد أكبر آبادي. إداره إسلاميات، أنار كلي، لاهور.
٢١٥ ـ مسلم ثقافت هندوستان مين (الثقافة الإسلامية في الهند): لعبد المجيد سالك. إداره ثقافت إسلامية، كليب روڈ، لاهور ـ پاكستان.
٢١٦ ـ مسلم شاهتّه وشاهتّيك (الأدب الإسلامي وأدباؤه): للدكتور غلام ثقلين. عادل برادرس ابنڈ كمپني، داكا ـ بنغلاديش.
٢١٧ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
٢١٨ ـ المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل: لعبد الكريم الخطيب، الطبعة الأولى (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م). دار الكتب الحديثة، شارع الجمهورية.
٢١٩ ـ معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٠٠٠ ـ ٢٠٧هـ). الطبعة الثانية (١٩٨٠م). عالم الكتب، بيروت.
٢٢٠ ـ المعتمد في أصول الدين: للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي (٠٠٠ ـ ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور وديع زيدان. دار المشرق، بيروت ـ لبنان.
٢٢١ ـ المعجم الفلسفي: للدكتور جميل صليبا، طبعة (١٩٨٢م). دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان.
٢٢٢ ـ معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة. مكتبة المثنى، بيروت.
٢٢٣ ـ معجم مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الإصفهاني. دار الفكر، بيروت ـ لبنان.
٢٢٤ ـ المعجم الوسيط: قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وغيره، أشرف على الطبع: عبد السلام هارون. مجمع اللغة العربية.
٢٢٥ ـ المعرفة عند الحكيم الترمذي: لعبد المحسن الحسيني. دار الكتاب العربي، القاهرة.
٢٢٦ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٠٠٠ ـ ٣٣٠هـ). تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م). المكتبة العصرية، بيروت.
٢٢٧ ـ المقدمة: عبد الرحمن بن خلدون (٠٠٠ ـ ٠٠٠)، الطبعة الرابعة (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م). دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
٢٢٨ ـ مقصود المؤمنين: بايزيد الأنصاري (٠٠٠ ـ ٩٨٠هـ)، تحقيق: مير ولي خان المسعودي، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م). مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد ـ پاكستان.

٢٢٩ ـ الملل والنحل: لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني (٠٠٠ ـ ٤٦٧هـ)، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز محمد الوكيل. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٣٠ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي (٠٠٠ ـ ٥٩٧هـ)، الطبعة الأولى (١٣٧٥هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الهند.
٢٣١ ـ منهاج التقويم: لعبد الملك السجاوندي، طبعة (١٣٧١هـ)، مطبعة الجمعية المهدوية، حيدر آباد ـ الهند.
٢٣٢ ـ منهاج السنة النبوية: لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (٦٦١هـ ـ ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م). جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٢٣٣ ـ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (٧٣٥هـ ـ ٨٠٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية ومكتبتها.
٢٣٤ ـ مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام: لمحمد عبد الله عنان، الطبعة الرابعة (١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
٢٣٥ ـ الموسوعة الإسلامية الميسرة: أشرف على تحريرها نيابة عن الأكاديمية الهولندية: هـ.ا.ر.جب و.ج.هـ. كالمزر. ترجمة: دكتور راشد البراوي، طبعة (١٩٨٥م). مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.
٢٣٦ ـ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب: للدكتور عبد الله مبشر الطرازي، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م). عالم المعرفة، جدة.
٢٣٧ ـ الموسوعة الفلسفية العربية: للدكتور معن زيادة، الطبعة الأولى (١٩٨٦م) معهد الإنماء العربي.
٢٣٨ ـ الموضوعات: لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥١٠هـ ـ ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الأولى (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م). المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
٢٣٩ ـ موقف الإسلام من الإلهام... والكشف... والرؤى ومن التمائم والكهانة والرقى. للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م). مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٤٠ ـ مين ذكري هون (أنا ذكري). لمولوي فقير محمد السندي.
٢٤١ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (٨١٣هـ ـ ٨٧٤هـ). وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.

٢٤٢ ـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر: لعبد الحي بن فخر الدين الحسني (٠٠٠ ـ ١٣٤١هـ)، الطبعة الثانية (١٣٩٣هـ ـ ١٩٨٣م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الهند.

٢٤٣ ـ نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: للدكتور أحمد محمود صبحي، طبعة (١٩٦٩م). دار المعارف، القاهرة.

٢٤٤ ـ نقطوي مذهب اوراس كا عورج اكبر كےعهد مين (الفرقة النقطوية وتطورها في عهد الملك أكبر): للأستاذ نذير أحمد. جامعة عليگڑھ الإسلامية، الهند.

٢٤٥ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان.

٢٤٦ ـ النهاية في الفتن والملاحم: لعماد الدين إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز. دار التراث الإسلامي بالأزهر.

٢٤٧ ـ نور تجلي. جي. إيس. بجاراني بزنجو، طبعة (١٩٨١م). كراچي ـ پاكستان.

٢٤٨ ـ نور هدايت. كے ايم. عمراني البلوشي. نشره: ملا بهرام عمراني البلوشي، الطبعة الأولى (١٩٨٦م).

٢٤٩ ـ هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: لإسماعيل باشا البغدادي، طبعة (١٩٥١م). مكتبة المثنى، بغداد.

٢٥٠ ـ هدية هدوية (الهدية المهدوية): لأبي رجاء محمد زمان الشاه جهان پوري، طبعة (١٢٨٧هـ). مطبعة نظامي، كانپور ـ الهند.

٢٥١ ـ همارے إسماعيل مذهب كي حقيقت اوراس كا نظام (حقيقة مذهبنا الإسماعيلي ونظامه): للدكتور زاهد علي البهري. مكتبه بينات، علامه بنوري ٹاؤن، كراچي ـ پاكستان.

٢٥٢ ـ الهند خلال العصور: لأحمد إبراهيم البشيشي.

٢٥٣ ـ الهند في العهد الإسلامي: للشيخ عبد الحي الحسني والشيخ أبو الحسن علي الندوي، طبعة (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م). دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند.

٢٥٤ ـ الهند القديمة حضاراتها ودياناتها: للدكتور محمد إسماعيل الندوي، دار الشعب.

٢٥٥ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن أحمد بن خلكان (٦٠٨هـ ـ ٦٨١هـ). تحقيق: الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت ـ لبنان.

٢٥٦ ـ لا مهديَ ينتظر بعد الرسول الله ﷺ خير البشر: للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود. دولة قطر.

المجلات:

١ ـ أوينتل كالج ميگزين (مجلة الكلية ا لشرقية): الشهرية، الصادرة من لاهور ـ باكستان.
٢ ـ بينات: الشهرية، الصادرة من كراتشي، باكستان.
٣ ـ الحق: الشهرية، الصادرة من بشاور، باكستان.
٤ ـ صراط مستقيم: الشهرية، الصادرة من برمنغهام، بريطانيا.
٥ ـ الطالب: الشهرية، الصادرة من بشاور، باكستان.
٦ ـ فكر ونظر: الشهرية، الصادرة من جامعة عليگڑھ الإسلامية، الهند.
٧ ـ فكر ونظر: الشهرية الصادرة من اداره تحقيقات إسلامي، إسلام آباد، باكستان.
٨ ـ معارف: الشهرية، الصادرة من مجلس دار المصنفين، أعظم گرھ، الهند.
٩ ـ وجدان: الشهرية، الصادرة من كراتشي، باكستان.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة